

قصتي مع الملاحدة

حوارات علمية مفصلة لرد شبهات الملاحدة

السيد حسين الفياض

بداية القصة

وُلدت في مدينة الشطرة من محافظة ذي قار الواقعة في جنوب العراق. كانت هذه المدينة تلقب باسم ((موسكو الصغيرة)) بسبب ازدهار الحزب الشيوعي الملحد فيها، وكثرة من ظهر منها من قيادات في الحزب الشيوعي العراقي في خمسينات وستينات القرن العشرين. لم يكن الحزب الشيوعي وحده في المدينة بل كان هناك حزب اسلامي وحزب علماني، وقد كانت تدور هناك مناقشات ومناظرات فكرية بين هذه الأحزاب في المقاهي وأندية النقابات. وبرغم ازدهار الحزب الشيوعي، وبرغم دعم الحزب الشيوعي الحاكم للاتحاد السوفيتي له بقوة، إلا أنه لم يتمكن من تغيير عقيدة الناس إلا شريحة قليلة جدا من الشباب، أكثر ما جذبهم فيه هو دعوته للإباحية وشعاراته حول الاشتراكية والفقراء. بوصول حزب البعث القومي العلماني للسلطة بانقلاب عسكري تم قمع الحزبين الإسلامي والشيوعي الملحد بقوة بواسطة الحظر والاعتقالات والاعدامات والسجن والنفي، ومن بقي من الحزب الشيوعي في المدينة بعد السجن والتعذيب وعلان البراءة من فكر الحزب الشيوعي، فقد ظل ملتزما بعدم اظهار فكره الشيوعي الملحد للعلن وعدم الترويج له، لكن هذا لم يمنع بعض الشيوعيين من طرح فكرهم على من يأمنون جانبه.

أنا وُلدت مؤمنا بالفطرة، ولم اعاصر فترة ازدهار الشيوعية في مدينتي، لكن وهبني الله تعالى حبا شديدا للقراءة و استئناسا بالقضايا الفكرية، وكنت كثير التردد على المكتبات العامة، و قد وفق الله أن اطلعت خلال دراستي الجامعية على عدد من الكتب الإسلامية والشيوعية الممنوعة ذلك الوقت، كما وفق أن تعرفت على بقايا الماركسيين الشيوعيين في مدينتي، فكانت تجري بيني وبين اصدقائي وبين بقايا الماركسية الكثير من المطارحات الفكرية، فلم أزد إلا ايمانا بالله تعالى وكفرا بالشيوعية.

بعد انتهاء دراستي في الجامعة الحكومية في قسم اللغة العربية، التحقت بالحوزة العلمية في النجف الأشرف للتخصص في علوم الدين، وفي اثناء دراستي للكتب التخصصية المقررة في علوم الدين كنت اطالع الكثير من

الكتب الفكرية غير المقررة، رغم أنها كانت ممنوعة رسمياً من الطبع والتداول في زمن النظام البائد نظام حكومة حزب البعث في العراق، وأكثر ما كانت استنساخاً رديئاً، فكان حملي للكتاب أو احتفاظي به مؤقتاً كاستعارة يُعد مغامرة قد تؤدي إلى حبل المشنقة، وعلى أقل تقدير تؤدي إلى السجن والتعذيب.

بعد سقوط نظام حزب البعث المجرم عام ٢٠٠٣ في العراق واحتلال أمريكا للعراق، انفتح فضاء العراق على جميع التيارات الفكرية، وقد وفق الله أن استفدت من هذا الفضاء المفتوح بتحقيق حلمي وهو الاطلاع على كافة الأديان والمذاهب والملل والنحل والتيارات الفكرية في تاريخ العالم، وبالفعل صرفت جهداً و وقتاً فقلبت الأديان والملل والتيارات ظهراً لبطن، الحية منها والبائدة، من مصادرها الأصلية ومصادر اتباعها الموثقة، مع الاطلاع على مصادر وآراء خصومها، فلم أجد غير الله رباً وغير الإسلام ديناً وغير محمد وآل محمد صلوات الله وسلامه عليهم صراطاً مستقيماً .

ثم أنه تنامي إلى علمي عن طريق بعض المؤمنين أنه هناك موجة إلحاد تنتشر بين الشباب، فتصورت لأول وهلة بأن الماركسية البائدة قد استعادت نشاطها، لكنني بعد اطلاعي على بعض مقالات وسلوكيات الملاحدة الجدد بواسطة بعض المؤمنين اكتشفت بأن الإلحاد الجديد لا علاقة له بالماركسية الشيوعية، بل أن الملاحدة الجدد يبغضون الماركسيين، وإن كان بقايا الشيوعيين يصطفون معهم في محاربة الدين والدعوة للإلحاد وكثيراً ما يتسترون فلا يعلنون عن ماركسياتهم. عرفت أن موجة الإلحاد الجديد هي موجة إلحاد رأسمالي غربي، لا موجة إلحاد اشتراكي شرقي، هي موجة إلحاد جاءت مع الغزو الثقافي الجديد، ضمن مشروع عولمة الحضارة الأمريكية، الذي أطلقته المؤسسات الرأسمالية السياسية الأمريكية، بعد انهيار القطب الشيوعي الاشتراكي بنفكك الاتحاد السوفيتي السابق. فبين ابتهاج النظام الرأسمالي العلماني الغربي بسقوط النظام الشيوعي السوفيتي ١٩٩١م، وبين هلهة من صعود الإسلام كمنظومة عقائدية سياسية مضادة، خصوصاً بعد قيام الحكومة الإسلامية في إيران ١٩٧٨ م، برز وهم جديد للإلحاد تمثل في مشروع عولمة الديمقراطية الليبرالية الأمريكية بمبادئها في العلمانية

والحرية السياسية والاقتصادية والدينية والشخصية ، كإيدولوجية كونية تمثل - حسب وهمهم - خلاصة ما وصل اليه الفكر الانساني في تحقيق السعادة للمجتمع البشري. وهم لا يقصدون واقعا بالعلمانية سوى رفض أن يكون لله أي دور في سياسة عباده، ولا يقصدون بالحرية السياسية سوى تقييد الشعوب بدستور يضمن مصلحة الطبقة الرأسمالية الغربية، ولا يقصدون بالحرية الاقتصادية سوى إطلاق عنان الشركات الرأسمالية لتبتلع الفقراء، ولا يقصدون بالحرية الدينية والشخصية سوى الترويج للإلحاد والانحلال الأخلاقي. جاءت أطروحة عولمة الحضارة الأمريكية في كتاب "نهاية التاريخ" لخبير السياسة الاميركية فرانسس فوكوياما عام ١٩٩٢م، وتولت تطبيقها المؤسسات العلمانية، مؤسسات الإلحاد المبطن، ليس على الطريقة السوفيتية، باستعمال القوة الخشنة والاحزاب الثورية التي ثبت فشلها، بل باستعمال القوة الناعمة عن طريق الضغط السياسي والاقتصادي والاعلامي على الدول، وفتح عالم الانترنت والقنوات الفضائية، وما يسمى منظمات المجتمع المدني والمنتديات الشبابية والأفلام الموجهة لغسل ادمغة الاطفال والشباب، كما جرى اصطناع نجوم للإلحاد من المرضى عقليا ونفسيا، كما هو المعروف من سيرتهم الذاتية، المغلفين بشهادات وألقاب أكاديمية، لوسم الإلحاد بسمة العلمية مع كون العلم منه براء، فكان ممن اصطنعوه لهذه المهمة ستيفن هوكنج بدعوى انه عبقرى الفيزياء الكونية الملحد الذي يبرهن عدم الحاجة لوجود خالق للكون على اساس فرضية الانفجار الكبير، بينما تكفل ريشارد دوكنز بدعوى انه عبقرى البيولوجيا التطورية الملحد بمهمة برهنة عدم الحاجة لوجود خالق للأحياء على اساس فرضية التطور الدارونية ، وسيأتي ان شاء الله عرض فرضياتهم ومناقشتها وبرهان تهافتها وعدم قدرتها على اثبات ما تدعيه. ثم إن مؤسسات الإلحاد المبطن امتلأت رعبا من الإسلام عند بروز تنظيم القاعدة السلفي الإرهابي وقيام فئمة متحجرة محسوبة على الإسلام والمسلمين بتفجير مركز التجارة العالمي في اميركا عام ٢٠٠١ م، ذلك التفجير الضخم الذي أودى بحياة الآلاف من المدنيين ، مما زاد الملاحدة مرضا وحنقا وجزما بأن الدين يشكل اخطر العقبات امام تحقيق مصالحهم السياسية والاقتصادية في العالم، وأنه الكابوس الأخلاقي الاكبر الذي يفسد عليهم بهيميتهم ويحول بينهم وبين أن يتمتعوا ويعيشوا كما

تعيش الأنعام، و أعطاهم الذريعة لقيادة حملة للقضاء على الدين بدعوى أن الدين يعني الارهاب وتعكير صفو السلام العالمي !! فقد كتب الملحد الامريكي الشرس سام هاريس كتاب "نهاية الايمان" عقب ذلك التفجير مؤكداً أن السبيل الوحيد ليتخلص عالمه من الإرهاب هو إلغاء الأديان جميعها، وتطبيقاً لذلك رفع نبي الملاحدة المعاصر ريشارد دوكنز شعار "العالم بلا دين افضل" و "يا ملاحدة العالم اتحدوا" مستلهما بذلك شعارات فولتير في شبابه وماركس في عذابه، ومعلنا استمرار تيار الالحاد الغربي المناهض للدين. والعجيب أن دوكنز بصفته الاكاديمية يزعم تمثيل نسبية المعرفة، والعقلانية العلمية وهي تقوم على مبدأ اللا حتمية العلمية، أي عدم وجود اليقين في المعرفة والنظريات العلمية، والاعجب أنه يصنف نفسه في رتبة اللا أدريّة، أي لا جزم له بوجود او عدم وجود الله، فشراسته في محاربة الدين واستماتته في سلب المؤمنين ايمانهم هي خيانة لمبادئ العلم عموماً ولنفسه خصوصاً، لا مبرر لذلك سوى المرض النفسي، أو صفقة تجارية مع مؤسسات الالحاد المبطن. في مقابل تيار الالحاد المعاصر المناهض للدين برز تيار الالحاد المتوافق مع الدين، وهو التيار الإلحادي الذي يحترم حق الآخرين بالتدين ولا يرى في الدين خطراً يجب على الناس اجتنابه، ولا يجعل من الالحاد رسالة يبشر بها. من الذين مثلوا تيار الالحاد المتوافق مع الدين كارن ارمسترونج الكاتبة البريطانية الملحدة اللا دينية، وقد كانت راهبة كاثوليكية ، ثم اصطدمت بتعاليم الكنيسة فألحقت واعتبرت أن الأديان مجرد اساطير، لكنها لم تحارب الأديان بل بالعكس تصدت للتيار المناهض للدين، وهي الآن تقود مشروع تلحيد ناعم بالسعي للتوفيق بين الأديان بنزع خصوصياتها وجمعها في دين اللا دين، تقول في مقدمة كتابها "الله لماذا؟" : ((لا أنوي اطلاقاً الهجوم على أية معتقدات يعتنقها الافراد بصدق))¹، وفي آخر الكتاب تقول : ((فما يردده الملحدون الجدد يكشف عن عدم فهم يعكس تشويشاً واضطراباً أو عدم اكتراث بتشابك والتباس التجربة الانسانية في

١ - الله لماذا ؟ ، كارن ارمسترونج ، ترجمة فاطمة نصر ، ص ١٩

العصر الحديث، كما أن جدالهم العنيف للطعن في آراء مخالفينهم يعجز تماما عن الاحاطة بعناية بأديان التوحيد الثلاثة))^١.

عاد الإلحاد اليوم الى المجتمع الاسلامي متوهما وجدان البيئة المناسبة او متخيلا الأمان بوجه من الوجوه، او محاولا ايجاد تشابه بين ظروف المجتمع الاسلامي المعاصر وظروف المجتمع الفرنسي في القرن الثامن عشر، ومحاولا اعادة تصنيع فولتير و لويس سادس عشر وبابا كاثوليك بنسخ اسلامية ، لإيهام من لا يملك الوعي التاريخي بوجود عصر تنوير حقيقي في القرن الثامن عشر وأنه قد حان حينه في المجتمع الإسلامي اليوم، مع كونه لا ربط بين ظروف عصر التدمير الأوربي وبين ظروف المجتمع الاسلامي المعاصر، كما لا تشابه بين مقومات الحضارة الاوربية المسيحية والحضارة الاسلامية، فالحضارة الاسلامية قائمة على الرسالة الإلهية الاشمل الاكمل، وعلى تعظيم مكارم الاخلاق، وعلى رجال تجسد فيهم كمال الرسالة وكمال الاخلاق، ولئن استطاع الفايروس ان يصيب بعض افراد المجتمع الاسلامي فإنه لا يزيد المجتمع إلا حصانة و وعيا وايمانا، وادركا لطريق الاسلام المحمدي الاصيل الذي أوصى به الرسول الاكرم أمته قبيل وفاته فقال صلى الله عليه وآله : ((إني قد تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعدي ما إن تمسكنم بهما: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإن اللطيف الخبير قد عهد إلي أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض))^٢، ذلك الطريق الذي عمد خلفاء الباطل وسلاطين الجور على مر العصور الى طمسه، وعمد فقهاء السلطة وإعلامها المأجور الى تجنب السير عليه والى تجهيل الأمة به، وعلى تاريخ سلاطين الجور وفقهاء السلطة وإعلامها المأجور اعتمد معظم المستشرقين في تشويه الاسلام، وعليهم اعتمدت مؤسسات الإلحاد العالمي في تضليل بعض افراد المجتمع الاسلامي. وكما ذكرنا فإن تيار الإلحاد المناهض للدين قد عاد ولكن هذه المرة بأشد الأدوات الإعلامية مكررا ووسعها نطاقا، وبتركيز أكبر على دين الإسلام، لذلك فإن من المتوقع ان تكون هذه المرحلة المعاصرة هي آخر صيحات الملاحدة ونهاية تأريخ

١ - المصدر السابق ، ص٤٦٥

٢ - الكافي ، ج ٢ ، كتاب الايمان والكفر ، باب ((أدنى ما يكون به العبد مؤمنا او كافرا او ضاللا)) ، الحديث رقم ١

الإلحاد. مما لا يعلمه معظم الناس أن تقنية الإنترنت موجودة منذ السبعينات ولكنها كانت حكرًا للأغراض الاستخباراتية الأمريكية، ولم تطلقها أمريكا الآن لعامة الناس حبا في نشر المعرفة والتواصل بين الحضارات وإنما لتكون حصان طروادة للغزو الثقافي بعولمة الإلحاد والانحطاط الأخلاقي، ولكن يمكرون ويمكر الله بهم، فقد ارتد عليهم مكرهم بانتشار الإسلام في بلدانهم بفضل هذه التقنية نفسها، حتى بدأت صيحاتهم تتعالى وتشريعاتهم تتوالى على مراقبة النت وتقييده، قال تعالى: ((يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩)))^١.

بادرت الى الاطلاع على زعماء الملاحدة الجدد، وعلى مصادرهم وعلى مقالاتهم، وعزمت على محاورتهم ومحاورتهم أتباعهم لهداية طالب الهداية منهم، ولكشف تهافت الإلحاد واسقاط الأقنعة التي يتستر بها طالب الباطل منهم ولتوعية المؤمنين بهم وبشبهاتهم. كانت نتيجة جهودي كتاب ((تهافت الإلحاد)) وفيه فصل قد سردت فيه قصة الإلحاد، مع التحليل والنقد لبيان الجذور التاريخية الفكرية والأخلاقية والنفسية لظاهرة الإلحاد، كما ركزت فيه على هدم الأسس الكبرى التي يقوم عليها الفكر الإلحادي المعاصر، وكنت قد وعدت هناك بكتاب خاص يجيب على معظم الشبهات الثانوية التفصيلية، فكان هذا الكتاب ((قصتي مع الملاحدة)) وفاء بذلك الوعد. وهو خلاصة تجربتي مع الملاحدة قراءة وحوارات ومناظرات قمت باختصارها كثيرا جدا، وتبويبها وإعادة صياغتها بعد أن نزهتها عما اتصف به الملاحدة من المهاترات والفحش والسباب، راجيا أن يكون عملي خالصا لوجه الله تعالى.

^١ - سورة الصف

اللقاء الأول: حوارات حول الخالق والأديان

المؤمن – أولاً: وقبل كل شيء، ينبغي أن تعلموا وتذكروا دائماً، أنني مسلم مؤمن شيعي، أتبع وصية الرسول الأكرم حيث أمرنا بالتمسك بكتاب الله وعترته أهل بيته للأمن من الضلال من بعده، فلا تناقشوني بحسب عقيدة أتباع خلافة السقيفة ومصادرهم. وثانياً: فعلاً أنا ما أتيت للمهاترات ولا للسخرية ولا للإرهاب ولا بأحكام مسبقة، بل للاستطلاع والبحث والحوار الهادئ والهداية، واتمنى من الجميع ان يفهموا ذلك وأن يعبروا عن كل ما يجول في خواطرهم بأسلوب حضاري قائم على الاحترام المتبادل. والآن بعد استطلاعات عامة سابقة حاورناكم فيها عن أسباب إلحادكم وعن ماذا كسبتم من إلحادكم، دعونا ندخل في حوارات تفصيلية جادة.

- ما هو منطق الإلحاد؟

المؤمن – الإنسان كائن مفكر ، أي هو موجود مفطور على الإدراك ، أي هو مصمم بحيث يكون قادراً على إدراك الحقائق الكلية . وعلم المنطق هو العلم الذي يبحث في قواعد التفكير التي تمنع الذهن في حالة الإلتزام بها عن الوقوع في الخطأ في الإدراك والضلال في التفكير ، والبحث المعرفي (الابستمولوجي) مقدم على البحث الوجودي (الأنطولوجي) ، أي أنه قبل الشروع بالبحث في حقيقة الوجود وعلة الوجود يجب تحديد المنهج الصحيح الموصل للمعرفة في هذا الموضوع، والمنهج الصحيح الذي اخترناه هو قواعد منطق المذهب العقلي المخالف لجميع المذاهب الأخرى في المعرفة كالمذهب الحسي و المذهب التجريبي والمذهب المثالي والمذهب النسبي والمذهب الوضعي والمذهب الديالكتيكي . يقسم المنطق العقلي المعارف الى قسمين : بسيطة و مركبة ، والمعارف البسيطة تسمى التصورات وهي المفاهيم التي لا تشتمل على حكم بنفي او اثبات مثل (الإنسان ، الشمس ، الكون ، الكتاب) ، وهذه يقسمها المنطق العقلي الى قسمين : حسية و عقلية

، فالتصورات الحسية هي المعارف البسيطة التي ندركها بالحواس مثل (الشمس ، الحرارة ، اللون الأحمر) والتصورات العقلية مثل مفاهيم (السببية ، الإمكان) هي المفاهيم التي لا ندركها بالحواس بل يستنبطها الذهن بذاته . أما المعارف المركبة فتسمى تصديقات وهي المعارف التي تشتمل على حكم بالصدق والاثبات أو بالكذب والنفي مثل (زيد عالم ، ليس زيد عالما – الكون حادث ، ليس الكون حادثا) ، وهذه يقسمها منهج المنطق العقلي في المعرفة الى قسمين : قضايا ضرورية وقضايا نظرية ، والقضايا الضرورية هي القضايا البديهية التي يقطع العقل بالحكم بصدقها أو بكذبها اضطرارا أي بدون الحاجة الى استدلال نظري على صدقها أو كذبها ، أي هي لا تتوقف على ثبوت قضايا مسبقة للحكم بصدقها أو كذبها بل هي قضايا مفطور الإنسان على الإذعان بصدقها أو كذبها بمجرد تصور اطرافها، مثل قضايا (لكل حادث سبب - الكل اعظم من الجزء - النقيضان لا يجتمعان) . والقضايا النظرية مثل (الكون حادث – كل انسان يموت) هي القضايا التي يتوقف الحكم بصدقها أو كذبها على قضايا ثابتة مسبقا تكون مقدمات للوصول الى الحكم فيها، وجميع القضايا النظرية في العلوم يكون مرجع الحكم بصدقها أو كذبها بالنهاية الى القضايا الضرورية ، فالقضايا الضرورية بحسب المنهج العقلي هي رأس مال كافة العلوم وهي المرجع النهائي لتقييم المعارف والحكم بحقيقتها أو بطلانها.

الملحد – إن منبع جميع التصورات هو الحس فقط ، ولذلك فإن الأعمى يفقد جميع المعلومات المحسوسة بالبصر .

المؤمن – نحن لم ننكر دور الحس في اكتساب المعارف التصورية إنما ننكر حصر المعارف في الحس ، ولذلك نحن قسمنا التصورات الى حسية و عقلية ، والدليل على بطلان المذهب الحسي هو وجود مفاهيم غير مدركة بالحواس مثل مفهوم العلية أي السببية ، فالذهن إنما يدرك مفهوم النار و مفهوم الإحراق بالحس ولكن مفهوم علاقة العلية أي مفهوم سببية النار للإحراق هو نفسه ليس حسيا .

الملحد – مفهوم العلية مفهوم حسي لأنه نشأ من ادراك مفاهيم النار والإحراق .

المؤمن – يا حبيبي أنتم تخلطون بين الاستنباط الذهني و التأليف الذهني ، فالمذهب الحسي يقول أن جميع المدركات هي حسية ولا دور للذهن فيها سوى التحليل او التركيب ، فمثلا يدرك الذهن صورة الجبل و صورة الماس بالحواس ، ثم له ان يخلق مفهوما ذهنيا بالتأليف بينهما فيتصور مفهوم جبل الماس ، فمفهوم جبل الماس هو مفهوم حسي تألفي لأنه ليس إلا تأليفا بين صورتين مدركتين بالحس ، ولكن مفهوم العلية ليس عبارة عن صورة ذهنية مركبة من صورتين النار و الإحراق وإنما هو مفهوم مغاير لكليهما ، وإن كان استنباطه وادراكه يتوقف على تصور النار والاحراق .

الملحد – الإنسان يولد وعقله كالصفحة البيضاء ثم يبدأ الإدراك بالحواس.

المؤمن – هذه مقولة جون لوك رائد المذهب الحسي في المعرفة ، وهو قد قال ذلك ردا على مقولة المدركات الفطرية لديكارت ، فقد قسم ديكارت المعلومات التصورية الى حسية وفطرية . فإن كان ديكارت يقصد بالمدركات الفطرية أن الإنسان يولد وهي موجودة في ذهنه بالفعل فنحن نرفض مقولته هذه ، و نحن نتفق مع جون لوك بأن الإنسان يولد وذهنه كالصفحة البيضاء فعلا ، إنما قصدنا بالمدركات العقلية هي وجود مدركات غير حسية يستنبطها ذهن الإنسان بتكامل وعيه ، فلعل هذا هو مقصود ديكارت ولعل ديكارت كان مشتبهها في تفسير المدركات غير الحسية ، ولعل جون لوك كان مشتبهها في فهم مقصد ديكارت ، وإن كان جان لوك واتباعه الحسيون يسلمون معنا بوجود مدركات تصورية مثل مفهوم (السببية) غير حسية في حد ذاتها وغير مؤلفة من مفاهيم حسية لكن استنباطها يتوقف على مقدمات حسية ، فنحن متفقون إن شاء الله .

الملحد – بالنسبة للمعارف التركيبية أي المعارف المشتملة على حكم بالنفسي أو الإثبات ، فإن التجربة هي المقياس الحق في تقييم هذه المعارف والحكم بصدقها أو كذبها.

المؤمن – هذه مقولة المذهب التجريبي في اثبات صدق أو كذب القضايا التصديقية . و هي مقولة تنسف نفسها بنفسها .

الملحد – كيف ذلك ؟

المؤمن – إن مقولة "التجربة هي المقياس الحق الوحيد في تقييم المعارف" هي معرفة تركيبية كسائر المعارف البشرية أما تكون صادقة أو كاذبة ، فإن كان ميزان صدقها هو نفس ادعان و تسليم العقل بصدقها ، ثبت ما نقوله بوجود معارف بديهية يحكم العقل بذاته بصدقها بالضرورة بلا حاجة الى دليل ، وثبت بقولكم هذا كذب مقولة أن التجربة هي الميزان الحصري لتقييم المعارف ؛ وإن كان ميزان صدق هذه المقولة هو التجربة سيعود السؤال عن ميزان حقانية هذه التجربة هل هو ضرورة العقل ام التجربة ؟ هذه المناقشة تهدم الأساس الذي يقوم عليه المذهب التجريبي وتهدم كل مقولة تؤسس لهدم المذهب العقلي .

الملحد – يعني أنت تنكر حقانية التجارب التي تأسست عليها الحياة المعاصرة.

المؤمن – لا يا عزيزي ، نحن لا ننكر الدور الكبير الذي تقوم به التجربة في بناء الحضارة وتطور العلوم ، إنما نحن نرفض حصر القدرة في تقييم المعارف بالتجربة ، نحن ضد تقديس التجربة لأجل ما قامت به من إنجازات علمية واعتبارها مرجعا نهائيا وأوحديا للحكم بصدق أو كذب المعارف ، نحن نعتبر التجربة أداة من أدوات العقل لتحصيل المعرفة ، فالقضايا التجريبية أي الثابتة فعلا بالتجربة هي عندنا أحد أقسام القضايا اليقينية التي نعتمدها في مقدمات الاستدلال لاستنباط الحكم في القضايا النظرية، و لكن هناك معارف ضرورية بديهية يحكم العقل بصدقها دون تجربة ، بل بدونها تبطل حقانية التجربة كوسيلة للمعرفة .

الملحد – مثل ماذا ؟

المؤمن - مثل مبدأ العلية و مبدأ عدم التناقض ، هما من المعارف الضرورية التي نتوقف عليها حقانية التجربة ، فمبدأ العلية ، وهنا لا نتكلم عن مفهوم

العلية كمفهوم تصوري أي غير مشتمل على حكم بمعنى (الملازمة بين امرين وتوقف أحدهما على الآخر) ، وإنما نقصد المعرفة التصديقية أي القضية المركبة المشتملة على حكم و التي يعبر عنها بتعابير مثل (لكل أثر مؤثر - لكل معلول علة - لكل مسبب سبب - لكل حادث محدث - استحالة انفكاك المعلول عن علته التامة) وهو معرفة تركيبية تصديقية يحكم العقل بصدقها بلا حاجة للتجربة ، فبمجرد تصور الذهن لمفهوم العلة ومفهوم المعلول يذعن باستحالة تخلف المعلول عن علته التامة ، لأن المعلول يعني الأمر الذي هو ممكن الوجود في حد ذاته أي تتساوى نسبة وجوده الى عدمه ، وبالتالي هو عين الأفتقار والاحتياج الى سبب خارج عن ذاته ليوجده بترجيح فعلية وجوده على عدمه . و حقانية كل تجربة تتوقف على مبدأ العلية ، فلولا الإذعان بمبدأ العلية لما أمكن التسليم بحقانية التجربة التامة وكونها علة تامة للنتيجة و استحالة انفكاك هذه النتيجة عن التجربة التامة ، و مبدأ عدم التناقض (استحالة اجتماع النقيضين) هو معرفة تصديقية يحكم العقل بصدقها بالضرورة بلا حاجة الى تجربة ، فبمجرد تصور الذهن لمفهوم الشيء و عدمه يحكم قهرا باستحالة اجتماعهما في ذات الزمان والمكان ومن نفس الجهة ، وحقانية كل تجربة تتوقف على مبدأ عدم التناقض فلولا الإذعان بمبدأ عدم التناقض لاجتمع صدق نتيجة التجربة مع كذبها .

الملحد - يقولون أنه لا وجود لمبدأ العلية ، وإنما هي مجرد تعاقب الحوادث وتداعي المعاني .

المؤمن - يا عزيزي - لم يجادل في مبدأ العلية فلسفيا سوى ديفيد هيوم ، حيث احتج أن أقصى ما ندركه بالحس هو تعاقب الحوادث فلا دليل من الحس على وجود الملازمة بين أمرين بحيث يتعاقبان الى الأبد ولا ينفك احدهما عن الآخر ، وإنما نحن بسبب تكرار التعاقب عدة مرات ترسخ في ذهننا مفهوم الملازمة في التصور بينهما بحيث اذا تصورنا احدهما نتصور الآخر من باب تداعي المعاني . نقول : إن هيوم كان فيلسوفا حسيا صادقا في حسيته نظريا فقط ، فحقا هذه هي النتيجة الوخيمة التي يؤدي اليها المذهب الحسي في المعرفة وهي من شواهد بطلانه ، فحقا مبدأ العلية ليس حسيا لأن كل ما يدركه الحس والتجربة هو التعاقب فقط بين أمرين أما كون هذا

هو علة لهذا و يستحيل انفكاكه عنه فهو استنباط عقلي ، والإذعان القهري بمبدأ العلية العام لا يتوقف سوى على تصور معنى العلة والمعلول الذي قدمناه ، و ديفد هيوم لو كان مؤمنا بما يقوله لمارس ذلك عمليا ، فليترك الأكل والشرب لمدة شهر ليثبت عمليا عدم توقف حياته على الأكل والشرب أو ما يقوم مقامهما، وليبق في الظلام الدامس ليلا لمدة شهر ليثبت عمليا عدم توقف وجود الضوء على المصباح او ما يقوم مقامه ، وليغمض عينيه لمدة شهر ليثبت عمليا عدم توقف حصول المعلومات البصرية على النظر. إن مبدأ العلية هو محور نظام الوجود ، ولولاه لما وقف عالم في مختبر لتحضير تجربة ولا تم كشف قوانين الوجود ولا تثبت حقيقة واقعية، فدعكم من هيوم وسفسطاته، فقد مات أينشتاين وهو يدافع عن مبدأ العلية في مقابل فلسفة الإعتباط عند جماعة علماء فيزياء الكم.

الملحد - هذه قواعدكم قواعد المنطق الارسطي الذي فشل في العلم واخلى مكانه لمذهب الاستقراء المنطقي، السبب والنتيجة هو ليس علاقة حتمية بل هو حقيقة احتمالية.

المؤمن - بل هذه قواعد المذهب العقلي، وهو كما يعتمد على أسلوب القياس البرهاني في الاستدلال على القضايا غير الضرورية فكذلك يعتمد أسلوب الاستقراء وحساب الاحتمالات. أما انكاركم لمبدأ العلية بعد كل ما قلناه بقولكم أن "السبب والنتيجة هو ليس علاقه حتميه بل هو حقيقة احتمالية" فلا رد عليه إلا بقولنا: إنني اشك بأنك أنت من تكلمني واحتمل أن هذا الكلام صادر من مصدر آخر غير حي، فكونك المتكلم حقيقة احتمالية، فهيا اثبت لي أنك المتكلم لكي احاورك.

الملحد - هذا شيء واضح بالحس أنني أنا من اكلمك.

المؤمن - لا يا حبيبي - اقصى ما يدركه حسي هو أنني أرى لسانا يتحرك وأسمع صوتا من جهتك، لكنني اشك ولست أجزم بأن لسانك هو علة تامة لما أسمع من الكلام ، فلعل هذا الصوت صادر من اصطكاك حجر في الخارج أو لعله صادر عن تحكم النافذة في الرياح الداخلة ، وكل من الحجر

والنافذة لا يملك وعيا فلا يستحق عناء الخطاب!! هذا هو نتيجة منطقتكم أنكم لا تستحقون الحوار.

الملحد – لا توجد حقيقة واقعية مطلقة، إنما الحقيقة نسبية ، فكل ما يدركه الشخص هو حق بالنسبة اليه فقط .

المؤمن - هذه مقولة النسبية الذاتية وهي تنسف نفسها بنفسها .

الملحد – كيف ذلك؟

المؤمن – إن مقولة "لا توجد حقيقة مطلقة" هي معرفة تصديقية كلية، أي قضية مركبة مشتملة على حكم سلبي كلي عام ، فهل هي حقيقة نسبية أم مطلقة ؟ فإن كانت حقيقة نسبية أي هي حق بالنسبة لمدرکها فقط فلا يحق لك أن تجعلها مبدأ معرفيا عاما تريد من كل البشر أن يؤمنوا بها ، وإن كانت هي حقيقة واقعية مطلقة ثابتة في حد نفسها ولها واقع موضوعي مستقل بقطع النظر عن شخص مدرکها ، فقد ثبت بذلك كذبها بزعم أنه لا توجد حقيقة واقعية مطلقة ، وثبت بذلك وجود حقائق مطلقة. والحق أن تسمية هذا المذهب في المعرفة باسم (النسبية الذاتية) هو من باب الخداع اللفظي والتزييف الفكري ، فهي واقعا عبارة عن شكية لا أدرية بثوب جديد ، لأن قول أن هذا تدركه وربما كان باطلا هو عين الشك وليس حقيقة، وقد قلنا سابقا أن كل نظرية تطرح لهدم المذهب العقلي إنما تهدم نفسها بنفسها.

الملاحظة واقعا يتبعون المنطق السفسطائي - منطق المغالطات - و مذهب الشكية اللا أدرية اللذين ظهرا في اليونان حوالي ٤٠٠ سنة قبل الميلاد ، الأمر الذي دعا ارسطو الى تقنين قواعد منطق البرهان العقلي. فالمنطق العقلي هو قواعد للتفكير البشري السليم يدركها كل عاقل سليم العقل والفطرة، وليست هي من ابتكار ارسطو بل ارسطو قننها كتابيا ردا على موجة السفسطة والشكية التي شاعت في عصره. ولذلك نحن نقول: إن الفلسفات الذرية والابيقورية والشكية في ايام الامبراطورية اليونانية هي جذور الإلحاد في كل عصر، وقد أوضحت ذلك مفصلا في فصل (قصة الإلحاد) من كتاب (تهافت الإلحاد) ثم نشرت الفصل منفردا.

- سؤال: أيهما الأصل الإيمان أم الإلحاد؟

الملحد – لماذا أنت مؤمن مسلم ؟

المؤمن – أنا مؤمن لأنني انسان عاقل، لا أعتقد بالصدفة و العشوائية و أزلية المادة ، وأنا مسلم لأنني وجدت الإسلام هو خاتم الرسالات الألهية، وهو أكمل وأشمل وأجمل وأعظم دين موجود الآن.

الملحد – بل أنت مؤمن مسلم لأنك من أبوين مسلمين، أنت لم تختار دينك.

المؤمن – لا ننكر دور الأبوين والبيئة في اختيار العقيدة ، لكنها ليست جبرية، بدليل انكم ولدتم من ابوين مؤمنين في بيئة مؤمنة ومع ذلك فقد ألدتم، و غيركم ولد من أبوين ملحدين فآمن. هذا برهان بطلان السفسطة التي لقنوها لكم فقمتم بترويجها .

الملحد – نحن ألدنا لأننا فكرنا وبحثنا واكتشفنا اكدوبة الإيمان والأديان.

المؤمن – بل قولوا انكم ضللتكم الطريق وشطحتم لأسباب غير علمية ، أنا بحث و درست وقلبت التاريخ والاديان كلها الحية والبائدة ، فاكتشفت أن الايمان راسخ في تخوم الوجود البشري ، وأن الإلحاد عبارة عن وهم لا يتجاوز عمره ٢٥٠٠ سنة ، فالإيمان هو الأصل والإلحاد لا أقول هو فرع بل وهم اصيبت به البشرية نتيجة فايروس الفلسفة الذرية والابيقورية والشكية في ايام الامبراطورية اليونانية.

الملحد – أعطنا دليلا على أصالة الإيمان و وهمية الإلحاد، ولا نريد أدلة من القرآن بل أدلة من علوم التاريخ والآثار والاجتماع والأجناس.

المؤمن – الأدلة كلها من هذه العلوم وعلماء هذه العلوم و بعضهم من زعماء الملاحدة، فكل الفرضيات التي وضعها زعماء الملاحدة من رواد هذه العلوم لتفسير الدين كظاهرة هي نفسها تقر و تعترف برسوخ الإيمان

في تخوم الوجود البشري، لكنها تفسره تفسيراً إلحادياً، وكل هذه التفسيرات هي واهية فاشلة متهافة، مما يثبت أصالة الإيمان و وهمية الإلحاد ، وأنا سأستعرض لكم أهم وأشهر فرضيات الملاحدة في تفسير الإيمان والدين بصورة مختصرة ، ومن شاء التفصيل فليراجع كتابي (أصل الدين)، أو الفصل الثاني بعنوان (فرضيات الملحدين حول أصل الدين) من كتابي (تهافت الإلحاد) حيث عرضت وناقشت فيه ثماني فرضيات للملاحدة في تفسير الدين.

- فرضيات الملاحدة في تفسير الإيمان والدين -

١- فرضية الجهل

ابرز المنظرين لهذه الفرضية هو الملحد الفرنسي اوغست كونت مؤسس الفلسفة الوضعية (توفي ١٨٥٧م) ، حيث زعم في كتابه (دروس في الفلسفة الوضعية) انه قد اكتشف قانون تطور العقل البشري فقال : ((من خلال دراسة التطور الكلي للذكاء البشري في مختلف مجالات نشاطه ، من أبسط تطوره إلى يومنا هذا ، أعتقد أنني اكتشفت قانوناً أساسياً كبيراً يخضع له لضرورة ثابتة. والذي يبدو لي راسخاً، إما على البراهين العقلانية التي توفرها معرفة منظمنا ، أو على التحقيقات التاريخية الناتجة عن دراسة متأنية للماضي . يتكون هذا القانون من حقيقة أن كل من مفاهيمنا الرئيسية ، كل فرع من فروعنا ، يمر عبر ثلاث حالات نظرية مختلفة: الحالة اللاهوتية أو الوهمية ؛ الحالة الميتافيزيقية أو المجردة ؛ الحالة العلمية أو الوضعية))^١ .

وخلاصة هذا القانون انه يقسم تاريخ المعرفة الى ثلاث مراحل متتالية : المرحلة الدينية ثم المرحلة الفلسفية ثم المرحلة العلمية ، ففي طفولة العقل البشري حيث كان البشر يجهلون حقائق الطبيعة وتفسير ظواهرها فأنهم نسبوها الى موجودات خارقة ما وراء الطبيعة أو أرواح كامنة في ذات

١ - دروس في الفلسفة الوضعية ، اوغست كونت ، الدرس الاول ، ج ١ ص ١

الموجودات الطبيعية ، ثم تطور العقل البشري فراح يبحث عن الاجابات بالتأملات العقلية الفلسفية المجردة ، ثم تطور واستطاع بالعلوم الحسية ان يكتشف قوانين الطبيعة واسباب الظواهر الطبيعية ، وعلى هذا فإن الدين حسب فرضية كونت هو وليد الجهل ويشكل مرحلة بدائية للمجتمع البشري قد تم تجاوزها بتطور العلوم، ونحن نرد هذه الفرضية ومشتقاتها فنقول :

اولا : إن هذه الفرضية تعترف بالأصالة التاريخية والروحية للدين والتدين وإن كانت تردده الى الجهل بأسباب ظواهر الطبيعة ، وهذا يثبت بطلان دعوى اصالة الالحاد .

ثانيا : هذه الفرضية تعبر عن الدين كمرحلة تاريخية متقدمة على المرحلة الفلسفية ولكن الواقع التاريخي يثبت عكس ذلك ، فمثلا بعد ازدهار المدارس الفلسفية في أوربا قبل الميلاد، جاءت القرون الوسطى المسيحية التي كانت دينية بامتياز .

ثالثا : اذا كانت السلالة الاولى من البشر - حسب زعم هذه الفرضية - قد ابتكرت وجود الله كتفسير للظواهر الطبيعية فكذلك السلالة المتأخرة من البشر قد اكتشفت القانون الطبيعي لتفسير الظواهر الطبيعية ، فما الذي جعل السلالة الاولى تؤله وتعبد ابتكارها بينما السلالة المتأخرة لا تؤله وتعبد اكتشافها ؟ بعبارة أخرى : إن وجود الله مادام هو مجرد تفسير للظواهر الطبيعية بحسب منطق السلالة الاولى فلماذا يعبدونه ؟ هذا يعني أن التأليه والعبودية هي لسبب آخر غير قضية معرفة اسباب الظواهر الطبيعية ، وأن وجود الله ليس ابتكارا لتفسير تلك الظواهر .

رابعا : هذه الفرضية تزعم ان العلم قد أحال الدين على التقاعد فلم تعد البشرية بحاجة اليه بعد تصدي العلم للإجابة عن الاسئلة الكبرى ، وهذه اكذوبة كبيرة ومبالغة في تقديس العلم وتضليل لعقول البسطاء ، فميدان العلوم الطبيعية منحصر في البحث عن كيفية حدوث الظواهر الطبيعية والعلاقات بين الموجودات كالحسوف والكسوف والزلازل وحركات الاجسام وغيرها، وليس من شأنه البحث عن العلل الاولى للموجودات ، وقد اتفق جمهور علماء الطبيعة اليوم على حصر أبحاثهم ونطاق عملهم في

معرفة كيفية حدوث الظواهر واسبابها القريبة وترك البحث عما وراء ذلك من العلل البعيدة ، وهذا موقف علمي رشيد يدل على التواضع العلمي ووفاء العالم لعلمه ، فما يتشدد به انصار فرضية الجهل من أن العلم قد احال الدين على التقاعد ما هو إلا تبجح من بعض من الملاحدة يكشف عن غرورهم وجهلهم بحقائق التأريخ والانسانية والعلم ، كتبجهم بفرضية دارون وفرضية الانفجار الكبير، رغم عدم ثبوتها في الاوساط العلمية .

خامسا : هذه الفرضية تزعم ان الانسان عندما يكون عالما بقوانين الطبيعة فإنه سيكون ملحدا ، وهذا الزعم ينقضه الواقع فالكثير من علماء الطبيعة هم مؤمنون ، ونحن لا نريد أن ندخل في جدل ذكر اسماء العلماء المؤمنين بالله حيث درج سفهاء الملاحدة على انكار ايمان كل عالم ، ولكن حسبنا الارشاد الى كتاب (الله يتجلى في عصر العلم) الذي هو عبارة عن مجموعة من المقالات كتبها ثلاثون من العلماء الامريكيين في تخصصات علمية مختلفة وفيه يثبت كل عالم منهم وجود الله من وحي تخصصه دحضا لافتراءات الملاحدة على العلماء، وبرهاننا أن معرفة قوانين الطبيعة لا تزيد المؤمن إلا ايمانا بعظمة الخالق .

سادسا: لا دليل عند كونت ومن يتشدد بهذه الفرضية سوى الشواهد التاريخية التي ذكرت ابتداء بعض الامم آلهة متصرفة بالطبيعية كآلهة الشمس والقمر والرياح والخصب ، ونحن نقر بضلال البشرية في بعض المراحل التاريخية ولكن ذلك لا يعود الى الجهل بقوانين الطبيعة بل الى الضلال عن الله الواحد الاحد الخالق الحقيقي لكل الوجود والمدبر الاصلي لجميع شؤون الكون ومطبع الطبيعة ومقنن قوانينها ، قال الله تعالى : ((وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧)))^١ ، فما ذكره كونت واتباعه هو مجرد تأويل لحالة ضلالية عارضة ينافيه الواقع التاريخي والمعاصر .

سابعا: لا نجد العلم الوضعي في يومنا هذا قد تمكن من الاجابة الحاسمة عن الاسئلة الكبرى حول اصل الوجود ومصيره ، كما لا نجد انقطاع البشرية

١ - سورة فصلت

عن السؤال عما وراء ظاهر الطبيعة وعن معنى الحياة وهدفيتها مهما بلغ رقيها في العلم الوضعي ، وهذا يثبت اصالة هذه الاسئلة وعمقها في الوجدان البشري فهي اسئلة ترافق الوجود البشري بجميع مراحل التاريخ ولا تختص بمرحلة معينة ، كما ترافق تفكير الفرد في جميع مراحل حياته بقطع النظر عن مستواه الثقافي ونضجه العقلي ، بدليل أن اوغست كونت نفسه لولا تفكيره في هذه المسائل لما وضع فرضيته هذه وإلا فلا نحتمل أنه استيقظ صباحا فوجد الفرضية تحت الوسادة مثلا .

٢- فرضية الفقر

أبرز المنظرين لهذه الفرضية هو الملحد الالمانى من أصل يهودى كارل ماركس (توفي ١٨٨٣م) مؤسس الشيوعية الديالكتيكية، وتزعم هذه الفرضية ان الدين هو وسيلة اخترعها الأقوياء والاثرياء لتخدير الفقراء وايهامهم بسعادة زائفة لمنعهم عن التمرد والمطالبة بحقوقهم ، كما ان التدين من جهة الفقراء هو وعي زائف وانعكاس لحالة الفقر حين يعجز الفقير عن تحقيق السعادة في حياته الواقعية فيوهم نفسه بتحقيقها في حياة اخرى ، يقول ماركس : ((ان التعاسة الدينية هي في شطر منها ، تعبير عن التعاسة الواقعية ، وهي من جهة أخرى احتجاج على التعاسة الواقعية . الدين زفرة الإنسان المسحوق ، روح عالم لا قلب له ، كما انه روح الظروف الاجتماعية التي طرد منها الروح ، انه أفيون الشعب . إن إلغاء الدين من حيث هو سعادة وهمية للشعب؛ هو ما يطلبه صنع سعادته الفعلية . أن تطلب تخلي الشعب عن الوهم حول وضعه هو أن تطلب التخلي عن وضع بحاجة الى وهم . فنقد الدين هو بداية نقد وادي الدموع الذي يؤلف الدين هالته العليا))^١.

ويقول في البيان التأسيسي للحزب الشيوعي الذي كتبه مع شريكه فردريك انجلز : ((القوانين والاخلاق والدين هي والاحكام البرجوازية المغرضة

^١ - نقد فلسفة الحق عند هيجل ، ص ١

الكثيرة سواسية بالنسبة اليه ، تنتشر وراءها مصالح برجوازية كثيرة))^١ ،
ونحن نرد هذه الفرضية ومشتقاتها فنقول :

اولا : إن هذه الفرضية بحسب التنظير الماركسي الشيوعي قائمة على افتراض ان المجتمع البشري الاول لم يكن مشتملا على سلطة حاكمة ولا على انظمة وقوانين تحدد العلاقات بين الافراد ، وأن كل خيرات الارض كانت مشاعة أي مبدولة للجميع ، وكان ناتج العمل يقسم بين جميع الافراد بالتساوي ، فكان - حسب زعمهم - مجتمعا مثاليا لا وجود للصراعات فيه أبدا حتى ظهرت فكرة الملكية الخاصة باستحواذ البعض على وسائل الانتاج كالأرض وادوات العمل ، فكانت الملكية الخاصة هي اصل جميع الصراعات والويلات والشور التي حصلت بعد ذلك ، وبسبب وجود الملكية الخاصة وجد الانقسام الطبقي : طبقة الاثرياء وطبقة الفقراء ، وبسبب الفقر والصراع الطبقي وجد الدين والتدين ، فقبل ظهور الملكية الخاصة لا يوجد دين و لا تدين لعدم وجود الفقر والصراع الطبقي وهذا يثبت اصالة الالحاد بحسب هذه الفرضية . ونحن نقول : ان هذا المجتمع البدائي الشيوعي الاول لا وجود له أصلا الا في خيال ماركس ومن سبقه من الحالمين، كجان جاك روسو، فهو محض افتراض لا مثبت حقيقي له ، ذلك لأن اقصى ما يثبتته التأريخ المكتوب والمحفور إنما هو وجود سلالة بشرية في مرحلة أقدم كانت تمارس الصيد والرعي والزراعة بشكل جماعي ، ولكن مجرد هذا المقدار لا يثبت المدعيات الشيوعية الكبرى بأنه مجتمع لم يكن مشتملا على سلطة حاكمة ولا على انظمة وقوانين تحدد العلاقات بين الافراد ولا على ضوابط اخلاقية ولا على دين وتدين ، كما لا يثبت عدم وجود الملكية الخاصة ، ولا يثبت كونه مجتمعا مثاليا لا وجود للصراعات فيه أبدا ، فإنه الى يومنا هذا تمارس الناس الزراعة والصيد والرعي بشكل جماعي ولا ملازمة بين هذه الممارسة وبين انعدام الدين والتدين والاخلاق والانظمة والملكية الخاصة والصراعات .

^١ - بيان الحزب الشيوعي ، ماركس و إنجلز ، الفصل الاول ، ص ٣٦

لا يوجد شاهد لماركس واتباعه على وجود المجتمع الشيوعي البدائي المفترض سوى اكتشاف حياة بعض القبائل المعاصرة من السكان الاصليين لأستراليا والامريكيتين والتي زعموا وجود المشاعة الجنسية والاقتصادية فيها ، فطاروا بذلك فرحا وزعموا انهم قد عثروا على الاثبات التاريخي لشيوعيتهم المفترضة، بدعوى أن هذه القبائل المعاصرة تعكس طفولة المجتمع البشري وأنها مازالت تعيش في مرحلة ما قبل التاريخ أي مرحلة ما قبل ظهور الملكية الخاصة حسب زعمهم، ومع كوننا لا نسلم بهذه الدعوى أي دعوى ان حالة هذه القبائل المعاصرة تعكس طفولة المجتمع البشري، ولا مثبت عندهم لهذه الدعوى ، ولكن مع ذلك فإن اكتشافهم هذا ينقض دعواهم في أن الدين والتدين انما ظهر بظهور المدنية والملكية الخاصة ، فهذا الملحد إنجلز زميل ماركس وشريكه في كتاباته وتنظيراته الشيوعية قد بسط الكلام في عرض حياة تلك القبائل المعاصرة في كتابه (أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة) بغية اثبات الوجود المفترض للمجتمع الشيوعي البدائي؛ هو نفسه يقر بوجود الدين والتدين عند تلك القبائل فيقول : ((لكل قبيلة افكارها الدينية وطقوسها } وقد اصبح الهنود الامريكيون شعبا متدينا بناء على الموضة التي سادت الشعوب في عصر البربرية } . ولم يقد احد بدراسة افكارهم الدينية دراسة دقيقة الى الان ، وكل معلوماتنا عن هذه الافكار هي ايمانهم بالأرواح من كل نوع ولم تكن تماثيل الالهة أو الاصنام قد عرفت عندهم بعد إذ كانوا لا يزالون في المرحلة الدنيا للبربرية وكانوا يؤمنون بتعدد الالهة . وقد كان لكل قبيلة احتفالاتها الدينية الخاصة بها))^١.

هذه حجة من لسانهم تثبت أصالة الدين و وجوده عند اقدم السلالات البشرية قبل أن يغرق الوادي بدموع الفقراء الذين يتباكى ماركس عليهم ، وهذا برهان وهمية الاحاد وبرهان تهافت الملاحدة ، فدعوى ان الدين والتدين وليد الفقر والملكية الخاصة والصراع الطبقي هي دعوى باطلة جزما لقيامها على افتراض خيالي ، والعجيب قيام فلسفة تاريخية معرفية اقتصادية اجتماعية سياسية على هذا الافتراض الخيالي، والاعجب هو قيام

^١ - اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة ، فريدريك انجلز ، الفصل الثالث ، ص ٩١

امبراطورية إحادية على هذا الخيال الماركسي هي امبراطورية الاتحاد السوفيتي السابق ومنظومة الدول الشيوعية .

ثانيا : ان هذه الفرضية تجعل الدين والتدين بناء فوقيا وافرازا لحالة الصراع الطبقي الراجع الى وجود الملكية الخاصة والبناء التحتي للنموذج الاقتصادي وبالتالي فعند إلغاء الملكية الخاصة وزوال ذلك النموذج الاقتصادي يزول الدين تلقائيا ، يقول الملحد الماركسي جورج بوليتزر مؤسس مركز التوثيق التابع للحزب الشيوعي الفرنسي : ((يتولد البناء الفوقي عن الاساس ويزول معه ويكون مصيره مصيره ، اذ تتولد الافكار السائدة في مجتمع معين من نموذج ملكية وسائل الانتاج التي تسيطر فيه ، ليس البناء الفوقي اذن مجرد تراكم افكار سياسية ، تشريعية ، فلسفية ، دينية ، الخ ... ذلك لأن لهذه الافكار رابطا داخليا فهي تعكس نفس الاساس))^١ ، ولكن واقع التطبيق الماركسي يكذب ذلك فقد قام الاتحاد السوفيتي السابق ومنظومة الدول الاشتراكية الماركسية بإلغاء الملكية الخاصة وقرار النظام الاشتراكي وتطبيقه ولم يزل الدين ولا التدين تلقائيا ، بل إنهم لم يتمكنوا من اجتثاث الدين والتدين حتى باستخدام اساليب القمع بغلق المساجد والكنائس ومنع الكتب الدينية والتدريس والارشاد الديني واعتقال رجال الدين وقتلهم ، ولم يتمكنوا حتى بتغيير المناهج الدراسية ودورات التثقيف الشيوعي ، لقد زالوا ولم يزل الدين والتدين وكفى بذلك برهانا على اصالة الدين والتدين وعلى تهافت الماركسية ووهمية الاحاد.

ثالثا : إن كان الدين هو اختراع الاثرياء لاستغلال الفقراء لزم أن يكون كل الاثرياء ملاحدة جشعين وهذا اللازم باطل جزما لشهادة الواقع وجود فئة من الاغنياء الصالحين المتمسكين بالدين والمضحين بأموالهم وأنفسهم في سبيل الدين ونصرة المظلومين وانعاش الفقراء ، وإن كان التدين هو تعبير الفقراء عن يؤسهم الاقتصادي لزم أن يكون كل الفقراء متدينين وهذا اللازم باطل جزما كذلك لشهادة الواقع وجود فئة من الفقراء لا تؤمن بدين ، فدعوى أن الدين خدعة الاثرياء و زفرة الفقراء كما يدعي ماركس واتباعه هي

١ - اصول الفلسفة الماركسية ، جورج بوليتزر ، ج ٢ ص ٧٥

دعوى يكذبها الواقع ، بل ان حياة ماركس نفسه تكذب قوله فهو نشأ في عائلة ثرية رأسمالية وكان متدينا ثم لما عاش حالة الفقر صار ملحدا ، وكان اللازم حسب اطروحته أن يكون العكس أي يكون ملحدا بداية حياته لأنه غني ومؤمنا اخر حياته لأنه فقير، هذا برهان تهافت الملاحدة .

رابعا : إن تأريخ الاديان الالهية يثبت أن الدين هو ثورة الانبياء والصالحين على الطغاة الفاسدين المستكبرين وعلى كل مظاهر الظلم الاجتماعي نصره للفقراء و المظلومين . فهذا النبي موسى عليه السلام قد نشأ في قصر فرعون الذي كان يدعي الربوبية وكان جبارا يستعبد الناس ولكن النبي موسى عليه السلام كان رافضا لربوبية فرعون وعمله ورافضا لحياة القصور ومحبا ونصيرا للمظلومين ، وعندما أمره الله بقيادة الدعوة الالهية وقف في وجه فرعون طالبا بتحقيق العدالة الاجتماعية ((وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٤) حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٠٥)))^١ ولم يرضخ للتهديدات ولا للإغراءات الفرعونية ، وعندما خرج ببني اسرائيل من مصر وأغرق الله فرعون وجنوده في البحر لم يعد النبي موسى عليه السلام الى مصر ليستولي على ملك فرعون ، ثم بعد ذلك جاء النبي عيسى عليه السلام ((وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ (٦٣)))^٢ ولم يأت ليبرر للطغاة الرومان والمستكبرين من بني اسرائيل ظلمهم ، فقد نشأ فقيرا وعاش فقيرا بين الفقراء في فلسطين حين كانت مستعمرة للرومان ، ولما كان المستكبرون من بني اسرائيل يأكلون أموال الناس بالباطل ويخالفون تعاليم الله أمره الله أن يجهر بالحق نصره للمستضعفين وهداية للضالين فلقى في سبيل ذلك هو وانصاره شتى الوان العذاب ، وأراد المستكبرون قتله فجعلهم الله الاذلين ، ثم ((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨)))^٣ وهو نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله الذي نشأ في مكة ورغم كونه من أسياد قبائل العرب إلا أنه عاش عيشة الفقراء

١ - سورة الأعراف

٢ - سورة الزخرف

٣ - سورة التوبة

رافضا لجميع مظاهر الطغيان والاستكبار والعادات الجاهلية وعبادة الاوثان ، ولما أمره الله أن يصدع بالرسالة الالهية لنشر دعوة التوحيد وتتميم مكارم الاخلاق وتحقيق العدالة الاجتماعية كان الفقراء والعبيد اسرع من استجاب لدعوته وكان المترفون اسرع من جد في تكذيبه ومحاربتة ، ولما جاء نصر الله والفتح أقام دولة العدل الالهي . وهذا خليفته بالحق أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وهو حاكم الدولة الاسلامية الذي عرك الدنيا ومرغ انفها بالتراب قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه ، وكانت حياته عبارة عن ثورة مستمرة على الطغيان والترف والفساد والاستكبار قبل السلطة وبعد السلطة ، وهو الذي يقسم فيقول : ((فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً ، ولا أدخرت من غنائمها وفراً ، ولا أعددت لبالي ثوبي طمرا ... ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسأج هذا القز ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جسعي إلى تخير الاطعمة ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشعب ، أو أبيت مبطانا وحولي بطون غرثي وأكباد حري ؟))^١ فرحمك الله يا أبا الحسن صدقت وأوفيت بما عاهدت الله عليه وفزت ورب الكعبة .

فأين أفيون الشعوب ايها الماركسيون!!

٣- فرضية الأسطورة وعاطفة التقديس

تمسك الكثير من الملاحدة بفرضية الاسطورة ليبرر إحاده ، ولكن أول من ربط بين الأسطورة وبين عاطفة التقديس للطبيعة كفرضية لتفسير الدين هو الملحد الالمانى ماكس مولر (توفي ١٩٠٠ م) والمعدود عند الغرب بأنه مؤسس علم الاديان المقارن ((حيث يرجع مولر نشأة الدين الى افعال قوية مارسها الطبيعة على الانسان فأثارته ، ويرى أن هناك مرحلتين في نشأة الدين ، الاولى تكمن في التأمل والعجب والدهشة التي دفعت الانسان الى التفكير في انه محاط بقوى مستقلة عن ارادته ، والمرحلة الثانية هي التعبير

١ - نهج البلاغة ، جمع السيد الشريف الرضي ، شرح الشيخ محمد عبده ، ج ٣ ص ٧١

عن هذا التفكير عن طريق اللغة ، وقد عبر الانسان عن هذه الطبيعة وقواها في استخدامات لغوية كثيرة انفصلت عن التعبير المباشر بواسطة المجازات ثم اصبحت هذه المجازات قائمة بذاتها فتحوّلت الى آلهة ، لا سيما مع تطور اللغة وابتعادها عن مرحلة تكوين تلك المجازات لغويا ، وهكذا فرضت اللغة على الطبيعة عالما خياليا من الكائنات الروحية التي اصبحت محرّكة للطبيعة وجوهر المعتقد الديني))^١ . ومن الذين تابعوا ماكس مولر في ذلك واستفاضوا في شرح فرضيته كارن ارمسترونج الملحده اللادينية البريطانية المعاصرة ، التي كانت راهبة كاثوليكية فألحّدت نتيجة عدم قناعتها بتعاليم الكنيسة ، ففي كتابها (تاريخ الاسطورة) قالت : ((كانت بعض الاساطير الاولى التي ربما يعود تاريخها الى الفترة الباليائية ذات علاقة بالسماء ، حيث أوحى للناس التصور الاول عن الألوهة ، فعندما حدق الناس في السماء اللانهائية والبعيدة والموجودة بشكل منفصل عن حياتهم الهزيلة تولدت لديهم تجربة دينية ... قد ملأ تأملُ السماء الناس بالرعب والابتهاج ، بالدهشة والخوف . فالسماء اجتذبتهم ونفرتهم ، إنها بطبيعتها الذاتية إلهية ... في تلك الاوقات المبكرة اخترنا العالم المحيط بنا كشيء غامض بعمق ، ليضعنا في حالة من الرعب والدهشة اللذين هما جوهر العبادة ... استمرت السماء رمزا للقداسة لفترة طويلة بعد نهاية الفترة الباليائية ... في لحظة ما ولا نعرف متى ، بدأ الناس في أجزاء مترامية الاطراف من العالم في شخصنة السماء ، وبدأوا يخبرون قصصا عن ((الله السماء)) أو ((الله الرفيع)) الذي خلق السماء والارض بيد واحدة من لا شيء))^٢ ، وفي كتابها (الله والانسان) قالت : ((عندما بدأ الناس بابتكار اساطيرهم وعبادة آلهتهم فإنهم لم يكونوا يسعون الى ايجاد تفسير حقيقي للظواهر الطبيعية . فكانت القصص الرمزية ولوحات الكهوف والنقوش محاولة للتعبير عن إعجابهم))^٣ .

خلاصة تقرير هذه الفرضية حسب تصوير كارن ارمسترونج أن السلالة الاولى من البشر لما بدأوا بالتأمل في السماء ملأهم الشعور برهبة الجمال

١ - علم الأديان ، خزعل الماجدي ، ص ٤٤

٢ - تاريخ الاسطورة ، ص ٢١-٢٣

٣ - الله والانسان ، كارن ارمسترونج ، ص ١٩

تعظيما وتقديسا لها ، ثم لم يكتفوا بمجرد الاحساس بالقداسة بموضوع غير متشخص بل قاموا بتشخيص السماء في شخصيات مجازية في قصص ترمز الى اعجابهم بالطبيعة ، ثم بتكثر التجمعات البشرية تكثرت أساطير الآلهة المجازية ، وبتطور السلالات البشرية وتطور الحياة وتغير طموحات البشر ورغباتهم وإساءة فهم الرموز والمجازات الاسطورية ظهرت الاديان . فأصل الأديان حسب ما تراه كارن ليس الجهل او الخوف او الفقر او صناعة ملوك او كهنة وإنما هي متطورة عن الاساطير التي هي تعبير رمزي عن عاطفة القداسة تجاه عظمة الكون . و نحن نرفض هذه الفرضية بجميع مشتقاتها فنقول :

أولا : نتمكن أن نقول ان فرضية الاسطورة هي أقدم فرضية تم طرحها للطعن في دين الاسلام ، فقد ادعى اكابر المشركين في مكة أن كتاب القرآن بما يشتمل عليه من المعارف واخبار الأمم ما هو إلا اساطير الاولين ، وقد كان القرآن أمينا في نقل نص دعواهم في تسعة موارد ، منها قوله تعالى : ((وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥)))^١ وقوله تعالى : ((إِنْ هَذَا إِلَّا إِنْكَافِتْرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (٤))) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اِكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٥)))^٢ وقوله تعالى : ((وَإِذَا تَنَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٣١)))^٣ ، فلو كان ما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وآله عبارة عن اساطير الاولين كما زعموا لما نص القرآن على دعواهم في تسعة موارد وكان الاخرى به كتمان هذا الأمر والتعظيم عليه بدل أن يردده تسع مرات ويفضح نفسه ، فذكر القرآن الكريم لهذه الفرضية وترديده لها في تسعة موارد في قرآن يتلى الى يوم الدين هو اعظم دليل على بطلان هذه الفرضية .

١ - سورة الأنعام
٢ - سورة الفرقان
٣ - سورة الأنفال

ثانيا : ان اكابر المشركين في مكة لما تمسكوا بفرضية اسطورية القرآن قالوا أنهم لو شاءوا لقالوا مثل هذا ، ولكن القرآن تحداهم أن يقولوا مثله فقال تعالى : ((أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَنطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَأَلِّمِ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٤)))^١ ولكنهم لم يقولوا رغم تكرار القرآن للتحدي أكثر من مرة بل استسهلوا الحرب على القول ، ومن هنا يظهر أن السبب في ترديد القرآن لدعواهم اسطورية القرآن تسع مرات هو لإثبات عجزهم وكشف خزيهم وفضح كذبهم ، والتحدي نفسه قائم أمام الملاحظة الجدد الذين لم يأتوا بجديد سوى محاولة احياء هذه الفرضية البالية والباسها ثوبا جديدا .

وهنا تتجلى ألوهية القرآن وخلود الرسالة الاسلامية بإثبات الدعوى والتحدي في القرآن الى يوم الدين حتى نعلم أنما أنزل بعلم الله وأن الله موهن كيد الكافرين .

ثالثا : ما برح اكابر المشركين في مكة يرددون دعواهم ويتفقون الناس على فرضية اسطورية القرآن ليمنعوهم عن التصديق والايمان بدين الاسلام ولكن مع ذلك فقد آمن الكثير من الناس خلال مرحلة ما قبل هجرة الرسول الاكرم الى مدينة يثرب والتي دامت ١٣ عاما ، وقد عانوا في هذه المرحلة شتى انواع الاضطهاد والتعذيب حتى أمر الرسول الاكرم بعضهم بالهجرة الى الحبشة وأمر البعض الاخر بالهجرة الى يثرب . فلا معنى لإيمان الناس بالإسلام في تلك المرحلة الصعبة مع تثقيف المشركين لهم على فرضية اسطورية القرآن سوى اعتقادهم بألوهية القرآن وحقانية مبادئ الاسلام وسخافة فرضية الاسطورية .

رابعا : إن المشركين أنفسهم في جزيرة العرب كان عندهم دين يعتقدون بحقانيته ومع ذلك فقد وصفوا ما جاء به الرسول الاكرم بأنه اساطير الاولين ، هذا يعني أنهم يفرقون بين العقائد والتعاليم الدينية وبين القصص الاسطورية ، فلو كانت الاديان هي عبارة عن قصص اسطورية رمزية

١ - سورة هود

للتعبير عن الشعور بالمقدس كما تزعم كارن ارمسترونج لما فرق المشركون بين معارفهم فوصفوها بالدين وبين معارف الاسلام فوصفوها بالأساطير . إن خبراء المشركين يميزون بين مفهوم الدين ومفهوم الاسطورة ولا يقرون فرضية اسطورية الاديان وهم يعلمون أن ما جاء به الرسول الاكرم ليس اساطير ولكنهم وصفوه بذلك بقصد التوهين تعصبا واستكبارا .

خامسا : نحن لا ننفي وجود اديان اسطورية وضعية زائفة في الاصل وظهور ادعاء الاتصال بالله ، كما لا ننفي تعرض دين التوحيد الإلهي الى عمليات تحريف وسطو ودخول الاساطير فيه منذ فجر التاريخ البشري الى يومنا هذا ، ولأجل ذلك واطر الله سبحانه وتعالى بعث الانبياء والمرسلين الى خلقه لتصحيح الانحراف وهداية الناس وإقامة دعائم الدين الحق واثبات المبادئ التي يميز فيها بين الاصيل والدخيل . قال الله تعالى : ((كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢١٣)))^١ وقال تعالى : ((وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتَبِتُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٨) وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ فِي مَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٩)))^٢ وقال تعالى : ((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ))^٣ وقال تعالى : ((وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣)))^٤ وقال تعالى : ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)))^٥ وقال تعالى

١ - سورة البقرة
٢ - سورة يونس
٣ - سورة الأنعام
٤ - سورة المؤمنون
٥ - سورة آل عمران

: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رَسُولِهِ
وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا)) (١٣٦) .^١

فالدين الواقعي واحد ، هو دين التوحيد الاسلامي وهو دين كافة الانبياء
والمرسلين الذين بعثهم الله تعالى وخاتمهم هو نبينا محمد صلى الله عليه و
آله وسلم ، فيجب التفريق بين الاسطوري والواقعي وبين الاصيل والدخيل.

سادسا : تقول كارن في النص السابق ((في لحظة ما ولا نعرف متى ، بدأ
الناس في أجزاء مترامية الاطراف من العالم في شخصنة السماء ، وبدأوا
يخبرون قصصا عن ((الله السماء)) أو ((الله الرفيع)) الذي خلق السماء
والارض بيد واحدة من لا شيء)) ولكنها لم تخبرنا عن السبب المفاجئ
الذي دعا الناس الى تشخيص السماء وابتكار إله السماء ، كما لم تخبرنا عن
سبب نقل الناس عاطفة القداسة من السماء الى إله السماء ، ولم تخبرنا عن
سبب انتقال عاطفة تقديس إله السماء الى عبادة إله السماء فإن تقديس الشيء
لا يقتضي عبادته ، فنحن نقدر الأنبياء والاولياء ولكن لا نعبدهم . لم
تخبرنا كارن عن اسباب هذه الانتقالات وكيف حصولها لأن فرضيتها باطلة
وهي تريد ترفيعها بالطفرات . ولهذا فقد انكر الكثير من الملاحدة فكرة
رجوع ظهور إله السماء الى تشخيص السماء وعدوها وهما ساذجا لأنه لا
أثر لها في الاساطير ولا تستند الى فرض منطقي .

سابعا : ما لا تريد كارن واتباع هذه الفرضية الإقرار به لأسباب نفسية هو
أن البشر حينما ينفكرون في عظمة السماوات والارض فإن مبدأ السببية
الفطري يقودهم الى الإذعان بوجود الله فاطر السماوات والارض .

ثامنا : إن كارن ارمسترونج تقود اليوم مشروع الحاديا عالميا بالكتابة
والمؤتمرات يهدف الى جمع كافة البشر في دين اللا دين ، فهي تدعي أن
جوهر الاديان كلها هو تقديس الإله المطلق غير المتشخص بأي صفة بل
هو روح الطبيعة ، وأن كل ما عدا ذلك من توصيفات الله والعقائد والشرائع

^١ - سورة النساء

التي تتميز بها الأديان إنما هي من صناعة البشر بسبب اختلاف تعبيراتهم الخيالية عن عاطفة القداسة ، أو ناشئة من سوء فهم اللغة الأسطورية المجازية لأساطير الأولين .

إن السيدة كارن بمشروعها هذا تفرغ الأديان التي يتبعها المليارات من البشر من الواقعية الفكرية واللغوية وتحيلها إلى نحو من الهلوسة الفكرية والذهيان اللغوي ، هذا هو تفسيرها وتفسير جماعة الليبرالية الدينية للوحي والنبوة والكتب المقدسة . الأنبياء بحسب زعمها أناس صالحون قد تملكهم عاطفة التقديس لروح الطبيعة ولكن خانهم ادراكهم لروح الطبيعة كما خانهم اللغة في التعبير، وربما هم تعمدوا التعمية لسبب لا تعرفه ، كما خانهم ادراكهم لأساطير الأولين البابلية والاعريقية والهندية المعبرة عن عاطفة التقديس لروح الطبيعة، والتي لا نعرف سبب اغراقها بالآلهة الخيالية التي تتزوج وتتوالد وتتصارع ويقتل بعضها بعضا مع دعوى أنها تعبير عن عاطفة التقديس تجاه روح الطبيعة، فألف الأنبياء الكتب على هذه الحالة وقدموها للمليارات من البشر، التي أساءت بدورها فهم المقاصد غير المقصودة واللغة غير الآمنة، حتى جاءت هي وزعماء الألحاد الليبرالي النافرون من تعاليم الكنيسة فأدركوا ما لم يدركه الأنبياء ومليارات المؤمنين بالله ورسله وكتبه !! ونحن نقول: إذا لم يكن كلام كارن واساتذتها عبارة عن هلوسة وذهيان فلا توصيف آخر له، إن فرضيتها باطلة من الأساس كما أوضحنا وقد وضعناها لتبرير هذه الهلوسة والذهيان الألحادي.

المؤمن – هذه كانت بعض أهم وأشهر فرضيات الملاحدة في تفسير الدين، وبعبارة أصح، هذه منتهى تبريرات الملاحدة لإلحادهم، وهي كما ترون واهية فاشلة متهافنة تثبت أصالة الإيمان ووهمية الإلحاد.

الملحد – فعلا، فإن السلالة الأولى من البشر قد أخطأوا الاستدلال بسبب جهلهم، فنسبوا الموجودات كلها إلى غير علتها الفعلية التي هي قوانين الطبيعة.

المؤمن - يعني أنتم تقررون بمبدأ العلية وأن قضية (لكل معلول علة ولكل حادث محدث ولكل أثر مؤثر) هي قضية بديهية، وراسخة في تخوم الوجود البشري ولا علاقة لها بالنضج العقلي ولا تطور المعارف البشرية، ولكنكم تزعمون أن اسلافنا من البشر قد اخطأوا الاستدلال بالمعلول على العلة، فنسبوا الحوادث الكونية والظواهر الطبيعية الى غير علتها الحقيقية وهي قوانين الطبيعة.

الملحد - نعم. علتها الحقيقية هي قوانين الطبيعة، وهم أخطأوا لجهلهم.

المؤمن - طيب، ومن قنن قوانين الطبيعة؟

الملحد - نحن اكتشفنا قوانين الطبيعة عند معرفتنا لخواص العناصر والمركبات الطبيعية.

المؤمن - ومن الذي جعل لكل عنصر من عناصر المادة ولكل مركب من مركبات المادة خواص كيميائية وفيزيائية خاصة به يمتاز بها عن غيره؟

الملحد - لا أحد، وإنما ذلك يرجع الى الظروف الخاصة التي تشكل بها كل عنصر من عناصر المادة وكل مركب من المركبات.

المؤمن - ومن الذي أوجد ورتب هذه الظروف لكل عنصر ولكل مركب بحيث انتجت في النهاية تلك القوانين الكلية المتحكمة في الحوادث والظواهر والموجودات؟

الملحد - لم يوجد لها أحد ولم يرتبها أحد، بل هي حصلت وترتبت هكذا بصورة عشوائية!!

المؤمن - إذا كانت السلالة البشرية الأولى، والتي تزعمونها همجية وحشية بربرية جاهلة، كانت تعتمد التفكير المنطقي المنظم عملاً بمبدأ العلية، وأنه لا بد لكل معلول من علة، بينما أنتم انتكستم الى الصدفة والعشوائية والفوضى، فمن أولى منكم بالعلمية والتفكير السليم؟ ما أتفه العلم حينما يتشدد به الملاحدة وما أجمله حينما يزيد العالم خشوعاً ((فقد يستطيع الانسان أن يفسر ما كان غامضاً عليه باكتشاف القوانين التي تحكمه، ولكن

الانسان عاجز عن أن يسن تلك القوانين، فهي من صنع الله وحده، ولا يفعل الانسان أكثر من أنه يكتشفها ثم يستخدمها في محاولة إدراك أسرار هذا الكون، وكل قانون يكتشفه الانسان يزيد قربا من الله^١ .

- سؤال: ما الدليل على وجود الله؟

الملحد – اثبت لنا وجود الله

المؤمن – دليلنا على وجود الله الهدايات الثلاثة، هداية الفطرة وهداية العقل وهداية النبوة ، فالفطرة هي جنوح و توجه كيان الإنسان نحو وجود الخالق ، والعقل يعقلن هذا التوجه فيكون ادراكا واعيا علميا ، والنبوة تشخص وجود الله وصفاته ومقاصده والغاية من وجود الإنسان . وأنا سأستعرض لكم هذه الهدايات الثلاثة ثم نتحاور فيها.

أولا: هداية الفطرة

الفِطْرَة : اصل الایجاد والخِلقَة ، وفَطَّرَ اللهُ للخلق هو إيجاده وإبداعه وتصميمه ، وفطر الله للإنسان هو ايجاده وابداعه وتصميمه بخصوصيات خاصة تؤهله لتحقيق الغاية من ايجاده. فالفطرة الالهية للنوع الانساني : هي خلق الله للإنسان وتصميمه لهم في احسن تقويم يناسب تحقيق الغاية من خلقه ، ويعطيه ميزة الافضلية في مراتب الوجود ويرشحه لخلافة الله في الارض ، ولها جانبان: مادي وروحي ، اما الجانب المادي لفطرة الإنسان فقد فطر الله التكوين الجسمي للإنسان بتصميم يميزه عن سائر المخلوقات ، يقتدر معه على ما لا يقتدر عليه غيره من الفعل والادراك ، واودعه من الاسرار بحيث يكون مؤهلا لإنتاج انماط جديدة من الافعال في سلسلة تكاملية ، اما الجانب الروحي لفطرة الإنسان فقد فطر الله التكوين النفسي للإنسان على معرفته وفضائل الاخلاق ومعرفة الحقائق العالية وابداع الافكار والارتقاء في سلم القيم النبيلة والمعارف .

^١ - الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين، ص ١٠٨

الفطرة البشرية بكل جانبها تشهد بوجود الله الكامل المطلق، لأن الإنسان بكل جانبه الروحي والمادي هو محض الحاجة والافتقار النازع نحو الكمال الجامع لكل صفات الجمال والجلال ، وهذا الأمر يدركه كل إنسان يبصر ذاته وما حوله وكفى بالإنسان على نفسه بصيرة . هذا برهان ونور للإنسان من ذات الإنسان على وجود الله وربوبيته و وحدانيته وكماله المطلق، تجده في حالته الصافية عند الأطفال حيث لم تتكدر فطرتهم بعد بشوائب السيئات ، فأصل الدين هو هداية الفطرة الى الله. كما قال الله تعالى: ((فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠)))^١.

وأنا هنا لا أستدل لكم بالقرآن الكريم بل أذكر شهادة القرآن لما تثبته الفطرة.

وقد اثبتنا في كلامنا عن نظرية المعرفة إدراك الإنسان لقضايا والإدعان بها بالضرورة دون حاجة الى تفكير ، أي هي لا يتوقف الحكم بصدقها وكذبها على ثبوت قضايا مسبقة وإجراء عمليات عقلية، وقضية (الله موجود) هي قضية فطرية ، أي أن الإنسان بحسب مقتضى فطرته أي تصميمه الوجودي يؤمن بها قهرا بلا حاجة لدليل على صدقها من خارجها ، ودليل الفطرة هو ما أرشد الله تعالى اليه في قوله : ((قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ))^٢.

فأصل الدين هو اقتضاء الفطرة البشرية ، هذه هي العقيدة القرآنية التي يتفق عليها جميع المؤمنين من كافة الأديان وإن اختلفوا في المسميات وتفرقوا في الصفات وضل كثير منهم في التفريعات ، بل يقرها أيضا بعض الملاحدة . هذه العقيدة يثبتها وجدان الإنسان وتراها ساطعة عند الأطفال ، كما يثبتها الكثير من علماء الاجتماع وعلماء الانثربولوجيا وعلماء الميثولوجيا وعلماء النفس وعلماء تأريخ الأديان - بعضهم من الملاحدة - عند الشعوب التي وصفوها بالبدائية واعتبروها تمثل طفولة الجنس البشري.

^١ - سورة الروم

^٢ - سورة ابراهيم ، من الآية ١٠

أول من نبه الى (التوحيد البدائي) هو الباحث الاسكتلندي أندرو لانج (توفي ١٩١٢م) اعتمادا على تقارير أنثروبولوجية اثبتت أن العديد من القبائل البدائية تؤمن بالله العظيم الخالق وغالبًا ما يكون مشرعا للنظام الاخلاقي عندهم ، فكان هذا الاكتشاف يمثل صدمة مناقضة لكل الفرضيات اللاحادية في أصل الدين في عصره وللمخطط التطوري في دراسة الدين الذي يبدأ بالإلحاد . الكاثوليكي والاثنيولوجي فيلهلم شميت (توفي ١٩٥٤ م) اعتمد الخبرة الأنثروبولوجية والمنهج التاريخي في سلسلة كبيرة من التحقيقات الميدانية أجراها على مختلف القبائل البدائية في شتى العالم وجمع تلك التحقيقات مع الشواهد والنتائج في كتابه (أصل فكرة الله) الذي ظهر في ١٢ مجلداً من عام ١٩١٢ ، وكدت تلك التحقيقات على ايمان القبائل البدائية بوجود إله واحد هو الإله السامي وإله السماء . رفائيل بنتازوني عالم الانثروبولوجيا الايطالي (توفي ١٩٥٩ م) ، أكد وجود الإله السامي عند القبائل البدائية ولكنه شدد فقط على أن إله السماء له الاولوية عندهم ولكنه ليس واحداً^(١) .

اعتبر الباحث الانثروبولوجي (فوي) أن قبائل جنوب شرق استراليا تمثل أقدم طور للحياة البشرية ، وأكد أنه وجد عندهم عقيدة الإله الاسمي يعرفونه كأب وأنه خالق الانسان والظواهر الطبيعية الكبرى . وهاجم الباحث انكرمان الفرضيات التطورية نافيا نفيًا قاطعا فكرة كون عقيدة الإله الاسمي هي نهاية تطور الاديان مؤكدا وجود هذه العقيدة عند الشعوب البدائية . وذهب الباحث الرائد في علم الاساطير الالمانى شلنج في كتابه (فلسفة الميثولوجيا) الى أن عقيدة التوحيد كانت تسود الإنسانية الاولى ولكنها لم تتحقق بشكل كامل فانحرفت نحو التعدد والشرك وهامت في بحار من الاساطير عن الآلهة وتعددهم . وأكد الباحث شرودر الاستاذ بجامعة فينا على وجود عقيدة الإله الاسمي عند الهنود الآريين في بحث هام بعنوان (العقيدة الآرية عن الخالق الاسمي) ألقاه في المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ الاديان العام سنة ١٩٠٤م . ونشر الدكتور كروبر ابحاثا متعددة عن هنود كاليفورنيا ، أثبت فيها أن

(١) الموسوعة البريطانية ، مادة (دراسة الدين)

تلك القبائل هي أقدم القبائل في أمريكا الشمالية ، وجزم أن هؤلاء الهنود عرفوا عقيدة الخلق بواسطة الإله السامي . ودافع كذلك عالم النفس الألماني الدكتور اوسترج عن فكرة وجود عقيدة الإله الاسمي عند البدائيين وكتب كتابا في سايكولوجية الدين وقال أن الإله الاسمي يتميز عند المتوحشين بسموه الاخلاقي الى جنب قدرته على الخلق . بينما هاجم عالم الاجناس الامريكي سوانتون الفرضيات التطورية في اصل الدين وخلص الى أنه لا فارق بين توحيد البدائيين وتوحيد المعاصرين ، فقد آمن البدائيون تماما بوجود قوة عليا سامية . كما هاجم فوكارت الطوطمية هجوما عنيفا ووصل في بحوثه الى أن عقيدة إله السماء الاعلى تمتد الى اقدم العصور البشرية^(١) .

هذه كانت مجرد نبذة مختصرة لآراء بعض علماء الغرب في تخصصات علوم الاجتماع والنفس والانسان والاجناس والاسطورة وعلم الاديان المقارن ، وهي العلوم التي استغلها زعماء الاحاد لتبرير احادهم ، هذه العلوم نفسها تثبت أصالة الدين و رسوخه في تخوم الوجود البشري وتثبت كون الايمان بالله الواحد الاحد هو مقتضى الفطرة البشرية.

ثانيا: هداية العقل

لمن تلوثت فطرتهم بالشبهات يأتي دور العقل ، ونقصد به هنا عمليات الإدراك الذهني القائمة على تنظيم المعطيات والاستنباط منها ، فسنفترض هنا أن قضية (الله موجود) ليست قضية بديهية فطرية بل يتوقف الحكم بصدقها على مقدمات مسبقة ، وعندنا هنا دليلان : الأول هو دلالة مبدأ السببية والعلية والحدوث ، وقد اعتمدنا فيه على طريقة القياس البرهاني المنطقي الذي ينطلق من المقدمات الكلية اليقينية الى استنباط الحكم في النتيجة ، والثاني هو دلالة الاتقان والنظام والتصميم الذكي ، وقد اعتمدنا فيه على طريقة الإستقراء المنطقي وحساب الاحتمالات وهو عكس القياس

(١) نشأة الدين ، علي سامي النشار ، ص ١٧٨-٢٣٨

البرهاني حيث ينطلق من تتبع الجزئيات والمعطيات ثم فحصها ثم حساب الاحتمالات وصولا الى الترجيح النهائي للحكم في القضية محل البحث، وهذا الدليل الثاني بطريقة الاستقراء هو نافع لمن لا يستوعبون أو لا يثقون أو ينعجون من طريقة القياس البرهاني.

أولاً: دلالة مبدأ السببية

ان الانسان كائن مفكر ، يولد وهو مزود بالقدرة على التفكير وادراك ذاته وما حوله ، ومنذ المرحلة الاولى لتكامل وعيه يتنبه ان لكل حدث سببا وان لكل حادث محدثا ، وهنا يكتشف مبدأ السببية و العلية والحدوث (لكل معلول علة ولكل أثر مؤثر ولكل حادث محدث) الذي يقوم عليه نظام الوجود المخلوق ، وقد اثبتنا في كلامنا في نظرية المعرفة فطرية وبداهة مبدأ العلية ، بمعنى أن الإذعان به والحكم العقلي بصدقه بمجرد تصور طرفيه العلة والمعلول . فيتساءل الانسان منذ أول تكامل وعيه عن علة وجوده وسبب حدوثه فيتهدي الى العلل القريبة وهما الاب والام ، ولكن بتطور وعي الانسان يكتشف ان الأم والأب هما حادثان ايضا ومبدأ السببية صارم ، فإنه لا بد لكل موجود حادث من سبب وعلة موجودة محدثة ، لأن العدم لا ينتج الوجود والمعدوم لا يعطي الوجود ، لأنه هو في ذاته مفتقر الى موجد ، و تسلسل علل واسباب الحوادث الى ما لانهاية مستحيل بالضرورة ، حينها يتهدي الى وجود علة العلل التي لا علة لها وهو وجود خالق الكون . وهكذا كلما ارتقى وعي الانسان وازدادت خبرته العلمية والعملية كلما ازداد ايمانا بوجود الخالق القدير . إن الجبر المنطقي للعقل السليم ، يحتم انتهاء سلسلة علل الموجودات كلها الى علة أزلية واجبة الوجود موجودة بذاتها وموجدة لكل موجود . هذا الدليل أرشد اليه الله تعالى في قوله: ((أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ (٣٥)))^١. واختصار صيغة دليل العلية هو: الكون متغير، وكل متغير حادث، فالكون حادث. ثم نقول: الكون حادث، ولكل حادث محدث، فالكون له محدث.

^١ - سورة الطور

ثانيا: دلالة الاتقان والنظام والتصميم

منذ المرحلة الاولى لوعي الانسان وبداية ادراكه لذاته وتعامله معها وبداية ادراكه للطبيعة الحية وغير الحية وتعامله معها ، يكتشف براعة التصميم وروعة التنظيم في كل ما ادركه وتعامل معه ، فإن المصنوعات بسيطة التركيب كالكرسي الخشبي تكشف عن وجود نجار صانع ماهر حكيم ، والمصنوعات معقدة التركيب كجهاز الحاسوب تكشف عن وجود صانع عليم خبير حكيم ، فاحتمال أن تكون هذه المصنوعات قد صنعت نفسها بهذا الاتقان هو احتمال لا يحتمله إلا مجنون ، واحتمال أن يكون صانعها جاهلا سفيها هو احتمال لا يحتمله إلا جاهل سفيه، وبديع خلقه الانسان والسموات والارض وما فيهن مما يعجز الانسان عن وصفه ، يكشف عن وجود صانع مطلق الحكمة ومطلق العلم ومطلق القدرة ، وهكذا كلما ارتقى الانسان بوعيه وعلمه وخبرته كلما ازداد ايمانا بذلك .

يتفق خبراء الفلك على تميز نظامنا الشمسي بالكثير من الخصائص الفريدة التي لولاها لما أمكن وجود الحياة على الأرض . وأول تلك الخصائص الاستثنائية هو كون نظامنا الشمسي أحادي النجم أي يحتوي على شمس واحدة ، فلولا تمتع نظامنا الشمسي بهذه الميزة لما كانت هنالك فرصة للحياة أن تدب على وجه الأرض . أي نظام شمسي ذي شمس متعددة لن يسمح بقيام الحياة ، والسبب هو أن الكواكب التابعة له لن تستطيع الحفاظ على انتظام درجات الحرارة على سطوحها خلال حركتها على المدى الزمني البعيد ، و هذا شرط من الشروط الضرورية لقيام واستمرار الحياة. أبسط نظام للشمس المتعددة هو النظام الثنائي الذي يحتوي على شمسين فقط ، وهو قد يستطيع أن يحافظ علي استقرار أنواع معينة من المدارات لكواكبه ، ولكن في كل واحدة من هذه المدارات سيكون هنالك على الأغلب فترة ما خلال دورته يصبح فيها سطح الكوكب إما أشد حرارة أو أشد برودة من تلك التي تسمح بوجود الحياة. والوضع يكون أسوأ من ذلك في المجموعات الشمسية التي تحتوي علي نجوم عديدة أي أكثر من شمسين .

ليس ذلك وحسب بل نظامنا الشمسي له خاصية أخرى لا يمكن أن تقوم بدونها الحياة للكائنات الراقية على الأرض ، هذه الخاصية هي الدرجة التي ينحني بها مدار الأرض البيضاوي الإهليجي حول الشمس ، أو كما تسمى درجة الانحراف أو التفاوت المركزي ، فكلما كانت درجة الانحراف أو التفاوت تساوي رقما أقرب للصفر، كلما اقترب المدار إلي الشكل الدائري النموذجي الكامل ، و في المقابل كلما كانت درجة الانحراف تساوي رقما أقرب للواحد كلما صار المدار أكثر تفلطحا ، و بما أن درجة انحراف المدار الأرضي هي فقط ٢ بالمئة تقريبا ، فهذا يعني أن مداره حول الشمس هو تقريبا دائري . وهذه خاصية فريدة جدا ، فعلى الكواكب ذات درجة انحراف كبيرة ، يلعب التغير الحاصل ببعدها عن الشمس أثناء الدوران دورا كبيرا في التغير الكبير في درجات الحرارة على ذلك الكوكب حسب قربها أو بعدها عن الشمس ، فالكواكب التي تتميز مداراتها بدرجات انحراف عالية أعلى من ذلك لا تسمح بوجود الحياة فيها. و لا تنتهي القضية هنا ، بل هناك خاصية فريدة تتمثل بعلاقة كتلة شمسنا مع بعد المسافة بيننا وبينه. و ذلك لكون كتلة النجم هي التي تحدد كمية الطاقة التي تصدر عنه لتصل إلى الكوكب . اضع الى ذلك اكثر الخواص تميزا ، وهي درجة ميل محور الأرض ، فتغير اشكال الطقس الموسمية وفصول السنة يتحدد أساسا حسب ميل محور دوران الأرض بالنسبة لمستوى دورانها حول الشمس . نظرا لميل محور الأرض ، فإن كمية ضوء الشمس التي تصل إلى أي نقطة على سطح الأرض تختلف على مدى شهور العام ، حيث يحل فصل الصيف في نصف الكرة الأرضية الشمالي عندما يتجه القطب الشمالي ناحية الشمس، ويحل فصل الشتاء عندما يتجه القطب بعيدا عن الشمس . كما وينتج عن تغير المسافة المدارية بين كوكب الأرض والشمس زيادة الطاقة الشمسية التي تصل إلى الأرض في مرحلة عندما تكون في مرحلة الحضيض الشمسي (وهي أقرب مسافة للأرض بنسبة للشمس) مقارنة بالطاقة الحرارية التي تصل إلى الكوكب عندما يكون في مرحلة الأوج (وهي أبعد نقطة ممكنة عن الشمس) ولكن تأثير تغير المسافة المداري يعتبر أقل أهمية من التغير الإجمالي في الطاقة والذي يحدث بسبب ميل محور الأرض ، لأنه كما ذكرنا فإن مدار الأرض قريب جدا إلى الدائري . وهناك خصائص

أخرى كثيرة مثل وجود القمر و حجمه وكونه واحدا ، ومثل تركيب الغلاف الجوي ، ومثل طبيعة كوكب الأرض وكونه كوكبا صخوريا وليس كوكبا غازيا مثل كوكب المشتري ، ومثل حجم الأرض و تركيب قشرتها و باطنها ، الى غير ذلك من الخصائص التي لا يسع المقام لذكرها وبيانها ، مما يعتبر وجودها شروطا ضرورية لقيام وبقاء حياة الإنسان على الأرض . بل الأمر يتعدى خصائص الأرض و البيئة المحلية الشمسية الى خصائص الكون كله ، فإن قيام حياة بشرية واستمرارها يتطلب وجود ما لا يحصى مطلقا من الظروف الكونية ، مما يجعل فرصة قيام واستمرار حياة ((بشرية)) في غير كوكب الأرض أمرا شبه مستحيل وفق القوانين المتعارفة لحد الآن ، وقد توفرت جميعها في الأرض^(١) .

هذا الكلام السابق نقلته باختصار شديد عن كتاب (التصميم العظيم) لخبير الفيزياء الكونية ستيفن هوكنج ، وهو كلام رغم وجاته يصرخ بأعلى صوته بأن لهذا الكون مصمما عظيما عليما حكيما قديرا ، خلق الكون بالحق وخلق الإنسان عن قصد ولغاية ، فإن ما تم ذكره والإشارة اليه يتضمن الألوف من المعطيات الحسية على فائق الاتقان ، ولو ضمنا اليها ما هو مسطور في الكتب المختصة في شتى العلوم حول الخصائص الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية وغيرها عن الانسان وسائر الموجودات الحية وغير الحية ؛ سيتجمع لدينا الملايين من المعطيات الحسية المثبتة لفائق الاتقان، وحينئذ نقول : لا يوجد عندنا غير احتمالين ، الأول أن يكون هذا الوجود قد وجد من لا شيء وصار عظيم الاتقان هكذا بالصدفة المحضة والعشوائية الصرفة ، وهذا احتمال لا يقول به إلا مختل عقليا أو نفسيا، وهو الإحتمال الذي يتمسك به زعماء الملاحدة نتيجة خلل ذهني أو نفسي تجاه الله والدين ، وإلا فهم في تفكيرهم وسلوكهم الاعتيادي في غير مسألة الدين لا يأخذون بهكذا احتمال، والاحتمال الثاني هو وجود الله الخالق مطلق العلم والقدرة والحكمة، فسبحان الله حيث قال : ((سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ

(١) التصميم العظيم ، ستيفن هوكنج ، ترجمة ايمن احمد ، الفصل السابع ، ص ١٧٧-١٩٩

حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ((٥٤))^١.

ودليل الإتيان هو ما أرشد اليه الله تعالى بقوله: ((صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ حَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨))^٢.

ثالثا: هداية النبوة

حيث ان الانسان ربما تتلوث فطرته أو تخطأ مدركاته العقلية فيضل الطريق لمعرفة الاله الخالق الحقيقي ، فيعبد الها وهميا او يؤله غير الله او يشرك مع الله غيره ، كما ان حدود عقل الانسان هي تعجز تكوينيا عن ادراك الهدفية والغاية والحكمة والمقاصد الالهية و منهاج الرشاد و النظام الاصلاح للبشرية لغرض تحقيق الغاية الالهية من خلق البشرية ، فكان مقتضى حكمة الله و عدله و لطفه ان يرسل الانبياء و المرسلين لغرض ووظيفة هي :

١- هداية البشرية الى الاله الحقيقي وهو الله وحده لا شريك له المتصف بجميع صفات الكمال المطلق ، والمنزه عن جميع صفات النقص .

٢- تعليم البشرية منهاج الرشاد و النظام الأقوم .

٣- قيادة حركة التوحيد في صراع الحق مع الباطل .

وبالفعل تمت حكمة الله عدلا و لظفا ، فقد واطر بعث الانبياء و ارسال المرسلين الى البشرية منذ خلق اول جماعة بشرية ، وجعل معهم الدين وهو منهاج الرشاد و النظام الأكمل، ولو لم يفعل كذلك لكان خلاف الحكمة والعدل ولا يكون الاله الحقيقي عابثا ظالما . والنبي الرسول لابد ان يكون اكمل البشرية حتى يكون مستحقا للاصطفاء الالهي و الاقدر على القيام بالوظيفة الإلهية، والملاحدة يفرون من مقاصد الله وسبل تحقيقها لذلك تجدهم ينكرون النبوة والدين.

١ - سورة فصلت

٢ - سورة النمل

- محاولات الملاحظة إبطال أدلة الإيمان

الملحد - ماذا تعني الفطرة؟ هذا مصطلح هلامي ، في أي مكان في الإنسان نجدها؟

المؤمن - الفطرة ليست حيثية وجود مادي عضوي ، إنما هي حيثية اقتضاء وجود واحتياج وافتقار ، فجسم الإنسان مصمم بحيث يقتضي وجود الطعام فيتوجه نحوه ويتقبله بصورة طبيعية تلقائية، وحيثية اقتضاء البدن للطعام ليست عضوا في الجسم ، فكذلك عقل الإنسان مصمم بحيث يقتضي وجود معارف معينة لها واقع موضوعي مستقل ، فيتوجه نحوها ويتقبلها بصورة طبيعية تلقائية، وقضية وجود الله تعالى هي رأس القضايا الفطرية التي يتقبلها عقل الإنسان بصورة تلقائية ما لم تتلوث فطرته.

الملحد - هل تعني الفطرة أن الإنسان يولد وهو مؤمن؟

المؤمن - لا يا حبيبي - بل معناها أن الإنسان يولد مفتقرا الله تعالى مقتضيا للإيمان به ، كما هو لا يولد مستغنيا عن الطعام، بل يولد مفتقرا الى الطعام مقتضيا لتناوله.

الملحد - اشكال على مبدأ السببية : انتم تقولون بحسب مبدأ السببية ضرورة أن يكون للكون علة خالقة أولى ، فهذا الاله هل هو صنع نفسه ام ليس له مسبب ؟ لا يمكنك ان تخبر طفلا ان تفاحة زائد تفاحة تساوي تفاحتين و عندما يسألك مثلا عن البرتقال تجيبه ارضاء لأفكارك ان برتقالة زائد برتقالة تساوي ثلاثة !! فمبدأ السببية والعلية يجب أن ينطبق على كل شيء.

المؤمن - يا حبيبي انت فاهم مبدأ السببية بالخطأ ، مبدأ السببية هو من المبادئ الضرورية الأساسية للعقل أي أن العقل يجزم بصدقه قهرا دون افتقاره لدليل ، و عليه تتوقف سائر العلوم النظرية. إن مبدأ السببية و العلية لا يقول (لكل موجود موجد) كما يشتمه الكثيرون و كما يخدع تجار الإلحاد بسطاء الناس، حتى يحق لك أن تشكل فنقول: إن كان الله موجودا فمن أوجد الله! مبدأ السببية هو ((لكل حادث محدث - لكل معلول علة)) ببيان أن

معنى الحدوث هو الخروج من حيز امكان الوجود الى حيز تحقق الوجود ،
و هذا الخروج لا بد له من سبب و علة ترجح وجود الشيء على عدمه ، لذلك
فإن مجرد ادراك معنى الحدوث و الحادث يذعن العقل قهرا بقضية (لكل
حادث محدث) . والله تعالى ليس وجودا حادثا فلا ينطبق عليه مبدأ السببية
فمبدأ السببية هو أساسا مختص بالحوادث، لأنه لو كان حادثا لاحتاج الى
محدث و نفس السؤال يرد على المحدث الثاني وهكذا يستمر التسلسل الى
ما لا نهاية ، والجبر المنطقي يحتم استحالة التسلسل اللانهائي و يحتم بالنتيجة
وجود موجود محدث غير حادث أي أزلي الوجود و هو الله تعالى ، أما
الكون وكل عالم المادة والطاقة المولدة للكون فهو حادث و دعوى ازليته
باطلة قهرا ، لأنه متغير باستمرار و في حركة جوهرية مستمرة و هذا
برهان حدوثه لأن التغير المستمر هو حدوث و تجدد ، فلما كان عالم الوجود
حادثا لزم بالضرورة أن يكون له محدث حسب مبدأ السببية الصارم (لكل
حادث محدث) .

الملحد - أي اجابة من الاجابات التي قدمتها غير منطقية، انا ملحد ومتأكد
ان كل شيء قابل للفهم والتحليل علميا و لا شيء خارج العقل عكس ما
تدعون ! كيف يوجد كائن فائق الذكاء وبدون سبب هذا مستحيل.

المؤمن - عزيزي ، أنت تتقبل أزلية المادة والطاقة ، مع كون تغيرها برهان
حدوثها، ولا تتقبل وجود خالق مطلق الكمال أزلي ، فأبي منطق هذا!! صحيح
أن الإنسان كائن منطقي بالفطرة ، لكن المنطق كعلم دقيق يبحث نظريات
المعرفة ليس فهمه ميسورا لعامة الناس ، و لم تستطع كافة نظريات المعرفة
أن تقهر منطق المذهب العقلي في المعرفة إلا بالسفسطات.

عزيزي - يبدو أنك لم تفهم قضية استحالة التسلسل، هذا طبيعي و لك الحق
في ذلك فقد اختصرتها و سأقربها لك بمثال، لو كان هناك باب و أردنا
شخصا لفتحه ولكن وجود هذا الشخص يتوقف على وجود شخص قبله و
وجود الشخص القبلي يتوقف على وجود شخص اسبق و هكذا كل شخص
اسبق يتوقف وجوده على وجود شخص اسبق الى ما لا نهاية - هل تدرك
معنى الما لا نهاية ؟ يعني أن التسلسل العددي مفتوح ابدى - فحينئذ هل

سنفتح الباب ؟ مستحيل عقلا أن نفتحه !! هذا تبسيط لقضية استحالة التسلسل وله في المنطق بيانات أعقد، و إن كنت لم تدركه أو لم تثق بعقلك و كنت ممن يتلقى المعرفة من المتخصصين فاعلم ان نجم ملاحظة فيزياء الكم المعاصر لورانس كراوس هو نفسه يقر ببطلان التسلسل بالجبر المنطقي في كتابه (كون من لا شيء) لكنه لأسباب غير منطقية يلوذ بالسفسطة والعشوائية، يقول: ((إنه لو تبنى الشخص منظور أن الله علة العلل وبالتالي أبدي، حتى لو لم يكن هذا حال كوننا، فسوف تنتهي فعليا سلسلة الرد بالمحال لسؤال "لماذا" حيث أن الضرورة المنطقية الواضحة للعلة الاولى هي مسألة حقيقية لأي كون له بداية، لذلك فإنه على اساس المنطق وحده لا يستطيع الشخص أن يستثني رؤية لاهوتية للطبيعة إن الاجابة البسيطة وهي بالطبع: إن الفضاء الفارغ "طاقة الوجود" أو اللا شيء الجوهرى الذي يمكن أن يكون انبثق منه الفضاء الفارغ ، موجود مسبقا وأبدي))^١ ، فنقول له: جيد جدا انك تقر بالضرورة المنطقية وجود علة أزلية ولم تطلب عليها دليلا امبريقيا ، وهذا انتصار للمنطق العقلي على المنطق الامبريقي "التجربة والمشاهدة" ولكنك مع ذلك ترجح احتمال ان تكون هذه العلة الأزلية هي الطاقة مجهولة الهوية والخواص، أي ترجح أزلية الطاقة ، وهذا لا يعفيك من المسائلة المنطقية ما دمت تكلمت بالمنطق ، وهنا تأتي الضربة القاضية القاتلة للإلحاد، من قنن قوانين الطاقة ؟

الطاقة نفسها تقرون بتموجها الكمومي، و هذا برهان حدوثها، لأن التموج هو حركة وتحول وتبدل أي انتقال من عدم لوجود، فإن كانت الحركة عارضة على ذات الطاقة فهي إذن مفترقة الى محرك من خارج ذاتها وهذا برهان افتقارها للعلة الخارجية وكونها معلولة، وإن كانت الحركة جوهرية أي إن الطاقة هي عين الحركة ثبت كون الطاقة حادثة بالذات لأن الحركة عينها والحركة هي وجود بعد عدم، و مبدأ السببية صارم (لكل معلول علة ولكل حادث محدث) فمن احدث طاقة الوجود؟؟ لورانس كراوس ترويجا للإلحاد استسحف بمكر بعقول القراء بتلاعبه بالألفاظ فعبر عن طاقة الوجود

^١ - كون من لا شيء ، لورانس كراوس ، ترجمة غادة الحلواني ، الفصل الحادي عشر ، ص ٢٢٠

بلفظ الفراغ واللا شيء فظهرت ثورة نقدية في الوسط العلمي على تدليسه هذا اضطرته ان يعتذر و يبرر في مقدمة الطبعة اللاحقة.

الملحد - أنا مخي مخلوق من مادة هذا الكون ويفكر بحسب قوانينه، فما أدراني لو كنت مخلوقا في كون آخر هل كنت سأجزم بمبدأ السببية ومبدأ استحالة التسلسل، فما هو الدليل على حقانية هذه المبادئ في نفسها في جميع الأكوان والأزمان؟

المؤمن - يا عزيزي، قضية (استحالة التسلسل الى ما لا نهاية) بديهية عقلية فطرية، فهي ليست معرفة نظرية مكتسبة، وليست قضية نظرية خارجية يتوقف صدقها على الاستقراء أصلا، إنها تتوقف على تصور وجود شيء ما فعلا بعد إن لم يكن موجودا، هنا يقطع العقل إنه له علة أخرجته للوجود الفعلي، ثم يتوقف العقل عند علة أولى غير معلولة لأن استمرار العلل المعلولة يعني امرين فقط هما اجتماع النقيضين أو الدور أي توقف الشيء على نفسه وكلاهما مستحيل بالبداية العقلية الصرفة. استمرار العلل المعلولة الى ما لا نهاية يلزم أن لا يوجد هذا الشيء فعلا مع كونه مفترض الوجود فعلا وهذا اجتماع النقيضين وجود الشيء في عين كونه غير موجود، أو يلزم الدور بتوقف وجود الشيء على وجود نفسه وهو أيضا يرجع لاجتماع النقيضين، استحالة اجتماع النقيضين بديهية عقلية صرفة وليست معرفة نظرية مكتسبة. هذه ضرورة عقلية صرفة والتأكد من مطابقة الواقع الخارجي لها لا يحتاج الى استقراء بتتبع كل أفراد الموجودات الفعلية الخارجية ذلك لأن كلامنا هو عن علة الموجودات المحسوسة بالفعل أو بالقوة وما دامت محسوسة أو قابلة للحس فهي مادية حيث الحس لا يدرك غير الشيء المادي، فيكفيني القطع بالجامع المشترك بين الموجودات الحسية وهو المادة وإلا لما شغلت حيزا في الفراغ ولما أمكن للحس ادراكها، فكلها ترجع للمادة. هنا لم نحتج لاستقراء كل فرد فرد من الموجودات، كما لا نحتاج الى معرفة موجودات الأكوان الأخرى ولا قوانينها، فكل الأكوان التي تفرضون وجودها مرجعها الى ما تسمونه المادة المظلمة والطاقة المظلمة.

وهنا المادة الأولى البسيطة أما أن تكون هي الأصل والطاقة حالة لها أو تكون الطاقة هي الأصل والمادة هي حالة وأثر لها، فبقطع النظر عن أيهما الأصل وبقطع النظر عن هوية الطاقة الأصلية وكيفية تحولها الى الصور المادية وبقطع النظر عن هوية المادة الأولى إن كانت هي الأصل وكيفية تحولها الى صور طاقة، فالمقدار القطعي الجامع هو نفس عملية التحول والتبدل والانتقال من حال لحال فلولا له لما وجد كل شيء من الوجودات الحسية. هذا الأصل أيا كانت حقيقته فكينونته الحركة وماهي الحركة؟ إنها وجود حالة بعد عدمها. وبما أن الأصل عينه الحركة فهو وجود بعد عدم فهذا ينفي أزلية هذا الأصل ويثبت أنه معلول، وكل معلول مفتقر الى علة، فيلزم أن هذا الأصل معلول لعلة أزلية أولى هي غير ذاته. هنا كلامنا شمل كل الوجود المحسوس المادة والطاقة ولا علاقة له أيهما أصل وكيفية العمل ولا علاقة له بزمان ومكان.

الملحد - الفرضية التي تنفي وجود الله هو خضوع الله لمبدأ الزمن حيث ان الله استغرق ٦ ايام في بناء الكون وهي مدة وزمنية حيث كان خاضعا فيها لمبدأ الوقت.

المؤمن - فرضيتكم لا تنفي وجود الله بل تنفي كونه أزليا، أي أنكم تقولون هو مادام محدودا بزمن فله بداية و مادام له بداية فهو حادث فيجب ان يكون له محدث حسب مبدأ السببية ، والجواب : نفس مبدأ استحالة التسلسل يحتم بالنهاية ضرورة وجود إله أزلي خالق لكل محدود زمني، وهذا الإله الأزلي هو الله ، أما الإله المحدود الزمني فهو توهم منكم واشتباه نتيجة ذكر الله للظروف الزمنية ومبدأ استحالة التسلسل ينفيه، هذا الظرف الزمني المذكور هو ظرف العمل و ليس ظرفا لله ، اي هو ظرف خلق الكون بلحاظ وجود كون زمني آخر اي وجود مخلوق آخر. الزمن مخلوق يتبع خلق المكان فلا يكون ظرفا للخالق، فلو كان ظرفا للخالق لكان الخالق حادثا ولكل حادث محدث والتسلسل ممتنع بالجبر المنطقي ، إن الله وجود مطلق ليس مكانا ولا جسما حتى يكون محدودا بظرف الزمان.

الملحد - بماذا يختلف إله الإسلام عن غيره من آله الآلهة حتى تزعم أنك على الحق اليقين ؟

المؤمن - أنا لن أتكلم وسأدع سيد العارفين، وإمام المتقين، والخليفة بالحق للرسول الصادق الأمين، أمير البيان وترجمان القرآن، أسد الله الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام هو الذي يجيبكم ويخبركم عن الإله الحقيقي الذي تهدي إليه الفطرة والعقل والنبوة:

((مَا وَحَدَّهُ مَنْ كَيْفَهُ، وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ، وَلَا إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ، وَلَا صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ. كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ، وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُوفٌ. فَاعِلٌ لَا بِاضْطِرَابِ آلَةٍ، مُقَدَّرٌ لَا بِجَوْلِ فِكْرَةٍ، غَنِيٌّ لَا بِاسْتِنْفَادَةٍ. لَا تَصْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ، وَلَا تَرْفِذُهُ الْأَدَوَاتُ، سَبَقَ الْأَوْقَاتُ كَوْنَهُ، وَالْعَدَمُ وَجُودَهُ، وَالْإِبْتِدَاءُ أَرْزَلُهُ. بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ لَهُ، وَبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ، وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ. ضَادَّ النُّورِ بِالظُّلْمَةِ، وَالْوُضُوحِ بِالْبُهْمَةِ، وَالْجُمُودِ بِالْبَلَلِ، وَالْحَرُورِ بِالصَّرْدِ. مُؤَلَّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا، مُقَارَنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا، مُقَرَّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا، مُفَرَّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا.

لَا يُشْمَلُ بِحَدٍّ، وَلَا يُحْسَبُ بِعَدٍّ، وَإِنَّمَا تَحُدُّ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا، وَتُشِيرُ الْأَلَاتُ إِلَى نَظَائِرِهَا، مَنَعَتْهَا «مُنْدٌ» الْقِدْمَةَ، وَحَمَّتْهَا «قَدٌ» الْأَرْلِيَّةَ، وَجَنَّبَتْهَا «لَوْلَا» التَّكْمِلَةَ! بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ، وَبِهَا امْتَنَعَ عَنِ نَظْرِ الْعُيُونِ. لَا يَجْرِي عَلَيْهِ السُّكُونُ وَالْحَرَكَةُ، وَكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ، وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ، وَيَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحَدَتْهُ؟! إِذَا لَتَفَاوَنَتْ ذَاتُهُ، وَلَتَجَزَّأَ كُنْهَهُ، وَلَا مَمْتَنَعَ مِنَ الْأَزْلِ مَعْنَاهُ، وَلَكَانَ لَهُ وَرَاءُ إِذْ وَجَدَ لَهُ أَمَامٌ، وَلَا لَتَمَسَ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ النُّقْصَانُ. وَإِذَا لَقَامَتْ آيَةُ الْمَصْنُوعِ فِيهِ، وَلَتَحَوَّلَ دَلِيلًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولًا عَلَيْهِ، وَخَرَجَ بِسُلْطَانِ الْأَمْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثِّرَ فِيهِ مَا يُؤَثِّرُ فِي غَيْرِهِ. الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، وَلَا يَجُورُ عَلَيْهِ الْأَفْوَلُ، لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُودًا، وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُودًا، جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاءِ، وَطَهَّرَ عَنِ مَلَامَسَةِ النِّسَاءِ.

لَا تَنَالُهُ الْأَوْهَامُ فَتَقْدِرُهُ، وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الْفِطْنُ فَتُصَوِّرُهُ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتُحَسِّسُهُ، وَلَا تَلْمَسُهُ الْأَيْدِي فَتَمَسَّهُ. وَلَا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ، وَلَا يَتَبَدَّلُ فِي الْأَحْوَالِ،

وَلَا تُثَلِّبُهُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ، وَلَا يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَالظَّلَامُ، وَلَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنْ
الْأَجْزَاءِ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ، وَلَا بِعَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ، وَلَا بِالْعَيْرِيَّةِ
وَالْأَبْعَاضِ.

وَلَا يُقَالُ: لَهُ حَدٌّ وَلَا نِهَآيَةٌ، وَلَا انْقِطَاعٌ وَلَا غَايَةٌ، وَلَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ فَنُقَلِّهُ
أَوْ تُهْوِيهِ، أَوْ أَنَّ شَيْئًا يَحْمِلُهُ، فَيَمِيلُهُ أَوْ يُعَدِّلُهُ. لَيْسَ فِي الْأَشْيَاءِ بِوَالِجٍ، وَلَا
عَنْهَا بِخَارِجٍ. يُخْبِرُ لَا بِلِسَانٍ وَلِهَوَاتٍ، وَيَسْمَعُ لَا بِخُرُوقٍ وَأَدْوَاتٍ، يَقُولُ وَلَا
يَلْفِظُ، وَيَحْفَظُ وَلَا يَتَحَفَّظُ، وَيُرِيدُ وَلَا يُضْمِرُ. يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ،
وَيُبْغِضُ وَيَعْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ. يَقُولُ لِمَا أَرَادَ كَوْنَهُ: (كُنْ فَيَكُونُ)، لَا
بِصَوْتٍ يَقْرَعُ، وَلَا بِبِنْدَاءٍ يُسْمَعُ، وَإِنَّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ وَمَثَلُهُ،
لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَائِنًا، وَلَوْ كَانَ قَدِيمًا لَكَانَ إِلَهًا ثَانِيًا. لَا يُقَالُ: كَانَ بَعْدَ أَنْ
لَمْ يَكُنْ، فَتَجْرِي عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحْدَثَاتُ، وَلَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَصْلٌ، وَلَا
لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ، فَيَسْتَوِي الصَّانِعُ وَالْمَصْنُوعُ، وَيَتَكَافَأُ الْمُبْتَدِعُ وَالْبَدِيعُ.

خَلَقَ الْخَلَائِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ، وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ
خَلْقِهِ. وَأَنْشَأَ الْأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اسْتِعَالٍ، وَأَرْسَاهَا عَلَى غَيْرِ قَرَارٍ،
وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمٍ، وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمٍ، وَحَصَّنَهَا مِنَ الْأَوْدِ وَالْإِعْوَجَاجِ،
وَمَنَعَهَا مِنَ التَّهَافُتِ وَالْانْفِرَاجِ، أَرْسَى أَوْتَادَهَا، وَضَرَبَ أَسْدَادَهَا، وَاسْتَفَاضَ
عُيُونَهَا، وَحَدَّ أَوْدِيَّتَهَا، فَلَمْ يَهِنْ مِمَّا بَنَاهُ، وَلَا ضَعُفَ مِمَّا قَوَّاهُ. هُوَ الظَّاهِرُ عَلَيْهَا
بِسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَهُوَ الْبَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَالْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
مِنْهَا بِجَلَالِهِ وَعِزَّتِهِ. لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبَهُ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيَغْلِبُهُ، وَلَا
يَفُوتُهُ السَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقُهُ، وَلَا يَخْتَاجُ إِلَى ذِي مَالٍ فَيَرْزُقُهُ. خَضَعَتِ الْأَشْيَاءُ
لَهُ، وَذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ، لَا تَسْتَطِيعُ الْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ فَتَمْتَنِعَ
مِنْ نَفْعِهِ وَضَرِّهِ، وَلَا كُفُوَ لَهُ فَيُكَافِئُهُ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ فَيَسَاوِيَهُ. هُوَ الْمُنْفِي لَهَا
بَعْدَ وُجُودِهَا، حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا.

وَلَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ ابْتِدَاعِهَا بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا وَاخْتِرَاعِهَا، وَكَيْفَ وَلَوْ
اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا، وَمَا كَانَ مِنْ مُرَاحِهَا وَسَائِمِهَا،
وَأَصْنَافِ أَسْنَآخِهَا وَأَجْنَاسِهَا، وَمُتَبَدِّدَةِ أُمَّمِهَا وَأَكْيَاسِهَا، عَلَى إِحْدَاثِ بَعُوضَةٍ،
مَا قَدَّرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا، وَلَا عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلِ إِلَى إِجَادِهَا، وَلَتَحَيَّرَتْ

عُقُولَهَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ وَتَاهَتْ، وَعَجَزَتْ فُؤَاهَا وَتَنَاهَتْ، وَرَجَعَتْ خَاسِنَةً حَسِيرَةً، عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَفْهُورَةٌ، مُقَرَّةٌ بِالْعَجْزِ عَنِ إِنشَائِهَا، مُذْعِنَةٌ بِالضَّعْفِ عَنِ إِفْنَائِهَا؟!!

وَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ، يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحَدَهُ لَأَ شَيْءٍ مَعَهُ، كَمَا كَانَ قَبْلَ ابْتِدَائِهَا، كَذَلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا، بِأَلَّا وَقْتُ وَلَا مَكَانَ، وَلَا حِينَ وَلَا زَمَانَ، عُدِمَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الْأَجَالِ وَالْأَوْقَاتِ، وَزَالَتِ السِّنُونَ وَالسَّاعَاتُ، فَلَا شَيْءَ إِلَّا الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ الْأُمُورِ، بِأَلَّا قُدْرَةَ مِنْهَا كَانَ ابْتِدَاءُ خَلْقِهَا، وَبِغَيْرِ امْتِنَاعِ مِنْهَا كَانَ فَنَائُهَا، وَلَوْ قَدَّرَتْ عَلَى الْاِمْتِنَاعِ لَدَامَ بَقَاؤُهَا.

لَمْ يَتَكَأَدُهُ صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ، وَلَمْ يُوَدِّهِ مِنْهَا خَلْقُ مَا بَرَأَهُ وَخَلَقَهُ، وَلَمْ يَكُونِهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانِ، وَلَا لِخَوْفِ مَنْ زَوَالَ وَنُفْصَانِ، وَلَا لِاسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى نِدِّ مَكَاثِرِ، وَلَا لِالْاِحْتِرَازِ بِهَا مِنْ ضِدِّ مُتَاوِرِ، وَلَا لِالْاَزْدِيَادِ بِهَا فِي مُلْكِهِ، وَلَا لِمُكَاتَرَةِ شَرِيكِ فِي شِرْكِهِ، وَلَا لِوَحْشَةِ كَانَتْ مِنْهُ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا.

ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا، لَا لِسَامِ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَصْرِيفِهَا وَتَدْبِيرِهَا، وَلَا لِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيْهِ، وَلَا لِثِقَلِ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ. لَا يَمْلُهُ طُولُ بَقَائِهَا فَيَذْعُوهُ إِلَى سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا، لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبَّرَهَا بِلُطْفِهِ، وَأَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ، وَأَنْفَقَهَا بِقُدْرَتِهِ.

ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا، وَلَا اسْتِعَانَةَ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا، وَلَا لِانْصِرَافِ مَنْ حَالَ وَحْشَةٍ إِلَى حَالِ اسْتِئْنَاسِ، وَلَا مِنْ حَالِ جَهْلٍ وَاعْمَى إِلَى [حَالِ] عِلْمٍ وَالتَّمَاسِ، وَلَا مِنْ فَقْرٍ وَحَاجَةٍ إِلَى غِنَى وَكَثْرَةٍ، وَلَا مِنْ دُلٍّ وَضَعَةٍ إِلَى عِزٍّ وَقُدْرَةٍ. ((١).

الملحد - علي بن ابي طالب هل اعتمد على القرآن أم أنه قال كلام انشاء من نفسه؟

١- لا يضمه مكان ! الم يستو على العرش؟ ((إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ

١ - نهج البلاغة ، جمع السيد الشريف المرتضى ، شرح الشيخ محمد عبده ، ج ٢ ، الخطبة رقم ١٨٦

يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ
تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤)).^١

٢- خارج الحدود والاصناف داخل الكون وخارجه! فماذا عن ((أَأْمِنْتُمْ مَنْ
فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ))^٢.

٣- لا يحده زمان! فما معنى ((وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ
وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٤٧)))^٣.

٤- كان قبل بدأ الكون حينما كان لا زمان ولا مكان وسيعود بعد انتهاء
الكون حيث لا زمان ولا مكان! هل تطعن بالآية ((وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ
حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (١٢٢)))^٤.

المؤمن – الجواب: نعم اعتمد الإمام علي عليه السلام على الفهم الكامل
المحيط بمعارف القرآن، الذي يزيل كافة الأفهام السطحية والتشبيهات
الحسية

١- نعم استوى على العرش يعني هيمنته على ملكوت السماوات والأرض
ونفوذ علمه وقدرته، وهذا من الكنايات الشائعة في كلام العرب حتى في
اللهجات المحلية الحالية، فهو الله تعالى ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ (١١) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ
إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢)))^٥.

٢- هو في السماء اله و في الارض اله ، هو في كل شيء بإحاطة علم
وتدبير ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ
نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا

١ - سورة الأعراف

٢ - سورة الملك

٣ - سورة الحج

٤ - سورة النساء

٥ - سورة الشورى

أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧) ((^١.

هو خارج كل شيء لأنه خالق كل شيء ((سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٨٢) فَذَرَهُمْ يَحْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٨٣) وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٨٤) وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٥) ((^٢.

٣- نعم هو خالق الزمان بتبع خلق المكان، فالزمان ظرف تابع للمكان ، والله لا يحيطه مكان ولا يشغل حيزا كما نص في الآيات في النقطة السابقة، فلا يجري عليه زمان. و اليوم عند ربك هو بلحاظ زمان و مكان آخر، في اكون اخرى و مراتب و جود اخرى ، فالعندية ليس لمكان وزمان الله بل لزمان و مكان تدبير الله و يوم الحساب.

٤- نعم ، سينطوي كل الوجود الموجود لهذه النشأة ، فلا زمان و لا مكان ، و يتفرد الله بالوجود فإنه ((لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٨)))^٣، ثم تأتي النشأة الأخرى ((فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفًا وَعَدِهِ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٤٧) يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨)))^٤، والإمام علي عليه السلام قد ذكر النشأة الأخرى في آخر كلامه فقال : ((ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا ...))^٥.

أعزتي، الإمام علي عليه السلام هو القرآن الناطق، وكلامه كلام بلاغي استدلالي، يخاطب القلوب والعقول، فكررنا النظر فيه بقلوب وعقول منفتحة.

١ - سورة المجادلة

٢ - سورة الزخرف

٣ - سورة القصص

٤ - سورة ابراهيم

الملحد - أنتم تقولون إن الله قبل الكون، وكلمة (قبل) تفيد الزمان، أي إن الله محكوم بزمن القبليّة، ومادام محكوما بزمان فهو حادث لأن لكل زمان بداية.

المؤمن - الجواب:

١- أنت بإقرارك إن لكل زمان بداية تفر بحدوث المادة لأن الزمان هو بعد مصاحب للمادة.

٢- كلمة (قبل) المقصود بها القبليّة الرتبية وليس القبليّة الزمانيّة، أي إن الرتبة الوجودية لله تعالى أعلى من الرتبة الوجودية للمادة، لأنه تعالى علة والمادة معلولة، والعلة رتبها الوجودية أكمل من الرتبة الوجودية للمعلول، فهذا تقدم رتبي وليس زمانيا. لاحظ بتفكر قول أمير المؤمنين في الخطبة السابقة ودعك من الفهم والاستعمال العامي للغة: ((لَا تَصْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ، وَلَا تَرْفِدُهُ الْأَدْوَاتُ، سَبَقَ الْأَوْقَاتَ كَوْنُهُ، وَالْعَدَمَ وَجُودُهُ، وَالْإِبْتِدَاءَ أَرْزَلُهُ... وَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ، يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحَدَهُ لَا شَيْءَ مَعَهُ، كَمَا كَانَ قَبْلَ ابْتِدَائِهَا، كَذَلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا، بِلَا وَقْتٍ وَلَا مَكَانٍ، وَلَا حِينَ وَلَا زَمَانَ، عُدِمَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الْأَجَالَ وَالْأَوْقَاتُ، وَزَالَتِ السِّنُونَ وَالسَّاعَاتُ، فَلَا شَيْءَ إِلَّا الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ الْأُمُورِ)).

الملحد - يُقسم الفلاسفة الموجودات إلى ثلاثة أنواع: واجب الوجود، ممكن الوجود ومُستحيل الوجود. بحيث يكون (واجب الوجود) هو المُحرِّك الأوَّل، الذي يُعتبر الوجود صفة ذاتية له، وكذلك من حيث أن وجوده واجب لوجود الموجودات المُمكنة. ولكن ما الذي جعل وجوده واجبا؟ وما الذي جعل الوجود صفة ذاتية له؟ هل هنالك سبب "منطقي" أو "عقلي" لذلك أم هو حكم "افتراضي" غير مُلزم؟ الحقيقة أن فكرة ذاتية الوجود هذه كانت ضرورةً لتفادي التسلسل اللانهائي للمتحرّكات، لأنّ هذا التسلسل اللانهائي -بالنسبة إليهم- غير مقبول "عقلا". ولكن لماذا هو غير مقبول عقلا؟ المُعضلة الأساسيّة هي في تقسيم الموجودات إلى (واجب)، و(ممكن)، و(مُستحيل)، أنّها مبنية على تصوراتٍ ذهنيّة ذاتية لا أكثر، ولا علاقة لها بالموجودات كما هي؛ من حيث أن لها وجودا مُستقلا عن أذهاننا نحن. وعندها سيكون الحكم على موجود بأنه (واجب) أو (ممكن) حكما ذاتيا، لا علاقة للموجود

به، لأنه لا يُمكننا إيجاد العلاقة بين الموجود وبين الحُكم على وجوده بـ(الوجوب) أو بـ(الإمكانية). ولهذا فإنَّ وصف (واجب الوجود) بأنَّ الوجود هو صفةٌ ذاتيةٌ له هو وصفٌ ذاتيٌّ لا يُمكننا إيجاد العلاقة بين الوصف وبينه، وذلك لسببٍ بسيطٍ جدًّا، وهو أنَّ (واجب الوجود) هذا غير (مُتعيّن)، وكل غير متعيّن قابل لاحتمال أي وصفٍ يُمكن أن يُطلق عليها، دون أن يمتلك الآخرون أي وسيلةٍ لإنكار هذه الصفات أو حتّى تنفيذها. فنحن بحاجةٍ إلى (التعيّن) حتّى يُمكننا إخضاع صفاته إلى الاختبار، لتتأكد من كونها صحيحةً ومُطابقةً له أم لا.

المؤمن – الجواب:

١- هذا التقسيم هو للوجود ، فلا تقل كيف اثبتتم لمفهوم الواجب صفة الوجود ، الوجود هنا ليس وصفا محمولا بل هو الموضوع ، والوجوب هو الوصف المحمول.

٢- التقسيم للوجود الى ضروري الوجود و ممكن الوجود و مستحيل الوجود، هو تقسيم بالانحصار العقلي القطعي لا ينكره عاقل فاهم للمعنى.
٣- مستحيل الوجود هو الممتنع وجوده عقلا مثل وجود جزء أكبر من الكل، ووجود مثلث بأربعة أضلاع ، وهذا لا بحث فيه لأنه لا تحقق له في الواقع بالضرورة العقلية.

٤- ممكن الوجود مثل الوجود الإنساني، فهذا لا توجد استحالة في وجوده عقلا كما أنه غير ضروري الوجود عقلا ، فهو تتساوى نسبة وجوده الى عدمه، و لكنه عند تحقق وجوده فعلا فلا بد أن علة اوجدته لأنه في حد ذاته غير ضروري الوجود عقلا ، ثم إن كانت علته ممكنة الوجود سيتجه عليها نفس السؤال ، و هكذا إن كانت علل وجود الممكن كلها ممكنة الوجود الى ما لانهاية سوف لن يوجد ممكن الوجود الأخير، الانسان حسب الفرض، بالاضطرار العقلي يجب عقلا انتهاء سلسلة الممكنات الوجودية الفعلية الى علة وجود موجود بذاته وهو وجود واجب عقلا أي ضروري الوجود عقلا ، لامتناع تحقق الموجودات ممكنة الوجود في حد ذاتها خارجا دون وجوده.

٥- تقول "أنّ فكرة ذاتيّة الوجود هذه كانت ضرورةً لتفادي التسلسل اللانهائي للمتحرّكات، لأنّ هذا التسلسل اللانهائي -بالنسبة إليهم- غير مقبولٍ عقلاً".

إن وجود واجب الوجود بذاته هو ضرورة عقلية يفرضها مبدأ العلية (لكل حادث محدث) فهل لديكم برهان لتفادي تسلسل الحوادث؟ لم يكن لديكم سوى الاضطرار لإنكار مبدأ العلية عنادا واستكبارا ، أو الاضطرار لزعـم أزلية المادة والطاقة، سفسطة و خداعا حيث تقرون بحركتها وهو برهان حدوثها.

الملحد - هل يستطيع الله ان يخلق الها مثله؟

المؤمن - سؤالكم هو نفسه غير منطقي، فان الله لا يخلق الها مثله، لأن الاله الاخر سيكون مخلوقا، والله خالق غير مخلوق ازلي الوجود موجود بذاته.

الملحد - لماذا غير منطقي؟

المؤمن - إن سؤالكم مجرد فرض باطل أصلا يشتمل على تناقض واجتماع النقيضين مستحيل بالضرورة، لأن الثاني الثاني سيكون مخلوقا، والله ليس مخلوقا، فكيف تفرضه إله مثله؟ فقولك (مثله) يناقض قولك (يخلق) أي أن الإله الثاني سيكون مخلوقا وغير مخلوق وهذا تناقض. كما لو سألت: اذا قلعت عيني الثالثة هل استطيع النظر بها؟ السؤال باطل، لأنه لا توجد عندي عين ثالثة من الأصل.

الملحد - هل يستطيع الله أن يخلق صخرة يعجز عن حملها؟

المؤمن - سفسطة قديمة تم طرحها على علماء النصارى قبل مئات السنين. أصل السؤال خطأ فلا يجاب عنه بنعم يستطيع أو لا يستطيع. لأن الله على كل شيء قدير، فلو لم يكن على كل شيء قدير لكان عاجزا مفتقرا الى غيره فكان حادثا ولكل حادث محدث. وسؤالك يشترط اتصاف الصخرة المخلوقة أن يكون الله عاجزا عن حملها، هذا تناقض، كمن يسأل هل تستطيع أن ترسم دائرة مربعة الشكل، أصل السؤال خطأ لأنه لا توجد دائرة مربعة الشكل فلا يتعلق الأمر بوجود استطاعة عندي أم لا توجد.

الملحد - كيف خلق الله الكون والحياة؟

المؤمن - لا علم لنا واقعا بالكيف، هناك أبحاث فلسفية عميقة جدا في كيف خلق الكون والروح ليس كل شخص مؤهلا لاستيعابها.

الملحد - ما دمت تجهل كيف خلق الله الكون والحياة، فكل كلامك عن كون الله هو خالق الكون والحياة هو هراء.

المؤمن - العلم يجهل الكيف بجذر الكون والحياة وقد اعترف بذلك ، فينبغي حسب دعوكم الكفر بالعلم و العلماء لأنهم اقرروا بجهلهم بالكيف، ونحن لا نخجل من اعترافنا ايضا بالجهل بالكيف، فكل ما يجيب عنه العلم الطبيعي بخصوص الكيف على نحو القطع و اليقين نرحب به ولا يتعارض مع وجود الله ، لأن الله هو خالق الكون والحياة ومقنن قوانينها باعتقادنا، فمعرفة (كيف؟) لا تنافي معرفة (من؟) ، فأنا على يقين أن هذا الحاسوب و هذا الموبايل له صانع خبير عليم حكيم لكنني أجهل كيف صنعه، فجهلي بكيف صناعته لا يزلزل يقيني بوجود صناعه، وهكذا فإن دلالة الفطرة و السببية والنظام والنبوة تعطيني اليقين بوجود الله تعالى ولا يزلزل يقيني هذا عدم معرفتي بتفاصيل عمل الله تعالى وحكمته. فقولكم أن عدم معرفة الكيف تنفي وجود الله تعالى هو سفسطة واضحة.

الملحد - ما الهدف من خلق الملائكة والكرسي و العرش هل للتباهي؟ ولماذا الكرسي هل الله يحتاج الى راحة؟ و لماذا خلقنا نحن مع اننا لم نكن سبب في وجود انفسنا؟

المؤمن - أما الكرسي و العرش فهي كنايةات دارجة في لغة العرب للتعبير عن المالكية و الهيمنة المطلقة و ليست هي وجودات محدودة لأن محدوديتها تستلزم محدودية الله تعالى وتحيزه و تجسيمه وهذا محال عقلا لأن المحدودية علامة النقص والافتقار لكمال وجودي، فلم يجمد على ظاهر اللفظ سوى متحجري العقول من السلفية، فراجعوا بتفكر خطبة الإمام علي التي نقلتها سابقا.

الملحد - لماذا خلقنا الله بلحاظ أننا لم نوجد أنفسنا؟

المؤمن - أما سؤالكم عن الهدفية والحكمة فلا حاجة للسؤال عن حكمة كل شيء. عندما تقرر في البحث العام في صفات الله أنه حكيم مطلق يستحيل عليه العبث، لأن العبث قبيح عقلا و القبح علامة النقص و الافتقار للكمال، و النقص صفة المحدود و المحدودية صفة الحادث . فلما علمنا أن الله حكيم مطلق أيقنا أن كل افعاله هادفة حكيمة مطلقا وإن كنا لم ندرك وجه الحكمة تفصيلا ما لم يخبرنا هو عنها، أما وجه الحكمة في خلقنا فقد خلقنا الله تعالى للكمال، بعد أن قرر أن يخلق في الأرض خليفة لنكون اسياذ الكون و اعلى مراتب الوجود المخلوق، وليست الدنيا إلا مرحلة من مراحل الوجود البشري كما كانت مرحلة الوجود في الأصلاب و الأرحام مرحلة للتكامل. قال تعالى: ((تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ (٢)))^١، ((قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦)))^٢.

الملحد - الحقيقة البسيطة التي لربما يغفل عنها البعض، هو أن الدين في مرحلة التطور الأول للإنسان كان ضرورة لابد منها . فلا بد لك من إضفاء شرعية على القانون الذي تريده أن يسود بين الناس، و في تلك الأزمان لم يكن هناك رادع أخلاقي كالرادع الميثافيزيقي أي الآلهة !!

فبنظرة سوسيولوجية لا يهم أن كانت فكرة الآلهة حقيقة أم لا معنى لها لا يهم أن كانت موجودة حقا ام لا !! المهم النتيجة التي تقدمها.

و في ذلك الوقت اي بدايات الإنسان كان الوضع يختلف عن واقعنا الحالي فنحن اليوم مع التطور البشري الذي وصلنا إليه و الذي نتج عن تراكم التجارب المعرفية لدى الإنسان و التطور التكنولوجي أصبح بإمكاننا أن نضع

^١ - سورة الملك
^٢ - سورة المؤمنون

قانونا مرجعيته الإنسان و يمكن تطبيقه !! كما هو حال غالبية الدول المتقدمة التي تعتمد قوانين علمانية (ذات مرجعية إنسانية).

المؤمن - ١ - الحقيقة التي غفلت عنها هي أن وجود الله هو مقتضى الفطرة البشرية لذلك تجده مركزا حيا لحد الآن حتى عند اللادينيين فلم ينكره على طول الدهور سوى شرذمة من البشر تسمى الملاحدة ، بدليل كلامك هذا ، فهو دليل على حياة الفطرة البشرية و رسوخ الايمان بالله في تخوم الوجود البشري لهذا اليوم.

٢- لو كان الإيمان بالله وهما لضرورة سيولوجية قانونية في فجر تاريخ البشرية للزم ان ينكره اليوم كل عباقره العلوم الطبيعية و كل علماء السيولوجيا و كل خبراء القانون الوضعي ، و اللازم باطل فالملزوم مثله.

٣- اطروحتم ليست إلا مجرد فرضية في تفسير الدين سيولوجيا دون برهان ، فعلميا لا ينبغي لك التعبير عنها بضرر قاطع و القول انها (حقيقة بسيطة)! لا سيما مع وجود فرضية الطوطمية لدور كهايم مؤسس علم الاجتماع الحديث ، مع فرضيات اخرى كثيرة ، و هذا كاشف عن تهافت الملاحدة.

٤- اليوم يكشف الواقع لكل خبير منصف أن القوانين الوضعية قد فشلت فشلا ذريعا في ايجاد رادع اخلاقي يحول دون ارتكاب الجرائم و الرذائل بمعزل عن الدين، باعتراف حتى الملاحدة من غير التيار المناهض للدين، فالقوانين الوضعية هي نفسها قاصرة عن تحقيق الكرامة الانسانية وصيانتها وتهذيبها وكمالها.

٥- لكل حادث محدث ولكل نظام منظم، ومادام هذا المحدث المنظم ليس جاهلا عابثا لزم عقلا أن يهتم بمننتوجه ويصلح شؤونه، ودستور الإصلاح الإلهي هو الدين. هذه هي الحقيقة فعلا بكل بساطة.

الملحد - لماذا خلقنا الله؟ إذا كان الله لا يحتاج إلى عبادتنا لماذا قال

(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)

المؤمن - إن الله قد نص في كتابه المجيد على انه غني عن العالمين فقال:
((اللَّهُ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧)))^١ و قال: ((هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي
أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ
(٤٠)))^٢ و قال: ((وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا
يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢)))^٣ . فالله تعالى هو غني
مطلق و لو كان مفتقرا لشيء لما كان الله ربنا، لأن الله ربنا هو كمال مطلق
بحسب ما أوضحناه سابقا، و قد خلق الله البشر لغاية، لكنها ليست غاية
راجعة فائدتها لله فهو غني مطلق كمال مطلق، و إنما لغاية ترجع فائدتها
للشخص انفسهم، الغاية هي وصول الانسان الى الكمال اللائق ببشريته و هذه
الغاية لا تتحقق للإنسان إلا بتسليم العبودية لله تعالى فهو الكمال المطلق،
هذا معنى قوله تعالى: ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)))^٤ .

الملحد - أنا لا ديني من نوع خاص، فأنا أعتقد بوجود الله والنبوات والكتب
والأديان، لكنني أعتقد أنه الأديان قد تحرفت كلها، فلا وجود لدين أصيل
وكتاب صحيح وشرعية حقة إلا في زمن الأنبياء، لذلك تركتها جميعا.

المؤمن - تركتها جميعا وأصبحت حرا طليقا ! أتظن أن دعوى التحريف
تعطيك صك الغفران والرخصة لتفعل ما تشاء أو أن تبتدع ديننا حسب
المزاج؟ إن منطق العقل السليم الذي يلزمك الله تعالى به يقول : ما دمت
معتقدا بأصل الدين واكتشفت انه تم تحريفه فهلا حاولت مخلصا الكشف عن
دلائل وعوامل ومصادر التحريف وعملت على تنقيته ومعرفة الدين
الأصيل؟ إن هذه دعوى التحريف لا تكون مبررا عقليا ولا عقلانيا لترك
الدين ما دمت تفر بالأصل.

^١ - سورة آل عمران

^٢ - سورة النمل

^٣ - سورة لقمان

^٤ - سورة الذاريات

الملحد – لماذا ابحت بل اتركها كلها.

المؤمن – لا يصح منطقيا، فأنت تؤمن بالله تعالى والنبوات وأصل وجود الدين والكتاب والشريعة، يعني أنك تعلم يقينا بأن الله تعالى أرسل الأنبياء بكتاب وعقيدة وشريعة يريد أن يهدي بها الناس ويلتزموا بها، فحينئذ لا يسعك أن تفعل ما تشاء أو تبتدع دينا من عندك تتعبد الله به.

الملحد – ما هو العمل؟

المؤمن – عقلا يجب عليك الفحص والتحري عن الدين الأصيل في أصول الاعتقاد، وبالنسبة لأحكام الشريعة فإنه بالحصص العقلي لا طريق لك إلا بالإحتياط أو الإجتهد أو التقليد. فالإحتياط هو أن تأتي بكل ما تحتل أن الله يريده وأن تترك كل ما تحتل أن الله يبغضه، فمثلا أنت تحتل أن الله يريد الصلاة فلا يجوز لك تركها، بل يجب عليك أن تأتي بها وبجميع طرق احتمالات صحتها، فلو كنت تحتل الصلاة الصحيحة المطلوبة هي طريقة واحدة من مائة طريقة فيجب عليك أن تحتاط بإتيان الصلاة بمائة طريقة لتستيقن من الاتيان بتلك الواحدة الصحيحة ، وهكذا في كل العبادات والمعاملات ، وكما ترى فإن طريق الإحتياط متعسر غالبا، أما طريق الإجتهد فهو أن تبحت بنفسك في مصادر التشريع و تحققها لتستنبط منها الحكم الشرعي الصحيح ، وطريق الإجتهد لا يتيسر لكل شخص فلا تظن أن عملية الإجتهد تعني العمل بالمزاج الشخصي، أما طريق التقليد فهو أن تتحرى عن العلماء الفقهاء المجتهدين العدول لتأخذ منهم معالم دينك.

- حوار مع ربوبي

الملحد – أنا ربوبي ، أعتقد بالفطرة والعقل بوجود كائن أسمى إله صانع، لكنني أنكر النبوات والأديان، فهناك المئات من الأديان ولكل دين إله، اعطني دليلا علميا أن هذا الاله الخالق هو اله الديانات الابراهيمية المسمى (الله)، فكل هذا السرد الذي اتيت به يستطيع الهندوسي ان يستعمله ليثبت ان كريشنا هو خالق الكون، فقط يبدل اسم الله يضع بدله كرشنا.

المؤمن - لا عبرة بالأسماء بل في الصفات، كرشنا ، فشنو ، زيوس ، مردوخ ، عشتار، عيسى ، امون ، كائن اسمى ... منطقيا بالحصر العقلي : أما تكون هذه اسماء مخترعة و ديانات وضعية مختلقة، وأما أن تكون اسماء لله بلغات أخرى وديانات حقيقية تم تحريفها ، لأن الخالق الحي العليم القدير الحكيم يجب عقلا أن يرسل رسولا ليهدي الضال وليبلغ الناس الغاية من وجودهم، ومنهاج بلوغ هذه الغاية ونتيجتها ، فلو لم يفعل ذلك لما كان عادلا حكيما كاملا مطلقا، فإن ثبت أن صاحب أحد هذه الأسماء أرسل رسولا وشرعية فهي أسماء لله تعالى وديانات حقيقية سابقة محرفة كانحراف النصرانية لرؤية النبي عيسى عليه السلام، وإن لم يرسل رسولا و شرعية ثبت أنها مجرد اسماء مخترعة وأديان مختلقة .

الملحد - لا يمكن عقليا اثبات صحة الأديان بل يمكن فقط اثبات وجود علة اولى حية وقادرة وعليمة فقط ولا شيء غير ذلك ، فهل تستطيع نفي كون زيوس إلها؟

المؤمن - إن دليل العلية والإتقان يوجب اتصاف الخالق بالكمال المطلق، أي اتصافه بكل صفات الجمال و تنزيهه عن كل صفات القبح. واجب الوجود الخالق الأزلي حي قدير عليم حكيم عادل خبير مطلقا، ومنزه عن المادة والجسمية والتحيز والشريك والولد والعبث والظلم والعجز وكل نقص وعيب وقبيح مطلقا، فهل مثل زيوس وكرشنا وفينوس وعيسى وسائر الآلهة غير الله تعالى تتصف بذلك؟ هل أرسلوا رسلا؟ إن لم يتصفوا بذلك ولم يرسلوا رسلا فليسوا هم ما أثبتته دليل العلية والإتقان. فقولكم أنه لا يمكن اثبات صحة الأديان مقولة باطلة تتم عن قصور إدراك وتحقيق، وهذه الشبهة، شبهة كثرة الأديان واختلافها، هي التي دعت الكثيرين الى الشكية والرؤية واللادينية ، وهي شبهة قديمة عبر عنها الشاعر المعري في العصر العباسي في أبيات نسبت له:

في اللادنية فتنةٌ ... ما بين أحمدَ والمسيحِ

هذا بناقوسٍ يدُقُّ ... وذا بمئذنةٍ يصيح

كل يعزُّزُ دينَهُ ... ليت شعري ما الصحيح^(١)

الملحد – ما هو المانع العقلي من وجود عدة آلهة للكون؟

المؤمن – برهان الإِتقان ينفي ذلك ، فإن فرض تعدد الآلهة مع اختصاص كل واحد منها بجانب من التكوين يلزم تعدد الأنظمة وتداخلها في الكون الواحد ، ولازم ذلك اضطراب الوجود الكوني ، وهذا اللازم باطل لأن برهان الإِتقان يثبت اتزان النظام الكوني ، والنتيجة بطلان فرض تعدد الآلهة. هذا البيان أرشد إليه الله تعالى فقال: ((لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ))^٢.

الملحد – ماذا لو افترضنا آلهة متعددة متعاونة فيما بينها ، وليست مستقلة عن بعضها فلا يلزم فساد النظام الكوني؟

المؤمن – هذا الفرض ينفية برهان العلية ، فإن فرضنا أن كل واحد من الآلهة هو علة تامة لإيجاد المعلول، بحيث يكفي أحد الآلهة لإيجاد المعلول، يلزم من ذلك عدم وجود المعلول، لأن نسبة وجود المعلول لأي واحد منهم تمنع من نسبة وجوده لغيره، وهذا اللازم أي عدم وجود المعلول، هو باطل بالضرورة لوجود الكون فعلا ، فالملزم المفروض وهو وجود أكثر من علة تامة للكون يكون باطلا، فمثلا لو كنا أنا وأنت كل واحد منا هو علة تامة لرفع القلم ، حينئذ لن يحدث رفع القلم، لأنه حسب الفرض أنا وأنت كل واحد منا هو علة تامة لرفع القلم ، يعني لا يوجد مطلقا ترجيح لعلية أحدهما على علية الآخر. هذا المبدأ يعبرون عنه باستحالة توارد علتين تامتين على معلول واحد. وإن فرضنا أن كل واحد من الآلهة ليس علة تامة لإيجاد المعلول بل هو جزء العلة بحيث تتعاون و تتضافر كل الآلهة لتعمل كعلة واحدة تامة للإيجاد ؛ لازم ذلك أن كل إله منهم هو مفقر للأخر لإيجاد الكون، والافتقار والنقص هو سمة الحدوث، أي كل منهم هو محل حدوث القدرة بغيره، فيكون

(١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، شوقي ضيف ، ص ٣٧٧
٢ - سورة الأنبياء

حادثا معلولا ولكل حادث محدث، وهذا خلاف نتيجة برهان العلية بلزوم انتهاء سلسلة المعلولات الى علة واجبة الوجود محدثة غير حادثة. وقد ارشد الى ذلك قوله تعالى: ((مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ (٩١)))^١، فعبارة (لذهب كل إله بما خلق) تشير الى فرض تعدد الآلهة بشكل يكون كل واحد منهم مستقلا عن الآخر في جانب من التكوين أي ينفرد كل واحد منهم بما يخلق، و قد قلنا أن هذا الفرض يبطله دليل الإلتقان لأنه يستلزم تداخل الأنظمة وفساد الكون ، أما عبارة (لعلا بعضهم على بعض) فهي تشير الى فرض تعدد الآلهة بحيث تتضافر في إيجاد الكون ، وقد قلنا أن دليل العلية يبطل ذلك لأنه يستلزم افتقار كل واحد منهم للآخر ، مما يعني تسلسلهم في مراتب الوجود أي توقف كل واحد على الآخر وهو معنى علو بعضهم على بعض ، والتسلسل باطل بالضرورة كما بينا مسبقا.

والخلاصة هي ما أوصى بها أمير المؤمنين علي ابنه الحسن عليهما السلام فقال: ((واعلم يا بني أنه لو كان لربك شريك لأنتك رسله ، و لرأيت آثار ملكه وسلطانه ، و لعرفت أفعاله وصفاته ، ولكنه إله واحد كما وصف نفسه . لا يضاده في ملكه أحد ، ولا يزول أبدا . ولم يزل أول قبل الاشياء بلا أولية، وآخر بعد الاشياء بلا نهاية . عظم عن أن تثبت ربوبيته بإحاطة قلب أو بصر . فإذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغي لمثلك أن يفعله في صغر خطره ، وقلة مقدرته ، وكثرة عجزه ، وعظيم حاجته إلى ربه في طلب طاعتك ، والرغبة من عقوبته ، والشفقة من سخطه . فإنه لم يأمرك إلا بحسن ولم ينهك إلا عن قبيح))^٢.

الملحد - لا ملازمة بين كون الخالق حكيما وبين ارساله للرسالات.

المؤمن - فطرة الايمان تعني اقتضاء خلقه الانسان للايمان بالله تعالى ، فكما أن المصباح مصمم تصميميا يقتضي أن يضيء فيهدي في ظلمات الاجسام، فكذلك خلقه الانسان مصممة بحيث تهدي في ظلمات الارواح ،

^١ - سورة المؤمنون

^٢ - نهج البلاغة ، جمع الشريف الرضي ، شرح الشيخ محمد عبده ، وصية الإمام لابنه الحسن عليهما السلام ج ٣

وكما أن المصباح المتسخ لا يكفي للهداية مما يستدعي وجود المرشد فكذلك فطرة الانسان الملوثة لا تكفي للهداية أحيانا مما يستدعي وجود الانبياء والمرسلين . إن الفطرة قد تتلوث وأن الانسان ربما غفل فضل مما أدى الى انحراف البشر عن الدين الأصيل ، قال الامام الصادق عليه السلام : ((ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه اللذان يهودانه وينصرانه ويمجسانه))^١ في إشارة الى دور التربية والبيئة الاجتماعية الفاسدة في انحراف الانسان ، مما يقتضى بعث الله الانبياء والمرسلين لهداية البشر واعادتهم الى الصراط المستقيم ((كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ))^٢ . وقد ذكرنا مسبقا في دليل النبوة ان حدود عقل الانسان هي تعجز تكوينيا عن ادراك الغاية والحكمة والمقاصد الإلهية، ومنهاج الرشاد و النظام الاصلح للبشرية لغرض تحقيق الغاية الالهية من خلق البشرية ، فكان مقتضى حكمة الله وعدله ولطفه ان يرسل الانبياء و المرسلين لغرض ووظيفة هي :

١- هداية البشرية الى الاله الحقيقي وهو الله وحده لا شريك له المتصف بجميع صفات الكمال المطلق ، والمنزه عن جميع صفات النقص .

٢- تعليم البشرية منهاج الرشاد والنظام الأقوم .

٣- قيادة حركة التوحيد في صراع الحق مع الباطل .

فليست وظيفة الرسول مقتصرة على تأكيد ما هدت اليه الفطرة والعقل وتصحيح الإنحراف؛ بل الحاجة ضرورية للرسول لتبليغ الدين وقيادة حركة التوحيد.

الملحد – أين وجه الحكمة في ضرورة جعل الدين؟

المؤمن - أوجه سؤالي الى الملحد الربوبي واللا ديني الذي يؤمن بوجود الخالق، ولكنه يزعم أن هذا الخالق أوكله الى نفسه واعتزل التدخل في

^١ - من لا يحضره الفقيه ، الشيخ الصدوق ، رقم الحديث ١٦٦٨ ، ج ٢ ص ٤٩
^٢ - سورة البقرة

شؤونه ، وأنه لم يرسل له رسولا هاديا ولم يجعل له ديناً ، اقول له : اليوم تلاحظ معظم الشركات الرصينة المتطورة عندما تصنع جهازاً معقداً مبتكراً مهماً ثميناً فإنها تضع معه كتلوك التشغيل والصيانة ، كما تتعهد بالصيانة التخصصية عند الخبير التابع للشركة ، وهذا يدل على اصالة تلك الشركة ورسالتها وعلمها وحكمتها ، فكيف يتقبل عقلك ايها الملحد الربوبي و اللاديني أن الله قد خلق الخلق ثم تركه سدى دون دين ورسول أمين ؟

الملحد - أنا الربوبي افترق عن الآلة ، فأنا خلقتي الرب الخالق الصانع بعقل لأعتمد عليه في التمييز بين الخطأ والصواب والضار والنافع والحق والباطل والخير والشر والصلاح والفساد ، وبالتالي فأني لا احتاج الى الدين لأن الله اعطاني العقل .

المؤمن - بالفعل فإنك تختلف عن الآلة بالعقل ولذلك فأني احاورك باعتبارك باعترارك كائناً عاقلاً سليم العقل حسب الفرض ، إن الله اعطاك العقل لتفكر به منطقياً ، وكما اعطاك الله العقل فقد أعطاك الحياة والروح والوعي والارادة والغرائز ، فهل توصل عقل البشر قاطبة منذ وجود النوع البشري الى حد الآن لمعرفة أسرار العقل والحياة والروح والوعي والارادة والغرائز بشكل حتمي نهائي و بموقف موحد؟ طبعاً لا ، فكيف تزعم أن الله خلقك لإدارة نفسك وصيانتها وتوجيهها بواسطة عقلك الذي لم يدرك اسرار تصميمك ؟ إنك اعظم واعقد وأهم وأثمن - بشكل لا يمكن تصوره - من الجهاز الكهربائي الذي يهتم به صانعه ويضع معه كتلوك التشغيل والصيانة . اولئك الفئة من الملاحدة الذين لا يؤمنون بوجود الخالق اصلاً ، والذين تصطف انت معهم في محاربة الدين ، اولئك يقولون نحن عقلاء ايضاً بل أعقل الناس ولم يثبت عندنا وجود الخالق ، فهل ترى بذلك كفاية العقل في معرفة الله وصفاته وغاياته دون الحاجة لنبي ؟ وهل ترى عقلك مصيباً عندما أمرك أن تصطف معهم في محاربة الدين بدل أن ترشدهم الى الإيمان بوجود الخالق الذي تؤمن به ؟ هل رأى عقلك أن خالقك يرضى أن تصطف مع الذين ينكرونه ضد الذين يؤمنون به لكن يختلفون معك في بعض صفاته وغاياته التي لم تعجبك فأمنوا بالنبي والرسالة و انكرتها أنت ؟ عقول الملاحدة اليوم تختلف في ضرر ومنفعة الزنا والمثلية والإجهاض

والمخدرات والخمور والتعري اعتمادا على العقل والعلم والقانون الوضعي ، فهل ترى كفاية العقل والعلم والقانون الوضعي في معرفة ما يصلح الفرد والمجتمع وما يضره ؟ ألا ترى اختلاف الدساتير والقوانين للدول ؟ ألا ترى كيف يتم فيها الإلغاء والتعديل باستمرار ؟ فكيف تزعم كفاية العقل البشري لإدارة نفسه وإدارة الكون ! إن أولئك الفئة من الملاحدة الذين ينكرون وجود الخالق يعتمدون في تشخيص النفع والضرر على معطيات العلوم الطبيعية - حسب دعواهم - فهم لا يؤمنون بما وراء الطبيعة المادية المحسوسة ، وانت ايها الربوبي و اللا ديني تؤمن بوجود الخالق وتؤمن بأن الوجود اوسع من الطبيعة المادية المحسوسة ، وتاريخ البشرية يشهد بقصور العقل وضلاله وشطحاته ، وتاريخ العلم يشهد بقصور العلم وتدرجه ، فكيف عقاك المؤمن بما وراء المادة يقول بكفاية اعتماده على معطيات العلم المادي في إدارة البشرية وقيادتها نحو الغاية التي خلقت لأجلها ؟ قال الله تعالى : ((أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥)))^١ . ما الذي يزعجك في الصلاة والصوم والحج ومكارم الاخلاق ؟ ما الذي يزعجك في يوم القيامة والجنة والنار؟ تريد التحرر من أي التزام شرعي واخلاقي ولا تريد العذاب في جهنم ، إن كان هذا هو السبب الحقيقي لإنكارك النبوة والدين ، أنت بذلك تكون عبدا لهواك واقعا وليس لئله الخالق الذي تزعم أنك تؤمن به ، فلا تخدع نفسك ، إنما الحرية الحقيقية وقمة الحكمة العملية هي العبودية لله والتسليم له .

^١ - سورة المؤمنون

اللقاء الثاني: حوارات حول الإعجاز القرآني

- ما هو الدليل على صحة نبوة الرسول؟

الملحد - ما هو الدليل على صحة دعوى نبوة نبيكم محمد؟

المؤمن - المعجزة القرآنية.

الملحد - وما معنى المعجزة، هل تعني مخالفة العقل وقانون الطبيعة؟

المؤمن - المعجزة، بالمعنى الإصطلاحي، هي الأمر الذي يأتي به مدعي النبوة اثباتاً لدعواه مقروناً بالتحدي، بحيث يعجز البشر عن الاتيان بمثله دون ان يكون مسلطاً على هذا الأمر من الله مالك السماوات والارض القدير الخبير العليم . ولأجل ذلك كانت المعجزة هي برهان صدق الانبياء و اثبات دعواهم النبوة والرسالة من الله تعالى، فكانت معجزة النبي موسى عليه السلام هي تحويل العصا الى ثعبان و كانت معجزة النبي عيسى عليه السلام هي احياء الموتى ، اما معجزة النبي محمد صلى الله عليه واله فهي الاتيان بالقرآن المجيد الذي تحدى ولازال يتحدى البشرية ان يأتوا بمثله الى يوم الدين ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا. تحداهم بكل القرآن، كما قال تعالى: ((قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)))^١. وتحداهم بعشر سور مثله فقال تعالى: ((أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مَن اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٣) قَالِمٌ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٤)))^٢. وتحداهم بسورة من مثله فال تعالى: ((وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا

١ - سورة الأسراء

٢ - سورة هود

وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ
(٢٤)'''^١.

فقد اجتمعت في القرآن الكريم جميع خصال الكمال في اعلى مراتبها من النواحي اللغوية والبلاغية والصوتية والعلمية والتشريعية والإخبار عن الوقائع والحوادث الماضية والحاضرة والمستقبلية، بحيث يستحيل على بشر او غيره سواء أكان النبي محمدا صلى الله عليه وآله أم غيره أن يأتي بمثله، ما لم يكن يملك سلطانا بذلك من الله تعالى القدير العليم الخبير.

- وجوه الإعجاز القرآني

الملحد - أين هذا الإعجاز في القرآن؟ ممكن توضح لنا؟

المؤمن - وجوه الإعجاز القرآني بنحو مختصر كالتالي:

١- الاعجاز البلاغي واللغوي والصوتي

وهو ما يعبر عنه بالإعجاز البياني. فقد عجز العرب الاقحاح في عصر الرسول الأكرم، وهم ارباب البلاغة وأمراء البيان عن الاتيان بمثل القرآن، ومع كونهم يمتازون عن الأمم بثناء لغتهم وذوقهم الأدبي واتقانهم فن تصريف وتحسين الكلام ومطابقتها لمقام الخطاب، فأتوا من ذلك بما يخلب الألباب، ومع عظيم اهتمامهم بالشعر ونقده حتى كانت تقام له المهرجانات وتعطى عليه الجوائز، وقد قالوا إن بعض القصائد التي تسمى ((المعلقات)) لشدة روعتها علقوها على جدار الكعبة وهي أقدس مكان عندهم، ومع تكرار تحدي القرآن لهم أن يأتوا بمثله؛ مع كل ذلك عجزوا عن معارضة القرآن بمثله. فما كان من كفارهم الا المهاترة والمجادلة بالباطل بأساليب متنوعة، منها وصف الاعجاز البياني القرآني بالسحر كما نقل القرآن ذلك عن بعض خبرائهم فقال: ((إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ

^١ - سورة البقرة

هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ (٢٤))^١. ومنها طلب تبديل القرآن: ((وَإِذَا تَنَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّتِ بُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥))^٢.

ومنها اشتراط لائحة من الطلبات المزاجية الاستكبارية غير الجادة بل بقصد السخرية والهزل: ((وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (٩٣))^٣.

لكن القرآن استمر في تحديهم وما زال يتحدى مؤكدا: ((وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨))^٤.

ولما اسقط في ايديهم وانكشف عجزهم وفشلت اساليبهم في الجدل الباطل ورأوا الناس تدخل في دين الله افواجا؛ لم يجدوا سبيلا سوى الالتجاء للعنف بالتعذيب والسجن والحصار الاقتصادي والتشريد ثم الحرب. فأنى لشخص، كما يعرفه كل الناس، ليس بشاعر ولا خطيب ولا كاهن ولا يمارس القراءة والكتابة أن يأتي بهذا الكتاب، لو لم يكن هذا الكتاب من الله تعالى فعلا، فيكون دليلا على صدق النبي في دعواه أنه نبي مرسل من الله تعالى.

٢- الاعجاز العلمي

١ - سورة المدثر

٢ - سورة يونس

٣ - سورة الإسراء

٤ - سورة يونس

الأمر الذي يشهد بالإعجاز العلمي للقرآن هو عدم تقاطعه مع جميع ثوابت العلوم ومع جميع المكتشفات العلمية القطعية، فمهما تطورت المدركات البشرية في معرفة قوانين العلوم ومهما كثرت الكشوفات في جميع العلوم الطبيعية وغير الطبيعة، فانه يستحيل ان تجد تقاطعا وتصادما وتعارضاً بينها وبين القرآن، برغم انه قد اتى به بشر لم يقرأ ويكتب، وفي جزيرة العرب قبل اكثر من ١٤٠٠ سنة، ولم يكن هذا البشر منفرداً من الناحية العلمية، فأنى ذلك ما لم يكن هذا الكتاب فعلاً من الله تعالى، وما لم يكن هذا البشر مسلطاً عليه من الله تعالى، فيثبت بذلك صدق دعواه بأنه نبي مرسل حقاً من الله تعالى.

إن القرآن تحدى وما زال يتحدى العقول البشرية المتخصصة مجتمعة أن تتدبر بعلم وموضوعية وانصاف في القرآن، تحداها أن تجد بنحو القطع أي اضطراب وتعارض في القرآن، وعدم وجدان ذلك كاشف بنحو القطع أن هذا الكتاب من الله تعالى، فيقول الله تعالى: ((أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢)))^١. وقال: ((إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)))^٢.

فلما عجز الكفار من اصحاب التخصصات العلمية عن الطعن العلمي في القرآن، كما يفعل الملاحدة اليوم، ما كان ردهم غير الجدل الباطل والاستكبار والاستهزاء، كما يفعل الملاحدة اليوم، ولكن القرآن استمر في تحديهم وما زال يتحدى فيقول: ((تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤) وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (٦) وَيُلْ لِكُلِّ

١ - سورة النساء

٢ - سورة البقرة

أَفَاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوعًا وَأَوْلَيْنَا لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٩)).^١

فالقرآن وجه خطابات خاصة وتحديا خاصا لذوي العقول والتفكر والمهارات العلمية الخاصة الى يوم القيامة. أما ما يفعله الملاحدة من ضرب فرضيات العلوم بظاهر القرآن، فهذا كاشف عن قصور معرفي ونفسي عندهم، فهم لا يميزون بين الحقيقة العلمية والفرضية العلمية، كما لا يميزون بين نص القرآن وظاهر القرآن.

٣- الاعجاز التشريعي

مما يشهد بالإعجاز التشريعي للقرآن تجاوزه حدود زمان ومكان تسود فيه الامبراطوريات، و الإمارات العرقية والعصبيات القبلية قبل اكثر من ١٤٠٠ سنة، وتجاوزه عصور تطور الفكر الحقوقي البشري بإثبات اصل الكرامة للنوع الانساني فيقول: ((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠)))^٢، وهذا هو ارقى تطور وصل اليه الفكر التشريعي الحقوقي الوضعي البشري بعد عصور طويلة، بعضها سميت عصر الظلام وبعضها سميت عصر النهضة وبعضها سميت عصر التنوير، وبعد مخاض عسير وصراع مرير تم تشريعه عالميا واقراره في الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ١٩٤٨ وجعله في اول ديباجة الإعلان العالمي لحقوق الانسان بهذه الصيغة : ((الديباجة : لما كان الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية الثابتة هو أساس الحرية والعدل والسلام في العالم ...)).

^١ - سورة الجاثية
^٢ - سورة القصص

فأنى لبشر ان يأتي بمثل ذلك في عصر ومجتمع كذلك، لو لم يكن مسلطاً عليه من الله تعالى.

٤- الإعجاز التاريخي

مما يشهد بالإعجاز التاريخي الاخباري للقرآن، اخباره للرسول الاكرم انه سيعود الى مكة بعد حين، مع كون كل الظروف في وقتها تشير الى عكس ذلك، فقال تعالى : ((إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٨٥)))^١، و اخبر المسلمين آنذاك بدخولهم للمسجد الحرام للحج ، في وقت كان يعد ذلك حلماً بعيد المنال، فقال : ((لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (٢٧)))^٢، و اخبر عن انتصار الامبراطورية الرومانية في غضون سنين قليلة، في وقت كانت تعيش فيه اعظم هزيمة لها على يد الامبراطورية الفارسية فقال: ((غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥)))^٣، و اخباره عن حاكمية و تسلط اتباع النبي عيسى بن مريم عليهما السلام على الذين حاربوهم و كفروا بنبوة النبي عيسى الى يوم القيامة فقال : ((إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ إِلَيْنَا الْأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٥٥)))^٤.

٥- الإعجاز المعرفي

١ - سورة القصص
٢ - سورة الفتح
٣ - سورة الروم
٤ - سورة آل عمران

ونقصد به هنا المعارف العقلية الفلسفية والنفسية والتاريخية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية. فقد جاء القرآن بحقائق معرفية في فلسفة الوجود حقيقته وعلته وغايته، وفي حقيقة النفس البشرية وأنماطها وخصالها وخفاياها، وفي حقيقة التاريخ ومراحلها ومحور حركته، وفي السياسة الحكيمة الصالحة، كل ذلك بما صحح وفاق كل المعارف السابقة والمعاصرة له واللاحقة الى يومنا هذا، في الفكر العربي الجاهلي المشترك وفي الهندوسية والفارسية واليونانية وحتى اليهودية والنصرانية الى عصرنا الحاضر، وهي حقائق لأن الفطرة السليمة والعقل السليم والخبرة البشرية والتدبير الموضوعي يثبت صحتها وحقانيتها وواقعيته.

فمن المعارف الوجودية قوله تعالى:

((كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٨)))^١

((سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣)))^٢

((فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢)))^٣

((لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢)))^٤

((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)))^٥

١ - سورة القصص

٢ - سورة الحديد

٣ - سورة الشورى

٤ - سورة الانبياء

٥ - سورة الإخلاص

((إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَنَّ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ^١))

((الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ^٢))

((يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ^٣))

ومن المعارف النفسية قوله تعالى:

((هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ...^٤))

((وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠))^٥)

((وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ^٦))

((كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ (٦) أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْزَى (٧))^٧)

((بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥))^٨.)

ومن المعارف التاريخية والاجتماعية قوله تعالى:

^١ - سورة يونس
^٢ - سورة الملك
^٣ - سورة الأنبياء
^٤ - سورة الأعراف
^٥ - سورة الشمس
^٦ - سورة يوسف
^٧ - سورة العلق
^٨ - سورة القيامة

((كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢١٣) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤)))^١

((وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩)))^٢

((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤)))^٣

((وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢)))^٤
((ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١)))^٥.

ومن المعارف السياسية قوله تعالى:

١ - سورة البقرة
٢ - سورة هود
٣ - سورة الأنعام
٤ - سورة هود
٥ - سورة الروم

((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥) وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦)))^١

((وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا نُوْحًا عَظِيمٌ (٣٥)))^٢

((فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩)))^٣

((وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١)))^٤
((وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٣٤)))^٥

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى إِلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨)))^٦

ومن المعارف الاقتصادية قوله تعالى:

((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦)))^٧

١ - سورة النحل
٢ - سورة فصلت
٣ - سورة آل عمران
٤ - سورة الأنفال
٥ - سورة الإسراء
٦ - سورة المائدة
٧ - سورة الأعراف

((وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١)))^١
 ((وَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ
 الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧)))^٢
 ((وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا
 أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧)))^٣.

الملحد - أثبت لنا أن هذا القرآن الذين بين أيدينا هو نازل بوحي من الله بالخصوص دون غيره؟ فكيف تيقن النبي أن الوحي هو جبريل ونازل بأمر الله ولم يكن جنيا أو شيطانا أو إلها آخر؟ محمد هل عرف جبريل من قبل، هل طلب بطاقة هويته؟؟

المؤمن - القرآن الكريم هو أولا يثبت نفسه بنفسه أنه من الله تعالى وليس من بشر أو جن أو إله آخر، وذلك بتصريحه هو نفسه أنه من الله الواحد الأحد، وبتحديه بوجوه اعجازه اجتماع الجن والإنس أن يأتوا بمثله مع حرية الاستعانة بمن شأؤوا ولو كان إلها وربما مزعوما، ثم بإثبات القرآن لنفسه بنفسه أنه من الله تعالى لا غير بدلالة العجز عن الاتيان بمثله؛ يكون بذلك شاهدا على صدق الرسول الأكرم، الذي أتى به، في دعواه النبوة وتلقي الرسالة من الله تعالى الذي لا إله إلا هو، فيقول: ((وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٣٩)))^٤، ويقول: ((وَمَا تَنْزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (٢١٠) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (٢١١)))^٥، ويقول: ((أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ

١ - سورة الأعراف
 ٢ - سورة الإسراء
 ٣ - سورة القصص
 ٤ - سورة يونس
 ٥ - سورة الشعراء

اللَّهِ لَوْ جَدُّوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢))^١، ويقول: (((فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (٢٩) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣١) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤))^٢.

الملحد – أنت تستدل بالقرآن نفسه على كون القرآن منزل من الله على محمد وليس من أحد آخر.

المؤمن – هذا ليس استدلالا بالقرآن، إنما ألفت نظركم لحقيقة اثبات القرآن نفسه بنفسه إنه من الله الواحد الأحد بتصريحه هو نفسه بذلك مقترنا بالتحدي، وكون ثبوت ذلك يكون شاهدا لصدق دعوى الرسول الرسالة من الله تعالى.

الملحد – ليس بالضرورة أن يكون محمد دجالا كذابا أو ساحرا أو شاعرا أو ناقلا، فربما كان فيه نحو من الجنون أو انفصام الشخصية أو الهلوسة الذهنية، فأحيانا يأتي أصحاب تلك الأمراض ببعض الإبداعات وبمثل هكذا دعاوى.

المؤمن – الجواب:

١- ممكن أن يأتي أصحاب الخلل العقلي والنفسي بدعاوى، ولكنها دعاوى فارغة يضحك عليها العقلاء ولا يأتي مدعيها ببرهان عليها، ودعوى الرسول الأكرم براهينها معها.

٢- الإبداعات النادرة لذوي الخلل العقلي والنفسي إن حصلت فهي تأتي كشطحات وقتية آنية، بينما القرآن الكريم تتابع نزوله طيلة ٢٣ سنة، وقيام الرسول الأكرم بوظائفه النبوية الرسالية دام ٢٣ سنة، ولا يمكن لمختل أن يبدع مدة ٢٣ سنة متواصلة حتى وفاته، وإلا لما صحت تسميته مختلا.

٣- لماذا نسفط بالاحتمالات؟ إن القرآن الكريم هو يثبت نفسه بنفسه أنه من الله تعالى وليس من بشر أو جن أو إله آخر، بتصريحه أنه من الله الواحد

^١ - سورة النساء
^٢ - سورة الطور

الأحد، وبوجوه اعجازه في تحدي اجتماع الجن والإنس أن يأتوا بمثله مع حرية الاستعانة بمن شأؤوا ولو كان إلها وربا مزعوما، ثم بإثباته لنفسه بنفسه أنه من الله تعالى لا غير؛ يكون بذلك شاهدا على صدق الذي أتى به في دعواه النبوة وتلقيه الرسالة من الله تعالى الذي لا إله إلا هو.

٤- سيرة الرسول الأكرم قبل النبوة وبعد النبوة تنفي ذلك، بل تثبت أنه بمنتهى الحكمة والاتزان العقلي والنفسي. بل المعروف عادة هو اختلاف أحوال الإنسان سليم العقل والنفس بمرور الزمن تبعا لنضوجه العقلي وتراكم خبراته، فلو كان القرآن الكريم من إنتاج الرسول الأكرم لظهر ذلك في القرآن، بينما تجد القرآن الكريم في مستوى كمال واحد من مبدئه لمنتهاه، وقد أثبت القرآن هذه الحقيقة وتحدي بها فقال: ((أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢)))^١، فلو كان القرآن الكريم من الرسول الكريم نفسه لكان فيه اختلاف كثير.

٥- القرآن الكريم رد دعوى الجنون والشعر والكهانة والافتراء على الله تعالى بالتحدي فقال: ((فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (٢٩) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣١) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢) أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤)))^٢.

الملحد – وماذا تقول في هذا النص في صحيح البخاري: ((عن عائشة قالت: سحر النبي صلى الله عليه وسلم حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله))^٣.

المؤمن – الجواب:

١ - سورة النساء

٢ - سورة الطور

٣ - صحيح البخاري ، البخاري ، ج ٥ ، باب السحر ، رقم الحديث ٥٤٣٣

١- معظم مصائب المسلمين هي من صحيح البخاري ومن الروايات عن عائشة، ولكنني كما أعلنت وأعلمتكم أول مرة، أنا شيعي إمامي لا آخذ معالم ديني من البخاري ولا من عائشة ونحن براء من السقيفة وخلفاء السقيفة ودين السقيفة. فكل خبر لا يثبت وفق المنهج التحقيقي لمدرسة آل البيت عليهم السلام نضرب به عرض الجدار، وهذا الخبر غير ثابت عندنا سندا ودلالة.

٢- هذا الخبر مستنكر حتى عند المخالفين لنا ولكنهم ألزموا أنفسهم بصحة سند كل أخبار البخاري، ولذلك تجدهم لا يلتزمون بدلالة هذا الخبر على ظاهره.

٣- حتى على فرض صحة الخبر فإنه لا ينفعك في دعواك ابتداء الرسول الأكرم للقرآن الكريم، لأن الخبر يتكلم عن تعرض الرسول الأكرم للسحر في المدينة المنورة ولمدة قصيرة، بينما القرآن الكريم ابتداء نزوله في مكة واستمر نزوله في مكة ١٣ عاما حتى الهجرة الى المدينة المنورة.

الملحد – إن كان القرآن معجزة كما تقول وقد أعجز أهل مكة، فلماذا لم يتمكن النبي من نشر الإسلام في مكة؟ لماذا لم يتمكن من نشره إلا بعد أن ذهب ليثرب حيث الأمية والتخلف ثم نشره من هناك برفقة الصعاليك والسيف؟ أليس هذا دليلا على أن الإسلام لم ينتشر إلا بالسيف وأن القرآن ليس معجزة؟

المؤمن – ليس دليلا بل كومة اشتباهات.

١- القرآن معجزة من جميع النواحي واستحالة أن يأتي البشر بمثله وهو يثبت نفسه بنفسه أنه من لدن الله العليم الحكيم. ولما عجز طغاة مكة أن يأتوا بمثله ورأوا سرعة إيمان أهل مكة بالإسلام؛ جنحوا الى التعتيم والتضييق والتعذيب والحصار والتشريد حتى اضطر المسلمون الى الهجرة الى الحبشة ويثرب. فالرسول الأكرم لم يتمكن من نشر الإسلام على تمام أهل مكة ليس لقصور فيه وفي دعوته وفي القرآن، بل بسبب العنف والقمع الذي مارسه المستكبرون المعاندون من المشركين، فأولئك هم الذين صدوا الناس عن

سبيل الله تعالى، وأولئك الصادون هم الذين اضطر الرسول الأكرم لاستعمال السيف لإزالتهم عن الطريق.

٢- من قال إن الرسول الأكرم لم يتمكن من نشر الإسلام في مكة!! فرغم التعتيم والتضييق والقتل والتعذيب وبرغم الحصار وإعلان المقاطعة في شعب أبي طالب؛ فقد دخل الإسلام الكثير من أهل مكة من قبل الهجرة، وبعضهم من سادة قريش كالحمزة عم النبي، وبعضهم من أبناء زعماء مشركي قريش كحذيفة وهو ابن عتبة بن ربيعة، وكهشام وهو ابن العاص بن وائل، وكفراس وهو ابن النضر بن حارث، ثم هؤلاء المسلمون منهم من هاجر الى الحبشة ومنهم من هاجر الى يثرب ومنهم من بقي في مكة يكتم اسلامه. فإن قلتم إن الرسول الأكرم هاجر غير مضطر الى يثرب ليستغل جهل أهلها، فإن إعلان المشركين مقاطعة بني هاشم وحجر الرسول الأكرم وبني هاشم والمسلمين الأوائل في شعب أبي طالب حقيقة تاريخية، وهجرة طائفة من المسلمين الى الحبشة حقيقة تاريخية، وهاتان الحقيقتان تدحضان زعمكم أن الرسول الأكرم لم يتمكن من نشر الإسلام في مكة لأن القرآن لم يكن معجزة.

٣- لم يكن أهل يثرب أقل شأنًا من أهل مكة من الناحية الثقافية، بل ربما أكثر مدنية وثقافة واطلاعا من أهل مكة بحكم تحالفهم ومخالطتهم لقبائل اليهود في يثرب، مما سهل عليهم تقبل الإسلام والإذعان لمعجزة القرآن، فلو كان القرآن أساطير الأولين كما زعم طغاة مكة فإن أهل يثرب أولى بهذا الزعم لخبرتهم باليهودية، حتى أن بعض أولاد مشركي المدينة تهودوا قبل الإسلام.

٤- الذين حاربوا مع الرسول الأكرم كان معظمهم من مهاجري قريش ومن أهل يثرب المدينة المنورة، وأبرزهم حامل لواء الإسلام علي بن أبي طالب، وأسد الإسلام حمزة بن عبد المطلب عليهم السلام. والقلة من الصعاليك، وهم المتمردون على قبائلهم أو الفقراء المشردون أو الأشقياء المطرودون من قبائلهم سابقا والذين آمنوا بالإسلام لاحقا بعدما عرفوا معجزة قرآنه

ومبادئه السامية وشاهدوا انتشاره وانتصاره؛ فهؤلاء لم يشكوا رقما مهما في جيش الإسلام.

- كيف يكون القرآن تحديا لغير العرب؟

الملحد – القرآن جاء بلسان العرب فهو مختص بالعرب وبالأخص بالعرب في عصره، فكيف يكون معجزة وتحديا لكل البشر؟ فغير العربي وكذلك حتى العربي اليوم لا يكون مشمولاً بالتحدي، والقرآن بالنسبة لهم ليس معجزة لأنه ليس بلسانهم، ولازم ذلك أنه يحق لهم عدم الإيمان بالإسلام، فكيف تزعمون أن الإسلام رسالة عالمية ومعجزته عامة؟ كيف تثبت اعجاز القرآن لغير العربي؟

المؤمن – نعم القرآن معجزة عامة وتحديا عاما لكل البشر، والإسلام رسالة عالمية، والجواب على شبهتكم ما يلي:

١- ما دام العرب الأقحاح الذين نزل القرآن بلسانهم وفي عصرهم قد عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن فمن باب أولى عجز غيرهم. هذا استدلال بالأولوية على عجز غير العربي أو العربي فاسد السليقة اللغوية، فالواجب على غير العربي عقلا أن يذعن لهذه الأولوية ويؤمن بالإسلام، ولا ينفعه التهرب من التحدي بدعوى أنه غير عربي.

٢- غير العربي وكذلك العربي غير المختص يجب عليه الرجوع في ذلك الى العربي المختص. هذا استدلال بما جرت عليه سيرة العقلاء من لزوم رجوع الجاهل في أي شيء الى ذوي الخبرة والاختصاص، فالواجب عقلا على غير العربي وكذلك العربي غير المختص الرجوع الى ذوي الخبرة والاختصاص في علوم اللغة ولا ينفعهم التهرب بذريعة عدم ادراك لغة العرب.

٣- الجواب الأهم هو: إن هذه الشبهة قائمة على فكرة خاطئة هي حصر الإعجاز القرآني في الجانب اللغوي البياني، وهذا الحصر غير صحيح، والكثيرون لا يلتفتون الى خطأ هذه الفكرة. الإعجاز القرآني متعدد الوجوه

فهو اعجاز لغوي علمي تاريخي تشريعي معرفي في ذات الوقت، والقرآن حينما يتحدى فهو يتحدى بكله.

٤- الواقع يجيبكم، بإسلام الناس في العصر الحديث من لغات مختلفة؟ كيف أسلم روجيه غارودي آخر أقطاب الماركسية الفرنسية وكتب كتاب ((الإسلام دين المستقبل))، وكيف أسلم محمد علي كلاي بطل الملاكمة الأمريكي، وكيف أسلم جيفري لانج بروفيسور الرياضيات الأمريكي وكتب كتاب ((رحلة إلى الإسلام في أمريكا)).

- ماذا يعني الاتيان بمثله؟

الملحد - ما دليلك على قرآنك؟

المؤمن - هو يصرح أنه من الله تعالى ويتحدى أن تأتوا بمثله.

الملحد - لا معنى لتحدي الاتيان بمثل القرآن، لأنه لكل شخص متكلم خصوصياته و اساليبه في التعبير التي يختلف بها عن الآخرين، و بالتالي لا يمكن أبدا الاتيان بمثل كلام لشخص اخر الا ان يكون تكرارا لعين الكلام او تقليدا ومحاكاة له ، وان كان المقصود مثله من حيث المستوى البلاغي، فهنا سوف تتدخل العاطفة الدينية في الحكم فتحكم على مثل عبارة ((و الزارعات زرعاً ، فالحاصدات حصدا)) انها كلام بشري مضحك ، بينما تحكم على عبارة القرآن ((والعاديات ضبحا ، فالموريات قدحا)) انها كلام الهي مقدس ، مع كون كليهما كلاما بسيطا .

الجواب:

١- إن الاتيان بمثله لا يعني الاتيان بعينه يعرف ذلك أجهل العرب.

٢- إن الاتيان بمثله لا يعني التقليد والمحاكاة لألفاظه، وهذا الاشتباه في فهم التحدي هو الذي أدى ببعض الملحدين الى الاتيان بتقليد للقرآن بانس مضحك.

٣- إن هذه الشبهة قائمة على فكرة خاطئة هي حصر الإعجاز القرآني في الجانب اللغوي البياني، وهذا الحصر غير صحيح، والكثيرون لا يلتفتون الى خطأ هذه الفكرة. الإعجاز القرآني متعدد الوجوه فهو اعجاز لغوي علمي تاريخي تشريعي معرفي في ذات الوقت، والقرآن حينما يتحدى فهو يتحدى بكله.

٣- إن الاعجاز اللغوي البياني للقرآن يتمثل بالنظم القرآني، اي اساليب التعبير عن الموضوعات، وهذا الامر لا يكون بمقارنة كلمة بأخرى، كقول احد الملحين ((كهنع)) و يريد مقارنتها بلفظ القران ((كهيعص))، او الإتيان بصورة فنية فيها تشبيه أو مجاز أو استعارة أو كناية ويريد مقارنتها بصورة فنية في القرآن الكريم، أو ببتنر عبارة من سورة ثم يريد مقارنتها بعبارة من عنده كما ذكرنا في الشبهة ، حيث بتر عبارة ((والعاديات ضبحا . فالموريات قدحا)) من سياقها وموضوعها وسبب نزولها وغاياتها ليقارنها بعبارته ((و الزارات زرعاً . فالحاصدات حصدا)). فعلا عبارته مضحكة للتكلى و لا تعطي شيئاً مفيداً ولا ذوقاً رفيعاً وهو يزعم تمامها، اما عبارة القرآن فهي مبتورة من سورة العاديات و تمامها :

((بسم الله الرحمن الرحيم))

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَّاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَنْزَلَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٥) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ (١١)).

فهذه السورة تضمنت اوصافا متسلسلة للخيل التي اعتلى صهوتها المجاهدون في سبيل الله، المؤمنون حقا، حتى كأنهم يقدحون بها الصخور ويطيرون بها فوق الأرض، وقد اقسم بها الله مدحا للمجاهدين وتعظيما لعملهم وبيانا لرسوخ ايمانهم، توطئة للتفريق بينهم وبين غيرهم من المتعاسين الذين اغراهم حب الدنيا و راق لهم زبرجها، في اسلوب غاية في الروعة لا يسع المقام التفصيل فيه، وحسبك وزن المقاطع في وصف

الخيول وما فيها من الموسيقى اللفظية المتناسب مع حركة الخيول الموصوفة، فاين الثرى من الثريا !! .

٤- على المتحدي البطل الشجاع ان لا يلوذ بالسفسطة، وان يأتي بمثل القران اي بنفس المستوى البياني للنظم القرآني، ثم يترك الحكم للخبراء المختصين في علوم اللغة.

الملحد - دعونا نتساءل عن معنى تحدي القران بالإتيان بمثله؟

هل من الممكن فعلاً أن يأتي شخص بمثل شيء ما؛ إلا أن يكون مثله؟ ما هو المثل والمماثلة أصلاً؟ إذا طلبتُ من أحدهم أن يأتي لي بمثل هذه العبارة: "الواقفون على الجمر" فإنَّ مثله هو مثله أيضاً: "الواقفون على الجمر" فإذا قال لي: "الواقفون على الحصى" أو "الواقفون على الصخر" فإنَّ هذا ليس بمثله؛ بل هي عبارات أخرى لا علاقة لها بعبارتي الأصلية، ومن الممكن أن تدخل في باب المُجَارة. ومثل ذلك في قوله {ليس كمثله شيء} والحقيقة أنَّ ليس أي شيء مثله شيء أبداً. ولكن لنقل إنَّ المُراد هو الإتيان بمثله في البلاغة، وهنا سوف تتدخل العاطفة الدينية في تحديد ما إذا كان النص الجديد مماًثلاً للنص الأصلي في القداسة أم لا، وهو الذي يجعل المُسلم يضحك أو يستخف كلاً ما مثل: "والزارعات زرعاً. والحاصدات حصداً" ولا يضحك أو يستخف: {والعاديات ضبحاً. فالموريات قدحا} فما الفارق النوعي أو البلاغي بين الاثنين؟ الحقيقة؛ أنَّه لا فارق على الإطلاق، وإنَّما الفارق بينهما فقط في القداسة، فالمُسلم ينظر إلى الثانية على اعتبار أنَّها كلام الله؛ وبالتالي فهي كلام بليغ ومُعجز حتى وإن لم يكن كذلك، والأول كلام بشري؛ وبالتالي فهو كلام سخيف ومُضحك، حتى وإن لم يكن كذلك، والواقع أنَّ كلاهما كلام بسيط وساذج، ولكن الأول لا يتمتع بقداسة والثاني يتمتع بها.

هل فهمت ام اكرر؟

المؤمن – وأنت لماذا لا تفهم كلامي؟ قلنا لك إن الإعجاز القرآني لا ينحصر في الجانب اللغوي البياني. وقلنا لك إنه حتى وجه الإعجاز اللغوي البياني

لا يعني مقارنة لفظ بلفظ ولا صورة فنية بصورة فنية ولا عبارة بعبارة، فالإعجاز البياني للقرآن ليس في الألفاظ والمجاز والعبارات المقطعة بل في النظم القرآني، أي أساليب التعبير عن الموضوعات بحسب غاية المتكلم ومقام الخطاب.

افرح فأنا معك في كون عبارة ((والعاديات ضبحا، فالموريات قدحا)) في حد نفسها وبقطع النظر عن موضوعها وسياقها وغاياتها ومقام الخطاب؛ ليس فيها أعجاز بياني، وهذا يسقط ذريعتك بأننا نحتكم الى العاطفة الدينية والتقدیس الأعمى للقرآن عندما نقول بالإعجاز القرآني فنقول بإعجاز كل لفظ في حد نفسه في القرآن. فيا حبيبي افهم إن القرآن لا يتحدى باللفظ في حد نفسه ولا بالمعنى المفرد في حد نفسه ولا بفن من فنون علم البيان في البلاغة من التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية في حد نفسه ولا في العبارة المبتورة في حد نفسها، فإن الألفاظ والمعاني المفردة والمجازات والعبارات على قارعة الطريق مبدولة لكل عربي أو مستعرب، وإنما الإعجاز البياني القرآني هو في النظم القرآني، أي في أساليب التعبير عن الموضوعات بحسب غايات المتكلم ومقام الخطاب ، فالقرآن الكريم نزل بلغة العرب بألفاظها وفنونها وبفصاحتها وبلاغتها، ولكنه فاق في نظمها وأسلوب استعمالها كل عربي بل كل عبقرى أديب متخصص في نظم وأسلوب استعمال اللغة العربية، واليوم بتقدم علوم اللغة في الصوت والدلالة يزداد الإعجاز البياني للقرآن الكريم انكشافا.

أنت تقول إنك أتيتني بمثله فأثيت بعبارة ((والزارعات زرعا، فالحاصدات حصدا)) وتريدني لا أضحك!! عرفنا إنك تقسم بالزارعات وتتبعه بالقسم بالحاصدات، ثم ماذا؟؟ من هن الزارعات والحاصدات؟ ما سبب اتباع القسم بالزارعات بالقسم بالحاصدات؟ ما الغاية أصلا من القسم بالزارعات والحاصدات؟ ما الصفة التي استحققت الزارعات والحاصدات القسم بهن؟ ما الموضوع الخطير الذي استحق لأجله أن تقسم بالزارعات والحاصدات؟ أين جواب القسم فالكلام ناقص والدلالة منتفية؟ أما عبارة ((والعاديات ضبحا، فالموريات قدحا)) فهي مبتورة من سياقها في السورة، وأنا باستطاعتي أن أجيب عن كل هذه الأسئلة بملاحظة سياق السورة وأسباب نزولها وغاية

المتكلم ومقام الخطاب. وأنا حتى أكون منصفاً معك أقترح أن تذهب بعبارتك وعبارة القرآن لأي متخصص في علوم اللغة حتى وإن كان غير عربي ليحكم بينهما وأنا أقبل بحكمه، لكن بشرط أن تخبره أن عبارة ((والعاديات ضبحاً، فالموريات قدحا)) هي مبتورة من سورة العاديات في القرآن الكريم. الملحد – أنا أقصد ما أتى به مسيلمة مدعي النبوة من السور فهي لا تختلف عن سور قرآن محمد.

المؤمن – تقصد الهذيان المنسوب الى مسيلمة الكذاب مدعي النبوة في زمن الرسول الأكرم. هذا الكذاب مثلكم لم يفهم معنى الاتيان بمثله، فأتى بمضحكات الثكلى. فقد عارض فيما حكي عنه سورة العاديات فقال: ((والمُبذرات زرعاً، والحاصدات حصداً، والذاريات قمحاً، والطاحنات طحناً، والعاجنات عجنأً، والخابزات خبزاً، والثارذات ثرداً، واللاقمات لقماً، إهالة وسمناً، لقد فضلتم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر، ريفكم فامنعوه، والمعتر فأووه، والباغي فناوئوه. والزارعات زرعاً، فالحاصدات حصداً، فالطاحنات طحناً، والخابزات خبزاً، والأكلات أكلاً، فاللاقمات لقماً، إهالة وسمناً، لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض، ولكن قريشا قوم لا يعدلون.)).

وعارض سورة الكوثر فقال: ((إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْجَمَاهِرَ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَهَاجِرْ، وَلَا تُطِعْ كُلَّ سَاحِرٍ وَكَافِرٍ. إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْجَوَاهِرَ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَهَاجِرْ، إِنَّ مُبْغِضَكَ رَجُلٌ كَافِرٌ.)).

وعارض سورة الفيل فقال: ((الْفَيْلُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْفَيْلُ، لَهُ زُلُومٌ طَوِيلٌ، إِنَّ ذَلِكَ مِنْ خَلْقِ رَبِّنَا الْجَلِيلِ. الْفَيْلُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْفَيْلُ، لَهُ دَنْبٌ وَبَيْلٌ، وَخُرْطُومٌ طَوِيلٌ.)).

هذا هذيان أحقق، اذهبوا به الى كل متخصص في علوم اللغة وسيخبركم بذلك إن كنت به حقا تعجبون وتتحدون.

الملحد – دعك منهم، فأنا ملحد وأشهد بأن هذه ترهات لفقها المسلمون للسخرية من المدعي مسيلمة.

المؤمن – انظروا كيف تهافت الملاحدة، وهذا دليل تخبطهم وعجزهم عن الطعن في ألوهية القرآن الكريم. بالنسبة لي لا أستبعد صدور هذا الهذيان من مسيلمة الكذاب، فكل من كذب الرسول الأكرم منذ زمن الرسول الأكرم الى اليوم وحاول أن يأتي بمثل القرآن او بكتاب يزعم أنه من الله تعالى؛ فهو لم يأت إلا بما يشبه هذا الهذيان المنسوب الى مسيلمة.

الملحد – وما هو قولك في جواب التحدي هذا: ((بسم العقل العظيم والمنطق السليم

حمشص (١) لكم في كل وقت حصاد (٢) ودروس يستقيها العاقل من الماضي وعلى ضوءها يسير (٣) وما ذلك على الإنسان بعسير (٤) وهو الذي تعلم السباحة والملاحة وجعل الحديد يطير (٥) ولتذكروا ما حدث للديناصورات (٦) ألم تكن أكبر الكائنات (٧) ثم أصبحت نسيا منسيا فلم تذكر لا في قرآن ولا في أناجيل ولا في توراة (٨) فهل كان ربكم يخلق وينسى أم كان مختل القدرات (٩) يهوى الحديث عن الذباب والبعوض وينسى أضخم المخلوقات (١٠) أم أن كتبكم كذب وخرافات (١١) وكل آلهتكم أساطير وهلوسات (١٢) وما للكون من خالق وإلا لكان أظهر نفسه للكائنات (١٣) أيعقل أنه يهوى الإختباء ويطلب أن يؤمن به أم أنكم تتوهمون (١٤) فإنزعوا الصداً عن عقولكم وإستعملوها لعلمكم تتجحون (١٥) فتصنعون جنتكم على الأرض وبما فيها تنعمون (١٦) لكم فيها كل ما تشتهون (١٧) ولكم أحلام لو عملتم لحققتموها فلا تكونوا مغفلين (١٨) إنما الحياة واحدة فلا تضيعوها في الخرافة فعيشوها كما لو كنتم خالدين (١٩) وغدا يكون لأبنائكم كل هذا فلا تجعلوهم عليكم ينقمون (٢٠) لكم كل ما في السماء والأرض فلا تضيعوه بإسم الوهم فيصبح أحفادكم خاسرين (٢١) وقولوا لا إله إلا العقل به نعيش وفيه حياة السابقين واللاحقين (٢٢) لا إله إلا العقل عليه نتوكل وبه نستعين (٢٣)

صدق العقل العظيم))؟

المؤمن – الفقرات الثمانية الأولى كلام فصيح يحث على التفكير والتدبر وأخذ الدروس والعبر من التاريخ، لكنه كلام بسيط جدا يستطيع تأليف مثله

بل أفضل منه كل واعظ فصيح، بل بالفعل قيل ما هو أفضل منه. ثم انتحر الكاتب في الهذيان بعد ذلك، بما يدل على قصوره في فهم القرآن وبما يكذبه العقل الذي يؤلهه. شتان بينه وبين ما ذكرناه في وجوه الإعجاز القرآني. أين هذا من موعظة النبي إبراهيم عليه السلام حيث اشتملت على معارف عقائدية وأخلاقية وتاريخية واجتماعية واقتصادية يصدقها العقل ويثبتها الواقع وعلى اخبار ومعارف بيولوجية وجغرافية وكونية يشهد العلم بصحتها وكل هذا بأسلوب غاية في الروعة في قطعة قصيرة عميقة المحتوى كثيفة الدلالات، قال تعالى: ((وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْنَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧) وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٨) أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢١) وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٢٢) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣)))^١.

الملحد – طبعا أنت تنحاز لقرآنك.

المؤمن – بل هذا بيان يدركه سليم العقل. اذهبوا بالقطعتين الى لجنة أكاديمية موضوعية من خبراء اللغة والتاريخ والمجتمع والأديان والفلسفة والكونيات من غير المسلمين وانظروا ماذا سيقولون. اذهبوا الى البروفيسور نعوم جومسكي اليهودي الأمريكي الملحد، فهو اليوم أشهر عالم لغات وصاحب النظرية التوليدية في النحو، ومع كونه ملحدا لا دينيا فهو مناهض لتيار الملاحدة المناهض للإسلام، أو اذهبوا الى البريطانية الملحدة كارن ارسترونك فهي خبيرة أديان وتاريخ، ومع كونها ملحدة لا دينية فهي أيضا مناهضة لتيار الملاحدة المناهض للأديان.

^١ - سورة العنكبوت

الملحد - باختصار وبشكل محدد قل لي ماذا يعني ((مثله))؟

المؤمن - يعني مثله من حيث جميع وجوه اعجازه، يعني مثله من حيث عدم تقاطعه مطلقا مع ثوابت العلوم الحسية ومن حيث مطابقة أخباره التاريخية كلها للواقع، ومن حيث تجاوز تشريعاته لزمانها ومكانها، ومن حيث الحقائق المعرفية الفلسفية والنفسية والتاريخية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ومن حيث أن يكون بيان كل ذلك وفق أعلى مستويات البلاغة بحسب لسان العرب.

الملحد - مستحيل في حد ذاته، ليس لأن القرآن وحي من الله، بل لأن لكل كاتب خصوصياته التعبيرية فلا يوجد نظم يشبه نظما ولا يوجد إخبار يشبه إخبارا ولا حقيقة معرفية تشبه حقيقة، إلا أن يكون تكرارا أو تقليدا ومجاراة.

المؤمن - نعم لكل كاتب خصوصياته التعبيرية، فليأت بكتاب وفق هذه الوجوه والضوابط، فنحن لم نشترط أن يأتي بعين ما في القرآن الكريم أو يقلده وإنما يأتي بكتاب وفق هذه الضوابط وله أن يستعين بمن يشاء. الأمر ليس صعبا على الإدراك، مثال بسيط تقريبي من الواقع ما تقوم به المؤسسات من تنظيم مسابقة شعرية، فإنها تعلن عن المسابقة وتحدد الضوابط العامة للقصيدة، فيقوم الشعراء بتنظيم قصائدهم وفق هذه الضوابط فتكون أي قصيدة مشاركة هي مثل غيرها من القصائد المشاركات في المسابقة بالنسبة للضوابط العامة، ثم تقوم اللجنة التحكيمية المختصة بالمفاضلة بين هذه القصائد فتحكم بأن واحدة منهن هي أفضل قصائد المسابقة. فهذا الشاعر الفائز قد تحدى بقية الشعراء وهم قد عجزوا أن يأتوا بقصيدة مثل قصيدته في روعتها أو أفضل منها. كذلك فإن معلقة امرئ القيس كمعلقة طرفة بن العبد من حيث المقومات الفنية والموضوعية مثلا، ولكن معلقة امرئ القيس أفضل، فهذا معنى المثل والامتياز. وأكرر فإن الإعجاز القرآني لا ينحصر في الجانب اللغوي البياني بل يشمل كل وجوه الإعجاز التي ذكرناها، والقرآن تحدى بكله.

الملحد - مستحيل في حد ذاته.

المؤمن – ما هو المستحيل في حد ذاته؟ شخص توصل الى علاج سرطان مثلا ويتحدى بقية العلماء أن ينتجوا علاجا مثل علاجه أي لعلاج السرطان أو أفضل في العلاج من علاجه. شخص تسلق جبل افرست بدراجة هوائية في يوم واحد مثلا ويتحدى أن يتسلق أحد مثل تسلقه هذا أو أفضل منه. ما هو المستحيل في ذاته في هذا التحدي! إنه أمر ممكن في حد ذاته ولو لم يكن ممكنا في حد ذاته لما أتى به المتحدي، فمن لم يأت بمثله فبسبب العجز وليس لأنه مستحيل في حد ذاته. وكذلك القرآن الكريم هو ليس مستحيلا في ذاته بل هو ممكن في ذاته، لكنه مستحيل عادة فهو فوق مستوى امكان المخلوقين مجتمعين فكيف تزعمون أن كاتبه بشر في جزيرة العرب في ذلك العصر قبل اكثر من ١٤٠٠ سنة !! إنه يستحيل عادة أن يأتي به بشر لو لم يكن مسلطا عليه من الله تعالى.

الملحد – يعني صانع علاج السرطان والمتسلق أنبياء!!

المؤمن – هذا منطق السفسطة الذي لا منطق عندكم غيره. التحدي والعجز لا يستلزم النبوة مطلقا، فكل تحد هو بحسب دعوى المتحدي. صانع علاج السرطان ادعى أنه أفضل عالم وتحدي وبعجز غيره عن الإتيان بعلاج للسرطان يثبت صدق دعواه، والمتسلق ادعى أنه أفضل متسلق في العالم وتحدي وبعجز غيره يثبت صدق دعواه، والرسول الأكرم ادعى أنه رسول من الله تعالى وتحدي وبعجز غيره يثبت صدق دعواه الرسالة، فالمعجزة تثبت صدق دعوى المتحدي، وليس كل متحد يدعي النبوة.

الملحد – وهل تستطيع أنت أن تصنع جهاز آيفون أو تأتي بقصيدة كقصيدة امرئ القيس؟

المؤمن – صانع الآيفون لم يتحد ومع ذلك فأنا أقر بعجزني عن صنع آيفون، وكذلك امرؤ القيس لم يتحد ومع ذلك فأنا أقر بعجزني عن الإتيان بقصيدة مثل قصيدته. وكل من صانع الآيفون وامرئ القيس لم يدعي النبوة، فحتى لو تحديا وحتى لو عجزنا عن الإتيان بما أتيا فقصارى القول هو أنه هذا أفضل صانع جهاز اتصال وهذا أفضل شاعر، وقد بينا أن ليس كل تحد وعجز يستلزم النبوة.

الملحد – من كل عقلك أن العرب أصحاب القوائد المعلقة يعجزون عن الإتيان بمثل القرآن؟

المؤمن – نعم بكل بساطة وهذا هو الواقع، ولعلمكم فأنا متخصص في علوم اللغة العربية ودارس للشعر الجاهلي عموما وللقوائد المعلقة خصوصا، وكنت حافظا للملقات السبع بل العشر على طولهن وصعوبة ألفاظهن مع شرحهن، ولكن شتان بين القوائد المعلقة وبين القرآن الكريم من الناحية الفنية ومن الناحية الموضوعية، بل شتان بينها وبين خطب أمير المؤمنين علي عليه السلام المجموعة في نهج البلاغة.

الملحد – بالفعل فخطب نهج البلاغة أفضل من القرآن.

المؤمن – كلام الأمير أمير الكلام، وعلي هو سيد البلغاء والحكماء، وهو عدل القرآن وترجمان القرآن، الناطق عنه قولا وعملا فكيف يكون كلامه أفضل من القرآن!! كيف وهو نفسه يهتدي بالقرآن ويهدي إليه فيقول: ((واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب. وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى، أو نقصان في عمى. واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنى فاستشفوه من أدوائكم واستعينوا به على لأوائكم، فإن فيه شفاء من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغى والضلال. فاسألوا الله به، وتوجهوا إليه بحبه، ولا تسألوا به خلقه إنه ما توجه العباد إلى الله بمثله. واعلموا أنه شافع مشفع، وقائل مصدق. وأنه من شفع له القرآن يوم القيامة شفع فيه، ومن محل به القرآن يوم القيامة صدق عليه، فإنه ينادي مناد يوم القيامة: " ألا إن كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القرآن " فكونوا من حرثته وأتباعه واستدلوه على ربكم، و استنصحوه على أنفسكم، واتهموا عليه آراءكم، واستغشوا فيه أهواءكم. العمل العمل، ثم النهاية النهاية. والاستقامة الاستقامة، ثم الصبر

الصبر، والورع الورع. إن لكم نهاية فانتهاوا إلى نهايتكم. وإن لكم علما فاهتدوا بعلمكم. وإن للإسلام غاية فانتهاوا إلى غايته^١.

السلام عليك يا أمير المؤمنين وإمام المتقين والوصي الحق للرسول الصادق الأمين.

الملحد – نصف القرآن مسروق من المعلقات.

المؤمن – يا سلام! اتحداك تثبت أن خمس القرآن وليس النصف مسروق من المعلقات.

الملحد – تفضل هذه:

دنت الساعة وانشق القمر*** عن غزال صاد قلبي ونفر

أحورٌ قد جرتُ في أوصافه*** ناعس الطرف بعينيه حورٌ

مرّ يوم العيد بي في زينة*** فرماني فتعاطى فعقر

بسهامٍ من لحاظٍ فاتك*** فرّ عني كهشيم المحتظر

وإذا ما غاب عني ساعة*** كانت الساعة أدهى وأمر

المؤمن – هل أنت جاد!! أنتم تريدون اصطیاد الغافلين فأخطأتم العنوان. أنا حافظ ودارس المعلقات العشر. هذه الأبيات لا يوجد منها بيت واحد في القصائد المعلقات الجاهلية.

الملحد – طيب صحيح، لكنها للشاعر الجاهلي امرئ القيس، والقرآن سرقها في سورة القمر.

المؤمن – وليست هذه الأبيات للشاعر امرئ القيس الجاهلي أبدا، بل وليست من الشعر الجاهلي أصلا.

١ - نهج البلاغة ، جمع السيد الشريف الرضي ، شرح الشيخ محمد عبده ، ج ٣ الخطبة رقم ١٧٥

١- نتحداك أن تثبت مصدر الأبيات وتصحيح نسبتها للعصر الجاهلي
عموماً، وللشاعر امرئ القيس خصوصاً.

٢- إن هذه الأبيات غير موجودة في جميع كتب اللغة والأدب المتقدمة على
كثرتها.

٣- هذه الأبيات ليست موجودة في الديوان المجموع للشاعر امرئ القيس
رغم اختلاف نسخه وطبعاته.

٤- اقتراب الساعة في سورة القمر يعني اقتراب يوم القيامة، لكن الجاهلي
لا يؤمن بيوم القيامة، وإن كان قصده اقتراب ساعة لقاء الحبيب فما دخل
انشقاق القمر بالموضوع!! ماذا يعني انشقاق القمر عن الحبيب؟ ثم إنه قال
أولاً أن الغزال اصطاد قلبه ونفر وهرب، فكيف يقول ثانياً أنه رماه ولم ينفر
بل تعاطاه فعقره كالبعير، ثم يرجع ثالثاً ليقول إنه رماه بالسهم وفر، فأين
التعاطي والعقر!! كما أن صورة أن يتعاطاه فيعقره كالبعير بشعة في مقام
الغزل، إلى غير ذلك من الأخطاء الفنية والموضوعية. يعني ه أبيات لم
يدبرها هذا الشاعر الضعيف فكيف تنسبونها للشعر الجاهلي وللشاعر امرئ
القيس خصوصاً.

٥- من له اطلاع على الشعر الجاهلي وله ذوق في الشعر يجزم أن هذه
الأبيات ليست للشاعر امرئ القيس ولا تنتمي للعصر الجاهلي أصلاً، بل
هي أقرب إلى روح الشعر الأندلسي، وقد قصد الشاعر الضعيف المغمور
بها اقتباس بعض عبارات سورة القمر، واقتباس الشعراء عبارات من القرآن
يحصل كثيراً، على أن الشاعر لم يكن موفقاً في الاقتباس، فالأقتباسات غير
منسجمة مع غيرها من العبارات.

٦- أين الأبيات المنسوبة هذه من معلقة امرئ القيس:

فَإِنَّا نَبِيكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزَلٍ ... بِسِقْطِ اللَّوِيِّ بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ

فَنُوضِحَ فَالْمِقْرَاةِ لَمْ يَغْفُ رَسْمُهَا ... لَمَّا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ

تَرَى بَعَرَ الأَرْآمِ فِي عَرَصَاتِهَا ... وَقِيَعَانَهَا كَأَنَّهُ حَبٌّ فُلْفُلٍ

كأني غداة البين يومَ تحمّلوا ... لدى سمراتِ الحيِّ ناقفُ حنظلِ
وُوقفاً بها صحبي عليّ مطيَّهمُ ... يقولونَ لا تهلكُ أسيّ وتجمَلِ
وإنَّ شِفائي عبْرَةُ مُهْرَاقَةٌ ... فهل عندَ رَسِمِ دارِسٍ مِن مُعَوَّلِ
كدأبِكَ من أمِّ الحُوَيْرِثِ قبلها ... وجارَتِها أم الرِّبابِ بِمَاسَلِ
إذا قامتا تَضَوَّعَ المِسْكُ مِنْهُمَا ... نسيمَ الصِّبَا جاءتِ برِيا القَرَنفَلِ
ففاضتُ دُمُوعُ العَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً ... عَلَى النُّحْرِ حَتَّى بَلَ دَمْعِي مِحْمَلِي^(١)
وأين معلقة امرئ القيس هذه من القرآن الكريم!

الملحد – طبعاً لا تثبتونها في مصدر متقدم وتحذفونها من شعر امرئ القيس لأنها تكشف سرقات القرآن.

المؤمن – طيب، ما دمت انت تعجز عن الإثبات السندي والتاريخي واللغوي لنسبة هذه الأبيات للشاعر امرئ القيس أو على الأقل للعصر الجاهلي عموماً؛ فكيف تثبت دعواك سرقة القرآن من الشعر الجاهلي؟ ثم تتهمنا بأننا تعمدنا إخفاءها، ما هو الدليل؟ هل وجدتتها أنت في لوح طيني أو في لفائف تحقق كتابتها في العصر الجاهلي أو على الأقل في القرون الهجرية الثلاثة الأولى من الإسلام، كما هو الحال في اسفار ابوكريفا اليهودية واناجيل ابوكريفا النصرانية؟

هذه الأبيات لم تذكر ولم تنسب إلا في بعض كتب المتأخرين، ككتاب فيض القدير للمناوي، من مصادر المخالفين، الذي أشار إليها مع غيرها ونسبها للجاهلي امرئ القيس، وذلك في سياق شرحه هذا الحديث النبوي الذي جزموا بضعفه: ((امْرُؤُ الْقَيْسِ قَائِدُ الشُّعْرَاءِ إِلَى النَّارِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَحْكَمَ قَوَائِمَهَا)). فقال المناوي في تعريف امرئ القيس: (((امرؤ القيس) بن حجر بضم الحاء بن الحارث الكندي الشاعر الجاهلي المشهور وهو أول من قصد القصائد... وقد تكلم امرؤ القيس بالقرآن قبل أن ينزل. فقال:

(١) شرح المعلقات السبع ، الزوزني ، معلقة امرئ القيس

يتمنى المرء في الصيف الشتاء. . . حتى إذا جاء الشتاء أنكره

فهو لا يرضى بحال واحد. . . قتل الإنسان ما أكفره

وقال:

اقتربت الساعة وانشق القمر. . . من غزال صاد قلبي ونفر

وقال:

إذا زلزلت الأرض زلزالها. . . وأخرجت الأرض أثقالها

تقوم الأنام على رسلها. . . ليوم الحساب ترى حالها

يحاسبها ملك عادل. . . فإما عليها وإما لها))^١.

والمناوي متأخر جداً، توفي ١٠٣١ هجرية، أي في القرن الحادي عشر للهجرة أي يبعد أكثر من ألف سنة عن العصر الجاهلي، وتصادف وفاته ١٦٢١ ميلادية، أي في القرن السابع عشر للميلاد، والمناوي مسلم ولم يجد غضاضة في نسبة هذا الشعر للجاهلي امرئ القيس، على أن هذه النسبة واضحة البطلان سندا ولغة وتاريخا، أما بطلانها سندا فلم تذكر هذه الأبيات في مصدر متقدم ولا بسند ضعيف، وأما لغويا فليست هذه لغة شعر العصر الجاهلي، وتاريخيا فإن امرأ القيس كان مشركا وثنيا لا يعتقد بيوم القيامة. فدعواكم ليست سوى هرطقة ادعاها النصارى وأنتم تلقفتموها منهم، وهي مجرد دعوى عارية عن كل دليل كدعواهم التثليث.

الملحد - كيف تثبت اعجاز القرآن لغير العربي؟

فالقرآن يدعي انه معجز ببلاغته وفصاحته ولكن عندما نترجم القرآن للغة الانكليزية نجد أن بعض الاعمال الادبية كمسرحيات شكسبير هي أفضل منه. فكيف تثبت لغير العربي نبوة محمد وصحة القرآن؟

المؤمن - الجواب:

^١ - فيض القدير شرح الجامع الصغير ، المناوي ، ج ٢ ص ١٨٦

١- أكرر: إن هذه الشبهة قائمة على فكرة خاطئة هي حصر الإعجاز القرآني في الجانب اللغوي البياني، وهذا الحصر غير صحيح، والكثيرون لا يلتفتون الى خطأ هذه الفكرة. الإعجاز القرآني متعدد الوجوه فهو اعجاز لغوي علمي تاريخي تشريعي معرفي في ذات الوقت، والقرآن حينما يتحدى فهو يتحدى بكله.

فأين ترى شكسبير من ثريا القرآن!!

٢- بالتأكيد إن الترجمة للقرآن تفقده الكثير من اعجازه البياني وذلك لخصوصية اللغة العربية التي جاء القرآن بها، بل حتى الكثير من اعجازه الفكري، لأن المترجم لم يقصد سوى نقل معاني القرآن بحسب ادراكه للغتين، فالترجمة عمل بشري بينما القرآن العربي وحي إلهي. ولكن ذلك لم يمنع الناس من مختلف اللغات من الإذعان بألوهية القرآن والإيمان بالإسلام، فهناك سمات عامة مشتركة بين اللغات، والمعارف القرآنية العقلية تخاطب العقول والمعارف القرآنية الروحية تخاطب القلوب، والواقع خير دليل على ذلك بدخول الناس في عصرنا الحاضر في الإسلام أفواجا من لغات مختلفة.

الملحد - طيب لو افترضنا أن القران هو أبلغ كتاب باللغة العربية هل بالضرورة ان يكون كتابا اعجازيا بالنسبة لغير العرب؟

الان لو اتيتك بكتاب يعتبر أبلغ كتاب باللغة الصينية او البرتغالية هل يعتبر هذا الكتاب اعجازيا واتى بوحي من الله؟

المؤمن - الجواب:

١- إن هذه الشبهة قائمة على فكرة خاطئة هي حصر الإعجاز القرآني في الجانب اللغوي البلاغي البياني، وهذا الحصر غير صحيح، والكثيرون لا يلتفتون الى خطأ هذه الفكرة. الإعجاز القرآني متعدد الوجوه فهو اعجاز لغوي علمي تاريخي تشريعي معرفي في ذات الوقت، والقرآن حينما يتحدى فهو يتحدى بكله.

٢- القرآن ليس ككل كتاب، فهو نفسه يصرح بأنه من الله الواحد الأحد ويتحدى البشر كافة الإتيان بمثله، ولازم العجز عن الإتيان بمثله صدق دعواه وتصديق دعوى من أتى به أنه رسول الله تعالى للبشر كافة.

٣- ابحت على النت عن قصة اسلام صموئيل القس الأمريكي الذي جاء الى جدة ضمن لجنة لترجمة القرآن الى اللغة الإنكليزية، وهو يقول إنه لم يكن مترجما لأنه لا يجيد اللغة العربية ولكن كان دوره في اللجنة هو التأكد من مطابقة الترجمة الإنكليزية لقواعد اللغة الإنكليزية، فهاله ما عرف من الحق فأسلم وصار اسمه ((سامي)). وابحت على النت كيف أسلم البروفيسور البريطاني آرثر أليسون، رئيس قسم الهندسة الكهربائية والإلكترونية بجامعة لندن، الذي كان باحثا في العلم الباراسايكولوجي، فهاله ما عرف من الحقائق النفسية في القرآن الكريم ولم يكن يجيد اللغة العربية. ابحت عن هذين في النت فهما يشرحان قصة اسلامهما بنفسيهما بلغتهما، ومثلهما الكثير، فهؤلاء ليسوا عربا ولكنهم أدركوا الإعجاز القرآني.

الملحد - وهاك هذا مثل القرآن من حديث البشر:

((تثاءب المساء والغيوم ماتزال /تسح ما تسح من دموعها الثقال /كأن طفلا بات يهذي قبل أن ينام /بأن أمه التي أفاق منذ عام /فلم يجدها /وثم حين لج في السؤال قالوا له ستعود /لا بد أن تعود /

وأن تهامس الصحاب بأنها هناك بجانب التل تنام نومة اللحد /تسف من ترابها وتشرب المطر))

المؤمن - هذا الكلام كما قال صاحبه ((كأن طفلا بات يهذي قبل أن ينام)) أي هو كهذيان طفل لا يستحق ردا.

الملحد - طبعا أنت تنحاز لقرآنك.

المؤمن - يا عزيزي خذوا مضحكات ثكلاكم لأي خبير منصف. خذه لنعوم جومسكي ليضحك عليه كثيرا، هل تريدون انصافا أكثر من ذلك!

الملحد - وهذا البيت أجمل من القرآن:

وأمرت لؤلؤا من نرجس وسقت - وردا وعضت على العناب بالبرد

المؤمن - أجمل من أي ناحية؟ لأنه يتغزل بجمال فتاة؟ طبعاً لأنكم لا يروق لكم سوى اللهو. أما من الناحية الفنية فهو زحام استعارات، ثم ماذا؟ القرآن مليء بالاستعارات، فأين هذا من استعارة الجناح في قوله تعالى: ((وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤)))^١.

أنتم الى حد الآن لم تفهموا معنى الاتيان بمثله، وسأكرر:

مثله يعني مثله من حيث جميع وجوه اعجازه، يعني مثله من حيث عدم تقاطعه مطلقاً مع ثوابت العلوم الحسية ومن حيث مطابقة أخباره التاريخية كلها للواقع، ومن حيث تجاوز تشريعاته لزمانها ومكانها، ومن حيث الحقائق المعرفية الفلسفية والنفسية والتاريخية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ومن حيث أن يكون بيان كل ذلك وفق أعلى مستويات البلاغة بحسب لسان العرب.

هاتوا لنا حديثاً مثله. قال تعالى: ((فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (٢٩) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣١) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤)))^٢.

الملحد - لماذا القرآن تحدى الجن وغير العرب؟

^١ - سورة الإسراء
^٢ - سورة الطور

١- تحدى الله الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فقال: ((قُلْ لئن اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)))^١. فمن يعلم هل أتى الجن بمثله أم لا؟

٢- لماذا يتحدى الجن والأمر معني به الانس فقط؟

٣- ولماذا يتحدى غير العرب ممن لا يتكلمون اللغة العربية وهم عاجزون؟

٤- ماذا يعني هذا إلا أن محمدا كان يكتب القرآن دون معرفته لعواقب ما بعد الكتابة بهذا الشكل؟

المؤمن – الجواب:

١- من يعلم هل أتى الجن بمثله أم لا؟ الجواب: القرآن تحدى الجن والإنس مجتمعين متظاهرين، فلو كان الجن قد أتى بمثل القرآن فيقينا سيصلك خبرهم بواسطة اخوانهم من شياطين الأنس، فإنهم يوحى بعضهم لبعض زخرف القول، قال تعالى: ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ عُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢)))^٢، وقال تعالى: ((وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)))^٣.

ومن زخرف القول كلامك هذا، ومن زخرف القول المحاولات الفاشلة المضحكة للثكلى التي أتى بها البعض محاكاة للقرآن.

٢- لماذا يتحدى الجن والأمر معني به الانس فقط؟ الجواب: من قال إن القرآن معني به الانس فقط؟ قال تعالى: ((تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١)))^٤، ((يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَافِرِينَ (١٣٠)))^٥،

١ - سورة الإسراء

٢ - سورة الأنعام

٣ - سورة الأنعام

٤ - سورة الفرقان

٥ - سورة الأنعام

((وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ((٣٢)))^١.

٣- ولماذا يتحدى غير العرب ممن لا يتكلمون اللغة العربية وهم عاجزون؟
الجواب: لأنهم مشمولون بلزوم اتباع الرسالة الخاتمة، فيقر غير العربي بعجزه مستدلا على حقانية النبوة بعجز اقحاح العرب عن الإتيان بمثل القرآن، وإن شاء المحاولة فإن الله جعل الساحة مفتوحة انصافا له، فليتعلم اللغة العربية ويأتي بمثله، والكلام نفسه يجري على العربي اليوم الذي لا يفقه حتى لغة الجرائد ويأتي ليجادل بالباطل.

٤- ماذا يعني هذا إلا أن محمدا كان يكتب القرآن دون معرفته لعواقب ما بعد الكتابة بهذا الشكل؟ الجواب: ما هي العواقب؟ أن يأتي شخص يجادل بالباطل ليدحض به الحق وهو عاجز عن الإتيان بمثل القرآن، فتلك عاقبة السوء للذين كفروا والله الحجة البالغة.

- عروبة القرآن

الملحد - هل القرآن عربي مبين؟!

هناك نصوص قرآنية عديدة تؤكد أن القرآن بلسان عربي مبين، منها:

[سورة يوسف ١٢: ٢] "إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون"

[سورة طه ٢٠: ١١٣] "وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا"

[سورة الزمر ٣٩: ٢٨] "قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون"

^١ - سورة الأحقاف

[سورة فصلت ٤١ : ٣] "كتاب فصلت آياته، قرآنا عربيا لقوم يعلمون"
[سورة الشورى ٤٢ : ٧] "وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى
ومن حولها"

[سورة الزخرف ٤٣ : ٣] "إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون"

ولكن تعالوا نرى مصداقية هذه الآيات واليكم التالي:

١- الطور سريانية "الجبل" البقرة ٢: ٦٣ وغيرها " وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا
فَوْقَكُمْ الطُّورَ "

٢- الرقيم رومية "اللوحي" الكهف ١٨ : ٩ " أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ
وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا "

٣- الاستبرق فارسية "الحرير الغليظ" الدخان ٤٤ : ٥٣ " يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ
وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ "

٤- السندس هندية "الرقيق من الستر" الدخان ٤٤ : ٥٣ " يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ
وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ "

٥- أباريق فارسية "أواني" الواقعة ٥٦ : ١٨

٦- إنجيل يونانية "بشارة" آل عمران ٣ : ٤٨

٧- تابوت قبطية "صندوق" البقرة ٢ : ٢٤٧

٨- زنجبيل بهلوية "نبات" الإنسان ٧٦ : ١٧

هذا دليل على أن القرآن ليس عربيا مبينا كما يزعم، وأن كاتب القرآن
كان يقتبس من مصادر وأقوال وأفكار الشعوب والأديان أصحاب تلك
اللغات.

المؤمن – الجواب:

١- هذه الشبهة قديمة اخذها الملاحدة، كمعظم شبهاتهم، من بعض النصارى واليهود الذين استغلوا وجود بعض الكلمات في القرآن غير عربية بالأصل والوضع ليزعموا أن الرسول الأكرم قام بتأليف القرآن اعتماداً على كتبهم. ولكي يحكم النصارى واليهود كذبتهم فقد بالغوا ونسبوا الكثير من الكلمات وهي عربية الأصل والوضع نسبوها الى غير اللغة العربية، والملاحدة اخذوا هذه الشبهة كما هي مع أن هذا الكلام لا يقول به اليوم من له أدنى اطلاع على علم اللغة العام ومدى سعة وعمق هذا العلم والصعوبات التي تواجه الباحثين فيه وتحول دون الخروج بنتائج مؤكدة. وليس وجود ألفاظ غير عربية بحسب الأصل والوضع في كلام العرب وفي القرآن الكريم مسألة جديدة من اكتشاف الملاحدة أو النصارى أو المستشرقين، فقد فطن لها علماء اللغة العربية قديماً ونصوا عليها ولهم فيها آراء ومصنفات، فقد خصص ابن دريد باباً في كتابه (جمهرة اللغة) لذلك، كما خصص ابن قتيبة باباً في كتابه (أدب الكاتب) للحديث عن الدخيل في اللغة العربية. وأهم كتب خصصت لهذا الشأن هو كتاب (المعرب من كلام العرب) للعالم اللغوي الكبير أبي منصور الجواليقي، وكذلك كتاب (المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب) لجلال الدين السيوطي.

٢- الدراسات الحديثة في علم اللغة اتفقت على أن اللغة العربية هي واحدة من مجموعة لغات أطلق المستشرقون عليها اسم اللغات السامية، والتي تشمل العربية والعبرية والآرامية والسريانية والحبشية والآشورية والنبطية وغيرهن. وما دامت هذه اللغات السامية مشتقة من بعضها البعض فمن الطبيعي أن تتشارك في الكثير من الألفاظ. ولم يتأكد علمياً معرفة اللغة السامية الأم كما لم يتم علمياً معرفة اللغة الأقدم من بين اللغات السامية. وبالتالي فإن مسألة وجود ألفاظ مشتركة أو متشابهة بين اللغات السامية لا يقدر في عروبة اللغة العربية كما لا يقدر في عروبة القرآن الكريم.

يقول المؤرخ جواد علي: ((اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، وهي التي يقال لها: اللغة العربية الفصحى، وكذلك سائر لهجات العرب الأخرى، هي فروع من مجموعة لغات عرفت عند المستشرقين بـ "اللغات السامية". وقد أطلع بعض المستشرقين بدرس هذه اللغات، فألفوا فيها كتباً وأبحاثاً، وأنشأوا

مجلات عدة تفرغت لها، وما زالوا يسعون في توسيعها وتنظيمها وتبويبها، وقد عرفت دراساتهم هذه عندهم بالساميات "Senitistik".

وهي تتناول بالدرس كل اللغات التي يحشرها علماء الساميات في مجموعة اللغات السامية: تتناولها بغض النظر عن وجود اللغة أو عدمه في هذا اليوم، فالبحث علم، والعلوم تبتغي المعرفة دون قيد بزمان أو مكان.

وينفق علماء الساميات مجهودًا كبيرًا في المقارنة بين اللغات السامية وفي معرفة مميزات كل لغة، وما بينها وبين اللغات الأخرى من فروق أو تطابق أو تشابه، ومجال بحثهم في تقدم وتوسع، خاصة بعد أن أخذ هؤلاء العلماء بأساليب البحث الحديثة التي تعتمد على الفحوص والاختبارات والملاحظات والنقد.

وقد جاءت نظرية "اللغات السامية" من التسمية التي أطلقها "شلوتسر" "Schlo.er" على العبرانيين والفينيقيين، والعرب والشعوب المذكورة في التوراة على أنها من نسل "سام بن نوح" ... والقراءة بين اللغات السامية واضحة وضوحًا بيّنًا، وهي أوضح وأمتن وأوثق من الروابط التي تربط بين فروع طائفة اللغات المسماة باللغات الهندوأوروبية "Indoeurpaichen Sprachen" أو الهندوجرمانية "Indogermanischen Spraden" على حد تعبير بعض العلماء. وقد أدرك مستشرقو القرن السابع عشر بسهولة الوشائج التي تربط بروابط متينة ما بين اللغات السامية، وأشاروا إليها، ونوهوا بصلة القربى التي تجمع شملها. بل لقد سبقهم إلى ذلك علماء عاشوا قبلهم بمئات السنين هداهم ذكاؤهم وعلمهم إلى اكتشاف تلك الوشائج وإلى التنويه بها... وبما أن من غير الممكن التعرف على اللغة السامية الأم، لأن الكتابة لم تكن معروفة في ذلك العهد، فكّر المستشرقون في دراسة أقرب اللغات السامية إلى الأصل، فذهب بعضهم إلى أن العبرانية هي أكثر تلك اللغات شبهًا بالسامية الأولى، وهي لذلك أقرب بنات سام إليها. وذهب آخرون إلى تقديم لغة بني إرم على غيرها جاعلين إياها البنت الأولى التي اجتمعت فيها الخصائص السامية الأصلية أكثر من اجتماعها في أية لغة أخرى، ولهذا استحقت في رأيهم هذا التكريم والتقديم.

وذهب آخرون إلى تقديم العربية على سائر اللغات الأخرى، لمحافظتها أكثر من بقية اللغات السامية على الخصائص السامية الأولى وعدم تنصلها منها وتركها لها. كالذي نراه من استعمالها للمقاطع القصيرة الصامتة ومن كثرة تعدد قواعدها التي زالت من قواعد بقية اللغات. غير أن هذه الامتيازات والحصانات التي تتمتع بها هذه اللغة، يقابلها من جهة أخرى مميزات في العربية لا نجدها في اللهجات السامية الباقية، مما يبعث على الظن أنها طرأت عليها فيما بعد، وأن اللغة العربية قد مرت بأدوار تطورت فيها كثيرًا، والتطور هذا معناه ابتعاد هذه اللغة عن الأصل. ثم إننا نجد في العبرانية وفي لغة بني إرم قطعاً من الكلام قديماً جداً لا نجد له مثيلاً في العربية، وهذا مما يدعو إلى حساب اللغتين المذكورتين أقدم عهداً من اللغة العربية. غير أننا لا نستطيع مع كل ذلك أن ننكر أن معرفتنا وإحاطتنا باللغة العربية لا تكاد تدانيها معرفتنا وإحاطتنا ببقية اللغات السامية. ومن هنا صارت اللغة العربية بلهجاتها المتعددة حقلاً مهماً لإجراء التجارب والاختبارات في ميدان مقارنات اللغات السامية ودراستها، فيه من الإمكانيات والقابليات ما لا نجده في بقية الحقول.

وقد ذهب "نولدكه" إلى أن من الضروري في دراسة مقارنات اللغات السامية البدء باللغة العربية، وذلك بأن نأخذ في تسجيل خصائصها ومميزاتها وقواعدها وكيفية النطق بألفاظها وما إلى ذلك، ثم نقارن ما سجلناه بما يقابله في بقية اللغات السامية، لنقف بذلك على ما بين هذه اللغات من مفارقات ومطابقات. ولا بأس في رأيه من الاستعانة باللهجات الحالية أيضاً، لأنها مادة مساعدة جداً ومفيدة كثيراً في الكشف عن خصائص اللغات السامية وعن مميزاتها وتطورها في مختلف العصور. وفي رأيه أن دراسة من هذا النحو ليست بالأمر اليسير، فإنها تتطلب جلدًا وعلماً وإحاطة باللغات السامية كلها وبآثارها القديمة، وأن يقوم بها علماء لغويون متخصصون، على جانب كبير من العلم والذكاء والإحاطة بالساميات.

وليس بين اللغات السامية لغة واحدة تستطيع أن تدعي أنها سامية صافية نقية، وأنها لم تتأثر قط باللغات الأخرى التي تنتمي إلى مجموعات لغوية غير سامية، وقضية صفاء لغة ما من لغات العالم وخلوها من الألفاظ

والكلمات الغريبة، قضية لا يمكن أن يقولها رجل له إلمام بعلوم اللغات ولو يسيرًا جدًا. وإذا كانت اللغات السامية قد تأثرت باللغات الأخرى بسبب اختلاط الشعوب واتصال ألسنتها بعضها ببعض نتيجة ذلك الاختلاط، فإن الطبيعي أن تكون اللغات السامية قد أثرت بعضها في بعض، ولهذا نجد في كل لغة من اللغات السامية ألفاظاً أخذتها من لغة ما من لغات أبناء سام.

وخير ما يمكن أن نفعله الآن في موضوع اللغة السامية وأقرب اللغات السامية إليها، هو أن نقوم باستخلاص القديم المشترك من كل اللغات السامية، ثم نكون من هذا المجتمع لغة نعدّها أقرب اللغات السامية صورة إلى اللغة السامية الأولى)).^١.

٣- بقطع النظر عن مسألة وحدة أصل اللغات السامية واشتراكها، فإن الأصل في أسماء الأعلام حينما يراد ذكرها أن تحكى بلفظها عينه وإلا فبلفظ قريب منه، وهكذا فعل القرآن الكريم عند ذكره الأعلام غير العربية كأسماء الأشخاص والمدن والكتب مثل: إبراهيم وإسرائيل ومصر وبابل والتوراة والانجيل. فوجود أسماء أعلام غير عربية لا يقدر في عروبة القرآن الكريم.

٤- بقطع النظر عن مسألة اشتراك اللغات السامية ومسألة حكاية أسماء الأعلام، فإن العرب لم يكونوا أمة منعزلة بل كانوا من قبل الإسلام بكثير في اتصال وتداخل مع الشعوب الأخرى كالبابلية واليونانية والرومية والبيزنطية والكنعانية والعبرانية والحبشية والفارسية والسريانية وغيرهن، وكان هذا الاتصال والتداخل يتخذ اشكالا متعددة، تجارية وسياسية وحرية وصناعية، فمن الطبيعي أن يحصل تداخل وتلاقح لغوي بين اللغة العربية ولغات تلك الشعوب، ومن الطبيعي أن تدخل اللغة العربية أسماء الأشياء التي لم يكن يعرفها العرب وخاصة فيما يتعلق بالزراعة والأطعمة والأشربة والأقمشة. فكلمات مثل ابريق وسندس وإستبرق وزنجبيل، لم يقدّم القرآن الكريم باستيرادها من اللغات الأخرى، بل إن العرب أنفسهم من قبل الإسلام قد تعلموها وعدلوا فيها بما يتوافق مع لسانهم ثم استعملوها ودرج عليها

^١ - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي، ج ١٦، الفصل الخامس والثلاثون بعد المئة: اللغات السامية، ص ١٥٩-١٦٣

لسانهم فصارت ألفاظا عربية بالاستعمال كبقية الفاظهم التي هي عربية بالوضع. فأصحاب شبهة وجود ألفاظ غير عربية في القرآن لم يفرقوا بين العربي بالوضع والعربي بالاستعمال، وقد فطن علماء لغة العرب منذ بداية تدوين اللغة الى وجود هذه الألفاظ في لغة العرب قبل نزول القرآن، واصطلحوا اسم ((المعرب)) على الألفاظ العربية بالاستعمال، وهذا مجرد اصطلاح لتمييزها عن الألفاظ العربية بالوضع، لكن بالنتيجة كلاهما عربي لأن المناط في نسبة الكلمة الى لغة قوم هو دورانها على ألسنة أولئك القوم، وقدم استعمالهم لها حتى يُنسى أصلها، واكتسابها خصائص تلك اللغة بأن يقوم القوم بتعديلها وتصريفها وفق أصوات وأوزان لغتهم التي هي من وضعهم. وعملية النقل والتعديل عند العرب تسمى ((التعريب)). قال عالم اللغة الجوهري (المتوفى ٣٩٣ هجرية): ((وتعريب الاسم الأعجمي: أن تتفوه به العربُ على منهاجها)).^١

فالنقل والتعريب عملية معروفة عند العرب من قبل الإسلام، ومعروفة عند علماء اللغة العربية المسلمين، ولذلك لم يرَ العرب من المشركين والمسلمين المعاصرين لنزول القرآن الكريم في وجود بعض الكلمات المعربة في القرآن نقضا لعروبة القرآن أو منافاة لتصريح القرآن أنه لسان عربي مبين، كما لم يجد علماء اللغة العربية من المسلمين غضاضة في اشارتهم وتدوينهم للكلمات المعربة في القرآن الكريم، كما لم يعتبر عرب الجاهلية ورود كلمات معربة في الشعر الجاهلي مطعنا في عروبة وفصاحة الشعر الجاهلي، فقد وقع ذلك في معلقة امرئ القيس:

مُهْفَهْفَةٌ بِيضَاءٍ غَيْرُ مَفَاضَةٍ - تَرَائِبُهَا مَصْفُوءَةٌ كَالسَّجْنَجَلِ

السجنجل: المرأة، لغة رومية عربتها العرب.

قال المؤرخ جواد علي: ((الاختلاط بين الأمم، بمختلف وسائله، ومن ذلك الاتصال التجاري، يؤدي إلى حدوث تفاعل في اللغة، فقد يولد هذا الاحتكاك ألفاظاً جديدة يطلقونها على أشياء لم يكن لأهل تلك اللغة علم بها، وقد يضطر

^١ - الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري ، مادة (عرب)

أصحابها إلى استعمال المسميات الجديدة كما هي، أو بشيء من التبديل والتغيير ليناسب النطق بتلك اللغة. وقد وقع ما أقوله في كل اللغات، ويقع الآن أيضاً، وسيقع في المستقبل إلى ما شاء الله، لا استثناء في ذلك، ولا تفاضل، ولا امتياز. فاللغات كلها، ومنها اللغة العربية في جاهليتها وإسلاميتها، تخضع لهذا الحكم والقانون.

وليس الأخذ والعطاء دليلاً على وجود نقص في لغة ما، أو وجود ضعف في تفكير المتكلمين بها. فكل اللغات مهما بلغت من النمو والكمال والسعة، لا بد لها من أن تأخذ وأن تطور مدلول مفرداتها أو تضع مفردات جديدة لأمر لم تكن معروفة وموجودة عندها. ولا نعرف لغة ما من اللغات الميتة أو الحية، انفردت بنفسها انفراداً تاماً، فلم تأخذ شيئاً ولم تعط شيئاً.

والعربية بجميع لهجاتها وألسنتها مثل اللغات الأخرى، وفي جملتها اللغات السامية أخذت وأعطت، قبل الإسلام وبعد الإسلام، ولا تزال تأخذ وتعطي ما دام أصحاب اللسان العربي باقين في هذا الكون. والأخذ والعطاء ووضع مفردات جديدة في لغة ما، هما من دلائل الحيوية ومن أمارات القوة والتكامل في تلك اللغة. ومن دلائل هذا الأخذ والعطاء، ما حدث في العصور الإسلامية: من أخذ وعطاء بين العربية واللغات الأعجمية، فطعمت العربية الفارسية والتركية والرومية وغيرها بمادة غزيرة من الكلمات، كما أخذت هي حاجتها منها. ومن دلائله أيضاً ما يقع اليوم من وضع المصطلحات لمعاني لا عهد للعربية بها من قبل كمخترعات تظهر دوماً ومعاني علمية ليس للعلماء عهد بها، ولا بد من وضع ما يقابلها في العربية، بوضع لفظ عربي، أو تعريب المصطلح وتكييفه وفق النطق العربي إن كان من غير الممكن إخضاعه للمفردات العربية.^١

الملحد - لأن المؤلفين للقرآن ما كانوا يعرفون انها كلمات غير عربية.

^١ - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي، ج ١٦، الفصل الحادي والأربعون بعد المئة: المعربات، ص ٣٢٨

المؤمن - يعني الرسول الأكرم ما كان عربيا وليس واحد ممن عاصره كان عربيا، كلهم كانوا اغريقيين مثلا، فلم يفطن الرسول ولم يفطنوا أن هذا لسان غير عربي، حتى قمتم أنتم باكتشافه!! كلام غير منطقي

الملحد - إن تكرار اشارة القرآن لعروبتة يكشف سرا هو إنه ليس عربيا بل منقولا، وإلا لماذا دائما يؤكد على عروبتة؟

المؤمن - بل هذا التكرار هو تعجيز، وهو تفضيح للعرب من المشركين الاقحاح الذين عجزوا أن يأتوا بمثله. وإن كان منقولا عن غير العربية فالمفروض ان النقل يكون للمعاني أي للمضامين ثم صاغها وعبر عنها الرسول الأكرم بلسانه العربي، إلا أن هذا الفرض غير صحيح، لأن العرب يعلمون أن مضامين القرآن فوق إمكانات العرب والعجم، وأن لغة القرآن فوق الإمكانيات اللغوية للرسول الأكرم، بل للعرب قاطبة، فالقرآن معجز بلغته ومضامينه.

الملحد - قريش كانوا يعرفون إن محمدا يفترى وكان يتلقن من ورقة بن نوفل ابن عم خديجة الذي كان نصرانيا، ومن بلعام النصراني الرومي صانع السيوف في مكة، ومن سلمان الفارسي.

المؤمن - الجواب:

١- زعماء مشركي قريش يفترون، وتبعهم اليهود والنصارى على ذلك، وأنتم تبع لهؤلاء. هذه حيلة العاجز، فبعد أن عجزوا عن الإتيان بمثله ما كان لهم سوى هذه الدعوى غير العقلانية، دعوى تلقي القرآن من بشر، ثم احتاروا وتخبطوا في اختيار من يعصبون القضية برأسه فلا بد أن يكون مثقفا غير وثني.

٢- أما كونها دعوى غير عقلانية، فلأن الرسول الأكرم لبث في قريش عمرا ولم يكن معروفا بالافتراء على الناس، فكيف يفترى على الله تعالى الذي يؤمن به كل المشركين. ولأن الرسول الأكرم لم يكن له تواصل وعلاقات طويلة الأمد مع غير المشركين، ولأنه كان نادر السفر خارج مكة، ولأنه لم يكن يمارس القراءة والكتابة، ولأنه لم يكن يجيد غير لغة العرب، ولأنه لم

يكن يمارس الشعر أو الخطابة أو الكهانة، ولأن محتوى القرآن الكريم فوق إمكانيات العرب والعجم في ذلك العصر والى الأبد، ولأن القرآن الكريم قد نزل متفرقا على مدى ٢٣ سنة في مكة والمدينة وكان متفاعلا مع متطلبات كافة الحوادث والمسائل والظروف المستجدة، وهو في كل ذلك في مستوى بياني واحد ولا ينقض محتواه بعضه بعضا، فلو كان من غير الله تعالى لوجدوا فيه اختلافا كبيرا، أي لو كان بعضه من تلقين بشر في مكة وبعضه من تلقين بشر في المدينة وبعضه من تلقين بشر في الشام وغيرهم، وبعضه من تلقين عربي وبعضه من تلقين رومي وبعضه من تلقين فارسي وغيرهم، وبعضه من تلقين نصارى وبعضه من تلقين يهود وبعضه من تلقين مجوس وغيرهم؛ لو كان كل ذلك لوجدوا فيه اختلافا عظيما في المحتوى والبيان.

٣- أما ورقة بن نوفل ابن عم السيد خديجة الذي قيل إنه من علماء الأديان، وكان من المبشرين بنبوة الرسول الأكرم اعتمادا على أخبار أهل الكتاب، فإن صح وجود هذه الشخصية فإن المروي المعروف أنه قد توفي في أول بعثة الرسول الأكرم، وإنما نزل القرآن من بعد وفاته متتابعا على مدى ٢٣ سنة، فمتى حصل التلقين! وأما العبد المملوك الرومي النصراني في مكة الذي احتاروا في اسمه ووصفه وعمله، فقيل إن اسمه بلغام أو بلعام أو جبر أو يسار أو عائش أو مقيس؛ فما قدر ما يحسنه من كتاب دينه وهو عبد مملوك نصراني قيل إنه كان يصنع السيوف، منقطع في مكة بين العرب المشركين عن وطنه وأهله وعلماء دينه؟ فضلا عن أن يكون محيطا بمحتوى القرآن الكريم الذي أعجز علماء كل الأديان بل كل البشر سابقا ولاحقا! هذا مع العلم إن القرآن نزل ١٣ سنة قبل الهجرة و ١٠ سنوات بعد الهجرة فلم يختص نزوله بمكة. وأما سلمان الفارسي المحمدي رضوان الله عليه، فالمعروف أنه لم يلتق بالرسول الأكرم إلا في المدينة المنورة بعد الهجرة ببضعة سنين، وقد ذكرنا أن القرآن نزل ١٣ سنة في مكة. وإن قيل إن القرآن هو مجموع تلقين عدة رجال، كما زعم ذلك بعض المستشرقين، عندما أبوا غطرسة وتعصبا واستكبار الإذعان بكون القرآن الكريم تنزيلا من رب العالمين، لكنهم أقروا باستحالة أن يكون القرآن من تأليف رجل واحد من عامة البشر، فذهبوا الى فرض كونه من تأليف عدة أشخاص علماء خبراء،

إلا أن القرآن الكريم نفسه يرد هذا الفرض كما رده على أسلافهم، فبرهن على بطلانه بقوله تعالى: ((أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ أَلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢)))^١ وهذا من اعجاز القرآن الكريم، أي إن هذه الفرضية هي زعم من لا تدبر له في القرآن الكريم، فلو كان القرآن بعضه من تلقين بشر في مكة وبعضه من تلقين بشر في المدينة وبعضه من تلقين بشر في الشام وغيرهم، وبعضه من تلقين عربي وبعضه من تلقين رومي وبعضه من تلقين فارسي وغيرهم، وبعضه من تلقين نصارى وبعضه من تلقين يهود وبعضه من تلقين مجوس وغيرهم؛ لو كان كل ذلك فاللازم أن يجدوا فيه اختلافا عظيما في المحتوى والبيان تبعا لتعدد المؤلفين له وألسنتهم وأديانهم وبيئاتهم وثقافتهم، واللازم هذا باطل، حيث لا يوجد فيه هذا الاختلاف العظيم، فالملزوم وهو فرض كون القرآن من تأليف عدة أشخاص، باطل مثله.

٤- إن القرآن الكريم انطلقا من قوة البرهان وحقانية الدعوة وواقع كونه إنما نزل بعلم الله؛ قد كان شفافا ومنصفا مع الخصوم، فقد نص على زعم أعداء الإسلام أن القرآن من تلقين بعض العجم، أي غير العرب، فرد هذا الزعم ببرهان قاطع لكل ذي عقل فقال تعالى: ((وَلَقَدْ نَعَلْمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (١٠٣)))^٢. أي إن الشخص الذي تميلون اليه وتعذلون بالقرآن اليه هو شخص أعجمي ولغته أعجمية وقد لا يجيد من لغة العرب إلا مقدار ما يسير به شؤونه الضرورية، وهذا القرآن هو بلسان عربي صريح على أعلى مستويات الفصاحة والبلاغة، فكيف يعقل أن يكون هذا القرآن من تلقين ذلك الأعجمي! وفرض كون الرسول الأكرم تعلم محتوى القرآن من ذلك الأعجمي ثم تولى صياغته بلسانه هو فرض غير صحيح، لأن العرب يعلمون أن مضامين القرآن فوق إمكانات العرب والعجم جميعا، كما أن لغة القرآن فوق الإمكانات اللغوية للرسول الأكرم بل للعرب قاطبة، لكن مشركي

١ - سورة النساء
٢ - سورة النحل

العرب بسبب عجزهم واستكبارهم لم يجدوا مهربا سوى تعصيب القرآن برأس شخص مجهول، وكذلك يفعل بعض المستشرقين والملاحدة.

- دعوى تحريف القرآن

الملحد – أنا ملحد من نوع خاص أو لا ديني من نوع خاص، فأنا أو من بالله والرسول واليوم الآخر، ولا أنكر أصل نبوة النبي محمد ولا أنكر أصل نزول القرآن من الله، لكنني أعتقد بتحريف القرآن والسنة النبوية بدليل وجود الكلمات الأعجمية في القرآن، فهذا دليل على وقوع التحريف في القرآن في مرحلة التدوين، حيث تم تدوين القرآن بأيدي غير عربية، ولهذا أنا أنكر هذا القرآن الموجود وهذه السنة.

المؤمن – وكيف تتعبد الله؟ يعني من أين تأخذ منظومتك العقائدية والأخلاقية والتشريعية؟

الملحد – أنا ابراهيمي على ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين.

المؤمن – وهل أنت تعرف ملة إبراهيم تفصيلا بنحو القطع واليقين؟ أي المنظومة العقائدية والأخلاقية والتشريعية للنبي إبراهيم عليه السلام؟

الملحد – لا، لا أعرفها تحقيقا وتفصيلا، لأنني أعتقد أن كل الأديان والكتب والشرائع قد تحرفت وضاعت اصولها؟

المؤمن – فكيف تقول إنك تتعبد الله على دين إبراهيم عليه السلام؟

الملحد – اكتفي بالإيمان بالله والنبوة واليوم الآخر وأعمل صالحا.

المؤمن – وما هو ميزانك في تشخيص الصالح من الطالح؟

الملحد – العقل الذي وهبه الله للإنسان.

المؤمن – أي عقل؟ العقل الذي يحكم بحسن داعش أم الذي يحكم بقبحه؟ العقل الذي يحكم بقبح التستر للمرأة أم الذي يحكم بحسنه؟ العقل الذي يحكم

بقبح الإجهاض أم الذي يحكم بحسنه؟ العقل الذي يحكم بحسن عقوبة الإعدام
أم الذي يحكم بقبحها؟

الملحد - كل واحد وعقله، يحاسبه الله عليه.

المؤمن - أحسنت، يعني كل واحد ودينه من راسه وهو نبي نفسه، فعلى أي
أساس تزعم أنك على ملة إبراهيم وجئت تتشدد بمقولة ((الديانة
الإبراهيمية)) التي لا تعرف خلفياتها الإلحادية الصهيونية؟

الملحد - الله يحاسب الإنسان على قدر عقله.

المؤمن - هذا صحيح، وهو بمعنى أن الله تعالى يحاسب الإنسان بحسب
مستوى ادراكه وعلمه بخطاب الله له، أي بحسب علمه برسالة الله تعالى
واستيعابه للمنظومة الإلهية العقائدية الأخلاقية التشريعية. وليس بمعنى أن
يكل الله الإنسان لنفسه ويبيح له أن يكون نبي نفسه ويجعل لنفسه ديناً خاصاً
به من راسه. أنت بهذا الفهم المغلوط قد أسأت الظن بحكمة الله تعالى من
خلق البشر كما أسأت الظن بقدرة الله وعدله، فما كان الله تعالى ليخلق البشر
دون أن يبين لهم مقاصده، وما كان الله تعالى ليعجز عن إيصال رسالته،
وما كان الله تعالى ليحاسب قوماً حتى يبين لهم ما يتقون.

الملحد - لكن أنا معذور، لأن الأديان والشرائع والكتب كلها تحرفت، فيجب
طرحها ولا طريق سوى هداية العقل.

المؤمن - أنت تؤمن بالله والنبوة واليوم الآخر، وتؤمن أن الله تعالى أرسل
الرسول الأكرم بالهدى ودين الحق بمنظومة عقائدية أخلاقية تشريعية، وأنه
تعالى كلف البشر بهذه المنظومة وأنه سيحاسبهم عليها في الآخرة، ولكنك
تزعم بوقوع التحريف في هذه المنظومة، أليس كذلك؟

الملحد - نعم.

المؤمن - ما دمت تعلم وتؤمن بذلك، فالواجب عقلاً هو العمل بالاحتياط في
دائرة هذه المنظومة. أي إن كل ما كان في هذه المنظومة تحتمل أنه واجب
مطلوب فيجب أن تحتاط وتأتي به، وكل ما كان في هذه المنظومة تحتمل

أنه محرم مبعوض فيجب أن تحتاط بتركه. هذا هو حكم العقل الذي يؤمن ويعلم بوجود رسالة الله تعالى لكنه يعتقد بوقوع تحريف فيها، أما أن تترك رسالة الله تعالى جملة وتفصيلا وتجعل نفسك نبيا لنفسك وتستخرج دينك من راسك فهذا سفاهة وسوء ظن بالله تعالى. ثم إننا لا نسلم أصلا بتحريف القرآن الكريم، وإنما كان جوابنا هذا تنزلا.

الملحد – القرآن وقع فيه التحريف في التدوين والنسخ.

المؤمن – هذه دعوى دون تحقيق.

الملحد – وجود الكلمات الأعجمية في القرآن وهو كتاب عربي دليل على وقوع التحريف في مرحلة التدوين والنسخ بعد وفاة الرسول.

المؤمن – عربية المفردات تشمل ما كان عربيا بالوضع وما كان عربيا بالاستعمال، وقد تكلمنا مفصلا في رد هذه الشبهة سابقا، وهنا نزيد بأن القرآن كان مدونا في زمن الرسول الأكرم، كما كان المسلمون يحفظون القرآن ويتوارثون حفظه جيلا بعد جيل، فهو كتابهم الأقدس، وقد شاعت قدرة العرب على الحفظ والقراءة والكتابة منذ زمن الرسول الأكرم وازدادت شيئا بعد وفاته، فلو أن هذه المفردات أعجمية الأصل دخلت نسخ القرآن بعد وفاة الرسول الأكرم لأكتشف المسلمون القراء الحافظون دسها.

الملحد – كذلك في القرآن الموجود ما لا يوافق العقل والأخلاق.

المؤمن – تقصد ما لم يوافق سوء فهمك ومزاجك. هذه سنتكلم عنها مفصلا في حوارات قادمة مستقلة. ثم ماذا؟

الملحد - يذكر في التراث الشيعي والسني عند رواة الحديث أن القرآن محرف؟

المؤمن – يعني أنت تستدل بأخبار الأحاد وهي ظنية الصدور على تحريف القرآن، الذي هو قطعي الصدور عن الرسول الأكرم بتواتر نقله عنه جيلا بعد جيل، ما هذا الاستدلال المنكوس! يا عزيزي تلك أخبار على فرض

صحتها فهي تبقى ظنية الصدور والدلالة، بينما القرآن الكريم قطعي الصدور بتواتر نقله.

الملحد – ولماذا يقول ذلك الشيعة والسنة؟

المؤمن – قال بذلك اشتباها البعض من غير المحققين، اعتمادا على نصوص غير ثابتة الصدور ولا الدلالة، ثم النواصب من السلفية اتهموا الشيعة بهذه التهمة بقصد الحرب الطائفية للإسلام المحمدي الأصيل، فرد بعض الشيعة التهمة عليهم بالمثل دفاعا، مما تسبب الى تقديم هدية لأعداء الإسلام للطعن في القرآن الكريم، وإلا فعامة الشيعة والسنة، وجمهور المحققين من علماء الشيعة والسنة يؤمنون بصيانة القرآن من التحريف، بل ويستقتلون دفاعا عن قدسية هذا المصحف الشريف.

الملحد – عن عائشة أنها قالت: ((نزلت آية الرجم ورضاع الكبير عشراً، ولقد كانت في صحيفة تحت سريري، فلما مات رسول الله (ص) وتشاغلنا بموته دخل داجن فأكلها)).

المؤمن – هذه من مناكير الروايات في مصادر اسلام السقيفة الذي نبرأ منه، فهذا الحديث رواه الإمام ابن ماجه ٦٢٥/١ والدارقطني: ١٧٩/٤ وأبو يعلى في مسنده ٦٤/٨ والطبراني في معجمه الأوسط ١٢/٨ وابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث، وأصله في صحيح البخاري ومسلم، وأورده ابن حزم في المحلى ٢٣٦/١١ وقال هذا حديث صحيح. وهي مما يشنع عليهم بها بعض الشيعة، ردا على تشنيعهم على الشيعة، ولكن المخالفين أنفسهم اختلفوا فبعضهم قال إن هذه الرواية شاذة منكرة قد تفرد بها محمد بن إسحاق وخالف فيها الثقات، وبعضهم قال إن ما ذكر فيها هو مما نسخت تلاوته، وهو تبرير فاشل. فبالنتيجة هم لا يلتزمون بها سنداً ودلالة على تحريف القرآن.

الملحد – والمجلسي عندكم في تعليقه على أحد الأخبار يقول:

((الحديث الثامن والعشرون))

(١): موثق. وفي بعض النسخ عن هشام بن سالم موضع هارون بن مسلم، فالخبر صحيح ولا يخفى أن هذا الخبر وكثير من الأخبار الصحيحة صريحة

في نقص القرآن وتغييره، وعندني أن الأخبار في هذا الباب متواترة معنى، وطرح جميعها يوجب رفع الاعتماد عن الأخبار رأساً بل ظني أن الأخبار في هذا الباب لا يقصر عن أخبار الإمامة فكيف يثبتونها بالخبر.)) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ج ١٢، ص ٥٢٥

المؤمن - هذا قول شاذ واشتباه بعيد كل البعد عن التحقيق والتدبر في الأسانيد والدلالات. حتى أن الشيخ المجلسي نفسه لا يسلم به، وهو نفسه يشير الى أن موقف جمهور المحققين من العلماء هو صيانة القرآن من التحريف وطرح كل ما ينافي ذلك، إلا أن قول الشيخ المجلسي هذا مما تمسك به النواصب للتشنيع على الشيعة، ولولا السجال المذهبي لما عرف الملاحظة ذلك.

الملحد - ولماذا تغضون الطرف عن هذه القضية المهمة جداً ألا يجب أن يفتح تحقيق فيها؟ يبقى أمامكم خياران أما أن تقرؤا بتحريف القرآن وأما أن تقرؤوا بزيف الروايات، وهذا يعني هدم التراث الإسلامي الفاسد الذي عانت منه الأمة العربية والإسلامية منذ عصر التدوين وإلى هذا اليوم.

المؤمن - ومن قال لكم إنه ليس فيها تحقيق! أما القرآن الكريم، فجميع المسلمين متحدون على قدسيته وصيانتته من التحريف، وأما التراث الإسلامي فيشتمل على الصحيح والضعيف والموضوع، وكله خاضع للتحقيق، وهذا بالفعل ما يقوم به العلماء منذ أكثر من ألف سنة وحتى اليوم، لكن الواجب على الناس أن تهرع الى قول العلماء المحققين، ولا تهرع الى كتب التراث دون تحقيق.

لاحظ قول الشيخ محمد الغزالي (توفي ١٩٩٦م)، وهو من أكابر علماء المخالفين في عصرنا؛ كيف يرد عن الشيعة هذه الفرية فيقول:

((إنني آسف لأن بعض من يرسلون الكلام على عواهنه. لا، بل بعض من يسوقون التهم جزافاً غير مباليين بعواقبها دخلوا في ميدان الفكر الإسلامي بهذه الأخلاق المعلولة فأساؤوا الى الإسلام وأمتة شر إساءه.

سمعت واحدا من هؤلاء يقول في مجلس علم: إن للشيعة قرآنا يزيد أو ينقص عن قرآنا المعروف.

فقلت له: أين هذا القرآن!

إن العالم الإسلامي الذي امتدت رقعته في ثلاث قارات ظل من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا، بعد أن سلخ من عمر الزمن أربعة عشر قرنا لا يعرف إلا مصحفا واحدا مضبوط البداية والنهاية معدود السور والآيات والألفاظ، فأين هذا القرآن الآخر؟!

ولماذا لم يطلع الإنس والجن على نسخة منه خلال هذا الدهر الطويل؟ لماذا يساق هذا الافتراء؟ ولحساب من تفتعل هذه الشائعات وتلقى بين الأغرار ليسوء ظنهم بإخوانهم وقد يسوء ظنهم بكتابهم؟

إن المصحف واحد، يطبع في القاهرة فيقدسه الشيعة في النجف أو في طهران ويتداولون نسخه بين أيديهم وفي بيوتهم دون أن يخطر ببالهم شيء البتة إلا توقيير منزلّه جل شأنه، ومبلّغه صلى الله عليه وسلم، فلم الكذب على الناس وعلى الوحي؟!'.^١

أما العلماء المحققون من الشيعة فقد فصلوا البيان في هذه القضية منذ أكثر من ألف سنة، فالمسألة ليست جديدة وليست من اكتشافات ملاحدة هذا العصر. هذا علم الهدى المحقق السيد الشريف المرتضى (المتوفى ٤٣٦ هـ - ١٠٤٤ م) في كتابه ((جوابات المسائل الطرابلسية)) حقق هذه المسألة تحقيقا مفصلا رصينا وأورد جميع الأقوال والشبهات وردّها بالحجج العقلية والنقلية القاطعة، ومما قاله فيه:

((المسألة العاشرة: ما القول فيمن اعتقد أن القرآن ليس على كماله وتمامه، وأن ترتيبه وتأليفه ليسا على الصحيح عند الله تعالى من نظامه.....

الجواب وبالله التوفيق: اعلم أنه لا بد من بيان أمرين في هذه المسألة:

^١ - دفاع عن العقيدة والشريعة، الشيخ محمد الغزالي، الفصل السادس، ص ١١٩ وما بعدها

أحدهما: أن هذا القرآن الموجود بين الدفتين كلام الله تعالى الذي نزل به جبرئيل عليه السلام.

والأمر الآخر: أنه جميع ما أنزله الله تعالى من القرآن لم يلحقه نقص ولا ثلم، وأنه لا زيادة في هذا القرآن على هذا الموجود المتلو.

فأما الدليل على الفصل الأول، فهو النقل المتواتر المتظاهر، لأن نقل القرآن يشترك فيه العامي والخاصي والملي والذمي والعالم والجاهل، وقد نقل الخلق كلهم النقل الموجب للعلم المثمر لليقين المزيل للشك والريب أن هذا القرآن الموجود في المصحف هو الذي كان يُقرأ على عهد الرسول صلى الله عليه وآله، ويُتلى في المحاريب ويتدارسه الحفاظ ويُفزع إليه في الحوادث والأحكام، كما نقلوا هجرة الرسول وحروبه وغزواته ووفاته وأحواله الظاهرة وسيرته المعلومة.....

وأما الدلالة على الفصل الثاني فهو: أنا نعلم أن كل حادث وقع ظاهراً فاشياً فلا بد من نقله النقل الذي يوجب العلم ويثبج الصدر ويقطع العذر، فإذا فقدنا نقله على هذا الوجه الذي ذكرناه والعلم به، وجب القطع على انتفائه....

فإن قيل: قد أبطلتم من نقص القرآن ما هو اجماع الشيعة الإمامية...

قلنا: معاذ الله أن تُجمع علماء الشيعة الإمامية على ما قد عُرف بالأدلة الواضحة بطلانه، وما صرح به أصحابنا بالقول بنقصان القرآن إلا قوم من أصحاب الحديث الذين لا يفقهون ما يقولون ولا يعلمون إلى ما يذهبون، وإنما دأبهم تقليد الحديث والتسليم لما في الرواية من حق وباطل وغلث وسمين من غير تفكر ولا تدبر، ومن هذه صفته لا يُعد في خلاف ولا إجماع....^١

ثم اختصر السيد المرتضى هذا التفصيل في كتابه ((الذخيرة)) فقال:

((قد بينا صحة نقل القرآن في المسائل الطرابلسيات، وأنه غير منقوص ولا مبدل ولا مغير، وأن العلم بأن هذا القرآن الذي بين أيدينا هو الذي ظهر على

١ - موسوعة تراث السيد المرتضى في علم الكلام، السيد المرتضى، ج٣، تحريف القرآن، ص١٤٣-١٤٧

يدرس رسول الله صلى الله عليه وآله، كالعالم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المصنفة المشهورة والأشعار المدونة. وذكرنا أن العناية اشتدت بالقرآن والدواعي توفرت على نقله وحراسته وبلغت الى حد لم يبلغه في نقل الحوادث والوقائع والكتب المصنفة، لأن القرآن معجزة النبوة وأصل العلم بالشريعة والأحكام الدينية. وكل شيء دعا الى نقل جميع ما تقدم حاصل فيه، ويستبد بدواعي النقل ليست في الحوادث وما أشبهها، وأن علماء المتكلمين بالغوا في ضبطه وحمايته، وأنهم عرفوا كل شيء أختلف فيه من اعرابه والقراءات المختلفة في حروفه، حتى فرقوا بين ما روي وعُرف، وبين ما لم يُذكر ويُسطر. فكيف يجوز أن يكون مُغيراً أو منقوصاً مع هذه العناية الصادقة والضبط الشديد؟

..... وقد بينا في الموضع الذي أشرنا اليه أن القرآن كان على عهد النبي صلى الله عليه وآله مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن، ودلنا على صحة ذلك بأنه كان يُدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان، حتى عين على جماعة من الصحابة في حفظهم له وأنه كان يُعرض على النبي صلى الله عليه وآله، وأن الجماعة من الصحابة منهم ابن مسعود ختم القرآن على النبي عدة ختمات. وكل ما ذكرناه يقتضي عند أدنى تأمل أنه كان مجموعاً مرتباً غير منثور ولا مبعوث.

وذكرنا أيضاً أن من يخالف هذا الباب من الإمامية والحشوية لا يعتد بخلافهم، وأنه مضاف الى قوم من أصحاب الحديث، نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها لا يرجع الى مثلها عن المعلوم المقطوع^١.

وهذا سيد المحققين واستاذ الفقهاء والمرجع الأعلى للشيعة في العالم في وقته السيد أبو القاسم الخوئي (توفي ١٩٩٢م)، حقق هذه المسألة مفصلاً مطولاً وخلص الى هذه النتيجة:

((ومما ذكرناه: قد تبين للقارئ أن حديث تحريف القرآن حديث خرافة وخيال، لا يقول به إلا من ضعف عقله، أو من لم يتأمل في أطرافه حق

^١ - الذخيرة في علم الكلام، السيد المرتضى، تحقيق أحمد الحسيني، فصل في الدلالة على صحة نبوة نبينا، ص ٣٦١-٣٦٤

التأمل، أو من ألجأه إليه حب القول به. والحب يعمي ويصم، وأما العاقل المنصف المتدبر فلا يشك في بطلانه وخرافته^١. وأنصحكم بالرجوع الى الكتاب وقراءته تفصيلا.

الملحد – كيف التحريف حديث خرافة!

المؤمن – الجواب:

١- إن القرآن الكريم هو معجزة النبوة وهو برهان الرسول الأكرم في دعواه الرسالة من الله تعالى، فهو الكتاب الذي تحدى به الرسول الأكرم كل العالم، وهو رسالته الإلهية لهداية كل البشر ودستور دولته العالمية. تيار الملاحدة واللا دينيين غير المناهضين للإيمان والأديان، وكذلك بعض اصحاب الأديان، يقر الباحثون المختصون منهم أن الرسول الأكرم عبقرية سياسية اجتماعية وإن لم يصدقوا بنبوته، بل حتى الملاحدة المناهضون للإسلام يقرّون بعبقرية الرسول الأكرم، من حيث أنهم ينسبون له المكر والدهاء السياسي والعسكري، والقدرة على الإقناع وجمع الأتباع وتأسيس دولة. من هنا نقول: من كان هكذا شأنه بشهادة الأصحاب والخصوم، يستحيل عقلا نيا أن يترك كتابه هملا بلا تدوين، وبلا تأمين عليه من التلف أو التلاعب.

٢- المسلمون الذين آمنوا بالقرآن الكريم أنه كلام الله تعالى ومعجزة النبوة وكتاب الهداية ودستور الدولة، وبالغوا في تلاوته وحفظه وفهمه وتبليغه وتعليمه وقاتلوا على تنزيله وعلى تأويله، استحالة أن يتواطؤوا كلهم اجمعون أو يسكتوا كلهم اجمعون على مسألة التلاعب بالقرآن بعد وفاة الرسول الأكرم. انظروا اليوم حتى فساق المسلمين يقدسون القرآن الكريم، ويغضبون عند اهانة نسخة من المصحف، وليقم اليوم أي حاكم بطبع نسخة محرفة من القرآن لتروا كيف تقوم عليه قيامة الغضب الاسلامي، حتى من فسقة

١ - البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي، ص ٢٥٧

المسلمين، فإن كان هناك مجال للحكام ليتلاعبوا فهو في تفسير القرآن، كما يفعلون اليوم.

٣- إن القرآن الكريم هو يثبت نفسه بنفسه كل يوم بأنه كلام فوق المستوى البشري، بالعجز عن الإتيان بمثله، بنظمه وبمضامينه التي سبقت عصره وكل عصر بعده الى اليوم. فلو كان البشر قد تدخلوا في تغييره بتبديل وزيادة ونقصان لبان ذلك في اضطراب نظمته ومضامينه ولقد اعجازه ولأمكن لبشر أن يأتي بمثله، وبما أن القرآن لا اضطراب فيه، وبما أنه ما زال يتحدى بنظمه ومضامينه، وبما أن العجز ما زال مستمرا عن الإتيان بمثله، يثبت بذلك بطلان القول بتحريفه.

النتيجة: القرآن هو كتاب الله تعالى وهو دستور الإسلام الخالد والمعجزة الخالدة، وكل ما قيل ويقال حول تحريفه باطل جزما وحديث خرافة.

الملحد – كيف لم يقع فيه التحريف وأنتم تقولون إنه قد مات النبي والقرآن غير مجموع في مصحف واحد، بل غير مدون بكامله وإنما كان متفرقا بعضه في رقاع مبعثرة بين الصحابة وبعضه في صدور الرجال، وأنه في عهد أبي بكر بعد موت النبي وبعد قتل الحفاظ في حرب الردة جاءت لعمر فكرة تدوينه كاملا وجمعه في مصحف واحد بدعوة من يحفظ شيئا من القرآن أن يأتي ومعه شاهدان ليدون ما حفظه. وهذا يعني إن القرآن لم يكن متواترا بل اعتمد على حفظ بعض الأشخاص وبعض الرقاع عند بعضهم.

المؤمن – هذا كلام المخالفين لنا نحن شيعة آل بيت الرسول. هذا الكلام مع كونه هو المشهور عند المخالفين لكنه كله هراء، ومرجعه الى تقصير الله والرسول الأكرم في حفظ الرسالة الخاتمة قبل وفاة الرسول الأكرم حتى جاء أبو بكر وعمر فجمعا القرآن المبعثر في الرقاع والصدور، ثم جاء عثمان فأحرق المصاحف التي دونها الصحابة من قبله وجمع القرآن هو جمعا جديدا. هذا من الهراء الكثير حيث دأبت مصادر انقلاب السقيفة على اختراع فضائل لزعماء السقيفة على حساب الدين والقرآن والرسول الأكرم.

وأما الحق غير المشهور من مصادر المخالفين، فهو ما رواه وصححه الحاكم النيسابوري في كتابه (المستدرک علی الصحیحین)، وفقاً لشرط البخاري ومسلم في تصحيح الأخبار، وصححه أيضاً الحافظ الذهبي في تلخيصه للمستدرک وفق شرط البخاري ومسلم كذلك، وهو:

((٤٢١٧ - حدثنا أبو سهل أحمد بن محمد بن زياد النحوي ثنا ابن أبي طالب ثنا وهب بن جرير بن حازم ثنا أبي قال: سمعت يحيى بن أيوب يحدث عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الرحمن بن شماسة عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع.

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وفيه الدليل الواضح أن القرآن إنما جمع في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تعليق الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم)).^١

انظر الى تعليق الحاكم النيسابوري على الخبر واستدلالة: ((وفيه الدليل الواضح أن القرآن إنما جمع في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.)) فالقرآن الكريم مدون مجموع مرتب بكامله بإشراف مباشر من الرسول الأكرم قبل وفاته، وهذا هو الحق.

الملحد – لكنهم يقولون: إن زياد بن ثابت كان من كتاب الوحي، وكان مدونا فقط والتأليف هنا بمعنى التدوين فقط، فلم يكن القرآن مدونا بكامله عند الرسول ولم يكن مجموعاً مرتباً، بل كان مبعوثاً في الصحابة بين الرقاع وحفظ الصدور.

المؤمن – هذا من الهراء، فنحن نقول لهم: أنتم تقولون إن القرآن كله كان مكتوباً مدوناً في عصر الرسول، بإشراف الرسول، وأنتم تصحون عن زيد إنه كان عند الرسول يؤلف القرآن من الرقاع، ولكنكم تزعمون أنه كان مبعوثاً بين الصحابة، متفرقاً في الرقاع وليس مجموعاً، وهذا تخبط وتزوير للغة العرب، لينسجم مع الروايات الأخرى الكاذبة وفهمكم الخاطيء. إن تأليف

^١ - المستدرک علی الصحیحین، الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر، ج ٢ ص ٦٦٨، رقم الحديث ٤٢١٧

القرآن ليس يعني التدوين والكتابة مطلقاً، بل هو الجمع لا عشوائياً بل جمع مع التنسيق والترتيب والتناسب، فكيف تأتون بأكذوبة مقتل حفاظ القرآن في الصدور في معركة اليمامة من حرب المرتدين، الأمر الذي استدعى من عمر فكرة جمع القرآن وأن من معه آية فليأت مع شاهدين بباب المسجد ليذونها! أين ذهبت الرقاع التي تشتمل على كامل القرآن والتي دونت بإشراف ومراجعة الرسول ولكن تقولون إنه مفرقا!

الملحد – إنهم يقولون: إن الجمع في مصحف واحد كان صعباً في عصر الرسول لعدم توفر أدوات الكتابة، فكانت كتابة القرآن على الرقاع والعصب واللخاف والعظام!!

المؤمن - فكيف توفرت الصحف والأقلام والحبر فجأة بعد وفاة الرسول مباشرة، هل انفتح استيراد الورق من الصين فجأة! الرسول الأكرم حكم دولة واسعة وتجبى لها الغنائم فهل يعجز عن توفير جلود الحيوانات والحبر لكتابة وجمع في مصحف واحد كتاب رسالته الخالدة ومعجزة نبوته! أم إنه كان بشراً عادياً غافلاً - وحاشاه - ولم يوح إليه بموته وقد اخترمه موت الفجأة!

الملحد – يقولون: إن النبي لم يجمعه في مصحف واحد لأنه كان يتوقع حصول نسخ في القرآن.

المؤمن – إنهم متناقضون في توجيه الأخبار الكاذبة في جمع خلفاء السقيفة للقرآن. إن دعوى عدم توفر أدوات الكتابة هي دعوى من زعم إن القرآن تم جمعه من صدور الحفاظ، وأنه لم يكن مدوناً بكامله في عصر الرسول، بينما من يقول بأنه كان مدوناً بكامله في عصر الرسول ولكن متفرقا ميثوثاً، وتدوينه بكامله وإن كان متفرقا يعني توفر أدوات الكتابة التي سمحت بكتابته كاملاً في عصر الرسول؛ فإنه يزعم أن الرسول لم يجمعه كاملاً في مصحف واحد لاحتمالية ورود النسخ من الله تعالى، ويقصدون نسخ التلاوة، عجيب، يعني الرسول الذي كان يراجع القرآن المكتوب مع الصحابة ويقوم بإصلاح الخطأ بشهادة زيد، يعجز عن نسخ التلاوة من المكتوب بعد كتابته! ثم أي

زيد وهم يقولون إن كتاب الوحي بلغ عددهم أربعين كتاباً! وأين الرقاع التي اشتملت على كامل القرآن التي دونوها للرسول الأكرم بإشرافه ومراجعته!

الملحد - هذا يدل على وقوع التحريف.

المؤمن - لا حبيبي، الحق إن القرآن الكريم كان مدونا مجموعا كاملا كما أنزل محفوظا قبل وفاة الرسول الأكرم عند عترة الرسول الأكرم فاطمة وعلي والحسن والحسين عليهم السلام، ولذلك أوصى الرسول الأكرم بالنص المتواتر بالتمسك بالثقلين كتاب الله وعترة أهل بيته للأمن من الضلال من بعده وأنهما لن يفترقا حتى يرادا عليه الحوض، والذي حصل بعد وفاة الرسول الأكرم هو إرادة أبي بكر وعمر وعثمان أن تكون لهم نسخهم الخاصة بقراءة خاصة وترتيب خاص من ذلك المصحف المدون المجموع كاملا في عصر الرسول، كما كان لعدة من المسلمين مصاحفهم الخاصة، إلا أن عثمان أراد حمل الناس على نسخته الخاصة فعمل منها بضعة نسخ وزعها على بعض الأمصار الإسلامية، هذه حقيقة الأمر.

الملحد - واختلاف القراءات أليس يدل على التحريف؟

المؤمن - لا، الاختلاف في قراءة القرآن لا يدل على تحريف القرآن. قراءات القرآن هي اجتهادات بشرية لعدم أخذ قراءة القرآن من عترة الرسول الأكرم، وهي لا تمس جوهر الوحي القرآني المعجز، وإن زعم المخالفون لنا إن هذه القراءات واردة عن الرسول الأكرم.

الملحد - تقول الآية ٩٥ من سورة النساء ((لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدين)). في السيرة الحلبية، تفسير القرطبي: جاء في نزول هذه الآية عن زيد بن ثابت، قال (كنت إلى جنب رسول الله فغشيت السكينة، فوقع فخذه على فخذي حتى خشيت أن ترضها، ثم سري عنه، فقال: أكتب، فكتبت في كتف (وهو عظم عريض كاللوح): لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدين... فقال ابن أم مكتوم وكان أعمى: يا رسول الله، وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين؟ فغشيت السكينة كذلك ثم سري عنه، فقال: اقرأ يا زيد، فقرأت: لا يستوي القاعدون

من المؤمنين ... فقال: غير أولي الضرر. فكتبتها ... قال زيد: أنزلها الله وحدها فألحقتها، والذي نفسي بيده، أنظر إلى ملحقها عند صدع في الكتف!!!
الآية الأولى قاعدة، أما التكملة لها أي نزول الوحي الثاني استثناء.

الاسئلة التي يطرحها المسلم على نفسه، عندما يقرأ هذه الآية النازلة من الله إلى محمد عن طريق الوحي: إلا يعلم الله أن ابن أم مكتوم الضرير كان يجلس بجانب رسوله؟

إلا يعلم الله، حينما أنزل جبرائيل، أن الآية ينقصها أصحاب العوق الجسدي من المسلمين والمسلمات (الاستثناء)؟

كيف يكون القرآن كلام الله في اللوح المحفوظ قبل ولادة محمد بن عبد الله، النبي الخاتم، ويرسل الله جبرائيل لإكمال الآية التي عارضها الضرير ابن أم مكتوم؟

المؤمن - أسئلتكم وجبهة، وينبغي أن يجيب عنها من ادعى هذه القصة، أما نحن فمنها براء لأنها لم ترد من طريق آل البيت عليهم السلام، بل هي من منكرات روايات مصادر المخالفين. لاحظ قائلهم في تحرير سبب نزول الآية: ((أخرج البخاري وأحمد والدارمي ومسلم والترمذي والنسائي عن البراء بن عازب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: لما نزلت: (لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) قال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (ادعوا فلاناً). فجاءه ومعه الدواة واللوح، أو الكَتِف فقال: (اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله). وخلف النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ابن أم مكتوم، فقال: يا رسول الله أنا ضرير، فنزلت مكانها: (لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ).

وأخرج البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي عن زيد بن ثابت - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أملى عليه: (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله) قال فجاءه ابن أم مكتوم وهو يُمَلُّها عليّ، فقال: يا رسول الله، لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان رجلاً أعمى، فأنزل الله تبارك وتعالى على رسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وفخذه

على فحذي، فتقلت عليّ حتى خُفْتُ أن تُرضَ فحذي ثم سُرِّي عنه فأَنْزَلَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: (عَبْرُ أُولِي الضَّرَرِ).

* دراسة السبب:

هكذا جاء في سبب نزول هذا المقطع من الآية وعلى هذا القول جمهور أهل التفسير كالطبري والبعوي وابن عطية والقرطبي وابن كثير وابن عاشور وغيرهم^١.

- دعوى وجود أخطاء إملائية في القرآن

الملحد - القرآن كله أخطاء إملائية ونحوية وصرفية وبلاغية وتاريخية وعلمية.

المؤمن - أما الشبهات التاريخية والعلمية فسنفرد لها حوارات مستقلة فيما بعد إن شاء الله تعالى، وأما دعوى الأخطاء الإملائية فما هو قصدكم؟

الملحد - الكثير جدا من الكلمات في القرآن مرسومة بخلاف قواعد الخط العربي، مثل (بسم - الرحمن - رحمت - الصلوة - الزكوة - بأييد) والصحيح (باسم - الرحمان - رحمة - الصلاة - الزكاة - بأيدي).

المؤمن - أي قواعد خط عربي تقصد؟

الملحد - قواعد الخط العربي هذا الذي نكتب به.

المؤمن - طيب، لماذا أنت الآن تكتب (باسم) بهمزة الوصل مع كونك لا تنطقها؟ بينما تكتب (لكن - هذا) بدون ألف مع كونك تنطقها؟ لماذا لا تكتبها (لاكن - هاذا)؟ ولماذا تزيد الواو وتحذف الألف في كتابة (أولئك) ولا تكتبها كما تنطقها (الأئك) بضم الهمزة الأولى وألف بعد اللام؟

^١ - المحرر في أسباب النزول، خالد بن سليمان المزيني، ج ١ ص ٤٢٧، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، السعودية

الملحد - هكذا هي قواعد الخط.

المؤمن - وتلك أيضا قواعد الخط! إن دعوى اشتغال الخط القديم للمصحف على أخطاء املائية؛ هي دعوى مثيرة للضحك وتنم عن جهل بتاريخ الخط العربي ومراحل تطوره. هذه الدعوى تنم عن جهل بتاريخ الخط العربي ومراحل تغيره حتى وصل الى ما وصل اليه اليوم.

إن النسخ القديمة من مصحف القرآن كتبت بحسب ما تسمح به قواعد الخط في عصرها، وبحسب الظرف التاريخي لتطور الخط العربي.

الخط العربي الحجازي متطور عن الخط النبطي، المتطور عن الخط الآرامي، والنبط قوم من العرب كانوا يسكنون بادية الشام، قال جواد علي: ((نظرا إلى ما نجده من تشابه في رسم الحروف بين أقدم الكتابات العربية وبين الخط النبطي، وفي قواعد الإملاء وترتيب الأبجدية، فلا يستبعد أن يكون أهل مكة قد أخذوا هذا الخط فكتبوا به. باحتكاكهم بأهل أعالي الحجاز وبلاد الشام حيث كانوا يتاجرون معهم، أو بمجيء النبط إليهم للاتجار تعلمه أهل مكة منهم.

وذهب الدكتور "خليل يحي نامي" إلى أن أصل الكتابة العربية من الحجاز، لما كان للحجاز من مكانة روحية عند العرب ولاشتغالهم بالتجارة. والمكانة الروحية والتجارة تستدعيان القراءة والكتابة، أخذوها من التجار النبط الذين كانوا يتوافدون عليهم للاتجار أو من اختلاطهم بالنبط أثناء ذهابهم إلى بلاد الشام. فهو يرى أن الخط النبطي هو والد الخط العربي، ودليله أن ترتيب الحروف على طريقة أبجد هوز، وترتيبها من حيث حساب الجمل، أي: جعل كل حرف من حروف أبجد هوز في مقابل رقم حسابي، يردان في عربيتنا على نحو ما ورد عند النبط. مما يدل على أن الخط العربي أخذ من ذلك الخط، أضف إلى ذلك تشابه رسم الحروف المنفصلة والمتصلة في القلمين))^١.

^١ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ج ١٥ ص ١٦٩، طبعة دار الساقية

الملحد – ولأي شيء سقط رسم الهمزة في (بسم الله)؟

المؤمن – لأنها همزة وصل تسقط نطقاً في درج الكلام، ولكون عبارة البسمة هي كثيرة الاستعمال في الكتابة؛ ناسب ذلك أن تحذف منها همزة الوصل نطقاً وخطاً.

الملحد – ولأي قاعدة تكتب (رحمة) بالرسم العثماني مرة بالتاء المربوطة (فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧)) آل عمران، ومرة بالتاء المفتوحة (قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (٧٣)) سورة هود؟

المؤمن – لا يوجد في النطق ما يسمى تاء مربوطة، فالكلمة إن وقفت عليها بالنطق نطقت آخرها بالهاء، وإن درجت الكلمة ووصلتها بالنطق بما بعدها نطقت آخرها بالتاء. وهنا كلمة (رحمة) كانت قواعد الخط تسمح بكتابتها بالوجهين: بصورة الهاء على الوقف في النطق، وبصورة التاء على الدرج في النطق. ثم صارت قواعد الكتابة صارمة فاشتترطت كتابة أي كلمة بنفس صورة الابتداء بها والوقف عليها دائماً.

اعلموا أن علماء الرسم القرآني قد حصروا مخالفة الرسم العثماني للرسم القياسي في خمسة مظاهر: الحذف، الزيادة، البديل، الوصل والفصل، وأحكام الهمزة. وقد درسوا جميع موارد هذه الظواهر بالتفصيل، لكننا بلا حاجة لتعليل كل مورد نجيب جواباً عاماً:

اعلموا أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى، أما الرسم الكتابي فهو اجتهاد بشري واصطلاح بحسب ما يتوافق عليه ويستحسنه علماء الخط.

الملحد – لا يوجد انسجام بين الخط واللغة في كثير من القرآن بالرسم العثماني، وهذا دليل على عدم حفظ القرآن عن التحريف، لأن قراءة الرسم العثماني كما هو عليه سيفقد الألفاظ معناها.

المؤمن - عدم الانسجام بين الخط واللفظ ظاهرة لغوية شائعة في كل اللغات، ويتم بحثها في علم اللغة، ومن أسبابها هو إن اللغة أكثر تفاعلا وحركة واستعمالا من الخط، مما يؤدي الى تقدم التطور اللغوي الصوتي على التطور الكتابي الخطي، لست أنا من يقول ذلك بل مؤسس علم اللغة الحديث فردينان دي سوسير، فلاحظ:

((٤- الأسباب التي تؤدي الى عدم الانسجام بين الكتابة واللفظ:

يرجع عدم الانسجام بين الكتابة واللفظ الى أسباب كثيرة، أذكر منها هنا الأسباب المهمة فقط.

أولاً: إن اللغة في تطور مستمر، أما الكتابة فتجنح نحو الاستقرار. وقد تبلغ هذه العملية مرحلة تبتعد معها الكتابة عن الأصوات التي ينبغي أن تعبر عنها، فالحروف التي تمتاز بالدقة في مرحلة معينة تغدو غير منطقية بعد قرن من ذلك، وقد يغير الناس رموز الكتابة لتطابق التغيير في اللفظ ولكنهم يتخلون عن هذه المحاولات بعد فترة من الزمن))^١، ثم يستشهد بألفاظ من اللغات الفرنسية والبريطانية والألمانية، وقد علق المترجم على كلامه في الهامش بالقول: ((إن الفجوة بين الصوت والكتابة أكبر في الإنكليزية منها في الفرنسية، وهي أقل في العربية منها في هاتين اللغتين)).

الملحد - بالنتيجة فقد عجز الله والرسول عن حفظ القرآن، لأن ما وصل إلينا لا يطابق خطه لفظه تماماً، وهذا يعني أن الله والرسول لم يبتكر خطأ أو طريقة ثابتة لحفظ القرآن.

المؤمن - أردتم أن تدموا فمدحتم ورجعتم بخفي حنين. الحمد لله على حفظه لمعجزة رسوله الخالدة، بدلالة وصوله لكم خطأ وتلاوة، وبدلالة قدرتكم على قراءته اليوم بالرسم القديم للمصحف، فحتى غير العربي يتمكن من قراءة المصحف بالرسم القديم لو تعلم القراءة والكتابة العربية.

^١ - علم اللغة العام، فردينان دي سوسور، ترجمة يونيل يوسف عزيز، الفصل السادس ص ٤٦، طبعة دار آفاق

الملحد – نعم، أتمكن من قراءته بالرسم القديم ولكن بعد معرفة قواعد الخط القديم.

المؤمن – وحتى أي كتاب مكتوب حديثاً بحسب قواعد الخط العربي المستعملة اليوم، لن تتمكن من قراءته بصورة صحيحة ما لم تدرس قواعد الإملاء الحديثة، فهذا شيء طبيعي، إنك لا تستطيع قراءة كتاب بصورة صحيحة دون معرفة قواعد كتابته، ولا يعد هذا قصورا من الكاتب، فليس المطلوب من الكاتب أن يجعل كل عاجز عن القراءة قارئاً لكتابه. ويبقى التحدي الخالد: أتونا بكتاب مثله.

-دعوى وجود التناقض في القرآن-

الملحد – يدعي كاتب القرآن أن كتابه لو كان من غير الله لكان مشتملا على التناقض، والقرآن يشتمل على عدة تناقضات.

المؤمن – تقصدون قوله تعالى: ((أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢)))^١. هات أقوى ما عندكم.

الملحد – نعم، التناقض الأول: إن القرآن تارة يسند الأفعال الى اختيار الإنسان فيقول: (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (الكهف: ٢٩) .

وتارة يسند الأفعال الى اختيار الله وينفي حرية اختيار الإنسان فيقول:

(وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين) (التكوير: ٢٩).

المؤمن – كل إنسان عاقل يدرك في نفسه أنه حر في أفعاله الاختيارية وليس مجبراً، كحرية في المشي أو التوقف، إلا أن حرية وإرادة وقدرة الإنسان على الفعل والترك هي لا تخرج عن قدرة الله تعالى وإرادته، أي أنها بإذن ومشيئة الله تعالى وليست خارجة عن قدرته. وهذه هي عقيدتنا نحن الشيعة، لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين، خلافا لعقيدة المعتزلة بالتفويض

^١ - سورة النساء

المطلق أي الحرية المطلقة للإنسان في فعله مستقلاً عن الله تعالى، وخلافاً لعقيدة الجهمية بالجبر المطلق فلا يكون الإنسان مختاراً في شيء.

الملحد – ماذا يعني "أمر بين أمرين"؟

المؤمن – سأوضحه لك بمثال تقريبي. هل أنت حر وقادر على السفر من دولتك أو الإقامة فيها؟

الملحد – نعم.

المؤمن – أليس هذا يتوقف على إذن الحكومة رسمياً؟ ألا تستطيع الحكومة رسمياً منعك من السفر أو تسفيرك قهراً؟

الملحد – نعم.

المؤمن – هذا هو معنى "أمر بين أمرين" أي إنك حر قادر مختار ولكنك غير خارج عن إرادة وقدرة وإذن الحكومة.

الملحد - كيف لهم الخيار والله يصرح أنه هو الذي يمنعهم عن الإيمان ويجبرهم على البقاء على الكفر فيقول: (وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ) (سورة الأنعام: ١١١).

المؤمن – فهمك غير صحيح. هدف هذه الآيات هو بيان كذب أولئك الذين طلبوا تحقيق معجزات عجيبة وغريبة يستحيل تحقق بعضها (مثل رؤية الله جهرًا). فهم يظنون أنهم بطلبهم تلك المعجزات العجيبة سوف يزعزعون أفكار المؤمنين ويزلزلون عقائد الباحثين عن الحق ويشغلونهم عن ذلك. فيصرح القرآن في الآية المذكورة قائلًا: (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا). ثم يؤكد ذلك أنهم لا يمكن أن يؤمنوا إلا في حالة واحدة وهي أن يجبرهم الله بإرادته على الإيمان: (إلا أن يشاء الله) إلا أن إيماناً كهذا لا ينفع في تربيتهم ولا يؤثر في تكاملهم^(١)

(١) تفسير الأمل، الشيخ مكارم شيرازي، ج ٤ ص ٤٢٢

الملحد – التناقض الثاني: يقول كاتب القرآن: (وَآتِلْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) (الكهف: ٢٧)

ثم يقول: (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (النحل: ١٠١)

فهو أولا ينفي تبديل كلماته أبدا، ثم يعترف بقيامه بالتبديل، وهذا تناقض!

المؤمن – في علم المنطق، وعند كل سليم التفكير، يشترط في حصول التناقض بين قضيتين وحدة الموضوع. وهنا لا توجد وحدة الموضوع، لأن الموضوع في الآية الأولى الذي نفى الله تعالى عنه التبديل مطلقا هو غير موضوع الآية الثانية الذي أثبت له التبديل. أنت حينما تقول: لا رجل في الدار، ثم تقول: في الدار امرأة، هنا لا يوجد تناقض لأن الذي نفيت عنه الوجود في الدار هو الرجل والذي اثبت له الوجود هو المرأة. أما لو قلت أولا: لا رجل في الدار، ثم قلت: في الدار رجل، فهنا يقع التناقض لوحدة الموضوع إلا أن ترفع التناقض باختلاف الزمان مثلا، فننفي وجود رجل الدار في زمن معين ونثبت وجوده في زمن آخر.

الملحد – وكيف موضوع التبديل مختلف في الآيتين؟

المؤمن – كلمات الله تعالى المنفي عنها التبديل مطلقا ليست النص القرآني بل المقصود بها إرادة الله تعالى النافذة في خلقه، وسنن الله تعالى في خلقه، وقضاء الله المحتوم، ووعده وعهد الله تعالى، فهذه هي المعبر عنها بكلمة أو كلمات الله تعالى في القرآن الكريم والتي نفى عنها التبديل مطلقا، لأن التبديل فيها ينافي قدرة الله وحكمته وعدله، فهذا معنى الكلمات التي هي موضوع الآية الأولى. أما الآية الثانية فموضوعها آيات النص القرآني نفسه، والتبديل فيها لا يعني تبديل نفس النص القرآني، بل يعني تبديل التشريع السابق المنصوص بأية سابقا، بتشريع جديد منصوص بأية لاحقا. وهذا التبديل في التشريع أمر جائز ولا ينافي القدرة والحكمة والعدل، وهو الذي يصطلح

عليه اسم "النسخ" والمنصوص عليه في قوله تعالى: ((مَا نُنَسِّخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦)))^١.

الملحد – طيب، تستطيع أن تخبرنا ما معنى الكلمة في هذه الآية: (وَآتَلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُتْتَحِدًا) (الكهف: ٢٧)

المؤمن – هذه الآية في ختام ذكر قصة أصحاب الكهف، والمقصود بالكلمة هنا هو إرادة الله تعالى النافذة في أهل الكهف، وتحقق وعد الله تعالى لهم. فلاحظوا السياق في قوله تعالى: ((إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (٨) أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا (١٦) وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمُ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (٢١) وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦) وَآتَلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُتْتَحِدًا (٢٧)))^٢.

الملحد – فما هو المقصود من الكلمة في قوله: (وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنَا هُمْ نَصَرْنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ) (الأنعام: ٣٤)

١ - سورة البقرة
٢ - سورة الكهف

المؤمن – المقصود إرادة الله تعالى وتحقيق وعده لرساله بالنصر، وهو المشار إليه في قوله تعالى: ((كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢١)))^١.

الملحد – وما معنى الكلمة في قوله: (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (الأنعام: ١١٥)

المؤمن – المقصود منها مشيئة الله تعالى النافذة في أنبيائه بأن يجعل لكل نبي عدوا شياطين الأنس والجن، وهو المذكور في سياق تلك الآية في قوله تعالى: ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢) وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفِئْدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرَضُوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ (١١٣) أَفَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْتَعِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُفْتَرِينَ (١١٤) وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١١٥)))^٢.

الملحد – وما المقصود بالكلمة في قوله: (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (يونس: ٦٤).

المؤمن – المقصود وعد الله تعالى الناجز لأوليائه أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وهو المذكور في سياق هذه الآية في قوله تعالى: ((أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤)))^٣.

الملحد – طيب، كلامك مقنع، ولكن استبدال التشريعات ونسخها، وإن لم يكن من التناقض في النص القرآني لكنه يعني اضطراب صاحب التشريع.

١ - سورة المجادلة

٢ - سورة الأنعام

٣ - سورة يونس

المؤمن - النسخ في اللغة بمعنى الازالة، ومنه نسخت الشمس الظل، وقد كثر استعماله في هذا المعنى في السنة الصحابة والتابعين فكانوا يطلقون على المخصص والمقيد لفظ الناسخ.

والنسخ في الاصطلاح هو رفع أمر ثابت في الشريعة المقدسة بارتفاع أمده وزمانه، سواء أكان ذلك الأمر المرتفع من الأحكام التكليفية أم الوضعية، وسواء أكان من المناصب الالهية أم من غيرها من الأمور التي ترجع إلى الله تعالى بما أنه شارع.

المعروف بين العقلاء من المسلمين وغيرهم هو جواز النسخ بالمعنى المتنازع فيه أي " رفع الحكم عن موضوعه في عالم التشريع والإنشاء " ولا ينافي حكمة وعدل وعلم الشارع، بل بالعكس هو مقتضى حكمة وعدل وعلم الشارع. فدعوى إن النسخ يستلزم عدم حكمة الناسخ، أو جهله بوجه الحكمة دعوى باطلة، لأنه ليس بمعنى أن الحكم بعد ثبوته يرفع في الواقع، بل هو بمعنى أن يكون الحكم المجعول مقيدا حين تشريعه بزمان خاص معلوم عند الله تعالى، مجهول عند الناس، ويكون ارتفاعه بعد انتهاء ذلك الزمان، لانتهاء أمده الذي قيد به، وحلول غايته الواقعية التي أنيط بها.

فالنسخ في الحقيقة تقييد لإطلاق الحكم من حيث الزمان ولا يلزم منه الجهل أو مخالفة الحكمة^(١). فمثلا في بدء الدعوة وزمان ضعف المسلمين كان التشريع هو الأمر بكف اليد والصفح، ثم في زمان قوة المسلمين كان تشريع الجهاد، وهذه قضية عقلانية غير منافية للحكمة والعلم والعدل، بل بالعكس فإن الحكمة والعلم والعدل تقتضي هذا التصرف التشريعي.

الملحد - يعني الإسلام ليس دين السلم والرحمة كما تدعون، وإنما كان ذلك تشريعا مؤقتا بسبب الضعف!

المؤمن - لا أبدا، يبقى الإسلام دين السلم والرحمة في كل زمان، ولكنه دين العدل أيضا، لأنه لا مبرر وليس من العدل أن تكون في موضع القوة ثم لا تدافع ولا ترد عدوان المعتدي الذي يريد استئصالك، قال تعالى: ((وَقَاتِلُوا

(١) البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي، ص ٢٧٨-٢٨١

فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُفَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠))^١.
وسياتي تفصيل ذلك في لقاء خاص بالحوار حول الشبهات الأخلاقية.

الملحد – تناقض: (فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون) سورة الحجر
– (ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) سورة القصص. أقسم أن يسأل ونفى
أن يسأل!

- الجواب : لا تناقض، فالسؤال المثبت هو سؤال المحاسبة وكشف السرائر
ليقر الإنسان على نفسه ويعرف استحقاقه، أما السؤال المنفي عن الله تعالى
فهو سؤال الاستفهام و الاستعلام، والله خبير بما يفعل الإنسان فلا يحتاج الى
استفهام. قال تعالى: ((قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ
أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ
ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ))^٢. فلما ذكّر الله تعالى قارون بمن أهلكه من قبله من
القرون الذي كانوا أقوى منه وأغنى؛ قال له على سبيل التهديد: وإن الله
مطلع على ذنوب المجرمين، لا يحتاج إلى سؤالهم عنها واستعلامهم، فهو
قادر على أن يعاقبهم عليها ويبطش بهم بغتة.

الملحد - تناقض: (ليس كمثله شيء) سورة الشورى - (الله نور السموات
والأرض) سورة النور!

المؤمن - اين التناقض؟

الملحد - وصفه بأنه لا يشبهه شيء، ثم يصفه أنه نور، والنور شيء!

المؤمن – نور السموات والأرض بمعنى منير السموات والأرض، أي
الظاهر المتجلي الهادي في السموات والأرض. وفي الرواية: ((عن العباس
بن هلال، قال: سألت الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل:

^١ - سورة البقرة
^٢ - سورة القصص

(الله نور السماوات والأرض) فقال: هاد لأهل السماء وهاد لأهل الأرض))^١

المَثَل (بكسر الميم و سكون التاء) هو الشبه و الله ليس كمثل شيء، أما المَثَل (بفتح الميم و التاء) فهو التعبير الرمزي، لذلك قيل ان الامثال تضرب و لا تقاس، و الله لم يقل هذا النور مثلي بكسر الميم، بل ضرب النور مثلا بفتح التاء، قال تعالى: ((وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٣٤) اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥)))^٢. فنور الله ليس له علاقة بذات الله بل المقصود هدى الله تعالى، فلا تكونوا كما قال الله تعالى: ((وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٧) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨)))^٣.

- شبهات حول الاعجاز البياني للقرآن

المؤمن – والآن، هات الأخطاء الصرفية والنحوية والبلاغية المزعومة في القرآن الكريم. ولكن قبل ذلك حتى لا يكون الكلام تهريجا، أريد معرفة:

١- ما هي مرجعيتكم اللغوية في التخطنة والتصويب؟

٢- أيكم أقرب لعصر نزول القرآن، أنتم أم الرسول الأكرم والعرب المعاصرون له والقرون القريبة منه؟

الملحد – الجواب:

^١ - التوحيد، الشيخ الصدوق، تحقيق هاشم الطهراني، الباب ١٥، الحديث رقم ١، ص ١٦٥، مركز الأبحاث العقائدية

^٢ - سورة النور

^٣ - سورة الصف

١- مرجعيتنا اللغوية هي موسوعات اللغة والأدب العربي.

٢- طبعا النبي والمعاصرون له والقرون التي بعده أقرب، ولكن هذا لا يعني استحالة الخطأ عليهم، كما نخطأ نحن.

المؤمن – وهنا نجيب مقدما جوابا عاما قبل الخوض في الأجوبة التفصيلية، جوابا ناسفا لكل الأخطاء المزعومة، جوابا شاملا لما ستذكرونه من الأخطاء المزعومة وما لا تذكرونه:

١- ما هي مرجعيتكم في التخطئة والتصويب اللغوي؟ ما هي مرجعيتكم في قواعد اللغة؟ إن كانت هي الموسوعات الأم للغة العربية والتراث الشعري العربي القديم؛ فإنها لا تقول بأن ما تدعون أنه خطأ هو فعلا خطأ، أما إن كنتم تريدون ان تحاكموا القرآن بحسب لغة الجرائد المعاصرة، وبحسب الإدراك السطحي للغة؛ فهذا محض التعسف والقصور، لأن لغة الجرائد سطحية تقريرية ليست أدبية بلاغية، ولأنها يتوجه عليها نفس السؤال: ما هي مرجعيتها اللغوية؟ بعبارة أخرى: إنكم حينما تخطئون لغة القرآن إنما تخطئون مرجعيتكم اللغوية، وحينما تطعنون في لغة القرآن إنما تطعنون مرجعيتكم اللغوية.

٢- أيكم أقرب لعصر نزول القرآن، أنتم أم الرسول الأكرم والعرب المعاصرون له والقرون القريبة منه؟ إن الرسول الأكرم هو من أصل هاشم وهي من أصل قريش وهي من أصل العرب، فالفصاحة عندهم سليقة يعني ملكة وصفة راسخة وليست تعلمها في المدارس، وكذلك من حوله من العرب المسلمين ممن سمعوا وحفظوا ودونوا وراجعوا القرآن، فهل تصدق أن الرسول الأكرم وهؤلاء العرب الأقحاح يخطئون جميعا في استعمال اللغة والبلاغة ولا ينتبهون الى الأخطاء اللغوية المزعومة في القرآن حتى تكتشفها انت اليوم!! هل تعلم معنى أنهم عرب أقحاح؟ هل تخطأ أنت في استعمال لهجتك المحلية؟ هذا أمر نادر، وعند حدوثه النادر سيكشفه ويستهنه منكم الآخرون.

والآن هات ما عندكم تفصيلا.

الملحد - رفع المعطوف على المنصوب

الآية: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (المائدة: ٦٩).

تصحيح الخطأ: هنا، كان يجب أن ينصب المعطوف على اسم إن فيقول: "والصابئين " لأنه معطوف على اسم (إن).

اللافت للانتباه، هو أن نفس الآية تقريبا موجودة في سورة اخرى ولم يرد فيها هذا الخطأ، (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة: ٦٢).

المؤمن - مذهب سيبويه ونحاة البصرة كلمة (الصَّابِئُونَ) هنا هي مبتدأ مرفوع، خبره محذوف للعلم به، والتقدير (والصابئون كذلك) والجملة على نية التأخير، أي من عطف جملة على جملة، وتقديما هنا على خبر (إِنَّ) لغرض تأكيد دخول الصابئة أيضا في حكم اليهود والنصارى، دفعا لما يتبادر الى الذهن من عدم شمولهم. قال سيبويه: ((وأما قوله عز وجل: " والصابئون "، فعلى التقديم والتأخير، كأنه ابتداء على قوله " والصابئون " بعدما مضى الخبر. وقال الشاعر، بشر بن أبي خازم:

وإلا فاعلموا أنا وأنتم ... بُغاةٌ ما بقينا في شِقاقِ

كأنه قال: بُغاةٌ ما بقينا وأنتم))^١.

ومذهب الكسائي والفراء هو إن كلمة (الصَّابِئُونَ) معطوفة على موضع اسم (إِنَّ) وهو (الذين) لأن اعرابه غير ظاهر، ولأن (إِنَّ) ضعيفة النصب، لأن نصبها يقع على المبتدأ ولا يقع على الخبر. وقد أوردوا من فصيح شعر العرب عدة شواهد لهذه الحالة منها قول الشاعر:

فمن يك أمسى بالمدينةِ رحلُهُ ... فإني وقيارٌ بها لغريب

^١ - الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، ج ٢ ص ١٥٦

ومحل الشاهد كلمة (قيار) فإنه رويت مرفوعة بعد عطف على اسم (إن).

ومنها قول الشاعر:

وَالْإِذَا فاعلموا أَنَا وَأَنْتُمْ ... بُعَاةٌ مَا حِينِنَا فِي شِقَاقِ

ومحل الشاهد كلمة (أنتم)، ضمير رفع منفصل معطوف على اسم (أن).

الملحد - جعل الضمير العائد على المفرد جمعاً

الآية: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ) (البقرة: ١٧).

تصحيح الخطأ: هذه الآية في غاية الركاكة، حيث يبدأها الكاتب بالحديث عن الكفار ثم يضرب مثلاً لهم بشخص استوقد ناراً، وفجأة ينسى أنه كان يضرب مثلاً ويعود لاستخدام ضمير الجمع في جواب الشرط. وكان عليه إن يقول: فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنوره وتركه في ظلمات لا يبصر.

المؤمن - الآية - على عكس ما تدعون - قمة في البلاغة والاعجاز البياني عند من يملك الذوق السليم. جواب الشرط في قوله تعالى: ((كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ)) هو (ذهبت وصار في ظلام دامس) ثم من بعد انتهاء سياق المثل يقتنص منه تقرير عاقبة حال المنافقين بأنهم كذلك ((ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ)). فكأنه قال: (مثل حال المنافقين كمثل حال الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله "ذهبت وصار في ظلام دامس، كذلك عاقبة حال المنافقين" ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون)، وفي قولي الزائد هذا ركاكة واطناب، لذلك استبدل جواب الشرط وما بعده "ذهبت وصار في ظلام دامس، كذلك عاقبة حال المنافقين" بقوله: ((ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ))، وكان هذا الاستبدال لتحقيق عدة فوائد منها:

١- الإيجاز وسبك العبارة.

٢- إعطاء دلالتين في عبارة واحدة، دلالة جواب الشرط للذي استوقد ناراً فلما أضاءت ذهب وبقي في ظلام دامس، ودلالة عاقبة حال المنافقين بأنهم كذلك ذهب الله بنورهم وصيرهم في ظلام دامس.

٣- بيان قوة اتحاد الحال الذي استوقد ناراً والمنافقين.

الملحد - تذكير خبر المؤنث:

الآية: (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) (الأعراف: ٥٦)

تصحیح الخطأ: "إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبَةٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ"

المؤمن - إن القرب والبعد في النسب هو الذي يلزم فيه التأنيث إن عاد على المؤنث، فنقول: (أم زيد قريبة والدي) أي في النسب، ولا تقل: (أم زيد قريب والدي). أما القرابة والبعد في غير النسب، كالزمان والمكان، فيجوز فيها التذكير والتأنيث إن عادت على المؤنث، فيجوز أن تقول: (أم زيد قريب مني أو قريبة مني) أي في المسافة والمكان. ومنها في القرآن الكريم أيضاً: ((يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (٦٣)))^١، لأن المقصود القرب والبعد الزماني. وقد ذكروا لذلك شواهد من فصيح شعر العرب، منها:

عشية لا عفراء منك بعيدة ... فتسلو ولا عفراء منك قريب

محل الشاهد: أنت كلمة (بعيدة) العائدة على عفراء، وذكر كلمة (قريب) العائدة عليها، والمقصود القرب والبعد المكاني لا النسبي، فدل ذلك على جواز الأمرين.

الملحد - جمع الضمير العائد على المثني

الآية: (هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ) (الحج: ١٩)

^١ - سورة الأحزاب

تصحيح الخطأ: كان يجب أن يثنى الضمير العائد على المثني فيقول:

هَذَانِ حَصْمَانِ اخْتَصَمَا فِي رَبِّهِمَا.

المؤمن - المصدر مثل (خضم، عدل، طهر) يقع على معنى المفرد والمثنى والجماعة والمذكر والمؤنث، فيجوز لك في العود اليه ووصفه والأخبار به، أن تعيد على لفظه وأن تعيد على معناه، فتقول (رجل عدل ورجال عدل - امرأة طهر و نساء طهر) وهنا كلمة (خضم) أراد بها الجماعة، فهما فريقان وجماعتان وليسا فردين، فجاز أن يقول (اختصما) حملا على اللفظ، وأن يقول (اختصموا) حملا على المعنى، والدليل على أن المراد من لفظ (خضم) معنى الجماعة هو سياق الآية الذي بترته، لماذا بترته؟ فهو ينص على أن المقصود جماعة المؤمنين وجماعة الكافرين، فلاحظ قوله تعالى: ((هَذَانِ حَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩)))^١.

الملحد - غياب جواب الشرط (لَمَّا)

الآية: (فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) (يوسف: ١٥).

تصحيح الخطأ: لا يوجد جواب شرط يأتي بعد " لَمَّا... " ولو حذف الواو الذي سبق «أوحينا» لاستقام المعنى فتكون هي جواب الشرط.

المؤمن - قمة في البلاغة حذف جواب (لَمَّا) للعلم به من سياق الكلام والتقدير (فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ "نفذوا جريمتهم وألقوه فعلا" وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) فذكر الجواب "نفذوا جريمتهم وألقوه فعلا" موجب لركاكة الكلام وحذفه موجب لسبك الكلام المناسب ولعنصر التشويق القصصي ولحالة تسارع احداث الجريمة. أما كون العلم به من سياق الكلام فلأنه تعالى ذكر أنهم اتخذوا قرارا بالإجماع

^١ - سورة الحج

على جعله في غيابة الجب وأنهم بالفعل قد ذهبوا جميعا به الى مكان الجب، ولم يذكر مانعا حائلا دون تنفيذ القرار، فدل ذلك بالجزم أنهم قد نفذوا الجريمة وألقوه فعلا في غيابة الجب، فلا حاجة لذكره بعد الجزم به، بل ذكر المجزوم به خلاف البلاغة لأنه ليس تقريرا جنائيا بوليسيا. أما قولكم: (ولو حذف الواو الذي سبق «أوحينا» لاستقام المعنى فتكون هي جواب الشرط)؛ فكلام فاسد، لأنه إن كان الإيحاء له هو نتيجة ذهابهم به واجماعهم أن يجعلوه في غيابة الجب؛ لكانت نتيجة الجريمة التي هي "الإلقاء فعلا في الجب" مفقودة لفظا مجهولة علما، فيكون يوسف عليه السلام بحسب ذلك مجهول المصير، لأن العبارة المذكورة لا تنص إلا على كونهم أجمعوا وذهبوا، فإن قلت إن إلقاء فعلا في الجب مقطوع به من سياق النص؛ قلنا هذا معنى أنه هو جواب شرط (لما) وتم حذفه للجزم به، وأن الإيحاء ليوسف عليه السلام كان ليس حالة ذهابهم واجماعهم كما هو مؤدى تفسيركم بل كان الإيحاء له في الجب بعد أن ألقوه فيه فعلا.

الملحد - ورود الاسم الموصول العائد عليه الجمع مفرداً

الآية: (وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا) (التوبة: ٦٩).

تصحيح الخطأ: هنا اسم الموصول (الذي) جاء في صيغة المفرد، مع أن الضمير العائد عليه في "خاضوا" جاء في صيغة الجمع، وكان المفترض أن يقول: "وخضتم كالذين خاضوا".

المؤمن - يريد (كخوضهم) الذي خاضوه، ف(الذي) صفة لمصدر (الخوض) المفهوم من دلالة الفعل (خضتم) عليه. فعلى قولكم: ((وكان المفترض أن يقول: "وخضتم كالذين خاضوا")) يكون المعنى تشبيه أعيان هؤلاء المخاطبين بأعيان أولئك الذين من قبلهم، بينما المراد هو تشبيه فعل هؤلاء، الذي هو (الخوض) بفعل أولئك، بدلالة سياق الآية: ((كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ

حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٩))، قوله: ((كَمَا اسْتَمْتَعَ)) فَإِن (ما) مصدرية، تقدر مع الفعل بعدها بمصدر، أي (كاستمتع)، فالسياق على إرادة تشبيه هؤلاء بأولئك بأفعالهم (الاستمتاع والخوض) وليس بأشخاصهم، فدل ذلك على صحة (وخضتم كالذي خاضوا) بمعنى (وخضتم كخوضهم).

الملحد - عطف الفعل المجزوم على المنصوب

الآية: (وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) (المنافقون: ١٠).

تصحيح الخطأ: كان يجب أن ينصب الفعل المعطوف على المنصوب فيقول: "فَأَصَّدَّقَ وَأَكُونَ مِنَ الصَّالِحِينَ" ولكنه جزمه بالسكون.

المؤمن - الجواب:

١- الفعل في (وَأَكُنْ) ليس معطوفا على الفعل في (فَأَصَّدَّقَ) حتى يستوجب النصب بالتبع، كما ذهبت أنت إليه وذهب إليه البعض، وحتى على فرض عطف فعل على فعل فالجزم صحيح لغويا، حيث هو عطف على محل (فَأَصَّدَّقَ) حيث هو في معنى الجزم، لأن الكلام بمعنى الشرط: (إن أخرتني أتصدق وأكن من الصالحين)، ولكن الأصح إنه ليس من باب عطف فعل على فعل، بل من باب عطف جملة على جملة، فالكلام بتقدير: (لولا أخرتني فأصدق، وإن أخرتني أكن من الصالحين)، فالفعل (أكن) مجزوم لأنه جواب شرط (إن أخرتني) المحذوف لدلالة ما قبله عليه (لولا أخرتني) وحرف العطف (الواو) عاطف لجملة (إن أخرتني أكن) على جملة (لولا أخرتني فأصدق).

٢- قلنا إنه حتى في قصد عطف فعل على فعل فالجزم صحيح لغة، كما أن قصد عطف جملة على جملة يكون الجزم صحيح لغة كما بينا، ولكن هناك

فرق في الدلالة. فإن قصد عطف فعل على فعل يعني أنه يطلب التأخير ليقوم بفعلين اثنين (التصدق والكون من الصالحين). أما بقصد عطف جملة على جملة فإنه لا يطلب التأخير إلا للقيام بفعل واحد هو (التصدق) وهو المصرح به في الجملة الأولى، أما الجملة الثانية فهي في بيان صفة وفضل الصدقة من حيث كونها ستجعله يفعلها من الصالحين المستحقين للرحمة. كما لو قلت لأستاذك: (إن أجلت امتحاني الى الغد سأدرس وأكون من الناجحين) فهنا أنت لا تقصد أنه إن أجل امتحانك ستقوم بعملين (الدراسة والكون من الناجحين)، وإنما تقصد إنك ستدرس فقط، وإنك بهذا الفعل نفسه (الدراسة) ستكون من الناجحين. فالفعل في الآية (وأكن) مجزوم جواب شرط مفهوم، والجملة في بيان حقيقة الصدقة وكونها سببا للنجاة.

الملحد - نصب المعطوف على المرفوع.

الآية: (لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا) (النساء: ١٦٢).

تصحيح الخطأ: كان يجب أن يرفع المعطوف على المرفوع: "والمقيمون الصَّلَاةَ"، لأنه معطوف على المرفوع (الراسخون، والمؤمنون). وهذا ما فعله في العبارة التالية حين قال: "وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ".

المؤمن - ليس (والمقيمين) معطوفا على المرفوع (الراسخون)، فتلك جملة تمت وانتهت، و(الراسخون) مبتدأ استوفى خبره (يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك). بل عبارة (والمقيمين الصلاة) جملة جديدة، و(الواو) فيها استئنافية، و(المقيمين) مفعول به منصوب لفعل محذوف تقديره (أخص وأمدح)، وعبارة (والمؤتون الزكاة) جملة جديدة أيضا بتقدير (والمؤتون الزكاة كذلك)، فكلمة (المقيمين) منصوبة على المدح والاختصاص. فمعنى النص: إن الراسخين في العلم من أهل الكتاب يصدقون برسالتك، وإن من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا سنؤتيه أجرا عظيما.

والنصب على المدح والذم والاختصاص والتعظيم؛ باب واسع من فنون اللغة العربية وعليه أمثلة وشواهد كثيرة جدا. قال سيبويه:

((ومما ينتصب على المدح والتعظيم قول الفرزدق:

ولكنني استبقيتُ أعراضَ مازنٍ ... وأيامها من مستنيرٍ ومظلمٍ
أناساً بثغرٍ لاتزالُ رماحهم ... شوارعَ من غيرِ العشيرةِ في الدمِ
ومما ينتصب على أنه عظيم الأمر قول عمرو بن شأس الأسدي:
ولم أرَ ليلَى بعد يومٍ تعرّضتُ ... لنا بين أثوابِ الطّرافِ من الأدمِ
كلابيةً وبريةً حَبْرِيَّةً ... نأتكُ وخانتُ بالمواعيدِ والذممِ
أناساً عِدِّي عُلقتُ فيهمُ وليتني ... طلبتُ الهوى في رأسِ ذي زَلقٍ أشتَمَ
وقال الآخر:

ضننتُ بنفسى جُبةً ثم أصبحتُ ... لبنتِ عطاءِ بيئها وجميعها

ضبابيةً مرّيةً حابيةً ... مُنيفاً بنعفِ الصّيدلينِ وضيعها

فكل هذا سمعناه ممن يرويه من العرب نصبا.

ومما يدلّك على أن هذا ينتصب على التعظيم والمدح، أنك لو حملت الكلام على أن تجعل حالا لما بنيته على الاسم الأول كان ضعيفا. وليس هنا تعريفٌ ولا تنبيهٌ، ولا أراد أن يوقع شيئا في حال، لقبحه ولضعف المعنى.)).^١

الملحد - الإتيان بجمع كثرة حيث أريد القلة.

الآية: (وقالوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً) (البقرة ٨٠).

١ - كتاب سيبويه، ج ٢ ص ١٥١

تصحيح الخطأ: كان يجب أن يجمعها جمع قلة لتطابق السياق: لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ... وهذا ما جاء في سورة آل عمران (الآية ٢٤): "ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات".

المؤمن: الجواب:

١- اعتراضكم مبني على توهم، فإن كلمة (معدودة) ليست جمعا أصلا، لا للكثرة ولا للقلّة، وإنما هي لفظ مفرد. نعم، إن كان اعتراضكم أنه قد أتى بالنعت مفردا مع كون المنعوت جمعا؛ فنقول إن الأصل في الصفة أن تطابق الموصوف في الأفراد والتثنية والجمع، ولكن العرب استثنوا من ذلك عدة أمور، منها: ما لو كان المنعوت جمعا لغير العقلاء، فإنه يجوز في نعته أن يكون مفردا مؤنثا، وأن يكون جمع مؤنث سالم، فيصح أن تقول: (رأيت أسودا مفترسة واشتريت كتبا جديدة) كما يصح أن تقول (رأيت أسودا مفترسات واشتريت كتبا جديدات).

فلاحظ في معلقة زهير بن أبي سلمى:

ومن لا يصانع في أمورٍ كثيرةٍ ... يضرس بأنيابٍ ويوطأ بمنسم^(١)

ومحل الشاهد (أمور كثيرة) حيث جاء النعت (كثيرة) مفردا مؤنثا ولم يقل (كثيرات أو كُثر)، بينما المنعوت (أمور) جمع تكسير لغير العاقل. أما في معلقة عمرو بن كلثوم:

وأيامٍ لنا غر طوال ... عصينا الملك فيها أن ندينا^(٢)

ومحل الشاهد (أيام.. غر طوال) حيث المنعوت (أيام) جمع تكسير لغير العاقل، وقد طابقه النعت (غر طوال) في الجمع، فلم يقل (غراء طويلة).

(١) شرح المعلقات السبع، الزوزني
(٢) المصدر السابق

وموضوعنا (أياماً معدودة) من هذا القبيل، فإن المنعوت (أيام) هو جمع تكسير لغير العاقل، فجاز في نعته الإفراد والجمع، أي يصح أن تقول (أياماً معدودة ومعدودات). ونعت جمع غير العاقل بالمفرد على تأويل معنى (جماعة) أي: هذه الجماعة موصوفة بهذا الوصف.

ومثل النعت فيما تقدم: الخبر عن الجمع غير العاقل، والإشارة إليه، والضمير العائد عليه، ولا حاجة للشواهد من لغة العرب فهو أمر مفروغ منه، وقد جاء القرآن موافقاً للغة العرب في كل ذلك. قال تعالى: ((رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً (٢)))^١، حيث وصف جمع التكسير غير العاقل (صحف) بنعت مفرد مؤنث (مطهرة). وقال تعالى: ((وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (١٢)))^٢ حيث وصف الجمع (السحاب) بجمع (الثقال).

٢- قولكم إن (معدودات) هو جمع يفيد القلة، أي للجمع دون العشرة. هذا القول غير صحيح، فجمع المؤنث السالم هو يفيد مطلق الجمع، ولا مخصص له فيما دون العشرة. لاحظ قول امرئ القيس في معلقته:

مَسَحَّ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَيْ ... أَثَرْنَ الْغُبَارَ بِالْكَدِيدِ الْمُرَكَّلِ^(٣)

فكلمة (السابحات) عنى بها نحواً من الخيول، ولا دليل على كونه قصد عدداً منها دون العشرة، فهو لا ينظر للعدد بل ينظر الى الوصف.

ولاحظ كذلك قول طرفة بن العبد في معلقته:

فَمِنْهُمْ سَبَقِي الْعَاذِلَاتِ بَشْرِيَّةٍ ... كُؤِمِيَّتِي مَتَى مَا تُعَلَّ بِالْمَاءِ تُزْبِدِ^(٤)

فكلمة (العاذلات) قصد بها كلمات اللوم والتقريع من اللائمين، ولا دليل فيها أنه يقصد عدداً منها دون العشرة، بل الدليل على العكس، فإنه يذكر صريحاً ذم وتقريع العشيرة كلها له حتى أنها قد اعتزلته وعزلته كعزل البعير الأجر:

١ - سورة البينة
٢ - سورة الرعد
(٣) شرح المعلقات السبع، الزوزني
(٤)

وما زال تشرابي الخمر ولذتي ... وبيعي وإنفاقي طريقي ومتلدي

إلى أن تحامتني العشيرة كلها ... وأفردت أفراد البعير المعبد

نعم، زعم بعض النحاة دلالة جمع المؤنث السالم على القلة ولم يثبت زعمهم من لغة العرب، وإنما احتجوا بقول لم يثبت للنابغة وبحجة عقلية واهية، وقد أشار إلى ذلك الزعم ودليله الرضي في شرحه لكافية ابن الحاجب ورفضه، قال:

((قالوا: مطلق الجمع على ضربين قلة وكثرة والمراد بالقليل من الثلاثة إلى العشرة، والحدان داخلان، وبالكثير ما فوق العشرة، قالوا: وجمع القلة من المكسر أربعة: أفعال، وأفعلة، وفعلة، وزاد الفراء فعلة (بفتح الفاء والعين) كقولهم: هم أكلة رأس: أي قليلون يكفيهم ويشبعهم رأى واحد، وليس بشيء، إذ القلة مفهومة من قرينة شبعهم بأكل رأس واحد لا من إطلاق فعلة، ونقل التبريزي أن منها أفعلاء كأصدقاء، وجمعا السلامة عندهم منها أيضا، استدلالا بمشابهتهما للتثنية في سلامة الواحد، وليس بشيء، إذ مشابهة شيء لشيء لفظا لا تقتضي مشابهته له معنى أيضا، ولو ثبت ما نقل أن النابغة قال لحسان لما أنشده قوله: "لنا الجفان الغر يلمعن بالضحي * وأسيافنا يقطن من نجدة دما" قلت جفانك وسيوفك، كان فيه دليل على أن المجموع بالألف والتاء جمع قلة، وقال ابن خروف: جمعا السلامة مشتركان بين القلة والكثرة، والظاهر أنهما لمطلق الجمع من غير نظر إلى القلة والكثرة فيصلحان لهما))^١، وقال في شرحه لشافية ابن الحاجب: ((وأما أسماء الجموع فمشتركة بين القلة والكثرة، وكذا جمع السلامة على الصحيح كما مضى في شرح الكافية))^٢.

النتيجة: ليس كلمة (معدودة) جمع كثرة بل هي ليست جمعا أصلا بل نعت مفرد، كما أن جمع المؤنث السالم يأتي لمطلق الجمع، ولا تحديد فيه للقلة أو الكثرة إلا بحسب القرينة، بل حتى لو سلمنا بدلالة جمع المؤنث السالم على

١ - شرح الكافية، الرضي الاسترأبادي، تعليق يوسف حسن، ج ٢ ص ١٧٧

٢ - شرح الشافية، الرضي الاسترأبادي، تحقيق محمد نور، ص ٢٦٧

القلة، فإنه واقعا لا يوجد خطأ في الآية إلا على توهمكم إن (معدودة) هي جمع كثرة، وهذا وهم مفضوح.

الملحد - الإتيان بجمع القلة حيث أريد الكثرة.

الآية: (كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ) (البقرة: ١٨٣).

تصحيح الخطأ: هنا كان يجب أن يجمعها جمع كثرة حيث أن المراد جمع كثرة لأيام الصوم عدته ٣٠ يوماً فيقول: "أياماً معدودة".

المؤمن - تمت الإجابة على مثله مسبقاً. فليس (معدودة) جمع كثرة، بل ليس جمعا أصلا بل هو مفرد مؤنث، كما أن جمع المؤنث السالم يفيد مطلق الجمع، ولا محدد فيه للقلة أو الكثرة إلا بالقرينة، وهنا قرينة السياق بأن الكلام هو عن شهر رمضان هي التي أفادتك الدلالة على الكثرة. قال سيبويه:

((وقد يجمعون بالتاء وهم يريدون الكثير. وقال الشاعر، وهو حسان بن ثابت:

لنا الجفناثُ العُرَّ يَلْمَعَنَّ بالضُّحَى ... وأسيافنا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا.

فلم يرد أدنى العدد.))^١.

بل حتى لو سلمنا بأن جمع المؤنث السالم يفيد القلة فليس هناك خطأ في الآية، لأن المقصود بحسب السياق هو تقليل المعدود لا العدد، أي ليس المراد تقليل عدد أيام شهر رمضان، بل تقليل مشقة الصوم فيهن بالنسبة الى مجموع أيام السنة، فإن نسبة صوم رمضان ومشقته الى باقي أشهر السنة التي لا يجب فيها الصوم فلا مشقة؛ هي بنسبة ١ الى ١٢، والله تعالى يريد أن يبين هذه الحيثية حيثية المشقة وكونها قليلة بالقياس الى عدم المشقة باقي السنة.

الملحد - تأنيث العدد وجمع المعدود

^١ - الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، ج ٣ ص ٥٧٨

الآية: (وَقَطَعْنَا هُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا). (الأعراف: ١٦٠)

تصحيح الخطأ: كان يجب أن يذكر العدد (١٢) وأن يأتي بالمعدود مفرداً:
اثني عشر سبطاً.

المؤمن – ومن قال إن (أسباطا) هو تمييز العدد (اثنتي عشرة)؟

إن تمييز العدد (اثنتي عشرة) هو فرقة أو جماعة، فالكلام بتقدير (قطعناهم اثنتي عشرة فرقة أسباطا). وكلمة (أسباطا) هي نعت للتمييز (فرقة) ويجوز في نعت التمييز أن تفرده حملاً على لفظه، وأن تجمعها حملاً على معناه. فيصح أن تقول عند العرب الأقحاح (اشتريت اثنتي عشرة ناقة صغيرة أو صغاراً). ثم إن التمييز المنعوت يجوز حذفه في لغة العرب الأقحاح وإبقاء النعت، إن كان معلوماً لدى السامع، بل كل منعوت يجوز حذفه وإبقاء نعته إن كان معلوماً، فيصح أن تقول (اشتريت اثنتي عشرة صغيرة – اشتريت اثنتي عشرة صغاراً). لاحظ قول عنتره العبسي في معلقته:

فيها اثنتان وأربعون حلوبة ... سودا كخافية الغراب الأسحم

محل الشاهد قوله (اثنتان وأربعون حلوبة سودا) فهنا حذف التمييز المنعوت للعدد وهو (ناقة) للعلم به من سياق الأبيات السابقة، والكلام بتقدير (اثنتان وأربعون ناقة حلوبة سودا). كما أنه هنا وصف التمييز المحذوف بنعتين (حلوبة سودا) والنعت (حلوبة) هو مفرد حملاً على لفظ (ناقة) فهو مفرد بتقدير (اثنتان وأربعون ناقة حلوبة)، بينما النعت الثاني (سودا) هو جمع (سوداء) حملاً على معنى الناقة، لأن المراد بها العدد (٤٢) فالكلام بتقدير (اثنتان وأربعون ناقة سودا).

وهكذا هنا في موردنا (اثنتي عشرة أسباطاً) فإن التمييز (فرقة أو جماعة) محذوف، و(أسباطا) هو نعت التمييز المحذوف بلحاظ معناه. ويمكن أن يقال إن (أسباطا) ليس نعناً للتمييز المحذوف حملاً على معناه، بل هو بدل من العدد (اثنتي عشرة) وهذا وجه عربي فصيح.

الملحد - وضع الفعل المضارع بدل الماضي

الآية: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ).
(آل عمران: ٥٩).

تصحيح الخطأ: "قال له كن فكان" لأنه يخبر عن أحداث وقعت في الزمن الماضي (ثم قال) فاللزام أن يقول (فكان).

المؤمن - عطف الفعل الماضي على الفعل الماضي، هذا بحسب أسلوب لغة الكلام السائدة لدى العامة من العرب الفصحاء، ولكنه ليس ملزماً للبلغاء منهم، فالبلاغة فوق مستوى الفصاحة، وليس كل فصيح بليغ. وردت في القرآن عدة مواضع غير هذه، يكون ظاهرها عطف الفعل المضارع على الفعل الماضي، منها قوله تعالى:

((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (٦٣)))^١. فالفعل (أنزل) فعل ماضٍ، بينما (فتصبح) فعل مضارع، فلم يقل (أنزل... فأصبحت). وهذا وارد في بليغ كلام العرب، كقول النابغة الذبياني:

سقى الغيثُ قبراً بينَ بصرى وجاسمٍ ... بغيثٍ، من الوسمي، قطرٌ ووابلٌ
ولا زالَ ريحانٌ ومسكٌ وعنبرٌ ... على مُنتَهَاهُ، دِيْمَةٌ ثمَّ هَاطِلٌ
و يَنْبُتُ حَوْذَاناً وَعَوْفاً مُنوراً ... سَأْتِيْعُهُ مِنْ خَيْرٍ مَا قَالَ قَائِلٌ^(٢)
ويروى: (فِيَنْبُتُ حَوْذَاناً وَعَوْفاً مُنوراً)^٣.

وسواء أكان (وينبت) أم (فينبت)، فقد جاء العطف للفعل المضارع (ينبت) بعد الفعل الماضي (سقى.... زال).

وفي ذلك عدة وجوه منها:

^١ - سورة الحج
^(٢) ديوان النابغة الذبياني، جمع وشرح محمد الطاهر ابن عاشور، ص ١٩٠
^٣ - الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، ج ٣ ص ٣٧

١- قصد حكاية حال ماضية: أن يكون التعبير بصيغة المضارع عن الحدث الماضي بقصد حكاية حال ماضية، أي إنك تحكي الحدث كما هو في وقته أي زمن وقوعه، لا زمن الإخبار عنه. كما تقول: أمس رأيت زيدا يكتب.

٢- أسلوب العدول بالصيغة: ويكثر ذلك في الأحداث المهمة التي يريد المتكلم أن يصورها للمستمع حتى كأنه يشاهدها حالياً ليعطيه مساحة من التأمل في الحدث، فيقوم لذلك المتكلم بالعدول من صيغة الماضي الى صيغة المضارع ليوسع المشهد الى الحال.

٣- أسلوب العدول في التركيب: أي إن الكلام أصلاً ليس من باب عطف فعل على فعل حتى يشترط تناسب صيغة الفعلين، بل من باب عطف الجملة الاسمية على جملة فعلية، حيث يستأنف المتكلم كلاماً جديداً يعدل فيه عن تركيب الجملة الفعلية الى تركيب الجملة الاسمية ليوقف حركة المشهد ويعطيه ثباتاً يمنح المتلقي فرصة التأمل.

هنا في موردنا، يكون تعبير (قال... فيكون) أما من باب حكاية حالة التكوين الماضية كما هي حين حدوثها، وأما أن يكون ليس بقصد حكاية حال ماضية، بل عدول بالصيغة الى صيغة المضارع ليصور المشهد للمتلقي كأنه يراه الآن، وفي كلا الغائتين فهو من باب عطف فعل على فعل. وأما أن يكون الكلام ليس من باب عطف فعل على فعل، بل هو استئناف كلام جديد استعمل فيه تركيب الجملة الاسمية ثم هذه الجملة الاسمية معطوفة على تلك الجملة الفعلية، فجملة (فيكون) خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو، وجملة «فهو يكون» الاسمية مستأنفة، معطوفة على جملة (قال له كن)، والكلام بتقدير: (قال له كن فهو يكون).

الملحد - اضطراب المعنى بسبب تغيير المخاطب

الآية: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) (الفتح: ٨، ٩)

تصحيح الخطأ: في البدء يخاطب القرآن محمداً (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً
وَنَذِيراً) ثم فجأة يغير المخاطب في منتصف الجملة ليتحدث للمؤمنين
(لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ).

ثم هناك لبس آخر: إن كان هذا الضمير (الهاء) في هذا القول (تعزروه
وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً) عائداً على الرسول يكون كقرأ، لأن
التسبيح لله فقط. وإن كان عائداً على الله يكون كقرأ أيضاً، لأن الله لا يحتاج
لمن يعزره ويوقره. وإن كان المقصود هو أن (تعزروه وتوقروه) يعود على
الرسول فقط و(تسبحوه بكرة وأصيلاً) يعود على الله فقط؛ فليس في اللفظ ما
يعين ذلك تعييناً يزيل اللبس.

المؤمن – الجواب:

١- القراءة المشهورة كون الأفعال الأربعة (تؤمنوا – تعزروه – توقروه –
تسبحوه) بتاء الخطاب، ولكن قرأ ابن كثير وأبو عمرو بياء الغيبة في الجميع
(ليؤمنوا – يعزروه – يوقروه – يسبحوه) وقراءتهما أرجح بالنظر إلى
السياق الاعتيادي في الخطاب المتعارف عند العامة من الناس، حيث لا
يوجد عدول في الخطاب من مخاطبة الرسول الى مخاطبة الناس، وإنما يبقى
المخاطب هو الرسول فقط والحديث عن الناس بصيغة الغائب، وبهذا المقدار
يسقط اعتراضكم بدعوى اضطراب المعنى بسبب تغير المخاطب فجأة. على
أنه حتى على القراءة المشهورة وتغير المخاطب لا يوجد اضطراب في
المعنى، فالخطاب الموجه للرسول واضح بأننا أرسلناك شاهداً ومبشراً
ونذيراً، والخطاب الموجه للمؤمنين واضح بلزوم الإيمان بالله ورسوله، فلا
يوجد اضطراب في المعنى كما تزعم. نعم، يصح اعتراضكم على مخالفة
السياق المؤلف بالعدول من خطاب الرسول الى خطاب الناس، وهذا
اعتراض فني لا علاقة له بالتباس المعنى، وهو اعتراض مرفوض لأنه
مبني على السياق المؤلف في كلام عامة الناس في حياتهم اليومية، ولكن
لغة القرآن جاءت فوق مستوى الكلام العامي للعرب، فكما ليس الشعراء في
لغة الأدب ملزمين بمجازاة كلام العامة وإلا لم يكن فرق بين لغة الأدب ولغة

السوق، فكذا القرآن ليس ملزماً، بل القرآن جاء يتحدى عمالقة الأدب الجاهلي، وعليه فإن العدول بالخطاب من الرسول الى الناس هو كسر للنسق المألوف في لغة العامة من الناس، ولا يكون الفن فنا ما لم يكن فيه كسر للنسق المألوف، بشرط عدم الإخلال بالقواعد العليا للفصاحة واللغة وعدم ابهام المعنى.

٢- أما بالنسبة لضمير الهاء فأنت أجبت نفسك بقولك (المقصود هو أن تعزروه وتوقروه) يعود على الرسول فقط و(تسبحوه بكرة وأصيلاً) يعود على الله فقط). وزعمك بأنه يوجب اللبس أجبت أنت عنه بقولك (إن كان هذا الضمير (الهاء) في هذا القول (تعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً) عائداً على الرسول يكون كفراً، لأن التسبيح لله فقط وإن كان عائداً على الله يكون كفراً أيضاً، لأن الله لا يحتاج لمن يعزره ويوقره) فأنت تعترف بأن التعزير والتوقير يناسب الرسول بينما التسبيح يناسب الله تعالى، فهذه قرينة عقلية تعين المقصود بالضمير وتزيل اللبس.

هذا أسلوب بلاغي يسمى ((اللف والنشر المعكوس)) كقوله تعالى: ((وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً (١٢)))^١، حيث ذكر الله تعالى آية الليل أولاً قبل آية النهار (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً) ثم بعد ذلك ذكر حكمة النهار قبل حكمة الليل عكس الترتيب (لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ) فابتغاء فضل الله بطلب المعاش هو احدى حكم جعل آية النهار مبصرة، ومعرفة حساب الأيام والأشهر والسنين من منازل القمر هو احدى حكم محو آية الليل. فكذاك هنا ذكر الله تعالى اسمه أولاً ثم الرسول (لتؤمنوا بالله ورسوله) ثم بعد ذلك ذكر ما يعود لكل منهما من المعنى بعكس الترتيب (وتعزروه وتوقروه وتسبحوه) فالتعزير (النصرة) والتوقير (التعظيم) يعودان للرسول، بينما التسبيح يعود لله تعالى. اللف والنشر هو أسلوب بلاغي بأن تذكر أولاً أمرين أو أكثر ثم تذكر ما يعود لكل واحد من

١ - سورة الإسراء

معنى، أما بنفس الترتيب أي يكون المعنى الأول عائدا للأمر الأول، ويعود المعنى الثاني للأمر الثاني، ويسمى اللف والنشر المرتب، كقوله تعالى: ((وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٣)))^١. فقد ذكر الليل أولا قبل النهار، ثم أعاد المعنى عليهما بنفس الترتيب، فذكر أولا حكمة الليل وهي السكن والنوم فيه، ثم ذكر حكمة النهار وهي ابتغاء الرزق والعمل؛ وأما بعكس الترتيب فكما أوضحنا. وهذا الأسلوب البلاغي مستعمل في الأدب العربي، كقول الشاعر من اللف والنشر المعكوس:

كيف أسلو وأنت حقف وغصن ... وغزال لحظا وقدا وردفا^(٢)

الملحد - الانتقال من المخاطب إلى الغائب قبل إتمام المعنى

الآية: (حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ) (يونس: ٢١)

تصحيح الخطأ: المفروض أن يقول (حتى إذا كنتم... وجرين بكم... وفرحتم بها).

المؤمن: هذا يسمى أسلوب الالتفات، وهو التعبير عن معنى بأحد الطرق الثلاثة، التكلم أو الخطاب أو الغيبة، بعد التعبير عنه بطريق آخر منها. وهو أسلوب شائع في القرآن الكريم، كقوله تعالى في سورة الفاتحة:

((الحمد لله رب العالمين... إياك نعبد)) حيث انتقل في التعبير من الغيبة (الله) إلى الخطاب (إياك) فلم يقل (إياه). وكقوله تعالى في سورة الكوثر: ((إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر)) التفت من التكلم (إنا) إلى الغيبة (لربك) فلم يقل (لنا). كما هو أسلوب وارد في أدب العرب، كقول الشاعر الجاهلي علقمة بن عبدة:

^١ - سورة القصص
^(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص ٢٣٣، ط٤ بيروت

طحا بك قلب في الحسان طروب ... بعيد الشباب عصر حان مشيب

يكلفني ليلى وقد شط وليها ... وعادت عواد بيننا وخطوب^(١)

حيث انتقل من المخاطب (بك) الى المتكلم (يكلفني) فلم يقل (يكلفك).
فراجعوا مصادر علم البلاغة والشعر.

الملحد - ورود ضمير المفرد للعائد على المثني

الآية: (وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ) (التوبة: ٦٢)

تصحيح الخطأ: وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُمَا

المؤمن - هذا ليس من باب عطف المفرد على المفرد، أي ليست هذه جملة اسمية واحدة، يكون المبتدأ فيها المعطوف والمعطوف عليه (الله ورسوله)، حتى يجب في خبر هذا المبتدأ أن يكون الضمير مطابقا لهما. بل المسألة من باب عطف الجملة الاسمية على الجملة الاسمية، وقد حذف خبر أحد الجملتين لدلالة خبر الجملة الأخرى عليه. فهنا (رسوله) مبتدأ خبره المذكور (أحق أن يرضوه)، و(الله) لفظ الجلالة مبتدأ خبره محذوف لدلالة خبر الجملة التي بعده عليه، والتقدير (الله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه)، وبلاغة ذلك هي الإيجاز ودلالة إن رضا الله تعالى هو عين رضا رسوله صلى الله عليه وآله. وهذا الأسلوب بحذف خبر أحد الجملتين بدلالة خبر الجملة الأخرى عليه وارد في فصيح لغة العرب، كقول قيس بن الخطيم من فحول الشعر الجاهلي:

نحن بما عندنا وأنت بما ... عندك راض والرأي مختلف

التقدير نحن بما عندنا راضون، حيث حذف خبر مبتدأ الجملة الأولى (نحن) لدلالة خبر مبتدأ الجملة الثانية (أنت) عليه^(٢).

(١) المصدر السابق، ص ٧٣

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، ج ١ ص ٢٤٥، ط ٢٠٠٥، دار التراث

ومثله قولُ الفرزدق:

إِنِّي ضَمِنْتُ لِمَنْ أَتَانِي مَا جَنَى ... وَأَبَى فَكَانَ وَكَانَتْ غَيْرَ غَدُورٍ
حيث استغنى عن خبر (فكان) بخبر (وكانت) لدالاته عليه^(١).

الملحد - ورود الجمع بدل المثني

الآية: (إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) (التحریم: ٤)

تصحيح الخطأ: الخطاب هنا موجّه لحفصة وعائشة. فكان من المفروض أن يقول "إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَى قَلْبَاكُمَا" إذ أنه ليس للاثنتين أكثر من قلبين.

المؤمن - من الضوابط اللغوية التي استنبطها النحاة من استقراء كلام العرب: إن جسم الإنسان - وغيره - ذو أعضاء، وأجزاء، وأشياء أخرى تتصل به، منها: ما يلزمه ويتصل به دائماً، فلا ينفصل عنه في وقت، ثم يعود إليه في وقت آخر؛ كالرأس؛ والأنف، والظهر، والبطن، والقلب ... ومنها: ما يتصل به حيناً، ويفصل عنه حيناً، ويعود إليه بعد ذلك؛ كالثوب، والأدوات الجسمية الأخرى وأشباهاها ... فإذا كان في الجسم شيء واحد لا يتعدد، ولا ينفصل عنه، كالرأس؛ والقلب، وقد ضمنت إليه مثله ثم أضفته إلى كله جاز فيه ثلاثة أوجه: أحدها الجمع، وهو الأكثر، نحو قولك: "ما أحسن رؤوسهما!" قال الله تعالى: {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا}. وإنما عبّروا بالجمع، والمراد التثنية من حيث إنّ التثنية هي جمع في الحقيقة؛ ولأنه ممّا لا يُلِيس ولا يُشكِل؛ لأنه قد عُلِمَ أنّ الواحد لا يكون له إلا رأسٌ واحدٌ، أو قلب واحد؛ ولكراهة اجتماع تثنيّتين في المتضايّفين. فشَبَّهوا هذا النوع بقولهم: "نحن فعلنا"، وإن كانا اثنتين، في التعبير عنهما بلفظ الجمع. قال الشاعر:

ومهمّهين قدّفين مرّتين ... ظهراهما مثل ظهور الترسين

(١) الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، ج ١ ص ٧٦، ط ٣، القاهرة

حيث لم يقل (مثل ظهري الترسين) بل استعمل صيغة الجمع (ظهور) وأراد ظهريين، لوجود القرينة، حيث لا يكون للترس الواحد سوى ظهر واحد^(١). ثم إن اطلاق صيغة الجمع على المفرد وعلى المثنى مجازاً أمر شائع في اللغة العربية، مع وجود القرينة وهي موجودة هنا، فأنت نفسك أقررت أن المرأتين في هذه الآية لا تملك كل واحدة منهما سوى قلب واحد بقولك (إذ أنه ليس للثنتين أكثر من قلبين)، واستعمال المجاز هنا في هذا المورد هو بقصد المبالغة، كأن لهاتين المرأتين أكثر من قلب بسبب كثرة تقبلهما، فالشخص كثير التقلب في الآراء والمعتقدات يقال له تهكما أو تعجباً: هل أنت تملك أكثر من قلب فتكون كل ساعة في حال! وهذا ما أشار إليه قوله تعالى: ((مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ... (٤)))^٢.

الملحد - ورود المفرد بدل الجمع

الآية: (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَائِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (النور: ٣١)

تصحيح الخطأ: السياق يستوجب الاتيان بصيغة الجمع (الأطفال الذين) وليس المفرد (الطفل الذين).

المؤمن - كلمة (طفل) هنا ليست اسماً مفرداً بل هي اسم جمع دل على كثير. فالنحاة متفقون على تقسيم الأسماء الدالة على أكثر من اثنين الى: الجمع (المذكر السالم والمؤنث السالم والتكسير)؛ واسم الجنس وهو الاسم

(١) شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش، ج ٣ ص ٢١٠، ط ١، دار الكتب - بيروت
٢ - سورة الأحزاب

الموضوع للحقيقة النوعية الكلية المنطبقة على أفراد كثيرة مثل (انسان و اسد وذهب وتمر و عرب)؛ واسم الجمع وهو ما يدل على أكثر من اثنين، وليس له مفرد من لفظه ومعناه معاً، وليست صيغته على وزن خاص بالتكسير، أو غالب فيه، مثل: رهط، قوم، إبل، ركب^(١).

اسمُ الجمع هو ما تضمن معنى الجمع، غير أنه لا واحد له من لفظه، وإنما واحده من معناه. وذلك "كجيش (وواحدَه جندي) " وشعب وقبيلة وقوم ورهط ومعشر وثلة (وواحدُها رجل، أو امرأة) ونساء (وواحدُها امرأة) وخيل (وواحدُها فرس) وإبل ونعم (والواحدُ جملٌ أو ناقَةٌ) وغمم وضأن (والواحد شاة للذكر والأنثى). ولك أن تُعاملَ اسم الجمع معاملة المفرد، باعتبار لفظه، ومعاملة الجمع، باعتبار معناه، فتقول "القوم سارَ أو ساروا، وشعبٌ ذكيٌّ أو أذكياؤ". وباعتبار أنه مفردٌ، يجوزُ جمعُه كما يُجمعُ المفردُ مثلُ "أقوام وشعوب وقبائل وأرهُط وآبال"^(٢).

قال امرئ القيس الجاهلي في معلقته:

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرَ فِي وُكْنَاتِهَا ... بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ^(٣)

ومحل الشاهد قوله (الطير) فهنا لم يقصد الفرد من الطيور، بل هذه صيغة (اسم الجمع) الدالة على كثير، بقرينة قوله (في وكناتها) حيث أتى بصيغة الجمع لمسكن الطير، ولو كان يقصد المفرد من الطير لقال (في وكنته).

فكلمة (طفل) هنا اسم جمع دل على كثيرين وليس مفرداً، بدليل نعته بصيغة الجمع (الذين) وتعويد ضمير (واو الجماعة) عليه (الطِفْلُ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ)، (الذين) اسم موصول مبني في محلّ نصب نعت للطفل. والسبب البلاغي في استعمال اسم الجمع (الطفل) في هذه العبارة من النص القرآني هو لعدم خصوصية صفات أفراد الطفل في هذا المقام لعدم تمييزهم، فالمقام يتحدث عن محل للنساء الانكشاف أمامه، ومنهم (الطفل) لعله عدم ادراكهم ونضجهم العقلي والجنسي. بينما لاحظ في السورة نفسها

(١) النحو الوافي، عباس حسن، ج ٤ ص ٦٨٠، ط ١٥٥، دار المعارف

(٢) جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، ج ٢ ص ٦٥، ط ٢٨٨، المكتبة العصرية، بيروت

(٣) شرح المعلقات السبع، الزوزني

قوله تعالى: ((وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٩)))^١، فهنا استعمل صيغة جمع التكسير (الأطفال) بسبب ملاحظة خصوصية أفراد الطفل الموجبة للاستئذان وهي بلوغهم الحلم أي النضج العقلي والجنسي، فعند ملاحظة خصوصية أفراد الطفل باعتبار أن بعض الطفل يبلغ الحلم وبعضه لم يبلغ؛ ناسب ذلك استعمال صيغة الجمع الدالة على تكثر المفرد (الأطفال). ومثل الآية التي اعترضتم عليها لاحظ قوله تعالى: ((هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِنَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦٧)))^٢، فهنا استعمل اسم الجمع (طفلا) لعدم ملاحظة خصوصية أفراد الطفل في هذه المرحلة، لأن الآية تتحدث عن ولادة الانسان عموما، بينما قال بعد ذلك (لتكونوا شيوخا) فأتى بصيغة جمع التكسير (شيوخ) لملاحظة خصوصية الأفراد في هذه المرحلة.

الملحد - سوء استعمال الضمائر وغياب جواب "من "

الآية: (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (النحل: ١٠٣)

تصحيح خطأ الضمائر: " ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليه غضب من الله وله عذاب عظيم"

لكن رغم هذا التصحيح فإن معنى هذه الآية لا يستقيم إذ أن الكاتب لم يكمل الجملة الأولى (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ) فلم يخبرنا بما سيحدث لمن يكفر بالله من بعد إيمانه.

المؤمن - الجواب:

^١ - سورة النور
^٢ - سورة غافر

١- كلمة (مَنْ) في عبارة (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ) هي اسم شرط جازم، والجملة هذه هي جملة الشرط، وجواب الشرط هو عبارة (فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)، أما المسنتنى من المؤاخذة (من أكره) والمستدرك عليه (من شرح بالكفر) فهما واقعان بين الشرط وجوابه. فما تريد معرفته من جزاء المرتدين الذي كفروا بعد ايمانهم فهو أن عليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم).

٢- أما عدم انسجام الضمائر في جملة الشرط وجوابه (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ... فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) فجوابه إن كلمة (مَنْ) سواء أكانت موصولة أم شرطية؛ هي من الكلمات المفردة المذكرة من ناحية لفظها، ولكنها من ناحية معناها قد تكون مفردا أو مثنى أو جمعا. ومن هنا يصح أن يعود الضمير عليها مفردا مذكرا، مراعاة للفظها، وهو الأكثر. ويجوز فيه مراعاة المعنى المراد وهو كثير... وقد اجتمع الأمران في قوله تعالى: ((بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢)))^١. فالضمائر في الشطر الأول من الآية مفردة مذكرة؛ مراعاة للفظ (مَنْ) بخلافها في الشطر الثاني فإنها للجمع؛ مراعاة لمعنى (مَنْ) فإن المقصود به العموم^(٢).

الملحد – الآية: (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِسُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا) (سورة النساء ٣)

التناقض: بداية الآية تتحدث عن اليتامى ثم فجأة تتحدث عن الزواج، فما دخل تعدد الزوجات بخوف القسط باليتامى!

المؤمن – قال تعالى: ((وَأْتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا (٢) وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي

^١ - سورة البقرة

^(٢) النحو الوافي، عباس حسن، ج ١ ص ٣٤٩، ط ٥، دار المعارف

الْيَتَامَى فَاَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا (٣))^١

كان المتعارف في العهد الجاهلي قبل الإسلام أن يتكفل أغلب الناس في الحجاز أمر اليتيمات، ثم يتزوجون بهنّ، ثم يمتلكون أموالهنّ، وربما ينكوهنّ بدون صداق أو بصداق أقل من شأنهنّ، فنزلت هذه الآية توصي أولياء اليتيمات إذا أرادوا الزواج بهنّ أن يلاحظوا جانب العدل معهنّ، وإلّا فليختاروا الأزواج من غيرهنّ.

يقول سبحانه في هذه الآية: (وإن خفتُمْ أَلَّا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) وقد جاء هذا الكلام بعد ما جاء في الآية السابقة من الحث على حفظ أموال اليتامى من التلف وعدم التفريط فيها، فجاءت هذه الآية لتتوه بحق آخر من حقوقهم، وهو هذه المرّة يتعلق باليتيمات خاصّة.

يتّضح تفسير هذه الآية والمراد منها، كما يتّضح الجواب أيضاً على السؤال المطروح هنا، وهو: لماذا تبتدئ الآية بذكر اليتامى، وتنتهي بمسألة الزواج، ويرتفع ما قد يتوهم من المنافاة بين تلك البداية، وهذه النهاية، فالبداية والنهاية كلتاهما تتعلقان بمسألة الزواج، غاية ما في الباب أنّ الآية تقول: إذا لم يمكنكم الزواج باليتيمات ومعاشرتهنّ على أساس من العدل والقسط فالأفضل أن تتركوا الزواج بهنّ، وتزوجوا بغيرهنّ من النساء تجنباً لظلم اليتيمات والإجحاف بحقوقهنّ، والجور عليهنّ.

فهذه الآية تعليم آخر ووصية أخرى باليتامى، ولكنها هذه المرّة تتعلق بمسألة الزواج باليتيمات، وإن على أوليائهنّ أن يعاملوهنّ في مسألة الزواج على أساس من العدل والقسط كما يعاملونهنّ في مسألة المال، فعليهم أن يراعوا في أمر الزواج مصلحة اليتيمة، وإلّا فمن الأحسن أن يدعوا الزواج بهنّ، ويختاروا الأزواج من غيرهنّ من النساء.

^١ - سورة النساء

هذا ومما يؤيد ويوضح هذا التفسير ما جاء في الآية (١٢٧) من نفس هذه السورة، وهو قوله تعالى: (ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء...) حيث حث سبحانه على التزام العدل في الزواج باليتيمات^(١).

الملحد – ما في نفس هذه الآية ((فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا)) يناقض ما في آية أخرى من نفس السورة ((وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (١٢٩)))^٢.

المؤمن – لا تناقض، فالآية الأولى تتحدث عن العدالة في النفقة بين الزوجات، بقرينة آخرها (ذلك أدنى أن ألا تعولوا) أي إن الاكتفاء بزوجة واحدة أو ما ملكت إيمانكم هو أفضل من أن تتكلفوا نفقة زوجات متعددة، فإن خفتم الجور في النفقة فلا تتزوجوا زوجات كثيرة. أما الآية الثانية فهي تتحدث عن العدالة القلبية في المحبة والمودة، وهي متعذرة عادة، بقرينة آخرها (فلا تميلوا كل الميل فتدروها كالمعلقة) أي إن العدالة في المحبة وإن كانت متعذرة عادة لكن لا يجوز أن تصل إلى الجفاء والقطعية، بحيث تترك الزوجة كالمعلقة لا هي متزوجة ولا وهي مطلقة.

وهنا رواية تذكر أن سلف الملاحدة الزنديق ابن أبي العوجاء قد سأل هذا السؤال فكان الجواب كالتالي:

((سأل ابن أبي العوجاء هشام بن الحكم فقال له: أليس الله حكيماً؟ قال: بلى وهو أحكم الحاكمين، قال: فأخبرني عن قوله عزوجل: " فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم إلا تعدلوا فواحدة" أليس هذا فرض؟ قال: بلى، قال: فأخبرني عن قوله عزوجل: "ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل" أي حكيم يتكلم بهذا!! فلم يكن عنده جواب فرحل إلى المدينة إلى أبي عبد الله (ع) فقال: يا هشام في غير وقت حج ولا عمرة؟ قال: نعم جعلت فداك لأمر أهمني، إن ابن أبي

(١) تفسير الأمل، الشيخ ناصر مكارم شيرازي، ج ٣ ص ٧٨
٢ - سورة النساء

العوجاء سألني عن مسألة لم يكن عندي فيها شيء. قال: وماهي؟ قال: فأخبره بالقصة فقال له أبو عبدالله (ع): أما قوله عزوجل: " فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم الا تعدلوا فواحدة " يعني في النفقة. وأما قوله: " ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة " يعني في المودة، قال: فلما قدم عليه هشام بهذا الجواب وأخبره قال: والله ما هذا من عندك.))^١.

الملحد - لو استخرجت لك ألف خطأ من القرآن سيجد المسلم ألف تأويل وتفسير لمحاولة رفع الخطأ ولن نصل لنتيجة. لكن اسأل نفسك ما هو الخطأ الذي إذا وجدته في القرآن ستعتبره كتاباً بشرياً؟ أنا سأجيبك والجواب هو لا يوجد. لا يوجد اي خطأ في القرآن سيغير قناعاتك وقناعات حتى الأعلم منك في اللغة، لأنهم سيجعلون حتى من الخطأ اللغوي اسلوباً بلاغياً جديداً استحدثه القرآن.

المؤمن - هذه سفسطة العاجز الجاهل بلغة العرب، بدليل أنني لم آتكم بشيء من عندي، بل من فصيح شعر العرب وكتب اللغة العربية مع المصادر، وهي التي أقررتم إنها مرجعيتكم اللغوية، وأنتم لم تناقشوا الدليل ولا المصادر. أنا أعلم أن جميع اعتراضاتكم اللغوية هي مأخوذة نصاً من عمل بعض الملاحدة وبعض النصارى المختصين، الذين أجهدوا أنفسهم شططاً في البحث في كتب التفسير واللغة ومشكلات اعراب القرآن، بغية تصيد أخطاء موهومة الوجود، وما أنتم إلا مجرد ناقل لا يجيد كتابة صفحة واحدة دون خطأ.

بذلك ثبت ما ذكرته في الجواب العام قبل الخوض في الأجوبة التفصيلية.

^١ - الكافي، الكليني، ج٥، باب فيما أحله الله عزوجل من النساء، الحديث رقم ١

الملحد - هذه الشواهد الشعرية من بليغ كلام العرب التي أتيت أنت بها لتثبت بلاغة القرآن؛ أليست هي مثل القرآن؟ فإن كانت مثله سقط تحدي الإعجاز، وإن كانت ليست مثله بطل الاستشهاد بها!

المؤمن - نعم، هي مثله من حيث موافقتها للغة القرآن في الموارد التي زعمتم أنها أخطاء لغوية، لذلك يصح الاستشهاد بها، لكنها ليست مثل القرآن من حيث وجوه الإعجاز، بل شتان بينها وبين القرآن. أنتم إلى حد الآن لم تفهموا معنى الاتيان بمثله وسأكررها لآخر مرة: مثله يعني مثله من حيث جميع وجوه اعجازه، يعني مثله من حيث عدم تقاطعه مطلقا مع ثوابت العلوم الحسية ومن حيث مطابقة أخباره التاريخية كلها للواقع، ومن حيث تجاوز تشريعاته لزمانها ومكانها، ومن حيث الحقائق المعرفية الفلسفية والنفسية والتاريخية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ومن حيث أن يكون بيان كل ذلك وفق أعلى مستويات البلاغة بحسب لسان العرب. فالقرآن نزل بلسان عربي مبين، لكن البراعة والإعجاز هي في استعمال هذا اللسان بما يفوق طاقة البشر، فشتان بين استعمال مذيع الأخبار للغة العربية وبين استعمال الأديب.

الملحد - وهل برأيك من المنطق أن نحتكم لشخص يقدر النص القرآني لنسأله في شأن اخطاء ذلك الكتاب! أنت تستشهد بكتب اللغة التي صنفها علماء اللغة من المسلمين، وبالتأكيد فإن كل خطأ عندهم قمة البلاغة وأسلوب يفوق أساليب العرب في الخطاب.

المؤمن - الجواب:

١- أن طعنكم في حاكمية خبراء النحو والصرف والبلاغة والشعر، وحاكمية الموروث من شعر العرب الأصيل؛ هو التجاء إلى السفسطة وطعن في مرجعيتكم في التخطئة والتصويب.

٢- لا مانع عندي من الاحتكام إلى خبير اللغات العالمي اليهودي الملحد جومسكي. اعرضوا عليه الأخطاء المدعاة، واعرضوا عليه سورة من سور الملاحدة المفتريات ليعرضها على سور القرآن وينقدها ثم يحكم. فهل تريدون تسهيلات وعدالة مع الخصوم أكثر من ذلك!

٣- دعونا نحتكم الى كتب جان كوهين، وهو أديب وعالم لغة وأستاذ فرنسي في جامعة السوربون. انظر ماذا يقول عن الأسلوب الأدبي وتمييزه عن لغة الخطاب العادي: ((الأسلوب هو كل ما ليس شائعا ولا عاديا ولا مطابقا للمعيار العام المألوف. ويبقى مع ذلك أن الأسلوب كما مورس في الأدب؛ يحمل قيمة جمالية. إنه انزياح بالنسبة الى معيار، أي أنه خطأ، ولكنه كما يقول برونو أيضا "خطأ مقصود")^١. إنه يقول إن اللغة الأدبية تتميز بكسر النسق وخرق القواعد والانزياح والعدول عن النمط الشائع المتعارف في لغة الخطاب العامة، بما يحقق إضافة جمالية، ولا يتجاوز حدود المعقول. هناك الكثير من الدراسات اللغوية والأدبية التي ستكشف يوما بعد يوم المزيد من أسرار جمال البيان القرآني. هذا وأنتم ما زلتم تريدون محاكمة القرآن بحسب القواعد العامة للغة العربية التي اطلعت عليها في الدراسة المبتدئة، وبحسب أدراككم السطحي للغة العرب، وبحسب لغتكم الدارجة، فأين تذهبون!

^١ - بنية اللغة الشعرية، جان كوهن، ترجمة محمد الولي، ص ١٥، ط ١، دار توبقال

اللقاء الثالث: حوارات حول الشبهات التاريخية

نتحاور اليوم في الشبهات التاريخية للملاحدة. وأقول قبل البدء أننا في اللقاء الحواري الثاني، ضمن فرضيات الملاحدة في تفسير الدين والإيمان، ذكرنا فرضية اسطورية الأديان، وقد نسفنا بشكل عام هذه الفرضية، وقلنا هناك أننا نتمكن أن نقول ان فرضية الاسطورة هي أقدم فرضية تم طرحها للطعن في دين الاسلام ، فقد ادعى أكابر المشركين في مكة أن كتاب القرآن بما يشتمل عليه من المعارف واخبار الأمم ما هو إلا اساطير الاولين ، وقد كان القرآن أمينا في نقل نص دعواهم في تسعة موارد ، منها قوله تعالى : ((وَإِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٣١)))^١. إن أكابر المشركين في مكة لما تمسكوا بفرضية اسطورية القرآن قالوا إنهم لو شاءوا لقالوا مثل هذا، ولكن القرآن تحداهم أن يقولوا مثله فقال تعالى: ((أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَبَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٣) قَالُوا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٤)))^٢. ولكنهم لم يقولوا رغم تكرار القرآن للتحدي أكثر من مرة!! بل استسهلوا الحرب على القول.

التحدي نفسه قائم أمام الملاحدة الجدد الذين لم يأتوا بجديد سوى محاولة احياء هذه الفرضية البالية والباسها ثوبا جديدا. فكل الشبهات التاريخية للملاحدة إنما هي إعادة صياغة لمقولة اسطورية الدين لأسلافهم من الكافرين، والتحدي هو التحدي، هاتوا مثله إن كنتم صادقين، ولن يأتوا بمثله لأنهم كاذبون، فليس عندهم سوى إطلاق الشبهات عسى أن يصطادوا بعض الغافلين، ولكن يمكرون ويمكر الله وهو خير الماكرين. فهيا هاتوا ما عندكم من الشبهات.

١ - سورة الأنفال

٢ - سورة هود

- هل القرآن مقتبس من كتب اليهود والنصارى؟

الملحد – بالفعل، فقد أثبت الباحثون المستشرقون أن كتب اليهود والنصارى كانت هي المصدر الذي اقتبس منه نبي الإسلام كل قصص القرآن، وما في كتب اليهود والنصارى هو أساطير الأولين، وقصص مخترعة.

المؤمن – أولاً: إن الكثير من المختصين أثبتوا عدم نزاهة الباحثين المستشرقين. فالمستشرقون كان معظمهم من المسيحيين الغربيين، ولم يأت معظمهم لدراسة الشرق الإسلامي لأغراض علمية بحتة، بل كانوا حسان طروادة لدخول الامبريالية الغربية، ولسرقة تراث الشرق، وللتبشير المسيحي، ولتوهين الشرق الإسلامي وإظهار تفوق الغرب المسيحي، ولا ننكر الإيجابيات القليلة للاستشراق كمناهج تحقيق النصوص. راجعوا في هذه المسألة، على سبيل المثال، كتاب (الاستشراق – المفاهيم الغربية للشرق) للبروفيسور ادوارد سعيد وهو فلسطيني أمريكي مسيحي.

ثانياً: ليس كل القصص القرآني موجود في كتب اليهود والنصارى، فهذه فرية سخيفة، ولم يقل بها شخص معروف، فمثل قصص الأنبياء شعيب وصالح وهود عليهم السلام، وردت في القرآن الكريم ولم يرد ذكرها في كتب اليهود والنصارى.

ثالثاً: إن ورود بعض القصص القرآني في كتب اليهود والنصارى، ليس دليلاً على كون القرآن صناعة بشرية وكون نبي الإسلام قد اقتبس من تلك الكتب، بل هو دليل على وحدة المنبع والمصدر، وهو الله تعالى، فنحن نؤمن بالنبوات وبكتب الرسالات السابقة وإن كانت تعرضت للتحريف بعد الرسل. فكما أن تشابه الإنسان مع القرد لا يعني كونه متطوراً عن القرد، فكذلك تشابه القرآن مع أسفار اليهود والنصارى لا يعني كونه منسوخاً أو مقتبساً أو متطوراً عنها. بل يعني وحدة الخالق المرسل.

رابعاً: إن أسفار اليهود والنصارى تعرضت إلى الكثير من التحريف والدس، بما لا يليق بمقام الله تعالى ولا مقام الأنبياء عليهم السلام، كنسبة أسفار اليهود الندم لله تعالى على خلق البشر، وكنسبة قيام بنات لوط عليه السلام بسقي أباهن الخمر والاضطجاع معه والحمل منه. بينما نجد القرآن الكريم خالياً

من هذه الترهات، وهذا دليل على عدم اقتباس القصص القرآني من كتب اليهود والنصارى.

خامسا: إن ما ذكره القرآن من القصص المشتركة يخالف في تفاصيله ما هو موجود في كتب اليهود والنصارى، فمثلا أسفار اليهود تزعم أن النبي هارون عليه السلام هو الذي صنع العجل لبني إسرائيل، بينما القرآن ينزه النبي هارون عن ذلك ويبين أن السامري هو من صنع العجل. وكذلك فإن أسفار النصارى تزعم صلب وموت النبي عيسى عليه السلام ثم قيامه من الموت، بينما ينكر القرآن أنهم صلبوه أو قتلوه. فلو كان القرآن يقتبس كتب اليهود والنصارى لما خالفهم في تفاصيل هي في صميم عقيدتهم، بل كان الأولى لنبي الإسلام، فيما لو لم يكن نبيا حقا، أن يجاريهم ليكسبهم.

- هل القرآن مقتبس من أساطير الشعوب؟

الملحد - فعلا كما تقول، دعوى إن كل القصص القرآني مأخوذ فقط من كتب اليهود والنصارى؛ هي فرية سخيفة، ولكننا نقول إن القصص القرآني مأخوذ من كل أساطير الأولين من اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم من الشعوب والأديان. وقد أثبت البحث التاريخي الأثري إن قصص أسفار اليهود التي ذكرها القرآن هي أصلا مأخوذة من تراث بلاد الرافدين، أكد وسومر وبابل وآشور.

المؤمن - أولا: نحن أثبتنا فيما تقدم عدم اقتباس القرآن الكريم من كتب اليهود، وقلنا بأنها تعرضت فعلا للتحريف والدس، فسواء ثبت اقتباس كتب اليهود من تراث بلاد الرافدين أم لم يثبت فتلك قضية لا تخصنا، إنها قضية تخص اليهود والنصارى، وأنا أعلم أن هذه الحجة الأركيولوجية قد أقامها البعض ضد أسفار اليهود قديما، ولكن الملاحظة جرحوها الى القرآن بدعوى أن القرآن مقتبس من أسفار اليهود التي هي مقتبسة من تراث بلاد الرافدين، وبالنتيجة يكون القرآن مقتبسا من تراث بلاد الرافدين. ولكن هذا أول الكلام، فمن قال إن القرآن مقتبس فعلا من أسفار اليهود؟ لقد أثبتنا فيما تقدم عدم اقتباس القرآن من أسفار اليهود، وبالتالي فلا علاقة له بتراث بلاد

الرافدين، ففضية اقتباس اسفار اليهود من تراث بلاد الرافدين هي قضية تخص اليهود والنصارى، ولا تخص المسلمين.

ثانيا: ومع كل ذلك، نتحداكم أن تثبتوا في خصوص القصص التوراتي الذي له نحو من المشابهة مع قصص القرآن، أنه مسروق من أساطير بشرية من تراث بلاد الرافدين.

- مهزلة "أنبياء سومريون"

الملحد - الدكتور خزعل الماجدي في كتابه (أنبياء سومريون) أثبت أن أنبياء التوراة العشرة من آدم الى نوح، هم في الحقيقة ملوك بلاد سومر العشرة من أوليم أو آدابا الى زي سو درا أو أوتنا بثتم. فملوك سومر العشرة كانوا بشرا عاديين ولم يكونوا أنبياء أو مرسلين من الله بالرسالات، ولكن اليهود عند تواجدهم في بلاد بابل أيام السبي البابلي لليهود على يد نبوخذ نصر الثاني، في القرن السادس قبل الميلاد، حيث تم احتجازهم قسرا في بلاد بابل قرابة ٧٠ سنة؛ تعرفوا على تراث بلاد الرافدين فاقتبسوه ونسبوه لهم، مدعين وجود أنبياء مرسلين من الله. وهذا يعني بطلان النبوات والأديان. وثلاثة من هؤلاء أنبياء التوراة العشرة، هم آدم و إدريس ونوح قد ذكر القرآن قصصهم كأنبيا ومرسلين.

المؤمن - الجواب:

١- ذكرنا فيما تقدم الأدلة على عدم اقتباس القرآن الكريم من أسفار اليهود، ففضية اقتباس اليهود من تراث بلاد الرافدين هي قضية تخص اليهود والنصارى ولا تخصنا.

٢- إن هذه الحجة هي لمصلحة اليهود والنصارى وليست ضدهم. فهي تؤكد صحة ما أخبرت توراة اليهود عنه من وجود وتسلسل عشر أنبياء من آدم عليه السلام الى نوح عليه السلام. أما دعوى كونهم كانوا ملوكا عاديين وليسوا أنبياء، فهذه دعوى غير تامة، لأن الألواح المكتشفة ومنها ما يسمى (ثبت ملوك سومر) الذي اعتمده خزعل الماجدي، هي تنص على عبارة ((نزول الملوكية من السماء)) وهذا معنى الرسالة والتنصيب والجعل من

الله تعالى، كما تشير سيرتهم الى تواصل الآلهة معهم والى حكمتهم وحسن أخلاقهم فتنص على أنهم ملوك كهنة حكماء، ولفظة "كاهن" هي بحسب فهم المترجم للغة السومرية والأكدية، وإنما هي تعني الشخص الروحاني المقدس الذي له تواصل مع الغيب ويخبر عن الغيب، وهو معنى لفظة "النبى". أما مسألة كونهم ملوكا فهذا لا ينافى نبوتهم، لأن الله تعالى لا يقر الديمقراطية ولا العلمانية، وقد اقترنت النبوة مع ممارسة السلطة السياسية في الكثير من أنبياء بني اسرائيل، أما مسألة اختلاف أسمائهم عن أسماء أنبياء التوراة، فهذه مسألة تتعلق باللغة والترجمة. وأما ما يذكر في سيرتهم من تعدد الآلهة ومن الصفات والأفعال التي تنافي مقام الله تعالى والنبوة؛ فهذه لا تعدوا كونها من التحريفات والدس والانحرافات التي طالت وتطول كل الرسائل الإلهية، فها هي اسفار اليهود تنسب لله تعالى وللأنبياء ما لا يليق بمقامهم، وها هي أسفار النصارى تنسب التثليث لله تعالى، بل ها هي كتب المغازي والتاريخ والعقائد الإسلامية تنسب لله تعالى وللرسول الأكرم ما لا يليق بقداسة الله تعالى والرسول الأكرم.

٣- إن خزعل الماجدي هو حقا دكتور في التاريخ، لكنه ليس عالم سومريات، فهو ليس عالم آثار، ولا يعرف قراءة اللغات السومرية والأكدية في الألواح المكتشفة، إن كنتم لا تعلمون، إنما هو يعتمد على الترجمات الغربية القديمة للألواح الطينية. ومنهج في الكتاب كله خبط وتحريف للغة وتزييف للنصوص الأثرية. ومن أمثلة تحريفه وتزييفه في هذا الكتاب: هو لي عنق اللغة ودمج الشخصيات المتعددة ليكون أوليم الملك هو آدابا الحكيم هو دامو هو آدم! ومنها: دمج لقوائم ملوك سومر وإعادة الترتيب فيها ليستخرج منها قائمة تناسب نتائج مشروعه في انكار النبوات، لأنه توجد عدة قوائم طينية تذكر تسلسل ملوك سومر وهي مختلفة من حيث عدد ملوك سومر حتى الطوفان، فبعضها تنص على ثمانية ملوك وبعضها تنص على عشرة، كما أن بينها اختلافا في الأسماء واختلافا في ترتيب الأسماء. والفضيحة المدوية هي إن خزعل الماجدي الذي يزعم في مقدمة كتابه وفي كل جلسة أنه هو مبدع فكرة سرقة اليهود لأساطير ملوك بلاد الرافدين بدلالة قوائم ملوك سومر؛ هو نفسه سارق بحث العالم براينت وود في هذا المجال. فإن براينت

وود نشر بحثه عام ٢٠٠٣ بينما خزعل الماجدي يقول إنه شرع بالكتابة عام ٢٠١٢ وكانت الطبعة (الأولى) لكتابه (أنبياء سومريون) عام ٢٠١٨.

فراجعوا صفحة ورقة البحث وتاريخ النشر: ((خريف ٢٠٠٣ - ص ١٢٠

الاكتشافات العظيمة في علم الآثار التوراتي: قائمة الملوك السومريين
براينت ج. وود

الحدث الأكثر توثيقاً في الكتاب المقدس هو طوفان أيام نوح. الثقافات في جميع أنحاء العالم لديها تقاليد شفوية من فيضان كبير قادم على الأرض في العصور القديمة. في بلاد ما بين النهرين، حيث تطورت الكتابة لأول مرة، وجدت قصة الطوفان طريقها إلى الأساطير السومرية وتم تسجيلها على ألواح طينية في أوائل الألفية الثانية قبل الميلاد. أحد هذه الحسابات هو قائمة الملوك السومريين. أفضل نسخة محفوظة هي منشور من الطين تم شراؤه في العراق بعد فترة وجيزة من الحرب العالمية الأولى والآن في متحف أشموليان في إنجلترا. يبدأ "عندما تم تنزيل الملك من السماء، كان الملك أولاً في أريدو". فيما يلي قائمة بثمانية ملوك (تحتوي بعض الإصدارات على ١٠) حكموا لفترات طويلة من الزمن تتراوح بين ١٨,٦٠٠ و ٤٣,٢٠٠ سنة. ثم "اجتاح الطوفان الأرض". هذا مشابه لسفر التكوين ٥، حيث يتم تسجيل الأجيال من الخلق إلى الطوفان. ومن المثير للاهتمام أنه بين آدم ونوح هناك ثمانية أجيال، تماماً كما يوجد ثمانية ملوك بين بداية الملك والطوفان في قائمة الملوك السومريين....)).^١

^١ - الموقع: <https://www.galaxie.com/article/bspade16-4-04>

- هل طوفان نوح اسطورة؟

الملحد - انكشف أن قصة طوفان نوح في القرآن والتوراة هي اسطورة سومرية، حيث ورد ذكرها في نص ملحمة گلگامش البابلية، وكان اسم صاحب السفينة هو أوتنا بشتيم.

المؤمن - الجواب:

١- إن كنتم تقصدون من مصطلح ((اسطورة)) معنى كونها قصة خرافية خيالية غير واقعية؛ فمن قال إن قصة اوتانا بشتيم هي اسطورة؟ هل مجرد ورودها في لوح بابلي طيني متهرئ يعني أنها اسطورة وأنه لم يكن هناك طوفان ولا نبي ولا دين في ذلك العصر؟ بالعكس، فإن هذا يدل على حقانية قصة طوفان النبي نوح عليه السلام.

٢- مما يؤكد حقانية قصة النبي نوح عليه السلام هو اتفاق علماء الآثار والجيولوجيا على حدوث طوفان فعلا في منطقة ما بين النهرين أدى الى إبادة شاملة وغرق تام للمدن هناك، وإن اختلفت فرضياتهم في أسباب الطوفان.

٣- إن قصة الطوفان وسفينة النجاة ورد ذكرها في جميع تراث الشعوب، فقد وردت في تراث شعوب بلاد الرافدين ثلاث مرات. مرة في اللوح الحادي عشر من نص ملحمة گلگامش البابلية، حينما رحل گلگامش يطلب سر الخلود من الحكيم الخالد منقذ البشرية وصاحب سفينة النجاة أوتنا بشتيم، ومرة في قصة التكوين السومرية وكان المنقذ باسم زي يو سودرا، كما وردت في قصة التكوين الأكدي وكان المنقذ باسم أترا هاسيس، ولم يقتصر الأمر على تراث شعوب بلاد الرافدين، بل وردت في التراث الهندي الهندوسي وكان المنقذ باسم مانو، كما وردت في التراث الاغريقي والفارسي والصيني والأفريقي والأمريكي والأوربي، فلم يخل تراث لشعب من ذكر قصة الطوفان العظيم، ولا توجد قصة واحدة من تراث الشعوب بهذه السعة والانتشار غيرها، فهل يعقل أنها كانت مجرد قصة شعبية خيالية! لا يعقل ذلك، وإنما هذا كاشف عن حقانية أصل القصة، وحقانية القرآن، ودليل الإعجاز التاريخي القرآني، إذ قال تعالى: ((وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (٧٨)

سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٧٩) إِنَّا كَذَّلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (٨١))^١، فمن أخبر نبي الإسلام بترك علامة على الطوفان العظيم وذكر لنوح في الأمم لو لم يكن رسولا حقا من الله تعالى، ولو لم يكن هذا القرآن من الله تعالى؟

٤- خلاصة قصة الطوفان العظيم، هي غضب الله تعالى على البشرية واهلاكه لهم بطوفان عظيم، وأمره لنبي حكيم صالح أن يبني سفينة لينقذ ما ينبغي إنقاذه من البشر والحيوان. أما باقي التفاصيل التي اختلفت بها قصة الطوفان في تراث شعوب بلاد الرافدين وتراث اليهود مع القرآن الكريم، مثل أسماء الأشخاص والأماكن وتعدد الآلهة وأسباب غضب الله تعالى وحجم السفينة وعدد ركاب السفينة من البشر والحيوان ومدة الطوفان وسعته وغير ذلك؛ فهذا مما لا شأن للقرآن الكريم به، وما كان من هذه التفاصيل منافيا لمقام الله تعالى والنبوة فهو من التحريف والدس في تراث تلك الأمم.

الملحد – الألواح الطينية هي الأصل الأولي الحقيقي للأسطورة، وما اقتبسته الأديان منها متأخرا هو المحرف.

المؤمن – لماذا؟ وما هو الدليل؟ الملاحظة بينون على أن دين الله تعالى ظهر قبل ٣٠٠٠ سنة على يد النبي ابراهيم، وبالتالي فكل ما وجد قبله من آثار فكرية فهي ليست آثارا دينية أو متأثرة بدين الله تعالى. لكن هذا البناء باطل، فعقيدتنا هي أن الله تعالى منذ أن خلق الإنسان وفطر انسانيته جعل معه الدين منهاجا لصيانة فطرته وتهذيبها وارشادها. فدين الله موجود منذ خلق الله ابانا آدم عليه السلام. ودليلنا على ذلك النص المقدس والعقل، فما كان لله تعالى الخالق الحكيم العليم أن يخلق البشر ثم يذرمهم دون أن يبين لهم سبل الرشاد.

من جهة أخرى، ما هو المرجح العلمي العقلاني لكلام لوح طيني متكسر، لكاتب مجهول الهوية، بلغة غير معروفة، لمترجم مجهول الحال، على كتاب مخطوط ومطبوع بلغة حية، وتواتر نقله جيلا بعد جيل، لشخص معروف صادق أمين؟ لا مرجح إلا بالأقدمية، وهذا ليس مرجحا علميا.

^١ - سورة الصافات

- هل خرجت التوراة من اليمن؟

الملحد - هل اطلعت على مشروع الدكتور فاضل الربيعي في عروبة التوراة؟

المؤمن - اعلّموا، قبل كل شيء، أن فاضل الربيعي ليس مختصا في التاريخ والآثار واللسانيات والأديان والميثولوجيا، وهو ليس دكتورا في هذه التخصصات، بل هو ليس دكتورا في شيء أصلا. الرجل كان مجرد كاتب قصصي عراقي ومراسل صحفي، عراقي شيوعي، هرب من نظم العراق البعثي الى تشيكوسلوفاكيا السابقة ثم الى اليمن الجنوبية، ثم في خضم احتدام الصراع العربي الصهيوني اهتم بالقضية الفلسطينية والتوراة واليهود، فكان أن صادف كتاب الدكتور كمال الصليبي (التوراة خرجت من جزيرة العرب) الذي هو عيال على المستكشف البريطاني فيلبي. فتجمعت لدى الربيعي عوامل الخيال القصصي والشيعوية والدافع القومي واطروحة كمال صليبي وإقامته في جنوب اليمن، فتشكلت بذلك الاسطورة الربيعية في كتابه (فلسطين المتخيلة).

الملحد - أولا كونه ليس مختصا وليس حاصل على شهادة دكتوراه في التاريخ او الآثار لا يعني انه ليس عالما. نحن نقيم ما يقوله ولا علاقة لنا بشهاداته.

المؤمن - وأنا لم أقل ذلك لكوني عاجزا عن تقييم مقالة الربيعي، وإنما نبهت على هذه الملاحظة لكشف تدليس الإعلام الإلحادي، الذي يصر على إعطاء لقب دكتور لفاضل الربيعي بقصد إعطاء ثقلا علميا زائفا لمقالته بهدف خداع البسطاء.

الملحد - اطروحة الربيعي لها تداعيات خطيرة على الإسلام والعرب.

المؤمن - بالنسبة لنا كمسلمين لا توجد علينا تداعيات خطيرة لأسطورة عربية التوراة. فسواء كان التناخ اليهودي خارجا من اليمن أو الحجاز أو العراق أو فلسطين أو مصر أو حتى اثيوبيا أو اليونان، أو لم يكن؛ فنحن لا

نأخذ ديننا من هذا التناخ وليس عندنا عهد قديم ولا عهد جديد كالنصارى. نحن نأخذ ديننا من هذا القرآن الكريم، الذي نؤمن أنه صادر من الله تعالى والذي تكفل أن يقص علينا أحسن القصص وهو القصص الحق، ويقص على بني اسرائيل أكثر ما كانوا فيه يختلفون. أما الزعم بأن الرسول الأكرم كان ينقل من كتب اليهود والنصارى فهذا زعم رددناه سابقا. إنما التدايعات على اليهود والنصارى الذين يشكل هذا التناخ الموجود اليوم كتابا مقدسا متبعاً عندهم.

الملحد – ما هو تقييمكم لأطروحة الربيعي؟

المؤمن – لأجل تقييم عمل الربيعي ينبغي أولاً تقييم مقالة كمال الصليبي في كتابه (التوراة خرجت من جزيرة العرب). لأن الربيعي نفسه في مقدمة كتابه (فلسطين المتخيلة) هو نفسه يعترف أن عمل صليبي كان بالنسبة له عملاً ريادياً وفتحاً معرفياً. ولهذا نقول: إن كمال الصليبي لخص مقالته في مقدمة الطبعة العربية لكتابه بأنه يرى أن شعب بني إسرائيل إنما هم قوم من العرب البائدة، وكانوا يستوطنون في منطقة عسير في جنوب غرب السعودية حالياً، وأنهم جاءهم أنبياء منهم فدانوا بديانة سميت (اليهودية) وقد أقاموا هناك مملكة وحضارة، ثم انتشرت هذه الديانة اليهودية في غير شعب بني إسرائيل، حيث دان بها ناس من العرب ومن غير العرب في شبه الجزيرة العربية واليمن والعراق والشام ومصر، أما شعب بني إسرائيل العربي نفسه فقد باد بامتزاجه في الأقوام الأخرى بعد زوال مملكته، وبالتالي فلا علاقة لليهود اليوم بشعب بني إسرائيل. وقد كان كل دليل كمال صليبي هو تطابق أسماء المواقع والتوصيفات الجغرافية في أسفار اليهود مع أسماء المواقع والتوصيفات الجغرافية في بلاد عسير، وقد كان منهجه في اثبات المطابقة هو التحليل اللغوي فقط بعد أن اعترف بعدم وجود مسح أثري منتظم في بلاد عسير.

ونحن نقول: ما دام لم يوجد مسح أثري حقيقي يدعم مقالته، فكل ما يقوله هو مجرد فرضيات استنتاجية لغوية، ثم نقول هل هذه الفرضيات قائمة على تحليل لغوي صحيح؟ نأخذ أهم الأمثلة على ذلك: إنه زعم إن مملكة بني

إسرائيل التي عاصمتها اورشليم هي حصرا في بلاد عسير، مدعيا أن (هر صيون) في التوراة والتي ترجمت عربيا الى (جبل صهيون)، هي لفظ محرف عن (قعوة صيان) موضع في منطقة عسير اليوم. وأن حصن داوود الذي ورد في التوراة بلفظ (مصدت صيون) وترجم عربيا الى (حصن صهيون) هو لفظ محرف عن (الصمدة) قرية قرب (قعوة صيان) في منطقة عسير. أما اورشليم التي هي عاصمة مملكة إسرائيل فيزعم أنها أما أن تكون قرية (آل شريم) أو هي حاصل دمج قريتين هما (أروى و سليم) في منطقة عسير^(١)

وهكذا ترون كيف حور كمال صليبي هر صيون الى قعوة صيان، ومصدت الى الصمدة أو أم صمدة، وأورشليم الى آل شريم أو أروى وسليم! إن هذا ليس تحليلا لغويا، ولا منهجا علميا، بل هذيان لغوي وسفسطة، مما يدل على بطلان فرضياته.

الملحد – وما هو جديد الربيعي؟

المؤمن – لا جديد في أصل الفرضية ولا في منهج الاثبات، سوى أنه نقل جغرافية أسفار اليهود من عسير السعودية الى نجران وصنعاء اليمن، مع زيادة الشواهد من الشعر العربي، فهو في مقدمة الجزء الأول من كتابه اعترف بأن ما قام به كمال صليبي كان عبارة عن ألعاب لفظية لاختزال جغرافية التوراة في عسير السعودية، أما هو فقد زعم أن جغرافية التوراة هي منطبقة تماما على جغرافية اليمن بحسب كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمداني وبحسب الشعر العربي. ولكن الربيعي من الناحية التطبيقية لم يأت إلا بما اعترض به على كمال الصليبي من الألعاب اللفظية. ولناخذ أهم الأمثلة على ذلك، وهو المثال نفسه الذي ذكرناه لكمال صليبي، وهو مملكة إسرائيل وعاصمتها أورشليم: أما بالنسبة لجبل وحصن صهيون فقد زعم أنه من الجبال ذات الحصن في اليمن فقال: ((إن اسم صهيون عند العرب القدماء، لم يكن ليثير مثل هذا الحرج، فقد ذكروه في اشعارهم ومروياتهم

(١) التوراة جاءت من جزيرة العرب، كمال الصليبي، الفصل التاسع: اورشليم ومدينة داوود، ص ١٧٥ وما بعدها.

بوصفه حصنا جبليا يمنية عربيا شامخا))^١. لكن زعمه هذا كان كاذبا، حيث لم يأت بما يثبت دعواه، فالمصادر الجغرافية العربية الثلاثة التي اعتمدها في كل كتابه، وهي كتاب صفة العرب للهمداني وكتاب معجم ما استعجم للبكري وكتاب معجم البلدان للحموي؛ من يراجعها يكتشف أنه لم يذكر واحد منها موضعا كجبل او حصن أو غيرهما باسم (صهيون) في اليمن. بل بالعكس، كانت المعاجم ضد الربيعي، فقد ذكرت نسبة (صهيون) الى فلسطين. قال البكري: ((صهيون: بكسر أوله، إسكان ثانيه، بعده الياء أخت الواو، وهو اسم لبيت المقدس، وكذلك إيليا وشلم، قال الأعشى:

وإن أجلبت صهيون يوما عليكما ... فإنّ رحى الحرب الدكوك رحاكما

وأما صهيون، بفتح الصاد، فاسم قبيلة. أراد الأعشى أهل صهيون، أي: إن أجلبت الروم واجتمعت فأنتم لها))^٢.

وقال الحموي: ((صهيونُ:

بكسر أوله ثمّ السكون، وياء مثناة من تحت مفتوحة، وواو ساكنة، وآخره نون، قال الأزهري قال أبو عمرو: صهيون هي الروم، وقيل:

البيت المقدس، قال الأعشى يمدح يزيد وعبد المسيح ابني الديان، وقيل يمدح السيد والعاقب أساقفة نجران:

أيا سيدي نجران لا أوصينكما ... بنجران فيما نابها واعتراكما

فإن تفعلنا خيرا وترتديا به ... فإنكما أهل لذاك كلاكما

وإن تكفيا نجران أمر عظيمة ... فقبلكما ما سادها أبواكما

وإن أجلبت صهيون يوما عليكما ... فإن رحى الحرب الدكوك رحاكما

قلت: فهو موضع معروف بالبيت المقدس محلة فيها كنيسة صهيون، وصهيون أيضا: حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام من أعمال

^١ - فلسطين المتخيلة، فاضل الربيعي، الجزء الثاني، الفصل الثاني، ص ٣٢٣

^٢ - معجم ما استعجم، البكري الأندلسي، مادة (صهيون)، ج ٣ ص ٨٤٤

حمص لكنه ليس بمشرف على البحر، وهي قلعة حصينة مكيئة في طرف جبل))^١. فلما اكتشف الربيعي أن مصادر الجغرافية لا تسعفه، استعان بأبيات الشعر التي ذكرها الحموي في معجمه والتي نقلناها لكم، مدعياً أن ورود كلمة (نجران) وكلمة (صهيون) في سياق واحد يثبت وجود جبل صهيون في اليمن.

مع أنه لا يوجد مصدر جغرافي يذكر وجود جبل باسم (صهيون) في اليمن، بل لو كان موجوداً لفسر الجغرافيون كلمة (صهيون) في بيت الشعر هذا به.

أما بالنسبة لمدينة أورشليم، عاصمة مملكة اليهود، والتي ذكرت أسفار اليهود، أن النبي داوود عليه السلام قد استولى عليها وأخذها من شعب ييوس؛ فقد قال الربيعي: ((إن التوراة تسمى أورشليم (بيت بوس)، كما أن مخلاف اليهودية عُرف باسم أورشليم أيضاً. أي إن أورشليم اسم يطلق على المملكة المخلاف يهوذا، باعتباره "دار سلام" كما يطلق على بيت بوس في آن واحد))^٢. فاضل الربيعي وجد الجغرافيين العرب يذكرون (بيت بوس) اسم وادي في اليمن، فزعم أنه هو مسكن شعب ييوس المذكور في التوراة، ثم احتار بعلاقة اسم (بيت بوس) اليميني بلفظ (أورشليم)، فزعم أنه وصف لبيت بوس، بمعنى أنه (دار سلام) لأنه كان وادياً وحصناً حصيناً حسب زعمه، وذلك بعد أن فكك لفظ أورشليم إلى (أور - سليم) ثم حرف لفظ (سليم) إلى (سلام) ثم ترجمها من العبرية إلى (دار - سلام)، مع أنه لم يرد لفظ أورشليم، ولا لفظ دار سلام، لا كاسم ولا كوصف لأي موضع في اليمن، إلا ما نسبته للهمداني بقوله: ((هاكم وصف الهمداني للمكان (صفة جزيرة العرب):

" بيت بوس: ينسب إلى القيل اليميني ذي بوس (ذي بواس) بن شراحيل. حصن منيع واد فيه بعض الفواكه، ويقع إلى الغرب الجنوبي من صنعاء بمسافة ساعتين" ... وبالوصف الوارد عند الهمداني، هي مدينة آمنة

^١ - معجم البلدان، ياقوت الحموي، مادة (صهيون)، ج ٣ ص ٤٣٦
^٢ - القدس ليست أورشليم، فاضل الربيعي، ص ٧٣

حصينة، أي أنها "أورشليم" بمعنى المدينة التي تعيش آمنة^١. ولكن هذه النسبة كاذبة. فالهمداني لم يقل ذلك، بل الهمداني لم يذكر بيت بوس إلا استطرادا في تعداد عدة مواضع متجاوزة ومتتابعة، فلاحظ نص الهمداني: ((وما أقبل من عد ورد، وهو وادٍ يصب مع سامك ودبرة ووعلان وخدار إلى الحقلين والسهلين ونواحي بقلان وأعشار وما أقبل من أشراف نقيل السّود فبيت بوس فجل عيبان وجبل نغم وما بينهما من حقل صنعاء وشعوب، ووادي سعوان ووادي السّير، ومطرة وفيها أودية كثيرة))^٢، إنما كان هذا الوصف الذي نقله الربيعي هو من تعليقة محمد بن علي الأكوغ محقق كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمداني على لفظ (بيت بوس) التي ذكرها الهمداني. والربيعي نسب هذا الوصف للهمداني تدليسا، ليعطي لتلقيقه قيمة تاريخية بنسبته الى الهمداني المتوفى في القرن الرابع الهجري. ولم يكتب الربيعي بذلك بل حرف كلام المحقق الأكوغ، فلاحظ نص تعليقة الأكوغ: ((بيت بوس: ينسب الى القيل اليمني ذي بواس بن شرحبيل بن بريل. وهو قرية، وحصن عامر ووادٍ فيه بعض الفواكه، ويقع في الغرب الجنوبي من صنعاء بمسافة ساعتين))^٣. وبذلك يكون الربيعي - ككمال الصليبي - لم يقم إلا بالألعاب اللفظية، مع الكثير من الكذب والتدليس الذي لا يسع المجال لذكره هنا.

الملحد - هو ذكر الكثير من التفاصيل والتوصيفات الجغرافية.

المؤمن - حسبنا أننا نسفنا حجر الزاوية في مشروعه ومشروع الصليبي، وهو موقع صهيون وأورشليم، حيث لم يتمكننا من اثباتهما لا في بلاد عسير ولا في بلاد اليمن إلا بالألعاب اللفظية والكذب والتدليس، وإن كان الربيعي قد فاق الصليبي في تسويق كل ذلك بخيال قصصي واسع.

ومع ذلك فإن مشروع الربيعي مولود ميتا، حيث أجهضته ثلاثة أسئلة قاتلة:

١ - القدس ليست أورشليم، فاضل الربيعي، ص ٢٥

٢ - صفة جزيرة العرب، الهمداني، تحقيق محمد بن علي الأكوغ، ص ١٥٦

٣ - المصدر السابق نفسه

١- هو أتى بدعوى كبرى، حيث زعم أن شعب بني إسرائيل هو من قبائل عرب اليمن، وأن النبي إبراهيم عليه السلام ولد وعاش ومات في اليمن ولم يخرج منها أبداً، وأن الأنبياء إسماعيل واسحاق ويعقوب وكل أنبياء بني إسرائيل حتى النبي داوود والنبي سليمان والنبي موسى قد ولدوا وعاشوا وماتوا في اليمن، وأن النبي موسى لم ير أرض دولة مصر الحالية، بل إن النبي عيسى ولد وعاش في اليمن، وأن كعبة إبراهيم وهيكلي سليمان في اليمن، وأن السبي الآشوري والبابلي لليهود وخراب أورشليم وتهديم الهيكل الأول كان في اليمن، وأن حملة تيتيوس الروماني وخراب أورشليم وتهديم الهيكل الثاني كانت في اليمن!!

والسؤال: متى وقعت هذه الفجوة أو الطفرة التاريخية أو القطيعة وكيف؟ بحيث إن أمة مستمرة الوجود منذ أكثر من ٣٠٠٠ سنة تغفل وتجهل وتذهل وتتيه بكاملها عن جذرها وأصلها وفصلها، وخاصة كونها أمة دينية محافظة متشددة! لم يرد الربيعي إلا بدعوى نسبة تزييف التاريخ اليهودي الى القرن الرابع الميلادي، الى الامبراطور البيزنطي قسطنطين، ثم الى الإسلام ونصوصه الدينية والتاريخية، ثم الى المستشرقين الأوربيين والكهنوت اليهودي. وهذا كلام لا يقبله عقل عاقل أبداً. وقد يحلو للبعض أن يقول: إن هذا ممكن، فقد تفرق اليهود في شتى أصقاع العالم، وبمرور القرون ذهلوا عن تاريخهم وأصولهم. قلنا: إن هذا ممكن في بعض الأفراد وليس في أمة بكاملها، وهذا ممكن لو لم يكونوا أصحاب دين، لأن الدين يستلزم معارف تاريخية وجغرافية وعقائدية، فلا يمكن لمسلم مثلاً ألا يعرف إن قبلة الصلاة هي تجاه الكعبة في مكة في السعودية، وأن الرسول الأكرم مولود في مكة التي في السعودية.

٢- هو يزعم إن العبرانيين هم من سبأ اليمن. والسؤال: التوراة مكتوبة باللغة العبرية بخط المربع، بينما أنت تستشهد بنقوش سبأ اليمن وهي بلغة سبأ بخط المسند على كون العبرانيين هم سبأ اليمن، فلماذا لم تكتب التوراة بلغة سبأ أي بخط المسند؟ أو لماذا لم يوجد في سبأ اليمن نقش واحد باللغة العبرية بالحرف المربع ما دام العبرانيون هم أهل سبأ، بينما توجد آلاف النقوش

بخط المسند؟ سؤال ناسف فلم يرد عليه إلا بدعوى أن اللغة السبئية هي اللغة الحكومية، وأن اللغة العبرية هي اللغة الدينية! وهذا تفريق لا دليل عليه.

٣- إن الربيعي في مشروع التلاعب اللفظي بأسماء الأشخاص والمواقع الجغرافية استند بنسبة ٧٥٪ على سفر يشوع وسفر يهوديت، وكلاهما مطعون فيهما بشدة، فأما سفر يشوع فهو وإن كان الآن من الأسفار القانونية الرسمية عند اليهود والنصارى، إلا أنه منذ قرن قبل الميلاد رفضته طائفة الصدوقيين وطائفة يهود السامرة، فهاتان الطائفتان لا تعترفان بما سوى أسفار التوراة الخمسة، ومنذ القرن السابع عشر إلى اليوم اشتد طعن علماء مدرسة النقد الكتابي فيه، فلم يعترفوا بصحة نسبته إلى يشوع ولا إلى سلامته من التحريف. وكان من الأدلة على عدم صحة نسبته ليشوع بن نون وعدم سلامته من التحريف هو ما ورد في نهاية السفر من ذكر الكاتب المجهول لموت يوشع ودفنه، مما يدل أن الكاتب هو غير يشوع وأن السفر كتب بعد يشوع بوقت طويل، فلاحظ نهاية السفر: ((وَبَعْدَ ذَلِكَ مَاتَ يَشُوْعُ بْنُ نُونٍ عَبْدُ الرَّبِّ وَهُوَ ابْنُ مِئَةٍ وَعِشْرَ سِنِينَ. فَدَفَنُوهُ فِي أَرْضِهِ، فِي تِمْنَةَ سَارَحَ الَّتِي فِي جَبَلِ أُفْرَايِمَ، إِلَى شَمَالِ جَبَلِ جَاعَشَ.

وَعَبَدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الرَّبَّ كُلَّ أَيَّامِ يَشُوْعَ، وَكُلَّ أَيَّامِ الشُّيُوخِ الَّذِينَ امْتَدَّتْ حَيَاتُهُمْ إِلَى مَا بَعْدَ يَشُوْعَ وَالَّذِينَ عَرَفُوا كُلَّ مَا صَنَعَ الرَّبُّ لِإِسْرَائِيلَ.

وَدَفَنَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عِظَامَ يَوْسُفَ الَّتِي أَصْعَدُوهَا مِنْ مِصْرَ فِي شَكِيمَ، فِي الْحَقْلِ الَّذِي اشْتَرَاهُ يَعْقُوبُ مِنْ بَنِي حَمُورَ، أَبِي شَكِيمَ، بِمِئَةِ نَعْجَةٍ، وَصَارَ لِبَنِي يَوْسُفَ مُلْكًا.

وماتَ أَلْعَازَارُ بْنُ هَرُونََ، فَدَفَنُوهُ فِي جِبْعَةَ، وَهِيَ مَدِينَةٌ فِنْحَاسَ ابْنِهِ، الَّتِي أُعْطِيَتْ لَهُ فِي جَبَلِ أُفْرَايِمَ.))^١.

أما سفر يهوديت فهو من الأسفار التي لا يعترف بها اليهود جميعا وكذلك طائفة البروتستانت من النصارى، فهو عندهم من أسفار ((أبوكريفا)) أي من الأسفار الموضوعة المكذوبة، فكاتبه مجهول، ومضمونه خيالي أدبي،

١ - سفر يشوع، الإصحاح ٢٤، الأعداد ٢٩-٣٣

ولم يرد في النسخة العبرية للتناخ. نعم، يعترف به الكاثوليك والأرثوذكس من النصارى، على أساس أنه ورد في النسخة اليونانية^(١).

فمشروع الربيعي في محاولة المطابقة بين هذين السفرين وبين جغرافية اليمن ينبغي أن يكون دليلاً إضافياً على كون هذين السفرين ربما هما من كتابة أو تحريف بعض يهود اليمن. ثم أنه بقطع النظر عن خصوص هذين السفرين، يأتي السؤال الأهم: إن هناك تسليم علمي عالمي على أن تراث اليهود تم تدوينه متأخراً جداً، وفي فترات زمنية متعاقبة على مدى ألف سنة ما بين القرن الخامس قبل الميلاد والقرن الخامس بعد الميلاد، وأن معظم أسفار اليهود هي كتابات تاريخية وقد جرى تحديثها باستمرار من قبل الأبحار. فكيف يتجاهل الربيعي هذه الحقيقة العلمية العالمية ويتعامل مع التراث اليهودي كنصوص معصومة وقطعية الصدور، ثم يأتي لتطبيقها على جغرافية اليمن؟ هذا السؤال المهم أجاب عنه الربيعي في أحد اللقاءات الفضائية بأنه يسلم بتعرض التراث اليهودي للتحريف باستثناء أسماء المواقع الجغرافية! وهذه سفسطة لأنه لم يأت دليل على الاستثناء.

الملحد – هو يقول إنه هذه المواضع الواردة في التوراة لا وجود لها في فلسطين.

المؤمن – بل هي موجودة في فلسطين، ولكن الربيعي أحياناً يكذب فينفي وجودها، وأحياناً يزعم إنها تسميات مستحدثة، حيث يدعي - دون دليل - أن بعض اليهود لما هاجروا من اليمن إلى الشام بعد ذلك قاموا بإطلاق تسميات مواضع اليمن على مواضع في سوريا وفلسطين ولبنان من باب الذكرى والحنين إلى أوطانهم! وهذه سفسطة حيث لا دليل على زعمه.

(١) موقع الأنبا تكلا – الكنيسة الأرثوذكسية: www.takla.org | الأسفار القانونية الثانية (الأسفار المحذوفة) - St- Arabic Deuterocanon

- أين آثار الأنبياء؟

الملحد - إن القرآن اقتصر على ذكر انبياء المنطقة العربية فقط، ولم يذكر أسماء أنبياء في الصين وأمريكا وأوروبا، فهل كانت النبوة مختصة بالشرق الأوسط؟

المؤمن - الجواب:

١- ان القرآن ليس سجلا لتعداد أسماء جميع الانبياء والمرسلين، وانما هو كتاب هداية وإصلاح فيقتصر على ذكر ما تقتضيه هذه الغاية.

٢- ان القرآن نفسه لم يحصر عدد الانبياء والمرسلين في الاسماء المذكورة في القرآن، بل هو بالفعل قد اشار الى وجود غيرهم فقال تعالى: ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ (٧٨)))^١. كما نص على عدم خلو أمة من الأمم من النذير كما في قوله تعالى: ((إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤)))^٢.

الملحد - لكن المصادر التاريخية والأثرية لم تثبت وجود أنبياء في القارات الأخرى.

المؤمن - الجواب:

١- إن عدم وجدان المصادر التي تثبت وجود الانبياء والمرسلين في تلك المناطق الى حد الآن، لا يعني عدم الوجود.

٢- إن التاريخ يكتب عادة بأشراف الحكام السياسيين، وتسجيل تاريخهم وأعمالهم، فلا يهتم لتسجيل تاريخ غيرهم، لا سيما أن أغلب السلاطين هم من الطواغيت المحاربين للنبوات، والذين عكفوا على طمس دين الله أو تحريفه.

١ - سورة غافر

٢ - سورة فاطر

٣- مع ذلك، فإن تاريخ الأمم يذكر عادة ظهور الحكماء المصلحين والثائرين المتصلين بعالم الغيب، فلا يبعد أن يكون الأنبياء والمرسلون من هذه الفئة، لكن لم ينص المؤرخون على وصفهم بالنبوة والرسالة، أو أن مترجم تلك اللغة القديمة لا يستعمل لفظ "النبي الرسول" في ترجمة وصفهم، كما هو الحال في ترجمة وصف أنبياء سومر وأكد وبابل بلفظ "كاهن حكيم صالح".

الملحد - إن شعوب الحضارات القديمة تركوا آثارهم دلالة على وجودهم ودونوا تاريخهم على مرور السنوات، فلماذا أيضاً لم نجد من آثار الانبياء الذين عاشوا في تلك الحضارات على الأقل أحفوره واحدة؟ رغم كانت معاجزهم منتشرة بين الناس، وكانت مملكة سليمان وعظمته لم تكن مخفية امام حكام تلك الحضارة، وكذلك حكم يوسف لمصر، إلا أن الآثار والحفريات لم تعط لنا دليلاً على وجودهم.

المؤمن - هذا سؤال جدلي فعدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود، ثم ماذا وجدوا من آثار الأمم؟ وجدوا الأطلال والأواني الفخارية والمصوغات والمومياء والأواح طينية متهرئة ومتكسرة ولفافات مجهولة الكاتب. هذا لا يشكل شيئاً يجادل عليه المجادلون من تاريخ الأمم. ثم ماذا تريدون أن تجدوا من آثار الأنبياء؟ الهيكل العظمي للنبي نوح أو سليمان أو يوسف؟ الأنبياء لم يستعملوا مومياءات ولا أهرامات. أم تريدون ان تجدوا عصا النبي موسى؟ أم تريدون أن تجدوا كرسي النبي سليمان؟ إن مثل هذه الاشياء يتعذر ايجادها، بل حتى إن وجدت يتعذر تمييزها.

الملحد - أين المدونات التاريخية؟ عندما حللوا الكتابات الهيروغليفية والبابلية لم يجدوا وزيراً اسمه يوسف، كما لم يجدوا ملكاً اسمه سليمان.

المؤمن - البروفيسور العراقي نائل حنون، عالم الآثار ومن النادرين المتمكنين فعلاً من قراءة اللغات السومرية والأكدية، هو يقول إن الألواح المستكشفة في بلاد الرافدين تقدر بعشرات الألوف وأن معظمها متهرئة ومكسرة، وموجودة في مخازن المتاحف العالمية والأماكن المختصة في صناديق، وأنه لم تتم قراءة سوى ٥٪ منها لحد الآن! بل هو يكشف حقيقة

أكبر مفادها إن معظم ما تمت قراءته ونشره إنما تمت قراءته قبل عقود، وأن علم قراءة اللغات البائدة أو ما يسمى علم السومريات ما زال ناشئاً وفي حالة تطور، ويدعو الى إعادة قراءة ما سبقت قراءته، ولذلك هو قام حديثاً بإعادة قراءة ونشر ملحمة گلگامش مباشرة من الألواح الطينية، وليس ترجمة عن الترجمة الأوربية، والأمر نفسه بالنسبة للمدونات المصرية. فعن أي تدوين تبحثون!

أليست أسفار بني إسرائيل هي مدونات عمرها ٣٠٠٠ سنة وأنتم تنكرونها؟ أليست الكعبة والمسجد النبوي وأثار النبي محمد صلى الله عليه وآله وأعظمها القرآن الكريم، موجودة لحد الآن وأنتم تجحدونها وتجحدون نبوته وهو لم يمض عليه ١٥٠٠ سنة؟ لماذا اللوح الطيني المتهرئ، مجهول الكاتب واللغة يعد عندكم وثيقة علمية يقينية؟ ومنذ متى كان للمؤرخين حرية كتابة تأريخ الانبياء والأنبياء في أغلب المراحل كانوا يشكلون جبهة المعارضة للسلطة الحاكمة؟ بل حتى على فرض اكتشاف ألواح طينية تذكر بعض تاريخ الأنبياء فإنكم تقولون "تلك اساطير الاولين" وهذا ما فعلتموه بالفعل عند إيجاد اللوح السومري المتهرئ الذي يشير الى قصة طوفان النبي نوح فإنكم تمسكتم باختلاف بعض التفاصيل، وجعلتموها شاهداً على بطلان النبوة وكذب القرآن مع أن العكس هو الصحيح، لأن القرآن هو الذي يقص أحسن القصص ويأتي باليقين. والدليل على حقانية القرآن هو عجزكم السرمدي عن الاتيان بمثله فتلجؤون الى الجدل بالباطل.

نحن لا نتحدى بالأحافير بل نتحدى بالقرآن، كما علمنا الله تعالى، وقد ربنا التحدي بإثبات وحدانية الله والوحي والنبوة. أما أنتم ملاحدة الدارونية فقد تحديتم بالأحافير برهاناً على اسطورة التطور الداروني وقد خسرتم التحدي، لأن علم الأحافير عجز عن اقامة البرهان على التطور بعجزه عن ايجاد الأنواع الانتقالية المتوسطة لملايين الأنواع، مما أبقى أسطورة التطور الداروني مجرد فرضية بل فرضية باطلة، حتى هرع الدارونيون الجدد الى التمسك بالتشابه الجيني.

الملحد – أين آثار سليمان ويوسف؟

المؤمن – النبي سليمان عليه السلام لم يحكم سوى فترة قصيرة، وقد واجه معارضة من بعض اليهود، وبعد وفاته مباشرة انقسمت مملكته الى مملكة السامرة ومملكة يهوذا، ونشبت حروب أهلية ضارية بين بني إسرائيل. السجلات البابلية تؤكد التدمير الشامل لمملكة بني إسرائيل في القرن السادس قبل الميلاد وتدمير هيكل سليمان على يد البابليين، والسجلات الرومانية تؤكد تدمير ما تبقى من مملكة بني إسرائيل على يد تيتوس قرابة ٧٠ بعد الميلاد، وقد سجلوا ذلك في نصب قوس النصر في روما^(١)، كما سجله المؤرخ اليهودي يوسيفوس المعاصر للحملة الرومانية، فضلا عن تدمير الفرس واليونان والحروب الصليبية والسلاجقة والعثمانيين والحرب العالمية الأولى، والسجلات تؤكد تعرض اليهود للجلد أكثر من مرة، وكل ذلك طبعا لنقضهم المتكرر لميثاقهم مع الله تعالى، كما سجله القرآن الكريم. فأورشليم، القدس، وإيلياء كما سماها الرومان، هذه البقعة الصغيرة تعرضت للتدمير المتعمد والاعمار مرات عديدة مما لم تشهده بقعة في العالم، فمن الجهل أن تتم المطالبة بأثر شخصي للنبي سليمان منذ قرابة ٣٠٠٠ آلاف سنة.

والنبي يوسف عليه السلام، بحسب بعض الحسابات التقريبية، ظهر في فترة حكم الهكسوس حوالي ١٦٠٠ قبل الميلاد، الذين أقاموا مملكة في شمال مصر، ولم تلبث مملكتهم أكثر من ١٠٠ سنة كما يرجح المؤرخون، حتى أسقطتها مملكة حكم الفراعنة التي كانت في جنوب مصر، والتي تعمدت محو كل أثر لها، وصار بنو إسرائيل عبيدا للفراعنة، فلا يعرف تاريخ الهكسوس إلا من خلال حكاية وكتابة خصومهم الفراعنة عنهم، عند تمجيد انتصارات الفراعنة على الهكسوس، ويظهر من ترجمة لفظ "هكسوس" بمعنى الملوك الرعاة أو الحكام الأجانب؛ أنه وصف أطلقه الخصوم عليهم بقصد التحقير، وربما أشاروا الى النبي يوسف بأنه كاهن مارق مهرطق، كما أن ما تم الوصول اليه من أسماء بعض حكام الهكسوس، اختلف في ترجمته، كذلك فإن الأسماء تلتبس بين الاسم الشخصي والاسم الرسمي،

(١) قوس تيتوس - ويكيبيديا (wikipedia.org)

حيث جرت العادة باتخاذ اسما رسميا ملكيا غير الاسم الشخصي^(١)، ولا يوجد أفضل من القرآن الكريم في نقل الأسماء. فعن أي أثر تبحثون! إنما أنتم تجادلون بالباطل.

- هل يوجد درهم في زمن النبي يوسف؟

الملحد - سؤال، كيف تفسر وجود عملة الدرهم في زمن يوسف كما في الآية القرآنية وشرويه بدراهم معدودة؟

المؤمن - أفسره بوجود نظام اقتصادي متطور، فأين المشكلة؟

الملحد - المشكلة في تاريخ ظهور الدرهم كعملة. عملة مصر لم تكن درهما! بل كانت المعاملات التجارية تتم بطريقة المقايضة، أي مبادلة بضاعة كالشعير ببضاعة أخرى كالزبيب. ظهر الدرهم بعد الفراعنة ب ٥٠٠ عام! وهذا من الأخطاء التاريخية التي تكشف بطلان القرآن.

المؤمن - أولاً: أنت الذي وقعت في خطأ تاريخي. معاملة بيع النبي يوسف بدراهم معدودة، كانت في أرض كنعان في فلسطين وليس في مصر. فلا علاقة لموضوع بيع النبي يوسف بدراهم معدودة بالنظام التجاري لمصر، على فرض صحة مدعاك أن النظام التجاري في مصر آنذاك كان قائماً على مبادلة البضائع. وإلا فأنت لا تميز بين مصر الهكسوس ومصر الفراعنة.

الملحد - وهل تقصد أن أرض كنعان كانت في زمن يوسف تتعامل بالدرهم؟

المؤمن - ثانياً: أنت صاحب الدعوى، فيجب أن تثبت لي بالضبط زمن النبي يوسف وزمن استعمال الدرهم كوحدة تبادل تجاري بدل نظام المقايضة. وبدون اثبات ذلك بنحو القطع تبطل دعواك وجود خطأ تاريخي في القرآن. منطوق؟

(١) الهكسوس - ويكيبيديا (wikipedia.org)

الملحد - حسب أكثر من مصدر ومنها مصادر اسلامية فان يوسف تواجد حوالي سنة ١٦٠٠ قبل الميلاد، في زمن ملوك الهكسوس في مصر، وليس في عصر الفراعنة. والدليل من قرآنك أن يوسف قصته لا يوجد فيها لقب فرعون، لأن وقت وجوده يتزامن مع ملوك الهكسوس الذين حكموا مصر لمدة ١٠٠ سنة تقريبا، وغزو الهكسوس لمصر موثق تاريخيا. وأصل الدرهم هو من دراخما اليوناني والذي كان مستعملا كوحدة للتبادل التجاري (١ دراخما = ٦ أسهم) حوالي ٦٠٠ سنة قبل الميلاد، ثم تحول عملة نقدية حوالي ٥٠٠ سنة قبل الميلاد. يعني حتى لو افترضت ان الدرهم في الآية يعني الدرهم الأصلي الوزني (الدراخما اليوناني) فهناك ألف سنة فرق في الزمان بين ١٦٠٠ - ٦٠٠. فمستحيل ان يستخدم الدرهم زمن يوسف.

المؤمن - نذكر الجواب بخطوات متتابعة:

١- القول بأن النبي يوسف عليه السلام ظهر في فترة حكم الهكسوس في مصر، وأن ظهور الهكسوس كان حوالي ١٦٠٠ قبل الميلاد واستمر حكمهم قرابة ١٠٠ عام أي حتى ١٥٠٠ قبل الميلاد؛ هذا القول هو قول تقديري بحسب بعض الحسابات التقريبية، وليس حدا تاريخيا قطعيا، وهكذا معظم التواريخ القديمة هي تقديرية تقريبية.

٢- الى حد الآن فإن تاريخ الهكسوس غامض، والدراسات الراجحة اليوم تميل الى أنهم خليط من عدة قبائل نزحت من غرب آسيا وخاصة من بلاد كنعان، واستقرت عند دلتا النيل فشكلت مملكة خاصة في شمال مصر، دون غزو لمملكة فراعنة مصر، أو أنهم وصلوا للسلطة بصورة سلمية وليس عن طريق الانقلاب، وهذا يرجح وصولهم للسلطة بواسطة اختيار الملك للنبي يوسف عليه السلام. وهذا خلاف الرأي السائد قديما بأن الهكسوس دخلوا بالغزو العسكري لمصر^(١).

٣- الدرهم، على فرض أنه إشارة الى "دراخما" اليونان، فإن الدراخما كوحدة وزن معدنية، كانت عبارة عن قبضة من ستة أوبولي، أي سهام

(١) الهكسوس - ويكيبيديا(wikipedia.org)

معدنية من البرونز أو الحديد، كانت تستخدم كشكل من أشكال العملة المعدنية في وقت مبكر في اليونان من عام ١١٠٠ قبل الميلاد، قبل أن يتم سك الدراخما كعملة معدنية صلدة منقوشة في القرن الخامس قبل الميلاد^(١)، واستعمال الدراخما كوحدة معدنية موزونة في التجارة منذ عام ١١٠٠ قبل الميلاد إنما هو تاريخ تقريبي تقديري أيضا، بحسب أقدم ما اكتشفوه منها.

٣- في بلاد كنعان، فلسطين ولبنان، حسب الرأي المشهور، وقعت حادثة بيع النبي يوسف عليه السلام بدراهم معدودة، كما ذكر القرآن. في ذلك الوقت، أي حوالي ١٦٠٠ قبل الميلاد، حسب التقدير، كان الكنعانيون الفينيقيون على علاقة تجارية بحرية قوية مع اليونان^(٢)، وكانت اليونان تستعمل الدراخما البدائية في ذلك الوقت.

٤- حسب ما تقدم، نستقرّب جدا استعمال الكنعانيين للدراخما اليونانية البدائية كوحدة وزن معدنية في عصر النبي يوسف عليه السلام، سواء في بلاد كنعان أو مملكة هكسوس مصر، باعتبار أن الهكسوس تعود جذورهم لبلاد كنعان، وباعتبار قربهم من بلاد كنعان وارتباطهم معها بعلاقات تجارية. ونحن هنا ذكرنا تاريخ ظهور الهكسوس ١٦٠٠ ق.م وتاريخ أقدم دراخما مكتشفة ١١٠٠ ق.م، وهما تاريخان تقديريان تقريبيان، كما هو المعروف، فلا يبعد تداخلهما، أي يكون زمن وجود النبي يوسف عليه السلام يوافق زمن استعمال الدراخما، وبالتالي فلا يبعد أن النبي يوسف عليه السلام قد بيع بالدراخما اليونانية البدائية.

٥- من جهة أخرى، فإن بلاد الرافدين وبلاد كنعان، كانتا في ذلك العصر، تستعملان "شاكل" أو "شيقل" كوحدة وزن معدنية تجارية من الحديد أو الفضة، ثم قامت مملكة اليهود بسكها كعملة معدنية للتبادل التجاري، وهذه العملة هي الأصل التاريخي لعملة "شكيل" التي اتخذها الكيان الغاصب لفلسطين اليوم كعملة رسمية^(٣).

(١) [دراخما يونانية - ويكيبيديا، الموسوعة الحرة \(wikipedia.org\)](http://wikipedia.org)

(٢) [فينيقيا - ويكيبيديا \(wikipedia.org\)](http://wikipedia.org)

(٣) [شكيل - ويكيبيديا \(wikipedia.org\)](http://wikipedia.org)

٦- حسب ما تقدم، فلا يبعد أن النبي يوسف عليه السلام قد بيع بالشاقل. يقول سفر التكوين: ((وَاجْتَازَ رَجَالٌ مَدْيَانِيُّونَ تُجَّارٌ فَسَحَبُوا يُوسُفَ وَأَصْعَدُوهُ مِنَ الْبُئْرِ وَبَاعُوا يُوسُفَ لِلْإِسْمَاعِيلِيِّينَ بِعِشْرِينَ مِنَ الْفِضَّةِ. فَأَتُوا بِيُوسُفَ إِلَى مِصْرَ))^١، وقالوا في التفسير: ((عشرين من الفضة: أي عشرين شاقل والشاقل ١٥ جم تقريباً))^٢.

٧- وعلى فرض أنه عليه السلام قد بيع بالشاقل، فإن هذه العملة لم تعد مستعملة في عصر نزول القرآن، ولا يعرفها العرب، لكنهم يعرفون ويستعملون الدرهم الفضي والدينار الذهبي، وبالتالي لو قال القرآن مثلاً: "باعوه بثمان بخص، شيكلات معدودة" لما فهم العرب المعنى المقصود ولما أدركوا مدى الظلم الذي جناه أخوة يوسف على أخيهم، لذلك فمن المنطقي استبدال لفظة الشاقل بلفظة الدرهم التي يعرفها العرب ويعرف كونها أقل قيمة من الدينار. وهذا البيان نحن نستعمله دائماً في حياتنا اليومية، فمثلاً أنا لا أقول لمن لا يعرف قيمة البضائع بالدولار: "أنا اشتريت هذا الموبايل بثمان بخص ١٠ دولارات من شخص متعجل، بينما قيمته ١٠٠ دولار" وإنما أخبره بحسب قيمة العملة التي يعرفها فأقول مثلاً للعراقي: "اشتريت هذا الموبايل بثمان بخص، ١٥ ألف دينار عراقي، بينما قيمته ١٥٠ ألف دينار".

٨- النتيجة: النبي يوسف عليه السلام لم يتم بيعه بنظام المقايضة، كما زعم الملاحدة، وبدون دليل مؤكد، بل بيع بنظام العملة المعدنية القياسية، وأنه قد بيع بالدرهم اليوناني أو الشاقل الكنعاني، وأنه على فرض بيع بالشاقل الكنعاني، فإن ما يقتضيه البيان العربي هو استبدال لفظ الشاقل غير المستعمل بلفظ الدرهم المستعمل عند العرب، فعلى جميع التقادير فإن دعوى الملاحدة باطلة.

١ - سفر التكوين، الأصحاح ٣٧، العدد ٢٨

٢ - يوسف الأبن المحبوب - تفسير التكوين ٣٧ - تفسير سفر التكوين الأصحاح السابع والثلاثون - الموسوعة الكنسية لتفسير العهد

St-Takla.org

- قصة الاسراء والمعراج تاريخيا

المؤمن - تعرضت حادثة الإسراء والمعراج الإسلامية الى التشكيك من الناحيتين التاريخية والعلمية. دعونا نناقش هنا الإشكالات التاريخية ونوكل مناقشة الإشكالات العلمية للقاء خاص بالشبهات العلمية.

الملحد - نريدك أولا أن تذكر لنا دليلكم على الإسراء والمعراج المحمدي.

المؤمن - الإسراء مذكور في قول الله تعالى: ((سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)))^١.

والمعراج مذكور في قوله تعالى: ((وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١) أَفْتَمَارُونَهُ عَلَى مَا يُبْرَى (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَعَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (١٨)))^٢.

ودلت على الإسراء والمعراج العشرات من الروايات التفصيلية، وهي وإن اختلفت في بعض التفاصيل، لكنها متحدة في أصل وقوع الحادثة التي ذكرها القرآن الكريم، فراجعوا مثلا ((باب اثبات المعراج ومعناه وكيفيته وصفته)) في الجزء الثامن عشر من موسوعة بحار الأنوار للعلامة المجلسي، حيث أورد أكثر من مائة رواية.

الملحد - إن قصة الإسراء والمعراج الأسطورية التي نسبها محمد لنفسه وقال للناس أنه طار الى بيت المقدس ثم الى السماء وشاهد الجنة وأهلها والجحيم وأهلها والتقى بالأنبياء؛ هي خرافة اسرائيلية معروفة عند اليهود

^١ - سورة الإسراء
^٢ - سورة النجم

والمسيحيين باسم معراج اخنوخ، كذلك هي خرافة فارسية معروفة لدى الفرس باسم ارتاويراف نامك. لهذا السبب كان اهل مكة يسمون القرآن أساطير الأولين لأن أغلب كلام القرآن كان معروفا لهم أما من اليهود أو المسيحيين أو الفرس. فما هو ردكم على اقتباس محمد لهذه الخرافة ونسبتها لنفسه؟

وإليك أولاً نص الأسطورة التي وردت في سفر أخنوخ السلافي.

في كتاب سفر اخنوخ الثاني المكتوب قبل الإسلام بـ ٧٠٠ سنة، والمنشور في كتاب يتكون من ثلاث كتابات، الكتاب الثالث عنوانه (التوراة كتابات ما بين العهدين - مخطوطات قمران - البحر الميت) - صفحة ١٤٥ وما بعدها من الكتاب - باب كتاب أسرار أخنوخ (أخنوخ الثاني)، سأنقل حرفياً من الكتاب المذكور:

((وفي هذا الزمان، قال أخنوخ، عندما أتممت ثلاثمائة وخمسا وستين سنة، في الشهر الأول، في اليوم المميز من الشهر الأول، كنت في بيتي وحيدا، أبكي بعيني وأحزن. وإذا أستلقيت على سريري نائماً، ظهر لي رجلان كبيران جداً لم أرى مثلهما أبداً على الأرض، كان وجههما مثل الشمس الساطعة، وكانت عيونهما مثل مصابيح تشتعل، وكانت تخرج نار من فمهما، وكانت ثيابهما من ريش متعدد الألوان، كانت مثل أجنحة ذهبية عند رأس سريري. ودعياني باسمي. واستيقظت، فإذا الرجلان يقفان حقيقة قربي. فأسرعت بالنهوض، وسجدت أمامهما.

وتغطى وجهي بالجليد من الرعب. وقال لي الرجلان: (تشجع يا أخنوخ، ولا تخف! لقد أرسلنا الرب الخالد إليك، وها أنك أنت اليوم تصعد معنا إلى السماء. قل لأبنائك ولأفراد بيتك كل ما عليهم أن يعملوه على الأرض، ومن بيتك لا يفتش عليك أحد، حتى يعيدك الرب إليهم) فأطعتهما، ومضيت أدعو ولدي متوشالم ورجيم، وحكيت لهما كل ما كان قد قاله لي الرجلان. ولما تكلمت مع ولدي، دعاني الرجلان وأخذاني على أجنحتهما. وحملاني إلى السماء الأولى ووضعاني هناك. وجعلا سادة أنظمة النجوم يأتون أمامي، وبينوا لي حركاتها وانتقالاتها من زمن إلى آخر. وأرياني مائتي ملاك

يسودون على النجوم وعلى توافقات السماوات. وأرياني هنا بحرا كبيرا جدا، أكبر من بحر الأرض، وملائكة تطير بأجنحتها. وأرياني خزانات الثلوج والجليد، وكان ملائكة مريعون يحرسون هذه الخزانات. وأرياني خزانات الغيوم، التي ترتفع وتخرج منها، وأرياني خزانات الندى، الشبيه بزيت الزيتون، والملائكة الذين كانوا يحرسون خزاناتهم، وكان مظهرهم شبيها بكافة أزهار الأرض)) انتهى.

أما أسطورة أرتاويراف الفارسية فقد وردت في كتاب بعنوان (أرتاويراف نامك) المكتوب باللغة البهلوية (أي اللغة الفارسية القديمة) منذ ٤٠٠ سنة قبل الإسلام، في أيام أردشير بابكان ملك الفرس. وبيان ذلك أنه لما أخذت ديانة زردشت في بلاد الفرس في الانحطاط، ورجب المجوس في إحيائها في قلوب الناس، انتخبوا شاباً من أهل زرشت اسمه (أرتاويراف) وأرسلوا روحه إلى السماء. ووقع على جسده سُبُات. وكان الهدف من سفره إلى السماء أن يطلع على كل شيء فيها ويأتيهم نبأ. فعرج هذا الشاب إلى السماء بقيادة وإرشاد رئيس من رؤساء الملائكة اسمه (سروش) فجال من طبقة إلى أخرى وترقى بالتدرج إلى أعلى فأعلى. ولما اطلع على كل شيء أمره (أورمزد) الإله الصالح (سند وعضد مذهب زردشت) أن يرجع إلى الأرض ويخبر الزردشتية بما شاهد، ودُوِّنت هذه الأشياء بحذافيرها وكل ما جرى له في أثناء معرجه في كتاب (أرتاويراف نامك).

ولنترجم عبارتين أو ثلاث عبارات من كتاب (أرتاويراف نامك) (فصل ٧ فقرة ١-٤) لننظر إن كان هناك تشابه بين معراج محمد ومعراج أرتاويراف الوهمي. قال: (وقدمت القدم الأولى حتى ارتقيت إلى طبقة النجوم في حومت.. ورأيت أرواح أولئك المقدسين الذين ينبعث منهم النور كما من كوكب ساطع. ويوجد عرش ومقعد باه باهر رفيع زاهر جداً. ثم استفهمت من سروش المقدس ومن الملاك أذر ما هذا المكان، ومن هم هؤلاء الأشخاص).

بعد هذا ساق الكاتب الكلام على كيفية وصول (أرتاويراف) إلى طبقة القمر، وهي الطبقة الثانية، ثم يليها طبقة الشمس وهي الطبقة الثالثة في السماوات. وهكذا أرشده إلى باقي السماوات. وبعد هذا ورد في فصل ١١: ((وأخيراً قام رئيس الملائكة (بهمن) من عرشه المرصع بالذهب فأخذني من يدي وأتى بي إلى حومت وحوخت وهورست بين أورمزد ورؤساء الملائكة وباقي المقدسين، وجوهر زردشت السامي العقل والإدراك وسائر الأمناء وأئمة الدين. ولم أر أبهى منهم رواء ولا أبصر منهم هيئة. وقال بهمن: هذا أورمزد. ثم أنني أردت أن أسلم عليه، فقال لي: السلام عليك يا أرتاويراف. مرحباً أنك أتيت من ذلك العالم الفاني إلى هذا المكان الباهي الزاهر. ثم أمر سروش المقدس والملاك آذر قائلاً: احملا أرتاويراف وأرياه العرش وثواب الصالحين وعقاب الظالمين أيضاً. وأخيراً أمسكني سروش المقدس والملاك آذر من يدي وحملاني من مكان إلى آخر، فرأيت رؤساء الملائكة أولئك، ورأيت باقي الملائكة)).

ثم ذكر أن أرتاويراف شاهد الجنة وجهنم، وورد في فصل ١٠١: ((أخيراً أخذني سروش المقدس والملاك آذر من يدي وأخرجاني من ذلك المحل المظلم المخيف المرجف وحملاني إلى محل البهاء ذلك وإلى جمعية أورمزد ورؤساء الملائكة فرغبت في تقديم السلام أمام أورمزد، فأظهر لي التلطف. قال: يا أرتاويراف المقدس العبد الأمين، يا رسول عبدة أورمزد، اذهب إلى العالم المادي وتكلم بالحق للخلائق حسب ما رأيت وعرفت، لأنني أنا الذي هو أورمزد موجود هنا. من يتكلم بالاستقامة والحق أنا أسمع وأعرفه. تكلم أنت الحكماء. ولما قال أورمزد هكذا وقفت باهتاً لأنني رأيت نوراً ولم أر جسماً، وسمعت صوتاً وعرفت أن هذا هو أورمزد)) انتهى.

المؤمن – الجواب:

أولاً: لو كان القرآن الكريم مجرد أساطير الأولين كما تزعمون تبعاً لأسلافكم من كفار قريش، لما عجزتم عن الاتيان بمثله كما عجز أسلافكم!

ثانياً: نتحداكم أن تثبتوا أن كتاب أسرار أخنوخ والمسمى سفر أخنوخ الثاني وأخنوخ السلافي، وكذلك كتاب ارتاويراف نامك؛ مكتوبان قبل الإسلام.

فبالنسبة لسفر أخنوخ السلافي المنشور في كتاب (التوراة كتابات ما بين العهدين – الكتاب الثالث) فإن محققي الكتاب يقولون في التوطئة: ((حُفظ كتاب أسرار أخنوخ، المسمى أحياناً أخنوخ السلافي، أو غالباً أخنوخ الثاني، في نص سلافي مثبت بواسطة مخطوطات متأخرة من القرون الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر. وترتكز النسخة السلافية على أصل يوناني ضاع اليوم)).^١

أما بالنسبة لكتاب أرداويراف نامك، تقول الموسوعة الإيرانية: ((خضع Arda Wirāz-nāmag، مثل العديد من الأعمال الزرادشتية، لتنقيحات متتالية. اتخذ شكله النهائي في القرنين ٩ و ١٠ م، كما يمكن رؤيته في الفارسية المتكررة للنص ربما تكون بعض التأثيرات، المنقولة عن طريق الإسلام، قد مورست على الأخير، لكن هذه التأثيرات لا تزال بحاجة إلى إثبات كامل)).^٢ وتقول موسوعة ويكيبيديا: ((تاريخ الكتاب غير معروف، ولكن في الكتب المقدسة والأدب المبكر للشرق، لا يقدم البروفيسور تشارلز هورن تاريخاً محدداً للحكاية. يذكر معظم العلماء المعاصرين ببساطة أن نهاية النص كانت في القرن ١٠ أو ١١. th. وفقاً لمترجم النص، فريديون فاهمان، ربما يعود أصل القصة إلى القرن ٩ أو ١٠ وكان من منطقة بارس. يشير الفصل التمهيدي إلى تاريخ ما بعد الفتح العربي ويبدو أنه كتب بلغة بارس. من المحتمل أن يكون أحد المنتجات الأدبية في القرن ٩ أو ١٠ في المقاطعة. ويدعم التحليل اللغوي هذا الرأي)).^٣

النتيجة: إن كتاب أخنوخ السلافي وكتاب أرداويراف نامك، من الكتب المنحولة الملفقة، كما أقر بذلك المحققون. وإن أقدم نسخة لكتاب أخنوخ السلافي مكتوبة في القرن الخامس عشر أو السادس عشر الميلادي، أي في

^١ - التوراة كتابات ما بين العهدين - مخطوطات قمران - الكتاب الثالث - تحقيق: اندريه فايان، مارك فيلونكو - ترجمة: موسى ديب - باب كتاب أسرار أخنوخ (أخنوخ الثاني) - ص ١٤٣

^٢ - الموسوعة الإيرانية: <https://iranicaonline.org/articles/arda-wiraz-wiraz>

^٣ - موسوعة ويكيبيديا: https://en.wikipedia.org/wiki/Book_of_Arda_Viraf

القرن التاسع أو العاشر الهجري، أي بعد ظهور الإسلام بتسعة قرون على الأقل. وأقدم نسخة لكتاب ارداويراف نامة مكتوبة في القرن التاسع أو العاشر الميلادي، أي في القرن الثالث أو الرابع الهجري، أي بعد ظهور الإسلام بثلاثة قرون على الأقل. فدعواكم أن معراج رسولنا الأكرم مقتبس من معراج أخنوخ أو معراج أرداويراف؛ هي دعوى باطلة جزماً، بل العكس هو الصحيح. أي إن قصة معراج أخنوخ ومعراج أرداويراف هي المقتبسة من معراج رسولنا الأكرم. وهذا الأمر ليس فريداً فهناك الكثير من القصص الأدبية الإسلامية والعالمية، المكتوبة بعد ظهور الإسلام، قد استوحيت فكرة المعراج من معجزة معراج رسولنا الأكرم، مثل كتاب التوهم للحارث المحاسبي ومعراج البسطامي ورسالة الغفران للمعري ورسالة الطير لابن سينا ورسالة منقح الطير للطار والكوميديا الإلهية لدانتي.

٣- حتى لو سلمنا - جدلاً - بوجود أصل قبل الإسلام لقصة معراج أخنوخ السلافي ومعراج ارتاويراف الفارسي، فلا يوجد مانع عقلي ولا عقائدي من تكرار معجزة المعراج لرسولنا الأكرم بعد حدوثها لأخنوخ وارتاويراف وغيرهما من القديسين أصحاب المناصب الإلهية. فسيرة كل من أخنوخ وأرتاويراف في الكتابين تدل على كونهما من القديسين، ولا يوجد في الكتابين المنسوبين إليهما ما يخالف العقيدة الصحيحة، إلا أشياء قليلة مثل تجسيم معراج أخنوخ لله تعالى، ومثل القول بأن ارتاويراف كان متزوجاً بأخواته بحسب الشريعة المزدكية، وهذه المخالفات لا يبعد أن تكون من وضع أو تحريف الناسخ أو الراوي، كما هو شائع في جميع التراث الديني للأديان، ولم يسلم منه حتى التراث الروائي الإسلامي، بل روايات الإسراء والمعراج في التراث الإسلامي هي نفسها اشتملت على شيء من التحريف وبعضها مكذوبة. وهذا الجواب الثالث يشمل الرد على المعارج المزعومة لمثل آدابا السومري وإيليا اليهودي وزرادشت الفارسي. فهؤلاء سيرتهم المنقولة تدل على كونهم من القديسين وإن شابها الوضع والتحريف.

الملحد – أليس محقق كتاب أخنوخ السلافي يقول إنه مأخوذ من أصل يوناني ضائع؟ فكيف تقول إنه لا أصل له ومكتوب في القرن الخامس عشر الميلادي!

المؤمن – هذا ليس من تحقيق المحقق، بل هذه دعوى كاتب المخطوطة السلافية ينقلها المحقق، وهي دعوى باطلة جزماً، حيث لا يوجد أبداً أي ذكر لكتاب أسرار أخنوخ في التراث اليهودي والنصراني قبل العثور على هذه المخطوطة باللغة السلافية في القرن الخامس عشر الميلادي وما بعده، لا باللغة اليونانية ولا العبرية ولا الآرامية. ومن المعلوم تاريخياً أن الشعب السلافي المتوطن في شرق وجنوب أوربا قد دخل النصرانية في القرن التاسع الميلادي^(١).

الملحد - المعجزة إذا تكررت لم تصبح معجزة وبطلت دعوى النبوة، فكيف تقول إنه لا مانع عقلي ولا عقائدي من تكرار معجزة المعراج!

المؤمن – لم أقل بتكرار المعجزة لعموم البشر، بل لخصوص القديسين أصحاب المناصب الإلهية بحيث يعجز غيرهم عن الاتيان بمثلها، وهي إن كانت في مقام التحدي لإثبات دعوى النبوة تسمى معجزة بالمعنى الاصطلاحي، وفي غير مقام اثبات النبوة تسمى كرامة. بل تكرار الخوارق للعادة لأصحاب المناصب الإلهية ليس مجرد ممكن عقلاً وعقيدة بل هو واقع فعلاً كما في أحياء الموتى والإخبار عن الغيب. بل المعراج تحقق جزماً للنبي عيسى عليه السلام، فهو بحسب عقيدتنا لم يصلب بل رفعه الله تعالى إليه وسيعود إلى الأرض آخر الزمان.

الملحد – كتاب أسرار أخنوخ وأرتاويراف نامه، من كتب "أبو كريفا" أي المنحولة المزيفة، يعني هي أساطير ولكنها مكتوبة قبل الإسلام، فكيف تزعم صحة وقوع المعارج فيها وتكرار المعجزة!

المؤمن – نعم، بالنسبة للكتب بما هي مخطوطات فهي مزيفة وهي مكتوبة بعد الإسلام لا قبله، كما شهد محققو المخطوطات، لكن لا يوجد دليل قطعي

(١) من هم السلافيون؟ تعرف على الشعوب السلافية ولغاتهم وأماكن تواجدهم - أطلس المعرفة (atlas-know.com)

ينفي أصل وقوع حادثة المعراج لأخنوخ وأرتاويراف، أي لا دليل على اسطورية أصل الحادثة، ولذلك كان جوابنا تنزلياً، أي على فرض وقوع المعراج لهما فعلاً، فإنه لا ينفي وقوعه لرسولنا الأكرم.

الملحد - ولكنكم تقولون باختصاص نبيكم بالمعراج.

المؤمن - توجد بعض أخبار آحاد تشير الى الاختصاص، وعلى فرض صحتها فلا يبعد اختصاص رسولنا الأكرم بالمرتبة العليا من مراتب العروج. فعن أبي بصير قال: سمعت الصادق (عليه السلام) يقول: ((إن جبرئيل (عليه السلام) احتلم رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى انتهى به إلى مكان من السماء، ثم تركه، وقال: ما وطئ نبي قط مكانك)).^١

الملحد - أنتم تقولون إن الإسراء كان إلى المسجد الأقصى في فلسطين، وذلك هو ما آمن به المسلمون طوال أربعة عشر قرناً من الزمان مع أنه غير حقيقي، ففي وقت نزول آية الإسراء لم يكن في فلسطين كلها مسجد بهذا الاسم! أما ما يسمى "المسجد الأقصى" فهذا تم بناؤه بعد ذلك في زمن حكم بني أمية بأمر الوليد بن عبد الملك سنة ٨٦ هجرية - ٧٠٥ ميلادية.

المؤمن - كلامكم صحيح بخصوص عدم وجود مسجد بهذا الاسم في فلسطين وقت نزول آية الأسراء، فهذه التسمية إسلامية قرآنية أطلقها الله تعالى في القرآن على بيت المقدس المعروف لدى اليهود باسم "بيت همقدش" والذي كان يحوي هيكل سليمان الذي تم تدميره ولم يبق منه سوى الصخرة المقدسة. فالمسجد الأقصى القرآني هو تمام الساحة المسورة في اورشليم التي تتوسطها صخرة الهيكل، وسماه الله تعالى "المسجد" لترتيب أحكام المسجد الإسلامي عليه، ووصفه "الأقصى" لأنه يومذاك أبعد مسجد عن المسجد الحرام في مكة، أما المسجد الأقصى الأموي الذي بناه الوليد بن عبد الملك فهو حقيقة اسمه "الجامع القبلي" الواقع في جنوب المسجد الأقصى القرآني، وهو الجزء المسقوف من المسجد الأقصى القرآني. أي أن الوليد

١ - بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ١٨، باب اثبات المعراج، الحديث رقم ٨١

بن عبد الملك الأموي بنى الجامع القبلي وسماه المسجد الأقصى داخل سور بيت المقدس الذي هو المسجد الأقصى بحسب التسمية القرآنية.

الملحد – يعني تعترفون أنه مجرد ساحة مسورة وليس بناء، فكيف يكون مسجداً؟

المؤمن – في الفقه الإسلامي ليس بالضرورة أن يكون المسجد عبارة عن بناء مكون من جدران وسقف حتى تترتب عليه أحكام المسجد الفقهية، وكما أن المسجد الحرام في مكة عبارة عن ساحة محددة تتوسطها الكعبة المشرفة؛ فكذاك المسجد الأقصى عبارة عن ساحة محددة تتوسطها صخرة الهيكل. كذلك فإن المسجد المبني بجدران وسقف لا يفقد عنوان المسجدية ولا تزول عنه أحكامه حتى لو صار خراباً وانمحت آثار البناء. وبالنسبة لبيت المقدس فما زال مقدساً لليهود رغم زوال هيكل سليمان.

الملحد – وكيف يكون الإسراء معجزة والناس نيام!!

المؤمن – لما استيقظوا أخبرهم الرسول بالإسراء وأقام لهم البرهان القاطع على ذلك، حيث طلبوا منه وصف بيت المقدس فوصفه لهم بالتفصيل، وهم يعلمون أنه لم يكن قد رآه من قبل، كما أخبرهم بحال قافلة لقريش مر بها في الطريق، فلما وصلت القافلة أكدت لهم ما أخبر به الرسول عن حالها، وثبت صدقه في نعت بيت المقدس وحال القافلة لازمه ثبوت صدقه في الإسراء. فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَ أَصْبَحَ فَقَعَدَ فَحَدَّثَهُمْ بِذَلِكَ فَقَالُوا لَهُ صِفْ لَنَا بَيْتَ الْمَقْدِسِ قَالَ فَوَصَفَ لَهُمْ وَ إِنَّمَا دَخَلَهُ لَيْلًا فَاشْتَبَهَ عَلَيْهِ النَّعْتُ فَأَتَاهُ جَبْرَائِيلُ ع فَقَالَ انظُرْ هَاهُنَا فَانظُرْ إِلَى الْبَيْتِ فَوَصَفَهُ وَ هُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، ثُمَّ نَعَتَ لَهُمْ مَا كَانَ مِنْ عَيْرٍ لَهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الشَّامِ ثُمَّ قَالَ هَذِهِ عَيْرُ بَنِي فُلَانٍ تَقْدُمُ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ يَتَقَدَّمُهَا جَمَلٌ أَوْرَقٌ أَوْ أَحْمَرٌ. قَالَ وَبَعَثَ قُرَيْشٌ رَجُلًا عَلَى فَرَسٍ لِيُرِدَّهَا قَالَ وَبَلَغَ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ))^١.

١ - الكافي، الشيخ الكليني، ط الإسلامية، ج ٨ ص ٢٦٢

- نسبة السامري

الملحد - لم يكن في عصر موسى شيء يقال له سامرة ولا سامري.

ففي السادس عشر من سفر الملوك الأول إن عمري ملك إسرائيل الذي ملك بعد سليمان بن داود بخمسين سنة تقريباً، هو الذي اشترى جبل السامرة من رجل اسمه شامر بوزنتين من الفضة وبنى على الجبل وسمى المدينة التي بناها باسم شامر السامرة، وأصبحت كلمة "سامري" نسبة إليها. أما قبل ذلك فلا توجد هكذا نسبة، فما يذكره القرآن من تسمية صانع العجل في زمن موسى باسم السامري هو خطأ تاريخي.

المؤمن - الجواب:

١- إن أسفار اليهود ليست حجة على القرآن بل العكس هو الصحيح.

٢- إن من أولاد يساكر بن يعقوب من اسمه " شمرون " (١)

وكان بنوه من عشائر بني إسرائيل على عهد موسى وقد سميت عشيرتهم في الأصل العبراني " هشرونيم " (٢) وبمقتضى التعريب يكون اسمهم في العربية السامريين وواحدهم سامري، فبمقتضى العهد القديم يكون السامري صانع العجل جاء من سبط يساكر من عشيرة " هشرونيم " باللفظ العبراني والسامريين بالعربي.

- نسب الغراء مريم

الملحد - يقول القرآن في سورة التحريم (وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنْتِ مِنَ الْقَائِمِينَ (١٢)) وفي سورة مريم (فَأَنْتَ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا (٢٨)). فالقرآن يذكر أن مريم أم المسيح هي بنت عمران وأخت هارون

(١) سفر التكوين ٤٦: ١٣

(٢) سفر العدد ٢٦: ٢٤

أخو موسى. والكتاب المقدس وسجلات التاريخ توضح أن مريم أم المسيح أبوها يدعى هالي وليس لها إخوة بهذه الأسماء. والواقع أن عمرا م والد هرون كان له بنت تدعى مريم فعلا ولكنها لم تكن أم المسيح بل كانت نبيه كما جاء في (سفر الخروج ١٥ : ٢٠ وسفر أخبار الأيام الأول ٦ : ٣). فالقرآن خلط بين مريم النبيه اخت هارون وبين مريم أم المسيح بنت هالي. علما أن بينهما ١٥٠٠ سنة.

المؤمن - الجواب:

١- أسفار اليهود والنصارى وسجلاتهم ليست حجة على القرآن بل العكس هو الصحيح.

٢- لم يذكر الكتاب المقدس أبدا أن مريم بنت هالي، كما تكذبون.

٣- الإنجيل يقول: (كَانَ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ مَلِكِ الْيَهُودِيَّةِ كَاهِنٌ اسْمُهُ زَكَرِيَّا مِنْ فِرْقَةِ أَبِيَّا، وَامْرَأَتُهُ مِنْ بَنَاتِ هَارُونَ وَاسْمُهَا أَلِيصَابَاتُ) ^١ ثم يقول: (وَهُوَ ذَا أَلِيصَابَاتُ نَسَبِيَّتُكَ هِيَ أَيْضًا حُبْلَى بِابْنٍ فِي شَيْخُوخَتِهَا، وَهَذَا هُوَ الشَّهْرُ السَّادِسُ لِتِلْكَ الْمَدْعُوءَةِ عَاقِرًا) ^٢.

فالإنجيل ينص على أن أليصابات زوجة النبي زكريا هي من بنات هارون وينص على أنها نسيبة السيدة مريم، فهذا يعني أن السيدة مريم هي منتسبة الى هارون أيضا، وقول القرآن (أخت هارون) يعني النسبة كما يقول العرب: أخو العرب وأخو تميم.

وأخيرا: فهذه من أقدم إشكالات النصارى على القرآن الكريم، وأنتم أما من النصارى المتستترين بالملاحدة لمهاجمة الإسلام، وأما ملاحدة تجتروا إشكالات النصارى التي سبق أن تم الرد عليها مفصلا، فراجعوا للعلم والاطلاع كتاب "الهدى الى دين المصطفى" بجزئيه للشيخ محمد جواد البلاغي رضوان الله تعالى عليه.

١ - انجيل لوقا ١ : ٥

٢ - انجيل لوقا ١ : ٣٦

اللقاء الرابع: حوارات حول الشبهات العلمية

- سؤال: هل العلم في صراع مع الدين حقا؟

الملحد – بالطبع الدين في صراع وتقاطع مع العلم، فالدين ليس سوى وليد الجهل.

المؤمن – عرضنا في اللقاء الثاني فرضية الجهل في تفسير الدين وأثبتنا بطلان هذه الفرضية ومدى سذاجة هذا الزعم، فلا نكرر.

الملحد – الأديان تحارب العلم والعلماء لأنهم يكشفون أكاذيبهم، كما فعلت الكنيسة مع غاليليو.

المؤمن - أن تطور العلوم الطبيعية في عصر النهضة الأوربي أدى الى صدام شديد بين الكنيسة وعلماء الطبيعة ، في موارد تعارض فهم علماء الطبيعة وتعاليم الكنيسة ، حيث تسجل محاكمة الكنيسة لغاليليو وسجنه ومصادرة كتبه واذلاله فصلا ساخرا من فصول الاضطهاد العلمي في ذلك العصر . ففي بداية القرن السابع عشر في العام (١٦٣٣ م) داخل الكنيسة في مدينة روما، حضر غاليليو عالم الفلك الايطالي لابسا قميص التائب الأبيض، راکعا أمام قضاة مكتب التحقيق المفوض من البابا اوربان الثامن رئيس الكنيسة ، ثم أصغى إلى إصدار الحكم عليه : إنك يا غاليليو جعلت نفسك في نظر المكتب المقدس مشتبهها بهرطقة ، لأنك منحت الدعم والتصديق لمذهب خاطئ ومناقض للكتاب المقدس ، ألا وهو أن الشمس هي مركز الأرض ولا تنتقل من الشرق الى الغرب ، وأن الارض هي التي تتحرك حول الشمس وانها ليست مركز العالم .

تبع ذلك توقيع غاليليو على اعلان التوبة عن هذه الآراء وطلب المغفرة ، فكان الحكم عليه بالسجن المؤبد ، ولكن قام البابا بتخفيف الحكم نتيجة توسط بعض الاصدقاء الى الإقامة الجبرية في منزله ، فبقي حبيس المنزل حتى توفي عام (١٦٤٢م) ، وتم حظر كتابه وكل كتاب يؤيد هذه النظرية كما منع تدريس النظرية في الجامعات.

ولكن برغم أن غاليليو هو مدين لكوبرنيكوس في هذه النظرية ، وكوبرنيكوس هو كاهن وراهب بولندي وعالم فلك ورياضيات (توفي ١٥٤٣م) ، يعتبر عند الغرب أول من صاغ نظرية مركزية الشمس وكون الأرض جرمًا يدور في فلكها في كتابه (حول دوران الأجرام السماوية) ، مخالفًا بذلك نظرية بطليموس (القرن الثاني للميلاد) التي اودعها في كتابه (المجسطي) ، والتي تقوم على اعتبار أن الأرض ثابتة وهي مركز العالم وأن الشمس تدور حولها ، فما قام به غاليليو هو البرهنة فقط على صدق نظرية كوبرنيكوس التي طرحها كفرضية في منتصف القرن السادس عشر ، وبرغم أن كبار علماء أوروبا في القرن السابع عشر مثل غاليليو واسحاق نيوتن وباسكال وكيبيلر كانوا من المؤمنين المسيحيين ، وبرغم أن هؤلاء وآلاف غيرهم تخرجوا من المدارس والجامعات التي تشرف عليها الكنيسة ، وبرغم أن رئيس الكنيسة البابا بندكت الرابع عشر في القرن الثامن عشر قد رفع الحظر عن هذه النظرية وعن كتبها (عام ١٧٥٧ م) ، وبرغم أن رئيس الكنيسة الكاثوليكية يوحنا بولس الثاني أعلن في عام (١٩٨٣م) خطأ قرار الكنيسة ، واعتذر رسمياً عن سوء التفاهم وعن الألام التي سببها القرار لغاليليو^(١) ، أقول: رغم كل هذا فقد جعل الملاحظة من قضية غاليليو رمزا للصراع والتقاطع بين العلم والايمان ، بعد أن صيروا العلم رأس الحربة في صراعهم مع الدين ، منذ عصر غاليليو الى يومنا هذا عصر الملاحظة الجدد.

الملحد – أنتم تدافعون عن الكنيسة لتبرروا محاربتكم للعلم.

المؤمن – نحن لا ندافع عن الكنيسة، إنما نناقش مقولتكم. إننا لا ننكر غطرسة الكنيسة واستبدادها في ذلك العصر، وابتعادها عن روح تعاليم نبينا عيسى عليه الصلاة والسلام ، كما لا ننكر تحريفها لكلام الله وضلالها بجعل الله ثالث ثلاثة ، وتعصبها واستكبارها عن التسليم بوحدانية الله الواحد الأحد الفرد الصمد باتباع الاسلام المحمدي الاصيل ، لكننا نرفض اصل دعواكم ايها الملاحدة بتقاطع العلم مع الدين ، فكوبرنيكوس وغاليليو وكبلر وبسكال ونيوتن كانوا مؤمنين مسيحيين ، وقد كانوا اولى بالالإلحاد منكم حسب دعواكم

(١) الكنيسة والعلم ، جورج مينوا ، الفصل العاشر ، ص ٤٨٥

بتعارض العلم مع الايمان والدين ، فلماذا آمنوا والحدثم ؟ لماذا لم تؤمنوا مثلهم ؟

الملحد - هؤلاء العلماء كانوا ملاحدة ولكن يكتمون الحادهم خوف بطش الكنيسة .

المؤمن - ولكن ستيفن هوكنج الذي هو عندكم عبقري الفيزياء الكونية ، وهو ملحد وأعرف بغاليليو منكم ، يكذب قولكم فيقول : ((وقد ظل غاليليو كاثوليكيًا مخلصًا ، ولكن ايمانه باستقلال العلم لم يمحق))^١ ، ثم بعد ثبوت صحة نظرية غاليليو وإقرار الكنيسة بخطئها ، لماذا لم يزل الملايين من الناس يتبعون الدين المسيحي ؟

الملحد - إن هؤلاء الناس جهلة غير متنورين بالعلم .

المؤمن - ولكن التنوير او التدمير الالحادي مستمر منذ ٤٠٠ سنة باسم غاليليو ، وقد اصبحت قضية مركزية الشمس ودوران الارض قضية بديهية ، يقرها المليارات من المسلمين والمسيحيين من العلماء وعامة الناس ، ومع ذلك لم يجدوا تقاطعا بين العلم بها والايمان بالله تعالى ورسله وكتبه ، لماذا؟ لأن الايمان كما قلنا هو اقتضاء الفطرة البشرية ، ولأن الصراع واقعا ليس بين العلم والدين ، بل بين الإلحاد غير القائم على اسباب علمية وبين الدين ، وما العلم وما قضية غاليليو سوى قناع يتستر به الملاحدة لخداع انفسهم وخداع الناس .

كريسي مورسن هو الرئيس السابق لأكاديمية العلوم الامريكية ورئيس المعهد الامريكي، وعضو المجلس التنفيذي لمجلس البحوث القومي بالولايات المتحدة، وزميل في المتحف الامريكي للتاريخ الطبيعي، وعضو مدى الحياة للمعهد الملكي البريطاني ، مصنف الكتاب المترجم للعربية بعنوان (العلم يدعو للإيمان) ، هو عالم مسيحي متخصص ، صنف الكتاب ليبرهن أن العلم يدعو للإيمان وأن الكون لا يقوم بنفسه ، ردا على زعم أحد مشاهير الملاحدة في وقته أن العلم يدعو الى الإلحاد، وأن الكون يقوم لوحده

^١ - تاريخ موجز للزمان ، ستيفن هاوكنغ، الخاتمة ، ص ١٥٥

، وهذا برهان على بطلان دعوى الملاحدة بتعارض العلم مع الايمان والدين ، وسقوط لقناع العلم الذي يتسترون به . فراجعوا الكتاب .

الملحد – الأديان كلها خرافات أكل الدهر عليها وشرب .

المؤمن – كلامكم هو الخرافة وينم عن سذاجة كبيرة . بالنسبة لنا حتى ننهي الجدل في هذا الموضوع ، نطلب من الملاحدة ومن المؤمنين أن يضعوا نصب اعينهم هذه القاعدة :

((استحالة أن يتعارض قطعي العلوم مع قطعي الدين الاسلامي))

انما الذي ربما يتعارض هو ظني العلوم واشتباهاته وفرضياته مع قطعي الدين ، او ظني التفسير وظني النسبة للدين مع قطعي العلم ، فلا يوجد تصادم مطلقا بين الدين الاسلامي الواقعي وبين العلم الواقعي ، فالقرآن العظيم ظاهره انيق وباطنه عميق ولا يعلم حق تأويله إلا الله والراسخون في العلم وهم محمد وآل بيت محمد صلوات الله وسلامه عليهم ، والنصوص الروائية بعضها منسوب الى خلفاء الرسول بالحق وحجج الله الراشدة وهم آل بيت محمد صلوات الله وسلامه عليهم ، وبعضها منسوب الى مذاهب المخالفين للحق ، وما كان منها منسوبا الى حجج الله على خلقه فبعضه قطعي الصدور عنهم وبعضه ظني الصدور ، وما كان منها قطعي الصدور فبعضه قطعي الدلالة وبعضه ظني الدلالة . كما أن ما ينسب الى العلوم بعضه يكشف عن واقع حقيقي كامل، وبعضه مجرد نظريات قاصرة او فرضيات حائرة ، وفي جميع ذلك ينبغي الرجوع الى الخبراء المختصين في علوم الدين وفي العلوم الطبيعية ، فلا يؤخذ الحق إلا من أهله ، وإلا بقي صاحب ثقافة الالتقاط متخبطا في جهله . فلا تعارض واقعا بين واقعي الدين و واقعي العلم، بل العكس هو الصحيح ، العلم يدعو الى الإيمان والإيمان يدعو الى العلم.

الملحد – ما هو دليلكم على هذه القاعدة؟

المؤمن - دليلنا على هذه القاعدة هو أن العلم الواقعي والدين الواقعي مصدرهما واحد وهو الله سبحانه وتعالى العليم المطلق ، وقد اثبتنا مسبقا أن

وجود الله الكامل المطلق هو مقتضى الفطرة ، وأن مقتضى لطف الله وحكمته هو ارسال الانبياء بالرسالات لهداية البشرية ، فيستحيل تنافي واقعي الرسالات مع واقعي العلم .

ان الغاية الالهية من الخلق هي تكامل البشرية وهذا الأمر يتوقف على طلب العلم في طريق السعي لتحقيق الكمال المنشود للفرد والمجتمع ، لذلك تجد القرآن الكريم يستعرض جميع موضوعات العلوم الطبيعية والروحية ويعطي مفاتيح كنوزها ، ويحث على السعي في ادراكها وتدبرها في الكثير من الموارد ، منها قوله تعالى : ((إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)))^١ ، وتعهد أن يتجلى لكل فرد من عباده في آيات ملكوته الأفاقية والأنفسية فقال : ((سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣)))^٢ .

فليس من شأن الله العليم الخبير أن يأمر عباده في كتاب التدوين بالتفكير والبحث في ملكوت السماوات والارض، ثم يكشف لهم ما يتقاطع معه في كتاب التكوين، فإن زعمتم ايها الملاحدة أن القرآن صناعة بشرية وأن من صنعه أمر بالتفكير والبحث في الطبيعة ولكن العلم قد فضح كذبه. قلنا : عدم مرة أخرى بقناع قضية غاليليو الذي اسقطناه قريبا فلا نكرر ، ولكن نقول بأن القرآن الكريم قطع النزاع وتحداكم تحديا عظيما بالإتيان بمثله وترك لكم الاستعانة بمن سئتم فقال : ((قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)))^٣ ، وأخبرنا أن هروبكم عن التحدي وعدم الاتيان بمثله تحت اية ذريعة هو برهان على إفلاسكم ، وعلى أنه قد نزل بعلم الله العليم الخبير فقال : ((أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ

١ - سورة البقرة
٢ - سورة فصلت
٣ - سورة الإسراء

دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَأَلِّمِ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٤))^١. فصدق الله الذي لا إله إلا هو ونحن له مسلمون.

إن الإسلام جعل طلب العلم فريضة واجبة وجوبا كفاييا على جميع افراد المجتمع في كل علم يتوقف عليه نظام المجتمع الاسلامي، دون تمييز بين الذكر والأنثى والعربي والأعجمي والغني والفقير ولا غيرها من نواحي التمييز، بما لم يسبقه في ذلك اي دين او تنظير او قانون، فحقق نهضة علمية في جميع ميادين العلوم في وقت كان العالم يعيش في ظلمات الجهل والتخلف ، وكل ما وصل اليه العالم اليوم في ميادين العلم والمعرفة انما هو تطوير لما وصلت اليه الحضارة الإسلامية.

الملحد – لماذا الدول الإسلامية ظلت متخلفة؟

المؤمن – للحديث شجون وتفصيل، واختصارا نقول بأن العلم البشري هو معرفة تراكمية عموما ولا ننكر دور الإلهام والإبداع الفردي، أي أنه خبرات يتم تناقلها وتطويرها من جيل لآخر. فكما أن الحضارة الإسلامية قد استفادت من علوم الحضارات السابقة وطورتها وأضافت إليها فكذلك النهضة الغربية قد استلهمت علوم الحضارة الإسلامية. الفرق أن العصر الحديث للغرب قد توصل لمعرفة صناعة الأسلحة الحديثة قبلنا فغزانا بها، ومنذ ذلك اليوم وهو يهيمن علينا بالقوتين الخشنة والناعمة، بالمباشرة أو بواسطة تنصيب الطواغيت العملاء، فيمنعنا عن كل تطور يمكن أن يسلبه هيمنته، هذه الحقيقة يدركها كل خبير في التاريخ والسياسة.

الملحد – إنما الغرب تطور حضاريا لأنه ترك الدين الى العلمانية.

المؤمن – هذه هي أشهر السفطات بل الأكاذيب بل الشعارات التي يتشدد بها العلمانيون الملاحدة، ويروجون بها للعلمانية والإلحاد، فتنطلي على بسطاء العقول وقاصري المعرفة. توجد العشرات من الدول الأوروبية وغير الأوروبية تحكم بالعلمانية اليوم ومع ذلك فهي دول متخلفة حسب مقاييسكم،

^١ - سورة هود

فلو كانت العلمانية والإلحاد هي العلة التامة للتطور لوجدت كل دولة علمانية متطورة، لاستحالة تخلف المعلول عن علته التامة، بل أن بعض الدول الأوروبية العلمانية أوشكت على اعلان افلاسها، وما خروج بريطانيا من الإتحاد الأوربي إلا هروب من تحمل عبء الدول الأوروبية المفلسة. فيا حبيبي إن تلك الدول العلمانية التي تسمى العظمى هي لم تستعظم إلا بما امتصته وتمتصه من دماء الشعوب، ولو حصلت شحة في الدماء لأي سبب فإنها ستبادر لافتراس بعضها بعضا، كما في الحربين العالميتين الأولى والثانية وغيرهما من حروب السطو الاقتصادي الكثيرة.

الملحد – الإنسانية تطورت بالعلم وحده والدين يعني التخلف.

المؤمن – ماذا تقصد بالتطور والتخلف؟

الملحد – التطور هو التقدم للأمام والتخلف هو الرجوع الى الخلف.

المؤمن – جيد، أنا أعتقد أن العائلة الأولى من البشرية كانت تؤمن بالله تعالى وكانت حكومتها دينية وكانت ملتزمة بالزواج وستر الأجساد، فهل أنت تعتقد مثلما أعتقد؟

الملحد – طبعاً لا، العكس هو الصحيح.

المؤمن – إن كنت تعتقد أنت وأمثالك بأن المجتمع البشري الأول كان ملحداً اباحياً متعرياً لا يحكمه دين، وهي ذات المواصفات التي يتبناها الملاحدة والعلمانيون في المجتمع المعاصر وتشرعها الأنظمة الغربية، فمن هو المتخلف الراجع الى الخلف!! هذا ليس تطوراً بل هو تدهور. أما إن كنت تقصد المخترعات المادية فهذه ما كان منها يتوقف عليه نظام المجتمع البشري ويرتقي بإنسانية الإنسان فوق مستوى البهائم فهذه لا يعارضها الدين بل بالعكس يدعو لها بل يأمر بها، وما كان منها لم يزد الإنسان إلا رهقاً فهذه ينهى عنها الدين.

- اثبتوا لنا موارد تقاطع العلم مع الدين

المؤمن - كونكم ملاحظة اعرضوا علينا جميع اشكالاتكم العلمية على الدين الاسلامي، وأتحداكم أن تثبتوا لنا تقاطع العلم مع الدين الاسلامي . لكن تذكروا أنه منطقيا حينما تريد إثبات نقض فيجب أن تأتي بنقض قطعي وإلا كنت مجرد سفسطائي مشكك مغالط وكانت محاولتك بائسة. وتذكروا أنني مسلم شيعي إمامي اثني عشري، أعتقد أن هذا هو منهاج الإسلام المحمدي الأصيل، فلا علاقة لي بكل ما يخالف هذا المنهج من المناهج والمصادر والأقوال والأفعال. انطلاقا من هذه المقدمة ، ومن قوله تعالى: ((قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١١١)))^١ وقوله تعالى: ((وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤)))^٢؛ أتحداكم أن تثبتوا تقاطع قطعي العلم مع قطعي الدين.

الملحد – كل النظريات العلمية تخالف دين الإسلام.

المؤمن – من قال؟ هذه دعوى تفتقر الى اثبات. لكن أخبرني هل تعتقد أن كل النظريات العلمية هي حقائق واقعية؟

الملحد – طبعاً، لأن النظريات العلمية تثبت بالمنهج الإمبريقي.

المؤمن – معلوماتك جدا قديمة ، وينبغي التمييز بين الفرضية والنظرية والحقيقة العلمية.

الفرضية : وصف وتفسير تخميني معقول مبني على أساس معارف و مشاهدات سابقة . فالفرضية تصف الحدث أو الظاهرة ببيان اسبابها وكيفية حصولها وصفا ظنيا قابلا للصح والخطأ .

النظرية : هي الوصف لحدث أو ظاهرة ، المدعوم بالاختبارات المتكررة الناجحة التي أثبتت صحته . فالفرضيات بعد اثبات صحتها تصبح نظريات

١ - سورة البقرة
٢ - سورة سبأ

القانون العلمي : هو صياغة منطقية أو رياضية للقاعدة الكلية المستنبطة من النظرية . فالنظرية تصف الظاهرة الواقعة و القانون يتنبأ بوقوع الظاهرة بعد أن تمت معرفة اسبابها و كيفية حصولها بنحو مؤكد .

مثال على التعريفات السابقة نأخذ فكرة الجاذبية ، فظاهرة سقوط الحجر على الأرض فسرها نيوتن بوجود قوة في الأرض تقوم بجذب الحجر نحوها وهذه القوة لها علاقة بكتلة الأرض ، وقد كان هذا تخميناً ابتدائياً منه غير مستند لأدلة فيسمى فرضية ، ثم بعد أن قام بعدة تجارب تؤكد صحة افتراضه صار تفسيره نظرية ، ثم استنبط من هذه النظرية قانون الجذب العام ((قوتا التجاذب بين أي جسمين ماديين تتناسب طردياً مع حاصل ضرب كتلتيهما وعكسياً مع مربع المسافة بين مركزيهما)) .

إن البحث العلمي قد تكون نتيجته توجب انكشافاً تاماً غير مشوب بجهل لواقع الموضوع المبحوث فيه في ذهن الباحث وهذا يسمى يقيناً ، وأما تكون نتيجته توجب انكشافاً ناقصاً لواقع الموضوع المبحوث فيه وهذا يسمى ظناً . الظن هو أخس من اليقين فهو انكشاف ناقص مشوب بجهل، وقد كان الباحثون وعامة الناس سابقاً يتوهمون علمية جميع منجزات البحوث العلمية وأنها حقائق واقعية قطعية ، الأمر الذي أدى الى تبجح لابلاس ووضعه في بداية القرن التاسع عشر لمبدأ ((الحتمية العلمية)) الذي يؤكد على خضوع كل ظاهرة طبيعية لقانون صارم دائم ثابت غير قابل للتغيير، ولا يخضع لتدخلات خارجية ، وأنه عند اكتشاف هذا القانون نكون قد كشفنا الواقع حتماً وصار بإمكاننا التنبؤ جزماً بالظاهرة بل ايجادها والتصرف فيها. ثم بتطور العلوم و وضع النظريات والقوانين في مجال التطبيق المستمر استبان للباحثين قصور النظريات والقوانين وبطلان وهم واقعية و ثبات معظمها، وهكذا اتضح ظنية أغلب المنجزات البحثية ، حتى صارت قاعدة مسلمة عند الباحثين هي نسبية نتائج البحث وعدم اليقين العلمي ، فراجع مبدأ هايزنبرغ المسمى (مبدأ عدم اليقين) أو مبدأ الريبية أو مبدأ عدم التأكد ، الذي نسف كل أمل في تحصيل القطع واليقين في مجال نظريات فيزياء الكم. لأجل هذا صار الباحثون المختصون الى التواضع العلمي ، بينما بقيت هذه القاعدة مجهولة عند البعض من عامة الناس فضلوا يتوهمون يقينية النظريات .

وعلى اساس ما سمي (معضلة اينشتاين) ومبدأ عدم اليقين لهايزنبرغ تم تغيير تعريف مفهوم النظرية العلمية ، كما تم تغيير وظيفة البحث العلمي ، فبعد أن كانت وظيفته اعطاء تفسير للواقع بما هو واقع يعني اعطاء العلم الحقيقي ، صارت وظيفته محاولة فهم الظاهرة بحسب اقوى الظنون ، وكما يقول ستيفن هاوكنك : ((قد أعطى مبدأ عدم اليقين الإشارة لنهاية حلم لابلاس بنظرية علمية ، أو نموذج للكون يكون حتميا بالكلية))^١. ولأجل ذلك تخلصوا من المؤاخذه ونبذوا حتمية لابلاس ، التي طالما تبجحوا بها ، بأن غيروا وظيفة العلم فقالوا إن وظيفة العلم هي محاولة اعطاء افضل الاجابات الممكنة كما يقول ستيفن هاوكنك : ((والواقع اننا اعدنا تحديد مهمة العلم لتصبح اكتشاف القوانين التي تمكنا من التنبؤ بالأحداث في الحدود التي يفرضها مبدأ عدم اليقين))^٢.

إن كانت هذه حال الفيزياء التي يعدونها (تاج العلوم الحقيقية) لقيامها على التجربة والصرامة الرياضية ، فما بالك بالعلوم ((الحقيقية)) الاخرى كالكيمياء والاحياء والطب والهندسة ؟ بل ما بالك بالعلوم التي يعدونها غير حقيقية لأنها أكثر ما تقوم على الحدس والاستدلال النظري والاستقراء الناقص كعلوم النفس والاجتماع والتاريخ والاقتصاد ؟

فأين العلم الحقيقي وأين النظريات ؟ اتضح أن معظمها فرضيات ظنية مؤقتة نسبية الصحة ، لست أنا من يقول ذلك بل حبيب الملاحدة وخبير الفيزياء الكونية ستيفن هاوكنج هو من خلص الى هذه النتيجة فقال: ((أي نظرية فيزيائية هي دائما مؤقتة بمعنى أنها فرض وحسب ، فأنت لا تستطيع قط أن تبرهن عليها . ومما بلغت كثرة مرات اتفاق نتائج التجارب مع نظرية ما ، فإنك لا تستطيع قط أن تتيقن من أنه في المرة التالية لن تتناقض النتيجة مع النظرية))^٣.

فيا أعزتي، إن كنتم لا تعلمون فتعلموا وتواضعوا، ولا تخدعنكم جعجة الملاحدة والصفحات التي تروج للإلحاد باسم العلم، وإن كنتم تعلمون

١ - تاريخ موجز للزمان ، الفصل الرابع ، ص ٥٨

٢ - المصدر السابق ، الختام ، ص ١٤٩

٣ - تاريخ موجز للزمان ، الفصل الاول ، ص ٢١

وتكابرون فهذا الكلام الموثق ينسف كل حجة لكم لأثبات تعارض العلم مع الدين. إنه نسف عام فلم يبق لكم إلا السفسطة، لكن لا بأس هاتوا ما عندكم لنتحاور فيه ونثبت بطلانه تفصيلا ليتهدي من يهتدي عن بينة.

- شبهة فرضية الانفجار الكبير والدين

الملحد - أن نظرية الانفجار الكبير، اثبتت نشوء الكون بجميع الاجرام الفلكية من جسيمات مفردة اولية في ظروف معينة قبل ما يقارب ١٥ مليار سنة ، ثم اخذت الاجرام تدريجيا بالتشكل واخذ الكون بالتمدد والتوسع حتى صار الكون على ما هو عليه الان ، وهذا الاكتشاف يبطل الحاجة لوجود الاله الخالق ، كما انه يتقاطع مع مقولات خلق السماوات والارض في ستة ايام ، وكونهما كانتا رتقا متلاصقتين ملتحمتين ، وخلق الارض قبل السماء التي ينص عليها القرآن .

المؤمن - أولاً: هل تعلمون من صاحب هذه الفرضية؟

الملحد - لا علاقة لنا بصاحبها بل بالنظرية نفسها فلماذا السؤال؟

المؤمن - يتضح المغزى من السؤال عندما تعلمون أن صاحب فرضية الانفجار الكبير هو قس كاثوليكي! فرضية مفردة الانفجار الكبير يعود تأريخها الى عام (١٩٢٤م) عندما برهن عالم الفلك الامريكي ادوين هابل (توفي ١٩٣٥م) على أن مجرتنا ليست الوحيدة كما كان الاعتقاد سائدا منذ عصر غاليليو ، بل هناك الكثير من المجرات ، وقد رصد بنفسه منها تسع مجرات فعلا في ذلك الوقت ، كما برهن في عام (١٩٢٩م) على التمدد والتوسع الكوني ، حيث رصد أن هذه المجرات ليست ثابتة وانما هي تتحرك مبتعدة عن بعضها البعض ، وأن سرعة ابتعادها تزداد كلما زادت مسافة ابتعادها ووضع معدلا لسرعة التمدد سمي (ثابت هابل) ، وقد كان الاعتقاد السائد قبل ذلك هو حالة الثبات الكوني ، ونقصد به عدم تباعد المجرات عن بعضها ، حتى أن اينشتاين نفسه عندما صاغ فرضيته في النسبية العامة عام (١٩١٥م) كان يؤمن بثبات الكون ، وقد رفض أول الأمر أن تكون فرضيته

في النسبية تدعم فكرة التمدد الكوني لذلك قام بتعديل فرضيته وادخل عليها ما سمي (الثابت الكوني) ثم أقر بخطئه في ذلك وتراجع ، ولم يتنبأ بالتمدد الكوني قبل اكتشاف هابل سوى الفيزيائي الروسي الكسندر فريدمان عام (١٩٢٢ م) حيث وضع معادلات رياضية للتمدد وفق نظرية النسبية العامة لأينشتاين . هذا الاكتشاف للمجرات ولتباعدها عن بعضها اوحى بالحدس لعالم الفيزياء والرياضيات والفلك القس الكاثوليكي البلجيكي جورج لوميتر عام (١٩٢٧ م) بإطلاق فرضية مفردة الانفجار الكبير ، اي انه بالتراجع العكسي للتمدد الكوني يعني أن الكون كله كان في البداية عبارة عن كتلة واحدة فائقة الكثافة والحرارة ((البذرة الفائقة)) ثم تمددت فجأة لأسباب غير معروفة^(١) . فلماذا آمن جورج لوميتر وأحدثتم؟ علما أنه لا توجد في عصره امبراطورية وهيمنة كنيسة لتزعموا أنه كان يكتم الحاده. ألم يكن هو أولى بالإلحاد منكم؟

الملحد – له أسبابه للبقاء مؤمنا لا علاقة لها بالنظرية.

المؤمن – كذلك انتم، لكم اسبابكم للإلحاد لا علاقة لها بالعلم أصلا. دعم من ذلك وأجبنى على ثانيا: هل تعتقدون أن فرضية الانفجار الكبير هي نظرية علمية حقا؟

الملحد – طبعا هي نظرية ثابتة نظريا وعمليا.

المؤمن – كلام ستيفن هوكنج يكذب زعمكم، فهو يقول أنه لا توجد نظرية علمية بالمعنى الحقيقي ، إنما هي حقيقة فرضية وتسمى نظرية مجازا، فاستمع لقوله: ((أي نظرية فيزيائية هي دائما مؤقتة بمعنى أنها فرض وحسب ، فأنت لا تستطيع قط أن تبرهن عليها . ومهما بلغت كثرة مرات اتفاق نتائج التجارب مع نظرية ما ، فإنك لا تستطيع قط أن تتيقن من أنه في المرة التالية لن تتناقض النتيجة مع النظرية))^٢. أنظر أنها فرض وحسب!! فهل أنتم أعلم من ستيفن هوكنج؟ دعم من هذا وأجيوني على ثالثا: ماذا

(١) تاريخ موجز للزمان ، ستيفن هاوكنج ، الفصل الثالث ، ص ٤٦

- موقع الموسوعة البريطانية على النت ، مادة (جورج ليماتر)

- قصة الفيزياء ، لويد موتز ، الفصل العشرون ، ص ٣٦٩-٣٧٨

٢ - تاريخ موجز للزمان ، الفصل الاول ، ص ٢١

تقصد بالضبط بنظرية الانفجار الكبير؟ إن هذا مصطلح مجازي للسخرية أطلقه عالم الفلك والفيزياء البريطاني فريد هويل، المعارض الشرس لهذه الفرضية، فما تقصدون أنتم منه بالضبط؟

الملحد – المقصود هو النظرية التي أثبتت تشكل الكون بالتمدد السريع من المادة نتيجة الحرارة الشديدة بعد أن كانت مضغوطة.

المؤمن – هذا الوصف المشهور يسمى (نظرية مفردة الانفجار الكبير) ، حيث افترض أن مادة الكون كلها كانت مضغوطة في كتلة حجمها صفر ، وهي لا متناهية الكثافة ولا متناهية الحرارة ، ثم أخذت بالتمدد السريع بسبب الحرارة اللامتناهية ناثرة جسيماتها الأولية في الفضاء بصورة عشوائية ، ثم بدأت تلك الجسيمات الأولية بالارتطام ببعضها البعض بصورة عشوائية ، مبتدئة بتشكيل ذرات العناصر الخفيفة الهيدروجين ثم الهليوم ثم الليثيوم ثم جزيئات العناصر ثم الاجرام الفلكية ثم المجرات ، وقد تنبأت هذه الفرضية أن حرارة مفردة الانفجار الكبير ((أي المادة الكونية المضغوطة)) كانت لا متناهية ، وهذا يعني أنها لا بد توهجت بشكل لا متناه و لازم ذلك بقاء اشعاعها الى يومنا هذا ، وإن كانت حرارته قد هبطت بشكل كبير ، وبالفعل اكتشف كل من بنزياس و ويلسون عام (١٩٦٥م) بالصدفة ما سمي ((اشعاع الخلفية الكوني)) وحازا بذلك على جائزة نوبل ، واعتبر اكتشافهما هذا مثبتا قطعيا لفرضية مفردة الانفجار الكبير^(١).

عارض الكثيرون هذا المفهوم التطوري لوجود الكون الذي تؤيده فرضية مفردة الانفجار الكبير ودعموا نظرية استقرار الحال ، وجادلوا بأن نظرية النسبية العامة لاينشتاين لا تقر ابتداء تشكل الكون الحالي بمفردة الانفجار الكبير ، ومن اولئك الذين عارضوا فرضية الانفجار الكبير بشدة هو عالم الفلك والفيزياء البريطاني فريد هويل (توفي ٢٠٠١م) وهو من الملاحدة ، وقيل أنه أول من أطلق مصطلح ((الانفجار الكبير Big Bang)) خلال مقابلة له في هيئة الإذاعة البريطانية سنة (١٩٤٩ م) بقصد السخرية ، لأن الفرضية بحسب طرح اصحابها لم تقل بحدوث انفجار وانما هي فرض مادة الكون

(١) تاريخ موجز للزمان ، الفصل الثامن ، ص ١٠٥-١١٠

متقلصة لا متناهية الكثافة والحرارة تمددت سريعا . طرح هويل في عام (١٩٤٨م) فكرة الانتاج المتواصل للمجرات، وهي تعني أن انزياح المجرات عن بعضها البعض لم يكن بسبب التمدد الكوني الراجع الى فرضية وجود مفردة الانفجار الكبير، وإنما يرجع الى الانشاء المتواصل لمجرات جديدة ، فتقوم بإزاحة المجرة القديمة^(١).

فيا أعزائي ، إن الفرضية المشهورة باسم نظرية الانفجار الكبير هي بالمعنى الأدق فرضية ((مفردة الانفجار الكبير)) أي هي فرض مادة الكون كانت متقلصة لا متناهية الكثافة والحرارة ثم تمددت سريعا، هذه الفرضية ثبت بطلانها في الوسط العلمي.

الملحد – النظريات العلمية لا تبطل وإنما تتطور وتتكامل، وهذا فريد هويل عبارة عن مخرف ولا يمثل اتفاق العلماء.

المؤمن – أولا: مقولة أن النظريات العلمية لا تبطل ولا يثبت خطأها؛ هي مقولة جزافية يتشدد بها الملاحدة حفاظا على قدسية لا واقع لها للعلم. ثانيا: كون فريد هويل هو أبرز القلة المعارضين لفرضية مفردة الانفجار الكبير؛ صار قديما ، فالوسط العلمي بالاجماع يتفق الآن على بطلان فرضية المفردة.

هذا ستيفن هوكنج نجم الإلحاد وخبير الفيزياء الكونية (توفي ٢٠١٨م) ، بنى مجده على اساس قيامه في عام (١٩٧٠ م) بتقديم بحث مشترك مع عالم الفيزياء والرياضيات روجر بنروز ، تمكن فيه من البرهنة الرياضية على لزوم ابتداء تشكل الكون الحالي بمفردة الانفجار الكبير ، مدعيا أن فرضية النسبية العامة لأينشتاين إن صحت فلا بد من ابتداء الكون بمفردة الانفجار الكبير. ثم اعترف أن هذه الفرضية خلفت عددا من الأسئلة الكبرى ، منها :

١- ماهي المرحلة التي كانت قبل مرحلة الانفجار الكبير؟

(١) المصدر السابق ، الفصل الثالث ، ص٥٢
- معجم اكسفورد علم الفلك ، مادة ((فريد هويل))

٢- من أين جاءت مادة مفردة الانفجار الكبير؟

٣- ما سبب كون مفردة الانفجار الكبير لامتناهية الحرارة في تلك اللحظة؟

٤- إشعاع الخلفية الكوني القادم من جميع ارجاء الكون والذي اعتبر البرهان القاطع على وقوع حالة الانفجار الكبير ، لماذا كان بدرجة حرارة متقاربة؟ مع أن فرض التمدد الكوني بالانفجار الكبير يقتضي تناقص درجة حرارة الجسيمات بالتمدد بمرور الوقت .

٥- إن هذه الفرضية تلغي أثر قوة الجاذبية فتناقض النسبية العامة ، فما الذي أدى الى استمرار تمدد الجسيمات بشكل طبيعي بعد انخفاض درجة حرارتها اللامتناهية و حال دون عودتها بالجاذبية الى حالة المفردة الأولى؟ لأنه نظراً لعظمة كبر الكتلة الأولى المتكونة بالإضافة إلى صغر المسافة بين الجسيمات ، فإن قوى الجاذبية تصبح لا نهائية مما يجعل الكون الناشئ لابد ينكفي على نفسه في لحظة نشأته وينتهي ، فما سبب عدم انكفاء الكون الناشئ على نفسه ثانية وعودته الى التقلص الاول .

٦- إنه لم تتضح بعد الآلية التي حفزت تمدد مفردة الانفجار الكبير ولا يوجد تفسير محدد لكيفية توقفه.

٧- لماذا يكون الكون الآن متناسقا تناسقا عظيما مع كونه ابتداءً بشكل عشوائي؟

٨- لماذا ابتداءً كوننا بهذا الطريقة دون غيرها ، بل لماذا كان هناك كون أصلا؟

٩- في النهاية من مد المادة ونفخ فيها الحياة ومن طوق الطاقة ومن قنن قوانينهما؟

يقر ستيفن هوكنج بعجزه وعجز جميع قوانين العلم عن اعطاء اجابة علمية صحيحة عن هذه الاسئلة ، فمرة يستعين بالمغالطة فيقول : مهما كان قبل مرحلة مفردة الانفجار الكبير فإنه لا تأثير له على مرحلة ما بعد الانفجار الكبير ، وبالتالي دعونا نمسح من سجل تاريخ الكون مرحلة ما قبل الانفجار

الكبير ونقول : إن الزمن ابتداء بالانفجار الكبير فلا يصح السؤال ((ماذا قبل ... ؟)) لأن كلمة ((قبل)) تعني الزمان ولا يوجد زمان قبل الانفجار الكبير ! ومرة يجيب باحتمال الصدفة والعشوائية التي تزعم أن الزمكان ازلي غير متناه ولكنه كان في حالة فوضى عارمة لزمن طويل ، ثم صدفة وبصورة عشوائية ترتب بالشكل الذي ابدع تصميمه الحالي العظيم ! ومرة يلقي القصور على قوانين العلم فيقول : إن نظرية النسبية العامة لأينشتاين أقصى ما تنتبأ به هو حتمية وجود مفردة الانفجار الكبير ، وحيث ان مفردة الانفجار الكبير لا متناهية من حيث الكتلة والكثافة والحرارة والجاذبية ، فإن النسبية العامة وجميع قوانين العلم تنهار عندها ، لأن النسبية العامة وقوانين العلم موضوعة لدراسة الاجسام والخواص المحدودة .

هذه الاسئلة الكبرى والمشاكل العظمى التي واجهتها فرضية وجود مفردة الانفجار الكبير دعت رائد الفرضية ، ونجم الالحاد المعاصر ستيفن هوكنج ، والذي بنى مجده على اساس حسم البرهان النظري على وجود مفردة الانفجار الكبير ، دعته الى التراجع عن الفرضية ، يقول : ((وهكذا فإن عملنا اصبح في النهاية مقبولا بصورة عامة ، واصبح كل فرد تقريبا في يومنا هذا يفترض أن الكون قد بدأ بمفردة انفجار كبير . ولعل مما يثير السخرية أنني وقد غيرت رأيي ، فإني احاول الآن اقناع الفيزيائيين الآخرين بأنه لم يكن هناك في الحقيقة مفردة عند بدء الكون ، وكما سنرى فيما يلي ، فإن المفردة يمكن أن تختفي ما أن تؤخذ تأثيرات الكم في الحسبان))^١ .

إن هذا اعتراف خطير ومهزلة كبيرة ، إن ستيفن هوكنج يعترف أنه قد أوقع عقول الوسط العلمي بعمومه ، وعامة الناس ، في أعظم اكذوبة كونية ، إنه يسخر ممن لايزال مصدقا خدعة مفردة الانفجار الكبير ، والاشد سخرية أن مؤسسات الإلحاد العالمي رغم اعلان موت فرضية مفردة الانفجار الكبير ما تزال تروج للإلحاد باسم ستيفن هوكنج والانفجار الكبير ، بدعوى أنه يبطل نظرية القصدية والتصميم العظيم لوجود الكون وينفي احتياج الكون الى خالق حكيم عليم ، وما تزال تروج لمقطع الفيديو الذي

١ - تاريخ موجز للزمن ، الفصل الثالث ، ص ٥٥

يقول فيه : ((لا تقل ماذا كان قبل الانفجار الكبير ، اصل السؤال خطأ ، لأن السؤال بكلمة ((قبل)) يعني السؤال عن الزمان ، والزمان ابتداء بالانفجار الكبير فلا زمان قبل الانفجار الكبير ، ولذا حين يسألني الناس إن كان الكون مخلوقا من قبل إله ، أقول لهم السؤال غير منطقي فمادام الزمن لم يكن موجودا قبل الانفجار العظيم لذلك لا يوجد وقت لإله ما ليصنع كونا)) فهو في كتابه ((تاريخ موجز للزمان)) ينص على وجود أزمنة وأحداث قبل لحظة انفجار مفردة الانفجار الكبير ، ولكنه يقول أنه عند لحظة مفردة الانفجار الكبير تنهار كل قوانين العلم ، ونكون في جهل مطبق عن معرفة تلك الأزمنة والأحداث ، ولذلك من باب التسامح اللفظي يمكن القول - مجازا - أن الزمن قد ابتداء بالانفجار الكبير ، يقول : ((ويمكن للمرء أن يقول إن الزمان له بداية عند الانفجار الكبير ، بمعنى أن الأزمنة السابقة عليه هي ببساطة مما لا يمكن أن يعرف))^١. هذا في الكتاب الذي يعلم اطلاع العلماء عليه ، فيخجل من وصفه بالخيانة العلمية أو الجهل، ولكنه للإعلام الاحادي الموجه لخداع البسطاء الذين لا يقرؤون الكتب عادة ، يقول بضرس قاطع أنه لا يوجد زمن قبل الانفجار الكبير ، ويستدل بذلك على عدم منطقية السؤال عن وجود خالق عليم حكيم . واليوم بعد أن تراجع عن فرضية وجود مفردة الانفجار لبدء الكون ((أي تركز كل مادة الكون في نقطة)) ورجح أن المادة الازلية اللانهائية زمانا ومكانا لا تحتاج أن تكون مضغوطة ، ثم تتضخم وتتمدد لبدء انتاج الكون بل يكفي تموج منطقة منها ، فإن الاعلام الاحادي لا يزال متمسكا بذلك المقطع ، لماذا ؟ هروبا من السؤال القاتل للإلحاد ، من قنن قوانين المادة؟ أما فيزياء الكم التي تم الاستنجاد بها لتفسير الحالة البدائية للكون فهي تقترح حسب افتراض ستيفن هاوكنغ وزميله جيم هارتل أن الزمكان ممكن أن يكون متناهيا من حيث الحجم ولكن لا بداية له ولا نهاية في الزمكان وإنما هو موجود هكذا وحسب ، وبالتالي لا حاجة لافتراض حد له بمفردة الانفجار الكبير ، التي تعجز قوانين العلم عن تفسير سلوكها السيء كما يقول واعطاء سبب مقنع لابتداء الكون بهذه الطريقة دون

١ - المصدر السابق ، الفصل الاول ، ص ٢٠

غيرها ، كما تقترح أن الكون يجب أن يكون بدأ بدرجة عالية من التناسق والنظام ثم يتسارع الى الاضطراب والفساد بمرور الزمن^(١) .

لكن فيزياء الكم تعجز عن اعطاء اجابات محددة ، لأنها مرهونة بمبدأ الريبة وعدم اليقين لهايزنبرج وهذا هو مقتلها ، كما انها تعجز عن التفسير دون الاستعانة بقوانين اينشتاين في النسبية العامة ، وكما صرح ستيفن هوكنج : ((أنه لسوء الحظ ، من المعروف أن هاتين النظريتين لا تتوافق احدهما مع الاخرى، فلا يمكن أن تكون كلاهما صحيحة))^٢ .

يشرح لورانس كراوس خبير الفيزياء الكونية فرضية المجال التضخمي أو التضخم الكمي في الفصل التاسع من كتابه فيقول : إن حقل الطاقة الكوني المتذبذب بذاته وباستمرار قد تموج في لحظة ما بشدة عظيمة في بقعة منه شديدة الصغر ، فتضخمت تلك البقعة في كسر من الثانية بشكل هائل ، ثم انتهى التضخم الفجائي القصير ، بعد أن انتج جسيمات المادة المعروفة لنا المشحونة بطاقة كلية يلزم أن يكون مقدارها صفرا ، لمنع الانجذاب والانكماش والامتصاص والعودة الى حالة ما قبل التضخم ، كما انتج هذا التضخم الكمي ايضا اعداد الجسيمات المخالفة لها في الشحنة والتي اشتبكت معها في اصطدامات مروعة حتى أفنى بعضهم بعضا مطلقا اشعاع الخلفية الذي تم رصده ، ولكن من باب الصدفة وحسن الحظ كان عدد الجسيمات المعروفة لنا أكثر بقليل من الجسيمات المضادة فلم يكن هناك تناظر وتمائل تام بين المادة والمادة المضادة ، فبقيت الجسيمات المعروفة لنا بعد صراع الجسيمات ، وبالتحديد يجب أن يكون المتبقي هو بنسبة واحد من مليار ، ليلانم قياس اشعاع الخلفية المرصود ، وهذه الجسيمات القليلة جدا المتبقية هي التي تفاعلت وعملت على تكوين وتشكيل كوننا المرئي ، ومازالت هذه الطاقة والمادة المعتمدة غير المدركة التي تموج جزء منها فأنشأ الكون ، مازالت تهيمن على كوننا المحسوس وهي التي تدفع المجرات الى التسارع في التمدد والانزياح عن بعضها بعضا في كون متسطح متمدد الى الأبد ،

(١) تاريخ موجز للزمن ، الفصل الثامن ، ص ١٢١-١٣٣
٢ - المصدر السابق ، الفصل الاول ، ص ٢٢

فهي تشكل نسبة ٩٩٪ من المادة والطاقة الكلية في كوننا^(١). أما ما هي حقيقة الطاقة والمادة الخفية أو كما يسميها طاقة الفراغ؟ يجيب: بأنه لم تتم معرفة هويتها لحد الآن لأنها غير مدركة ((اكتشفنا أن ٩٩ من المائة من الكون غير مرئي بالنسبة لنا فعليا ويتكون من مادة معتمة هي على الأرجح شكل جديد من الجسيمات الأولية، بل وحتى الطاقة المعتمة الذي لا يزال أصلها لغزا كاملا في الوقت الحالي))^٢! أما كيف أن الطاقة تستحيل الى مادة فلا تقل كيف، لأنه في فيزياء الكم التي مازالت حائرة في معضلة أينشتاين ((ازدواجية الموجة - الجسيم)) يكون كل احتمال هو معقول، فمن الممكن ان تتحول الطاقة الى مادة وفق قوانين فيزياء الكم الاحتمالية من جسيمات افتراضية كامنة فيها دون معرفة الكيفية، ولأنه الجدل ما زال دائرا حول معرفة هوية الطاقة المحسوسة، فما بالك بالطاقة الكونية غير المدركة، يقول: ((إن أحد جوانب المشكلة هي أنه اتضح لنا أن الطاقة التي نعرفها في مجالات أخرى في الفيزياء ليست مفهوما واضح التعريف على وجه الخصوص على سلم المقاييس الضخمة في الكون المنحني ... و بالإضافة الى ذلك إذا كنا بصدد تعريف الطاقة الكلية التي يحتويها الكون، فلا بد أن نأخذ في اعتبارنا كيف نضيف الطاقة التي يمكن أن تكون لا متناهية مكانيا في الكون))^٣، ولكن مع ذلك من أخبرهم بأن طاقة الفراغ قد انتجت جسيمات مضادة أصلا مع الجسيمات المعروفة لنا فأوقعت مجزرة الصراع الكمومي من أجل البقاء ثم فنت؟ وإن كان بحر الطاقة الأزلي متموجا في ذاته فما الذي حفزه على التضخم الهائل في كسر من الثانية فقط في بقعة منه؟ يقول كراوس: ((ينقصنا حاليا وصف نهائي لكيفية حدوث هذه العملية في الكون المبكر، لأننا لم نضع بعد وصفا كاملا وامبريقيا للطبيعة التفصيلية للعالم المايكرو فيزيقي))^٤! وإذا كانوا لا يدركون حقيقة المادة المعتمة والطاقة المعتمة، ولا يدركون كيفية استحالة الطاقة الى مادة، ولا دليل عندهم على انتاج جسيمات مضادة، و لا توجد عندهم معرفة

(١) كون من لا شيء، لورانس كراوس، الفصل التاسع، ص ١٨٣-١٩٥

٢ - المصدر السابق، الفصل الثامن، ص ١٨٠

٣ - المصدر السابق، الفصل العاشر، ص ٢١٢

٤ - المصدر السابق، الفصل العاشر، ص ٢٠٣

لآلية التضخم الكمي ، فكيف حكموا أن كوننا هو نتاج تموج كمومي في طاقة الفراغ بهذا السيناريو؟ يقول أنه لا يجزم ولكنه يرجح لأن: ((أن هناك رأياً تتزايد قوته بين علماء الكون مجددا مؤداه : لو أنه يمشي مثل البطة ويبدو مثل البطة ويضطبط مثل البطة ، فهو على الأرجح بطة))!! مبارك للملاحظة، أنعم وأكرم بالبطة الكونية لعلماء الكون !

والخلاصة أن فرضية مفردة الانفجار الكبير قد اندثرت في الوسط العلمي ، وقد ظهرت بعدها عدة فرضيات أهمها: فرضية التضخم الكمي لآلان جوث وأندريه لاند ، وهي التي تمسك بها مؤخرا ستيفن هوكنج ولورانس كراوس، وقد اعترفوا بأنها محشوة بالبط. وفرضية الإرتداد الكبير، لبول شتاينهارد أستاذ العلوم بجامعة برينستون الذي ينعت فكرة التضخم الكوني بأنها فاشلة، بعد أن ساهم في وضعها الى جنب آلان جوث و أندري لاند. وفرضية الكون الموازي التي افترضها نيل توروك ، المدير السابق لمعهد بريميتز للفيزياء النظرية في كندا. وفرضية الكون الدوري المطابق، التي طرحها روجر بنروز الذي كان مع ستيفن هوكنج أشد المتحمسين لفرضية مفردة الانفجار الكبير، وقدا معا بحثا يثبت صحتها ثم أقرأ لاحقا بخطأ البحث وبطلان الفرضية.

ومن شاء التفصيل في عرض هذه الفرضيات ومناقشتها ومشاكلها فليراجع كتابي (بداية ونهاية الزمان بين فرضيات العلم وظاهر القرآن).

والنتيجة أنه لا توجد حقيقة علمية ولا نظرية علمية ثابتة تصف الكون، والتفكير المنطقي السليم يوجب عليكم أن تأتوا بدليل قطعي حتى تثبتوا تقاطع العلم مع الدين.

الملحد – بل بالنتيجة فإن هذه النظريات رغم عدم ثبوتها فإنها تعارض الحاجة الى وجود الله، فيبقى وجود الله مشكوكا، وإن لم يتأكد نفيه لعدم ثبوت النظريات.

١ - المصدر السابق ، الفصل السادس ، ص ١٣٥

المؤمن – بالعكس، فإن هذه الفرضيات تؤكد وجود الله تعالى حتما.

الملحد – كيف ذلك؟

المؤمن – كل هذه الفرضيات تثبت الحركة الجوهرية للمادة، وهذا برهان حدوثها، ومبدأ العلية الصارم يقول (لا بد لكل حادث من محدث)، كذلك فهذه الفرضيات تقر بعظمة التصميم الكوني فتبحث عن أسرارها، والمنطق السليم يحتم أن (لكل تصميم عظيم مصمم أعظم)، فمن مد المادة ومن طوق الطاقة ومن قنن القانون؟؟؟

يجيب لورانس كراوس بأنه ربما لا توجد لكوننا حالة متفردة وعظمة خاصة ، فربما كان كوننا واحدا من عدد غير متناه من الاكوان التي انبثقت من الطاقة الازلية والتموج الكمومي ، بصورة عشوائية اعتباطية ، وبدون أن يكون للطاقة الازلية أي نظام قانوني أصلا حتم وجود كوننا بهذا التصميم ، وإنما بالصدفة العشوائية من مليارات الاكوان ، ربما ظهر كوننا بهذا التصميم الذي تمكن معه من الدوام ومن انتاجنا ، لأنه ((لو أن قوانين الطبيعة في حد ذاتها عشوائية واعتباطية ، فلا مكان اذن لعلة إلزامية لكوننا لا ضرورة لوجود آلية وكيونة لترسيخ قوانين الطبيعة بالكيفية التي نعرفه بها))^١ سبحان الله ! انتكس على عقله وعلمه وكل فرضياته التي زعمها علمية امبريقية ، ولم يأت بشيء جديد ، فقد انتكس قبله استاذة ستيفن هوكنج الذي بعد أن اعترف بعظمة التصميم الكوني بشرح مستفيض ، أشرنا اليه فيما سبق، معتذرا بعجزه عن بيانها ، وأنها تحتم بالجبر المنطقي وجود الخالق العليم الحكيم ، فإنه سقط بالضربة القاضية على الإلحاد (من قنن القوانين؟) فلاذ بالعشوائية وحشد القروود فقال : ((يبدو أن كوننا وقوانينه كلاهما مصممان على يد خياط ماهر لدعم وجودنا ، إن كان يجب وجودنا ، مما يترك مجالا ضئيلا لتعديلها . ليس من السهل شرح ذلك ، وهو ما يطرح السؤال الطبيعي عن لماذا يكون الكون بهذه الطريقة ؟ الاكتشاف الحديث نسبيا للضبط الدقيق الفائق للعديد من قوانين الطبيعة ، قد يؤدي لأن يعود بعضنا على الأقل للفكرة القديمة بأن هذا التصميم العظيم هو

^١ - كون من لا شيء ، الفصل الحادي عشر ، ص ٢٢٣

من عمل بعض المصممين العظام ليست تلك إجابة العلم الحديث إن الضبط الدقيق في قوانين الطبيعة يمكن تفسيره بوجود الاكوان المتعددة))^١! فعاد في كتابه (التصميم العظيم) الى التمسك بحشد القرود الذي كان قد سخر منه في كتابه (تأريخ موجز للزمن) حيث قال هناك : ((ولو كان الكون حقا لا متناهي في المكان ، أو لو كان ثمة أكوان كثيرة بما لا نهاية له ، فسيكون هناك فيما يحتمل بعض مناطق كبيرة في مكان ما قد بدأت بأسلوب مستو متسق . والأمر يشبه نوعا حشد القرود المشهور الذي يدق على آلات كاتبة ، فسيكون معظم ما يكتبونه هراء ، ولكنهم في احوال نادرة جدا وبالصدفة المحضة سيطبعون إحدى سونات شكسبير))^٢ .

خبراء فيزياء الملاحظة أوكلوا مهمة خلق هذا الكون لحشد البط والقرود! إن احتمالية ظهور كون عظيم التصميم بالصدفة من ترليونات الاكوان الفوضوية هو احتمال بنسبة واحد الى مئات الترليونات فهل هذا قول عاقل رشيد ؟ يقول ((يمكن تفسيره بوجود الاكوان المتعددة)) التي لا دليل امبريقي عندهم عليها باعترافهم ! و وفقا لميكانيكا الكم ، نادرا ما تحدث تقلبات في المجال الكمي ، بالحجم الذي ينبئ بحدوث تضخم يؤدي إلى تفكك الفضاء إلى عدد لامتناه من البقع متباينة الخواص ، أو ما يسمى بالأكوان المتعددة، التي تفترضها فرضية التضخم ، فهل هذا هو العلم الذي يتبحرون به ؟ هل هذه هي النظرية التي يخدعون بها الناس ويروجون بها للإلحاد ؟ يجيب لورانس كراوس : ((في الحقيقة قد لا توجد أي نظرية اساسية على الاطلاق ، على الرغم من أنني اصبحت فيزيائيا لأنني تمنيت وجود مثل هذه النظرية ، ولأنني أملت في أن اساعد يوما ما في المساهمة في اكتشافها ، فربما كان أملا في غير موضعه ، كما بكيت عليه تماما))^٣. واللطيف أن يأتيك من لا خبرة له ولا اطلاع من الملاحظة الجدد فيتمسك بذريعة القانون ، ويسخر منك عندما تنسب القول بالصدفة لخبراء الملاحظة! نعم إنه قانون البط والقرود، قانون اللا قانون.

١ - التصميم العظيم ، ستيفن هوكنج ، الفصل السابع ، ص ١٩٥ - ١٩٨

٢ - تأريخ موجز للزمن ، ستيفن هوكنج ، الفصل الثامن ، ص ١١١

٣ - كون من لا شيء ، الفصل الحادي عشر ، ص ٢٢٤

والخلاصة أنه على فرض ثبوت أي نظرية و قطعيتها فإننا نرحب بها ولا تزيدنا الا ايماننا ، وذلك لبقاء السؤال القاتل للإلحاد الذي يزعم الابتناء على هذه النظرية : من مد المادة الاولى ومن طوق الطاقة و من قنن القوانين ؟؟؟ يبقى هذا السؤال يقض مضاجع الملحدين و لن يستطيعوا منه هربا .

الملحد – لو سلمنا بوجود إله صانع مدبر للمادة والطاقة والقوانين والكون، ولكنه ليس إله القرآن. إن القرآن يعطي أجوبة بسيطة لسؤال مهول مهول مهول عن سر الكون ونظامه و مجراته والتكوينات الحية.

الدين يعرف السماء بأنها سقف، والنجوم التي هي شمس لها توابع وكل مجرة تشتمل على ملايين النجوم وهناك الملايين من المجرات، فكيف تعرف بأنها مصابيح معلقة بالسماء المسمى (السقف) لتكون رجوما للشياطين!!! بحسب وصف القرآن فهذا التصور يناسب العقلية العربية البسيطة في ذلك الوقت، فليست السماء في فهم القرآن سوى خيمة زرقاء مرفوعة، وهو مرادف لما كشفه العلم من الغلاف الجوي. فهذا الفهم يتقاطع مع ما كشفه العلم عن الكون.

المؤمن – ١- السماء، اسم عربي مشتق من السمو بمعنى العلو والرفعة ، فكل ما يعلو الارض هو سماء ، وهي ليست فضاء فارغا كما تزعمون بل هي الفضاء المملوء بالأجرام ، وهذه المعنى يعرفه كل العرب اجمالا من قبل الاسلام ، وقد استعمله القرآن ، ولكن زاده تفصيلا وبيانا بما يتناسب مع المدركات العرفية للبشر وغاية القرآن من ذكر ذلك ، فلا تتجاوزوا على لغة العرب ولا تتقولوا عليهم ، ولا يصح في البحث العلمي تحكيم المصطلحات الحديثة على لغة العرب .

٢- القرآن ذكر الكثير من مكونات السماء من الافلاك والنجوم والكواكب والشهب والشمس والقمر ، و اشار الى اصلها وانها كانت رتقا و دخانا و اشار الى حركاتها ومواقعها ،وتدبير الأمر فيها واقطارها وأبوابها وطبقاتها وسكانها وأبراجها وتساقطها وانطاماسها و انهيارها، بما يسبق مكتشفات العلوم بمراتب فليست السماء في عرف العرب، ولا في بيان القرآن مجرد غلاف جوي او خيمة زرقاء كما تزعمون . فلاحظ قوله تعالى: ((اللَّهُ الَّذِي

خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (((١٢)))^١، وقوله تعالى: ((يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُتُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُتُوا لَا تَنْفُتُوا إِلَّا بِإِذْنِ رَبِّكُمْ إِنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كُلَّهُنَّ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ))^٢، وقوله تعالى: ((وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١)))^٣، وقوله تعالى: ((لَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧)))^٤، وقوله تعالى: ((فَلَا أُفْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَفَسَّمٌ لِّوَيْعِلْمُونَ عَظِيمٍ (٧٦)))^٥.

فهي سبع سماوات وسبع أرضين، ولهن طرق مخصوصة وليست مجرد ثقوب في الخيمة كما تفترون، وفيهن البروج والشموس والنجوم والكواكب والأقمار والكواكب والشهب والنيازك والمذنبات، وخلقهن هو أعظم مما يمكن أن يدركه معظم البشر مهما أرتقت الخبرات البشرية لذلك لا يسع المخاطب العام إدراك بيانها، والنجوم سرها عظيم لا يدركه كل شخص، والنجوم زينة لحد اليوم تسلب الألباب ويتغنى بها الشعراء رغم معرفة معظم الناس أنها كتلة غازية فيزيائية، وهي علامات للهداية الى يومنا هذا، وكما تهدي السالكين في ظلمات المادة فإنها تهدي السالكين الى الله ((الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١)))^٦. وقد أشار الله تعالى الى بحر طاقة الكون، فقال: ((وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ))^٧، وأشار الى بدء خلق مادة الكون فقال: ((أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠)))^٨ وأشار الى حالة السديم الكوني ما قبل تشكل الأجرام فقال: ((ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ))^٩ وأشار الى التمدد الكوني بل واستمراره

١ - سورة الطلاق

٢ - سورة الرحمن

٣ - سورة البروج

٤ - سورة غافر

٥ - سورة الواقعة

٦ - سورة آل عمران

٧ - سورة هود، من الآية ٧

٨ - سورة الانبياء

٩ - سورة فصلت، من الآية ١١

فقال : ((وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧)))^١ ، وأشار الى التسطح الكوني ، أي تراصف المجرات ، وأكد أن التوسع الكوني سوف ينتهي في وقت معلوم فقال : ((يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (١٠٤)))^٢ .

الملحد – القرآن يقول أن السماء والأرض كانتا متلاصقتين ثم خرقتهما.

المؤمن – ماذا به! تعبير عربي يخبر عن اصل الكون و وحدته قبل انفصال عناصر السماوات عن عناصر الأرضين، ينص القرآن عليه في قوله تعالى: ((أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠)))^٣ ، وهو وصف مجازي اقرب الى الواقع من تعبير (الانفجار الكبير) المشوه لواقع الفرضية ، مع كون من يستعملون هذا التعبير يعترفون انه لم يكن هناك انفجار فعلا بالمعنى الحقيقي للكلمة لكنه صار مصطلحا شائعا. وكمثال آخر أحيلك على المحاورة التاريخية الشهيرة التي اجرتها قناة البي بي سي مع ستيفن هوكنج و كارل ساغان و آرثر كلارك خبراء الفيزياء الكونية سنة ١٩٨٩ بعنوان ((الله والكون وماعداهما)) قال ستيفن هوكنج : ((في الواقع يمكن لنا ان نبين ان المجرات لا بد وان كانت مكدسة فوق بعضها قبل خمسة عشر بليون عام كان هذا هو الانفجار العظيم حقا)) فهل الفرضية تقول أن المجرات كانت موجودة فعلا و متكدسة على بعضها!

- هل الأرض مخلوقة قبل السماء؟

الملحد – القرآن في مكان آخر يقول بخلق الارض قبل السماء، في سورة فصلت ((قُلْ أَنْتُمْ لَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا

^١ - سورة الذاريات

^٢ - سورة الانبياء

^٣ - سورة الانبياء

ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) ... ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ
انْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ))، وهذا عكس ما أثبتته العلم.

المؤمن - طيب، وماذا تقول في قوله تعالى في سورة النازعات: ((أَأَنْتُمْ أَشَدُّ
خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ
ضَحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا))؟

الملحد - !!!! تناقض.

المؤمن - كلا يا حبيبي ، فالقران لم يقل بانه خلق السماء بمعنى أوجدها بعد
خلق الارض وانها كانت معدومة وجودا قبل خلق وإيجاد الارض ، بل إن
القران ينص على كون السماء كانت موجودة مخلوقة بالفعل قبل خلق
الأرض ، قوله تعالى : ((قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ
وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِنْ فَوْقِهَا
وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَانَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَى
إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ انْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا
طَائِعِينَ (١١) فَفَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا
وَزَيْنًا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢)))^١، لاحظ
: ثم استوى الى ماذا؟ استوى السماء ولم يستوى الى عدم ، فالسمااء اذن
موجودة عند خلق الارض ولكنها في مرحلة اسمائها ((الدخان)) وهو
تعبير عربي يقابل الاصطلاح الحديث لمرحلة ((الطاقة والجسيمات الأولية
والغازات)) . وهو تعالى بعد انتقال التدبير الى السماء لم يقل ((خلقهن
وأوجدهن)) بل قال ((سواهن سبع سماوات)) والتسوية بمعنى الترتيب
وتدبير النظام وليس الايجاد للأصل ، فلاحظ قوله تعالى: ((هُوَ الَّذِي خَلَقَ
لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩)))^٢، ولاحظ قوله تعالى: ((أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ
بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضَحَاهَا (٢٩)
وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ

١ - سورة فصلت

٢ - سورة البقرة

أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٣)))^١، ودحو الأرض لا يعني أصل أيجاد مادتها بل يعني بسطها وتدبير شؤونها والتصرف في مادتها بحيث تكون مناسبة للعيش فيها، فقوله تعالى: ((وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٣))) يناسب قوله تعالى: ((خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ (١٠))) مما يفيد أن الخلق هنا للأرض ليس بمعنى أصل الإيجاد بل بمعنى نحو الإيجاد، أي ليس الخلق الإيجادي لأصل الشيء بل الخلق التدبيري التصرفي، كمرحلة التخليق للإنسان في قوله تعالى: ((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤)))^٢. وإلا فإن أصل الإيجاد والخلق لأصل مادة السماوات والأرض هو واحد فلا تقديم لأحدهما على الأخرى في الخلق بمعنى أصل الإيجاد للمادة، وإنما بعد فصل المادة المشتركة جرى تهيئة شطر منها ليكون سماء بالتخليق التدبيري التصرفي، وتهيئة شطر منها ليكون أرضا بالخلق التدبيري التصرفي، قال تعالى: ((أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠)))^٣. فكان التخليق الثاني بمعنى التدبير والتصرف لشطر المادة المهيئة لتكون سماء وهي لما تزل في مرحلة الدخان والغازات برفعها وتكوين اجرامها وإخراج أنوارها ((أَلَنْتُمْ أَنْتُمْ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩)))، ثم جرى التخليق الثاني لشطرة المادة المهيئة لتكون أرضا بدحوها ببسطها وتهيئة كل متطلبات العيش فيها ((وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا))، ثم القصد الى مادة السماء وهي لما تزل في مرحلة الدخان ((ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ)) بتقديرها ٧ سماوات وتدبير شؤون كل سماء منها ((فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ

١ - سورة النازعات

٢ - سورة المؤمنون

٣ - سورة الأنبياء

فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا)). النتيجة إن أصل الخلقة الإبداعية هو مادة مشتركة فليس هنا تقديم ولا تأخير ولا خصوصية سماء ولا خصوصية أرض، ثم تخليق السماء في مرحلة الدخان برفعها وتكوين أجرامها يسبق تخليق الأرض بدحوها وتدبير شؤونها، وتخليق الأرض بدحوها يسبق تخليق السماء بجعلها ٧ سماوات وتدبير شؤونهن.

- خلق السماوات والأرض في ستة أيام

الملحد – وما قولكم في خلق السماوات والأرض في ستة أيام؟

المؤمن – أما خلق السماوات والأرض في ستة أيام في القرآن ، فليس المقصود قطعا هو يوم ٢٤ ساعة فان هذا الزمن مخلوق تبعا لخلق الشمس والأرض ، فلا يكون ظرفا لخلق السماوات والأرض ، وانما هو يوم باصطلاح اخر ((يوم الهي)) بلحاظ وجود معين يعلمه الله ، كاصطلاح ((السنة الضوئية)) عند خبراء الفلك مثلا ، فالقران ينص على يوم عند ربك بتوقيت معين بألف سنة مما تعدون ((اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٤) يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٥)))^١ ، ويوم عند ربك بتوقيت اخر بخمسين ألف سنة : ((تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤)))^٢ .

الملحد – العلماء اثبتوا أن عمر الكون هو (١٣,٧٢ مليار سنة).

المؤمن - كمية الاصفار في البحوث الفلكية بخصوص تقدير عمر الكون هي تزداد وتنقص كل فترة حسب تغير الفرضيات والآلات وحسب ثابت هابل "غير الثابت" لقياس معدل التمدد الكوني ، فأول تقدير عمر للكون عندما رصد هابل التمدد الكوني كان ١,٥ مليار سنة ، ثم صار ١٥-٢٠

١ - سورة السجدة

٢ - سورة المعارج

مليار ثم ١٠ مليار ثم استقر عند ١٣,٧٢ مليار سنة ، وكمثال احيلك على تلك المحاورة التي أجرتها قناة البي بي سي سنة ١٩٨٩ حيث قال ستيفن هوكنج : (في الواقع يمكن لنا ان نبين ان المجرات لا بد وان كانت مكدسة فوق بعضها قبل خمسة عشر بليون عام كان هذا هو الانفجار العظيم حقا) بينما قال كارل ساغان (ان عمر الكون عشرة او خمسة عشرة بليون عام وان عمر كوكب الارض هو خمسة بليون عام). واليوم قالت ويندي فريدمان عالمة الفلك في جامعة شيكاغو في بيان صحافي لوكالة ناسا ((من الطبيعي أن تُطرح أسئلة عن سبب الاختلاف في قيم ثابت هابل ، وإن كان ذلك ناتجًا عن عدم فهم العلماء لمفهوم قياس النجوم أو بسبب عدم اكتمال فهمنا للكون، ومن المحتمل أننا بحاجة إلى تحسين فهمنا لكلا الأمرين ، ثابت هابل هو معيار كوني يحدد حجم الكون وعمره المطلق، وهو أكثر طريقة مباشرة نمتلكها لقياس سرعة تمدد الكون، ولم نستطع حتى الآن أن نفسر سبب الاختلاف في قيمه ، لكن الأدلة الجديدة تشير إلى إمكانية وجود خلل في فهمنا للكون)) . فريدمان هي المسؤولة عن أحدث قياس لثابت هابل ، والذي أجرته باستخدام نوع مختلف من القيم الكونية المستخلصة من تجارب سابقة ، تظهر دراسة ويندي فريدمان معدل تمدد للكون أقل مما توصلت إليه دراسة حديثة أخرى ، وأعلى مما توصلت إليه دراسة أخرى سابقة ، هدفت فريدمان في البداية إلى إيجاد الرابط بين الدراستين، لكنها توصلت إلى قيمة ثالثة لثابت هابل.

الملحد – بالنتيجة لم يقل العلماء بالزمن القرآني. فلم يقل أحد بزمن ٦ أيام ولا ٦ آلاف ولا ٣٠٠ ألف.

المؤمن – بسبب اختلاف طرق قياسهم وأدوات القياس ومبدأ الاحتساب، فمن قال إن القانون الذي حتموه للتمدد كان صحيحا مطلقا؟ ومن قال إن التمدد بالضرورة كان ثابتا أبدا بحيث يجعلون له معدلا يستنتجون على أساسه؟ ومن قال أن معادلات الطيف الضوئي قطعية؟ ومن قال أن تشكل العناصر وتحللها كان خاضعا أبدا لمبدأ ثابت وأنه هو عين الذي عرفوه؟ إنما هذه كلها استنتاجات ظنية وفرضيات مؤقتة ، كما قال ستيفن هوكنج: ((أي نظرية فيزيائية هي دائما مؤقتة بمعنى أنها فرض وحسب ، فأنت لا

تستطيع قط أن تبرهن عليها . ومها بلغت كثرة مرات اتفاق نتائج التجارب مع نظرية ما ، فإنك لا تستطيع قط أن تتيقن من أنه في المرة التالية لن تتناقض النتيجة مع النظرية))^١.

الملحد – يعني انت بالنتيجة تريد اتخاذ اختلاف التقديرات للعلماء ذريعة لإثبات الزمن القرآني لعمر الكون؟

المؤمن – كلا، وإنما اريد بالنتيجة أن أثبت اختلاف جهة نظر القرآن عن جهة نظر العلماء، وأثبت أن حسابات العلماء هي تقديرات تقريبية افتراضية، وبالتالي فلا تقاطع بين العلم القطعي والقرآن. ثم لتعلموا بعد ذلك أن شبهتكم هذه إنما هي مبنية على مغالطة أو سوء فهم، فإن ما يذكره العلماء (١٣,٧٢ مليار سنة) هو تقدير عمر الكون من أول نشأته لليوم، بينما ما يذكره القرآن (٦ أيام) هو مدة تكوين وخلق الكون، والفرق واضح فمثلا نقدر عمر شخص ٣٠ سنة بينما مدة تكوينه ٩ أشهر. وأصحاب فرضية التضخم العظيم يقولون أن فترة مبدأ تكون الكون كانت عبارة عن تضخم للجسيمات الأولية في كسر من الثانية بعدها في غضون ثلاث دقائق عج الفضاء بعنصر الهيدروجين ثم بقية العناصر الخفيفة ثم بدأ التشكل للمجرات والتوسع. فجهة نظر القرآن تختلف عن جهة نظر العلماء، وما قصده بالخلق في ٦ أيام هو غير ما قصده العلماء بالتكون.

الملحد – ولكن الكون ما زالت تولد فيه نجوم وتموت أخرى.

المؤمن – وماذا في ذلك؟ أنت وُلدت وما زلت تكبر وتنتج أولادا. أصل نوع الإنسان خلقه الله تعالى وما زال النوع تتوالد أفراده وتموت وتنتشر في الأرض. الكلام عن أصل خلق الكون.

الملحد – وكيف تكون النجوم راجمات للشياطين؟

المؤمن – القرآن الكريم عبر عن الأجسام الراجمة للشياطين بلفظ (الشهاب) وليس النجوم، فقال تعالى على لسان الجن: ((وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا

^١ - تاريخ موجز للزمان ، الفصل الاول ، ص ٢١

مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا (٨) وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ
الآنَ يَحْدُ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ((٩)))^١، وقال تعالى: ((إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِرَيْنَةٍ
الْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (٧) لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى
وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إِلَّا مَنْ خَطِفَ
الْخُطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَائِقٌ (١٠)))^٢. ثم لا يصح يا حبيبي من ناحية البحث
العلمي أن تحكم مصطلحات التصنيفات الحديثة على لغة القرآن. أما بالنسبة
للجن ومنهم الشياطين فهذه مخلوقات من خلق الله والعلم الى حد الآن لم يقل
أنه قد اكتشف كل المخلوقات، بل بالعكس هو باستمرار يكشف عن نوع
جديد.

الملحد – لكن هذه أجرام عظيمة كيف تستعمل لرجم الشياطين!!

المؤمن – وما أدراك أنت بخلقة الجن وقدراته حتى تستصغر رجمه
بشهاب!! أصل تعجبك عجيب.

الملحد – وما هو الدليل العلمي على وجود الجن؟

المؤمن – هذا السؤال ينبغي توجيهه الى العلم الطبيعي، فإن لم يصل للإجابة
بعد فالقصور فيه، أضف هذا المورد على مليارات الموارد التي ما زال
العلم يجهلها. وبالنسبة لي أنا مؤمن بالقرآن، والدليل بالنسبة لي على وجود
الجن هو جدل الملاحدة بالباطل، فقد قال تعالى: ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ
عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا
وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ((١١٢)))^٣.

الملحد – عندما يقول القرآن أن الله يمسك السماء أن تقع على الأرض، أليس
هذا يعني أن كاتب القرآن لم يكن يعلم أن الأرض كروية وأن السماء تحيط
بالأرض؟ ألا يتقاطع هذا مع قطعي العلم؟

١ - سورة الجن
٢ - سورة الصافات
٣ - سورة الأنعام

المؤمن – لا يتقاطع أبداً، فقد أوضحنا أن كلمة (سما) من السمو بمعنى العلو والرفعة، وأن كل ما عدا الأرض هو بالنسبة لسكان الأرض هو سما . والسما مرفوعة بمعنى أنها تعلو مستوى سطح الأرض، أي غير لصيقة به. والمقصود من تساقط السماء هو سقوط كسف من السماء أي قطع وأجزاء منها، أي بعض مكوناتها، كما قال تعالى: ((وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ (٤٤) فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (٤٥)))^١. وصاحب القرآن يعلم أن السماء تحيط بنا وأن الأرض محدبة وأن الكون أحذب فقال تعالى: ((أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَشْأَ نَحْسِفَ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٩)))^٢، فالسما أمامنا وفوقنا وخلفنا. وتساقط مكونات السماء إنما هو بالخروج عن المدارات والاصطدامات لأجرامها من الكواكب والنجوم والنيازك والشهب و المذنبات بالأرض، والقرآن وصفها بحسب لغة العرب والمدركات العرفية بالوقوع والتساقط على الأرض وهو حاصل باصطدام الاجرام الفلكية بالأرض، فأين التقاطع؟؟

الملحد - الاصطدام يكون بتأثير الجاذبية واختلالها.

المؤمن – وما هي حقيقة الجاذبية؟ ومن قنن قانونها؟ الله تعالى يمسك مكونات الكون بقانون الجاذبية ويوجهها حيثما شاء بقانون الجاذبية.

الملحد – الأجرام الفلكية تصدم الأرض ولا تسقط عليها من فوق.

المؤمن – يا عزيزي، أنت حينما يضربك مذنّب لا سمح الله، قادم من جهة معينة، سنقول سقط عليك مذنّب من السماء ولا نقول اصطدم بك المذنّب. فالمذنّب لا يضرب الأرض إلا مستعلياً على الجهة التي يرتطم بها فهو ليس كسيارة تسير في الطريق فتصدمك. والى اليوم فإن علماء الفلك يرسمون للمجرات خطوط طول وعرض ونقاط ارتفاع وانخفاض.

^١ - سورة الطور
^٢ - سورة سبأ

- كروية الأرض وحركة الشمس

الملحد – القرآن مبني على النموذج الفلكي لبطليموس القائل بثبات الأرض ومركزيتها وكون الشمس هي التي تدور حول الأرض، وهذا النموذج ثبت بطلانه منذ كوبرنيكوس وغاليليو.

المؤمن – هذه دعوى باطلة، أين قال القرآن بأن الأرض ثابتة وكون الشمس تدور حولها؟ أنت اثبت دعواك أو لا بدليل قاطع.

الملحد – يقول القرآن ((الشمس تجري لمستقر لها !!))

المؤمن – لم يقل القرآن أن الشمس تجري حول الأرض. وبالفعل فإن الشمس تجري، ربما مازال البعض يظن أن الشمس ثابتة لا تتحرك ، لكن علماء الفلك اتفقوا على انها تدور حول نفسها وتتم دورتها المحورية في مدة ٢٥ – ٣٥ يوما تقريبا^(١)، كما اتفقوا على انها تدور برفقة اجرام المجموعة الشمسية حول مركز المجرة وتتم دورتها المجرية في مدة ٢٢٥ – ٢٥٠ مليون سنة تقريبا ، وقدروا سرعة حركة الشمس في مدارها حول المجرة بحوالي ٢٥٠ كم / ثانية تقريبا^(٢) ، بل قالوا أن حركتها ليست دورانية تامة وإنما هي تجري في مسار بيضوي ، وقالوا أنها في حركتها المجرية ليست ثابتة بل هي في صعود وهبوط منتظم مستقر مع التقدم في المسار البيضوي. ولاشك أن هذه الحركة المجرية للشمس لا يمكن ملاحظتها بسهولة ، وبلا شك أنه لا أحد من علماء الفلك قد شهد دورة مجرية كاملة للشمس ، ولكن كل هذه تقديرات تقريبية وفق حسابات كثيرة خاصة . فالشمس إذن تجري في مسارها جري الخيول في ميدانها أو تسبح فتغطس وتطفو في بحرها، فسبحان الله تعالى حيث قال: ((وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨)

(١) الموسوعة البريطانية britannica ، مادة (الشمس – Sun)
(٢) المصدر السابق ، مادة (Milky Way Galaxy – Solar motion solutions)

وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ((٤٠))^١.

الملحد - القرآن يقول أن الشمس تغرب في عين حمئة ((حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦)))^٢.

المتحدث بالآية هو الله وهو يقول أن ذا القرنين وجد الشمس تغرب بالعين الحمئة ولم يقل تهباً له، والشمس اكبر من الارض تقريباً مليون مرة !

المؤمن - نعم ، القرآن كان صادقا أميناً في حكاية حال ذي القرنين ، فهو يحكي وصول ذي القرنين الى اقصى غرب الأرض ووقوفه على ساحل بحر بحيث رأى الشمس وقت الغروب وهي تختفي خلف الأفق. فمغرب الشمس ومشرقها هنا إنما هو بحسب النظر والفهم و لغة الخطاب العرفي، والى حد الآن نشرات المواقيت تقول غروب وشروق الشمس مع كونهم يعلمون اننا نحن من نشرق و نغرب وليس الشمس. بل حتى علماء الطبيعة يقولون اشرفت الشمس وغربت ولا يقولون اشرقنا على الشمس وغربنا، فهذا استعمال لغوي عرفي عام.

الملحد - حسب الآية القرآنية فالمتكلم هو الاله العالم العليم وهو من يقول إن ذا القرنين وجدها تغرب في العين الحمئة.

المؤمن - نعم ، المتكلم هو الله تعالى، هو لم يتكلم بحسب علمه هو بواقع الشمس ، بل هو حكي حال ذي القرنين ، و بحسب اللغة العرفية المستعملة حتى هذا اليوم ، انت نفسك مستحيل تقول (اشرقنا على الشمس وغربنا وطلعنا على الشمس و استدبرنا). قال تعالى في نفس المورد ((حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا)) فهي لم تخرج من العين الحمئة التي تزعم انت ان ذات الشمس دخلت فيها ، كما هي لم تحرق الأرض لتغوص في باطنها ثم تخرج من مكان آخر في

^١ - سورة يس
^٢ - سورة الكهف

الأرض، بل هي غربت في جهة المغرب على قوم واشرقت على قوم آخرين من جهة المشرق ، فالمقصود هو الجهات و بحسب لغة الخطاب العربي بل هذا لحد اليوم هو لغة الخطاب العالمي، وإلا فكيف تزعمون ذلك والقرآن يصرح ((لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)) سورة يس ، فالشمس مستقلة عن الأرض في فلکها لا تدخل فيها ولا تخرج منها.

الملحد - الآية لم تذكر جهات وانما ذكرت مكانا محددًا لغروب الشمس به (العين الحمئة) فلم تذكر جهة او اتجاه .

المؤمن - كيف لم تذكر جهات!! القصة ذكرت مغرب الشمس ومطلع الشمس وهذه أسماء جهات في لغة العرب حتى يومنا هذا، والقصة تحكي رحلات ذي القرنين الى اقصى المغرب والمشرق من الأرض. أنتم تتجاوزن على لغة العرب وعلى أساليب البيان الفني.

الملحد - وهل ذو القرنين يحتاج الى الذهاب الى أقصى الغرب حتى تظهر له الشمس تغيب في عين حمئة ، ألا يراها تغيب كل يوم ومن أي موقع في الأرض؟

المؤمن - ومن قال لكم أن ذا القرنين ذهب في رحلة لاستكشاف موضع الشمس!! يا أعزتي، القرآن يحكي باختصار ثلاث رحلات ملحمية لذي القرنين في مشارق الأرض ومغاربها، وقد اختصر كل ذلك في أسلوب فني غاية في الجمال.

القرآن انما يقص رحلات ذي القرنين ولم يقل القران (ايها الناس إن الله يقول إن الشمس تدور حول الارض وأنها كرة ضوئية صغيرة تسقط في البركة عند الغروب) انما هذه خز عبلاتكم ضمتموها الى بعض الروايات المتروكة مع فهم سطحي للغة وقلة تدبر في القرآن.

الملحد - كاتب القرآن بشري يرى إن الشمس والقمر هما فقط موجودان في السماء بهذا الحجم، ويتصور بأنهما أكبر من أي نجم آخر. وإذا كان مؤلف

القرآن يتكلم عن رؤية ذي القرنين وهو يعلم بأن الشمس لا تغرب في هذه العين لماذا لم يفندها؟

المؤمن - كلا يا حبيبي انت واهم مرة أخرى. القرآن لم يكتبه بشر يرى الشمس والقمر والكواكب بعينيه المجردتين ككل البشر، والدليل أن القرآن يشير الى عظمة الأفلاك وكونها أكبر مما يراه أو يتصوره معظم البشر فراجع قوله تعالى: ((لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧)))^١، كما يخبر عن انهيار النظام الكوني بأنه أمر عظيم وبصور مرعبة ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١))^٢.

الملحد - فلماذا لم يفند اعتقاد ذي القرنين بل أقره؟

المؤمن - ومن قال لكم أن ذا القرنين كان يحتاج الى تصحيح! أمرمك عجيب، قلنا لكم أن هذا تعبير بحسب الفهم العرفي وأساليب اللغة وفنون البلاغة.

الملحد - وما قولكم بقول القرآن أن الأرض مسطحة؟

المؤمن - بالنسبة لكروية الارض وتسطحها فإن القرآن في قوله تعالى : ((أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ (٢٢))^٣ لم يقل ((أن الأرض مسطحة)) على المقياس الكبير، أي بالنظرة الشمولية للأفلاك، أي لم يكن بصدد الإخبار عن شكل كوكب الأرض، وإنما طلب من الناظرين أن ينظروا الى الأرض كيف هي منبسطة، أي أنه بصدد إلفات نظر البشر الى النعم الالهية العظيمة التي تتقوم بها معيشتهم في الارض بالمقياس الصغير المنظور للبشر الاعتيادي ، ومنها جعل ظهر الأرض مسطحا منبسطا بشكل عام وليس وعرا متعرجا ، وأنه لولا لذلك لم تستقم حياة البشر في الارض

١ - سورة غافر

٢ - سورة الحج

٣ - سورة الغاشية

((وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤٨))^١ ، فهناك فرق في الدلالة بين أن أقول لك (إن الأرض مسطحة) وبين أن أقول لك (انظر كيف سطحت الأرض لك ومهدتها لتعيش فيها) ، وبالفعل فقد اثبت العلم حقيقة أن نسبة الانبساط لظهر الارض اكثر من ٧٥٪ وهذا من الاعجاز العلمي للقرآن ، فالقرآن وإن كان تبياناً لكل شيء لكنه ليس كتاباً مدرسياً تخصصياً في علم الفيزياء والجغرافية يبينه كل من شاء ، انما هو كتاب هداية لصالح الفرد والمجتمع ، فيذكر الحقائق العلمية ولكن في سياق الهداية والارشاد ، فلا تعارض بين تسطح الارض بلحاظ المقياس الصغير وبين كرويتها بلحاظ المقياس الكبير . واللطيف أن الملاحظة يجععون بأن الارض كروية بلحاظ المقياس الكبير ، مع أن وصفها بالكروية هو ليس دقيقاً من الناحية العلمية ، بل إن شكل كوكب الأرض بالمقياس الكبير قريب من الشكل الكروي المفلطح ، فهي جسم كروي مفلطح عند القطبيين ، ومنبعج عند خط الاستواء ، وينتج عن هذا الانبعاج دوران كوكب الأرض حول محورها ، ومفلطح عند القطبين يعني شبه متسطح منبسط ، ومعنى الاعجاز العلمي للقرآن هو عدم تعارضه مع أي حقيقة علمية قطعية ، وأن الكشوفات والخبرات البشرية العلمية مهما تطورت فإنها ستجد القرآن سابقاً لإثبات نتائجها القطعية.

الملحد – بل القرآن يتحدث عن كل كوكب الأرض ، بدليل ذكرها في مقابل رفع كل السماء ((وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ... وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ)) وكذلك في سورة أخرى يقول: ((أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْفَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٨) وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (١١))^٢ . ولا يوجد دليل أنه ناظر الى المساحة الجزئية.

المؤمن – بالفعل هو يتحدث عن كل الأرض لكن ليس بالمقياس الكبير وإنما بالمقياس الصغير. بعبارة أخرى هو لا يصف جسم كوكب الأرض بل

^١ - سورة الذاريات
^٢ - سورة ق

الغلاف الأرضي وسطح الأرض المنظور ، لأن هذا هو محل الكلام في سياق ذكر نعم الله تعالى المحسوسة المباشرة للناس، كما في الآيات التي ذكرتها أنت ، ومثلها في قوله تعالى: ((وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (١٩) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٢٠) وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢١) وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٢) وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (٢٣)))^١. فانظر الى سياق الكلام، إنه دليل على إرادة سطح الأرض، إنه ذكر لنعم الله تعالى ذات المساس المباشر بحس وحياء كل البشر، وانظر كيف يربطها بالعبادة والأخلاق والموت والحياة، فليس هو في مقام محاضرة أكاديمية في علوم الجغرافية والفضاء، وحتى في علوم الجغرافية والفضاء فإنهم يستعملون مصطلح (السطح) للأرض وكافة الأجرام ويقصدون الغلاف القشري الخارجي، لكنكم قوم تسفسطون.

الملحد – لكن سطح الأرض ليس مستويا بالكامل، كما أن بعض الناس تعيش على الجبال.

المؤمن - القرآن ذكر انه جعل في الارض جبالا واوتادا ومرتفعات ومنخفضات، ولم يقل بأجمعها مسطحة بمستوى واحد، والمشى على المتعرجات أو النوم أو العيش عليها حالات خاصة، فلم يمنع القرآن البشر من العيش في الجبال.

الملحد – كلامك غير مقنع والأرض بنظر كاتب القرآن مسطحة والشمس تغرب في عين حمئة.

المؤمن – سأعطيك حجة قاطعة من ألسنتكم على بطلان كلامكم. أستم تزعمون بأن المسلمين وسائر العالم كانوا يتبعون نموذج فلك بطليموس حتى مجيء كوبرنيكوس وغاليليو؟

^١ - سورة الحجر

الملحد - نعم.

المؤمن - جيد جداً، إن كتاب فلك بطليموس الماجست تمت ترجمته الى اللغة العربية في القرن الثاني الهجري، بداية العصر العباسي، بعنوان (المجسطي)، وقد اهتم بدراسته اهتماماً شديداً علماء النجوم المسلمون من العرب والعجم، فراجعوا الخبر الذي ينقله المسعودي عن سيرة ابي جعفر الدوانيقي السلطان العباسي الثاني حيث يقول: ((وكان أول خليفة قَرَّبَ المنجمين وعمل بأحكام النجوم، وكان معه نُوبَخْتُ المجوسيَّ المنجم، وأسلم على يديه، وهو أبو هؤلاء النوبختية، وإبراهيم الفزاري المنجم، صاحب القصيدة في النجوم، وغير ذلك من علوم النجوم وهيئة الفلك، وعلي بن عيسى الإسطرلابي المنجم. وهو أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات العجمية إلى العربية، منها: كتاب كليلة ودمنة وكتاب السندهند، وترجمت له كُتُبُ أرسطاطاليس، من المنطقيات وغيرها، وترجم له كتاب المجسطي لبطليموس، وكتاب الأرتماطريقي، وكتاب إقليدس وسائر الكتب القديمة من اليونانية، والرومية، والفهلوية، والفارسية، والسريانية، وأُخرجت إلى الناس، فنظروا فيها، وتعلقوا إلى علمها))^١ ومع كون نموذج فلك بطليموس هو مبني على كروية الأرض ودوران الشمس حولها في مدار مستقل، فلم يقل أحد من هؤلاء أنه يتعارض مع قول القرآن بتسطيح الأرض وغروب الشمس في عين حمئة. هذا دليل على أن علماء الفلك من المسلمين لم يفهموا من قول القرآن بتسطيح الأرض وغروب الشمس في عين حمئة ما تزعمونه أنتم من أن كاتب القرآن كان يعتقد بأن كوكب الأرض مسطح الشكل وأن الشمس تغوص في الأرض.

الملحد - وهذا حجة عليك أيضاً، فأنت تقر بذلك أن علماء الإسلام كانوا يعتقدون بنموذج فلك بطليموس أي مركزية الأرض وثباتها ودوران الشمس حولها، حتى عصر كوبرنيكوس وغاليليو.

المؤمن - الحقيقة أن اعتقاد علماء الفلك المسلمين بنموذج بطليموس ليس حجة علينا، لأننا نناقش دعوكم بخصوص فلك القرآن الكريم، وليس نقاشنا

^١ - تاريخ المسعودي (مروج الذهب)، المسعودي، ج ٢ ص ١٧٢

في فلك علماء الفلك المسلمين. الى هنا تمت حجتنا من لسانكم على بطلان دعواكم أن كاتب القرآن يعتقد بأن كوكب الأرض مسطح الشكل وأن الشمس تغوص فيه، أما بخصوص دعواكم في أن فلك علماء الفلك المسلمين هو فلك بطليموس حتى عصر كوبرنيكوس فهي غير تامة، ولبيان بطلانها نقول:

إنه في القرن السادس عشر الميلادي برز نيكولاس كوبرنيكوس (١٤٧٣ – ١٥٤٣ م) وهو راهب وعالم رياضيات وفيلسوف وفلكي وقانوني وطبيب بولندي . رأى كوبرنيكوس أن حركة الأجسام السماوية يمكن تفسيرها بطريقة أفضل وأبسط ومن دون مشاكل النظام البطلمي إذا تركنا فكرة وجود الأرض في مركز الكون . فقدم فرضيته بأن الشمس تمثل مركز الكون وتدور حولها الكواكب في مدارات دائرية، وأن الحركات المرصودة للأجرام السماوية هي عبارة عن حركات ظاهرية ، تأتي من ناحية حركة الأرض والكواكب الأخرى في مداراتها ومن ناحية أخرى فهي ناشئة من دوران الأرض حول محورها^(١) .

اشتهر كوبرنيكوس بأنه أول من صاغ نظرية مركزية الشمس وكون الأرض جرمًا يدور في فلكها في كتابه (حول دوران الأجرام السماوية) ، وأنه مبدع فكرة دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس، وأنه لم يعرف علماء الفلك قبل ذلك سوى نظرية بطليموس القائلة بمركزية الأرض وثباتها ودوران الشمس والكواكب حولها؛ إلا أن التحقيق ينفي هذه الشهرة، فتمودج مركزية الشمس كان معروفًا لدى أرسطارخوس و آريابهاتا و السجزي و البيروني والطوسي ، ولكن الفرضية التي سادت كانت فرضية بطليموس (نموذج مركزية الأرض) والتي قام كوبرنيك بالثورة عليها مشيرًا إلى أدلة جديدة تثبت مركزية الشمس.

إن أقدم نموذج علمي فلكي حفظه التاريخ عن شكل الكون يرجع للعالم الفلكي الرياضي اليوناني أرسطارخوس أو (أرسطرخس) الذي كان مقيمًا في الاسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد . هذا النموذج أكد على أن الأرض تدور حول محورها وتدور أيضا مع بقية الكواكب السيارة حول

(١) تاريخ علم الفلك ، جان بيار ، ص ١٠٥-١١٠

الشمس ، وبذلك أصبح ارستارخوس تاريخياً أول شخص يقدم تصوراً علمياً يقول أن الأرض ليست في مركز نظامنا الكوكبي ولكنها تدور مع بقية الكواكب حول الشمس ذات الحجم الأكبر ، وقد سمي هذا التصور باسم (نموذج مركزية الشمس) . في القرن السادس عشر الميلادي كان ارستارخوس مصدر إلهام لعمل الفلكي البولندي كوبرنيكوس ، فقد عُثِر في مخطوطة من ستة كتب تتعلق بحركة الأجرام السماوية على استشهاد كوبرنيكوس بأرستارخوس كرؤية قديمة تبنت حركة الأرض ومركزية الشمس . ومع ذلك ، شطب كوبرنيكوس لاحقاً هذا المرجع ، ولم يذكر فكرة ارستارخوس في الكتاب المنشور^(١) !! فظل فلك ارستارخوس اليوناني الاسكندري مجهولاً وضاعت أعماله ، بسبب مخالفته للحس العام وبسبب هيمنة آراء أرسطو في الفلسفة الطبيعية آنذاك .

في قبال نموذج ارستارخوس ظهر نموذج بطليموس ، و بطليموس هو عالم فلك و رياضيات من أصل يوناني أقام في الإسكندرية خلال القرن الثاني بعد الميلاد ، أي بعد ارستارخوس بخمسة قرون. جادل بطليموس بأن الأرض عبارة عن كرة ثابتة في مركز الكون وأن الشمس و الكواكب السيارة تدور حولها ، ويسمى هذا التصور باسم (نموذج مركزية الأرض) أو النظام البطلمي^(٢) . تمركزت معظم أعمال بطليموس الفلكية في كتاب (المَجَسْطِي) وهي لفظة يونانية الأصل ومعناها (الأعظم) ، فكان هذا الكتاب مرجعاً رئيسياً لعلماء الفلك المسلمين والأوروبيين حتى مطلع القرن السابع عشر الميلادي تقريباً ، حيث ترجم إلى اللغة العربية، نقلاً من السريانية في القرن الثاني الهجري ثم ترجم إلى اللاتينية نقلاً عن العربية في القرن الثاني عشر الميلادي . سبب اشتهار نموذج بطليموس هو موافقته للحس العام ، و استناده الى آراء ارسطو في الفلسفة الطبيعية وبسبب ترجمة العرب لكتابه.

وفي القرن الخامس الميلادي يشار الى عالم الفلك الهندي آريابهاتا الذي استند البيروني إلى أحد مؤلفاته التي ترجمت الى اللغة العربية بعنوان (زيچ

(١) الموسوعة البريطانية ، مادة (ارستارخوس)

- التصميم العظيم ، ستيفن هوكنج ، ترجمة ايمن احمد ، الفصل الثالث ، ص ٣٠
(٢) الموسوعة البريطانية ، مادة (بطليموس)

أرجبهار) أو (أرجبهه) ، و قد نص البيروني في كتابه (تحقيق ما للهند من مقولة) أن أريابهاتا يقول أن الأرض متحركة والسماء ساكنة ، أي أنه أيضا كان يقول بنموذج مركزية الشمس قبل كوبرنيكوس ، كما سنذكر النص لاحقا .

بدأ الرصد الفلكي عند العلماء المسلمين في القرن الثاني الهجري الموافق للقرن الثامن الميلادي ، وما وصل اليه علماء الاسلام في مجال علم الفلك شيء هام وملموس وقد أسهم كثيرا في تقدم علم الفلك ، وبالرغم من أنه في مجال الكونيات لم يتبلور عند علماء الفلك المسلمين نموذجا خاصا عن شكل الكون ، حيث ظلت مسألة دوران الأرض حول محورها وحول الشمس مسألة خلافية بين علماء الفلك المسلمين ، إلا أن ملاحظاتهم الفلكية وجهودهم في النقد واقتراح الحلول لمشاكل النموذج البطلمي أوجدت أثرا عند كوبرنيكوس فيما بعد ، غير أننا نجد أحد الفلكيين المسلمين قد اتخذ خطوات عملية في هذه المسألة فتفرد بصنع أسطرلاب خاص يبتني على نموذج مركزية الشمس ، مخالفا بذلك ما تعارف من صنع الاسطرلاب بحسب نموذج مركزية الارض ، هذا الفلكي المشهور باسم السجّزي هو أبو سعيد أحمد بن محمد بن عبد الجليل السجّزي السجستاني توفي عام (٤١٥ هـ - ١٠٢٤م) . والسجّزي من علماء الرياضيات والفلك المشهورين في تاريخ الحضارة الإسلامية في منتصف القرن الرابع الهجري . وهو أحد علماء الفلك المسلمين القائلين بدوران الأرض ، قبل كوبرنيكوس بخمسة قرون ، يشير الى ذلك معاصره البيروني في كتابه (الاستيعاب في الاسطرلاب) عند وصفه لاسطرلاب السجزي المعروف باسم (الزورقي) فيقول : ((عمل الاسطرلاب الزورقي - وقد رأيت لأبي سعيد السجزي اسطرلاباً من نوع واحد بسيط غير مركب من شمالي وجنوبي ، سماه الزورقي ، فاستحسنه جداً لاختراعه إياه على أصل قائم بذاته، مستخرج مما يعتقد بعض الناس من أن الحركة الكلية المرئية الشرقية هي للأرض دون الفلك. ولعمري هي شبهة عسرة التحليل صعبة المحق، ليس للمعولين على الخطوط المساحية من نقضها شيء، أعني بهم المهندسين وعلماء الهيئة، على أن الحركة الكلية سواء كانت للأرض أو كانت للسماء، فإنها في كلتا الحالتين

غير قادمة في صناعتهم، بل إن أمكن نقض هذا الاعتقاد وتحليل هذه الشبهة
فذلك موكول إلى الطبيعيين من الفلاسفة^١ .

أما البيروني نفسه فهو أبو الريحان الخوارزمي البيروني توفي (٤٤٠ هـ - ١٠٤٨ م) كان رحالة وفلكيا وجغرافيا وجيولوجيا و رياضيا وصيدليا ومؤرخا ومترجما . اثبت البيروني في كتابه (القانون المسعودي) كروية الأرض بحجج كثيرة و رجح دورانها حول محورها ، كما فكك في هذا الكتاب النظام البطلمي ونقده نقدا علميا دقيقا مطولا^(٢) . إلا أن البيروني اعترف بأنه غير قادر على إثبات أو نفي مسألة دوران الأرض ، لكنه علق بشكل إيجابي على الاقتراح القائل بأن الأرض تتحرك ، وقد كتب أيضاً تعليقا إيجابيا مطولا على علم الفضاء الهندي في كتابه (تحقيق ما للهند من مقولة، مقبولة في العقل أو مردولة) والذي كان بمعظمه ترجمة لأعمال عالم الفلك الهندي آريابهاتا، وفي هذا الكتاب يدعي البيروني بأنه قد حل مسألة دوران الأرض في كتاب فلكي له، لم يبق أثر له اليوم، يدعى (مفتاح علم الهيئة) فيقول : ((إن اصحاب " أرجبهد " يقولون : ان الارض متحركة و السماء ساكنة و نهب أن ذلك صحيح وأن الأرض تدور الدورة التامة نحو المشرق في هذا العدد من الأنفاس كما يدورها السماء عنده فما العائق فيها عن الموازاة ؟ ثم ليست حركة الارض دورا بقادحة في علم الهيئة شيئا بل تطرد أمورها معها على سواء ، وانما تستحيل من جهات أخر ولذلك صارت أعسر الشكوك في هذا الباب تحليلا ، وقد أكثر الفضلاء من المحدثين بعد القدماء الخوض فيها وفي نفيها ، ونظن أنا قد أربينا عليهم في المعنى لا الكلام في كتاب " مفتاح علم الهيئة " .))^٣ فهو يرى أن القول بدوران الأرض لا يؤدي بأي شكل من الأشكال إلى الإخلال بمفاهيم علم الفلك ، حيث يمكن تفسير جميع المظاهر ذات الطابع الفلكي تبعاً لهذا التصور بشكل طبيعي ، لكن مع ذلك يوجد عدد من الإشكالات الأخرى التي تجعل ذلك ممتنعا ، وأن الإجابة على هذا السؤال صعبة جداً ، وهو يشير الى قيام الكثير من أبرز علماء الفلك القدماء والمعاصرين له بدراسة مسألة دوران الأرض

١ - الاستيعاب في الاسطرلاب (مخطوط) ، ابو الريحان البيروني ، ص ٥٧

(٢) القانون المسعودي ، البيروني ، الأصل الثاني ، ص ٣٠

٣ - تحقيق ما للهند من مقولة ، البيروني ، ص ١١٠

مما يكشف عن انها مسألة قديمة من حيث الطرح في علم الفلك الاسلامي
وانها مسألة خلافية . ولكن تسامح البيروني نحو الذين يقولون بدوران
الأرض لم ينج من تعليق لاذع من بعض علماء الفلك الاسلامي المتعصبين
للنظام البطلمي ، حيث ينقل لنا المستشرق كرلو نلينو عن القسم غير المطبوع
من كتاب (جامع المبادئ والغايات) لأبي علي الحسن المراكشي وهو من
علماء الفلك المغاربة في القرن السابع الهجري ، عند وصفه الاسطرلاب
المعروف بالزورقي ، هذا النص : ((قال أبو الريحان البيروني: إن مستنبت
هذا الاسطرلاب هو أبو سعيد السجزي ، وهو مبني على أن الأرض متحركة
والفلك بما فيه إلا السبعة السيارة ثابت . قال البيروني وهذه شبهة صعبة
الحل . وعجيب منه كيف يستصعب شيئاً هو في غاية ظهور الفساد وهذا
أمر قد بيّن فساده أبو علي بن سينا في كتاب الشفاء وبيّن فساده الرازي في
كتاب ملخص وفي كثير من كتبه وغيره))^١ .

يشار بعد ذلك الى جهود علماء مدرسة مراغة الفلكية التي اسسها الحكيم
نصير الدين الطوسي، والتي تعتبر في ذلك الوقت افضل مركز ابحاث فلكية
، و مرصد مراغة هو مرصد فلكي ، أسسه نصير الدين الطوسي سنة ٦٥٧
هـ / ١٢٥٩م . يقع غرب مدينة مراغة الواقعة ضمن محافظة أنزليجان
الشرقية في إيران . شارك في تشييده علماء آخرون منهم قطب الدين فخر
الدين المراغي، ومحي الدين المغربي، وعلي بن محمود نجم الدين
الاسطرلابي . والحكيم الطوسي هو عالم كلام وفلك وفيزياء و كيمياء و
رياضيات وفلسفة ومنطق ، برز في القرن السابع الهجري الموافق للقرن
الثالث عشر الميلادي . انتقد الطوسي استخدام بطليموس لأدلة الملاحظة
لإظهار أن الأرض كانت في حالة سكون ، مشيراً إلى أن هذه الأدلة لم تكن
حاسمة ، مؤكداً على أن حركة الأرض لا يمكن إثباتها إلا من خلال المبادئ
المادية الموجودة في الفلسفة الطبيعية. كانت انتقادات الطوسي لبطليموس
مشابهة للحجج التي استخدمها كوبرنيكوس في عام ١٥٤٣م للدفاع عن
دوران الأرض . كما تمكن الطوسي من إبداع طريقة رياضية اشتهرت فيما
بعد باسم (مزدوجة الطوسي) نقضت نظرية أرسطو والتي كانت تنص

١ - علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى ، كرلو نلينو ، ص ٢٥١

على أن الحركة أما خطية أو دائرية ، حيث أثبت الطوسي بانه من الممكن ان تنتج حركة خطية من حركتين دائريتين ، وأستعمل هذه التقنية لحل إشكالية النظام البطلمي، و معدل المسار للعديد من الكواكب . لكنه لم يستطع ايجاد تفسير لحركة عطارد، والتي حلت لاحقا من قبل ابن الشاطر بالاعتماد على مزدوجة الطوسي ، ويعتقد العديد من الباحثين بأن مزدوجة الطوسي وجدت طريقها إلى أوروبا بعد فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م لتصل إلى عالم الفلك نيكولاس كوبرنيكوس الذي اعتمد عليها في نظريته الشهيرة حول مركزية الشمس ، والتي غيرت مفاهيم علم الفلك جذريا وأنهت الاعتقاد السائد بان الأرض هي مركز الكون^(١) .

الملحد – لكن كل هذا لا يعني أن صاحب القرآن كان يعلم بأن الأرض كروية مفلطحة تدور حول نفسها وحول الشمس.

المؤمن – نعم يعلم بأن الأرض كروية مفلطحة تدور حول نفسها وحول الشمس، وقد اشار الى ذلك في موارد كثيرة، ولكن لم يصرح، فلاحظ:

١- القرآن ينص على التفاف الليل والنهار في قوله تعالى: ((خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَفَّارُ (٥)))^٢ مع الطلب الحثيث ((إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤)))^٣. وهو ظاهر في كروية الأرض.

٢- القرآن ينص على أن زمن النهار الأرضي هو ما يكشف الشمس وأن زمن الليل هو ما يحجب الشمس في قوله تعالى: ((وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّاهَا (٢) وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا (٤)))^٤ وهو

(١) تاريخ علم الفلك القديم والكلاسيكي ، جان بيار فردي ، ترجمة ربما بركة ، ص ٩٩-١٠٣

٢ - الطوسي وكوبرنيك حركة الارض في السباق ، جميل رجب ، ص ١٤٥-١٦٣

٣ - سورة الزمر

٤ - سورة الاعراف

٤ - سورة الشمس

ظاهر بأن الشمس ثابتة بالنسبة للأرض، وأن الأرض هي التي تدور في مواجهة الشمس.

٣- القرآن ينص على حركة أخرى للأرض هي حركتها الإنتقالية في الفلك ، وهي غير حركة تكورها على نفسها ليلا ونهارا، في قوله تعالى: ((ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ))^١ فهي مسخرة بنظام قانوني بالحركة الإنتقالية النظامية الى أجل مسمى. والأجل المسمى هو يوم القيامة ونهاية هذه المرحلة من النظام الكوني في قوله تعالى: ((وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ))^٢ ((٦٧)). فعند بلوغ الأرض أجلها المسمى سيقبضها الله تعالى، أما قبل ذلك فهي دائبة الحركة ممسوكة بأمر الله تعالى عن الانحراف والزوال عما قدره الله تعالى لها، فقال تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا))^٣ ((٤١))، فهذا امسك عن الاضطراب والعشوائية في الحركة، أما قبض الأرضين وطى السماوات فهو نهاية مرحلة النظام الكوني .

٤- بملاحظة تعاقب تكور الليل والنهار أي دوام واستمرار وانتظام حركة الأرض حول محورها أمام الشمس، وبملاحظة تسخير كل من الشمس والقمر والليل والنهار ((وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ))^٤، وأنها جميعا تجري لأجل مسمى ((يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ))^٥ ، وأن لكل منها فلكه الخاص يسبح فيه ((وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ))^٦ ((٣٣))، بملاحظة ذلك يثبت أن هذه الحركة الإنتقالية الثانية للأرض هي حركة

١ - سورة فصلت

٢ - سورة الزمر

٣ - سورة فاطر

٤ - سورة ابراهيم

٥ - سورة الزمر

٦ - سورة الانبياء

مدارية حول الشمس. أي أن جريان الأرض في فلكها الخاص بمواجهة الشمس يقضي أن تدور حول الشمس.

الملحد – ولماذا لم يصرح؟

المؤمن – حتى تكون فتنة لكم.

الملحد – وماذا تقول عن أمثال حديث الحوت الذي يقول إن الأرض محمولة على ظهر حوت، ومحمولة على قرني ثور، وحديث ذهاب الشمس ليلاً لتسجد تحت العرش!!

المؤمن - بالنسبة للأخبار في الكتب الروائية:

١- ينبغي ان تعلموا أن من يريد ان ينقض ديننا فعليه ان ينقض قطعيات الدين وليس الظنيات، فان نقض الظنيات لا يقتضي انتقاض القطعيات، وأخبار الأحاد لا تفيد القطع حتى لو كانت صحيحة سنداً فإنها لا تفيد إلا الظن.

٢- أنا مسلم شيعي، وحتى تلزمني بنصوصي يجب عليك أن تلزمني بقواعدي في تحقيق النصوص، ومن ثوابت الفكر الأصولي الشيعي أن الخبر الواحد الحجة للعمل هو خبر الثقة، بشرط عدم مخالفته للقرآن والسنة المتواترة القطعية وعدم مخالفته للعلم القطعي. فالأخبار يا أعزتي هي أخبار تشتمل على الصدق والكذب، ولأجل تحقيقها والاستنباط منها تشكلت علوم الفقه والأصول والحديث والرجال.

٣- قاعدة احفظوها: كل خبر يخالف قطعي العلم فهو مردود بحسب الظاهر. ومثل خبر الحوت هو مخالف للعلم القطعي فهو مردود.

الملحد - وهنا تكمن الازدواجية. عندما يجد المسلم تناقضاً في القرآن مع العلم او التاريخ يلجأ لتأويله للبحث عن مخرج ينقذه من غرقه، وإذا وجد حديثاً يناقض العلم او التاريخ قال هذا لا يؤخذ به لأنه يخالف العلم القطعي.

المؤمن – بل هنا يكمن افلاسكم وتنقطع حجتكم، فبعد أن لم تجدوا في القرآن ما يخالف قطعي العلم التجأتم الى الأخبار. هذه يا عزيزي قواعد علمية

عقلانية عامة لتحقيق النصوص، قبل أن تخلق أنت، ولا علاقة لها بكم ولا بالإلحاد.

الملحد – أصلا لا يوجد عندكم خبر يصف نشأة الكون غير حديث الحوت وسجود الشمس تحت العرش.

المؤمن – بل يوجد عندنا، فراجع كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام، حيث يمجّد الله تعالى ثم يصف نشأة العوالم وصفا عجيبا عميقا فيقول: ((كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم. مع كل شيء لا بمقارنة. وغير كل شيء لا بمزايلة. فاعل لا بمعنى الحركات والآلة. بصير إذ لا منظور إليه من خلقه. متوحد إذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده. أنشأ الخلق إنشاء. وابتدأه ابتداء. بلا روية أجالها. ولا تجربة استفادها. ولا حركة أحدثها. ولا همامة نفس اضطرب فيها. أحال الأشياء لأوقاتها. ولا عم بين مختلفاتها. وعرز غرائزها وألزمها أشباحها. عالما بها قبل ابتدائها محيطا بحدودها وانتهاؤها. عارفا بقرائنها وأحنائها. ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء. وشق الأرجاء وسكائك الهواء. فأجرى فيها ماء متلاطما تياره، متراكما زخاره. حمله على متن الريح العاصفة، والزعرع القاصفة. فأمرها برده، وسلطها على شده، وقرنها إلى حده. الهواء من تحتها فتيق، والماء من فوقها دفيق. ثم أنشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبها وأدام مربها. وأعصف مجراها وأبعد منشأها. فأمرها بتصفيق الماء الزخار، وإثارة موج البحار. فمخضته مخض السقاء، وعصفت به عصفها بالفضاء. ترد أوله إلى آخره، وساجيه إلى مائره. حتى عب عبابه، ورمى بالزبد ركامه فرفعه في هواء منفتق، وجو منفهق. فسوى منه سبع سماوات جعل سفلاهن موجا مكفوبا وعليهن سقفا محفوظا، وسمكا مرفوعا. بغير عمد يدعمها، ولا دسار ينظمها. ثم زينها بزينة الكواكب، وضياء الثواقب. وأجرى فيها سراجا مستطيرا، وقمرا منيرا. في فلك دائر، وسقف سائر، ورقيم مائر. ثم فتق ما بين السماوات العلا، فمأهن أطوارا من ملائكته...)).^١

^١ - نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي، شرح محمد عبده، الخطبة الأولى، ج ١

الملحد – كلام غير مفهوم وليس فيه برهان.

المؤمن – قلت لكم أنه كلام عجيب عميق، فأمير المؤمنين هو أمير البيان، ومناسبة الموضوع تقتضي تكثيف الدلالات مع تقريبها لأفهام الناس قدر الإمكان، أم كنت تريد الإمام علي يخاطبك بلغة العصر، أو كنت تريده أن يعطيك المعادلات الفيزيائية!! عموماً، إن شئتم توضيحاً، فقد ذكرت أطروحة في نشأة الأكوان ونهايتها بحسب ظاهر القرآن في كتابي (بداية ونهاية الزمان بين فرضيات العلم وظاهر القرآن)، وهي كما قلت أطروحة بحسب ظاهر القرآن فلا أزع قطعيتها، لأنه لا يحيط بكنه القرآن واقعا غير الرسول الأكرم وآل بيته الأئمة المعصومين عليهم السلام.

- نشأة الجبال -

الملحد – القرآن يقول إن الجبال هبطت على الأرض من السماء: ((وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥)))^١ وفي آية أخرى: ((وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (١٩))^٢. كاتب القرآن يتصور الأرض مسطحة وحتى لا تميل وازنها بالجبال، مع أن الجبال لم تلق على الأرض بل هي نتاج تصادم الصفائح التكتونية.

المؤمن – ١- مد الأرض بمعنى بسطها وفرشها وتسوية سطحها لتكون صالحة للعيش فيها، ولو كان سطح الأرض عبارة عن مرتفعات ومنخفضات فقط لما تيسر العيش فيها.

٢- الإلقاء هنا هو كالإلقاء في قوله تعالى: ((وَأَلْقَيْنَا عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (٣٩)))^٣ وقوله تعالى: ((وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ

١ - سورة النحل

٢ - سورة الحجر

٣ - سورة طه

لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٦٤))^١، فهو ليس بمعنى الهبوط بل بمعنى الجعل، وهو المصرح به في جعل الجبال في قوله تعالى: ((وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوْحَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣))^٢ وقوله تعالى: ((وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١))^٣ وقوله تعالى: ((وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا (٢٧))^٤. ومن لطيف التعبير القرآني أنه لم (ألقى على الأرض) بل قال (ألقى في الأرض).

٣- في تكوين الجبال توجد فرضيات كثيرة، وما زال الخبراء لم يتفقوا على فرضية واحدة فضلا عن الجزم بها. أشهر ما قيل هو تصنيف الجبال الى ثلاثة أصناف بحسب منشأ التكوين، فصنف يتكون مما تقذفه البراكين من باطن الأرض وتلقيه الى سطحها، وهذه أكثر ما تكون في الجبال المنفردة. وصنف يتكون من الصخور الرسوبية ومن المعلوم أن الترسيب يتكون مما تلقيه الرياح والمياه، وهذه أكثر ما تكون في سلاسل الجبال الساحلية. وصنف يتكون من تصادم الصفائح التكتونية للقارات والانكسار والانتصاب والطي عند حواف الصفائح، وهذه تكون في سلاسل الجبال داخل القارات^(٥). فمعنى الإلقاء موجود في الأصناف الثلاثة، كما هو بمعنى الجعل كما نص القرآن.

٤- الصفائح التكتونية تتحرك وبحركتها تحصل الزلازل والاضطراب لسطح الأرض، وعند تصادم الصفائح التكتونية تندس وتنغرز حواف بعضها ببعض وتتداخل فتتكون الجبال عند حوافها فتعمل عمل اللحام للصفائح فتثبتها، وبالطبع هو ثبات نسبي كالسفينة الراسية على البحر فهي ثابتة ولكنه ثبات نسبي، فلولا ذلك لم تستقر القارات على حال أبدا، فسبحان الله الذي

١ - سورة المائدة

٢ - سورة الرعد

٣ - سورة الأنبياء

٤ - سورة المرسلات

(٥) الموسوعة البريطانية Britannica ، مادة (الجبل Mountain)

- موسوعة ويكيبيديا ، تكوين الجبال

أرسي الجبال أوتادا فقال: ((أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا
(٧)))^١.

الملحد – الزلازل كثيرا ما تحصل في المناطق الجبلية. الجبال ليست عامل تثبيت بل عامل زعزعة وعدم استقرار وتكثر الزلازل والبراكين في المناطق الجبلية بشكل اكثر حتى ان المناطق البركانية في العالم معظمها جبال. فلماذا لم تمنع الجبال حدوث الزلازل والبراكين ولماذا لم تمثل حتى عامل تخفيف وما زالت البراكين والزلازل تحدث وتكثر في المناطق الجبلية خاصة. انتم تعكسون النتيجة فالثبات هو بسبب تصادم الصفائح وتسلط الضغط لبعضها على بعض، والزعزعة والزلازل هي بسبب الجبال.

المؤمن – بالفعل، عند اطراف الصفائح التكتونية تكثر الزلازل، لكنني لم أقل أن الجبال تمنع وقوع الزلازل مطلقا، بل قلت أنه لولاها لم تستقر القارات بما تحملها من الصفائح أبدا فهو ثبات نسبي. وأنتم من تعكسون العلم والمنطق لتمرير الحادكم، فالزعزعة والاضطراب والزلازل هي بسبب حركة الصفائح في باطن الأرض ولا علاقة لنفس الجبال في حصولها، ومجرد تصادم الصفائح وارتطامها ببعضها وضغط بعضها على بعض بقوة لا يلزم منه ثباتها وسكونها مطلقا، إنما انغراس بعضها ببعض وانتصاب أجزاء ثقيلة منها تبلغ مئات الأطنان التي هي الجبال، ثم طي والتواء وإلقاء هذه الكتل الصخرية العظيمة على مكان اتصال وتداخل الصفائح، ثم اتصال هذه الجبال بأصولها التكتونية على عمق عشرات الكيلومترات تحت سطح الأرض، ثم دفن قواعد هذه الجبال بعشرات الكيلومترات من الغلاف الأرضي الترابي؛ هذا كله هو سبب الثبات والاستقرار النسبي للقارات. فالجبال ليست هي سبب حصول الزلازل كما هي لا تمنع من حركة الصفائح مطلقا، لكنها توجب الاستقرار بشكل كبير جدا، فهي تجعل الصفائح بما تحملها من القارات كالسفينه الراسية الراكدة على الماء، فليست هي سائرة جارية على الماء بشكل مطلق بل هي مستقرة استقرارا نسبيا. الجبال ليست لمنع حدوث الزلازل بل هي لمنع الحركة المضطربة للصفائح التكتونية،

١ - سورة النبا

حيث يقولون أن الغلاف الصخري الذي يغلف كامل الأرض والذي يسمى طبقة الليثوسفير هو مقسم الى قطع متجاورات بعدد ١٢-١٥ قطعة تسمى الألواح التكتونية، وهذه الألواح التكتونية تطفو على طبقة الأثينوسفير الصخرية التي تمتاز بالمرونة والليونة نتيجة شدة الحرارة، وتموج طبقة الأثينوسفير يعمل على تحريك الصفائح التكتونية افقيا بحركة تقارب وحركة تباعد وحركة تجانب^(١)، والجبال تعمل عمل مادة اللحام التي تشد تلك الصفائح الى بعضها وتمنع من سهولة انزلاقها . فالجبال هي راسية وهي أوتاد وهي ملقاة في الأرض وهي حافظة من أن تميد الأرض بنا، شئتم أم أبيتم، كما قال الله تعالى وأكده العلم. والحمد لله تعالى على فضله ونعمته.

الملحد – لا يوجد بحث علمي نص على كلمة (وتد) في الحديث عن الجبال، ثم هي ليس لها شكل الوتد الذي هو حديدة او خشبة تغرس في الأرض، وهي صحيح أنها لها امتداد واصول في أعماق الأرض لكنها تمتد من الأسفل الى الأعلى بينما الوتد ينغرس من الأعلى الى الأسفل.

المؤمن – لا يهمننا التنصيص على كلمة (وتد) في البحوث العلمية، بل يهمننا مضمون التفسير الوارد في البحوث عن الجبل، وقد أكدت البحوث اتصال الجبال بأصولها التكتونية على عمق عشرات الكيلومترات. كما لا يهمننا شكل الوتد وكونه حديدا أو خشبا وكونه ينغرس من الأعلى الى الأسفل، لأن المقصود هو الصفة والوظيفة وهي الثبات والتثبيت، وهذه الصفة والوظيفة متحققة في الجبال.

الملحد – ما تقوله صحيح، لكن هذا ليس تفردا للقرآن ولا اعجازا قرآنيا، لأن كعب بن لؤي وهو من الكفار المشركين قد ذكر أن الجبال أوتادا قبل الإسلام بمئات السنين كما ينقل تاريخ ابن كثير عنه فيقول: ((كان كعب بن لؤي يجمع قومه يوم الجمعة وكانت قريش تسميه العروبة فيخطبهم فيقول أما بعد فاسمعوا وتعلموا وافهموا واعلموا ليل ساج ونهار ضاح والأرض مهاد والسماء بناء والجبال أوتاد والنجوم أعلام)).

(١) الموسوعة البريطانية، مادة الأرض (britannica/Earth)

المؤمن – ١- كعب بن لؤي هو الجد السابع للرسول الأكرم وهو على دين الحنفية ملة إبراهيم عليه السلام وهو من أوصياء الأنبياء، هذا الأمر معروف مسبقاً، فليس هو من المشركين كما تدعون، أو كما خدعكم صاحب هذه الشبهة.

٢- هذه الخطبة التي بترتم سياقها، هي نفسها تدل على تدين كعب بن لؤي وأن كلامه كلام الأنبياء، وفي نفس هذه الخطبة هو يخبر بظهور دعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله، وبالتالي فلا يصح أن تقول إن القرآن أخذ من بشر، وإنما الصحيح أن الله تعالى أخبر بذلك كعب بن لؤي كما أخبر موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم جميعاً، فالقرآن لم يأخذ من غير الله تعالى. فراجعوا تمام النص في تاريخ ابن كثير حيث يقول: ((كعب بن لؤي - روى أبو نعيم من طريق محمد بن الحسن بن زبالة عن محمد بن طلحة التيمي عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبي سلمة قال: كان كعب بن لؤي يجمع قومه يوم الجمعة وكانت قريش تسميه العروبة فيخطبهم فيقول أما بعد فاسمعوا وتعلموا وافهموا واعلموا ليل ساج ونهار ضاح والأرض مهاد والسماء بناء والجبال أوتاد والنجوم أعلام والأولون كالأخرين والأنثى والذكر والروح وما يهيج إلى بلى، فصلوا أرحامكم واحفظوا أصهاركم وثمروا أموالكم، فهل رأيتم من هالك رجع أو ميت نشر، الدار أمامكم والظن غير ما تقولون، حرمكم زينوه وعظموه وتمسكوا به فسيأتي له نبأ عظيم وسيخرج منه نبي كريم. ثم يقول ... نهار وليل كل يوم بحادث ... سواء علينا ليلها ونهارها ... يؤوبان بالأحداث حتى تأوبا ... وبالنعم الضافي علينا ستورها ... على غفلة يأتي النبي محمد ... فيخبر أخباراً صدوق خبيرها ... ثم يقول والله لو كنت فيها ذا سمع وبصر ويد ورجل لتنصبت فيها تنصب الجمل ولأرقلت بها إرقال العجل ثم يقول ... يا ليتني شاهداً نجواء دعوته ... حين العشيرة تبغي الحق خذلانا ...

قال وكان بين موت كعب بن لؤي ومبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة عام وستون سنة^١.

٣- نبهتكم الى عدم التورط بنقل الأخبار، لأننا سنلزمكم بإثبات صحة صدورها حسب قواعد مدرسة الشيعة الإمامية في الحديث والرجال، لكنكم تصرون على نقل الأخبار دون تحقيق، وهذا الخبر هو من مصادر غيرنا، وهو خبر ضعيف بحسب قواعدهم، فلا أقل من أن أبا سلمة الراوي للخبر عن كعب بن لؤي هو عندهم من التابعين، أي لم يدرك زمن الرسول الأكرم، فكيف يروي عن كعب بن لؤي بالمباشرة وبينهما مئات السنين! والنتيجة أن الخبر لم يثبت عن كعب بن لؤي، ولو سلمنا صدوره عنه فهو لا ينافي ألوهية القرآن وتفردہ واعجازه، لأن مصدر الإخبار بكون الجبال أوتادا هو الله تعالى.

- شبهة فرضية التطور الداروني والدين

الملحد – ما هو موقفكم من نظرية التطور؟

المؤمن – أنا اسميها اسطورة التدهور ومهزلة العقل الإلحادي. وعلى فكرة، فهناك فرق بين مفهوم التطور الحيوي عموما وبين فرضية التطور الداروني بالخصوص، والكثيرون يخلطون بينهم حتى من المسلمين فيستنكرون رفض من يرفض الداروينية.

الملحد – ما هو الفرق؟

التطور الداروني أو الداروينية: هي خصوص الفرضية التي تزعم ظهور الانواع الحية من بعضها البعض، وانحدارها من سلف مشترك أو أسلاف عند تراكم التغيرات الطفيفة المتعاقبة بشكل تصاعدي تكاملي عبر ملايين السنين، نتيجة تفاعل الافراد مع العوامل البيئية وتنازع البقاء والطفرات الوراثية. تزعم المؤسسات الاعلامية المروجة للإلحاد المعاصر باسم العلم

^١ - تاريخ ابن كثير ، ابن كثير ، ج ٣ ص ٣٣٣

أن نظرية التطور الدارونية هذه قد اثبتت النشوء التدريجي لجميع الكائنات الحية من مواد كيميائية اولية بسيطة قد اجتمعت صدفة وانفاقا فكونت الخلية الحية الاولى ، وأنه بحسب مبادئ التفاعل مع المحيط والتكيف وتنازع البقاء والانتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح والطفرات والانحرافات الجينية ، توالت جميع الانواع الحية وعددها بالآلاف من بعضها البعض عبر ملايين السنين ، وتطورت عن بعضها البعض حتى ارتقت سلسلة تطور الأنواع الى النوع الانساني ، وأن هذا الاكتشاف والتفسير للنشوء يبطل وجود الاله الخالق ، كما يبطل مقولة الخلق الدفعي الاستقلالي المباشر للإنسان التي يقول بها القرآن وجميع الاديان التوحيدية. ابرز الملاحدة المروجين لهذه المزاعم هو ريتشارد دوكنز الذي تبجح قائلاً في تعليقه الختامية على كتاب ((كون من لا شيء)) لزميله لورانس كراوس : ((نستطيع أن نقرأ لورانس كراوس في ما يبدو لي ضربة قاضية ... لو أن كتاب اصل الانواع كان ضربة علم الاحياء القاضية لما وراء الطبيعة ، فربما يجب أن نرى كون من لا شيء معادلاً له في علم الكون))^١، ولكن كل هذه المزاعم عبارة عن بالونات اعلامية فارغة يكذبها التاريخ والعلم والملاحدة انفسهم.

ان فرضية تطور انواع الكائنات وانبثاقها من بعضها البعض قديمة جدا في الخيال البشري، ويمكن اعتبار القصص عن حوريات البحر والثور المجنح وغيرها، هي من الامثلة الشعبية على هذا الخيال التطوري القديم. كذلك نص البعض في الفكر الاسلامي على مسألة التدرج التكويني التصاعدي لرتب الموجودات وإن لم يقل بانبثاق بعضها من بعض كابن خلدون في مقدمة تأريخه حيث قال: ((ثم انظر إلى عالم التكوين كيف ابتداء من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدرج. آخر أفق المعادن متصل بأول أفق النبات مثل الحشائش، وما لا بذر له، وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم متصل بأول أفق الحيوان مثل الحلزون والصدف، ولم يوجد لهما إلا قوة اللمس فقط، ومعنى الاتصال في هذه المكونات أن آخر أفق منها مستعد بالاستعداد القريب لأن يصير أول أفق الذي بعده. واتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه وانتهى في تدرج التكوين إلى الانسان

^١ - كون من لا شيء ، خاتمة الكتاب ، ص ٢٤٠

صاحب الفكر والروية، ترتفع إليه من عالم القدرة الذي اجتمع فيه الحس والإدراك، ولم ينته إلى الروية والفكر بالفعل، وكان ذلك أول أفق من الإنسان بعده ، وهذا غاية شهودنا))^١، بل إن مسألة تدرج مراتب كمال التكوين الوجودي للأنواع هي من ثوابت الفكر الاسلامي وقد نص عليها القرآن في آيات كثيرة ، منها قوله تعالى : ((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠)))^٢ ومما اشار اليه صاحب تفسير الميزان في تفسير هذه الآية قوله : ((الإنسان يختص من بين الموجودات الكونية بالعقل و يزيد على غيره في جميع الصفات و الأحوال التي توجد بينها و الأعمال التي يأتي بها. و ينجلي ذلك بقياس ما يتفنن الإنسان به في مأكله و مشربه و ملبسه و مسكنه و منكحه و يأتي به من النظم و التدبير في مجتمعه، و يتوسل إليه من مقاصده باستخدام سائر الموجودات الكونية ، و قياس ذلك مما لسائر الحيوان و النبات و غيرهما من ذلك فليس عندها من ذلك إلا وجوه من التصرف ساذجة بسيطة أو قريب من البساطة ، و هي واقفة في موقفها المحفوظ لها يوم خلقت من غير تغير أو تحول محسوس ، وقد سار الإنسان في جميع وجوه حياته الكمالية إلى غايات بعيدة و لا يزال يسعى و يرقى. وبالجملة بنو آدم مكرمون بما خصهم الله به من بين سائر الموجودات الكونية وهو الذي يمتازون به من غيرهم وهو العقل الذي يعرفون به الحق من الباطل والخير من الشر والنافع من الضار))^٣.

في الفكر المسيحي قال بعض الباحثين من قبل دارون بفرضية التطور التي بمعنى نشوء الانواع من بعضها البعض، منهم جان لامارك وجيفري سان وروبرت غرانت و ألفرد والاس زميل دارون، والعديد من العلماء الآخرين . فعالم الاحياء الفرنسي جان لامارك (توفي ١٨٢٩م) قد طرح فرضيته عام ١٨٠٩م في العام الذي وُلد فيه دارون ، وقد اعتمدت فرضية لامارك على مبدئين ، الأول كان مبدأ الاستعمال والإهمال ، وهو فكرة أن أعضاء الجسم التي تُستعمل مرارًا تصبح أقوى وأكبر، بينما الأعضاء التي لا

١ - مقدمة ابن خلدون ، ابن خلدون ، ص ٤٠

٢ - سورة الإسراء

٣ - تفسير الميزان ، العلامة الطباطبائي الحكيم ، ج ١٣ ص ١٦٥

تُستعمل تضمحل تدريجيًا ثم تختفي. والمبدأ الثاني هو وراثه الخصائص المكتسبة وهو الفكرة التي تشير إلى أن التعديلات والتغيرات التي تقع أثناء فترة حياة كائن بحسب مبدأ الاستعمال والاهمال سوف تنتقل إلى نسله. ومثال لامارك الشائع كان الزرافة ، فقد زعم أن رقبة الزرافة اصبحت طويلة نتيجة لقيام الأسلاف من الزرافات بمدّ رقابها إلى مسافات أعلى فأعلى أثناء محاولة الوصول إلى فروع الأشجار العالية لأكل اوراق الاشجار ، وأنه بمرور الزمن تمددت رقبتها شيئاً فشيئاً مع توريث هذا التمدد المكتسب ، وقد سميت هذه الفرضية في التطور باسم اللاماركية^(١). إلا ان تشارلز داروين (توفي ١٨٨٢م) في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي أخرج مسألة التطور من دائرة الخيال الشعبي ومن دائرة الرؤية الفلسفية، ومن دائرة الفرض القائم على مجرد الملاحظة العابرة الى دائرة الفرض العلمي ، وذلك باقتراح آلية جديدة للتطور هي ((الاصطفاء الطبيعي)) ، مع قيامه بتجميع الشواهد باستقراء عينات كثيرة من الكائنات الحية والمتحجرة ، ونشر عمله هذا في كتابه ((اصل الانواع)) وذلك بعد رحلة استكشافية دامت اربع أو خمس سنوات حول العالم على متن سفينة بيجل.

والخلاصة: إن مفهوم التطور أعم من الداروينية. فنحن نقبل مفهوم التطور بحسب الفكر الإسلامي، الذي هو بمعنى التكامل في مراتب الوجود، ونرفض التطور الدارويني، الذي هو بمعنى ولادة الأنواع من بعضها البعض بآلية الاصطفاء الطبيعي. فما يفعله بعض المسلمين من تأييد التطور الدارويني بما هو مذكور في فلسفة تكامل مراتب الوجود الإسلامية؛ هو خطأ بكل تأكيد، لأن فلسفة تكامل مراتب الوجود الإسلامية اجنبية عن الداروينية.

الملحد – دعم من دارون، فبعد دارون تم الاستدراك على دارون، وتعديل وتصحيح وتطوير النظرية، فدارون قال بالنظرية قبل اكتشاف قوانين الوراثة، كما أن دارون لا علاقة له بكيف نشوء الخلية الأولى بل هو تكلم عن نشوء الأنواع من بعضها.

(١) موقع الموسوعة البريطانية على النت ، مادة (اللاماركية – Lamarckism)

المؤمن – أنا أعلم أن من بعد دارون تطور علم الاجنة و الهندسة الوراثية والانتربولوجي فزاد في اقتراح اليات التطور وعزز شواهده ، وقد أشرت الى ذلك في تعريفي للفرضية، فدارون لم يتكلم عن الخلية الأولى ولم يتكلم عن الانجراف الوراثي. نحن منتبهون الى أن كلامنا ليس عن دارون بل عن الدارونية، وليس عن التطور الحيوي عموما بل عن خصوص التطور بالانتخاب الطبيعي. فالتطور الداروني أو الدارونية في حقيقتها هي : خصوص الفرضية التي تزعم ظهور الانواع من بعضها البعض ، وانحدارها من سلف مشترك عند تراكم التغيرات بشكل تصاعدي عبر ملايين السنين، نتيجة اصطفاء الطبيعة والتفاعل مع العوامل البيئية والطفرات الوراثية. نحن نتكلم عن الدارونية عموما كجهد مشترك من دارون الى اليوم، ولكن تسميتها ((الدارونية)) هي التسمية المشهورة لأن دارون هو الأصل في آلية الانتخاب الطبيعي. ومع كون ظهور الأنواع من بعضها بآلية الانتخاب الطبيعي ما زال يتمسك به فريق من الداروينيين، إلا أن فريقا منهم يتمسك بآلية الاصطفاء الجيني، وعليه فاللازم علميا تسمية القول بظهور الأنواع من بعضها بآلية الاصطفاء الجيني باسم جديد غير الدارونية، كما اطلقوا على القول بظهور الأنواع من بعضها بآلية الاستعمال والاستبدال اسم اللاماركية. لكنهم لم يشفقوا اسما بعد للقول بظهور الأنواع من بعضها بآلية الاصطفاء الجيني، لأن المعركة ما زالت مستمرة بين الداروينيين في ذلك.

الملحد – كيف تقول أنها اسطورة وهي يتم تدريسها في الجامعات العالمية!

المؤمن – طيب يا حبيبي، هذا من بالونات الإعلام الإلحادي. أنتم تقولون إن البشرية قبل عصر غاليليو لم تكن تعرف ولم تكن تدرس سوى نموذج بطليموس في مركزية الأرض، حتى غاليليو نفسه درس نموذج بطليموس وكان يعتقد به أول أمره، وبين بطليموس وغاليليو قرابة ألف ونصف سنة، فهل هذا جعل نموذج بطليموس حقيقة واقعية!! إن دراسة الفرضيات في الأوساط العلمية الأكاديمية أمر شائع، فدراسة الفرضية لا يعني الإقرار بصحتها، كما أن عدم ترك دراستها لا يعني حقانيتها بل يعني أنها في طور البحث حتى تأتي فرضية بديلة عنها. فتمسك الأوساط الأكاديمية بالفرضية

الدارونية إنما هو لعدم وجود فرضية ذات صبغة امبريقية يتم تقديمها لطلبة قسم البيولوجيا في مقابل عقيدة الخلق الدينية.

الملحد – التطور حقيقة واقعية نشاهدها كل يوم في الانقراض والطفرات والتفاعل مع البيئة، ونظرية دارون هي النظرية التي فسرت هذا التطور بقانون الاصطفاء الطبيعي، كالجاذبية حقيقة واقعية وقانون نيوتن هو الذي فسرها.

المؤمن – وهذه من بالونات الإعلام الإلحادي أيضا. التطور المزعوم هو ظهور الأنواع من بعضها البعض وانحدارها من سلف مشترك، ومنتحدي جميع الدارونيين أن يكونوا قد شاهدوا في حياتهم ظهور نوع من نوع وانحداره من سلف مشترك، أما الانقراض والطفرات والتفاعل مع البيئة فليست هي التطور المزعوم، إذ هي ليست ظهور نوع من نوع وإنما هي الآليات التي زعمت الدارونية أنها تفسر التطور المزعوم.

من هذا يثبت أن قياسكم الدارونية على الجاذبية هو مغالطة وقياس باطل. الجاذبية هي حالة طبيعية واقعية نشاهدها ونعيشها كل يوم، فالتفاحة لا تسقط الى الأعلى. الجاذبية حالة طبيعية واقعية وقد كان ينقصنا تفسيرها بقانون علمي، ونيوتن لم يكتشف الجاذبية، هذا استعمال مغلوطة للغة ومجانبة للحقيقة، وإنما نيوتن اكتشف القانون الذي يفسر هذه الحقيقة الطبيعية أي الجاذبية، فقانون نيوتن لم يثبت الجاذبية بل فسرها، كما أن نزول المطر حقيقة واقعية وجاء العلم وفسرها بألية دورة المياه في الطبيعة. أما التطور المزعوم أي ظهور الأنواع من بعضها، هذا هو نفسه افتراض وتخمين ودعوى تحتاج الى دليل لإثباتها.

الملحد – إن نظرية دارون هي التي تقوم على أساسها مختبرات البحث العلمي اليوم، فيتم اكتشاف الأمراض والأدوية واللقاحات.

المؤمن – وهذه أيضا من بالونات الإعلام الإلحادي. إن الطب والصيدلة موجودة من قبل دارون، ولا علاقة لها بالدارونية، وإن كنتم تقصدون علم الجينات الحديث فهذا لا علاقة لموضوعه ولا لبحوثه ولا لتطبيقاته بقضية ظهور الأنواع من بعضها، إنما الدارونية الحديثة هي من تطلعت عليه لتبقى

على قيد الحياة. دعواكم أنه لولا الدارونية لم نكتشف الأمراض والأدوية كدعوى بعض الملاحدة أننا لولا ستيفن هوكنج لم نعرف الحاسوب والموبايل، مع كون ستيفن هوكنج قضى عمره في مسألة الانفجار الكبير والثقوب السوداء ولا علاقة لذلك بالحاسوب والموبايل. عموماً، دعمكم من البالونات الإعلامية واذكروا لنا الآليات التي تزعم الدارونية أنها تفسر ظهور الأنواع المزعوم من بعضها وانحدارها من سلف مشترك، ثم اذكروا لنا الأدلة على هذا الافتراض.

- آليات التطور الداروني

الملحد – أهم الآليات التي فسرت بها الدارونية تطور الأنواع بانحدارها من سلف مشترك هي:

١- الانتخاب الطبيعي : نظراً لتكاثر الكائنات الحية واختلافها في الصفات فإنه من الطبيعي حدوث صراع على الغذاء والتزاوج والمكان والبقاء على قيد الحياة ، ومن الطبيعي أن بعض الافراد سيتمكنون من البقاء والتكاثر بينما يموت البعض الآخر ، وقد اطلق دارون على هذا اسم ((الاصطفاء الطبيعي)) وعرفه بأنه هو العملية التي تمكن الافراد التي تمتلك صفات ملائمة للبيئة من البقاء على قيد الحياة والتكاثر.

٢- التكيف : هو العملية التطورية التي تتحسن بها سمات وقدرة الكائن الحي على العيش في موطنه نتيجة التفاعل مع الظروف البيئية ، والتي تمهد للنقلة النوعية ، حيث تتراكم التغيرات التصاعدية الطفيفة المتعاقبة لسمات الأفراد بالتدريج عبر مرور الزمن مما ينتج في النهاية نوعاً جديداً متميزاً عن سلفه .

٣- الطفرات الجينية : تعرف الطفرة على أنها حدوث حالة حذف أو استبدال في جزيء الحمض النووي الموجود في نواة الخلية للكائن الحي ، والذي يحمل كل المعلومات الوراثية المكونة للكائن الحي ، ويحدث هذا الحذف أو الاستبدال نتيجة تأثيرات خارجية عادة مثل الإشعاع أو المواد الكيميائية أو

الفايروسات . و نتيجة تراكم الطفرات النافعة المتعاقبة بشكل تصاعدي لأفراد نوع عبر الزمن بمساعدة الاصطفاء الطبيعي ينتج في النهاية ظهور نوع جديد متمايز عن سلفه . والطفرات تنقسم الى صغيرة وكبيرة ، فالصغيرة هي تغير في تسلسل قواعد الحمض النووي ويؤثر فقط على نوكليوثيد واحد أو عدة نوكليوثيدات في الجين . والطفرة الكبيرة هي تغير يحدث في أقسام من الكروموسوم، وهي تغير من بنيات الكروموسومات أو ترتيبها .

- مناقشة آليات التطور

المؤمن – هذه الآليات المزعومة لا تثبت التطور المزعوم، وفي مناقشتها نقول:

مناقشة آلية الانتخاب الطبيعي : هذه هي الآلية الرئيسية التي يحدث بها التطور في الدارونية الكلاسيكية ، على اساس قيام الظروف الطبيعية بالحفاظ على الافراد الذين امتلكوا سمات وقدرات تكيفية أفضل للنجاة والتكاثر ، واهمال و ابادة غيرهم . ان ما اصطلح عليه دارون بالانتخاب الطبيعي وتنازع البقاء واختيار الطبيعة للأصلح ، هو غريزة حب الذات وحب الكمال ، وهذه سنة الهية و قانون الهي فطري جعله الله في جميع مخلوقاته الحية ، وليست تحكما من الطبيعة الهوجاء التي لا تملك وعيا ولا ارادة ولا اختياريا حتى تعين الاصلح فتأخذه وتشخص الفاسد فتقتله كما يدعي دارون ، فنحن نقر بوجود غريزة حب الذات و حب التكامل والسعي من اجل البقاء ، ونقر بالاختبار والبلاء والموت والفناء ، و لكن لا نقر بأن ذلك جاء بصورة عشوائية من الطبيعة وبتحكم منها ، لماذا ؟ لأنه ليس من شأن الطبيعة العشوائية في حد ذاتها ان تخلق حياة وتكاملا ونظاما و وعيا و ارادة ، لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، و انما ذلك من الله العليم الحكيم خالق الطبيعة بما فيها ، قال الله تعالى : ((وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨)

((^١، و قال تعالى : ((وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦)))^٢ .

ان هرم الدارونية في الاصل قد بني على هذه الآلية آلية اصطفاء الطبيعة ، على اساس ابقاء الظروف الطبيعية على الافراد الذين امتلكوا سمات وقدرات تكيفية أفضل للنجاة والتكاثر واهمالها وابدائها لغيرهم ، وقد اعترف معظم الدارونيين بقصور وفشل هذه الآلية في تفسير التطور النوعي ، فهي :

أولاً: تعجز عن بيان سبب ظهور السمات والصفات الجديدة .

ثانياً: تعجز عن بيان كيفية توريث السمة الجديدة .

ثالثاً: هي لا تضمن اداء هذه التغيرات الى ظهور نوع جديد .

فدور الانتقاء الطبيعي هنا لا يعدو أن يكون مجرد المحافظة على الفرد ذي السمات التكيفية الأفضل ، وترك الفرد الذي لا يملكها ليموت ، مع أن جوهر فرضية دارون يعطي للطبيعة دور الخلاق ، وحتى هذا الدور البسيط بالمحافظة على الأصلح لم تقم به طبيعة دارون بشكل صحيح ، فلم تستطع الدارونية الاجابة وفق قانون الانتقاء الطبيعي للأصلح أن تجيب على هذا السؤال :

لماذا سمح قانون انتخاب الأصلح بانقراض كل انواع الديناصورات مع كونها كانت في غاية الاكتمال ؟ أجب وفق الدارونية لماذا قامت الطبيعة بإبادة الديناصورات ؟

هذا سبب العدول من آلية الاصطفاء الطبيعي بالتكيف وتنازع البقاء الى آلية الاصطفاء الجيني بالطفرات ، واسناد الدور الرئيس الخلاق الى الطفرات الجينية و ليس الاصطفاء الطبيعي . يشير الى ذلك اشهر علماء الاحياء التطورية في القرن العشرين ستيفن جاي جولد و هو من الملاحظة ومن أشرس المدافعين عن الدارونية، فيقول عند شرحه لمقولات دارون في

^١ - سورة الأنعام

^٢ - سورة هود

بيان الانتخاب الطبيعي : ((إن هذه المقولات الثلاث تضمن أن الانتقاء الطبيعي سيؤدي عمله "يقصد المحافظة والابادة" لكنها بحد ذاتها لا تضمن الدور الاساسي الذي اسنده دارون اليها . يكمن جوهر نظرية دارون في قناعته بأن الانتقاء الطبيعي هو القوة الخلاقة للتطور ، وليس الجلاذ الذي يقضي على ما هو ضعيف فحسب ... فإن فهمنا لعلم الوراثة يميل الى وجهة نظر دارون في أن الطفرات الصغيرة هي لب التغير التطوري))^١ وقوله بأنه ((يميل الى وجهة نظر دارون أن الطفرات ...)) هو ترقيع من عنده ، لأنه المحامي الشرس عن الدارونية ، ويحاول عبثا هنا انتشال الدارونية الاصلية من السقوط ، فإن قوانين الوراثة واسرار الخلية والحمض النووي وحقيقة الطفرة الوراثة كانت مجهولة بالنسبة لدارون وعصره .

مناقشة آلية التكيف : إن التكيف هو حالة تفاعل الكائن الحي مع متغيرات ظروف البيئة المحيطة به ، وهي حالة غريزية فطرية من اجل البقاء على الحياة ، مثل اسمرار لون البشرة عند التعرض لأشعة الشمس ومثل انكماش البشرة عند التعرض للبرد ، وهذا النحو من التفاعل مع ظروف البيئة لا ينكره عاقل فهو هبة من الله ، ولكن ما تدعيه الدارونية من ان تفاعل المادة مع الضوء هو الذي اقتضى ظهور العين عبر الزمن ، أو أن تفاعل بعض الأسماك مع اليابسة هو الذي اقتضى ظهور اطراف الزواحف عبر الزمن و بالتالي ادى الى ظهور نوع جديد من نوع سابق ، فهذا مما لا يقتضيه التكيف في حد نفسه ، بشهادة الدارونية الحديثة التي عازت بالطفرات كآلية لظهور الصفات الجديدة والتغيرات البنيوية ، كما هو لم يقم عليه أي دليل علمي وانما هو مجرد تكهنات كانت من دارون واوهام يبرر بها الحاده ، حيث عاد من رحلاته الكشفية فرحا باكتشافه طيور غالاباغوس التي سميت (عصافير دارون) ، قد وجدها في جزيرة غالاباغوس (١٠٠٠ كم) تقريبا عن سواحل اميركا الجنوبية ، وقد كانت مع مشابهتها لطيور اميركا الجنوبية تختلف من حيث اشكال مناقيرها تبعا لنمط سلوكها الغذائي ، فزعم أنه قد

^١ - منذ زمن دارون ، ستيفن جاي جولد ، التمهيد ، ص ١٨-١٩

عثر على ما يثبت وهمه في السلف المشترك والتكيف الموجب لظهور الأنواع من بعضها.

مناقشة آلية الطفرات : الطفرات الوراثية هي الآلية الرئيسية للتطور في الدارونية الحديثة ، على اساس أن أصل التمايز وظهور السمات الجديدة عند الافراد إنما يحصل بسبب الطفرة. واجهت الدارونية الكلاسيكية بالاصطفاء والتكيف عجزا عن بيان سبب ظهور واختلاف سمات الافراد ، وعجزا عن بيان كيفية توريث السمة الجديدة ، وعجزا عن بيان كيفية أن تكون الطبيعة خلاقة ، اضافة الى ذلك واجهت إشكالا قاتلا هو عدم تناسب الفترة الزمنية التي يقتضيها تطور المادة الاولى من الخلية الحية البسيطة الاولى الى النوع الاكمل متعدد الخلايا معقد التركيب مع العمر الافتراضي لظهور الحياة على الارض ، حيث قدروا تأريخ نشوء الحياة على الارض بحوالي ٣ مليار سنة ونصف تقريبا بحسب ما يدعون ، واعترفوا انه خلال ٢ مليار سنة ونصف لم يوجد من اشكال الحياة في الارض سوى الاحياء البكتيرية بسيطة التركيب ، ثم في ظرف ٥٠٠ مليون سنة الاخيرة تقريبا اي في غضون نصف مليار سنة تقريبا ، ظهرت جميع الانواع الحية المعقدة والفصائل الموجودة لحد الآن و المنقرضة والتي تبلغ عشرات الآلاف ، لأجل كل ذلك التجأت الدارونية الى فكرة الطفرات الوراثية العشوائية ((صيغة حشد القروء التي طبعت مسرحية شكسبير بالصدفة)) لترقيع هذه الفجوات بعد اكتشاف الجينات وتركيب الخلية ، وجعلت الطفرات هي الآلية الرئيسية للخلاقة للتطور وسميت ((الدارونية الحديثة)) بالاصطفاء الجيني ، بدل ((الدارونية الكلاسيكية)) بالاصطفاء الطبيعي ، و بحسب لغة السياسة فإن التغيير الثوري في الدارونية الاصلية كان يبدأ من الخارج بمؤامرة قوى الطبيعة على الكائن الحي ، أما التغيير الثوري في الدارونية المحدثه فيبدأ من الداخل بصراع الجينات داخل الكائن الحي ، ولن تستطيع الدارونية النجاة بثورتها الجديدة لأسباب منها :

١- إن التطور الداروني قائم على التغيير التدريجي البطيء وهو ينافي التطفر والتغير الفجائي ، وسيأتي نص دارون على ذلك .

٢- طبيعة الطفرات أن تكون استثناء من حالة سائدة ، فلا تصح أن تكون قانونا تبنى عليه نظرية علمية تفسر الحياة بعمومها .

٣- إن الطفرات في الأعم الأغلب تكون مميتة أو مضرّة أو منقصة للكائن الحي الذي تحدث فيه الطفرة ، أو غير نافعة أي لا تنتج صفة كمالية جديدة ، فلا يصح ان تبنى فكرة ظهور كافة الانواع ذات التصميم البديع العظيم على الطفرة في ظرف نصف مليار سنة ، بدعوى أن هذه الحالة النادرة من وجود الطفرة النافعة قد حافظت عليها الطبيعة ثم تم توريثها لعدة اجيال ، وبتكرار الطفرات النادرة النافعة والمحافظة عليها وتوريثها نتج بعد مرور الزمن ظهور نوع متميز عن سلفه . هذا هراء وليس علما فإن الطبيعة في حد ذاتها لا تضمن الحفاظ على الطفرة النافعة النادرة في فرد ، فما الذي يمنع الذئب من أكل الارنب ذي الارجل الستة بالطفرة مثلا، مع افتراض أنه اسرع من الارنب ذي الارجل الاربعة ؟ ولا تضمن الطبيعة في حد ذاتها توريث تلك الطفرة النادرة النافعة في الاجيال المتعاقبة ، فضلا عن الحفاظ والتوريث لعدة طفرات نافعة نادرة في عدة اجيال من النوع ، لا يوجد ضمان ، لسبب بسيط ، هو أنها طفرة ! .

٤- لم يثبت أصلا بدليل علمي ظهور نوع مكتمل بالطفرات المتلاحقة ، انما هو مجرد ترقيع لسد الفجوات في السجل الاحفوري ، ومجرد استنقاذ لفرضية التطور .

٥- دارون نفسه ، في معرض رده على القول بالخلق الاستقلالي الدفعي ، يصرح برفض مبدأ الطفرة كآلية للنشوء ، فيقول : ((والواقع أن نشوء أعضاء مستحدثة في الطبيعة، تظهر للباحث مفرغة في قالب معين ؛ لتقوم بوظيفة محدودة، أمر نادر الحدوث، إن لم يكن مستحيلاً متابعه للحكمة القديمة التي كان يأتّم بها الباحثون في العصور الأولى في ترقّي الفكرة العلمية ؛ إذ كانوا يقولون: « لا طفرة في الطبيعة » وهي حكمة صحيحة، وإن كان فيها شيء من المبالغة ... وإنا لنجد فيما كتب كثير من أعلام الباحثين في الطبيعة ما يؤيد تلك الحكمة ... ومن هنا نعتقد أن الطبيعة ليس

في استطاعها أن تؤثر في الأحياء من طريق الوثبات الفجائية الكبيرة، بل إنها تتقدم إلى الأمام بخطوات قصيرة وثيدة ، ولكنها مخففة.))^١ .

- أدلة التطور الداروني

الملحد - أهم أدلة التطور الداروني هي:

١- السجل الاحفوري : حيث أظهر البحث في تاريخ الكائنات المتحجرة التي عثر عليها وجود حالة ترتب زمني في ظهور الكائنات الحية من البسيطة الى المعقدة ، فالكائنات البسيطة وجدت بقاياها في الطبقات السفلى من الارض بينما الكائنات المعقدة وجدت بقاياها في طبقات أعلى ، مما يفيد الوجود التطوري التدريجي للأنواع عبر ملايين السنين من بعضها البعض..

٢- الاعضاء الضامرة : وتسمى ايضا الاعضاء الأثرية ، حيث توجد في الكائنات الحية بعض الاعضاء المهملة و التي لا تؤدي وظيفة معينة ، مما يفيد أن هذه الأعضاء هي من بقايا السلف النوعي السابق ، كعظم العصعص في الانسان و الزائدة الدودية وحلمات اثناء الرجل .

٣- التشابه البنيوي : حيث توجد اعضاء تمتلك البنية نفسها في انواع مختلفة ولكن مع اختلاف الوظيفة ، كما في الاطراف الامامية للدولفين والخفاش والحصان والقط والانسان ، فإنها متشابهة في التركيب مع اختلاف في الوظيفة بحسب طريقة الحياة الخاصة بكل واحد .

٤- البيولوجيا الجزيئية والتشابه الجيني : حيث كشفت دراسة الخارطة الجينية للأنواع عن وجود سلف جيني مشترك بين الانواع الحية ، بكشفها تشابه الجينات بين الانواع بشكل كبير وبصورة تطورية

^١ - اصل الانواع ، دارون ، ترجمة اسماعيل مظهر ، الفصل السادس ، ص ٣٤٧

- مناقشة أدلة التطور

المؤمن – كل أدلة التطور الداروني باطلة، وفي بيان بطلانها نقول:

مناقشة دليل السجل الاحفوري :

طالما تشدق دارون وانصار نظرية دارون بأن السجل الاحفوري يدعم نظرية التطور الداروني ، والحق ان السجل الاحفوري قد وجه ضربة قاضية للنظرية ، فقد نسف انفجار الكامبري سفينة بيجل لدارون واغرقها في بحر الاوهام والخرافات الابدوي ، حيث عثر في طبقات الصخور الرسوبية التي يعود عمرها الى قرابة ٥٠٠ مليون سنة بحسب تقديراتهم ، على المئات من فصائل الكائنات الحية وعشرات الانواع الرئيسية المتحجرة متعددة الخلايا ومعقدة التركيب والتي تشكل نصف عدد الانواع الحية الحالية في مملكة الحيوان ، ظهرت كلها في فترة زمنية قصيرة قدرت بحوالي (١٠ مليون سنة فقط) وهي فترة تعد كلمح البصر بالنسبة لعمر نشوء الحياة في الارض والتي قدروها بحوالي ٣ مليار سنة ونصف ، وقد اصطلحوا على هذا التدفق الاحيائي الكثيف اسم (الانفجار الكامبري) نسبة الى منطقة (كامبريا) وهي الاسم اللاتيني لبلدة (ويلز) احدى البلاد التي تتشكل منها المملكة المتحدة البريطانية ، والتي عثر في صخورها على هذه المتحجرات وسميت هذه المرحلة البيولوجية باسم (العصر الكامبري) .

ان الانفجار الكامبري اشتمل على عدة حقائق تدحض فكرة التطور بألية الانتخاب الطبيعي منها :

١- عدم وجود سجل احفوري يثبت تطور كائنات الكمبري من انواع سابقة حيث ان المرحلة السابقة لم يثبت فيها سوى وجود كائنات وحيدة الخلية بسيطة التركيب كالبكتريا الزرقاء، مما يبطل دعوى تطور الانواع عن اسلاف مشتركة بالانتخاب الطبيعي، وقد اعترف دارون نفسه بهذه المعضلة فقال: ((هنالك صعوبة تتصل بما ذكرنا، بل هي أعنت وأعتى ، أشير بذلك إلى الطريقة التي تظهر بها الأنواع التابعة للأقسام الرئيسية من مملكة الحيوان فجأة في أسفل الصخور الأحفورية يترتب على ذلك أن نظريتي إذا كانت صحيحة، فمما لا يحتمل المناقشة أنه قبل ترسب أسفل الطبقة

الكمبرية ، قد مرت أحقاب مديدة، تبلغ من التطاول مبلغ الفترة من العصرالكمبري إلى الآن ، وربما كانت أكثر تطاولاً، وأنه في مدى تلك العصور المديدة ، قد عجت الدنيا بالمخلوقات الحيّة ... أمّا التساؤل: لماذا لا تجد بقايا احفورية وفيرة في تلك الأحقاب المبكرة السابقة على المجموعة الكمبرية ، فليس في مستطاعي أن أجيب عليه إجابة مرضية ... ينبغي أن نترك هذه المسألة غير مفسّرة في الوقت الحاضر، وقد يمكن بحق أن يُستدل بها على ما يخالف الآراء المقول بها هنا ((¹). ولم يثبت تفسير لحد الآن بعد اكثر من ١٥٠ سنة من كلام دارون ، نعم زعموا اكتشاف متحجرات تعود لفترة ٦٠٠ مليون سنة في منطقة اديكارا في استراليا ، أي قبيل العصر الكامبري بحوالي ١٠٠ مليون سنة ، وسميت (حديقة الأديكارا) زعموا انها لبعض الحيوانات الرخوية ، ولكنهم اعترفوا انها نوع خاص ، ولا يمكن ان يكون سلفا مشتركا لأنواع الكامبري في بريطانيا.

٢- قصر الفترة الزمنية التي ظهرت فيها جميع انواع الكامبري وهو ١٠ مليون سنة ، مما يبطل مبدأ التدرج الزمني الذي يقتضيه التطور بالانتخاب الطبيعي .

٣- وجود التعقيد البالغ والتصميم الذكي في تركيب كائنات الكامبري ، مما يبطل دعوى ظهورها بالطفرات العشوائية ، والقفزات الكبيرة السريعة ، كمحاولة بائسة من الدارونية المستحدثة للترقيع .

٤- الطامة الكبرى هي عدم اشتمال السجل الاحفوري لأنواع الكامبري على الانواع المتوسطة الانتقالية ، مما يثبت بشكل قاطع عدم تطور بعضها من بعض ، وسيأتي تسليط الضوء على فقرة فراغ السجل الاحفوري من الانواع الانتقالية عموما .

٥- اشتمال كائنات الكامبري على نصف الانواع الرئيسية لمملكة الحيوانات وثباتها قبل نصف مليار سنة في ظرف ١٠ مليون سنة ، مما يبطل دعوى حتمية استمرار التطور والتغير مع الزمن .

^١ اصل الانواع ، دارون ، ترجمة اسماعيل مظهر ، الفصل العاشر ، ص٥٣٤-٥٣٦

- تهافت الدارونية بين الطفرة والتدرج

لأجل ترقيع الفجوات في السجل الاحفوري عموماً ، وتهرباً من الاعتراف بدحض الانفجار الكامبري للدارونية خصوصاً ، فإن الملحد المدافع الشرس عن الدارونية عالم الاحياء التطوري الاشهر ستيفن جاي جولد ابتكر في عام ١٩٧٢م فرضية (التوازن المنقطع) أو التوازن النقطي ، حيث زعم أن التحولات النوعية الكبرى إنما تحدث بصورة سريعة ثم تعقبها حالة طويلة من الركود^(١)، يعني هو و من تابعه من الدارونيين يؤيدون أن التطورات النوعية الكبرى إنما تحصل بطفرات قوية كبرى ، معارضا بذلك مبدأ ((التطور التدريجي البطيء المستمر للسلاسل عبر ملايين السنين)) الذي هو روح التطور الداروني التي يستعاذ بها للخلاص من السؤال البسيط القائل : لماذا لا نرى اليوم نوعاً جديداً تطور بالانتقاء الطبيعي ، أرني نوعاً حياً جديداً تحول عن نوع حي سابق ؟ يجيبون : إن التطور النوعي إنما يحتاج الى ملايين السنين !

فعلى تكية كان ياما كان في قديم الزمان ، طالما اتكأ دارون لترقيع فرضيته ، يقول في ترقيع احدى فجواته : ((أن الضروب الجديدة بطيئة التغير؛ ذلك لأن سنة التحول لا تظهر نتائجها إلا في خلال درجات من التحول بطيئة جهد البطء))^٢، ونقلنا عنه سابقاً رفضه التام للنشوء بالطفرات حيث قال : ((والواقع أن نشوء أعضاء مستحدثة في الطبيعة، تظهر للباحث مفرغة في قالب معين ؛ لتقوم بوظيفة محدودة، أمر نادر الحدوث، إن لم يكن مستحيلاً متابعة للحكمة القديمة التي كان يأتّم بها الباحثون في العصور الأولى في ترقّي الفكرة العلمية ؛ إذ كانوا يقولون: « لا طفرة في الطبيعة » وهي حكمة صحيحة، وإن كان فيها شيء من المبالغة ... وإنا لنجد فيما كتب كثير من أعلام الباحثين في الطبيعة ما يؤيد تلك الحكمة ... ومن هنا نعتقد أن الطبيعة ليس في استطاعتها أن تؤثر في الأحياء من طريق الوثبات

(١) الموسوعة البريطانية ، مادة ((ستيفن جاي جولد))

٢ - اصل الانواع ، ترجمة اسماعيل مظهر ، الفصل السادس ، ص ٣١٤

الفجائية الكبيرة، بل إنها تتقدم إلى الأمام بخطوات قصيرة وثيدة، ولكنها مخففة.))^١. لذلك ليست فرضية التوازن النقطي المنقطع إلا ترقيعاً مفضوحاً للسجل الأحفوري، وإقراراً بأنه لا يدعم أو هام دارون، وهذه شهادة عظيمة خطيرة من ستيفن جاي لأنه أشهر خبراء علم الاحاثة والاحافير بلا منازع، وهو محامي الدارونية الملحد الشرس، ولذلك لقيت فرضيته معارضة من فريق الدارونيين المخلصين لروح دارون، لأنهم فهموا أنها طرد لروح دارون الشريرة المنتشبة بالدنيا وإعلان لموت الدارونية، وهي كذلك بالفعل، وعلى هذا الأساس افترق الدارونيون الى فرقتين:

فرقة الطفرات، كآلية أساسية مع الاعتراف بالدور الثانوي للتغيرات التدريجية بالانتقاء الطبيعي، فهذه الفرقة ترى أن الطفرات هي لب الدارونية، وقد نقلنا سابقاً نص ستيفن جاي جولد على ذلك في قوله: ((فإن فهمنا لعلم الوراثة يميل الى وجهة نظر دارون في أن الطفرات الصغيرة هي لب التغيير التطوري))^٢.

وفرقة التدرج البطيء بالانتقاء الطبيعي، كآلية رئيسية وأنه صميم لب التطور، مع الاعتراف بالدور الثانوي للطفرات الجينية الصغيرة المتلاحقة، فهذه الفرقة ترى أن لب التطور الداروني هو الاصفاء التدريجي البطيء، كما ينص على ذلك المحامي الشرس الآخر عن الدارونية الملحد ريتشارد دوكنز، فإنه لا ينكر الدور الضروري للطفرات في أصل إيجاد الصفات الجديدة ((لأن الطفر هو في النهاية، الطريقة الوحيدة التي يدخل بها تباين جديد للنوع))^٣ كما يقول، ولكن الدور المحوري عنده هو للاصطفاء الطبيعي ((وهذا الانتخاب الطبيعي التراكمي التدريجي لهو التفسير النهائي لوجودنا، وإذا كان هناك نسخ من نظرية التطور تنكر التدريجية البطيئة، وتنكر الدور المحوري للانتخاب الطبيعي، فإنها قد تكون مما يصدق في حالات معينة، ولكنها لا يمكن أن تكون الحقيقة كلها، لأنها تنكر صميم لب التطور، ذلك اللب الذي يعطيها القوة لإذابة تلك الاحتمالات التي تبلغ نسبة

١ - المصدر السابق، الفصل السادس، ص ٣٤٧

٢ - منذ زمن دارون، ستيفن جاي جولد، التمهيد، ص ١٨-١٩

٣ - صانع الساعات الأعمى، ريتشارد دوكنز، الفصل الخامس، ص ١٧٨

قلتها ارقاما فلكية ، والذي يعطيها القوة لتفسير الاعاجيب التي تبدو ظاهريا كالمعجزة))^١ وختم كتابه بهذه العبارة تعصبا لروح دارون فقط، فهو مجال بحثه كما هو معروف هو الجينات الوراثية ، وهو ليس باحثا متخصصا في التاريخ الطبيعي والاحافير والمتحجرات كستيفن جولد، وسبب تعصبه - كما يعترف - هو أن القول بالطفرات كآلية رئيسة هو نقض لصميم لب الدارونية ، لأن التغير التدريجي بالاصطفاء الطبيعي عبر ملايين السنين هو روح الدارونية ، فهو الذريعة الوحيدة التي يستند دارون واتباعه اليها لتبرير دعوى ظهور هذا النوع من ذلك ، فإن مسألة ظهور نوع من آخر تلقائيا هي احتمال بنسبة واحد الى ترليون مثلا ، وهي التي سماها ارقاما فلكية ، وهذه لا يتوهمها عاقل أبدا ، فهروبا من هذا الفرض الجنوني اتكأ دارون واتباعه على عكازة التغير البطيء التدريجي عبر ملايين السنين ، إلا أن علماء الاحافير المختصين بالأحافير من اتباع دارون مثل ستيفن جولد ، استيقنوا بعد مرور قرابة ١٧٠ سنة من كلام دارون ، أن هذه العكازة مكسورة بل مهشمة ، لذلك لانوا بالطفرات النوعية كآلية رئيسية لإحياء الدارونية ، فلم يزيدوها إلا تهافتا واجهاضا. وقد سميت الصراعات بين فرق الدارونية باسم ((حروب الدارونية)) .

الملحد - إن التطور الداروني حقيقة، والدارونيون متفقون على ذلك، وإنما هذا مجرد اختلاف بسيط ثانوي في الآليات .

المؤمن - كيف يكون التطور الداروني حقيقة واقعية بدون ثبوت الآلية ، هو بدون ثبوت الآلية المفسرة لكيفية التطور المزعوم يبقى مجرد فرضية ، واتفقهم على وهم التطور تعصبا والحادا ، لا يجعل من الوهم حقيقة واقعية.

^١ - المصدر السابق ، الفصل الحادي عشر ، ص ٤١٩

- السجل الاحفوري والحلقات المفقودة

ضربة قاتلة يوجهها السجل الاحفوري لفرضية التطور بالانتخاب الطبيعي ، حاصلها ان الآلاف من الانواع الحية الحالية والمنقرضة متميزة عن بعضها البعض ، وفرضية تطور بعضها من بعض بانحدارها من سلف مشترك التي هي أصل مفهوم التطور الداروني ، تقتضي وجود الآلاف من الانواع الانتقالية البيئية المتوسطة ، التي تثبت الانتساب وظهور هذا النوع الأحدث من ذلك الأقدم ، كما قال دارون نفسه في كتابه ((أصل الانواع)) في الفصل العاشر الخاص بسد فجوات فرضيته : ((أما نظرية الانتخاب الطبيعي ، فتقتضي بأن كل الأنواع الحيّة ، لا بُدَّ من أن يكون قد مضى عليها زمان كانت فيه متصلة بالأصول الأولى التي نشأ عنها كل جنس بذاته ، بصور من التحول لا تزيد على تلك التي نراها بين الضروب البرية والضروب المؤلفة، التابعة لنوع بعينه من الزمن الحاضر، وأنَّ هذه الأصول الأولى - وقد انقرضت في هذا العصر- كانت في دور من أدوار نشوئها، متصلة بصورة أبعد منها قدمًا، وهكذا تعود دواليك، كلما رجعت إلى الأزمان السالفة، وأمعنّت في البحث إلى أصل أول، عنه نشأت كل قبيلة من القبائل. ومن هنا يتضح لنا أنّ عدد الحلقات الوسطى كان عظيمًا، وأنه من المحقق إذا صحت نظريتي هذه، أنها قد عمرت الأرض في خلال زمن ما من الأزمان))^١. وبدون اثبات ذلك أي الآلاف من الانواع الانتقالية البيئية المتوسطة لا تثبت الفرضية .

الكارثة ان السجل الاحفوري لم يثبت لحد الان بشكل حاسم وجود هذه الانواع الوسيطة لا متحجرة ولا حية ، و قد اعترف دارون نفسه بالعجز عن الاجابة الحاسمة على هذا الاعتراض الخطير في وقته مبررا ذلك بقصور علم الاحاثه الخاص بالبحث عن المتحجرات في عصره ، فقال في كتابه ((اصل الانواع)) : ((ولكن يجب ان يكون عدد الضروب المتوسطة التي قد سبق ان تواجدت ، عددا هائلا بالفعل بنفس المعدل واسع النطاق بالضبط الذي تجري عليه هذه العملية الخاصة بالإبادة ، فلماذا اذن لا يكون

^١ - اصل الانواع ، دارون ، ترجمة اسماعيل مظهر ، الفصل العاشر ، ص ٥٠٦

كل تركيب جيولوجي وكل طبقة فيه مليئة بمثل هذه الحلقات المتوسطة ؟ ان علم طبقات الارض بالتأكيد لا يفصح عن اي شيء على شاكلة تلك السلسلة العضوية دقيقة التدرج ، و ربما كان هذا هو اكثر اعتراض واضح وخطير من الممكن ان يوضع في مجال المجادلة ضد النظرية ، وانا اعتقد ان التفسير لذلك يقع في النقص البالغ في السجل الجيولوجي))^١ . فهو يعترف أن هذا هو أخطر اعتراض يهدم فرضيته ، واليوم بعد مرور قرابة ١٧٠ عاما على كلامه هذا ، ومع تطور علم الإحاثة و شدة حماس البحث بشكل جنوني ، واستنفاد مليارات الدولارات في التنقيب والتحليل ، مازالت الحلقات المتوسطة مفقودة بشكل كامل!! اللهم بعض الأحافير التي تم تليفقها ودعوى انها انواع وسطية ، كما يعترف بذلك على خجل بعض علماء الاحياء التطورية مثل بيتر ريفن وجماعته ، الذين اشتركوا بتصنيف كتاب دراسي تخصصي في علم الاحياء : ((وعلى الرغم من أن وجود مخلوقات وسطية حقا من الصعب تحديده ، فإن علماء المستحاثات وجدوا ما يبدو انه اشكال انتقالية))^٢ ولو قبلناها وسلمناها فهي لا تشكل حتى واحد بالمائة مما يجب تواجده من الانواع الانتقالية ، لا سيما أنه كان يجب وجدانها بصورة سهلة كسهولة ايجاد بقايا أفراد الانواع الثابتة ، فلماذا يتم وجدان بقايا من أفراد الانواع الثابتة كالبكتريا والاسماك والديناصورات المتحجرة المفترض انها اقدم بالوجود من الانسان بمئات الملايين من السنين ، ولم يتم حتى الآن ايجاد فرد واحد من النوع الانتقالي والسلف النوعي المفترض للإنسان !! اللهم إلا بتليفق بقايا ((آردي)) و ((لوسي)) وتقديمها على انها السلف المشترك للإنسان والقرد . أخذ دارون بعد كلامه الذي نقلناه يرقع الفجوات في سجله الاحفوري بدعوى أن الانواع المتوسطة ربما هاجرت عن موقع تطورها ، وربما انجرفت بقاياها عن موضع تطورها ، وربما هي قد انقرضت قبل تكون الصخور الرسوبية التي ينبغي أن تحتفظ بها ، وكل ذلك لا يغني عن حقيقة عدم ثبوت ما يثبت التطور الداروني .

١- أصل الانواع ، دارون ، ترجمة مجدي محمود المليجي ، الباب العاشر ، ص ٤٩٤

٢ - علم الاحياء ، بيتر ريفن ، الفصل الاول ، ص ١٠

مناقشة دليل الاعضاء الضامرة :

ان التمسك بوجود ما اسموه الاعضاء الضامرة كعظم العصعص في الانسان كشاهد على التطور أنه من بقايا الذيل ، انما يرجع الى الجهل والقصور العلمي في معرفة اسرار الخلق الالهية ، و مازال العلم يكتشف بالتدرج بعض اسرار عظمة الخلق و ما خفي قد كان اعظم ، فمن قال أن ما اسميته الاعضاء الضامرة والاثرية هي ضامرة واثرية فعلا ؟ لا يصح منطقيا أن ما تجهله تجيره لمصلحة فرضيتك بانيا على أصالة التطور الداروني ، فهذه مغالطة لأن المفروض أن الدليل هو الذي يثبت الفرضية وليس الفرضية هي التي تثبت الدليل ، بعبارة اخرى من قال أن عظم العصعص مثلا عند الانسان هو عضو ضامر ومهمل واثر لذيل ؟

الملحد - لأنني لا ارى له نفعاً !

المؤمن - ومن تكون انت حتى ترى النفع او عدمه في خلقه فطرية حية معقدة كتعقيد الكون العظيم ؟ انت لا تميز الحكمة في ابسط اجزاء المصنوعات البشرية فضلا عن المعقدة إلا بالرجوع للمختص.

الملحد - انا رجعت للمختص وهو علم الاحياء !

المؤمن - وهل قال عالم الاحياء انه مهمل لا نفع فيه أم قال انا لا أدري وأن علم الاحياء يعجز عن الاجابة ؟ انما انت رجعت للملحد الداروني فأجابك انه مهمل واثر من ذيل ، وجوابه هذا مصادرة على المطلوب وباطل منطقيا لأنه يبني على اصالة التطور الداروني .

السؤال يرتد بالعكس على دارون واتباعه ، ما الذي جعل تلك الاجزاء التي تبدو مهملة ولا فائدة منها ، ما الذي جعلها تستمر بالبقاء لملايين السنين ؟ ليس مقتضى الانتقاء الطبيعي هو بقاء الاصلح ؟ إن وجودها على فرض عدم نفعها هو ينقض قاعدة الانتقاء الطبيعي للأصلح .

مناقشة دليل التشابه البنيوي :

ان مسألة تشابه البنية في الانواع الحية كانت هي الاصل في انبثاق فرضية التطور في الخيال البشري ، وهي في ذات الوقت اكثر الشواهد سداجة و دلالة على طفولة العقل البشري ، وهي بالذات المرتكز الحقيقي لأوهام دارون، وهي لا تدل على التطور النوعي الداروني ، فان مجرد تشابه الخلقة بين نوعين لا يدل على كون احدهما متطورا ومتولدا عن الاخر بالضرورة ، بل بالعكس يدل على وحدة الخالق لهما ، فان لو رأيت سيارتين متشابهتين بشكل كبير فهذا دليل على وحدة الصانع لهما وليس دليلا على كون احدهما قد تطورت عن الاخرى ، إنما الدليل على القرابة وانتساب هذا النوع الأحدث لذاك النوع الأقدم وكونه جده النوعي ، هو وجود النوع الوسيط وهو مفقود كما ذكرنا ، فلم يبق إلا التشابه وهو لا يفيد الجزم بالنسبة .

مناقشة دليل التشابه الجيني:

كانت البيولوجيا الجزيئية، وهي فرع علم الاحياء الذي يدرس تركيب نواة الخلية الحية ، هي اخر صرخة لأنصار فرضية التطور لتعزير شواهد الفرضية واحيائها، وذلك بعد مرحلة سميت (كسوف الدارونية) سادت معظم النصف الاول من القرن العشرين نتيجة ظهور قوانين مندل للوراثة ومهزلة السجل الاحفوري، مما وجه ضربات مميتة للدارونية الاصلية بالاصطفاء الطبيعي التي سميت (الدارونية الكلاسيكية) نتيجة لذلك، حيث استبدل اتباع الدارونية التراث الداروني القديم الذي يشمل الانتخاب الطبيعي والتكيف البيئي والسجل الاحفوري والصراع من اجل البقاء والتشابه البنيوي؛ استبدلوها بالاصطفاء الجيني والطفرات الجينية والانحراف الجيني والسجل الجيني والتشابه الجيني، ولكن بتقدم البحث في مجال البيولوجيا الجزيئية انكشف انها اخر مسمار يدق في نعش الدارونية ، وقد تكلمنا سابقا عن آلية الطفرة وعجزها التام عن احياء الدارونية ، وبعجزها تموت الدارونية لأنها ستبقى بدون آلية لتفسير التطور الموهوم ، أما من حيث دعوى التشابه الجيني حيث يزعمون انكشاف تشابه في الجينات بين الانسان والقرود بنسبة ٩٥٪ ، وكذلك زعموا التشابه الجيني بين كافة الانواع بصورة ترتيب

تصاعدي، فهذا لا يقدم ولا يؤخر ، بعد سقوط آلية التطفر، لتفسير وهم التطور ، وهو مع ذلك دعوى باطلة التعميم من مؤسسات الالحاد لخداع العامة ، حيث لم يتم مطلقا كشف الخارطة الجينية لآلاف الانواع ، و رغم ذلك فهو لا يختلف عن دليل التشابه البنيوي ، إنه مجرد دعوى تشابه ، فإن تمت فلا يثبت ان ذاك هو سلف هذا ، بل يدل على وحدة الخالق المصمم الاعظم ، وليس طفرة السلف المشترك الاعجم. من جهة اخرى فإن هذا الاستدلال منقوض بالفعل ، حيث كشف البحث في الجينات عن حقائق كثيرة تنقض شجرة التطور الجيني المزعومة ، منها ان السيتوكروم سي في السلحفاة أقرب إلى الطيور مما هو عليه للثعبان، وهي من فصيلة الزواحف نفسها ، ووجد أن الثعبان أقرب إلى الإنسان ب ١٤ اختلافا مما هو عليه للسلحفاة ب ٢٢ اختلافا وهي قريته في شجرة التطور ، وهذه حقائق تنقض الاستدلال بدرجات القرابة الجزئية. فالخلاصة أن ما يهرجون به من الدليل الجيني لو تم لا يثبت سوى التشابه وأن هذا النوع أكمل من هذا، وليس في هذا أمر جديد ، فكلنا نعلم بتشابه القرد والإنسان، وكلنا نعلم أن الإنسان أكمل من غيره من الحيوانات، ولازم الكمال العضوي هو الكمال الجيني، لكن ذلك لا يثبت أبدا مدعى الداروينيين وهو أن هذا النوع الأكمل هو ابن وحفيد ذلك النوع الأقل كمالا.

الملحد - سؤال بسيط. هل تؤمن باختبار ال DNA لاكتشاف من هو أبو طفل مشكوك الأب؟

المؤمن - لا بأس به إن أثبت التطابق.

الملحد - إذا تؤمن بصحة هذا الاختبار فلا بد أن تؤمن بالتطور، لأن هذا الاختبار هو يستخدم التشابه الجيني لإثبات جد الشخص قبل مائة سنة، وكذلك التطور فالإنسان يتشابه جينيا مع الحيوانات وبدرجات متفاوتة من التشابه حسب تعقيد الحيوان وهو دليل على الأجداد النوعية.

الآن السؤال المهم. هل هناك دليل مادي على تطور النوع نوع اخر؟

الجواب هو نعم هناك مليون ونصف دليل. هل لاحظت كلامي؟ مليون ونصف واليك السبب: القرد يمتلك ٩٨ بالمائة من نفس التسلسل الموجود في الإنسان هذا يعني أن هناك تسلسلا جينيا طوله أكثر من مليارين ونصف يوجد بالإنسان ونفس هذا التسلسل موجود بالقرد. الفأر يستخدم بالمختبرات لسبب ان تسلسله الجيني يتقارب مع الانسان لدرجة ٩٢ بالمئة وهذا ايضا معناه بان التسلسل الموجود بين الانسان والقرد أصبح موجودا ايضا بالفأر. هناك سلف مشترك بيننا وبين نبات الموز لأننا نشترك جينيا مع الموز بنسبة خمسين بالمئة. يعني من المستحيل رمي حجر نرد بيدك وحجر نرد آخر بيدي لمليار ونصف مرة وتتطابق الناتج دون استنتاج بان يدي ويدك تملك نفس الهيكله. حتى بينك وبين البكتيريا فإن هناك مائتي جين متطابق بينك وبينها. كلامك بأن التطور كذبة سيكون صحيحا فقط في حالة وجدنا حيوانا واحدا فقط يمتلك تسلسلا جينيا فريدا من نوعه بحيث لا يتطابق في جزء ايدا بينه وبين الانسان.

ويستحيل على اي انسان ذكي او ساذج ان يصدق تطابق رمي حجر نرد أكثر من ملياري مرة ثم إعادة التجربة مرة أخرى ليحصل على نفس التسلسل إن لم يكن هناك ترابط قوي بين التجربتين، ثم إعادة نفس التجربة مليون ونصف المرة والنتائج متطابقة. ولذلك فالدليل المادي على أصل الانسان بالتطور هو مليون ونصف مقسوم على واحد. والدليل المادي على التطور بين كل الأنواع هو مليون ونصف مضروب بمليون ونصف وذلك لأنك ستقارن كل كائن مع كل باقي الكائنات الأخرى يعني الدليل الوراثي على التطور ليس واحدا، ليس مليوناً، ليس ملياراً، إنه أكثر من تريليون دليل. السجل الاحفوري وباقي الادلة على نظرية التطور تعتبر تافهة مقارنة بالدليل الوراثي.

كل ما هو مطلوب منك أن تذهب للغابة وأمامك مليون ونصف كائن حي اختر ما شئت واجلب واحدا يملك تسلسلا جينيا يختلف تماما عن كل باقي الكائنات الأخرى وسينتهي الأمر.

المؤمن – الجواب:

١- إنما نصح اختبار ال DNA لمعرفة الأب المباشر للطفل لأجل التطابق الذي يورث الاطمئنان بالنتيجة، ولا نصح نتيجة هذا الاختبار لإثبات جد الشخص قبل مائة سنة، لأن هذه نتيجة احتمالية فلا تورث الاطمئنان ومجرد التشابه بنسبة معينة لا يثبت النسب. هذا ليس كلامي بل هو كلام المختصين في هذا التخصص العلمي، ومنهم الملحدون الذين يحترمون تخصصهم. إن كان الأمر هكذا في اثبات النسب بين البشر فهو من باب أولى لا يثبت النسب النوعي. هذا الرد وحده يكفي لبطلان مقالكم وتطوركم المزعوم. فالأصل الذي بنيتم عليه دليلكم: ((يستخدم التشابه الجيني لإثبات جد الشخص قبل مائة سنة)) هو باطل، فالفرع: ((وكذلك التطور فالإنسان يتشابه جينيا مع الحيوانات وبدرجات متفاوتة من التشابه حسب تعقيد الحيوان وهو دليل على الأجداد النوعية)) هو باطل بالنتيجة.

٢- قولكم: ((الفأر يستخدم بالمختبرات لسبب إن تسلسله الجيني يتقارب مع الانسان لدرجة ٩٢ بالمئة)) هو قول باطل. لأن الفئران تستعمل في التجارب منذ عشرات السنين قبل الاكتشاف المتأخر للخارطة الجينية المزعومة للفأر والإنسان. ولأن السبب الحقيقي لاستعمال الفئران في التجارب هو صغر حجمها وضعف قدرتها على الدفاع عن نفسها وسرعة تكاثرها ورخص ثمنها، فالقوم استضعفوها واسترخصوها فاستعملوها. أنت نفسك تقول بأن القرد أقرب الأنواع للإنسان فكان الأولى استبدال الفأر بالقرد في المختبرات.

٣- هل تظن أنك عندما تغرق مقالتك بالأرقام المبالغ فيها أنك سترعبنا فتستغفلنا بكثرة الأصفار التي لا معنى لها؟ أنا سأستعمل طريقتك لأقول: لو أنني وجدت ترليون ترليون ترليون سيارة متشابهة بنسبة عظيمة فإنني سأذعن بأنها جميعا ترجع لصانع واحد، وكذلك لو كنت ناقدًا أدبيا خبيرًا بأسلوب شكسبير في الكتابة، ثم وجدت مسرحية مشابهة بنسبة عظيمة لأسلوب شكسبير فسأحكم بأنها لشكسبير، ما لم يثبت بنحو الجزم أنها لمقلد محترف بارع. إنها وحدة الصانع ووحدة الأسلوب يا عزيزي، فكل الموجودات تشهد بأنها لله الخالق العليم الخبير، والله تعالى خلقها بمراتب وفضل بعضها على بعض لانتظام سلسلة الوجود، حتى يسخر بعضها بعضا ويفتقر بعضها الى بعض. قال تعالى: ((وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ

يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ
يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٥))^١.

إن مسألة التشابه في جزيئات البروتين بين الكائنات الحية هذه بديهية طبيعية، لا تحتاج للتدليل عليها بالإثبات أو النفي فهي ضرورة حياتية لازمة للسلسلة الغذائية والهزم الغذائي، ولولا ذلك لاستطاع الانسان ان يأكل أي شيء ويعالج امراضه بأي شيء.

٤- أنت اعترفت أولا فقلت: ((وكذلك التطور فالإنسان يتشابه جينيا مع الحيوانات وبدرجات متفاوتة من التشابه حسب تعقيد الحيوان وهو دليل على الأجداد النوعية)) فكيف تقول لاحقا في مثالك: ((ويستحيل على اي انسان ذكي او ساذج ان يصدق تطابق رمي حجر نرد أكثر من ملياري مرة ثم إعادة التجربة مرة اخرى ليحصل على نفس التسلسل إن لم يكن هناك ترابط قوي بين التجربتين، ثم إعادة نفس التجربة مليون ونصف المرة والنتائج متطابقة!!) يعني عدلت من التشابه والتفاوت الواقعي الى التطابق الفرضي، وهذه مخادعة، فإن قلت أنك تقصد المطابقة النسبية! قلنا هذه مغالطة وتلاعب بالألفاظ، فليس المطابقة النسبية سوى تعبير آخر عن التشابه والتفاوت والتقارب، وهذا لا استحالة فيه في مثال النرد.

٥- دعكم من اكدوبة التعميم لملايين الأنواع، فدراسة الخارطة الجينية لكل الأنواع الحية أمر مفقود بل متعسر. وعلى فرضه فلا يثبت إلا التشابه.

٦- تحديتني بقولك: ((كل ما هو مطلوب منك أن تذهب للغابة وأمامك مليون ونصف كائن حي اختر ما شئت واجلب واحدا يملك تسلسلا جينيا يختلف تماما عن كل باقي الكائنات الاخرى وسينتهي الأمر)). هذا التحدي باطل يا حبيبي، لأنني لست منكرا للتشابه بين الكائنات ولكنني أقول لك أن مجرد التشابه لا يثبت أن أب هذا النوع متولد عن ذاك النوع. بل أنا الذي أتحداك فأقول: دونك كل الأرض وفيها ترليونات الكائنات العائدة لكل الأنواع، ومسموح لك البحث في الموتى والمنقرض. اجلب لي فردا من نوع غير

^١ - سورة النور

الإنسان تكون المطابقة بيني وبينه كالمطابقة بيني وبين أبي. هذا هو المستحيل حقا، لأن فرض كون المطابقة بيني وبينه كالمطابقة بيني وبين أبي يلزم منها كونه انسانا وليس من نوع آخر. فما يلزم من فرض وجوده عدمه هو مستحيل الوجود بالضرورة. وهذا هو السر في عدم وجدان الأنواع البينية المتوسطة ((الحلقات المفقودة)) التي اعترف دارون في كتابه أن هذا التحدي يقصم ظهر الدارونية، ويأس الدارونيون من بعده الى اليوم من ايجادها، فلاذوا بالطفرات النوعية.

٧- انت تعترف بنفاهة أدلة الدارونية مشكورا بقولك: ((السجل الاحفوري وباقي الادلة على نظرية التطور تعتبر تافه مقارنة بالدليل الوراثي)) ونحن نعترف بأن الدليل الوراثي ما هو إلا تطوير وتعقيد لدليل التشابه البنيوي والوظيفي السطحي، لكنه كما رأيت يبقى دليلا تافها أيضا على التطور الداروني، وإن كنتم تستفيدون من غموضه لخداع الناس. الأمر ببساطة هو وجود التشابه البنيوي الوظيفي بين جميع الكائنات الحية، وهذا أمر يدركه كل الناس، وما لا يعلم به أكثر الناس أن هذا التشابه البنيوي الوظيفي هو راجع الى تشابه جيني. ثم ماذا؟ لم يأت علم الأجنة إلا بإثبات أن التشابه الظاهري يعود الى تشابه جيني. ولا يلزم من التشابه الجيني تولد هذا النوع من ذلك، كما لم يلزم من التشابه الظاهري تولد هذا النوع من ذلك. إن استدلالكم بالتشابه الجيني لإثبات نسبة بعض الأنواع الى بعض؛ لهو أشبه بمهنة (القيافة) في زمن الجاهلية، حيث كان يقوم القائف بالحاق النسب للأشخاص اعتمادا على التشابه السطحي.

الملحد – صحح معلومتك. إن تحليل الحمض النووي يثبت الجد قبل ألف سنة بنحو قاطع، أرسل حمضك النووي الى أي شركة عالمية وسيخبرونك عن مكان جدك قبل ألف سنة.

المؤمن – يا عيني أنت قلت: ((يستخدم التشابه الجيني لإثبات جد الشخص قبل مائة سنة)). التشابه الجيني لا ينتج إلا الاحتمال ولا ينتج القطع. أما كونك وكون شركائك تريد أن تزعم القطع فهذا شأنكم.

الملحد – إن نظرية التطور تقوم عليها صناعة الادوية اليوم، فهي قد ساهمت في اكتشاف خصائص الكائنات.

المؤمن – وهذه اكدوية أخرى، فعلم الصيدلة موجود من قبل دارون والدارونية، وهو قائم منذ القدم على معرفة خصائص المواد والكائنات. وصناعة الأدوية اليوم تقوم على علوم الأجنة والهندسة الوراثية وغيرها، ولا علاقة لذلك بفرضية التطور الداروني. بل بالعكس فإن جماعة الدارونية الحديثة هم من تطفلوا على هذه العلوم لترقيع الدارونية الكلاسيكية.

الملحد – أقصد هناك ادوية حاليا أساسها هو ابحاث في علم التطور.

المؤمن – فائدة بالعرض، وماذا في ذلك؟ كشخص هشم صخور الجبل بحثا عن كنز لا وجود له أصلا، فأتى شخص آخر أخذ هذه الصخور لبناء برج. هذا لا يثبت صحة الفرضية الدارونية، ولا يستوجب الشكر للدارونيين، لأنهم لم يقصدوا تطوير علم الصيدلة.

الملحد – وما هو دليلك أنت القطعي على وجود آدم وحواء؟

المؤمن – إن كنت تقصد أصل النوع، فوجودك دليل على وجود آدم وحواء بدليل السببية ووجودهما دليل وجود الخالق العليم الخبير القدير، خالق كل شيء غير مخلوق، مطلق الكمال والجلال الذي ليس كمثل شيء، وليس الطبيعة العمياء والصدفة الهوجاء. وإن كنت تقصد قصة آدم وحواء فالدليل هو القرآن.

الملحد – بل وجودنا ووجود الكون دليل على وجود قوانين الطبيعة.

المؤمن – ومن قنن القوانين ومن مد المادة وطوق الطاقة فأبدع التصميم العظيم؟ هذا هو السؤال الناسف لكل خزعات الملاحظة. فلاذ بعضهم بالعشوائية والصدفة متنكرا لضرورة عظمة التصميم، ولاذ بعضهم بترقيعات للدارونية والانفجار الكبير.

الملحد – طيب، وجودنا ووجود الكون دليل على وجود مصمم أعظم. ولكن من هو؟ فهناك ٥٠٠٠ إله.

المؤمن – قلت لكم: ((وجودهما دليل وجود الخالق العليم الخبير القدير، خالق كل شيء غير مخلوق، مطلق الكمال والجلال الذي ليس كمثله شيء))، وليس مثل زيوس وعشتار وآمون كذلك.

الملحد – ومن قال أنهم ليس كذلك؟

المؤمن – هم لم يثبتوا لأنفسهم ذلك، ومن اخترعهم لم يثبت لهم ذلك.

الملحد – جمال الوجود والصانع يتناسب عكسيا مع قرآنك، فنحن نجد فيه أشياء غير منطقية وغير إنسانية.

المؤمن – سنأتي على مناقشة ذلك إن شاء الله تعالى.

- ماهي حقيقة كشف الجينوم البشري؟

يتشكّل جسم الإنسان بشكل أساسي من مجموعة من الخلايا المترابطة والمرتببة مع بعضها البعض، وتعرف الخلية بكونها الوحدة الأساسية لأجسام الكائنات الحية على اختلاف أنواعها وأشكالها، ويصل عدد الخلايا في جسم الإنسان البالغ إلى أكثر من ١٠ ترليون خلية، ولا يمكن للعين المجردة رؤية أي من هذه الخلايا وتفصيلها. ثم الخلية الواحدة في جسم الانسان تحتوي على أجسام أصغر منها تسمى عضيات، كما تحتوي على النواة التي هي مركز التحكم في الخلية والتي تحمل في داخلها الشيفرة الوراثية في مادة الحمض النووي منقوص الأكسجين DNA، حيث تحتوي نواة الخلية في الكرموسومات على سلالة ال DNA الذي يتكون من ٣ مليار زوجاً قاعدياً وتسمى نوكليوبيدات، مصفوفة بطريقة مشفرة بالغة التعقيد، في حين أن الجينات وهي المسؤولة عن تركيب الجسم وأعضائه والنمو والبلوغ وتكوين البروتينات المختلفة والإنزيمات ذات الوظائف المتعددة فيبلغ عددها ٢٢,٥٠٠ جين وقيل أكثر من ٣٠,٠٠٠ جين، والجينات ((المورثات)) موزعة على ٤٦ من الكروموسومات ((الصبغيات)) في نواة الخلية، ومجموعها يشكل شريط الـ دي أن أي. إذا حدث أدنى خلل أو طفرة في تركيب أحد الجينات فإنه من الممكن أن تكون له عواقب وخيمة على سلامة

وصحة الفرد ، فالجينات هي كتاب الحياة والنوكليوتيدات بمثابة أحرف الكتاب ، وكل هذا في نواة خلية واحدة. هل هذا كل شيء ؟ لا طبعا ، هذا فقط نبذة مختصرة ، ومجرد ذرة من مجرة.

يقولون أنه في مشروع الجينوم البشري استطاع العلماء معرفة ترتيب النوكليوتيدات جميعا للإنسان ، وقد استغرق هذا العمل المهول نحو ٢٠ سنة ، بين الأعوام ١٩٨٤ إلى ٢٠٠٣ . اشترك في هذا المشروع نحو ٢٠٠٠ من ارقى العقول من ٢٤ معهدا متخصصا في الولايات المتحدة بالاشتراك مع بعض الدول الاخرى . في عام ٢٠٠٠ قدم المشرف على المشروع ، وهو الدكتور فرانسيس كولنز ، قدم المسودة الأولى لكتاب الجينوم البشري إلى الرئيس الأمريكي بيل كلينتون في البيت الأبيض ، يعدّ ذلك واحدا من الإنجازات العظيمة التي توصل إليها الإنسان . وبعد ذلك بثلاث سنوات في عام ٢٠٠٣ تم الكتاب بالكامل ، كما يقولون .

فرانسيس كولنز عالم البيولوجيا الجزيئية الأشهر ، وقائد المشروع الدولي للجينوم البشري المتولي لدراسة خارطة الجينات البشرية ، يعبر بتصوير مجازي بسيط ومختصر عن عظيم تركيب الجينات البشرية التي تحوي جميع المعلومات الوراثية اللازمة لتكوين الانسان ، فيشبهها كأنها كتاب لا يرى بالعين المجردة مشتمل على نص مؤلف من ٣ مليار حرف ، بحيث لو أنك تمكنت من قراءته بمعدل حرف واحد في الثانية فإنك ستحتاج الى ٣١ سنة من القراءة المستمرة ليلا ونهارا دون انقطاع ، ولو افترضنا طباعة هذا النص في كتاب بالحجم والخط العادي فإنه سوف ينتج كتبا توازي ارتفاع ١٧٠م فيقول : ((يحتوي الجينوم البشري على الحمض النووي لكل الاصناف البشرية وشفرة الوراثة للحياة ، يبلغ طول النص الجديد المكتشف ٣ بلايين من الاحرف ، وقد كتب بطريقة غريبة ومشفرة على شكل نسق رباعي . تعقيد المعلومات التي تحتوي عليها كل خلية في جسم الانسان تجعل من قراءة هذا النص بمعدل حرف لكل ثانية تستغرق ٣١ سنة ، حتى لو استمرت القراءة ليلا ونهارا . طباعة احرف هذا النص بالبنت العادي بالحجم المتعارف من الاوراق سوف ينتج عنه برج بارتفاع النصب التذكاري في

واشطنن))^١. وهذا الكلام وإن كان رمزياً لا يفقه رموزه إلا المختصون ، وإن كان تقريبياً لتبسيط التصور الذي لا يدركه إلا العالمون ، ولكن مع ذلك إنما هو بحسب الإدراك الحالي المحدود للعلماء المختصين ، وأما واقع كلمة التصميم الإلهي فهو كما قال تعالى : ((وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧) مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٢٨)))^٢ وكما قال تعالى : ((قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا))^٣ .

فهل يعقل شخص سليم الفطرة والعقل أن الانسان من صنع الطبيعة العشواء والطفرة العمياء وتنازع البقاء ؟ لن يعقل أي عاقل هذا الهراء ، ولذلك قلنا أن البيولوجيا الجزيئية ، هي آخر مسمار يدق في نعش الدارونية ، إنما هو كما قال تعالى : ((صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَّ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨)))^٤ .

- سر الروح وأصل الحياة

الملحد – يعني أنتم تسخرون من قول الدارونية بانحدار الإنسان والقرود من سلف حيواني مشترك، ولا تسخرون من أنفسكم حين تؤمنون بخلق الإنسان من الطين!

المؤمن – لا نسخر من الدارونية لقولها ذلك، بل لنسبتها هذا التصميم العظيم الى الطبيعة الهوجاء والطفرة العمياء. وبخصوص أصل الحياة وتكوين الخلية الاولى ، نشير هنا الى مفارقة لطيفة ، بل خدعة سخيفة ، يمارسها

^١ - لغة الإله ، فرانسيس كولنز ، المقدمة ، ص ٩

^٢ - سورة لقمان

^٣ - سورة الكهف

^٤ - سورة النمل

ملاحظة التطور الداروني الجدد ، وهي أن فرضية دارون للتطور بالانتخاب الطبيعي والتي عرضها دارون في كتابه ((أصل الأنواع)) هي لم تتطرق أصلا الى مسألة أصل نشوء الحياة الأولى في الارض ، وانما كانت فقط تصف كيفية انبثاق الانواع الحية المكتملة من بعضها البعض ، بل أن دارون نفسه قد صرح أن التفكير في مسألة اصل نشوء الحياة مجرد هراء ، لست أنا من يقول ذلك بل نجم الإلحاد الفيزيائي لورانس كراوس يقتبس من رسالة شخصية لدارون هذا النص : ((إن التفكير في أصل الحياة حاليا محض هراء ، وربما هذا ما اعتقد به كذلك عند التفكير في أصل المادة))^١ فمناقشة مسألة اصل نشوء الخلية الحية الأولى هي من هراء الملاحظة الجدد ، كمسألة مناقشة أصل الكون ، وقد عجزوا بشكل مطلق عن تفسير وجودها وعلته بين احتمال كونها قادمة من الفضاء الخارجي ، كما ذهب الى ذلك جماعة منهم الملحد الفلكي فريد هويل ، واحتمال تكونها من مواد الارض كما ذهب اخرون مثل ريتشارد دوكنز . وعلى فرض تكونها من مواد الارض فقد عجزوا عن تفسير كيفية تكونها تلقائيا ، وهم عن تكوين مثلها أعجز ، وإن كونوا مثلها كيميائيا كما يزعمون فهم عن نفخ الروح فيها اشد عجزا ، وإن تمكنوا من نفخ الروح فيها فهم الى حفظها وجعلها تتضاعف ذاتيا بنفسها لا سبيل لهم ، وإن تم كل ذلك فهو مثبت أن الكائنات الحية معقدة التركيب بديعة التصميم لم تخلقها طبيعة هوجاء ولا طفرة عمياء ولا حشد القروء . هم لم يدركوا بعد اسرار المادة الميئة وما زالوا يتخبطون بين فيزياء النسبية وفيزياء الكم وهم عن ادراك حقيقة الروح واسرار الحياة اشد جهلا وأضل سبيلا ، وكما قال تعالى : ((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥)))^٢ .

لورانس كراوس ينقل كلام دارون في أن التفكير في اصل الحياة واصل الكون كان محض هراء في زمن دارون ، ليتبجح بكونه الآن يدير ((مشروع الاصول)) الذي يتولى البحث عن أصل الحياة والكون ، برفقة عقول جبارة في مختبرات جبارة بدعم من ميزانية جبارة ، ولكن ما هي

^١ - كون من لا شيء ، لورانس كراوس ، الفصل الخامس ، ص ١١١
^٢ - سورة الاسراء

النتائج ؟ يقول لورانس : ((إننا لم نفهم بعد تماما كيف نشأت الحياة على كوكب الارض ، وعلى أي حال فإننا لا نملك آليات كيميائية فقط يمكن فهم هذا بها ، ولكننا كذلك ، نستهدف يوما بعد يوم طرقا محددة ، ربما سمحت بظهور الجزيئات البيولوجية بما فيها الحمض النووي ظهورا طبيعيا ... ومثلما أراح دارون رغما عنه الحاجة الى تدخل إلهي ... يضيف فهمنا الحالي للكون وماضيه ومستقبله المصدقية على فرضية أن (شيئا ما) يمكن أن ينبثق من (لا شيء) دون الحاجة الى أي تدخل إلهي . وسبب صعوبات الملاحظات العلمية والنظرية المتصلة بها ، المرتبطة باستنباط حلول لتفصيلاتها وتطويرها ، أتوقع أن لا نحقق أكثر من المصدقية في هذا الصدد ((! يعني النتيجة بعد قرابة ٢٠٠ سنة من عصر دارون هي ((لم نفهم بعد - آليات كيميائية - ربما سمحت - فرضية - يمكن أن ينبثق - اتوقع - لا نحقق)) . أما رتشارد دوكنز ففي نهاية فصل كامل من التهريج يشرح فيه ما يسميه نظرية الحساء العضوي الاولي ونظرية المعدنيات غير العضوية ، مع اقراره بفشلهما ، ويحاول فيه خداع القارئ بإقناعه أن احتمال نشوء حياة بصورة تلقائية في الارض بنسبة واحد من كذا مليار هو امر طبيعي معقول ولا يسمى ((صدفة)) !! بعد كل هذا التهريج والخداع كانت النتيجة هي : ((اننا مازلنا لا نعرف بالضبط كيف بدأ الانتخاب الطبيعي على الارض))^٢ ثم يقول أن أفضل ما تم التوصل اليه منذ عشرين سنة هو نظرية (المعدنيات غير العضوية) التي تفترض نشوء الحياة الاولي من معدن غير عضوي من مستنقع بلورات سيليكون تجمعت تلقائيا وضاعفت نفسها خلال مليار سنة حتى وصلت الى المرحلة العضوية بعدة طفرات ، واخطاء نسخ ، فأنتجت بضربة حظ مادة DNA الوراثة التي تطورت عنها جميع الكائنات الحية . ومستنقع بلورات السليكون هذا هو تعبير آخر عن ((طين لازب)) أي طين لزج متماسك، الذي نص عليه القرآن كأصل مادة الخلق فقال تعالى: ((إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ (١١) بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢) وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (١٣)))^٣. علما أن كل هذا الضجيج والعجيج

١ - كون من لا شيء ، الفصل التاسع ، ص ١٨٩-١٩٠
٢ - صانع الساعات الاعمى ، الفصل السادس ، ص ٢٢٩
٣ - سورة الصافات

لعلماء المادة إنما هو في الجانب المادي لوجود الكائنات الحية فقط ، وهم عن سر الحياة الذي يفرق بين الطين والانسان خارجون تخصصا .

الملحد - لقد تم فعلا انتاج خلية حية مختبريا.

المؤمن - زعم الاعلام الالهادي مؤخرا أن فريقا من العلماء استطاع انتاج خلية حية ، وطار سفهاء الملاحدة بذلك فرحا ، فلما اطلعنا على التقرير المصور المفصل وجدناه حالة تهجين صناعي لبكتريا حية، وليس انتاج خلية حية من مواد غير حية، كما ليس هو تطورا بالانتقاء الطبيعي بل باجتماع عشرات العقول عن قصد وهدف ويسمى الاصطفاء الصناعي، وهذا يؤكد بطلان مهزلة الانتقاء الطبيعي. فإن كان التفكير بأصل الحياة والكون في عصر دارون محض هراء، فهو الآن محض تهريج باسم العلم وافتراء، تدعمه ماديا واعلاميا مؤسسات الالحاد.

- هل هناك ملازمة بين الدارونية والالحاد؟

الملحد - أنتم ترفضون الدارونية لأسباب دينية فقط. لأن الدارونية توجب الإلحاد وتنقض قصة الخلق الدينية.

المؤمن - لا أبدأ، إنما نحن نرفضها لأنها فرضية فاشلة في حد نفسها، كما أوضحنا ذلك مفصلا، وإنما يتمسك بها بعض الملاحدة كذريعة لتبرير الحادهم الناشئ من أسباب غير علمية. حجة أن الدارونية توجب الإلحاد يبطلها بعض الملاحدة المختصين الذين رفضوا فرضية دارون ، و يبطلها بعض الملاحدة المختصين الذين قبلوها، ولكن لم يجدوا تعارضا بينها وبين الدين، و يبطلها بعض المؤمنين المختصين الذين قبلوها مع الايمان بالدين.

فهذا الدكتور ديفيد بيرلنسكي ، استاذ الفلسفة والرياضيات في الجامعات الاميركية والفرنسية ، وعضو بارز في مركز العلوم والثقافة من معهد ديسكفري ، ورأيه الديني لا أدري ، فهو ملحد لا أدري من اصل يهودي ، ولكنه اصطف مع المؤمنين للدفاع عن الدين ، بسبب ما رآه من هجوم غير مبرر وضجيج اعلامي باطل للملاحدة باسم العلم كما يذكر هو ذلك في كتابه

((وهم الشيطان - الإلحاد ومزاعمه العلمية)) فيقول في المقدمة : ((أنا يهودي علماني ، وتعليمي الديني لم يثمر كثيرا إذ بالكاد أتذكر كلمة عبرية واحدة ولا استطيع الصلاة ... ومع ذلك فالكتاب الذي بين يديك هو باعتبار ما دفاع عن الفكر الديني وعاطفته ... والحاجة ماسة الى الدفاع لأنه لم يتقدم لذلك أحد . إذ قد ترك نقاش هذا الامر لأشخاص يزدرون المعتقد الديني بصبيانية ... في مقابل عجز العلم عن الادلاء بشيء ذي بال حول الاسئلة العظيمة والمؤلمة عن الحياة والموت والمعنى. توفر التقاليد الدينية لبني الانسان معمارا فكريا متماسكا حيال هذه القضية . إن توقان الروح الانسانية ليس عبثا ، هناك نظام اعتقادي يتسع لتعقيدات الخبرة ، يوجد ثواب للمعاناة ويعتمل في الكون مبدأ يتخطى معنى السفه ، سيكون كل شيء على ما يرام ، لا أعلم إن كان شيء من هذا صحيحا ، ولكني على يقين أن المجتمع العلمي لا يعلم أنه خطأ))^١ ، وهو ناقد شرس لفرضية التطور الداروني ويرفض التنظير بخصوص بداية الحياة ، يقول في الفصل التاسع الذي خصه لنقد الدارونية : ((تنشأ الشكوك حول نظرية دارون لسببين : الاول النظرية لا تكاد تعني شيئا ، والثاني تدعمها أدلة شحيحة))^٢ فهي عنده فرضية فارغة من المحتوى العلمي ، ولا شيء عندها تقدمه للعلم ، ولا ربط لها بالإلحاد في ذاتها ، ولكنها تقدم للبلهاء آيدولوجية تقوم الطبيعة فيها بوظيفة الله ، وهذا الأمر هو الذي استدعى تصفيقا حارا لها من مؤسسات الإلحاد.

الملحد - هذا بيرلنسكي هو يهودي مؤمن يكتم ايمانه ليقضي على التطور الداروني، كما هو غير مختص.

المؤمن - وهذا الملحد البريطاني المشهور، خبير الفيزياء والرياضيات والفلك فريد هويل (توفي ٢٠٠١م) ، الذي ذكرنا سابقا رفضه فرضية مفردة التمدد الكوني وأنه هو من أسماها (الانفجار الكبير) من باب السخرية، وافترض النشوء المتواصل للمجرات لتفسير التوسع الكوني، هو أيضا هنا يرفض فرضية أصل نشوء الحياة في الارض بالانتخاب الطبيعي ، ويشبهها ساخرا بقيام زوبعة بصناعة طائرة بوينغ من كومة خردة ، ويذهب الى

^١ - وهم الشيطان ، ديفيد بيرلنسكي ، المقدمة ، ص ١٩-٢٣
^٢ - المصدر السابق ، الفصل التاسع ، ص ٢٣٠

افتراض مجيء الفايروسات وربما اشكال الحياة الاخرى الاكثر تعقيدا من الفضاء بواسطة المذنبات الى الارض ، ويرى أن متابعة التفكير المستقيم في هذه المسألة ، ودون المبالاة بالخوف من مخالفة الرأي العلمي السائد ، تؤدي إلى استنتاج مفاده أن المواد البيولوجية بما تحويه من قياس ونظام يجب أن تكون ثمرة تصميم ذكي^(١).

الملحد - إن فريد هويل هو ملحد فلكي مخرف، وليس مختصا في علم الأحياء.

المؤمن - وهذا الملحد يهودي الاصل جيرى فودور، بروفيسور واستاذ للفلسفة في الجامعات الاميركية ومشهور عندهم كعالم لغة ، و زميله الملحد ماسيمو بياتيلي بروفيسور العلوم المعرفية واللغويات وعلم النفس والاسس البيولوجية للغة وتطورها في الجامعات الاميركية ، صنفا في تهافت دارونية بالانتخاب الطبيعي كتابهما ((ما الذي أخطأ فيه داروين ؟)) ، وقد صدرا كتابهما بالتصريح بالحادهما فقالا : ((هذا ليس كتابا عن الله ، ولا عن التصميم الذكي، ولا عن الخلق ، ليس أيا من أحدنا متورط في شيء من ذلك ، لقد ارتأينا أنه من المستحسن أن نوضح هذا منذ البداية ، لأن رأينا الأساسي فيما سيأتي يقضي بأن هناك خطأ ما - وربما خطأ لدرجة قاتلة - في نظرية الانتخاب الطبيعي))^٢.

الملحد - إن جيرى فودر يهودي يكتم ايمانه كذلك، وأنهما ليسا مختصين بعلم الاحياء التطوري.

المؤمن - أرجو أن تنتبه يا عزيزي المجادل، إننا هنا لا نريد اثبات رفض علماء الأحياء لفرضية التطور الداروني، وانما نريد اثبات أنه لا توجد ملازمة بين ذات الفرضية والدعوى الالحادية، فجميع هؤلاء ملاحدة.

الملحد - هؤلاء لم يفهموا النظرية جيدا.

(١) التطور من الفضاء ، فريد هويل ، ص٢٧-٢٨

- قاموس اكسفورد علم الفلك ، مادة (فريد هويل)

٢ - ما الذي أخطأ فيه دارون ؟ ، جيرى فودور و ماسيمو بياتيلي ، ص١٥

المؤمن - إذا كان ملاحظة أمثال بروفيسور في علوم اللغة واسسها البيولوجية في اميركا، وبروفيسور في الفيزياء والرياضيات والفلك في بريطانيا ، لا يفهمون نظرية دارون جيدا ، فعلى أي اساس انتم تدعون فهمها وتروجون بها للإلحاد بين العامة من الناس ؟ وإن كنتم تريدون الملحد التطوري المتخصص بالدارونية ، فخذوا اليكم الشاهد التالي:

ستيفن جاي جولد (توفي ٢٠٠٢م) الملحد الأميركي المشهور من اصل يهودي ايضا ، هو عندهم أكبر وأشهر عالم احياء تطوري متخصص في علم الاحافير وتأريخ العلوم في القرن العشرين كله ، بروفيسور في جامعة هارفارد الاميركية ، ورئيس الجمعية الاميركية للعلوم ، ورئيس جمعية الاحافير ، وغيرها من المناصب الدارونية ، الحائز على عدة جوائز منها جائزة (الاسطورة الحية) من مكتبة الكونغرس الاميركي ، وهو المحامي الشرس لتبرير التطور الداروني وترقيعه بالفرضيات، كفرضية التوازن المتقطع التي ذكرناها سابقا ، وهو صاحب المؤلفات والمقالات التطورية الاشهر . هذا الملحد التطوري المختص بالدارونية والاعرف بها تنقل الموسوعة البريطانية عنه فتقول : ((في كتاب "صخور الأعمار: العلم والدين في ملء الحياة" (١٩٩٩) ، رفض جولد ، الذي كان آنذاك رئيساً للجمعية الأمريكية لتقدم العلوم ، عمل الأفراد الذين حاولوا دمج العلم والدين. وفقا لجولد ، لم يكن العلم والدين في حالة حرب مطلقا ، لكنهما يجب أن يظلا منفصلين))^١. فمسألة اختصاصه بالدارونية مشهور ، وموقفه من عدم تعارض التطور الداروني ((العشوائي)) مع الدين مشهور أيضا، صرح به في مؤتمرات، وينقله الكثيرون ، ومسألة الحاده معروفة ، فإن جادل الملاحظة بأنه يهودي مؤمن يكتفم ايمانه ، يكفيننا الزامهم بإقرارهم أنه داروني متخصص ومؤمن بالله لأثبات المطلوب ، وهو بطلان الملازمة بين اصل الدارونية والإلحاد .

أما بالنسبة للمؤمنين بالله الذين يصرحون بإيمانهم ، و في ذات الوقت يتمسكون بالتطور الداروني فهم كثيرون ، وهم اصحاب فكرة (التطور

^١ - الموسوعة البريطانية ، مادة ((ستيفن جاي جولد))

الموجّه) أي دعوى أن تطور الانواع بالاصطفاء الطبيعي الداروني والطفرات ، هو أمر موجه ومقصود من الله وليس عشوائيا. فهم يقرون اصل التطور الداروني أي انبثاق الانواع من بعضها البعض من سلف مشترك ، كما يقرون اليات التطور الدارونية واهمها العوامل الطبيعية والطفرات الوراثية ، ولكنهم يرفضون كون هذا الآليات تعمل بصورة عشوائية غير موجهة من الله . ومن اشهر هؤلاء كينيث ميلر الدكتور الأستاذ في الجامعات الاميركية ، هو أمريكي مسيحي كاثوليكي، وهو مختص بعلم الوراثة وعلم الأحياء الخلوي والبيولوجيا الجزيئية ، وهو معروف بمعارضته لفكرة الخلق الاستقلالي للأنواع ، بما في ذلك فكرة التصميم الذكي، وقد كتب حول هذا الموضوع كتاب (العثور على اله داروين) وهو يرى فيه ان قبول التطور الداروني متوافق مع الإيمان بالله ، وأنه لا يرى معارضة بين التطور الداروني وعقيدته المسيحية الكاثوليكية^(١).

- فرانسيس كولينز يقصم ظهر الإحاد الداروني

فرانسيس كولينز (وُلد في ١٤ أبريل ١٩٥٠) هو عالم وراثة طبية أمريكي، مشهور باكتشاف الجينات المرتبطة بعدة أمراض وراثية، وكان له دور قيادي في مشروع الجينوم البشري. ويشغل منصب مدير معاهد الصحة الوطنية الأمريكية. قبل تعيينه مديرا لمعاهد الصحة الوطنية تولى كولينز قيادة مشروع الجينوم البشري وعدة مبادرات بحثية جينية أخرى بصفته مدير معهد أبحاث الجينوم البشري الوطني (NHGRI)؛ معهد من بين ٢٧ معهدا ومركزا بحثيا تابع لمعاهد الصحة الوطنية. وقبل انضمامه لمعهد أبحاث الجينوم البشري، اشتهر كولينز بلقب «صائد الجينات» في جامعة ميشيغان. رُشح كولينز للانضمام لمعهد الطب وأكاديمية العلوم الوطنية، وفاز بوسام الحرية الرئاسي وقلادة العلوم الوطنية.

(١) توقيع في الخلية ، ستيف ماير ، ص ٥٨٠

ألف كولينز عددًا من الكتب عن العلوم والطب والدين، ومن ضمنها كتاب (لغة الإله: العلم يقدم دليلًا للإيمان) الذي تصدر قائمة نيويورك تايمز لأكثر الكتب مبيعًا. ترأس كولينز مؤسسة بيولوجوس عقب توفقه عن العمل لدى معهد أبحاث الجينوم البشري، وهي منظمة تشجع النقاش حول علاقة العلم بالأديان، وتؤيد الرأي القائل بأنه يمكن التوفيق بين المعتقدات المسيحية ونظرية التطور والعلوم بصفة عامة، لا سيما عن طريق تطوير مفهوم الخلق التطوري. وفي عام ٢٠٠٩ عين البابا بندكت السادس عشر كولينز رئيسًا للأكاديمية البابوية للعلوم.

فرانسيس كولينز هذا من اتباع (التطور الموجه). فرانسيس كولنز عالم الجينات الأمريكي الأشهر ، وعضو الاكاديمية الاميركية للعلوم ، وهو مدير مشروع الجينوم البشري أعقد وأعمق مشروع بيولوجي على الاطلاق ، وهو المشروع الذي تولى دراسة الخارطة الجينية للبشر، هذا الرجل هو مسيحي مؤمن وهو عضو الاكاديمية البابوية للعلوم ، وهو من اتباع التطور الموجه، ويرفض عقيدة الخلق الاستقلالي، كما يرفض فكرة التصميم الذكي التطوري، ولكن قيل انه من اتباع التصميم الذكي، وقد صنف في ذلك كتابا بعنوان (لغة الإله – عالم يقدم دليلًا على الايمان) وفيه أعلن عن عدم التعارض بين التطور الداروني والايمان ، حيث يشرح في مقدمة الكتاب كيف أنه وقف بجانب الرئيس الاميركي كلنتون في مطلع القرن الحادي والعشرين سنة ٢٠٠٠م ، ليشرح للعالم طبيعة مشروع الجينوم وغاياته ونتائجه ، ويقول أن الرئيس كلنتون قد ربط بين العلم والدين في خطابه مما أثار دهشة البعض ، وأنه لأجل الرد على توهم التناقض بين العلم والدين صنف هذا الكتاب ، فيقول: ((هذه المشاعر قد تكون محيرة للبعض الذين يفترضون أن العالم الجاد لا يمكن أن يكون مؤمنا حقيقيا بالله المتعالي . هذا الكتاب هو لدحض هذه الفكرة، وذلك من خلال القول أن الايمان بالله يمكن أن يكون عقلانيا تماما، وأن مبادئ الايمان في الحقيقة تتكامل مع مبادئ العلم))^١. ثم يشرح في الفصل الاول من كتابه كيف أنه نشأ فعلا في عائلة لا دينية وشب ملحدا لا أدريا، ثم أهتدى للإيمان بعد أن برع في علوم

^١ - لغة الإله ، فرانسيس كولنز ، المقدمة ، ص ١١

الرياضيات والكيمياء والاحياء والفيزياء والطب، وكما هو واضح من عنوان كتابه (لغة الاله) فإنه يقصد نقض كتاب (وهم الاله) لنجم الالحاد الداروني الذي يضل العامة ويصادر إيمان العلماء. إن فرانسيس كولنز من حيث تخصصه ومكتشفاته وجهوده وقيمه العلمية ومركزه الوظيفي والأكاديمي وفق المقاييس الغربية، لا يرقى ريتشارد دوكنز وجميع ملاحدة التطور الداروني الى قلامة ظفره. إن فرانسيس كولنز علميا وعمليا قسم ظهر الإلحاد الداروني.

في مقابل جماعة التطور الداروني بكلا قسميه: التطور الداروني (العشوائي) والتطور الداروني (الموجّه) ، يقف جماعة نظرية (التصميم الذكي) يدعمهم مركز العلم والثقافة التابع لمعهد ديسكفري في اميركا ، وهؤلاء يعتقدون أن تصميم الكائنات الحية هو أعقد مما يمكن اختزاله بالتكيف البيئي و تنازع البقاء والطفرات الوراثية والانجراف الوراثي ، وانما هو دال على وجود مصمم حكيم متقن لعمله ، لكن من دون تشخيص ذات المصمم. و هؤلاء منهم ملاحدة مثل ديفيد بيرلنسكي الذي ذكرناه سابقا مؤلف كتاب (وهم الشيطان) ، ومنهم مؤمنون بالله مثل ستيفن ماير مؤلف كتاب (توقيع في الخلية) ، و وليم ديمبسكي مؤلف كتاب (تصميم الحياة) ، وجوناثان ويلز مؤلف كتاب (ايقونات التطور) ، ومايكل بيهي مؤلف كتاب (صندوق داروين الاسود). وهم عموما على قسمين ايضا : قسم جماعة التصميم الذكي (التطوري) وهم الذين لا يرون تعارضا بين أصل مفهوم التطور وهو (نشوء الانواع من سلف مشترك) وبين أن يكون ذلك بتصميم وتدخل مباشر من مصمم ذكي ، إنما هم يرفضون فقط آليات التطور الداروني الاصطفاء الطبيعي والطفرات ، فيكون معنى التطور النوعي عندهم هو ظهور دفعي مباشر للنوع من نوع سابق ، كحالة انجاب ولد لا يشبه والديه ، وليس بمعنى ظهور النوع بالتدرج بالتفاعل مع البيئة والصراع من اجل البقاء لأفراد نوع سابق عبر ملايين السنين ، بخلاف اتباع التطور الداروني (الموجّه) الذين يقبلون آليات الدارونية ولكنهم يقولون أنها موجهة هادفة مقصودة من الله تعالى فهي آليات الله تعالى وليست آليات الطبيعة العمياء. ونحن هنا نقف لنقول إن مجرد القول أن آليات التكيف

البيئي والاصطفاء والطفرات موجهة من الله هو مجرد لغو هراء، لا يغير من الواقع العبثي لآليات التطور الداروني شيئاً، فهي في حد نفسها آليات عبثية بل غير ثابتة كما اوضحنا سابقاً. ومن اشهر اتباع التصميم الذكي (التطوري) مايكل بيهي وهو عالم الكيمياء الحيوية الكاثوليكي الاميركي، ينص في كتابه : ((بل إنني أجدُ فكرة السلفِ المشترك - كل الكائنات ذات سلف مشترك - مقنعة بشكلٍ مقبول وليس لديّ سببٌ معينٌ للشك فيها... رغم أن الآلية الداروينية - الاصطفاء الطبيعي المعتمد على الاختلاف - قد تشرح العديد من الأشياء ، لكن لا أعتقدُ أنها تفسر الحياة الجزئية))^١ فهو يتقبل أصل مفهوم التطور (النشوء من سلف مشترك) ولكنه يرفض كفاية آلية الاصطفاء الطبيعي والطفرات لتفسير التصميم العظيم للخلية الكاشف عن وجود مصمم أعظم.

أما القسم الثاني من جماعة التصميم الذكي ، فهم جماعة فكرة التصميم الذكي (الاستقلالي) الذين يعارضون فرضية التطور جملة وتفصيلاً ، أي يرفضونها كمفهوم وكآليات، ويعتقدون أو يؤيدون الإيجاد الاستقلالي للأنواع ، ومن هؤلاء الملحد اللا أدري ديفيد بيرلنسكي الذي نقلنا موقفه المشكك بأصل مفهوم التطور الداروني والمؤيد للتصميم للذكي الاستقلالي من كتابه (وهم الشيطان - الالحاد ومزاعمه العلمية) ، ومنهم الدكتور عالم الفلسفة والرياضيات وليم ديمبسكي و زميله الدكتور جوناثان ويلز عالم الاحياء المتخصص في البيولوجيا الجزيئية ، وكلاهما مؤمن بالله وقد صنفا كتاب (تصميم الحياة - اكتشاف علامات الذكاء في النظم البيولوجية) وفيه يعرضان موقف جماعة التصميم الذكي بكلا قسميه : التصميم التطوري بالمعنى الذي بيناه ، والتصميم الاستقلالي ، ويظهر من كلامهما تأييدهما التصميم الاستقلالي ، فيقولان : ((وبغض النظر عما إذا كان أحدنا مؤمناً بالخلق - كما في الإنجيل - أو ملحدا داروينياً أو أي شيء بينهما؛ فإن الجميع متفق على أن الإنسان لم يخلق من عدم ، وإنما جاء من مادة أخرى ... وبهذا الاعتبار يكون البشر والقروود طيناً معدلاً ، هذه هي الحقيقة بغض النظر عما إذا كان البشر قروداً معدلة أو لا. يتوافق التصميم الذكي مع هذه الإمكانية ،

^١ - صندوق دارون الاسود ، مايكل بيهي ، القسم الاول ، الفصل الاول ، ص ٢٣

وهناك من أنصار التصميم الذكي من يرفض هذه الإمكانية ، إلا أن أنصار التصميم الذكي الذين يقبلون فكرة انحدار الإنسان من الرئيسيات - كأسلاف - لا يقبلون بأن التطور ناتج بطريقة عشوائية... هناك سبب وجيه للتفكير بأن الإنسان لم ينتج بعملية إعادة تصميم ، وأن تصميم البشر قد بدأ من الصفر ... لم يصل منظرو التصميم الذكي لتوافق حول كيفية ظهور البشر، إلا أنهم متوافقون حول ضرورة الذكاء في تفسير أصله، بغض النظر عن العملية التي ظهر من خلالها الإنسان^١ .

* الخلاصة

إن عندنا اربع جماعات : جماعة التطور الداروني العشوائي امثال ريتشارد دوكنز وهو ملحد ، وعندنا جماعة التطور الداروني الموجه أمثال كينيث ميلر وهو مؤمن ، وعندنا جماعة التصميم الذكي التطوري أمثال مايكل بيهي وهو مؤمن ، وعندنا جماعة التصميم الذكي الاستقلالي أمثال جوناثان ويلز وهو مؤمن ، وكل واحد من هذه الاسماء هو متخصص في علم البيولوجيا . من جهة اخرى يوجد ملاحدة يرفضون الدارونية امثال فريد هويل و جيرى فودور و ماسيمو بياتيلي وديفيد بيرلنسكي ، وعندنا ملاحدة يقبلون التطور الداروني العشوائي ولكن لا يرونه معارضا للدين مثل ستيفن جاي جولد ، وعندنا مؤمنون يقبلون التطور الداروني الموجه مثل فرانسيس كولنز ، وعندنا مؤمنون يقبلون التصميم الذكي التطوري مثل مايكل بيهي .

هذا معناه تهافت الملاحدة عموما ، وتهافت التطوريين خصوصا ، وأن دعوى الملازمة بين الدارونية والإلحاد، هي دعوى باطلة، وأن الدعوة للإلحاد باسم الدارونية ، التي يقودها بعض ملاحدة الدارونية العشوائية امثال ريتشارد دوكنز ، هي دعوة باطلة في نفسها ولا علاقة للعلم بها ، وهي تضليل اعلامي تقوده مؤسسات الالحاد العالمي لأجل خداع بسطاء الوعي والخبرة ، ولأجل إعطاء مبرر علمي مزيف للملاحدة يسترون به دوافعهم

^١ - تصميم الحياة ، وليم ديمبسكي و جوناثان ويلز ، الفصل الاول ، ص ٥١-٥٢

الحقيقية للإلحاد . إن دارون نفسه لم ينظر في أصل المادة وأصل الحياة، وكان يعتبر أن محاولة التنظير في ذلك هي محض هراء، كما أن دارون نفسه لم يلحد كنتيجة لفرضيته في ظهور الأنواع، بل هو كان ملحدا لا أدريا قبلها لأسباب نفسية اسرية، معتقدا بالمذهب المادي الذي يقول بأصالة المادة ويرفض وجود اي شيء ما وراء المادة ، ولأجل ذلك فبرك له مزاجه الالحادي هذه الفرضية كي يبرر لنفسه الحادها ، كما يشير الى ذلك الملحد ستيفن جاي جولد، المحامي الشرس عن الدارونية العشوائية ، وهو يشرح سبب تأخر دارون اكثر من عشرين سنة لإعلان فرضيته ، حيث يقول إن مذكرات دارون المتقدمة تبين أنه قد ألد قبل استنتاج فرضية التطور بالانتخاب الطبيعي فمذكراته ((تشمل العديد من المقولات التي تبين انه اعتنق أمرا اكثر بدعية من فكرة التطور نفسها، ولكنه يخشى الافصاح عنه : المادية الفلسفية ، وهي الفرضية القائلة بأن المادة جوهر وجود الاشياء ، وأن كل الظواهر العقلية والروحية ناتج عرضي))¹.

- مسألة التوفيق بين الدارونية والقرآن

الملحد – بالنتيجة هل أنتم تعتقدون بموافقة نظرية التطور الدارونية لقصة الخلق في القرآن؟

المؤمن – نحن قد استعرضنا فرضية التطور الداروني مع الآليات والأدلة ، وقد وجدناها فرضية فاشلة بكل معنى الكلمة، ولا يقوم شيء منها على دليل يصلح كحجة شرعية لمعارضة ظاهر القرآن الكريم بالخلق الاستقلالي للأنواع الحية عموما وللإنسان خصوصا. ولهذا فنحن لسنا بحاجة أصلا للتوفيق بين ظاهر القرآن الكريم، بحسب فهمنا له وفق القواعد الشرعية والضوابط الاصولية المقررة في محلها، وبين فرضية التطور الداروني، لأن الحاجة للتوفيق إنما تكون عند ثبوت الحجة الشرعية لفرضية التطور الداروني، وهي مفقودة كما أوضحنا. ينبغي أن تعرفوا أن المعارضة

¹ - منذ زمن دارون ، ستيفن جاي جولد ، الباب الاول ، الفصل الاول ، ص ٣٣

الظاهرية التي تحتاج الى الرفع بالتوفيق والجمع بين دليلين ، إنما تكون بين الدليلين اللذين يكون كل منهما هو حجة شرعية في حد نفسه ، أي الدليل الذي يلزم الاعتماد عليه والاخذ به والعمل عليه شرعا في حد نفسه، لولا وجود دليل آخر معارض ، وليس بين دليل ثبتت حجيته شرعا كظاهر القرآن ، وبين دليل لم تثبت أصلا حجيته في حد نفسه شرعا كالتطور الداروني بجميع صورته ، سواء التطور الداروني بالانتقاء الطبيعي العشوائي، أو التطور الداروني الموجه الهادف، أو التصميم الذكي التطوري، فما يفعله أتباع التطور الداروني الموجه وأتباع التصميم الذكي التطوري من التوفيق بين التطور الداروني العشوائي وعقيدة الخلق الاستقلالي؛ لا نراه فعلا صائبا، لأنه كما قلنا أن التطور الداروني هو فرضية غير ثابتة في حد نفسها من حيث المفهوم، وباطلة من حيث الآليات والأدلة.

الملحد – عجيب، أنتم الشيعة تروون أن الله قد خلق قبل ابيكم آدم ألف آدم، فكيف تنكر التطور الداروني!

المؤمن – لا تستعجب، فهناك من تمسك بهذه الرواية، وبألفاظ السلالة والأطوار الواردة في القرآن الكريم، وبمثل كلام ابن خلدون وغيره؛ ليوفقوا بين الدارونية والقرآن، لكن الصحيح عدم دلالة ذلك على التطور بالمفهوم الداروني، أي ظهور الأنواع الحية من بعضها البعض واتحادها بسلف مشترك.

- كيف الخلق من الطين؟

الملحد - لاحظ طريقة الخطاب التي يخاطب بها القرآن في قوله: ((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩)))^١ وفي قوله: ((إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ

^١ - سورة الحجر

وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَاإِنلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ
أَسْتَكْبِرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ
مِنْ طِينٍ (٧٦) قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ
الَّذِينَ ((٧٨)))^١ ؛ إنها اكبر دليل على ان القرآن صناعه بشرية.

المؤمن - كلا لم ألاحظ ما تدعيه، افيدونا بالبيان.

الملحد - إنه كلام بشري، لأنه لم يبين كيف تحول الطين الى كائن حي (آدم)؟

المؤمن - كما تحول المصانع كتل المعادن والسوائل الى طائفة.

الملحد - إني اسأل عن الكيفية وليس عن التشبيه. كيفية تحويل المعادن الى
طائرات معروفة. كيف حول الطين الى كائن حي.

المؤمن - على مثل هذه الاسئلة عن اسرار الخلق والتدبير الالهي: لماذا
وكيف ومتى واين؟؟ نجيب بجوابين: جواب عام يشمل كل سؤال من هذا
النوع، وجواب خاص يخص نفس السؤال المطروح.

الجواب العام: أخي السائل الكريم نحن أولا بشهادة الفطرة السليمة والعقل
السليم وتواتر الانبياء نؤمن بوجود الله تعالى، ونشهد بكونه كمالا مطلقا
منزها عن اي شائبة نقص، فهو عادل مطلق لا يشوبه ظلم وهو حكيم مطلق
لا يشوبه عبث وعليم مطلق لا يشوبه جهل وقدير مطلق لا يشوبه عجز
وغني مطلق لا يشوبه فقر، وهكذا الى اخر صفات الكمال والجمال والجلال،
وفي ذات الوقت نشهد على انفسنا بأننا قاصرون ناقصون محدودون من
جميع الجهات، فلذلك يستحيل احاطة القاصر المحدود بالكامل المطلق. خذ
شاهدا من نفسك فانت حينما كنت طفلا يستحيل في مستواك ان تحيط بحكمة
تدبير والديك، وانت حتى بعد أن بلغت لا تحيط بتفاصيل اسرار علوم
تخصص البروفسور في علم معين في تخصص معين لست من أهله، فمالك
يا أخي تريد الإحاطة بأسرار التدبير للكامل المطلق!! نعم يا أخي لا علم لنا

الا بمقدار ما أعلمنا الله تعالى. نعتزف بذلك اعتراف عالم بنفسه وليس اعتراف جاهل.

الجواب الخاص: المقدار المتيقن هو قوله تعالى: ((الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٩))^١. أي أن المقدار المتيقن هو الخلق الدفعي الاستقلالي للإنسان من طين، والخالق هو الله تعالى في أحسن تقويم.

الملحد - الذي تجهله من كيفية خلق الحياة، شرحته وقدمته بأدلة حسية واضحة وصريحة (نظرية التطور) لدارون.

المؤمن - بل هي كما أوضحنا مجرد فرضية غير ثابتة من حيث المفهوم، وأدلتها باطلة. هي فرضية قد ولدت ميتة، يرقعونها كل يوم بالطفرات والأحفورات المفبركة خدمة للإلحاد، لأنه لا توجد فرضية لا دينية أكثر أناقة منها مقابل عقيدة الخلق الدينية، و اللطيف أن هناك الكثير من الملاحظة المتخصصةين رفضها، كما رفضها أشهر علماء البيولوجيا الجزيئية، وهناك البعض ممن حاول توفيقها مع الدين، لكن اصل مسألة محاولة التوفيق باطلة لأن الفرضية هي في حاق نفسها غير ثابتة. تهشمت عكازة الزمن التي كان يتكأ عليها دارون والدارونيون الكلاسيكيون، فلادوا بالطفرات. انفجار الكمبري أبكى دارون نفسه و أقر بهزيمته في كتابه وأوكل الأمر الى من بعده، واليوم و منذ ١٥٠ سنة لم تظهر الحلقات المفقودة في السجل الاحفوري من آلاف الأنواع المستقلة المستقرة. دارون مقرا بجهله المفرط في تفسير ما ينافي فرضيته ، كبقاء ما يراه تافه المنفعة كذيل الزرافة ، وكتكوين ما يراه معقد التصميم كالعين ، يقول : ((بما أن الانتقاء الطبيعي يعمل عن طريق الحياة والموت - عن طريق البقاء للأصلح وعن طريق الإبادة للأفراد الأقل في الصلاحية التامة - فقد شعرت في بعض الاحيان بصعوبة كبيرة

١ - سورة السجدة

في تفهم النشأة أو التكوين الخاص بالأجزاء قليلة الأهمية ، وكانت هذه الصعوبة التي واجهتها بنفس القدر من الضخامة تقريبا – ولو أنها من نوع مختلف تماما – مثل الموجودة في حالة أكثر الاعضاء الجسدية اكتمالا وتعقيدا . وفي المقام الاول ، فنحن في حالة جهل زائدة عن اللزوم فيما يتعلق بالنظام الكلي الخاص بأي كائن واحد من الكائنات العضوية))^١، والى اليوم يعجز الداروينيون عن تفسير الكائنات الحية حسب الدارونية. أما الجينولوجيا فهي القشة التي تمسك بها الداروينيون المعاصرون من الملاحدة، فانكشف انها القشة التي قصمت ظهر البعير، فتشابه الجينوم في البيولوجيا المعاصرة ليس سوى إعادة تدوير لحجة التشابه البنيوي التي اسست لهذا التوهم عند دارون وعند من سبقه. أما عن كيفية تشكل الخلية الحية الأولى فهم يقرون بجهلهم المفرط بكيفية تفاعل المواد الكيميائية الأولية لتكوين الأحماض الأمينية التي أنشأت بروتين الخلية، فضلا عن معرفة سر الحياة فيها. يقول اثنان من علماء الدارونية في جامعة نورث كارولينا عن خلاصة بحثهما المنشور عن أصل الحياة: ((نحن نعرف الكثير عن LUCA "الخلية الحية الأولى المفترضة" وبدأنا في التعرف على الكيمياء التي أنتجت اللبنة مثل الأحماض الأمينية ، ولكن بين الاثنين هناك صحراء من المعرفة، لم نعرف حتى كيفية استكشافها))^٢، أما الملاحدة فيتشبثون بأي قناع ليستروا دوافعهم النفسية للإلحاد.

الملحد – وجود النواقص في النظريات لا يعني بطلانها، فالعلم دائما يصحح نفسه. أما أنتم فتحتكمون الى الجهل لإثبات دينكم؟

المؤمن – كيف لا يعني بطلانها! بدون ثبوت الآليات والأدلة تبقى مجرد دعوى. إننا لا نلجأ الى الله لسد فراغات، لأننا لا ندعي مثلكم علما مستقلا عن الله تعالى، وإنما نحن نؤمن بأصالة وجود الله تعالى وأنه حي حكيم قدير عليم مطلقا، وأنه هو مسبب الاسباب ومقنن القوانين، وبالتالي فنحن نوكل ما نجهله الى علمه المطلق، أما أنتم فتؤمنون بأصالة المادة الميتة العمياء الهوجاء العشواء، وتقررون كل مرة بجهلكم وقصور فهمكم وفجوات

^١ - اصل الانواع ، ترجمة مجدي محمود المليجي ، الباب السادس ، ص ٣١٦
^٢ - موقع كلية الطب جامعة نورث كارولينا UNC SCHOOL of MEDICINE

فرضياتكم المخالفة للفطرة وللمنطق السليم وللحس العام ، ثم تهرعون لترقيع ذلك في كل مرة الى حشد البط والقروود.

الملحد – ماذا تقصد بحشد البط والقروود؟

المؤمن - المقصود من مفهوم (حشد البط) هو احتكام الملاحظة الى الاستدلال غير العلمي ، أي الاتيان بمقدمات لا تؤدي الى النتيجة ، ثم البناء على هذه النتيجة . وقد استعرنا هذا المفهوم من كلام نجم الاحاد الفيزيائي لورانس كراوس في كتابه (كون من لا شيء) عند اعترافه بأن أدلته لا تدعم النتيجة التي يبني عليها فرضياته الباطلة ، حيث قال : ((أن هناك رأيا تتزايد قوته بين علماء الكون مجددا مؤداه : لو أنه يمشي مثل البطة ويبدو مثل البطة ويبطبط مثل البطة ، فهو على الأرجح بطة))^١ فهو ترجيح على أساس الاحتمال ، ثم بناء نظريات اساسية على هذا الاحتمال الضعيف والتعامل معها على انها حقائق واقعية والتضجيج بها إعلاميا . والمقصود من مفهوم (حشد القروود) هو احتكام الملاحظة الى الصدفة والعشوائية وضربة الحظ كلما ضاق عليهم الخناق وعجزوا عن تزوير دليل بصورة علم ، واستعارة هذا المفهوم هي من المثال المشهورة للسخرية من الملاحظة ، حيث يرجعون اصل الكون والحياة بما فيهما من عظيم التصميم الذي يقرون به الى الصدفة والعشوائية ، فيقال لهم أن نسبة الكون والحياة الى الصدفة ، كنسبة قيام حشد من القروود بالضرب العشوائي على الآلة الكاتبة فيخرج كتاب في منتهى الجمال والكمال .

-هل قالت الفيزياء بأزلية المادة والطاقة؟

الملحد – اذا كنتم تجهلون كيف حدث الكون والحياة فكلامكم عن وجود خالق لهما محض هراء.

^١ - كون من لا شيء ، الفصل السادس ، ص ١٣٥

المؤمن – بل ما تقوله هو محض الهراء والجهل. إن الجهل بكيف الصنع لا ينافي العلم بالصانع. أنت تجهل كيفية صنع هذا الموبايل لكنك تعلم بأن له صانعا عالما خبيرا قاصدا، فجهلك بكيفية الصنع لا يلغي علمك بوجود الصانع وكونه عالما خبيرا قاصدا. ونحن نعلم بوجود الله تعالى وأنه خالق الكون والحياة وأنه عليم خبير قدير حكيم، بدلالة الفطرة والعقل والنبوة، فلا يضر جهلنا بالكيف علمنا بالله تعالى. أما أنتم فجهلكم بكيف حدوث الكون والحياة يبطل زعمكم عدم افتقار الكون والحياة لله تعالى، لأن دعواكم عدم حاجة الكون والحياة لخالق عليم خبير قدير حكيم هي مستندة الى زعمكم معرفة كيف حدوث الكون والحياة، فلما ثبت جهلكم المحض بالكيف ثبت بطلان دعواكم عدم الحاجة لله تعالى.

الملحد - أنتم تناقضون انفسكم دون ان تشعروا!! تقولون إن المادة لا تخلق ذكاء وبالوقت نفسه تقولون إن الإنسان خلق من تراب!! ولكن التراب هو مادة وخلق منها الإنسان!!

المؤمن – وأنتم لديكم قصور في الوعي. لماذا لا تفهمون أن المادة لا تخلق نفسها بنفسها، وأنها لا تملك في نفسها وعيا وإرادة، بل هي مفتقرة الى خالق عليم حكيم مدبر، فمن خلق المادة وقنن قوانينها ليخلق منها كونا وإنسانا؟؟ إنه الله تعالى، فلا تناقض إلا في عقلكم.

الملحد – المادة أزلية لا تفنى ولا تخلق، وقانونها هو الاصطفاء الطبيعي.
المؤمن – كلامك قديم، فالملاحظة انتقلوا الى القول بأزلية الطاقة وحدوث المادة.

الملحد – لا فرق، فالمادة والطاقة وجهان لعملة واحدة، وحالتان لشيء واحد، كالسيولة والصلابة حالتان للماء.

المؤمن – لو كانتا وجهين لعملة واحدة لما عدلوا المبدأ من أزلية المادة الى أزلية الطاقة، فالتغيير ليس مجرد تغيير لفظي وتبديل لفظ بلفظ مرادف له، بل هو تغيير في المدلول. ولو كانتا مجرد حالتين لشيء واحد وحقيقة واحدة

والتغيير فيزيائي شكلي كالميوعة والانجماد بالنسبة للماء؛ لبقيت الحقيقة النوعية محفوظة في الحالتين، كما أن الحقيقة المائية محفوظة في الحالة السائلة للماء والحالة الصلبة. لقد خدعكم الملاحظة بدعوى أن المادة والطاقة وجهان لعملة واحدة، فهم يعرفون أنهما حقيقتان متغايرتان، ويعرفون أن خصائص المادة كالكتلة والحجم ليست من خصائص الطاقة، ولكنهم منذ معضلة (ازدواجية الجسيم – الموجة) في تفسير الضوء، وهم يقعون في جهل من معرفة كنه حقيقة الطاقة، فإذا لم يكونوا يعرفون كنه حقيقة الطاقة فكيف يزعم الملاحظة أن المادة والطاقة حقيقة واحدة والاختلاف شكلي! يقر لورانس كراوس بجهلة بحقيقة الطاقة وهو في صدد تبرير جهله بالطاقة المظلمة فيقول: ((إن أحد جوانب المشكلة هي أنه اتضح لنا أن الطاقة التي نعرفها في مجالات أخرى في الفيزياء ليست مفهوماً واضح التعريف على وجه الخصوص على سلم المقاييس الضخمة في الكون المنحني ... و بالإضافة الى ذلك إذا كنا بصدد تعريف الطاقة الكلية التي يحتويها الكون ، فلا بد أن نأخذ في اعتبارنا كيف نضيف الطاقة التي يمكن أن تكون لا متناهية مكانياً في الكون)).¹

الملحد – إن قانون تكافؤ المادة والطاقة أثبت اتحادهما.

المؤمن – هذا هو مما خدعكم به الملاحظة. إن معادلة أينشتاين الشهيرة باسم مبدأ تكافؤ الكتلة والطاقة ($E=mc^2$) وهي أشهر المعادلات الفيزيائية في القرن العشرين، وتمثل هذه المعادلة إحدى نتائج النسبية الخاصة لأينشتاين؛ إنما تعني إن مقدار الطاقة لمقدار معين من أي مادة هو يساوي حاصل ضرب كتلة هذا المقدار من المادة في مربع سرعة الضوء. ولا يعني هذا المبدأ أن المادة هي عين الطاقة، إلا باستعمال الملاحظة للحيل اللفظية.

الملحد – مع ذلك، فإن المادة تتحول الى طاقة، كما أن الطاقة تتحول الى مادة.

¹ - المصدر السابق ، الفصل العاشر ، ص ٢١٢

المؤمن – على فرض تسليم ذلك، فإن هذا برهان حدوث المادة والطاقة. لأن التحول يعني وجود حالة لم تكن موجودة، وهذا معنى الحدوث، ومبدأ السببية البديهي الصارم يوجب لكل حادث محدث. وتسلسل العلل المحدثة الى ما لانهاية مستحيل عقلا، فلزم بالجبر المنطقي وجود علة واجبة الوجود أزلية، خالق لكل شيء من المادة والطاقة غير مخلوق.

الملحد – إن مبدأ حفظ الطاقة أثبت أن الطاقة أزلية لا تستحدث ولا تفتنى، كما أن مبدأ حفظ المادة أثبت أزلية المادة كذلك.

المؤمن – إن هذه الكلام من خدع الملاحدة المعاصرين. كان الملاحدة القدماء يعتقدون بثبات الكون على ما هو عليه الآن، ويزعمون أزلية الكون، وبعد ثبوت التوسع الكوني وتفسيرهم له بفرضية الانفجار الكبير تبين لهم بطلان زعمهم أزلية الكون، فاعترفوا بأن الكون حادث وليس أزليا، وكما يقول نجمهم ستيفن هاوكنغ: ((ومع تراكم الدليل التجريبي والنظري، أصبح من الواضح أكثر وأكثر أن الكون له لا بد بداية في الزمان، حتى تمت البرهنة على ذلك نهائيا في ١٩٧٠ بواسطة بنروز وإيبي، على أساس نظرية اينشتاين للنسبية العامة)).^١ بعد ذلك انتقل الملاحدة الجدد الى زعم أزلية المادة التي نشأ منها الكون، لكنهم اختلفوا بعد ذلك في تفسير كيفية نشوء مادة الكون فظهرت عدة فرضيات، وأشهر هذه الفرضيات هي فرضية التضخم الكمي. هذه الفرضية تقول بنشوء المادة من الطاقة. وعلى هذا الأساس انتقل الملاحدة الجدد استنادا لفرضية التضخم الكمي الى القول بأزلية الطاقة، مع كونه لا دليل من نفس فرضية التضخم الكمي على أزلية الطاقة، بل بالعكس، الدليل قائم على حدوثها، فهم يقرون بتغيرها وتحولها بتموجها وهذا برهان حدوثها. لأجل ذلك التجأ الملاحدة لخداع البسطاء، فزعموا أن مبدأ تكافؤ الكتلة والطاقة يعني أن المادة والطاقة حقيقة واحدة، مع أن مبدأ تكافؤ الكتلة والطاقة ($E=mc^2$) يعني إن مقدار الطاقة لمقدار معين من أي مادة هو يساوي حاصل ضرب كتلة هذا المقدار من المادة في مربع سرعة الضوء. ولا يعني هذا المبدأ أن المادة هي عين الطاقة. كما زعموا أن مبدأ

^١ - تاريخ موجز للزمن ، ستيفن هاوكنج ، الفصل الثالث ص ٥٥

حفظ الكتلة يثبت أزلية المادة، مع أن مبدأ حفظ المادة أو حفظ الكتلة ينص على الآتي: إنه عند حدوث أي تفاعل كيميائي فإن كتل المواد المتفاعلة، تساوي كتل المواد الناتجة عن التفاعل. فهذا القانون ينص على أن المادة في نظام مغلق لا يمكن أن تنشأ أو تفتنى، أي لا تزيد ولا تنقص إلا أنه يمكن إعادة ترتيبها. أي أنه في أي عملية كيميائية أو فيزيائية في نظام مغلق، أي محصور بين المواد المتفاعلة في العملية، يجب أن تكون فيها كتلة المواد المتفاعلة مساوية لكتلة المواد الناتجة بعد انتهاء العملية، أي تبقى محفوظة بلا زيادة ولا نقصان^(١). فعلى سبيل المثال فإن الكتلة المستخدمة في إحدى العمليات الفيزيائية أو الكيميائية كتحويل المادة السائلة إلى غاز تبقى ثابتة؛ أي أن كتلة السائل المستخدمة تساوي كتلة الغاز الناتجة في حالة كان النظام معزولاً، وعند تدوير مقدار معين من الملح في مقدار معين من الماء، فإن كتلة الخليط الناتج تساوي مجموع كتلتي الملح والماء الداخلين في العملية، بشرط بقاء النظام معزولاً، أي عدم دخول شيء آخر في العملية، وهكذا أيضاً في التفاعلات الكيميائية. ثم ظهر رأي آخر وهو أن الكتلة غير محفوظة، ويظهر ذلك في نتائج العمليات النووية، حيث إن هناك جزء صغيراً جداً من كتلة المادة تم خسارته، فجاء مبدأ تكافؤ المادة والطاقة ليصح مبدأ حفظ الكتلة ويقول إن الكتلة لا تفتنى بمعنى أنها لم تنقص بل تحولت إلى طاقة، فهناك جزء صغير جداً يتحول إلى طاقة أما بقية الكتلة فتبقى محفوظة.

كذلك زعموا أن مبدأ حفظ الطاقة يثبت أزلية الطاقة، مع أن قانون حفظ الطاقة في الفيزياء ينص على أنه قيمة الطاقة الكلية في نظام مغلق لا تتغير. أي أنه في أي نظام مغلق، أي لا يحصل فيه تبادل ونقل للطاقة مع الغير، فإن الطاقة لا تستحدث ولا تنعدم، بمعنى أنها تبقى محفوظة فلا تزداد من نفسها ولا تنقص، ولكن يمكن أن تتحول من شكل لآخر، مثل الطاقة الحرارية في مادة تتحول إلى طاقة حركية أو بالعكس^(٢). وكما ترون فإن قانوني حفظ المادة وحفظ الطاقة إنما يتحدثان عن انحفاظ كتلة وطاقة الشيء

(١) موسوعة ويكيبيديا ، قانون حفظ الكتلة
(٢) المصدر السابق ، حفظ الطاقة

المحدد المحصور، ولا علاقة لهما بقضية أصل الوجود، لكن الملاحظة بالألفاظ يتلاعبون وللبسطاء يخدعون.

في المحاوراة الشهيرة التي اجرتها قناة البي بي سي مع ستيفن هاوكنغ وكارل ساغان وأرثر كلارك خبراء الفيزياء الكونية سنة ١٩٨٩ بعنوان ((الله والكون وما عداهما)) وهي منشورة على النت؛ قال كارل ساغان : ((لو ادرت الفلم الكوني للوراء ، ستنتهي عند لحظة ربما قبل عشرة او خمسة عشر الف مليون عام في الماضي ، ساعتها اجتمعت مادة الكون كله في نقطة ، والسؤال المركزي غير المجاب عنه - والذي ربما ظل هكذا - هو من اين اتت طاقة كل هذه المادة ؟ ماذا كان قبل هذا؟ ولو كان قد أتى من لا شيء فمن أتى به؟ ومن أتى بمن أتى به؟ وبالطبع تراجع لانهايي وراء هذا)). كذلك قال لورنس كروس: ((إنه لو تبني الشخص منظور أن الله علة العلل وبالتالي أبدي، حتى لو لم يكن هذا حال كوننا ، فسوف تنتهي فعليا سلسلة الرد بالمحال لسؤال ((لماذا)) حيث أن الضرورة المنطقية الواضحة للعلة الاولى هي مسألة حقيقية لأي كون له بداية، لذلك فإنه على اساس المنطق وحده لا يستطيع الشخص أن يستنتج رؤية لاهوتية للطبيعة إن الاجابة البسيطة وهي بالطبع: إن الفضاء الفارغ ((طاقة الوجود)) أو اللا شيء الجوهرى الذي يمكن أن يكون انبثق منه الفضاء الفارغ ، موجود مسبقا وأبدي))^١. كلاهما يقر ضمنا بعدم أزلية المادة والطاقة، وكلاهما يقر بعدم وجود دليل من الفيزياء يرجح ازليتهما، بل الدليل من الفيزياء قائم على حدوثهما وهو التغير والتحول، والجبر المنطقي يحتم انتهاء سلسلة الحوادث الى خالق غير مخلوق، وإن كان لورنس كروس يلود بخبث بالسفسطة والخداع اللفظي بقوله إن "اللا شيء الجوهرى" الذي نشأت منه طاقة الوجود التي منها نشأت المادة هو "يمكن" أن يكون موجودا أزليا!! فانظر الى مهزلة العقل الإلحادي.

^١ - كون من لا شيء ، لورانس كروس ، الفصل الحادي عشر ، ص ٢٢٠

- ما فائدة وجود كل هذه المجرات؟

الملحد - ما هو تقييمك لمهندس بنى قصرا فيه ٤٠٠ ترليون غرفة حتى يسكن عائلة واحدة بغرفة واحدة ولا أحد يستفيد من باقي القصر للأبد؟
المؤمن - من قال؟ اثبت أولا وجود عائلة واحدة فقط وأن الباقي فارغ وأنه لا فائدة له.

الملحد - كل البشرية تسكن كوكبا واحدا فقط من ترليونات الكواكب في الكون، والله يقول ((وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣)))^١. يعني اعتبر اننا سكان الكون الوحيدون وسخر لنا الكون كله بترليونات الكواكب والنجوم والمجرات التي ما استفدنا منها شيئا على الاطلاق.

المؤمن - الجواب:

١ - من قال إنه ليس هناك كائنات في غير الأرض تكون مسخرة لمن في الأرض؟ التسخير لمنفعة الانسان لا يعني عدم وجود غيرنا، إذن أين الملائكة والجن ويخلق ما لا تعلمون؟ كما أن العلم لم يحسم القول في مسألة وجود حضارات أخرى غيرنا. في المحاورة التي اجرتها قناة البي بي سي مع ستيفن هوكنج و كارل ساغان وارثر كلارك خبراء الفيزياء الكونية سنة ١٩٨٩ بعنوان ((الله والكون وما عداهما)) المنشورة على النت؛ قال كارل ساغان وهو الخبير العالمي الذي قضى عمره في تطوير ابحاث ووسائل الايجاد والاتصال مع حضارات خارج كوكب الارض: ((من وجهة نظري البحث عن حياة اخرى خارج الارض وبالذات البحث عن حضارة خارج الارض هو احد اهم الاسئلة الفلسفية والعلمية و الانسانية التي تم طرحها على الاطلاق ، لكننا مازلنا في البداية الاولى للبحث)) ، ورد ارثر كلارك على سؤال هوكنج عما لو كانت هناك مخلوقات ذكية في الكون غيرنا لماذا لم يزورونا حتى الآن؟ اجاب ارثر كلارك: ((لهذا السؤال عشرات الاجابات ، ربما جاؤوا بالماضي البعيد ، ربما زاروا الأرض كل بضعة عشرات

١ - سورة الجاثية

الالوف من السنين، ربما يعرفون أمرنا وربما يضعون كوكبنا في حجر صحي لأسباب جيدة حقا ، ربما فقدوا الاهتمام بنا، ربما كانوا ارقى بكثير حتى اننا لا نعدو كوننا مجرد تفاهة بالنسبة لهم ، تطول التخمينات بلا نهاية)).

٢- إن متطلبات وجودنا واستمرارنا والمشروع الإلهي لنا تتعدى خصائص الأرض والبيئة المحلية الشمسية الى خصائص الكون كله. يقر بذلك ستيفن هاوكنك فيقول: ((وقد نشأت الفكرة من أن الخصائص المميزة لنظامنا الشمسي ليست هي فقط التي يبدو أنها تفضي بغرابة لتطور الحياة لبشرية، لكنها خصائص مجمل كوننا أيضا، وهذا من الصعب جدا تفسيره..... ويبدو أن كوننا وقوانينه كليهما مصممان على يد خياط ماهر لدعم وجودنا))^١ ، فسبحان الله حيث يقول: ((أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ))^٢.

- شبهات حول تكوين الجنين والتكاثر

- ما معنى الصلب والترائب؟

الملحد - إذا أمكن تفسير هذه الآية: ((خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧)))^٣. ما المقصود بالصلب والترائب؟؟

المؤمن - كثيرا ما يشنع الملاحدة بهذه الآية على القرآن الكريم. فهل ممكن أن تخبروني بالنقض العلمي في هذه الآية؟

^١ - التصميم العظيم ، ستيفن هوكنج ، ترجمة ايمن احمد ، الفصل السابع ، ص١٨٧-١٩٥

^٢ - سورة لقمان

^٣ - سورة الطارق

الملحد – النقض العلمي هو أن الماء الدافق هو مني الرجل، والصلب بحسب معاجم اللغة هو العمود الفقري، والترائب بحسب معاجم اللغة هي منطقة موضع القلادة من الصدر، وقد ثبت علميا أن مني الرجل يتكون في الخصيتين ولا يخرج من العمود الفقري والصدر.

المؤمن – وهل الآية قالت إن الماء الدافق يخرج من الصلب والترائب أم من بين الصلب والترائب؟

الملحد – الآية تقول من بين الصلب والترائب.

المؤمن – وهنا وجه الخدعة في تشنيع الملاحدة، فالآية لم تقل بتكون المنى ولا خروجه من الصلب والترائب! بل قالت (يخرج من بين الصلب والترائب)، فلاحظوا كلمة (بين) جيدا فهي تسقط دعوى الملاحدة. دعوى الملاحدة تركز على طمس كلمة (بين) فيزعمون أن القرآن يقول بتكون المنى في العمود الفقري والصدر وخروجه منهما، وبملاحظة كلمة (بين) تنكشف الخدعة ويبطل تهريج الملاحدة بالنقض العلمي. الآية لم تقل بتكون المنى وخروجه من الصلب والترائب بل قالت يخرج من بين الصلب والترائب.

الملحد – وكيف تفسر خروج المنى من ((بين)) العمود الفقري والصدر؟

المؤمن – ينبغي أن تقرّوا أولا ببطلان نقضكم العلمي بدعواكم أن القرآن يقول بتكون وخروج المنى من العمود الفقري والصدر. وحينئذ فمهما كان تفسير الآية فإنه لا تناقض فيه بين العلم والقرآن.

الملحد – كلامك صحيح، لكن ما معنى خروج المنى من بين الصلب والترائب، في حين أنه يتكون ويخرج من الخصيتين، وهما لا تقعان بين العمود الفقري والصدر؟

المؤمن – في معنى الآية نقول:

أولا: الصلب هو العمود الفقري، أما الترائب فقد اختلفوا فيها فقالوا: ((والترائب مَوْضِعُ الْقِلَادَةِ مِنَ الصَّدْرِ وَقِيلَ هُوَ مَا بَيْنَ التَّرْفُوعِ إِلَى التَّنْدُوعِ

وقيل التَّرَائِبُ عِظَامُ الصِّدْرِ وَقِيلَ مَا وَلِيَّ التَّرْفُوتَيْنِ مِنْهُ وَقِيلَ مَا بَيْنَ التَّدْبِيرِ وَالتَّرْفُوتَيْنِ ... وَقِيلَ التَّرَائِبُ أَرْبَعُ أَضْلاعٍ مِنْ يَمَنِةِ الصِّدْرِ وَأَرْبَعٌ مِنْ يَسْرَتِهِ وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ قِيلَ التَّرَائِبُ مَا تَقَدَّمَ وَقَالَ الْفَرَّاءُ يَعْنِي صُلْبَ الرَّجْلِ وَتَرَائِبَ الْمَرْأَةِ وَقِيلَ التَّرَائِبُ الْيَدَانِ وَالرَّجْلَانِ وَالْعَيْنَانِ وَقَالَ وَاحِدَتَهَا تَرْيِبَةٌ^١.

فإن قلنا أن فاعل الفعل (يخرج) في قوله تعالى: ((خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧))) هو الماء الدافق، أي السائل المنوي الذكري، سيكون المراد من قوله تعالى: ((بين الصلب والترائب)) إشارة إلى مكان الغدد والأعضاء التناسلية للذكر التي يتدفق منها السائل المنوي، باعتبار أن الترائب كناية عن مقدم جذع الإنسان، جمعا بين أقوال أهل اللغة، والصلب كناية عن مؤخر جذع الإنسان، فيريد الله تعالى أن يقول إن الإنسان مخلوق من ماء مهين قليل في مكان من بدن مشتمل على العظام الصلبة في مؤخرته والأنسجة غير العظمية في مقدمته. وهذا كما في قوله تعالى: ((وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ (٦٦)))^٢ فقوله تعالى: ((من بين فرث ودم)) إشارة إلى الضرع الذي هو مكان الألبان في الأنعام، وهو يقع في مؤخرة البطن، باعتبار أن الفرث كناية عن الكرش في الأنعام، حيث أن (الفرث) هو السرجين مادام في الكرش فالكرش هو مكان الفرث، وباعتبار أن (الدم) كناية عن الأوعية الدموية فهي مكان الدم، والمقصود لفت النظر إلى عظيم التدبير والنعمة من الله تعالى، حيث من بدن مشتمل على القادورات وما لا يستساغ أكله بل هو مضر بالإنسان، يخرج سائل سائغ للشاربين ومشتمل على عظيم الفائدة للإنسان. فكذاك هنا في سورة الطارق، المقصود لفت النظر إلى عظيم التدبير والنعمة، وتذكير الإنسان بأصله، حيث أن أصله ماء متدفق من مكان في بدن مشتمل على العظام وغير العظام، في حين أن هذا الماء يختلف عن طبيعة سائر أعضاء وأنسجة وخلايا وسوائل الجسم من حيث أنه يشتمل على نواة الوجود الإنساني البديع، التي لم يدرك أسرارها

^١ - معجم لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (ترب)
^٢ - سورة النحل

البشر لحد الآن، فعلى الإنسان أن يذعن لخالقه ويترك الغرور والاستكبار والعناد. والنتيجة أنه على هذا المعنى فإن المقصود هو خروج المني من مكان بين مقدم الإنسان ومؤخره، حيث الترائب كناية عن مقدم الإنسان، والصلب كناية عن مؤخره، في إشارة الى الغدد والأعضاء التناسلية.

ثانيا: إن قلنا إن فاعل الفعل (يخرج) في قوله تعالى: ((خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧))) هو الإنسان فعلا وليس المني. بملاحظة تمام الآيات: ((فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠)))^١ فالذي خلق من ماء دافق هو الإنسان، وأنه على رجعه: أي رجع الإنسان، فماله من قوة: أي الإنسان، فهكذا أيضا الذي يخرج من بين الصلب والترائب هو الإنسان وليس المني، في إشارة الى رحم المرأة. الصلب العمود الفقري والترائب طبقات اللحم وانسجة الجسم وأحشاء البطن. وهذه الآية هذه تتحدث عن خروج الإنسان من رحم المرأة حيا. تقول يخرج الإنسان من رحم أمه حيا من بين عظم ولحم، بعد أن دخله كماء مهين ميت مدفوق في الرحم. الآية (خلق من ماء دافق) تتحدث عن مرحلة خلقة الانسان أولا كمادة ميتة مدفوعة في فرج المرأة، وكلمة (دافق) أي مدفوق مدفوع تشير الى عملية الجماع الممهدة للمرحلة الثانية، والآية (يخرج من بين الصلب والترائب) تخبر عن المرحلة الثانية وهي خروج المادة الميتة جنينا حيا من فرج المرأة. لذلك قال تعالى (انه على رجعه لقادر) اي كما ابتداء خلقه من مادة ميتة، ثم بث فيها الحياة واخرجها للدنيا كذلك سيعيده في الآخرة بعد موته، بأن يبث الحياة في مادته الميتة. فالكلام عن خلق الإنسان الكامل، أي الكائن البشري الحي مكتمل الأعضاء، وهذا لا ينتج من مرحلة الماء الذكري الدافق فقط، بل يحتاج الى مرحلة الرحم، وبالخروج من الرحم يكتمل خلق الإنسان. فهنا بملاحظة تمام الآيات وبملاحظة المقصد منها الذي هو بيان القدرة على إعادة الإنسان للحياة بعد موته؛ نفهم أن المراد من قوله تعالى: (يخرج من بين الصلب والترائب) هو خروج الإنسان كاملا حيا من رحم أمه، من بين عظام وأحشاء

^١ - سورة الطارق

البطن، بعد أن دخله نطفة ميتة. فالمقصد من الآيات هو كما في قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا.... (٥))^١ ، وكقوله تعالى: ((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (١٦))^٢. فهو كلام عن المرحلتين من الخلق في النشأة الأولى لبيان عدم استحالة البعث في النشأة الآخرة. والنتيجة أنه على هذا المعنى فإن المقصود هو خروج الإنسان حيا من رحم امه من بين العظام والأحشاء.

الملحد – تفسير جيد، ولكن بالنسبة للمعنى الثاني أين نجد في اللغة بأن الترائب بمعنى أحشاء البطن؟

المؤمن – نجدها في كلام الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام، الذي ينقله معظم أهل كتب اللغة والأدب، ولكنهم حاروا في فهمه، حتى قالوا إنه خطأ لغوي واشتباه من الراوي، أو أنه تفنن من باب المقلوب في اللغة. فلاحظ قولهم: ((قَوْلَ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ (لَيْنٌ وَلَيْتٌ بَنِي أُمِّيَّةَ لِأَنْفُضْنَهُمْ نَفْضَ الْقَصَابِ التِّرَابِ الْوَذِمَةِ) قَالَ وَعَنِي بِالْقَصَابِ هُنَا السَّبْعُ وَ(التِّرَابُ) أَصْلُ ذِرَاعِ الشَّاةِ وَالسَّبْعُ إِذَا أَخَذَ شَاةٌ قَبْضَ عَلَىٰ ذَلِكَ الْمَكَانِ فَنَفَضَ الشَّاةَ ... الأزهرِيُّ: طَعَامٌ تَرِبٌ إِذَا تَلَوَّتْ بِالتِّرَابِ قَالَ وَمِنْهُ حَدِيثٌ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَفَضَ الْقَصَابِ الْوَذَامَ التَّرْبَةَ. الأزهرِيُّ: التِّرَابُ الَّتِي سَقَطَتْ فِي التِّرَابِ فَتَتَرَّبَتْ فَالْقَصَابُ يَنْفُضُهَا. ابن الأثير: التِّرَابُ جَمْعُ تَرِبٍ تَخْفِيفُ تَرِبٍ يَرِيدُ اللَّحُومَ الَّتِي تَعَفَّرَتْ بِسُقُوطِهَا فِي التِّرَابِ وَالْوَذِمَةُ الْمُنْقَطَعَةُ الْأَوْذَامِ وَهِيَ السُّيُورُ الَّتِي يُشَدُّ بِهَا عُرَى الدَّلْوِ. قَالَ الْأَصْمَعِيُّ سَأَلْتُ شُعْبَةَ عَنْ هَذَا الْحَرْفِ فَقَالَ لَيْسَ هُوَ هَكَذَا إِنَّمَا هُوَ (نَفْضُ الْقَصَابِ الْوَذَامَ التَّرْبَةَ) وَهِيَ الَّتِي قَدْ سَقَطَتْ فِي التِّرَابِ. وَقِيلَ الْكُرُوشُ كُلُّهَا تُسَمَّى تَرْبَةً لِأَنَّهَا يَحْصُلُ فِيهَا التِّرَابُ

^١ - سورة الحج
^٢ - سورة المؤمنون

مِنَ الْمَرْتَعِ. وَالْوَدِيمَةُ الَّتِي أُخْمِلَ بَاطِنُهَا وَالْكُرُوشُ وَذِمَّةٌ لِأَنَّهَا مُخْمَلَةٌ وَيُقَالُ لِحَمَلِهَا الْوَدِيمُ وَمَعْنَى الْحَدِيثِ لَنْنَ وَلِيئْتُهُمْ لِأَطْهَرْتَهُمْ مِنَ الدَّنَسِ وَلِأَطْيَبْتَهُمْ بَعْدَ الْخُبْتِ))^١.

فالترائب هنا هي (التَّرابِ) بكسر التاء، وهي أحشاء البطن، وقد أقسم أمير المؤمنين أن ينفذ كروش بني أمية مما امتلأت به من أكل أموال المسلمين المحرمة عليهم، كما ينفذ القصاب كروش الأنعام مما بها من الفرت، وهذا على نحو التصوير المجازي، والمقصود أنه سيسترجع منهم كل ما أخذوه بالباطل من أموال المسلمين. فالسلام عليك يا أمير المؤمنين، فعلا أنت ترجمان القرآن والصراط المستقيم والإسلام الأصيل، ولكن المنافقين لم يمهلوك، والله غالب على أمره والعاقبة للمتقين. كذلك لاحظ كلمة ((ثرب)) بحرف التاء وليس التاء، فهي تعني: ((الثَّرْبُ: شَحْمٌ رَقِيقٌ يَغْشَى الْكَرْشَ وَالْأَمْعَاءَ، وَجَمْعُهُ ثُرُوبٌ. وَالثَّرْبُ: الشَّحْمُ الْمَبْسُوطُ عَلَى الْأَمْعَاءِ وَالْمَصَارِينِ))^٢ فمعناها ولفظها قريب من موضوعنا.

الملحد – لكن الرحم يكون بين جدار البطن والأمعاء الغليظة. الأمعاء الغليظة هي التي تكون بين العمود الفقري والرحم.

المؤمن – ينبغي أن يكون معلوما أن كلامنا هو عن خروج الجنين، أي عن الرحم المتوسع المشتمل على الجنين المقبل على الخروج. وفي هذه المرحلة يبدو واضحا انحشار الرحم بين المعدة والأمعاء والعمود الفقري، حيث تقع المعدة وجزء من الأمعاء فوق الرحم، كذلك فإن (الثرب) الذي هو الشحم الذي يغطي أسفل المعدة فإنه يغشى الرحم أيضا. وبالطبع فليس المقصود البيئية الهندسية الدقيقة هنا، بل البيئية بالمعنى اللغوي والفهم العرفي، أي المقصود خروج الجنين من منطقة مشتملة على عظام وأحشاء.

^١ - لسان العرب ، مادة (ترب)

^٢ - لسان العرب ، مادة (ثرب)

الملحد - فما معنى قول القرآن: ((وَحَلَالٌ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٣)))^١ وقوله: ((وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢)))^٢

المؤمن - كناية عن تمام بدن الإنسان أو خصوص مؤخر الإنسان، باعتبار أن الهيكل العظمي الجذعي هو به قوام البدن، فليس المقصود ذات الظهر وذات العمود الفقري تخرج منه الذرية، بدلالة أن آية ((من بين الصلب والترائب)) هي لم تقل من نفس الصلب بل قالت ((من بين الصلب والترائب))، فالمقصود ابناؤكم الذين من أصلكم لا الذين بالتبني. واستعمال الصلب والظهر كناية عن أصل الإنسان ونسبه شائع في كلام العرب، مع ملاحظة أن العرب بل كل الشعوب من قبل الإسلام تعلم بحقيقة وجود المني في الخصيتين وخروجه منهما، فليس دور الخصيتين كأعضاء تناسلية مهمة خافيا على معظم الناس، حتى يحتاج الى العلم المعاصر لاكتشافه.

- تكوين اللحم بعد العظام

الملحد - طيب نذهب لخطأ آخر وهو تكوين الجنين. يقول القرآن: ((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤)))^٣. واضح أنه إذا لم توجد مرحلة يتحول فيها الجنين إلى عظام قبل كسوتها باللحم فقد ثبتت بشرية القرآن لأن الخالق لن يرتكب خطأ ساذجا كهذا. وواضح أنه إذا كانت العضلات إنما تتكون قبل العظام فقد ثبتت بشرية القرآن. وواضح أنه

١ - سورة النساء
٢ - سورة الأعراف
٣ - سورة المؤمنون

إذا كانت كسوة العظام هي التي تتكون أولاً قبل تكون العظام فقد ثبتت بشرية القرآن.

ولو رجعنا إلى كتاب لانجمان الطبي لعلم الأجنة الطبعة الـ ١٣ (Langman's medical embryology, 13th edition, 2015) نجد سكليروتوم يصبح خلايا غير متخصصة متعددة الأشكال تكون نسيجاً غير متماسك يسمى الميزنكايم أو النسيج الضام الجنيني. الميزنكايم يمكنه أن يهاجر ويتميز بعدة طرق فيصبح فايبروبلاست، كوندروبللاست أو استيوبلاست (خلايا مكونة عظمية).

إذن الخلايا المكونة العظمية هي الاستيوبلاست وليس الاسكليروتوم. وتبعد ٤ أجيال عن ال سكليروتوم.

ال سكليروتوم هو المكونة الميزنكايمية. الميزنكايم هو النسيج الضام الجنيني. وهو نسيج غير متخصص يمكنه إنتاج أنسجة مختلفة وليس العظام فقط فيمكنه إنتاج خلايا فايبروبلاست وهذه للمفارقة الشديدة يمكنها تكوين ألياف عضلية ط كما يمكنه إنتاج خلايا غضروفية أولية ثم إنتاج المكونة العظمية الاستيوبلاست.

إذن تم الثابت هنا أن ال سكليروتوم ليس المكونة العظمية وأن المكونة العظمية هي الاستيوبلاست. من يتكون أولاً المكونة العظمية bone forming cells أم المكونة العضلية muscle forming cells؟

مرة أخرى لن أجيب أنا وسأترك المراجع العلمية تفعل ذلك.

في مقدمة كتاب لانجمان أورد مراحل تطور الجنين بالأيام. الصورة المرفقة رقم ٢ أدناه تظهر لنا مقطعا من هذه المراحل:

في اليوم ٣٧ تنمو العضلات. بينما تبدأ الغضاريف في النمو في اليوم ٤٣. لا وجود لأية عظام هنا. والعضلات ظهرت قبل الغضاريف. والغضاريف تنمو داخل كسوة مسبقة.

وبحلول اليوم ٤٦ لم تكن هناك أية عظام بعد. الميوتوم ينتج خلايا عضلية ناضجة muscle cells في هذه المرحلة المبكرة مقارنة بالعظام. ال سكليروتوم

ما زال خلايا ميزنكايم أمامها مراحل عدة لتصل الى مرحلة الغضاريف ومن بعدها العظام. لا يوجد أي غموض أو التباس حول ظهور المكونة العضلية الميوتوم قبل المكونة العظمية الاستيوبلاست وبمراحل عديدة. أنه في الأسبوع الخامس من عمر الجنين تتكون المغازل العضلية وهي العضلات الناضجة القادرة على الحركة.

بينما لن نشهد بداية تكون أول عظم إلا في الأسبوع ٨ ولكي نحصل على عظم ناضج نقارنه بهذه العضلات علينا الانتظار الى الأسبوع ١٢. هذا دليل علمي على تكون العضلات قبل العظام ودليل على عدم وجود مرحلة تكون العظام فيها عارية غير مكسوة.

المؤمن – كلامك يشتمل على خلط وخطأ. أولا تتمايز الخلايا الموجودة في الجسيمة المسماة السوميت (somite) وسطيا لتشكيل نسيج خلايا السكروتوم (sclerotome) وظهريا لتشكيل نسيج خلايا الدرماميوتوم (dermomyotome).

ثم يتمايز الجزء الدرماميوتوم، النسيج العضلي الجلدي، لتشكيل طبقتين ونوعين من الخلايا، خلايا النسيج الجلدي (dermotome) وخلايا النسيج العضلي الميوتوم (myotome) الذي سوف يسهم في العضلات الهيكلية للنظام العضلي الهيكلية، فهي خلايا المكونة العضلية (forming muscle cells).

أما خلايا السكروتوم فتنتج خلايا الميزنكم (mesenchyme) ويسمى النسيج الضام، وهو نسيج عام يسهم في تشكيل كل أعضاء الجسم تقريبا والعضلات والعظام. وما يهمنا هنا هو انتاجه الخلايا العضلية الجنينية الميوبلاستس (Myoblasts) وهي نوع من الخلايا الجنينية التي تتمايز لتكوين خلايا عضلية بعد ذلك فهي مكونة عضلية (forming muscle cells) أيضا. وكذلك انتاجه الأوستبلاست (Osteoblasts) وهو نسيج الخلايا المكونة العظمية (forming bone cells) الذي ينتج الخلايا الغضروفية أولا ثم يتم استبدالها بالعظام.

فخلايا الجسيمة السوميت لا تتمايز الى ميوتوم وسلكتروم أولا كما تدعي، بل تتمايز أولا الى سلكتروم ودرماميوتوم، ثم بعد ذلك خلايا الدرماميوتوم

تتمايز الى خلايا درموتوم المكونة الجلدية، وخلايا الميوتوم المكونة العضلية^(١). كما أن خلايا الميزنكايم هي الأخرى كما تنتج المكونة العظمية الأوستبلاست، فهي تنتج أيضا خلايا المايوبلاست المكونة العضلية التي ستتطور مستقبلا الى نسيج الألياف العضلية الفايبرلاست^(٢) ، كما شهد بذلك كتاب لانجمان الطبي ذاته الذي انتشرت اليه. كذلك فإن تبرعم الأطراف يكون منذ الأسبوع ٥ للحمل، وإنما تبدأ الأطراف بالاستطالة وتشكيل الكفين والقدمين في الأسبوع ٨ للحمل.

الملحد – أنا سعيد، فكلامك يؤكد كلامي أن النسيج العضلي يتكون قبل النسيج العظمي، لأنك تقرر أن خلايا الأوستبلاست تتطور أولا الى انتاج الغضروف الذي يستبدل لاحقا بالعظم، أما المكونة العضلية فتنتج عضلات مباشرة، وهذا يعني أن الكسوة اللحمية متقدمة على العظام، وأنه لا توجد مرحلة عظام عارية.

المؤمن – لا تفرح بسرعة. هل هذا المقدار من النمو لحد الآن يثبت وجود نسيج لحمي، أي تكون خلايا عضلية من الميوتوم والمايوبلاست قبل تكون العظام؟

الملحد – نعم، هو يثبت ذلك.

المؤمن – وأنا أقر هذا المقدار أيضا، أقر أن هذا النسيج العضلي اللحمي يتكون قبل النسيج العظمي.

الملحد – يعني أنت تقرر أن كسوة العظام تتكون قبل العظام، ولذلك أنا سعيد.

المؤمن – قلت لك لا تستعجل بالفرحة. فكلامنا هذا كله قبل مرحلة تكون العظام، وإنما هو في المرحلة التي اسمها القرآن مرحلة (المضغعة)! فالنسيج العضلي الجنيني قبل مرحلة العظام هو المضغعة. فهذا المقدار من النمو للنسيج العضلي الأولي لا ينافي القرآن الكريم، بل يؤكد، وإقارري بوجود النسيج العضلي الجنيني قبل تكون العظام لا يعني إقارري بوجود الكسوة

(١) علم الأجنة الطبي للانجمن ، الجزء الأول ، الفصل السادس ص ٧٢ (Langman's medical embryology - Chapter 6)
(٢) علم الأحياء التنموي ، جليبرت ، فصل السوميت (Developmental Biology -The Somites and Their Derivatives)

اللحمية قبل العظام، لأن المضغعة في لغة العرب هي القطعة الهشة غير الناضجة من اللحم الخالية من العظم، فراجع كل معاجم اللغة العربية. معجم مفردات ألفاظ القرآن يقول: ((المضغعة: القطعة من اللحم قدر ما يمضغ ولم ينضج))^١. وفي معجم تاج العروس: ((والمضغعة: قطعة لحم. وقلب الإنسان مضغعة من جسده))^٢.

وفي لسان العرب: ((والمضغعة القطعة من اللحم ... إذا صارت العلقة التي خلق منها الإنسان لحمة فهي مضغعة))^٣. وفي معجم العين: ((والمضغعة: قطعة لحم، وقلب الإنسان مضغعة من جسده. والمضغعة: كل لحم يخلق من علقة))^٤.

كما ترون، فإن معاجم لغة العرب تعطي المعنى التقريبي لكلمة (المضغعة) وتصفها بأنها قطعة لحم غير ناضج. وهي تتكون خلال الأسبوع ٤ - ٦ من عمر الجنين. فنحن لا ننكر وجود نحو من النسيج اللحمي قبل ظهور العظام، ولكن ليس هذا النسيج العضلي اللحمي الجنيني الهش هو كسوة العظام التي اسماها القرآن (لحم) فميزها عن (المضغعة) التي هي نسيج لحمي أولي جنيني، لأن المعنى العرفي لكلمة (اللحم) يختلف عن المعنى العرفي لكلمة (المضغعة)، فاللحم بالمعنى العرفي هو خصوص اللحم الناضج، وليس كل نسيج عضلي يسمى (لحم) عرفاً. فما تدعيه أنت أنه كسوة اللحم سابقة على تكون العظم إنما هو المضغعة وليس اللحم بالمعنى العرفي لكلمة (لحم). النسيج العضلي يبدأ بالتكون في الأسابيع ٤-٦ ، والنسيج العظمي يبدأ بالتكون في الأسبوع ٨-١٠، ولكن النسيج العضلي لا ينضج ويكون لحماً عرفاً إلا بعد الأسبوع ١٠ ، فبعد الأسبوع العاشر تزداد العظام صلابة وتزداد العضلات نمواً بحيث تكون مستعدة للتقلص والانقباض^(٥).

المؤشر الأول لتشكيل عضلات الأطراف يلحظ في الأسبوع السابع من الحمل كتكثيف لخلايا نسيج (mesenchyme) بالقرب من القاعدة من براعم

١ - مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني ، مادة (مضغ)

٢ - الصحاح - تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري ، مادة (مضغ)

٣ - لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (مضغ)

٤ - كتاب العين ، الفراهيدي ، مادة (مضغ)

(٥) الموسوعة البريطانية ، نماء ما قبل الولادة (Prenatal development)

الأطراف، وخلايا المزنكايم هي مشتق من الخلايا (somites) التي هاجرت إلى برعم الأطراف لتشكل العضلات. وبحلول نهاية الشهر الثالث للحمل تتشكل الخيوط المغزلية المكونة للعضلات الهيكلية^(١). أما الأطراف فهي تبدأ بالتبرعم بالشكل الغضروفي نهاية الأسبوع الرابع للحمل، ثم يبدأ تعظم الأطراف، التعظم الغضروفي، بنهاية الفترة الجنينية، أي يبدأ التحجر واستبدال الغضروف بالعظم نهاية الأسبوع الثامن، أي نهاية الشهر الثاني للحمل، وبحلول الأسبوع الثاني عشر، أي نهاية الشهر الثالث، تكون مراكز التعظم الأولية موجود في جميع العظام الطويلة للأطراف^(٢).

الملحد – الميوتوم والمايوبلاست ينتج العضلات الناضجة مباشرة، أما الاوستبلاست فهو يتطور أولا الى نسيج الغضروف الذي يتطور لاحقا الى نسيج العظم.

المؤمن – لا عزيزي. هناك طريقتان رئيسيتان لتكوين العظام، وكلاهما يتضمن تحويل نسيج الميزنكم إلى نسيج عظمي. عملية التحويل المباشر، وتحدث هذه العملية في عظام الجمجمة، دون المرور بمرحلة الغضروف؛ وعملية التحويل غير المباشر، حيث تتمايز خلايا الميزنكم إلى غضروف، ويتم استبدال هذا الغضروف لاحقا بالعظم^(٣).

الأنسجة العضلية هي المسؤولة في المقام الأول عن الحركة. ولكن هناك نوعين من العضلات: العضلات المخططة، وهي التي تحرك الهيكل العظمي وتعمل تحت السيطرة الارادية وتسمى العضلات الهيكلية الارادية؛ وهناك العضلات الملساء، التي تحيط جدران الأعضاء كالمعدة، ولا يمكن السيطرة على عملها عادة، وتسمى العضلات الملساء اللا ارادية. وهناك نوع ثالث هو العضلات القلبية تكون لا ارادية لكن مخططة وهي مختصة بالقلب. والنتيجة أن العضلات التي تكسو الهيكل العظمي وتحركه اراديا هي خصوص العضلات المخططة الهيكلية، وهي التي تكون ملتحمة بالعظام

(١) علم الأجنة الطبي للانجمن ، الفصل ١١ ص ١٤٨ (Langman's medical embryology - Chapter 11)

(٢) المصدر السابق ، الفصل ١٢ ص ١٥٢

(٣) علم الأحياء التنموي ، جليبرت ، فصل تطور العظام (Developmental Biology - The Development of Bones)

- علم الأجنة الطبي للانجمن ، الفصل العاشر ص ١٣٣ (Langman's medical embryology - Chapter 10)

وتشد بعضها الى بعض، لكنها تفتقر الى نوع آخر من النسيج الضام لكي ترتبط بالعظام، هذا النسيج الضام الذي يشكل الأوتار والأربطة. وكلامنا هنا عن تكون اللحم الذي يكسو العظام، أي عن العضلات الهيكلية الناضجة، وهي لا تنتج مباشرة وفورا من خلايا الميوتوم أو المايوبلاست، بل تحتاج الى المرور بفترة الانقسام والمحاذاة والاندماج الخلوي. حيث تحتوي كل خلية عضلية مخططة أو ألياف، على العديد من النوى، وهذا يكون نتيجة عملية اندماج الخلايا أحادية النواة الذي يحدث أثناء التطور الجنيني للعضلة المخططة^(١).

خلايا المايوبلاست (myoblasts) هي وحيدة النواة، تمر أولا بمرحلة التكاثر، ثم تأتي مرحلة المحاذاة بينها في سلاسل، ثم تأتي مرحلة صهر الغشاء بينها والاندماج لتكون خلايا النسيج العضلي متعدد النوى المايوتوبس (myotubes)، ثم تنتظم خلايا المايوتوب وتصطف لتشكيل الألياف العضلية المستعدة للتقلص والانقباض والتي تسمى (muscle fibers)^(٢).

إن ألياف النسيج العضلي الناضج الذي يطلق عليه اسم (اللحم) عرفا، والذي يكسو الهيكل العظمي، هي المايوفايبرس (Myofibres)، وهي لا تتكون إلا بعد الأسبوع العاشر، ولا تتكون إلا بعد تكون خلايا المايوتيب، والتي لا تتكون إلا بعد عملية التكاثر والمحاذاة والاندماج لخلايا المايوبلاست، وهي حتى تصبح كسوة لحمية ليفية تغلف العظام تحتاج الى الأوتار والأربطة، وتغليفها للعظام والتحامها بها وشدها للعظام يستدعي منطقيا وجود العظام مسبقا.

الملحد – القرآن يقول إن هناك مرحلة يكون الجنين فيها عظاما فقط لا غير.

المؤمن – القرآن لم يقل بوجود عظام فقط لا غير. القرآن ذكر تدرج عناوين المحطات الرئيسية في تكوين الجنين، ولم يتكلم في تفصيل كل محطة. فلم يتكلم عن تكوين الحويصلة القلبية والنخاع الشوكي والأوعية الدموية والجلد

(١) الموسوعة البريطانية على النت ، مادة (Muscle - العضل)

(٢) علم الأحياء التنموي ، جليبرت ، فصل تطور العضلات (Developmental Biology - The Development of Muscle)

والمخ والأعصاب والأعضاء. لم يفصل لأنه ليس كتاب تشريح مدرسي حسب الظاهر، إنما عنون المحطات الرئيسية لبناء البدن.

الملحد - لكنه ذكر أنه يكسو العظام بعد تشكلها، فهي لم تكن مكسوة.

المؤمن - نعم، يكسوها باللحم. ولم يقل إنها كانت عارية تماما كالهيكلي العظمي في الوسائل التعليمية. نحن لا نتكلم عن نشوء العظام في النسيج الجلدي ولا عن نشوء العظام في حساء الخلايا العضلية النقطية أحادية النوى، ولا عن كسوة العظام بخيوط عضلية رقيقة، بل نتكلم عن كسوة الجهاز العظمي التام باللحم، أي بالألياف العضلية السميقة المترصفة، المشدودة الى العظام بالأوتار. نتكلم عن مرحلة الجهاز العضلي الهيكلي التام، وهذه لا تكون إلا بعد الشهر الثالث من الحمل.

الخلاصة عزيزي: لقد أغرقنا الحوار بالمصطلحات والفرضيات التي هي ليست دقيقة، مع كون الجواب أسهل من ذلك. والجواب باختصار هو أنكم اعتمدتم على الخداع اللفظي، على اساس ذكر لفظة (اللحم) في الآية بعد ذكر لفظة (العظام)، أليس كذلك؟ فزعمتم أن علم الأجنة اثبت تكون اللحم قبل العظم، مع أن علم الأجنة إنما تكلم عن الخلايا العضلية الأولية وعن النسيج العضلي الأولي وليس عن الجهاز العضلي النهائي. تنكشف الخدعة بأن الآية ذكرت لفظة (المضغة) قبل لفظة (العظام)، وما هي المضغة؟ هي القطعة الرقيقة غير الناضجة من (اللحم) سهلة المضغ، تنص على ذلك معاجم اللغة العربية، ف(المضغة) هي لحم رقيق غير ناضج قبل العظم، ثم يأتي اللحم الذي نص القرآن عليه بلفظ (لحم) بعد العظام والمقصود به اللحم الناضج اي العضلات بالشكل النهائي، وكسوتها للعظام بالتحامها بها بواسطة الأوتار.

الملحد - انا لا اتكلم عن المرحلة المدعوة بالمضغة. انا اتكلم عن مرحلة ذكرتها الآية وقالت يكون بها الجنين عبارة عن عظام فقط لا غير.

المؤمن - والقرآن لم يقل انها مرحلة هيكل عظمي فقط لا غير. إنما هو تعداد بالتدريج لأهم محطات ومراحل التكوين ومن الطبيعي انها تكون متداخلة

في الاثناء. فالمرحلة في تكوين الجنين بتشكل العظام مرحلة جديدة ولا تعني انتفاء وجود المضغة، بل تطور العظم منها ثم اللحم الناضج.

الملحد - بل ذكر إن المضغة تتطور عظاما فقط كمرحلة كاملة، فقال إن المضغة بتمامها أصبحت عظاما (فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما).

المؤمن - فمن أين أتى اللحم الذي يكسو العظام؟ من القصاب مثلا! الكلام عن تطور نفس مادة الجنين. المضغة (قطعة لحم غير ناضجة) تطورت عظاما ولحما.

-هل الطبيب يعلم ما في الأرحام؟

الملحد - في قوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤)))^١.

الآن أصغر طبيب متدرب يمكن أن يخبرك بنوع الجنين في بطن أمه، مع أن القرآن يقول إن ذلك من مختصات علم الله.

المؤمن - أولا: إن ما تقصده هو بتصوير الأعضاء التناسلية في الشهر الرابع للجنين، باستخدام جهاز السونار الذي يعتمد على التصوير بواسطة الأمواج فوق الصوتية، كما يقولون، وهذا علم بالصورة وليس علما بالجنين نفسه، أي علم بصورة الجنين لا ذات الجنين، وشتان بين الاثنين، فأنا رؤيتي لذاتك حقيقة وواقعا تختلف عن رؤيتي لصورتك، وقولي إني رأيتك يختلف عن قولي إني رأيت صورتك، وإن كنا نستعمل المجاز أحيانا والتساهل في التعبير فنقول (رأيت فلانا) والمقصود رؤية الصورة الحاكية عنه.

^١ - سورة لقمان

الملحد – أنت تقصد العلم بالواسطة، ولكن بالنتيجة فإن هذه الواسطة اعطتني العلم بذات الجنين.

المؤمن – لا يبعد أن العلم بصورة الجنين في السونار تعطي علما بشخص الجنين، ولكنه علم نظري استدلالي، وهو يختلف عن العلم الحسي البديهي بالرؤية المباشرة لشخص الجنين، فأنا حينما أراك في بث تلفزيوني أختلف عن رؤيتي لشخصك واقعا. علما أن كل من العلمين النظري الاستدلالي والحسي البديهي هما من العلم الحسولي الذي يحصل كوجود ذهني لدى ذهن العالم بعد إن لم يكن موجودا، لكن علم الله تعالى بالموجودات هو علم حضوري، أي أن ذات الموجودات هي حاضرة لدى الله تعالى وهو أقرب لذاتنا من حبل الوريد.

هذا أولا، أما ثانيا: من قال لكم أن علم الله تعالى بما في الأرحام محصور بالعلم بجنس الجنين؟ إن الله تعالى يعلم بتمام تفاصيل نشأة الجنين في بطن امه، ويعلم تمام حركاته وسكناته ومدركاته، ويعلم ما سيكون عليه قبل أن يكون عليه، ويعلم حياته أو مماته قبل حياته أو مماته في بطن امه، ويعلم سر حياته. كل ذلك بعلم حضوري، علم احاطة وتدبير كما قال تعالى: ((هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦)))^١، وقال تعالى: ((يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٦)))^٢، وقال تعالى: ((اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (٨) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (٩))^٣، وقال تعالى: ((هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُرْكَوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (٣٢)))^٤. والعلوم الطبيعية في جهل مفرط من كل ذلك، ومعظم ما عندها هو تكهنات، وما زالت تجاربها مستمرة على أجنة الفئران والقنافذ لمعرفة أسرار أجنة الإنسان.

^١ - سورة آل عمران

^٢ - سورة الزمر

^٣ - سورة الرعد

^٤ - سورة النجم

- كائنات تتكاثر احاديا فأين الزوجية؟

الملحد - في قوله تعالى: ((وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩)))^١. ومعلوم أن هناك كثيرا من الكائنات الحية التي تتكاثر أحادياً دون زواج وليس لها زوج، وأمثلة ذلك في كل المدارس الابتدائية تدرس جنباً إلى جنب مع التربية الإسلامية.

المؤمن - أولاً: ليس المراد بالزوجين في هذه الآية محصور بالزوجين الذكر والأنثى، بل المراد هو مطلق القرين (من كل شيء). فزوج كل شيء قرينه، ولا ينحصر بالذكر والأنثى، كما لا علاقة للزوجية بالتكاثر. في معجم لغة العرب: ((الزَّوْجُ: خِلَافُ الْفَرْدِ.... الزَّوْجُ الْفَرْدُ الَّذِي لَهُ قَرِينٌ.... وَكَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ؛ قَالَ: السَّمَاءُ زَوْجُ الْأَرْضِ زَوْجٌ، وَالشِّتَاءُ زَوْجُ وَالصَّيْفُ زَوْجٌ، وَاللَّيْلُ زَوْجُ وَالنَّهَارُ زَوْجٌ.... وَالْأَصْلُ فِي الزَّوْجِ الصِّنْفُ وَالنُّوعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَكُلُّ شَيْئَيْنِ مُقْتَرَنَيْنِ، شَكْلَيْنِ كَانَا أَوْ نَقِيضَيْنِ، فَهَمَّا زَوْجَانُ؛ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا زَوْجٌ.))^٢. وقد جعل الله تعالى من كل شيء فردين أو نوعين مقترنين، سواء أكانا ذكراً وأنثى أو ضدين أو نقيضين، كالرجل والمرأة، والليل والنهار، والسموات والأرضين، واليمين والشمال، والعمى والبصر، والظل والحرور، والسواد والبياض. قال تعالى: ((احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢)))^٣ أي قرناءهم ونظراءهم.

ثانياً: إن الكائنات التي تتكاثر بالانشطار الثنائي مثل الاميبيا والبراميسيوم، هي لا تنجب مولودا كما تتوهمون أو توهمون الآخرين، أي إن الكائن الأصل لا ينجب كائنا جديداً ثم يبقى بعد الإنجاب، كالكائنات التي تتكاثر بالولادة والتبويض، بل هو الكائن الأصل نفسه ينشطر ذاتاً الى فردين متقارنين متمائلين بعد تضاعف الحمض النووي، وقرين كل شيء وزوجه، وهكذا يكون

^١ - سورة الذاريات

^٢ - معجم لسان العرب، ابن منظور، مادة (زوج)

^٣ - سورة الصافات

الله تعالى قد جعل من الأصل زوجين ف((سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦)))^١.

- حواء ليست من ضلع آدم

الملحد - أخبرنا عن تلك الولادة القيصرية لحواء من ضلع آدم.

المؤمن - ما نعتقد به هو اتحاد آدم وحواء عليهما السلام في عنصر التكوين والصورة النوعية البشرية، قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)))^٢. أما خلق حواء من ضلع آدم فهي مقولة المصادر اليهودية وليست حقيقة إسلامية.

- ولادة النبي عيسى من غير أب

الملحد - كيف ولد عيسى دون أب؟

المؤمن - لا علم لنا بالكيف، ولا يضر جهلنا بالكيف بعد علمنا أنه بإرادة الله تعالى.

الملحد - العلم أثبت بما لا يقبل الشك ان الانسان يتكون في رحم امه من تلقيح بويضة من الام تحمل ٢٣ كروموسوم بحيوان منوي من الأب يحمل ٢٣ كروموسوم أيضا، فأن فتصبح ٤٦ كروموسوم تكون الجنين، فأن حدث خطأ في كروموسوم واحد زيادة او نقصان يولد الجنين مصاب بمتلازمة داون وبالعامية ما يسمى منغولي. فمن اين انت ال ٢٣ كروموسوم التي كونت عيسى في رحم مريم؟

^١ - سورة يس
^٢ - سورة النساء

المؤمن – أولاً: بالنسبة للجينات. تعلمون أن الطفرات الجينية هي العكازة العظمى لملاحدة الداروينية اليوم، وكلامكم هذا لتكذيب ولادة عيسى دون اب هو قاصمة الظهر للأحاد الداروني. الدارونية الحديثة بعد ان تهشمت عكازة الزمن المليونى لدعوى الاصطفاء الطبيعي، تمسكت بعكازة الطفرات لدعوى الاصطفاء الجيني، وعليه فوفق مبادئ الداروينية الحديثة ينبغي أن يكون لا اشكال عندكم أن يوجد عيسى بن مريم وأن يتكلم في المهدي. والفرق هو أن الداروينية قد جعلت الطفرات العشوائية العمياء قانونا عاما في خلق كل أنواع الوجود الحيواني، بينما نحن نقول باستثناء خاص بإرادة الله تعالى.

ثانيا: ربما أنتم لم تسمعوا بحالة تسمى (الولادة العذرية) أي الإنجاب دون تخصيب. إنها حالة تحدث أحيانا في بعض الكائنات الحية، وتحدثت عنها بعض المصادر العلمية، وللإطلاع عليها ابحثوا بأنفسكم. لكن أنا سأرشدكم الى حالة شائعة هي حالة ملكة نحل العسل. يقولون إن ملكة نحل العسل تخزن الحيوانات المنوية في جسمها بعد عملية التلقيح من الذكور، ثم تتحكم هي في عملية تخصيب بيوضها. فتضع بيوضا مخصبة وبيوضا غير مخصبة، فما كان غير مخصب من البيوض ينتج ذكورا فقط، وما كان مخصبا ينتج إناثا غالبا^(١). هذا يعني أن ملكة النحل تنجب ذكورا بصورة عذرية أي دون تخصيب للبيوض بأمشاج ذكرية، وهذا يعني أن الولادة العذرية ليست مستحيلة عقلا في حد ذاتها، نعم هي نادرة الوقوع وخاصة في الثدييات لكنها غير مستحيلة عقلا، وما يكشفه العلم بنحو القطع واليقين من تفسير التكيف الطبيعي للولادة العذرية نحن نقبل به، فلا تقاطع بين قطعي العلم وقطعي الدين.

- هل النحل يأكل الثمرات؟

الملحد – قول القرآن: ((وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ

(١) الموسوعة البريطانية ، نحل العسل (Honeybee)

ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٦٩)).^١ والثابت علمياً أن النحل لا يتغذى على الثمار وإنما على رحيق الأزهار. الزهرة هي عضو الانجاب في النبتة، أما الثمرة فهي بحسب معاجم اللغة هي حمل الشجرة، أي ما يؤكل من الشجرة كالتفاح والموز والبرتقال. فالتناقض إذن إن القرآن يقول أن النحل يأكل من الثمار، بينما النحل يأكل في الحقيقة و يتغذى من رحيق الأزهار !!

المؤمن – أنتم عرفتم الزهرة بيولوجيا بأنها عضو الانجاب في النبتة، بينما لم تعرفوا الثمرة بيولوجيا بل لغويا. لذلك نقول:

الزهرة هي العضو المسؤول عن عملية التكاثر في النباتات المزهرة. تعمل الأزهار على دمج النواة المذكرة في حبوب اللقاح مع البويضات المؤنثة الموجودة في المبيض، من أجل إنتاج البذور التي تكون الجيل الجديد من النبتة. ويعرف التلقيح بأنه انتقال حبوب اللقاح من المتك إلى المياسم. ويطلق على اندماج النواة المذكرة مع النواة المؤنثة الإخصاب. عادةً ما تحتوي أزهار النباتات التي تعتمد على ناقلات اللقاح الحية على غدد تسمى الغدد الرحيقية، والتي تعمل بمثابة حافز لجذب الناقلات الحية إلى الزهرة. أبرز ناقلات اللقاح هي النحل، فهي تسهم في عملية التلقيح في طريق بحثها عن الطعام. النحل كما يتغذى على الرحيق فإنه كذلك يتغذى على حبوب اللقاح لتغطية حاجته الى البروتين (٢) .

أما الفواكه فهي الثمار النباتية الناتجة عن تطور الزهرة. من الناحية البيولوجية، الفاكهة هي مبيض ناضج، والأجزاء المرتبطة به عادة ما تحتوي على البذور، التي نمت من البويضة المخصبة، حيث يؤدي الإخصاب إلى إحداث تغييرات مختلفة في الزهرة فيتضخم المبيض وتتطور البويضات إلى بذور تحتوي كل منها على نبات جنيني. الغرض الرئيسي من الفاكهة هو حماية ونشر البذور (٣).

^١ - سورة النحل

(٢) الموسوعة البريطانية على النت ، مادة (الزهرة) ، (Flower ،britannica)
(٣) المصدر السابق ، مادة (الفاكهة) . (britannica•Fruit)

فالزهرة هي عضو التكاثر في النبتة، والثمرة هي عضو التكاثر المتضخم الناضج. النحل يتغذى على الزهرة فيتناول منها الرحيق وحبوب الطلع، أي يتغذى على عضو التكاثر في النبتة، والثمرة هي عضو التكاثر الناضج، أي أن الثمرة هي الزهرة بعد النضج والتضخم والإخصاب، فصح اطلاق القرآن لفظ (الثمرة) على الزهرة، باعتبار أن الثمرة هي النتيجة البيولوجية للزهرة. وهذا النحو من التعبير المجازي أمر شائع في لغة العرب وفي لغة القرآن الكريم، قال تعالى: ((وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِينَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦)))^١، فالخمر لا يعصر وإنما العصر للعنب، فأطلق لفظ الخمر على العنب مجازا باعتبار انه نتيجته. بل ورد بالفعل في كتب الأدب واللغة قصيدة لأبي ذؤيب الهذلي يصف فيها النحل، فيقول في بيت من القصيدة: (تَظَلُّ عَلَى الثَّمَرَاءِ مِنْهَا جَوَارِسٌ - مَرَاضِيْعُ صُهْبُ الرِّيشِ زُغْبٌ رِقَابُهَا)^٢ فالوصف للنحل وهي تأكل (مراضيع) و(الثمراء) وصف للشجرة بأنها كثيرة الثمر، فهنا استعمل لفظ الثمرة بمعنى الزهرة.

الملحد – الثمرة في آية النحل يقصد القرآن بها خصوص حمل الشجرة من الفواكه، والقرينة الدالة على ذلك هو أنه استعملها في القرآن فيما يؤكل، فقال: ((اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ (٣٢)))^٣. هذه قرينة من القرآن نفسه أن المقصود بالثمر هو خصوص ما يؤكل من حمل الشجرة.

المؤمن – ليس هكذا يتم الاستدلال يا عزيزي. فاستعمال كلمة في مورد معين بمعنى معين لا يلزم منه إرادة نفس المعنى في مورد آخر. الكلام في هذه الآية عن رزق الانسان وهو قرينة تؤكد إرادة ما يأكله البشر من حمل

^١ - سورة يوسف

^٢ - لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (ثمر)

- تهذيب اللغة ، الأزهرى ، مادة (ثمر)

- أساس البلاغة ، الزمخشري ، مادة (جرس)

- المعاني الكبير ، ابن قتيبة ، الأبيات في النحل والعسل

^٣ - سورة ابراهيم

الشجرة، أما في آية النحل فالكلام عن رزق النحل وهو قرينة على إرادة نتاج الزهور قبل تطوره الى الثمر الذي هو رزق البشر.

الملحد – وماذا تقول عن هذه الآية التي هي في نفس سورة النحل قبل ذكر آية النحل : ((يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١)))^١ فهنا تكلم عما يأكله البشر في نفس سورة النحل، وأسماء ثمرات.

المؤمن – رائع ، هذه الآية مما أردت أن أذكرها أنا لكم، لكنكم حججتم أنفسكم بها. هي أولا في سياق ذكر رزق الإنسان وليس رزق النحل، وقد قلنا لكم إن استعمال لفظ في معنى في مورد لا يلزم منه إرادة نفس المعنى في مورد آخر، أما حجتها عليكم فهي أنها قد ذكرت أهم الثمار لرزق البشر تفصيلا، الزرع والزيتون والنخيل والأعناب، ثم اجملت ذكر غيرها بالقول (ومن كل الثمرات). وهنا نقول: هل النخيل والأعناب هي عينها طعام البشر وهي عينها الثمر؟ أم أن منتوج شجر النخيل وشجر الأعناب أي الرطب والعنب هو طعام البشر وهو الثمر؟ بلا شك أن الرطب والعنب الذي هو منتوج شجر النخيل والأعناب هو الثمر وهو رزق البشر، وقد نص القرآن على ذلك في نفس سورة النحل وقبل آية النحل مباشرة فقال تعالى: ((وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٦٧) وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٦٩)))^٢

انظر، ثمرات شجر النخيل والأعناب هي طعام البشر وليس نفس الشجر. وهذا يعني أنه أطلق لفظ الثمر على الشجر مجازا باعتبار أنه نتيجته في الآية ((يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١))), فكذاك في آية النحل أطلق لفظ

١ - سورة النحل

٢ - سورة النحل

الثمرات على الأزهار باعتبار النتيجة. وهنا تسقط دعواكم أن القرآن لم يستعمل لفظ الثمر إلا في خصوص حمل الشجر، حيث استعمل هنا لفظ الثمر في الشجر نفسه.

بل هناك آية أكثر دلالة هي قوله تعالى: ((وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣)))^١. الزوجية كما قلنا بمعنى الاقتران، أي معنى أعم من الذكورة والانوثة، فإن كان المقصود بالزوجية هنا أعضاء التكاثر النباتي، فحيث المعروف لدى العرب قبل الإسلام وبعده أن الحامل للأمشاج الذكرية والأنثوية في النباتات هي الأشجار والأزهار وليست الأثمار، وإنما الثمرة هي حاملة للبذرة التي هي نتاج التلقيح والإخصاب، ومع ذلك فقد عبر القرآن الكريم عن حاملات الأمشاج الزوجية الزهرية بلفظ الثمرات، وما ذلك إلا لأنها نتيجتها.

الملحد – وما أدراك فلعل صاحب القرآن لم يكن يعلم بأن حاملات الأمشاج هي الأشجار والأزهار فاعتقد إنها الثمار!!

المؤمن – صاحب القرآن لا يعلم بالزراعة والنباتات، والعرب لا تعلم ومن دخل الإسلام لا يعلم، ومن تزعمون أن الرسول الأكرم يأخذ علمه منهم لا يعلمون، لأن الجميع كانوا يسكنون المريخ! ما هذا اللجاج المضحك للثكلي! ومع ذلك فالقرآن ينص على علمه بأن حامل أمشاج الزوجية هي الأشجار والزرور فقد قال تعالى: ((أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (٧)))^٢، فما هو النبات في الأرض أزواجاً؟ هو الزروع والأشجار لقوله تعالى: ((أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ دَاتَ بِهَجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِقَوْمٍ يَعْدِلُونَ (٦٠)))^٣ وقوله تعالى: ((يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١)))^٤ التي

١ - سورة الرعد
٢ - سورة الشعراء
٣ - سورة النمل
٤ - سورة النحل

عبر عنها القرآن بلفظ الثمرات أيضا باعتبار النتيجة كما ذكرنا سابقا. والنتيجة أن القرآن يعلم أن ما يكون أزواجا هو الزروع والأشجار وقد أطلق عليها لفظ الثمرات (وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) باعتبار النتيجة الأهم بحسب مناسبة الموضوع.

الملحد – كلامك ليس مقنعا تماما

المؤمن – إن في أسرار تكوين النحل وحضارة مملكة النحل التي مازال العلم يستكشفها يوما بعد يوم؛ ما يبطل سفسطة الملاحدة، وينسف التطور الدارويني. وإن في تركيز القرآن عليها في كتاب عقيدة وشريعة وهداية اثباتا أن مصدر القرآن هو عالم الغيب والشهادة، وأن خالق مملكة النحل هو الله تعالى، لذلك ختم الله تعالى آية النحل بقوله تعالى: ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)). ومن لا يريد أن يتفكر فهو حر. لست عليكم بوكيل.

- مبدأ المطر من السماء أم من الأرض؟

الملحد – القرآن يقول إن المطر ينزل من السماء في الآيات: ((أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠)))^١، ((وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩)))^٢. بينما العلم يقول إن المطر يتكون من بخار الماء المتصاعد من البحار والمحيطات، ثم يبرد في طبقات الجو فيتكاثف ويتساقط كقطرات ماء.

^١ - سورة النمل
^٢ - سورة الأنعام

المؤمن – أولاً: السماء، كما ذكرنا أكثر من مرة، من السمو أي العلو والارتفاع فكل ما علاك هو سماء. القرآن في هذه الآيات إنما يذكر جهة نزول المطر وهي السماء أي من الأعلى، ولا يتكلم عن شرح دورة المياه في الطبيعة.

الملحد – لكن الأرض كروية فلا يوجد هناك جهة فوق وتحت.

المؤمن - المقصود هو الجهة العرفية للعلو والفوق، فلا علاقة لنا هنا بمسألة كروية الأرض، لأنه بالنظر العرفي والمقياس الصغير فإن الكل يعلم بتساقط المطر على الأرض من فوق. فلا تناقض بين العلم والقرآن.

الملحد – لكن المطر ينزل من الغيوم وليس من السماء.

المؤمن – نقول ثانياً: إن القرآن كما ذكر الجهة التي ينزل منها المطر التي هي السماء، والمقصود بها جهة العلو، فإنه ذكر أيضاً الشيء الذي ينزل منه المطر وهو السحاب، وذكر أن هذا السحاب هو يسبح بإذن الله بين السماء والأرض، والمقصود هنا من السماء جهة العلو التي هي ما فوق السحاب، فقال تعالى: ((وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)))^١، ((وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٧)))^٢، ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ... (٤٣)))^٣، ((أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧٠)))^٤.

١ - سورة البقرة
٢ - سورة الأعراف
٣ - سورة النور
٤ - سورة الواقعة

الملحد - لكنه لم يقل إن المطر يتكون من بخار البحار والمحيطات المتصاعد.

المؤمن - نقول ثالثاً: القرآن ليس بصدد شرح دورة المياه في الطبيعة بالطريقة المدرسية. ومع ذلك فقد أشار القرآن الى دور الرياح في إثارة البخار ورفعته وتكديسه وحمله ونقله، كما في قوله تعالى: ((اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨)))^١، ((وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ (٩)))^٢. كما أشار الى رجوع المطر الى الأرض، وهو دليل على كونه صاعداً من الأرض. قال تعالى: ((وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤)))^٣.

كلنا نعرف دورة المياه في الطبيعة من حياتنا المدرسية، لكن هل تعرفون ما هو أصل وجود المياه في الأرض؟ أنا لا أتكلم عن صعود الماء بالتبخير ورجوعه بالتكثيف، بل أتكلم عن النشأة الأولى للماء في الأرض، فهل أخبروكم كيف نشأ الماء في الأرض مع ندرة وجوده في القمر وكواكب أخرى؟ هل أخبروكم لماذا الماء يغطي ثلثي الأرض بالخصوص؟ هل أخبروكم لماذا مع الاستنزاف المستمر للماء مازال الماء يغطي ثلثي الأرض؟

الملحد - لا أعلم!

المؤمن - اللطيف أنه العلم الطبيعي، رغم تهريج وتبجح ملاحدة العلم واستكبارهم، لم يصل الى حد الآن الى دليل حاسم بخصوص كيفية نشوء الماء في كوكب الأرض، لكن آلة الإلحاد الغربي كالعادة تسوق لكم الفرضيات على أنها حقائق قطعية. لم يتم توثيق وجود الماء على الأرض

١ - سورة الروم
٢ - سورة فاطر
٣ - سورة الطارق

في الأوقات السابقة بالأدلة المادية. لا توجد حقيقة قطعية بخصوص نشأة المياه في الأرض. ومع ذلك، فقد تم اقتراح أن الغلاف المائي المبكر تشكل استجابة للتكثف من الغلاف الجوي المبكر. تشير نسب بعض العناصر الكيميائية على الأرض إلى أن الكوكب تشكل نتيجة لتراكم الغبار الكوني وتم تسخينه ببطء عن طريق التسخين الإشعاعي والضغط. أدى هذا التسخين إلى الفصل التدريجي والهجرة التدريجية للمواد لتشكيل لب الأرض والوشاح والقشرة. يُعتقد أن الغلاف الجوي المبكر كان شديد الاختزال وغني بالغازات، لا سيما الهيدروجين، ويتضمن بخار الماء^(١). وربما تشكل بخار الماء في الغلاف الجوي من الغازات الهاربة من باطن الأرض، وربما اشتركت غازات الغلاف الجوي وباطن الأرض في تكوين بخار الماء. فالفرضية التي تتبنى اشتمال الغلاف الجوي أصلا على بخار الماء تدعم نزول أصل الماء من السماء. والفرضية التي تتبنى نشوء بخار الماء من الغازات الهاربة من باطن الأرض تدعم خروج أصل الماء من الأرض، وهو ما يمكن أشارت إليه الآيات التي تتحدث عن بداية نشوء الأرض: ((وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٣)))^٢. إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون.

- كلام النمل والهدد

الملحد - النمل والهدد لا يتكلم، والقرآن يقول إنها تكلمت.

المؤمن - نعم كل الحيوانات لها لغة التخاطب الخاصة، هذا يقره العلم ولكن أنتم قوم تجهلون، فاين التقاطع في كلام الهدد والنمل؟

الملحد - إلا النمل فهو ليست له لغة تخاطب (نطقا) فهو يتعامل مع أبناء جنسه عن طريق الرائحة والافرازات الكيميائية؟ ولا أدري هل أن سليمان تحول إلى نملة ليفهم لغة النمل أم أن النملة تحولت إلى نبي لتخاطب الأنبياء؟

(١) موقع الموسوعة البريطانية على النت www.britannica.com ، مادة (المحيط - OCEAN)
٢ - سورة النازعات

المؤمن - بالأمس قالوا لغة الرقص للنمل واليوم لغة الروائح وغدا لا تدري ما يقول العلم بحسب المكتشفات والافتراضات، وما اتيتم من العلم الا قليلا، فالعلم مازال يحبو وكلما قام يكبو، وعلى كل حال مهما كانت طريقة التخاطب للكائنات، فالله تعالى هو من علمها ويعلمها لمن يشاء، واليوم يتفاخر الكثيرون بفهم وسيلة التخاطب للحيوانات سواء أكانت أصواتا أم حركات أم غيرها، وقد قال تعالى: ((وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩) وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لِأَعَذَّبَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لِأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ (٢٢)))^١.

- كلب نام ٣٠٩ سنة ونهض حيا!

الملحد - كيف اقتنع في عصر العلم التجريبي بأن كلبا نام ٣٠٩ سنة ونهض حيا؟ كان ذلك ممكنا في عصر الهلوسة.

المؤمن - تقصد السخرية بقصة أصحاب الكهف؟ دعني أسأل عقلك التجريبي الساخر، كيف اقنعك اينشتاين بأنك يمكن أن تسافر في الزمن

^١ - سورة النمل

بضعة ايام ثم تعود لتجد ان ابنك صار أكبر منك سنا؟ هذه هي الهلوسة بعينها لاشتمالها على تناقض منطقي! هل استوعبها عقلك التجريبي؟

الملحد - وهل اينشتاين إله؟

المؤمن - وما دخل الالوهية؟ يعني أنت تقر الآن بأن مقولة اينشتاين هلوسة في عصر الهلوسة وأن اينشتاين مجرد مهووس.

الملحد - هو قال ممكن ولم يجزم بأنه بالفعل يحدث هذا الأمر يعني إمكان افتراضي. اينشتاين لا يقر بشيء إلا بعد التجربة له. أما القرآن فيخبر عن وقوع الحادثة.

المؤمن - المسألة لا تتعلق بالوقوع وعدمه، بل بالإمكان العقلي والتقبل العقلي، أنت لم تقتنع بنوم أصحاب الكهف بدعوى عدم إمكان ذلك منطقياً، أي أن المسألة تتعلق بالإمكان والاستحالة العقليين. فهل أنت مقتنع عقلياً منطقياً أنه بالإمكان ان تسافر - مثلاً - لمدة اسبوع في الزمن، وعمرك ٣٠ سنة تاركا ابنك عمره سنة واحدة، ثم تعود بعد اسبوع فيكون عمرك ٣٠ سنة واسبوع، بينما يكون عمر ابنك الذي كان سنة قبل أسبوع، يصبح عمره ٤٠ سنة! هذه هي الهلوسة بعينها لاشتمالها على تناقض منطقي، وهو كون ابنك الذي ولدته يكون أكبر سنا منك، أي أنه يجب عقلاً أن يكون أصغر منك فكيف يكون ليس بأصغر!! وقد اقتنع عقلك بإمكانها عقلاً، فلا يحق لعقلك انصافاً ان يزعم عدم امكانية نوم الشخص حتى ٥٠٠ سنة منطقياً، لعدم اشتمال ذلك على استحالة عقلية منطقية.

الملحد - هو قال ربما ويمكن ان يتحقق ذلك في المستقبل ولم يقل بوقوعه فعلاً.

المؤمن - أجبني بصراحة. هل كلام آينشتاين هذا منطقي أم غير منطقي؟

الملحد - اذا لم يتحقق في المستقبل بالتأكيد غير منطقي، لكنه كما قلت لك فكرة لم تتحول بعد الى نظرية (لاريب فيها)

المؤمن - جواب فيه مراوغة. النظرية بل مجرد الفرضية لن تكون مقبولة ما لم تكن منطقية، أنا لا أسأل عن تطبيقها بل عن اصل الفكرة، منطقية في حد نفسها أم لا ؟

الملحد - نعم منطقية، لأن الرجل بموجب تخصصه العلمي وفهمه لأصول الفيزياء لم يطرحها جزافا.

المؤمن - خلاص، إن كان عقلك التجريبي العظيم يقول بمنطقية دعوى اينشتاين بأنك ممكن أن تسافر في الزمن فترة قصيرة، ثم تعود فتجد ابنك الطفل صار أكبر منك سنا، فليقل بمنطقية نوم شخص او حيوان مدة ٣٠٩ سنة ويستيقظ، بل هذه أكثر معقولة من تلك، لأن هذه نوم طويل وتلك ابنك يكون أكبر منك.

الملحد - سلمت بأن هذا ممكن عقلا، ولكن كيف حدث ذلك؟

المؤمن - أولا: في الجواب عن سؤال الكيف نقول إن جهلنا وجهلكم بالتكليف القانوني لا يجعل الحادثة كذبا وخرافة، ما دامت ممكنة عقلا.

ثانيا: إن الله تعالى يخبر عن إحياء العظام وهي رميم ويقسم على ذلك، وأنتم متعجبون وتسخرون من قدرته على التنويم لفترة طويلة، أمركم عجب.

ثالثا: بالنسبة للعلم التجريبي، ألم تسمعوا بالموت السريري؟ ألم تسمعوا بالموت الدماغي؟ ألم تسمعوا بالحالة الانباتية المستديمة وتسمى بالحالة الخضرية الدائمة؟ ألم تسمعوا بحالة الغيبوبة الطويلة؟ أليست حالة الغيبوبة الطويلة هي حالة نوم عميق طويل بحيث لا يتأثر الشخص النائم بالمحفزات والمنبهات؟ إن لم تسمعوا أو لم تعرفوا التفصيل ابحتوا عن معلومات هذه الحالات على النت.

الملحد - هذا صحيح، لكن في حالة زهاب الوعي لفترة طويلة كعدة سنوات، فإنه لا يبقى فاقد الوعي على قيد الحياة دون أجهزة الإنعاش. فكيف بقي أهل الكهف نيام كل هذه السنوات على قيد الحياة دون طعام وشراب؟

المؤمن - أنا ذكرت هذه الحالات ليقنع عقلك التجريبي بأن النوم العميق الطويل ليس مستحيلا عقلا تجريبيا، لكن بلا إشكال فإن نومة أهل الكهف ليست خاضعة للظروف الاعتيادية، وإلا لما ذكرها الله تعالى كآية لبيان قدرته وهيمته على الكون، وقد قلنا إن جهلنا وجهلكم بالكيف لا يجعل الحادثة خرافة لعدم استحالتها عقلا. العقل البشري لحد الآن في جهل مطبق من ادراك اسرار الحياة والروح والعقل والدماغ، والله تعالى يقول: ((إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (٤١) اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤٢)))^١. ومن ناحية الأكل والشرب فربما سخر الله تعالى بعض النحل ليضع العسل وحبوب اللقاح في أفواه أصحاب الكهف، ستقول لكن النحل لا يفعل ذلك عادة! نقول إنها آية وبرهان لقوم يفكرون وليست في ظروف عادية ((أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠)))^٢، فلست أدري الكيف التفصيلي، لكن مادام الله تعالى أخبرنا بها على لسان الصادق الأمين، فنحن نؤمن بها ونصدق بها ونسلم تسليما.

- المعجزات والمنطق

الملحد - تؤمن بأن ماء البحر ينشق بعصا مع كونه سائلا، والعلم يقول إن السائل لا ينشق. وتؤمن بانقلاب العصا الى ثعبان، وبقاء شخص في بطن الحوت عدة أيام ويخرج حيا، وبأن شخصا رمي في النار ولم تحرقه، وبأن شخصا أتى بعرش بلقيس برمشة عين، وبأن شخصا عاش ألف سنة، وبأن شخصا يحيي الموتى، وبأن أشخاصا ينامون ٣٠٠ سنة، وشخصا يعرف لغة النمل والطيور، وبأن عذراء قد انجبت دون زواج، وتؤمن أن شخصا جمع

^١ - سورة الزمر

^٢ - سورة الكهف

كل الكائنات في سفينة؛ تؤمن بكل هذه الخرافات المخالفة للمنطق والعلم ودليلك انها ذكرت في كتاب تعتبره مقدسا، تأتي لتقول ناقشوني بالعلم والمنطق!

المؤمن – وهل تعرفون ما هو المنطق؟ أتحداكم أن تدرسوا علم المنطق بجميع فروعه وأن تنجحوا في الامتحان النهائي. لا يلحد شخص يعرف المنطق فعلا، أنتم مشكلتكم شيء آخر، ولا منطق لكم سوى منطق السفسطة والشكوية، اتحداكم جميعا أن تثبتوا مخالفة ما ذكرتموه للمنطق العقلاني وقطعي العلم. فليس كل ما يخالف العقول القاصرة والمزاجات المتغايرة تعتبرونه مخالفا للمنطق.

نحن تكلمنا تفصيلا في بعض هذه المذكورات فيما سبق، وبالنسبة لشق البحر فالمقصود به إزاحة وتفريق مياه البحر، كما قال تعالى: ((وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٠))) وهو ممكن بتسخير قوانين المادة، والله تعالى هو مقنن القوانين، فالعلم الطبيعي الذي بتسخير قوانين المادة استطاع رفع كتلة حديد وجعلها تتجول في السماء؛ لا يمانع من تسخير قوانين الطبيعة لإزاحة ماء البحر ، ومثلها كذلك انقلاب العصا الى ثعبان، والبقاء حيا في بطن الحوت، وعدم الاحتراق بالنار وإطالة عمر الإنسان وأمثالها. أما بالنسبة لإحياء الموتى أليس العلم التجريبي اليوم يسعى لإحياء الموتى؟ ألم تسمعوا بالمؤسسات التي تقوم بتجميد جنث الموتى في أحواض النتروجين، مقابل أموال، بغية التوصل لآلية أعادتهم للحياة ولو بعد مئات السنين؟

الملحد – أجوبتك كلها بنيتها على معجزات وعلوم غير موجودة.

المؤمن – بالعكس، كل أجوبتي مبنية على المنطق والعلوم التجريبية، أما بالنسبة للكيف التفصيلي فلا علم لنا إلا ما علمنا الله تعالى، والعلم الطبيعي يؤيد كل ما قلته، وجهله بالكيف ليس حجة لدعوى التقاطع بين العلم والدين، ثم أنتم من يستند الى المعجزات كحجة لدعوى التقاطع بين العلم والدين،

رغم أنكم لا تميزون المعنى الاصطلاحي للمعجزة في البحث العقائدي،
ورغم أن المعجزات هي معجزات، أي أنها في طبيعتها والغاية منها هي
حالات خاصة استثنائية لموقف خاص، فلا ينبغي محاكمة الدين علمياً عليها.

الملحد – وما هو معنى المعجزة الاصطلاحي؟

المؤمن – بالنسبة للمعجزات، يجب التفريق بين المعنى الاصطلاحي
للمعجزة في علم العقيدة وبين آيات القدرة الإلهية. المعجزة هي ما يجريه الله
تعالى على يد الأنبياء لتكون شاهداً على نبوتهم، بحيث يعجز البشر
الاعتيادي عن الاتيان بذلك ما لم يكن بسلطان من الله تعالى، وبعبارة أخرى
هي ما يأتي به النبي في مقام التحدي لأثبات دعوى نبوته مما يعجز غير
المسلط من الله تعالى عن الاتيان بمثله، قال تعالى: ((قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ
شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخَّرَكُمْ إِلَى
أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ
آبَاؤَنَا فَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِثْلُنَا مُبِينٌ (١٠) قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ
وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ
اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١)))).

أما آيات القدرة الإلهية فهي تصرفات الله تعالى في الكون، على غير
الظروف الاعتيادية لتكون برهاناً على هيمنته على الكون، ولا علاقة لها
بإثبات النبوة. فمثل أحياء النبي عيسى للموتى وانقلاب العصا للنبي موسى
هي معجزات بالمعنى الاصطلاحي للعقائدي للمعجزة، لأنها شواهد على
نبوة عيسى وموسى عليهما السلام، وعلى صدق دعواهم الرسالة من الله
تعالى، وكانت في مقام التحدي والمشاهدة أمام الناس، قال تعالى: ((وَفِي
مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٨) فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ
أَوْ مَجْنُونٌ (٣٩)))).^٢ ((يُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٤٨)
وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ
التِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ

^١ - سورة ابراهيم
^٢ - سورة الذاريات

وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ (٢٠))^١، ((وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥) وَوَرَّثَ سُلَيْمَانَ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦))^٢، ((قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠))^٣. والمعاني الثلاثة، أي المعجزة والكرامة وآيات القدرة الإلهية، تشترك في معنى واحد هو أنها بخلاف النظام السائد في عمل قوانين الطبيعة.

الملحد – يعني أنت تدير المعجزة الخارقة لقوانين الطبيعة، والمخالفة للعلم والمنطق بأنها مستندة الى علوم غير موجودة، ولا تريد اعتبارها خرافة!

المؤمن – حقيقة المعجزة هي تصرف في القوانين الكونية لمن يعرف حقيقة الطبيعة والحياة، فهي ليست خرقا لقوانين الطبيعة، بل هي تسخير لها، والله تعالى هو خالق الكون ومقنن القوانين فيعطي الولاية الكونية للأنبياء والمرسلين في مقام اثبات النبوة والرسالة، لتكون برهانا على صدقهم أنهم يبلغون عن الله تعالى. قال تعالى: ((اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٣) قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهُ فَاعِبٌ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦) وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ

١ - سورة ص
٢ - سورة النمل
٣ - سورة النمل

وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ((٦٧)))^١.

إن مهزلة العقل الإلحادي تتجلى في أن كل ما يجهره وينافي مزاجه يعتبره
كذبا وخرافة إن جاء من طريق الدين، ويشنع به على الدين ويجعلها حجة
للإلحاد بدعوى تقاطع العلم والدين، ثم إذا توصل العلم الطبيعي لبعض
المعرفة في أسرار الطبيعة والقدرة على تسخيرها، يجعل ذلك حجة للإلحاد
أيضا، بدعوى أن كل شيء خاضع لقوانين طبيعية فلا حاجة لفرض وجود
الله تعالى! كان السفر بالطائرات والمركبات الفضائية والوصول الى القمر
حلما ومجرد أمنيات وقد أصبحت حقيقة، ويبقى قول الله الحق: ((وَمَا أُوتِيتُمْ
مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ((٨٥)))^٢.

وهنا دعوني أنقل لكم بحثا قيما من تفسير الميزان، عن معنى المعجزة
وحقيقتها، عند تفسير قوله تعالى من سورة البقرة: ((وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا
نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ((٢٣)))^٣. قال المصنف رحمه الله تعالى:

((معنى الآية المعجزة في القرآن وما يفسر به حقيقتها

ولا شبهة في دلالة القرآن على ثبوت الآية المعجزة وتحققها، بمعنى الأمر
الخارق للعادة الدال على تصرف ما وراء الطبيعة في عالم الطبيعة و نشأة
المادة، لا بمعنى الأمر المبطل لضرورة العقل.

وما تمحله بعض المنتسبين إلى العلم من تأويل الآيات الدالة على ذلك توفيقا
بينها وبين ما يتراءى من ظواهر الأبحاث الطبيعية "العلمية" اليوم تكلف
مردود إليه. والذي يفيد القرآن الشريف في معنى خارق العادة وإعطاء
حقيقته نذكره في فصول من الكلام.

١ - تصديق القرآن لقانون العلية العامة

١ - سورة الزمر
٢ - سورة الإسراء
٣ - سورة البقرة

إن القرآن يثبت للحوادث الطبيعية أسبابا ويصدق قانون العلية العامة، كما يثبته ضرورة العقل وتعتمد عليه الأبحاث العلمية والأنظار الاستدلالية، فإن الإنسان مفطور على أن يعتقد لكل حادث مادي علة موجبة من غير تردد وارتباب.

وكذلك العلوم الطبيعية وسائر الأبحاث العلمية تغل الحوادث والأمور المربوبة بما تجده من أمور أخرى صالحة للتعليل، ولا نعني بالعلة إلا أن يكون هناك أمر واحد أو مجموع أمور إذا تحققت في الطبيعة مثلا تحقق عندها أمر آخر نسميه المعلول بحكم التجارب، كدلالة التجربة على أنه كلما تحقق احتراق لزم أن يتحقق هناك قبله علة موجبة له من نار أو حركة أو اصطكاك أو نحو ذلك، ومن هنا كانت الكلية وعدم التخلف من أحكام العلية والمعلولية ولوازمهما. وتصديق هذا المعنى ظاهر من القرآن فيما جرى عليه وتكلم فيه من موت وحياة و رزق و حوادث أخرى علوية سماوية أو سفلية أرضية على أظهر وجه، و إن كان يسندها جميعا بالآخرة إلى الله سبحانه لفرض التوحيد.

فالقرآن يحكم بصحة قانون العلية العامة، بمعنى أن سببا من الأسباب إذا تحقق مع ما يلزمه و يكتنف به من شرائط التأثير من غير مانع لزمه وجود مسببه مترتبا عليه، بإذن الله سبحانه، و إذا وجد المسبب كشف ذلك عن تحقق سببه لا محالة.

٢ - إثبات القرآن ما يخرق العادة

ثم إن القرآن يقتض ويخبر عن جملة من الحوادث والوقائع لا يساعد عليها جريان العادة المشهودة في عالم الطبيعة على نظام العلة و المعلول الموجود، و هذه الحوادث الخارقة للعادة هي الآيات المعجزة التي ينسبها إلى عدة من الأنبياء الكرام، كمعجزات نوح و هود و صالح و إبراهيم ولوط و داود و سليمان و موسى و عيسى و محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنها أمور خارقة للعادة المستمرة في نظام الطبيعة. لكن يجب أن يعلم أن هذه الأمور والحوادث وإن أنكرتها العادة واستبعدتها إلا أنها ليست أمورا مستحيلة بالذات، بحيث يبطلها العقل الضروري كما يبطل قولنا: الإيجاب و السلب

يجتمعان معا و يرتفعان معا من كل جهة، وقولنا: الشيء يمكن أن يسلب عن نفسه، و قولنا: الواحد ليس نصف الاثنين، و أمثال ذلك من الأمور الممتنعة بالذات، كيف؟ و عقول جم غفير من المليون منذ أعصار قديمة تقبل ذلك و تترضيه، من غير إنكار و رد و لو كانت المعجزات ممتنعة بالذات لم يقبلها عقل عاقل، و لم يستدل بها على شيء و لم ينسبها أحد إلى أحد.

على أن أصل هذه الأمور أعني المعجزات ليس مما تنكره عادة الطبيعة بل هي مما يتعاوره نظام المادة كل حين، بتبديل الحي إلى ميت و الميت إلى الحي و تحويل صورة إلى صورة و حادثة إلى حادثة و رخاء إلى بلاء و بلاء إلى رخاء، و إنما الفرق بين صنع العادة و بين المعجزة الخارقة هو أن الأسباب المادية المشهودة التي بين أيدينا إنما تؤثر أثرها مع روابط مخصوصة و شرائط زمانية و مكانية خاصة تقضي بالتدرج في التأثير، مثلا العصا و إن أمكن أن تصير حية تسعى و الجسد البالي و إن أمكن أن يصير إنسانا حيا لكن ذلك إنما يتحقق في العادة بعلة خاصة و شرائط زمانية و مكانية مخصوصة تنتقل بها المادة من حال إلى حال و تكتسي صورة بعد صورة حتى تستقر و تحل بها الصورة الأخيرة المفروضة، على ما تصدقه المشاهدة و التجربة، لا مع أي شرط اتفق أو من غير علة، أو بإرادة مرید كما هو الظاهر من حال المعجزات و الخوارق التي يقصها القرآن.

وكما أن الحس و التجربة الساذجين لا يساعدان على تصديق هذه الخوارق للعادة كذلك النظر العلمي الطبيعي، لكونه معتمدا على السطح المشهود من نظام العلة و المعلول الطبيعيين، أعني به السطح الذي يستقر عليه التجارب العلمي اليوم و الفرضيات المعلة للحوادث المادية.

إلا أن حدوث الحوادث الخارقة للعادة إجمالا ليس في وسع العلم إنكاره والستر عليه، فكم من أمر عجيب خارق للعادة يأتي به أرباب المجاهدة و أهل الارتياض كل يوم تمتلئ به العيون وتنشره النشريات و يضبطه الصحف و المسفورات، بحيث لا يبقى لذي لب في وقوعها شك و لا في تحققها ريب.

وهذا هو الذي ألجأ الباحثين في الآثار الروحية من علماء العصر أن يعللوه بجريان أمواج مجهولة إلكتروسية مغناطيسية، فافترضوا أن الارتياضات

الشاقة تعطي للإنسان سلطة على تصريف أمواج مرموزة قوية تملكه أو تصاحبه إرادة وشعور، وبذلك يقدر على ما يأتي به من حركات وتحريكات وتصرفات عجيبة في المادة، خارقة للعادة بطريق القبض والبسط ونحو ذلك. وهذه الفرضية لو تمت واطردت من غير انتقاض، لأدت إلى تحقق فرضية جديدة وسيدة تعلل جميع الحوادث المتفرقة التي كانت تعللها جميعا، أو تعلل بعضها الفرضيات القديمة على محور الحركة والقوة، ولساقت جميع الحوادث المادية إلى التعلل و الارتباط بعلة واحدة طبيعية.

فهذا قولهم والحق معهم في الجملة إذ لا معنى لمعلول طبيعي لا علة طبيعية له، مع فرض كون الرابطة طبيعية محفوظة، و بعبارة أخرى إنا لا نعني بالعلة الطبيعية إلا أن تجتمع عدة موجودات طبيعية مع نسب وروابط خاصة، فيتكون منها عند ذلك موجود طبيعي جديد حادث متأخر عنها مربوط بها، بحيث لو انتقض النظام السابق عليه لم يحدث و لم يتحقق وجوده.

وأما القرآن الكريم فإنه وإن لم يشخص هذه العلة الطبيعية الأخيرة التي تعلل جميع الحوادث المادية العادية والخارقة للعادة على ما نحسبه، بتشخيص اسمها وكيفية تأثيرها، لخروجه عن غرضه العام إلا أنه مع ذلك يثبت لكل حادث مادي سببا ماديا بإذن الله تعالى، و بعبارة أخرى يثبت لكل حادث مادي مستند في وجوده إلى الله سبحانه والكل مستند مجرى ماديا و طريقا طبيعيا، به يجري فيض الوجود منه تعالى إليه.

قال تعالى: "و من يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب، و من يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا": الطلاق - ٣، فإن صدر الآية يحكم بالإطلاق من غير تقييد أن كل من اتقى الله و توكل عليه و إن كانت الأسباب العادية المحسوبة عندنا أسبابا تقضي بخلافه و تحكم بعدمه، فإن الله سبحانه حسبه فيه و هو كائن لا محالة، كما يدل عليه أيضا إطلاق قوله تعالى: "و إذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان": البقرة - ١٨٦، و قوله تعالى: "ادعوني أستجب لكم": المؤمن - ٦٠، و قوله تعالى: "أ ليس الله بكاف عبده": الزمر - ٣٦. ثم الجملة التالية و هي قوله تعالى: "إن الله بالغ أمره": الطلاق - ٣، يعلل

إطلاق الصدر، و في هذا المعنى قوله: "و الله غالب على أمره و لكن أكثر الناس لا يعلمون": يوسف - ٢١، و هذه جملة مطلقة غير مقيدة بشيء البتة فله سبحانه سبيل إلى كل حادث تعلقت به مشيئته و إرادته، و إن كانت السبل العادية و الطرق المألوفة مقطوعة منتفية هناك.

و هذا يحتمل وجهين: أحدهما أن يتوسل تعالى إليه من غير سبب مادي و علة طبيعية بل بمجرد الإرادة وحدها، و ثانيهما أن يكون هناك سبب طبيعي مستور عن علمنا يحيط به الله سبحانه و يبلغ ما يريده من طريقه. إلا أن الجملة التالية من الآية المعللة لما قبلها أعني قوله تعالى (قد جعل الله لكل شيء قدرا) تدل على ثاني الوجهين، فإنها تدل على أن كل شيء من المسببات أعم مما تقتضيه الأسباب العادية أو لا تقتضيه فإن له قدرا قدره الله سبحانه عليه، و ارتباطات مع غيره من الموجودات، و اتصالات وجودية مع ما سواه، لله سبحانه أن يتوسل منها إليه و إن كانت الأسباب العادية مقطوعة عنه غير مرتبطة به، إلا أن هذه الاتصالات و الارتباطات ليست مملوكة للأشياء أنفسها، حتى تطيع في حال و تعصي في أخرى بل مجعولة بجعله تعالى مطيعة منقادة له.

فالآية تدل على أنه تعالى جعل بين الأشياء جميعها ارتباطات و اتصالات له أن يبلغ إلى كل ما يريد من أي وجه شاء، و ليس هذا نفيا للعلية و السببية بين الأشياء بل إثبات أنها بيد الله سبحانه يحولها كيف شاء و أراد، ففي الوجود علية و ارتباط حقيقي بين كل موجود و ما تقدمه من الموجودات المنتظمة، غير أنها ليست على ما نجده بين ظواهر الموجودات بحسب العادة، و لذلك نجد الفرضيات العلمية الموجودة قاصرة عن تعليل جميع الحوادث الوجودية، بل على ما يعلمه الله تعالى و ينظمه.

و هذه الحقيقة هي التي تدل عليها آيات القدر كقوله تعالى: "وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم": الحجر - ٢١، و قوله تعالى: "إنا كل شيء خلقناه بقدر": القمر - ٤٩، و قوله تعالى: "و خلق كل شيء فقدره تقديرا": الفرقان - ٢، و قوله تعالى: "الذي خلق فسوى و الذي قدر فهدي": الأعلى - ٣.

وكذا قوله تعالى: "ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها": الحديد - ٢٢، وقوله تعالى: "ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه و الله بكل شيء عليم": التغابن - ١١ .

فإن الآية الأولى وكذا بقية الآيات تدل على أن الأشياء تنزل من ساحة الإطلاق إلى مرحلة التعيين والتشخص بتقدير منه تعالى وتحديد يتقدم على الشيء ويصاحبه، ولا معنى لكون الشيء محدودا مقدرًا في وجوده إلا أن يتحدد و يتعين بجميع روابطه، التي مع سائر الموجودات و الموجود المادي مرتبط بمجموعة من الموجودات المادية الأخرى، التي هي كالعالم الذي يقبل به الشيء و يعين وجوده و يحدده و يقدره، فما من موجود مادي إلا و هو متقدر مرتبط بجميع الموجودات المادية التي تتقدمه وتصاحبه فهو معلول لآخر مثله لا محالة.

ويمكن أن يستدل أيضا على ما مر بقوله تعالى: "ذلكم الله ربكم خالق كل شيء": المؤمن - ٦٢، وقوله تعالى: "ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم": هود - ٥٦.

فإن الآيتين بانضمام ما مرت الإشارة إليه من أن الآيات القرآنية تصدق قانون العلية العام تنتج المطلوب. وذلك أن الآية الأولى تعمم الخلقة لكل شيء فما من شيء إلا وهو مخلوق لله عز شأنه، والآية الثانية تنطق بكون الخلقة والإيجاد على وتيرة واحدة ونسق منتظم من غير اختلاف يؤدي إلى الهرج والجزاف. والقرآن كما عرفت يصدق قانون العلية العام فيما بين الموجودات المادية، ينتج أن نظام الوجود في الموجودات المادية سواء كانت على جري العادة أو خارقة لها على صراط مستقيم غير متخلف ووتيرة واحدة في استناد كل حادث فيه إلى العلة المتقدمة عليه الموجبة له.

ومن هنا يستنتج أن الأسباب العادية التي ربما يقع التخلف بينها وبين مسبباتها ليست بأسباب حقيقية، بل هناك أسباب حقيقية مطردة غير متخلفة الأحكام و الخواص، كما ربما يؤيده التجارب العلمي في جراثيم الحياة وفي خوارق العادة كما مر.

٣ - القرآن يسند ما أسند إلى العلة المادية إلى الله تعالى

ثم إن القرآن كما يثبت بين الأشياء العلية والمعلولية، ويصدق سببية البعض للبعض، كذلك يسند الأمر في الكل إلى الله سبحانه، فيستنتج منه أن الأسباب الوجودية غير مستقلة في التأثير، و المؤثر الحقيقي بتمام معنى الكلمة ليس إلا الله عز سلطانه.

قال تعالى: "ألا له الخلق والأمر": الأعراف - ٥٣، وقال تعالى "الله ما في السموات وما في الأرض": البقرة - ٢٨٤، و قال تعالى: "له ملك السموات والأرض": الحديد - ٥، وقال تعالى: "قل كل من عند الله": النساء - ٧٧. إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على أن كل شيء مملوك محض لله لا يشاركه فيه أحد، و له أن يتصرف فيها كيف شاء و أراد و ليس لأحد أن يتصرف في شيء منها إلا من بعد أن يأذن الله لمن شاء و يملكه التصرف من غير استقلال في هذا التمليك أيضا، بل مجرد إذن لا يستقل به المأذون له دون أن يعتمد على إذن الإذن، قال تعالى: "قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء و تنزع الملك ممن تشاء": آل عمران - ٢٦، و قال تعالى: "الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى": طه - ٥٠، إلى غير ذلك من الآيات، و قال تعالى أيضا: "له ما في السموات و ما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه": البقرة - ٢٥٥، و قال تعالى: "ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه": يونس - ٣.

فالأسباب تملكت السببية بتمليكه تعالى، وهي غير مستقلة في عين أنها مالكة. وهذا المعنى هو الذي يعبر سبحانه عنه بالشفاعة و الإذن، فمن المعلوم أن الإذن إنما يستقيم معناه إذا كان هناك مانع من تصرف المأذون فيه، و المانع أيضا إنما يتصور فيما كان هناك مقتض موجود يمنع المانع عن تأثيره و يحول بينه و بين تصرفه. فقد بان أن في كل السبب مبدأ مؤثرا مقتضيا للتأثير به يؤثر في مسببه، والأمر مع ذلك لله سبحانه.

٤ - القرآن يثبت تأثيرا في نفوس الأنبياء في الخوارق

ثم إنه تعالى قال: "وما كان لرسول أن يأتي بأية إلا بإذن الله فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون": المؤمن - ٧٨. فأفاد إناطة إتيان أية آية من أي رسول بإذن الله سبحانه، فبين أن إتيان الآيات المعجزة من

الأنبياء وصدورها عنهم إنما هو لمبدأ مؤثر موجود في نفوسهم الشريفة متوقف في تأثيره على الإذن كما مر في الفصل السابق.

وقال تعالى: "واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر فیتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله": البقرة - ١٠٢. والآية كما أنها تصدق صحة السحر في الجملة، كذلك تدل على أن السحر أيضا كالمعجزة في كونه عن مبدأ نفساني في الساحر لمكان الإذن.

و بالجملة جميع الأمور الخارقة للعادة سواء سميت معجزة أو سحرا أو غير ذلك، ككرامات الأولياء و سائر الخصال المكتسبة بالارتياضات والمجاهدات، جميعها مستندة إلى مبادئ نفسانية و مقتضيات إرادية على ما يشير إليه كلامه سبحانه، إلا أن كلامه ينص على أن المبدأ الموجود عند الأنبياء و الرسل و المؤمنين هو الفائق الغالب على كل سبب و في كل حال، قال تعالى: "و لقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم لمنصورون و إن جندنا لهم الغالبون": الصافات - ١٧٣، و قال تعالى: "كتب الله لأغلبن أنا و رسلي": المجادلة - ٢١، و قال تعالى: "إنا لننصر رسلنا و الذين آمنوا في الحياة الدنيا و يوم يقوم الأشهاد": المؤمن - ٥١. والآيات مطلقة غير مقيدة.

ومن هنا يمكن أن يستنتج أن هذا المبدأ الموجود المنصور أمر وراء الطبيعة و فوق المادة. فإن الأمور المادية مقدره محدودة مغلوبة لما هو فوقها قدرا واحدا عند التزاحم و المغالبة، و الأمور المجردة أيضا و إن كانت كذلك إلا أنها لا تزاحم بينها و لا تمنع إلا أن تتعلق بالمادة بعض التعلق، و هذا المبدأ النفساني المجرد المنصور بإرادة الله سبحانه إذا قابل مانعا ماديا أفاض إمدادا على السبب بما لا يقاومه سبب مادي يمنعه فافهم.

٥ - القرآن كما يسند الخوارق إلى تأثير النفوس يسندها إلى أمر الله تعالى

ثم إن الجملة الأخيرة من الآية السابقة في الفصل السابق أعني قوله تعالى: "فإذا جاء أمر الله قضي بالحق" الآية، تدل على أن تأثير هذا المقتضي

يتوقف على أمر من الله تعالى، يصاحب الإذن الذي كان يتوقف عليه أيضا فتأثير هذا المقتضي يتوقف على مصادفته الأمر أو اتحاده معه. وقد فسر الأمر في قوله تعالى "إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون": يس - ٨٢، بكلمة الإيجاد وقول: كن، وقال تعالى: "إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا وما تشاءون إلا أن يشاء الله": الدهر - ٢٩، ٣٠ وقال: "إن هو إلا ذكر للعالمين. لمن شاء منكم أن يستقيم. وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين": التكوير - ٢٧، ٢٨، ٢٩، دلت الآيات على أن الأمر الذي للإنسان إن يريده وبيده زمام اختياره لا يتحقق موجودا إلا أن يشاء الله ذلك، بأن يشاء أن يشاء الإنسان و يريد إرادة الإنسان، فإن الآيات الشريفة في مقام أن أفعال الإنسان الإرادية وإن كانت بيد الإنسان بإرادته لكن الإرادة والمشية ليست بيد الإنسان، بل هي مستندة إلى مشية الله سبحانه، وليست في مقام بيان أن كل ما يريده الإنسان فقد أراده الله فإنه خطأ فاحش و لازمه أن يتخلف الفعل عن إرادة الله سبحانه عند تخلفه عن إرادة الإنسان، تعالى الله عن ذلك. مع أنه خلاف ظواهر الآيات الكثيرة الواردة في هذا المورد كقوله تعالى: "ولو شئنا لآتينا كل نفس هديها": السجدة - ١٣. وقوله تعالى: "ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا": يونس - ٩٩، إلى غير ذلك، فأرادتنا ومشيتنا إذا تحققت فينا فهي مرادة بإرادة الله ومشيته لها، وكذا أفعالنا مرادة له تعالى من طريق إرادتنا ومشيتنا بالواسطة. وهما أعني الإرادة والفعل جميعا متوقفان على أمر الله سبحانه وكلمة كن.

فالأمر جميعا سواء كانت عادية أو خارقة للعادة وسواء كان خارق العادة في جانب الخير والسعادة كالمعجزة والكرامة، أو في جانب الشر كالسحر والكهانة مستندة في تحققها إلى أسباب طبيعية، وهي مع ذلك متوقفة على إرادة الله، لا توجد إلا بأمر الله سبحانه، أي بأن يصادف السبب أو يتحد مع أمر الله سبحانه.

وجميع الأشياء وإن كانت من حيث استناد وجودها إلى الأمر الإلهي على حد سواء بحيث إذا تحقق الإذن والأمر تحققت عن أسبابها، وإذا لم يتحقق الإذن والأمر لم يتحقق، أي لم تتم السببية، إلا أن قسما منها وهو المعجزة من الأنبياء أو ما سأله عبد ربه بالدعاء، لا يخلو عن إرادة موجبة منه تعالى

وأمر عزيمة كما يدل عليه قوله: "كتب الله لأغلبن أنا ورسلي" الآية: المجادلة - ٢١. وقوله تعالى: "أجيب دعوة الداع إذا دعان" الآية: البقرة - ١٨٦، وغير ذلك من الآيات المذكورة في الفصل السابق.

٦ - القرآن يسند المعجزة إلى سبب غير مغلوب

فقد تبين من الفصول السابقة من البحث أن المعجزة كسائر الأمور الخارقة للعادة لا تفارق الأسباب العادية في الاحتياج إلى سبب طبيعي، و أن مع الجميع أسبابا باطنية، و أن الفرق بينها أن الأمور العادية ملازمة لأسباب ظاهرية تصاحبها الأسباب الحقيقية الطبيعية غالبا أو مع الأغلب، و مع تلك الأسباب الحقيقية إرادة الله و أمره، و الأمور الخارقة للعادة من الشرور كالسحر والكهانة مستندة إلى أسباب طبيعية، مفارقة للعادة مقارنة للسبب الحقيقي بالإذن و الإرادة، كاستجابة الدعاء و نحو ذلك، من غير تحد يبتني عليه ظهور حق الدعوة، و أن المعجزة مستندة إلى سبب طبيعي حقيقي، بإذن الله و أمره، إذا كان هناك تحد يبتني عليه صحة النبوة والرسالة والدعوة إلى الله تعالى، و أن القسمين الآخرين يفارقان سائر الأقسام في أن سببهما لا يصير مغلوبا مقهورا قط بخلاف سائر المسببات.

فإن قلت: فعلى هذا لو فرضنا الإحاطة والبلوغ إلى السبب الطبيعي الذي للمعجزة كانت المعجزة ميسورة ممكنة الإتيان لغير النبي أيضا، ولم يبق فرق بين المعجزة وغيرها إلا بحسب النسبة والإضافة فقط، فيكون حينئذ أمر ما معجزة بالنسبة إلى قوم غير معجزة بالنسبة إلى آخرين، و هم المطلعون على سببها الطبيعي الحقيقي، و في عصر دون عصر، و هو عصر العلم، فلو ظفر البحث العلمي على الأسباب الحقيقية الطبيعية القصوى لم يبق مورد للمعجزة و لم تكشف المعجزة عن الحق.

ونتيجة هذا البحث أن المعجزة لا حجية فيها إلا على الجاهل بالسبب فليست حجة في نفسها.

قلت: كلا فليست المعجزة معجزة من حيث إنها مستندة إلى سبب طبيعي مجهول حتى تنسلخ عن اسمها عند ارتفاع الجهل وتسقط عن الحجية، ولا أنها معجزة من حيث استنادها إلى سبب مفارق للعادة، بل هي معجزة من

حيث إنها مستندة إلى أمر مفارق للعادة غير مغلوب السبب قاهرة العلة البتة، وذلك كما أن الأمر الحادث من جهة استجابة الدعاء كرامة من حيث استنادها إلى سبب غير مغلوب كشفاء المريض، مع أنه يمكن أن يحدث من غير جهته كجهة العلاج بالدواء، غير أنه حينئذ أمر عادي يمكن أن يصير سببه مغلوبا مقهورا بسبب آخر أقوى منه.

٧ - القرآن يعد المعجزة برهانا على صحة الرسالة لا دليلا عاميا

وهاهنا سؤال وهو أنه ما هي الرابطة بين المعجزة و بين حقيقة دعوى الرسالة؟ مع أن العقل لا يرى تلازما بين صدق الرسول في دعوته إلى الله سبحانه و بين صدور أمر خارق للعادة عن الرسول، على أن الظاهر من القرآن الشريف تقرير ذلك فيما يحكيه من قصص عدة من الأنبياء كهود و صالح و موسى و عيسى و محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنهم على ما يقصه القرآن حينما بثوا دعوتهم سئلوا عن آية تدل على حقيقة دعوتهم فأجابوهم فيما سئلوا و جاءوا بالآيات.

و ربما أعطوا المعجزة في أول البعثة قبل أن يسألهم أمهم شيئا من ذلك كما قال تعالى في موسى (عليه السلام) و هارون: "اذهب أنت و أخوك بآياتي و لا تنيا في ذكري": طه - ٤٢، و قال تعالى في عيسى (عليه السلام): "و رسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله و أبرئ الأكمه و الأبرص و أحيي الموتى بإذن الله و أنبئكم بما تأكلون و ما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين": آل عمران - ٤٩، و كذا إعطاء القرآن معجزة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

وبالجملة فالعقل الصريح لا يرى تلازما بين حقيقة ما أتى به الأنبياء و الرسل من معارف المبدأ و المعاد و بين صدور أمر يخرق العادة عنهم. مضافا إلى أن قيام البراهين الساطعة على هذه الأصول الحقة يغني العالم البصير بها عن النظر في أمر الإعجاز، ولذا قيل إن المعجزات لإقناع نفوس العامة لقصور عقولهم عن إدراك الحقائق العقلية و أما الخاصة فإنهم في غنى عن ذلك.

والجواب عن هذا السؤال: أن الأنبياء و الرسل (عليهم السلام) لم يأتوا بالآيات المعجزة لإثبات شيء من معارف المبدأ و المعاد مما يناله العقل كالتوحيد و البعث و أمثالها، و إنما اكتفوا في ذلك بحجة للعقل والمخاطبة من طريق النظر و الاستدلال كقوله تعالى: "قالت رسلهم أ في الله شك فاطر السموات و الأرض": إبراهيم - ١٠ في الاحتجاج على التوحيد قوله تعالى: "و ما خلقنا السماء و الأرض و ما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا و عملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار": ص - ٢٨ في الاحتجاج على البعث.

وإنما سئل الرسل المعجزة و أتوا بها لإثبات رسالتهم وتحقيق دعواها. وذلك أنهم ادعوا الرسالة من الله بالوحي و أنه بتكليم إلهي أو نزول ملك ونحو ذلك، و هذا شيء خارق للعادة في نفسه من غير سنخ الإدراكات الظاهرة و الباطنة التي يعرفها عامة الناس و يجدونها من أنفسهم، بل إدراك مستور عن عامة النفوس لو صح وجوده لكان تصرفا خاصا من ما وراء الطبيعة في نفوس الأنبياء فقط، مع أن الأنبياء كغيرهم من أفراد الناس في البشرية و قواها، و لذلك صادفوا إنكارا شديدا من الناس و مقاومة عنيفة في رده على أحد وجهين: فتارة حاول الناس إبطال دعويهم بالحجة كقوله تعالى: "قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباءنا": إبراهيم - ١٠، استدلوا فيها على بطلان دعويهم الرسالة بأنهم مثل سائر الناس و الناس لا يجدون شيئا مما يدعونه من أنفسهم مع وجود المماثلة، و لو كان كان في الجميع أو جاز للجميع هذا، و لهذا أجاب الرسل عن حجتهم بما حكاه الله تعالى عنهم بقوله: "قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم و لكن الله يمن على من يشاء من عباده": إبراهيم - ١٣، فردوا عليهم بتسليم المماثلة و أن الرسالة من منن الله الخاصة، و الاختصاص ببعض النعم الخاصة لا ينافي المماثلة، فللناس اختصاصات، نعم لو شاء أن يمنن على من يشاء منهم فعل ذلك من غير مانع فالنبوة مختصة بالبعث و إن جاز على الكل.

ونظير هذا الاحتجاج قولهم في النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على ما حكاه الله تعالى: "أ أنزل عليه الذكر من بيننا": ص - ٨، وقولهم كما حكاه الله: "لو لا أنزل هذا القرآن على رجل من القريرتين عظيم": الزخرف - ٣١.

ونظير هذا الاحتجاج أو قريب منه ما في قوله تعالى: "وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام و يمشي في الأسواق لو لا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها": الفرقان - ٨، ووجه الاستدلال أن دعوى الرسالة توجب أن لا يكون بشرا مثلنا لكونه ذا أحوال من الوحي و غيره ليس فينا، فلم يأكل الطعام و يمشي في الأسواق لاكتساب المعيشة؟ بل يجب أن ينزل معه ملك يشاركه في الإنذار أو يلقى إليه كنز فلا يحتاج إلى مشي الأسواق للكسب أو تكون له جنة فيأكل منها لا مما نأكل منه من طعام، فرد الله تعالى عليهم بقوله: "انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا" إلى أن قال "و ما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام و يمشون في الأسواق و جعلنا بعضكم لبعض فتنة أ تصبرون و كان ربك بصيرا": الفرقان - ٢٠، و رد تعالى في موضع آخر مطالبتهم مباشرة الملك للإنذار بقوله: "و لو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا و للبسنا عليهم ما يلبسون": الأنعام - ٩.

و قريب من ذلك الاحتجاج أيضا ما في قوله تعالى: "و قال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم و عتوا عتوا كبيرا": الفرقان - ٢١، فأبطلوا بزعمهم دعوى الرسالة بالوحي بمطالبة أن يشهدوا نزول الملك أو رؤية الرب سبحانه لمكان المماثلة مع النبي، فرد الله تعالى عليهم ذلك بقوله: "يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين و يقولون حجرا محجورا": الفرقان - ٢٢، فذكر أنهم و الحال حالهم لا يرون الملائكة إلا مع حال الموت كما ذكره في موضع آخر بقوله تعالى: "و قالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين ما ننزل الملائكة إلا بالحق و ما كانوا إذا منظرين": الحجر - ٨، و يشتمل هذه الآيات الأخيرة على زيادة في وجه الاستدلال، وهو تسليم صدق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في دعواه إلا أنه مجنون و ما يحكيه و يخبر به أمر يسوله له الجنون غير مطابق للواقع كما في موضع آخر من قوله: "و قالوا مجنون و ازدجر": القمر - ٩.

وبالجملة فأمثال هذه الآيات مسوقة لبيان إقامتهم الحجة على إبطال دعوى النبوة من طريق المماثلة.

و تارة أخرى أقاموا أنفسهم مقام الإنكار و سؤال الحجة و البيينة على صدق الدعوة، لاشتغالها على ما تنكره النفوس و لا تعرفه العقول على طريقة المنع مع السند باصطلاح فن المناظرة و هذه البيينة هي المعجزة، بيان ذلك أن دعوى النبوة و الرسالة من كل نبي و رسول على ما يقصه القرآن إنما كانت بدعوى الوحي و التكليم الإلهي بلا واسطة أو بواسطة نزول الملك، و هذا أمر لا يساعد عليه الحس و لا تؤيده التجربة فيتوجه عليه الإشكال من جهتين: إحداها من جهة عدم الدليل عليه، و الثانية من جهة الدليل على عدمه، فإن الوحي و التكليم الإلهي و ما يتلوه من التشريع و التربية الدينية مما لا يشاهده البشر من أنفسهم، و العادة الجارية في الأسباب و المسببات تنكره فهو أمر خارق للعادة، و قانون العلية العامة لا يجوزه، فلو كان النبي صادقاً في دعواه النبوة و الوحي كان لازمه أنه متصل بما وراء الطبيعة، مؤيد بقوة إلهية تقدر على خرق العادة و أن الله سبحانه يريد بنبوته و الوحي إليه خرق العادة، فلو كان هذا حقاً و لا فرق بين خارق و خارق كان من الممكن أن يصدر من النبي خارق آخر للعادة من غير مانع، و أن يخرق الله العادة بأمر آخر يصدق النبوة و الوحي من غير مانع عنه فإن حكم الأمثال واحد، فلئن أراد الله هداية الناس بطريق خارق للعادة و هو طريق النبوة و الوحي فليؤيدها و ليصدقها بخارق آخر وهو المعجزة.

و هذا هو الذي بعث الأمم إلى سؤال المعجزة على صدق دعوى النبوة كلما جاءهم رسول من أنفسهم بعثاً بالفطرة و الغريزة، و كان سؤال المعجزة لتأييد الرسالة و تصديقها لا للدلالة على صدق المعارف الحقة التي كان الأنبياء يدعون إليها مما يمكن أن يناله البرهان كالتوحيد و المعاد، و نظير هذا ما لو جاء رجل بالرسالة إلى قوم من قبل سيدهم الحاكم عليهم و معه أوامر و نواه يدعيها للسيد فإن بيانه لهذه الأحكام وإقامته البرهان على أن هذه الأحكام مشتملة على مصلحة القوم و هم يعلمون أن سيدهم لا يريد إلا صلاح شأنهم، إنما يكفي في كون الأحكام التي جاء بها حقة صالحة للعمل، و لا تكفي البراهين و الأدلة المذكورة في صدق رسالته وأن سيدهم أراد منهم بإرساله إليهم ما جاء به من الأحكام، بل يطالبونه ببينة أو علامة تدل

على صدقه في دعواه ككتاب بخطه وخاتمه يقرؤونه، أو علامة يعرفونها، كما قال المشركون للنبي: "حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه": إسرائ - ٩٣ .

فقد تبين بما ذكرناه أولاً: التلازم بين صدق دعوى الرسالة وبين المعجزة، وأنها الدليل على صدق دعواها، لا يتفاوت في ذلك حال الخاصة و العامة في دلالتها و إثباتها، و ثانياً أن ما يجده الرسول و النبي من الوحي و يدركه منه من غير سنخ ما نجده بحواسنا و عقولنا النظرية الفكرية، فالوحي غير الفكر الصائب، و هذا المعنى في كتاب الله تعالى من الوضوح و السطوع بحيث لا يرتاب فيه من له أدنى فهم و أقل إنصاف))^١.

الملحد - فعلا، أنه على قولك لو توصل العلماء بالعلم الطبيعي الى قوانين عمل كل معجزات الأنبياء، فإنه ستبطل كل المعجزات و تنتفي النبوات.

المؤمن - على فرض ذلك، فإنه بالعكس سوف تتأكد النبوات، لأن علماء العلم الطبيعي لم يصلوا الى سرها و فعلها إلا بعد آلاف السنين من حصولها، و بعد تراكم خبرات آلاف الأجيال من العلماء، و بعد توسط عدة وسائط مادية تدريجية لفعل المعجزة. بينما النبي فعلها قبل آلاف السنين، مقارنة لدعواه النبوة و الرسالة، وهو فرد، و بشكل لحظي دفعي أي حين الطلب و الإرادة، و ما يكون لبشر ذلك ما لم يكن بسلطان من الله تعالى الغالب على أمره.

- السفر عبر الكون: المعراج & رجل الاسباكتي

الملحد - لم يستفد أحد من المجرات سوى نبي الإسلام عندما سافر في الكون على بغلة، وهذه هي المعجزة.

المؤمن - أولاً: الرسول الأكرم لم يسافر على بغلة بل على البراق، وهو اسم مشتق من البرق الذي هو ضوء، والذي يعتبره العلم الطبيعي اليوم أسرع الأشياء، فالبراق هو وسيلة نقل الله أعلم بحقيقتها، وقد عبر عنها

١ - تفسير الميزان، السيد الحكيم، ج ١ ص ٣٩-٤٧

بالبراق تقريبا للسرعة الفائقة الى الأذهان العادية. أما الروايات فقد وصفت حجم البراق بأنه دابة فوق حجم الحمار ودون حجم البغل.

ثانيا: الرسول الأكرم لم يعرج في السماوات على البراق. وإنما أسرى على البراق الى بيت المقدس، أما المعراج في السماوات فلم يكن بواسطة البراق. وعليه فقولكم إنه سافر في الأكوان على بغلة هو من الكذب.

ثالثا: السفر في الكون والعوالم هو متعذر عادة، ولكنه ليس مستحيلا عقليا لمن يعرف كيفية تسخير القوانين الطبيعية، والى ذلك أشار القرآن الكريم فقال: ((يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَبَخْتُمْ أَنْ تَتْفُتُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُتُوا لَا تَتَّفُدُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (٣٣) فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (٣٥))^١.

فلاحظ عزيزي، للسماوات أقطار وطرق وأبواب، وفيها صخور من نار ونحاس، فهي ليست مجرد صفيحة مسطحة مرفوعة أو خيمة زرقاء كما تتقولون على القرآن، والسفر عبر الأكوان متعذر إلا بسلطان من الله تعالى يتسلط به المسافر على قوانين الكون، فان كنت ساخرا فاسخر من اطروحة "رجل الاسبكتي" لعلماء الكونيات. فهل تعرفون نظرية رجل الإسباكتي؟

الملحد - لا، لا نعرفها.

المؤمن - هذه الأطروحة ذكرها ستيفن هاوكنغ في مقابلته الشهيرة مع قناة البي بي سي، في المحاوراة التي اجرتها قناة البي بي سي مع ستيفن هاوكنغ و كارل ساغان وارثر كلارك خبراء الفيزياء الكونية سنة ١٩٨٩ بعنوان ((الله والكون وما عداهما)) وهي موجودة على النت، حيث قال ستيفن هاوكنغ: ((بعض الابحاث الحديثة اشارت الى ان الجسيمات التي تسقط في ثقب اسود يمكنها الخروج ثانية من ثقب بمكان آخر، للوهلة الاولى يبدو هذا وكأنه وسيلة سفر كونية مثالية، اعثر على ثقب اسود واقفز بداخله، ولكن هناك معوقات، أولا لا يبدو ان هناك طريقة لاختيار محطة الوصول، والأسوأ هو أن تأريخك و زمنك الحقيقي كلها ستفنى، بينما ستتمزق نتيجة

^١ - سورة الرحمن

المجالات التجاذبية بداخل الثقب الاسود، سيستمر تأريخك وزمنك الافتراضي خروجاً من الثقب الاسود الثاني، لكن هذا لن يكون سلوانا كافياً لمن امتط وتحول الى مكرونة اسباكتي)). وكذلك في كتابه (تاريخ موجز للزمن) شرح ستيفن هاوكنغ هذه الفرضية، فرضية السفر في الكون عبر ثقب أسود أو ممر دودي، وأشار الى أبحاث العلماء في إمكانها بحسب النسبية العامة لأينشتاين، فقال: ((على أن هذا السيناريو ليس واقعياً بالكامل، وذلك بسبب المشكلة التالية: إن الجاذبية تزيد ضعفاً كلما ابتعدت عن النجم، وهكذا فإن قوة الجاذبية عند قدمي فلكننا الجسور ستكون دائماً أعظم مما عند رأسه، وفارق القوى هذا سيمط فلكننا ليصبح مثل الاسباكتي أو يمزقه بدداً.... وهناك بعض الحلول لمعادلات النسبية العامة يحتمل فيها لفلكننا أن يرى مفردة عارياً، فهو قد يتمكن من تجنب الوقوع في المفردة، ويسقط بدلاً من ذلك في ثقب دودي ليخرج الى منطقة أخرى من الكون)).^١

الملحد - كيف تستطيع ان تؤمن بقصة الإسراء والمعراج، وأن محمداً عرج للسماة بواسطة البراق، وقام بتعدي الطبقات الجوية كلها بدون أن يختنق؟ ولو افتراضاً انه استطاع تعدي الأربع طبقات الأولى:

تروبوسفير - ستراتوسفير - ميزوسفير - ثيرموسفير

فمستحيل أن يصمد بالطبقة الخامسة والسادسة

الإكزوسفير - الأيونوسفير

ولو استطاع ان يتجاوز الطبقات كلها، كيف استطاع بعد ذلك تجاوز الفضاء، حيث لا يوجد هواء صالح للتنفس البشري؟

المؤمن - أولاً: قلنا لكم مسبقاً إن الرسول الأكرم أسرى أفقياً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى بواسطة البراق. أما العروج في السماوات فلم يكن بواسطة البراق. ثانياً: هل أنتم بنفسكم جربتم الصعود في الفضاء واكتشفتهم كل ذلك؟

^١ - تاريخ موجز للزمن ، ستيفن هاوكنغ ، ترجمة مصطفى ابراهيم ، الفصل السادس ص ٨٤

الملحد – لا نحتاج الى وكالة ناسا لنعلم باستحالة ذلك.

المؤمن – واضح انكم لم تجربوا ولم تكتشفوا ذلك بأنفسكم، فبال تأكيد أنتم محتاجون لمن يخبركم بذلك، ودعوى عدم حاجتكم هي مجرد جدل بالباطل. فمن أخبركم بطبقات الجو وعدم الهواء الصالح في الفضاء، هل قام بعملية مسح لكافة الغلاف الجوي والفضاء وأبعاد الكون، وفي جميع الأزمنة وجميع الأحوال حتى يستنتج هذه النتيجة القطعية العامة؟

الملحد – لا أدري، لكن بات معلوما عدم امكان التنفس في الفضاء، والنبى هو بشر يحتاج الى التنفس، وقوانين الطبيعة تسير عليه.

المؤمن – لمن يؤمن بالله تعالى قضية الإسراء والمعراج ليست خارجة عن قدرة الله تعالى على التصرف في الكون.

الملحد – يعني ليست مستحيلة عقلا؟

المؤمن – ليست مستحيلة عقلا، بل هي ممكنة عقلا لمن علم أسرار الكون وقوانين الطبيعة. نعم، هي خلاف السائد في عمل قوانين المادة، وليست متيسرة لجميع البشر، وإنما هي حالة خاصة بعناية خاصة من الله تعالى لغاية خاصة، ولذلك عبر عنها الله تعالى بقوله: ((سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)))^١. ومن أخبركم بالطبقات والفضاء والهواء لم يخبركم، أما جهلا أو تجهيلا، عن قضية المادة والطاقة المظلمتين، وعن قضية الأكوان الموازية، وعن قضية معضلة أينشتاين والتشابك الكمومي، وعن قضية وجود ابعاد للمادة بلغت عندهم ١١ بعدا، وعن قضية السفر في الزمن الى المستقبل، وعن قضية رجل الاسبكتي، وعن قضية بحثهم منذ قرابة ٥٠ سنة عن النظرية الكاملة الموحدة ((نظرية كل شيء Theory of everything)) التي بإمكانها أن تفسر وتكشف وتسخر كل إمكانات الوجود. كل هذه القضايا تثبت أن البشرية ما زالت في جهل مطبق من إدراك أسرار الكون، وهي تسعى جاهدة لإدراكها، وبالنسبة لنا

^١ - سورة الإسراء

فقد أخبرنا الله تعالى بأن للسموات أقطارا وأبوابا، فقال تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (٤٠)))^١، ((وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ (١٥)))^٢، ((فَلَا أُفْسِمُ بِالشَّقِيقِ (١٦) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ (١٩)))^٣، وأنه تعالى بيده مقاليد السموات والأرض وعنده مفاتيح الغيب، فقال تعالى: ((لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٣)))^٤، ((وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٥٩)))^٥

- جواب عام للسؤال عن الكيف

الملحد – وكيف تثبت حصول كل ذلك علميا؟

المؤمن – جوابنا العام ردا على السؤال بكيف:

بخصوص مجموعة تساؤلاتكم عن الكيف، أنا لست من علماء الطبيعة المختصين، فليست وظيفتي بيان الكيف التفصيلي، كما أنني لست نبيا ولا إماما معصوما حتى أحظى من الله تعالى بعلم خاص، فلا علم لنا إلا بظاهر القرآن وأخبار المعصومين، ونحن ما دمنا قد آمننا بالله تعالى وسلطانه بدلالة الفطرة والعقل والنبوة، فنحن نصدق ونؤمن ونسلم بكل ما وردنا بطريق ثابت شرعا، مما لا يخالف ضروري العقل وقطعي العلم، وإن لم ندرك الكيف التفصيلي والغاية الخاصة. وجهلنا بالكيف لا يجعلها خرافات باطلة تستدعي الالحاد، فالعلم الطبيعي لحد الآن يحبو وكلما قام يكبو. العلم البشري

١ - سورة الأعراف

٢ - سورة الحجر

٣ - سورة الانشقاق

٤ - سورة الزمر

٥ - سورة الأنعام

لحد الآن يجهل كيفية تشكل كوننا الحالي بنحو تفصيلي قطعي، ويجهل كيفية نشوء الحياة بنحو تفصيلي قطعي، وما زال واقعا في مأزق تضارب فيزياء الكم مع فيزياء النسبية العامة، وما زال يبحث عن النظرية الكاملة الموحدة، فهل هذا معناه حسب منطق الملاحظة ان نكفر بالعلم الطبيعي والعلماء الماديين؟ طبعا لا، وهل هذا معناه ان كل ما يجهل العلم كيفه لحد الآن يكون خرافة وكذبا؟ طبعا لا. وكما أن علماء العلم الطبيعي لا يخجلون من اقرارهم بجهلهم بالكيف وأسرار الطبيعة، كذلك نحن لا نخجل من اعترافنا ايضا بالجهل بالكيف، بل نطلب العلم الكيفي من المختصين بعلم الطبيعة، لأن الله تعالى أمرنا بطلب العلم والتفكر والتدبر والرجوع لأهل الاختصاص. فكل ما يجيب عنه العلم الطبيعي بخصوص الكيف على نحو القطع واليقين والواقعية نرحب به، وكلنا ثقة أنه لا ولن يتعارض مع إيماننا وثوابت ديننا، لأن الله هو خالق الطبيعة ومقنن قوانينها باعتقادنا، وهو قد أرسل رسوله بالهدى ودين الحق. فمعرفة (كيف؟) لا تنافي معرفة (من؟)، أي ليس كما يدعي الملاحظة أن معرفة الكيف تنفي وجود الله والنبوة والدين، أو كما يدعي الملاحظة أن الجهل بالكيف تعني بطلان وجود الله والنبوة والدين، فأنا على يقين أن لجهاز الحاسوب صانعا حيا عاقلا عالما ماهرا حكيما، وجهلي بكيفية صناعته لا يلغي يقيني بذلك. صار الرد واضحا إن شاء الله.

- معنى الإعجاز العلمي للقرآن

الملحد – كل أجوبتك عما يخالف القوانين الطبيعية السائدة، وعن جهلك وجهل علماء الطبيعة بالكيف، تريد أن تثبت بها إعجازا علميا مزعوما للقرآن.

المؤمن – وماذا فهمت أنت من معنى الإعجاز العلمي للقرآن.

الملحد – البعض من المسلمين كلما اكتشف العلم الطبيعي شيئا فإنه يسرع للقول بأن القرآن قد قال ذلك قبل ١٤٠٠ سنة، وأن هذا من الإعجاز العلمي للقرآن، أي سبق القرآن لأثبات ما يثبته العلم الطبيعي.

المؤمن – لا شك في أن بعض ما يقولونه حق، كما لا شك في أن بعض ما يقولونه فيه مبالغة ومجانبة للصواب، فإن القرآن الكريم وإن كان فعلا تبياناً لكل شيء كما قال تعالى: ((وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩)))^١ لكن لا يملك الإدراك الواقعي الكامل لتمام القرآن الكريم غير الرسول الأكرم وخلفائه بالحق، وهم الأئمة الهداة من آل بيت محمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ، كما ثبت ذلك في مصادر الأمة الاسلامية بنصوص صحيحة صريحة كثيرة ، منها: ((... عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عليه السلام قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله (إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي) من العترة ؟ فقال: انا والحسن والحسين والائمة التسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديهم وقائمهم لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم حتى يردوا على رسول الله صلى الله عليه وآله حوضه))^٢.

أنا لا أفهم الإعجاز العلمي للقرآن بهذا المعنى الذي ذكرتموه، ولا أريد بأجوبتي أن أثبت الإعجاز العلمي للقرآن بهذا المعنى، بل أنا بصدد اثبات عدم التقاطع بين قطعي العلم وقطعي الدين. أنا وظيفتي هنا إبطال دعوى الملاحدة بتعارض العلم والدين، فلطالما تبجح الملاحدة بتعارض ديننا مع العلم الطبيعي، وقد تحديتهم أن يثبتوا هذه الدعوى، ففشلوا في التحدي.

الملحد – وكيف تفهم أنت معنى الإعجاز العلمي للقرآن؟

المؤمن – عندي أن معنى الإعجاز العلمي للقرآن هو عدم تقاطعه مع جميع ثوابت العلوم ومع جميع المكتشفات العلمية القطعية ، فمهما تطورت المدركات البشرية في معرفة قوانين العلوم ومهما كثرت الكشوفات في جميع العلوم الطبيعية وغير الطبيعة، فإنه يستحيل ان تجد تقاطعا وتصادما وتعارضاً بينها وبين القرآن، برغم انه قد اتى به بشر في جزيرة العرب قبل اكثر من ١٤٠٠ سنة، ولم يكن هذا البشر متفرداً من الناحية العلمية. فالقرآن

١ - سورة النحل

٢ - معاني الأخبار ، الشيخ الصدوق ، ج ١ ، باب معنى الثقلين والعترة ، الحديث رقم ٤

تحدى و مازال يتحدى العقول البشرية مجتمعة فيقول : ((أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ
الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢)))^١، وقال
: ((إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي
تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ
بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)))^٢ ، فلما عجز الكفار من
اصحاب التخصصات العلمية عن الطعن العلمي في القرآن، كما يفعل
الملاحدة اليوم، ما كان ردهم غير جدل الباطل والاستكبار والاستهزاء،
ولكن القرآن استمر في تحديهم ومازال يتحدى فيقول : ((تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ
اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (٣) وَفِي
خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤) وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا
أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ
آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ
وَأَيَّاتِهِ يُؤْمِنُونَ (٦) وَيَلْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنْتَلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ
مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا
هُزُوًا وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٩)))^٣. فالقرآن وجه خطابات خاصة وتحديا
خاصا لذوي العقول والتفكر والمهارات العلمية الخاصة الى يوم القيامة.

الملحد – أنا أقر بعدم تقاطع العلم مع القرآن، ولا يزعم ذلك سوى صبيان
الملاحدة، ولكن كان يجب على القرآن أن يتجاوز مسألة عدم التقاطع الى
التطابق مع العلم لكي يثبت أنه ليس بشريا.

المؤمن - القرآن من علم الله تعالى، وهو مهيمن على العلوم البشرية وسابق
لها ويسمو عليها، فلا يجب على القرآن بل لا ينبغي له ان يتطابق تمام
الانطباق على الخبرات البشرية، لأن المعرفة البشرية عموما نسبية والقرآن
ليس بشريا وليس نسبيا. يعني نحن نقول لكم أن هذه آيات الله تعالى الآفاقية

^١ - سورة النساء

^٢ - سورة البقرة

^٣ - سورة الجاثية

والأنفسية، المخالفة للسائد في عمل قوانين الطبيعة، يفعلها الله تعالى برهانا على سلطانه لقوم يعقلون ويتفكرون، وإن هذه معجزات الأنبياء لتكون برهانا على صدقهم في دعوى النبوة والرسالة من الله تعالى لقوم يعقلون ويتفكرون، وأنتم بدل إيمانكم وإقراركم بجهلكم وعجزكم، تستكبرون وتسخرون وتعتبرونها كذبا وسحرا وشعوذة وخرافة، وحينما تتوصل الخبرات البشرية بعد قرون من تراكم المعرفة الى بصيص معرفة نسبية منها تتبجحون وتقولون: هه اتضح أنها مسألة عادية طبيعية وليست برهانا على وجود الله تعالى والنبوة واليوم الآخر!! ونحن نقول: أنتم بأنفسكم تسخرون. ((قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقِ بَعِيدٍ (٥٢) سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ (٥٤)))^١، ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (٢) وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (٣) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤) فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٥)))^٢.

الملحد - أثبت لنا أن هذا القرآن الذين بين أيدينا هو نازل بوحى من الله؟ وكيف تيقن النبي أن الوحي هو جبريل ونازل بأمر الله ولم يكن جنيا أو شيطانا؟ محمد هل عرف جبريل من قبل، هل طلب بطاقة هويته؟؟

المؤمن - القرآن الكريم هو يثبت نفسه بنفسه أنه من الله تعالى، ويتحدى اجتماع الجن والإنس أن يأتوا بمثله، فيشهد بذلك على صدق الرسول الأكرم في دعواه النبوة وتلقي الرسالة من الله تعالى، فيقول: ((وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَلْعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا

١ - سورة فصلت
٢ - سورة الأنعام

بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الظَّالِمِينَ (٣٩))^١، ويقول: ((وَمَا تَنْزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (٢١٠) وَمَا يَنْبَغِي
لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (٢١١))^٢، ويقول: ((أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ
عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢))^٣.

- ول ديورانت وقصة الحضارة الإسلامية

الملحد - انت تفسر الآيات حسب ما تحب وترضى، وليس حسب المذكور
في كتب التفسير، اما مفاتيح وكنوز العلوم فلا يوجد شيء في القرآن، والا
لكان المسلمون في الصدارة والشيعنة يتقدمونهم.

المؤمن - أنا من أحاوركم وبحسب اللغة والمنطق والعلم، فاستنجدكم
بتفاسير أخرى هو جدل باطل واستنجد غير موفق، وإقرار منكم بالفشل في
تحدي اثبات تقاطع العلم والدين الإسلامي. ونعم، كان المسلمون في اوج
الصدارة العلمية والاقتصادية والعسكرية، في حين كان الغير في عصور
الظلام الوسطى، وكان ما قدمه علماء الإسلام أساس عصر النهضة الغربي،
رغم أن الحاكم ليس الإسلام المحمدي الأصيل إسلام كتاب الله وعترة
الرسول الأكرم، حتى جاء الاستعمار وترك شعوب الإسلام تنن تحت حكم
الطواغيت الذين نصبهم الاستعمار، لكن اصطبر فلم ينته صراع الحضارات
وسوف نستخرج نحن كنوز العلوم بإذن الله تعالى، فدولة الإسلام المحمدي
الأصيل آخر الزمان، وعد صادق من الله تعالى ورسوله، وهذا الوعد هو
من الإعجاز الغيبي للقرآن الكريم بإخباره عن المستقبل، يقول تعالى: ((وَعَدَ
اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ
أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ
(٥٥) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٥٦)

١ - سورة يونس
٢ - سورة الشعراء
٣ - سورة النساء

لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ
(٥٧)'''^١.

الملحد - متوهم سيد، حتى من أبداعوا في مجالات العلوم لم يكونوا مسلمين
حقيقة فمنهم من كان ملحدًا، ومنهم من كان ناقدًا للإسلام والقرآن.
المؤمن - هذا من تهريج الملاحدة وهو مجاني للتحقيق التاريخي
الموضوعي.

ول جيمس ديورانت هو مؤرخ أمريكي مسيحي (١٨٨٥ - ١٩٨١ م)، من
أشهر كتبه (قصة الحضارة) الذي يقع في ١١ مجلدًا في لغته الأصلية
الإنجليزية، وقد ألفه في مدة تربو على أربعين عاماً. يقول:

((بلغت بلاد آسية الغربية تحت حكم المسلمين درجة من الرخاء الصناعي
والتجاري لم تصل إليها بلاد أوروبا الغربية قبل القرن السادس عشر...
كانت الدولة الإسلامية تترك للصناعة والتجارة حريتهما وتساعدهما بإيجاد
عملة ثابتة مستقرة إلى حد كبير...))

وصل النشاط التجاري الإسلامي الذي بعث الحياة قوية في جميع أنحاء البلاد
إلى غايته في القرن العاشر الميلادي، أي في الوقت الذي تدهورت فيه
أحوال أوروبا إلى الدرك الأسفل، ولما أن اضمحلت هذه التجارة أبقّت آثارها
واضحة في كثير من اللغات الأوروبية فأدخلت فيها ألفاظاً مثل Bazaar, Cravan,
...Magazine, Tariff

الخلفاء قد أمنوا الناس إلى حد كبير على حياتهم وثمار جهودهم، وهيئوا
الفرص لذوي الواهب، ونشروا الرخاء مدى ستة قرون في أصقاع لم تر قط
مثل هذا الرخاء بعد عهدهم، وبفضل تشجيعهم ومعونتهم انتشر التعليم،
وازدهرت العلوم والآداب والفلسفة والفنون ازدهاراً جعل بلاد المسلمين
مدى خمسة قرون أرقى أقاليم العالم كله حضارة...

^١ - سورة النور

افتتح أول مصنع للورق في بلاد الإسلام في بغداد عام ٧٩٤ على يد الفضل بن يحيى وزير هارون الرشيد. ونقل العرب هذه الصناعة إلى صقلية واسبانيا ومنهما انتقلت إلى إيطاليا وفرنسا... كتاب الخوارزمي في الجبر والمقابلة ظلت ترجمته تدرس في الجامعات الأوروبية حتى القرن السادس عشر، ومنه أخذ الغرب كلمة الجبر وسموا بها ذلك العلم المعروف... الاسطرلاب وصل من المسلمين إلى أوروبا في القرن العاشر الميلادي، وظل شائع الاستعمال بين الملاحين حتى القرن السابع عشر... ويكاد المسلمون يكونون هم الذين ابتدعوا الكيمياء بوصفها علماً من العلوم؛ ذلك أن المسلمين أدخلوا الملاحظة الدقيقة، والتجارب العلمية، والعناية برصد نتائجها في الميدان الذي اقتصر فيه اليونان- على ما نعلم- على الخبرة الصناعية والفروض الغامضة... ولا يكاد الطب الحديث يزيد شيئاً على ما وصفوه من العلاج للجذري والحصبة، وقد استخدموا التخدير بالاستنشاق في بعض العمليات الجراحية... كتاب الحاوي في الطب لأبي بكر الرازي ظل عدة قرون أعظم الكتب الطبية مكانة، وأهم مرجع لهذا العلم في بلاد الرجل الأبيض، وكان من الكتاب التسعة التي تتألف منها مكتبة الكلية الطبية في جامعة باريس عام ١٣٩٤ م. وكانت رسالته في الجذري والحصبة آية في الملاحظة المباشرة والتحليل الدقيق، كما كانت أولى الدراسات العلمية الصحيحة للأمراض المعدية، وأول مجهود يبذل للتفرقة بين هذين المرضين. وفي وسعنا أن نحكم على ما كان لهذه الرسالة من بالغ الأثر واتساع الشهرة إذا عرفنا أنها طبعت باللغة الإنجليزية أربعين مرة بين عامي ١٤٩٨، ١٨٦٦ م. وأشهر كتب الرازي كلها كتاب طبي في عشر مجلدات يسمى كتاب المنصوري أهده إلى أحد أمراء خراسان. وقد ترجمه جرار الكريمو إلى اللغة اللاتينية. وظل المجلد التاسع من هذا الكتاب وهو المعروف عند الغربيين باسم Nonus Almansoris متداولاً في أيدي طلاب الطب في أوروبا حتى القرن السادس عشر... ولقد كان الرازي بإجماع الآراء أعظم الأطباء المسلمين وأعظم علماء الطب السريري (الكلينيكي) في العصور الوسطى... حل كتاب القانون بعد أن ترجم إلى اللغة اللاتينية في القرن الثاني عشر محل كتب الرازي وجالينوس، وأصبح هو الذي يعتمد عليه في دراسة الطب في المدارس الأوروبية. وقد احتفظ فيها بمكانته العالية، وظل الأساتذة

يشيرون على الطلاب بالرجوع إليه في جامعتي منبلييه ولوفان إلى أواسط القرن السابع عشر.

وجملة القول إن ابن سينا أعظم من كتب في الطب في العصور الوسطى، وأن الرازي أعظم أطبائها، والبيروني أعظم الجغرافيين فيها، وابن الهيثم أعظم علمائها في البصريات، وجابر بن حيان أعظم الكيميائيين فيها. تلك أسماء خمسة لا يعرف عنها العالم المسيحي في الوقت الحاضر إلا القليل، وإن عدم معرفتنا إياها ليشهد بضيق نظرتنا وتقصيرنا في معرفة تاريخ العصور الوسطى.

ولما أن أعلن روجر بيكن هذه الطريقة إلى أوروبا بعد أن أعلنها جابر بخمسائة عام كان الذي هداه إليها هو النور الذي أضاء له السبيل من عرب الأندلس، وليس هذا الضياء نفسه إلا قبساً من نور المسلمين في الشرق... أكبر ظننا أنه لولا ابن الهيثم لما سمع الناس قط بروجر بيكن...

وها هو ذا روجر بيكن نفسه لا يكاد يخطو خطوة في ذلك الجزء الذي يبحث في البصريات Opus Mains دون أن يشير إلى ابن الهيثم أو ينقل عنه)^١.

الملحد – الرازي ليس عربياً وكان ملحداً، كذلك ابن سينا كان لا دينياً.

المؤمن – براحتكم حبيبي، أنا لا أتكلم باسم القومية، وبالنسبة لي انتهى الحوار في هذا اللقاء.

١ - قصة الحضارة، ول ديورانت، ج ١٣ ص ١٠٨ - ٢٧٥

اللقاء الخامس: حوارات حول الشبهات الأخلاقية

- سؤال: ماهي الأخلاق؟

المؤمن - كونكم ملاحدة اثبتوا أولاً ماهية ومنشأ وواقعية وحقانية الاخلاق بحسب مرتكزات ومبادئ الإلحاد.

الملحد - الإسلام يتقاطع مع الأخلاق في كافة تعاليمه وتشريعاته، فأنظر على سبيل المثال الى مسألة قتل الكافر والمرتد، ونظام الرق والعبودية والسبي، ورجم الزانية، وقطع يد السارق. فأنتم آخر من يتكلم عن الأخلاق.

المؤمن - أنا في استطلاعاتي العامة، وجدت جميع الملاحدة يشنعون على الإسلام بتقاطعه مع الأخلاق، لذلك قبل مناقشة إشكالاتهم الأخلاقية على الإسلام، أردت أن أستكشف حقيقة فهمهم للأخلاق، ما هي؟ وما هو منشؤها؟ وهل هي واقعية أم وهمية؟ وهل هي أمر حسن ممدوح أم أمر قبيح مذموم؟ وهل هي مطلقة أم نسبية؟ ثم نأتي بعد ذلك على مناقشة التطبيقات عند الملاحدة وعند الإسلام هل هي منسجمة مع الاخلاق ام لا؟ اثبتوا العرش أولاً ثم النقش. منطوق؟

الملحد - وما قصدكم بمرتكزات الإلحاد؟

المؤمن - أقصد كل ما استند اليه الملاحدة في تبرير انكارهم وجود الله واليوم الآخر والنبوة والدين، كالحس والتجربة والفلسفات والنظريات الإلحادية. أي أنني أريد أن معرفة تصور الملاحدة عن الأخلاق بمعزل عن الله تعالى والدين.

الملحد - وما هي علاقة الإلحاد بالأخلاق؟

المؤمن - هذا ما سيتضح بالحوار. ريتشارد دوكنز أشهر ملاحدة التطور الداروني، والذي يجعل من الإلحاد رسالة عقائدية يبشر بها فيطوف في العالم في مؤتمرات، وقد نصب نفسه فيلسوف أديان وأخلاق، يزعم أن

الإيمان والدين هو الخطر الأكبر على الأخلاق، وأنتم تبعاً له تزعمون ذلك. أريد أن أعرف وأناقش أولاً مفهومكم عن الأخلاق.

الملحد - ريتشارد دوكنز سيرد عليك بنفسه، فلاحظ في المناظرة المصورة على النت كيف ريتشارد دوكنز يجرح مسلماً سألته عن أخلاقيات الملحد. المسلم سألته: بالنظر لعدم وجود في الإلحاد أي حس لمنظومة أخلاق مطلقة، فهل تعتبر الأخلاق قفزة إيمانية غير منطقية؟ كيف للملحد أن يقرر ما هو الحق وما هو الباطل؟ أجاب دوكنز: الأخلاق المطلقة التي يفخر بها المتدين مثل رجم الزانية بالحجارة وقتل المرتد، هذه الأشياء كلها من الأخلاق المطلقة المبنية على أساس ديني، أنا لا أريد هذه الأخلاق المطلقة. أنا أريد أخلاقاً مدروسة بعناية، منطقية عقلانية. في الواقع إذا نظرت إلى الأخلاق المقبولة لدى الناس في القرن الحادي والعشرين، حيث أصبحنا لا نؤمن باستعباد البشر ونؤمن بالمساواة للمرأة، ونؤمن أن نكون ودودين ونؤمن أن نكون رحيمين مع الحيوانات، هذه الأشياء كلها حديثة، وليست موجودة في النصوص التوراتية والمسيحية والقرآنية، فهي أشياء تم تطويرها على مدى العصور التاريخية، من خلال إجماع منطقي ومناقشة رصينة مبنية على نظرية قانونية وفلسفة أخلاقية)).

المؤمن - لم يجرحني ولم يجب عن سؤالي، بل بالعكس هو من أنحرج فعبر أفضل تعبير عن خواء الفكر الإلحادي، ولم يكن المسلم السائل في مناظرة معه، بل كان أحد الحضور الذين يسمح لهم بإلقاء السؤال فقط ولا يسمح لهم بالمناقشة، لذلك استغل دوكنز الفرصة لتغطية حرجه وفشله، فلست أدري، هل هو من باب القصور الفكري حيث لم يميز بين معنى الأخلاق وبين التطبيقات؟ أم من باب المكر والخبث لتفادي الجواب؟ لأن مثل قطع يد السارق ورجم الزانية المتزوجة وقتل المرتد هي ليست أخلاقاً كما زعم بل هي تشريعات قانونية وعقوبات جزائية، ثم أخذ يشرق ويغرب بالافتراء على الدين، ويدغدغ مشاعر الحاضرين بكلام انشائي عن مساواة المرأة والرحمة بالحيوان، وعن الأخلاق المبنية على المنطقية العقلانية والفلسفة الأخلاقية. وأنا أجزم أن معظم الحاضرين ومعظمكم أنتم لا يعرفون فلسفة الأخلاق التطورية الدارونية التي يقول بها دوكنز.

الملحد – وما هي فلسفته الأخلاقية؟

المؤمن – تهافت ملاحظة الفرضية الدارونية في تفسير الاخلاق بشكل مذهل ، حيث أنهم في قرارة انفسهم يقرون بالوجدان الاخلاقي العام ، ويشعرون بالمسؤولية الاخلاقية بشكل عام، لكن من جهة أخرى فإن الدارونية بمبادئها المادية العمياء ، وبقانون انتخابها في صراع البقاء ، والبقاء للأصلح يعني عندهم انتقاء الطبيعة لمن فاز بالتحدي ، بأن اثبت أنه الاقدر على البقاء والتكاثر ونسخ الجينات ونقلها ، إنها بذلك تناقض كل قيم الاخلاق الفاضلة والمشاعر النبيلة بشكل صريح. لأجل ذلك احتار ملاحظة الدارونية في تفسير الاخلاق الحميدة تفسيراً ينسجم مع الدارونية ولا ينقض الوجدان الاخلاقي العام . ومن تلك التفاسير المتهافئة هو تفسير نجم الألفاد الداروني المعاصر ريتشارد دوكنز ، يقول : ((لدينا اربع اسباب جيدة من الناحية الداروينية ليتمتع الفرد بالإيثار والكرم والاخلاق الحميدة تجاه الآخرين ، الاول هو وجود القرابة الوراثية كحالة خاصة . الثاني وجود رد الجميل المتبادل والمعروف بالمعروف وعمل المعروف بتوقع الدفع لاحقاً . وذلك يقودنا الى النقطة الثالثة ، المنافع الداروينية الناتجة من وجود السمعة الحسنة للكرم واللطف . والرابع لوكان زاهافي محققاً فهناك منفعة اضافية للكرم المتبادل كطريقة لشراء دعاية اصيلة وغير قابلة للتزييف))¹ . وحاصل هذا الكلام كما شرحه هو في كتابه، أنه يقر أن قانون الاصطفاء الطبيعي إنما هدفه الوحيد هو بقاء الجين واستمراره ولا هدف للطبيعة غير ذلك ، وأن هذا يقتضي الأنانية الفردية الصريحة، دون أي حس أخلاقي حميد، ولكن أحيانا - كما يقول - لتحقيق هذا الهدف قد تبرمج الطبيعة الكائن الحي على الاخلاق الحميدة متخذة طرقاً اربعة ، الاول هو التعامل الأخلاقي الفاضل مع قريبه الوراثي باعتباره يحمل جيناته ايضاً وبقاء قريبه الوراثي هو بقاء له ، الثاني هو التعامل الاخلاقي مع غير قريبه الوراثي ولكن على مبدأ المصلحة المتبادلة ((حك ظهري كي أحك لك ظهرك)) فيما إذا كانت مصلحة البقاء للفرد تتوقف على مصلحة بقاء الآخر ، والثالث هو التعامل الاخلاقي لكسب السمعة الطيبة إن كانت ضرورية لبقاء الفرد، والرابع هو التعامل الاخلاقي

¹ - وهم الإله، دوكنز، ترجمة بسام بغدادي ، الفصل السادس ، ص ٢٢٠

لأثبات التفوق الذي يؤدي الى مكاسب نافعة لبقاء الفرد . فكل هذه الطرق الاربعة هي سلوكيات أخلاقية جيدة برمجت الطبيعة الجين عليها ، وإنما هدفها هو بقاء الجين الاناني للفرد واستمراره . ثم التفت دوكنز أن هذا كله ليس هو أصل ما يشعر به كل البشر اليوم في وجدانهم الاخلاقي ، وليس هو دوافع السلوك الاخلاقي النبيل والإيثار، الذي يعني العطاء دون توقع منفعة ، يصل أحيانا الى التضحية بالنفس. وهنا تنتكس الدارونية في الأخلاق الإيثارية، فيفسر دوكنز شعور الاخلاق الحميدة والسلوك الاخلاقي النبيل هذا بأنه ((خطأ هدف وناتج عرضي للانتخاب الطبيعي)) أي أن الطبيعة إنما برمجت الجين على التعامل الاخلاقي الحميد بهدف بقاء الأنا جيني واستمراره فقط ، لكن استعمال هذه البرمجة الجينية في غير الهدف منها إنما هو من باب الخطأ في تحقيق الهدف ، وناتج عرضي أي حالة طارئة وافراز غير مقصود ومخالف لمقصد الطبيعة وبرمجة الجين، فهذا انحراف عن مقتضى طبيعة الجين وغاية الطبيعة. فالغريزة الأخلاقية عنده كالغريزة الجنسية التي برمجتها الطبيعة بهدف بقاء الجين واستمراره ، وربما تستعمل الغريزة الجنسية لغير التناسل كما في حالات الزنا والمثلية والاجهاض خلاف هدف الطبيعة وكحالة عرضية، فكذلك الغريزة الاخلاقية برمجتها الطبيعة لبقاء الجين واستمراره بإحدى الطرق الاربعة المتقدمة ، واستعمالها في غير هذا الهدف يكون خطأ في تحقيق الغاية منها وحالة عارضة، فيقول: ((الاثنان خطأ بالهدف ، اخطاء داروينية ، أخطاء مباركة وثمانية))¹.

ويرد عليه أنه لا يستحق الرد عليه ، فلم يأت بشيء سوى تأكيد افلاس الداروينية وملاحقتها العلمي والاخلاقي ، والمضحك للتكلى أنه يقول أن مخالفة فطرة الطبيعة وهدف الداروينية هي اخطاء مباركة وثمانية وأنه لولاها لما كانت للحياة قيمة! فلا نعلم في أي مصرف للدارونية يتم صرف هذا الكلام الشعاري؟ هل يخادع نفسه أم يواسي سفهاء الداروينية الذين ما زالت عندهم بقية من الحس الاخلاقي؟ والأعجب الأغرب أنه يقول أن باستطاعتهم أن يكونوا صالحين دون الحاجة الى الإيمان والدين وأن الدين هو الخطر الأكبر على الأخلاق!! ولست أدري أي صلاح يقصد بعد تشريعه

¹ - المصدر السابق ، ص ٢٢٢

علميا وفلسفيا لكل ردائل الأخلاق وكل موبقات الأفعال ، بذريعة أما برمجة الطبيعة للبشر بهدف حفظ ونقل الجينات فقط ، أو بذريعة خطأ هدف الطبيعة المبارك .

هذه هي الفلسفة الأخلاقية الدارونية، وهذه المنطقية العقلانية التي يتشدد بها زعيم ملاحدة الدارونية أمام الجمهور، فعن أي احراج للمسلم تتحدثون؟ هذا هو جواب دوكنز العلمي الفلسفي الحقيقي عن سؤال فلسفة الأخلاق الإلحادية. الأخلاق عنده حقيقتها أنها ((أنانية واستغلال وغباء))، لأنها إن كانت مع القريب الوراثي فقط فهي أنانية، وإن كانت مع غير القريب الوراثي لكن على أساس المصلحة الشخصية فقط فهي استغلال وفعية وابتزاز، وإن كان مع غير القريب الوراثي وليس بدافع المصلحة الشخصية فهي غباء. هل هذه الأخلاق الحميدة؟ إنها واقعا ردائل الأخلاق.

ودوكنز إن استطاع التملص بالسفسطة من سؤال السائل المسلم الذي لم يكن في مناظره مع دوكنز؛ فإنه لم يستطع التملص في مناظرة فعلية مصورة له مع القس جورج بيل بعنوان ((هل الإيمان بالدين يجعل من العالم مكاناً أفضل؟)). دوكنز عبر في المناظرة عن خواء الفكر الإلحادي، والقس وإن لم يكن خاوياً لكنه عبر عن قصور الفكر المسيحي. ما يهمننا هنا هو إقرار دوكنز ضمناً بعجز الإلحاد عن إيجاد فلسفة حياة فاضلة، وإقراره ضمناً بأن فلسفة الأخلاق الدارونية هي واقعا فلسفة انحطاط أخلاقي وتدعو الى الرذيلة، وإقراره صراحة بأن بناء المجتمع على أساس فلسفة الأخلاق الدارونية سينتج مجتمعا بغيضا سيئا. فلاحظ عندما سأله أحد الحضور: إن كنت تؤمن بأننا يجب أن نطور انفسنا وأن نبحت عن الحقيقة بشكل مستمر، ما الفائدة ولماذا أكلف نفسي العناء؟

أجاب دوكنز: نحن يجب بأنفسنا أن نخلق معنى لحياتنا. علينا أن نجد غايتنا الخاصة بنا في هذه الحياة. أنا كملحد وأصدقائي الملحدون نعيش حياة تستحق المعيشة بكل معنى الكلمة، نواجه أننا لن نعيش الى الأبد فعلىنا أن نفعل أفضل ما في وسعنا في الوقت القصير الذي لدينا. علينا أن نجعل هذا الكوكب أفضل ما يمكن، وأن نتركه في حالة أفضل مما وجدناه عليه.

وعند سؤال أحد الحاضرين: من دون الأديان أين أساس قيمنا؟ ومن أين سنستخلصها؟ هل سنعود الى فكرة دارون بأن البقاء للأقوى؟

أجاب دوكنز: أتمنى أن نبتعد عن فكرة البقاء للأقوى فيما يتعلق بصياغة سياساتنا وقيمنا، أنا داروني بشغف حينما يتعلق الأمر بسبب وجودنا، أما أن نعيش حياتنا على طريقة دارون فهذا سيكون مجتمعا سيئا للغاية.

فلاحظ كيف يقر بفشل الفلسفة الأخلاقية الدارونية في إعطاء إجابة عن حقيقة الأخلاق ومنشئها تتناسب مع الوجدان الأخلاقي العام، ولا حظ كيف يناقض فلسفة الأخلاق الدارونية ويتبرأ منها، ولاحظ كيف يخادع نفسه والجمهور بكلام شاعري لا يتوافق مع فلسفة الأخلاق الدارونية. أنتم ما ذا تقولون؟

الملحد – دوكنز عالم بيولوجيا وليس عالم أخلاق.

المؤمن – هو من نصب نفسه ونصبته مؤسسات الإلحاد العالمي كعالم أديان وفيلسوف أخلاق. أم يظن معظمكم أنه قد استقتل بالبحث العلمي والفلسفي والعقائدي بصورة شخصية فصار ملحدا؟ معظمكم قد تم غسل دماغه إعلاميا وتم تلقينه بالشبهات بواسطة دوكنز وأمثاله ومؤسسات الإعلام الإلحادي، هذا واقع معظمكم ولا يمكنكم انكاره، وإن انكرتموه فلن يغير من الواقع شيئا. أنتم تم تلقينكم الشبهات الأخلاقية على الدين فقط لأنها أسهل طريقة للسادجين، بدليل حالكم الآن فأنتم تهرعون للشبهات التطبيقية والتشريعات في حين أنكم تجهلون فلسفة الأخلاق الدارونية، وتعجزون عن الجواب على سؤال: ما هي حقيقة الأخلاق ومنشؤها بحسب مباني الإلحاد؟

الملحد – كما قلت أنت فإن حقيقة الأخلاق بحسب الدارونية هي أنانية ونفعية وغباء، ولكن كما قال دوكنز فإننا لا يجب علينا السلوك بحسب هذه الأخلاق.

المؤمن – لماذا؟ أنتم ملحدون على أساس فرضية دارون بالاصطفاء الطبيعي، أي كونكم عبارة عن خلطة بايوكيميائية متطورة بآليات التكيف والتنازع والطفرات بالتفاعل مع المواد الأخرى للطبيعة، ولا هدف لطبيعتكم وللطبيعة التي صنعتكم سوى الحفاظ على البقاء ونقل الجينات. ما الذي يدعو الملحد الداروني أن يخالف طبيعته وهدف الطبيعة؟ لماذا يجب عليه أن

يخالف طبعه والطبيعة؟ أليس مخالفة طبيعته تعتبر شذوذا عن نواميس الطبيعة؟ فكيف لا يصح له موافقة طبعه وطبيعته؟ بل كيف توجبون عليه المخالفة؟ من أين جاء هذا الوجوب الأخلاقي؟ هذه هي المشكلة؟ هذا ما عجز دوكنز عن تبريره علميا؟ فلو جاء ملحد داروني وقال إنني أريد العيش وفق طبيعتي وهدف الطبيعة، وأكثر الملاحظة يفعل ذلك واقعا، فما الزنى والمثلية والتعري والإجهاض والدعارة والانتحار إلا سلوكيات تطبيقية بسيطة عن الفلسفة الأخلاقية الدارونية؛ لوجاء داروني وقال إنه يريد أن يعيش أنانيا نفعيا ولن يكون غبيا، بأي حجة علمية أخلاقية ستنهونه عن ذلك؟ دوكنز يعطيه موعظة سطحية لا مبرر لها علميا وفلسفيا وأخلاقيا بحسب الدارونية فيقول له كما نقلنا كلامه من المناظرة: ((إننا يجب أن نعمل لجعل الكوكب أفضل وأن نغادره بحال أفضل مما وجدناه عليها)). لماذا؟

الملحد – لأن التصرف وفق الأخلاق الحميدة هو الأفضل للبقاء.

المؤمن – سيقول لك الملحد الداروني: ولماذا هو الأفضل للبقاء؟ بالعكس فإن الأفضل للبقاء بحسب الدارونية هو الأنانية والنفعية وعدم الغباء، كما فسره دوكنز. هل رأيتم كيف تناقضون مباني الحادكم وكيف تعجزون عن الجواب على سؤالي: ما هي حقيقة الأخلاق ومنشؤها بحسب مباني الإلحاد.

الملحد – على أساس أن المسلمين لا يتصفون برذائل الأخلاق ولا يفعلون هذه الأفعال.

المؤمن – الفاسق من المسلمين يتصف بذلك ويفعل الفحشاء والمنكر. لكنه مؤمن بالله واليوم الآخر، ويعلم بأنه فاسق عاص وسيحاسب على ذلك، وأنه يجب عليه أخلاقيا تهذيب أخلاقه، وأنه يجب عليه عقلا التوبة والاستغفار. بينما الملحد ليس كذلك، فمن أين تأتون بالوجوب الأخلاقي والعقلي بحسب مباني الإلحاد؟

الملحد – ما علاقة دارون بالأخلاق؟ دارون عالم بيولوجي والدارونية فكرة وليست فكرا، بمعنى أنها نظرية علمية بيولوجية تفسر نشوء الحياة وظهور الأنواع فقط، وليست ايدلوجيا أخلاقية أو اقتصادية أو سياسية. ولذلك نحن الدارونيون غير ملزمين بها أخلاقيا.

المؤمن – عزيزي أنا لا أتكلم عن شخص دارون ولا عن خصوص فرضية التطور بالاصطفاء الطبيعي البيولوجية. بل أتكلم عن فلسفة الأخلاق لعلماء الملاحظة الذين بنوا الحادهم على فرضية الاصطفاء الطبيعي لدارون. الكثير من علماء الدارونية أسسوا فرعا باسم "علم الأخلاق التطورية" وفيه يطرحون فلسفات أخلاقية مستندة الى فرضية الاصطفاء الطبيعي البيولوجي الدارونية. وجميعهم متهافتون ويعجزون عن الإجابة الأخلاقية عن حقيقة الأخلاق ومنشئها وعن سر الحس الأخلاقي العام وعن منشأ الوجوب الأخلاقي، ومن هؤلاء دوكنز الذي نقلت لكم تفسيره بالمصدر والصفحة. أنت كملحد داروني تقول إن الدارونية تفسر نشوء الحياة وظهور الأنواع فقط. هل تريد القول إن الاصطفاء الطبيعي تكفل بإيجاد النوع البشري وانتهى عمله بالنسبة له؟ وأن كل ما يحصل للنوع البشري بعد ذلك وما يفعله هو أمر مستقل ما وراء الطبيعة، هل أنت تمنع من ظهور نوع جديد متطور عن النوع الإنساني بعد ملايين السنين كما تقتضي الدارونية؟

الملحد – لا، ولكن البشر هو من يصنع ويطور أفكاره وأخلاقه عبر التجارب، والاصطفاء الطبيعي دوره التطور البيولوجي فقط.

المؤمن – وما هو العقل والفكر والادراك والتجارب؟ هل هي أشياء ما وراء الطبيعة بحسب مباني الإلحاد؟ أليست الدارونية والفلسفات المادية تفسر العقل بأنه تفاعل مادي بايوكيميائي؟ وتفسر الفكر بأنه انعكاس المادة في الواقع الموضوعي؟ أليست التجارب هي نتاج تفاعل مادة الانسان مع غيره من مواد الطبيعة؟ وهذا يعني أن الأفكار والعلوم والخبرات والتجارب البشرية هي خاضعة لقانون الاصطفاء الطبيعي، فكيف تقول إن الايدولوجيات الأخلاقية والسياسية والاقتصادية ليس لها علاقة بالدارونية بحسب مباني الإلحاد؟

الملحد – صحيح، لكن أقصد أن الاصطفاء الطبيعي ليس حتميا جبريا، فلإنسان إرادة وحرية اختيار.

المؤمن – يعني تريد القول إن الإنسان يستطيع مخالفة برمجة الطبيعة له ويخالف قانون الطبيعة. جيد، وهذا هو السؤال: لماذا يجب على الملحد

الداروني أن يخالف برمجته ويخالف قانون الطبيعة؟ ما الذي يدعو أن يلتزم فضائل الأخلاق فيكون غيبيا بحسب فلسفة الأخلاق الدارونية؟ ما الذي يدعو أن يكابد مشقة مخالفة برمجته؟ ما الذي يدعو أن يكبح جماح غرائزه فيكون أنانيا نفعيا وغير غبي؟ ما الذي يدعو أن لا يفعل ما يشاء بحسب برمجته؟ ما الذي يدعو أصلا أن لا ينتحر ويظل يكابد مشقة وجوده؟ وبالمناسبة فإن معظم الملاحدة وغير الملاحدة من الفسقة يتصف اليوم برذائل الأخلاق ويفعل موبقات الأفعال تحت غطاء التشريعات القانونية الوضعية وحماية الدولة في الكثير من الدول، فالزنا والدعارة والمثلية والتعري والخمور والسرقة والربا والمخدرات والغش والكذب والقتل والانتحار، أصبحت مقننة محمية وتم استبدال معانيها الواقعية المنحطة بعنوانين أخرى للتمويه وخداع النفس. فالزنا والدعارة والمثلية والتعري والخمور أصبحت حرية شخصية وفناء، والسرقة والربا أصبحت تجارة حرة، والمخدرات أصبحت علاجا، والغش والكذب أصبح سياسة ودعاية إعلامية، والقتل والانتحار للكبار أصبح موتا رحيفا، والقتل للأطفال بالإجهاض أصبح حرية جسدية للحامل. وما لم يتم تقنينه بعد من رذائل الأخلاق وموبقات الأفعال فإن الملاحدة ومن يتبعهم من فسقة المؤمنين سائرون يناضلون مكافحون في سبيل تقنينه. هذا كله مبني على فلسفة الأخلاق الدارونية الالحادية وهذا كله عودة للمجتمع الداروني، وإن أنكره الملحد والفاسق بلسانه أو ببقايا الحس الأخلاقي العام أو ببقايا إيمانه.

الملحد – دوكنز أحمق وليس فيلسوف أخلاق.

المؤمن – دكم من دوكنز وخذوا هذا النموذج من مشاهير فلاسفة أخلاق الملاحدة. إنه فردريك ننتشه (توفي ١٩٠٠). نظرية هذا النموذج، كما فصلها في كتابه المترجم بعنوان "جينالوجيا الأخلاق أو أصل الأخلاق" أن أصل الأخلاق هو غريزة "إرادة الاقتدار أو إرادة القوة" وهي غريزة فطرية طبيعية، ومن هذه الغريزة تنبثق منظومة الأخلاق الفاضلة بحسب تصور ننتشه، والتي هي كل أخلاق التوحش من البطش والتجبر والظلم والقسوة

والفجور والغرور وكل ما نسميه نحن رذائل الأخلاق. يرى نتشه أن هذه هي حقيقة الأخلاق والقيم الفاضلة ويسميتها أخلاق النبلاء والسادة. أما ما نسميه نحن فضائل الأخلاق أو الأخلاق الإيثارية كالعدل والرحمة والإحسان والشفقة والمحبة والعفة والحياء والصدق؛ فهذه كما يرى نتشه أخلاق زائفة ويسميتها أخلاق العبيد الجبناء الضعفاء، وأنها قام العبيد الجبناء بصناعتها للتمرد على السادة النبلاء ونجحوا بواسطة الدين بجعلها هي الأخلاق الفاضلة. والمفارقة إن نتشه لم يلبث بعد كتابه هذا حتى دخل في السنوات العشرة الأخيرة من حياته في نوبات الجنون والانهيال العصبي والشلل والعجز عن المشي والكلام، ولسان حاله يتوسل بأخته والأطباء والممرضين أن يتخلقوا بأخلاق العبيد الجبناء ليعطفوا عليه ويرعوه وينقذوه من الموت.

الملحد – نتشه مجرد مهلوس مختل ولا يمثل الملحدين.

المؤمن – هذا قولك أنت. نتشه لحد اليوم هو زعيم تيار كبير من الملاحدة. نتشه كان المثل الأعلى لهتلر وعلى أساس فكره أشعل هتلر الحرب العالمية الثانية. نتشه هو المثل الأعلى لسارتر وعلى أساس فكره أطلق سارتر فلسفته الوجودية.

الملحد – أنا من جماعة نتشه. كلامه صحيح، فكل تعاليم الأخلاق الدينية هي جرعات تخدير وتنويم من صناعة الكهنوت. فهل قرأت كتابه (هكذا تكلم زرادشت) في نقد الدين.

المؤمن – بالطبع، قرأت هذيانه في هذا الكتاب. لكن كل شخص واع مطلع منصف خبير لبيب يقرأ هذا الكتاب يعلم أن هذيان نتشه متوجه بصورة صريحة على تعاليم الأخلاق الكنسية وعلى مسلك الرهبانية المسيحية، وليس موجها على تعاليم الإسلام الأخلاقية.

الملحد – أستم تدعون الى الإحسان والزهد والتقشف وترك الدنيا والصفح والمغفرة والعفو والصبر برجاء ثواب الآخرة؟

المؤمن – أستم تزعمون أن الإسلام دين القتل والبطش والقسوة والحرب؟

الملحد – نعم.

المؤمن – فهذا ينقض زعمكم السابق أن تعاليم الإسلام هي عين تعاليم الرهبان. الحق أقول لكم، لا رهبانية في الإسلام، كما لا إرهاب في الإسلام. إن تعاليم الإسلام تدور وفق العدل والحكمة، فتضع القوة ولوازمها في موضعها كما تضع الرحمة ولوازمها في موضعها. ولهذا قلت لكم أن هذيان نتشه متوجه بصراحة على تعاليم الكنيسة ومسلك الرهبانية.

الملحد – دوكنز أحق ونتشه مجنون. أنا ملحد داروني ماركسي قديم ولا أعترف بدوكنز ولا نتشه. بالنسبة لحقيقة الأخلاق ومنشئها أقول إن الأخلاق نسبية وليست مطلقة، وهي ليست إلا نتاجا وانعكاسا عن الوضع الاقتصادي للمجتمع، وقد ضلت فضائل الأخلاق سارية في المجتمع الشيوعي الأول، حيث لا يوجد تنازع وصراع وطبقية لأن كل شيء كان مشاعا مباحا بين أفراد المجتمع البشري الأول، ولكن عندما ظهرت حالة الملكية الخاصة ظهرت معها النزاعات والصراعات والطبقية وذرائل الأخلاق ومنكرات الأفعال.

المؤمن – فلسفة الأخلاق الماركسية الشيوعية الملحدة ترى أن الأخلاق ما هي إلا انعكاس لنمط الانتاج والوضع الاقتصادي للمجتمع . يقول الماركسي جورج بوليتزر مؤسس مركز التوثيق التابع للحزب الشيوعي الفرنسي في بيان اصل الاخلاق : ((أنه على عكس ما يقوله المثاليون بأن الشعور عواطف أبدية خالدة في طبيعة الإنسانية ، بل هي منتوجات تاريخية تتولد من الملكية الخاصة. ويمتاز الإنسان البدائي بالإخلاص لمصالح القبيلة، والوفاء والثقة نحو سائر أعضاء القبيلة، ومن هنا نشأت خرافة "الفردوس المفقود". ولكن هذه "الفضائل" لم تكن نتيجة للطبيعة العزيزة على نفس روسو، بل كانت تعكس الأساس الاقتصادي ... فما الذي أدى إلى انحطاط الكومون البدائي، وظهور الطبقات؟ ليست هي طبيعة الإنسان الشرير كما تدعي النزعة المثالية بل هو نمو قوى الإنتاج كما تقول الماركسية))^١ وعلى هذا الاساس تشكل الأخلاق احدى البنى الفوقية للمجتمع وتتبع الوضع الاقتصادي ، الذي يشكل البنية التحتية فتتبدل بتبدله وتزول بزواله ((يتولد

١ - اصول الفلسفة الماركسية ، جورج بوليتزر ، الدرس السابع عشر ، ج ٢ ص ٣٥

البناء الفوقي عن الأساس ويزول معه ويكون مصيره مصيره ، اذ تتولد الافكار السائدة في مجتمع معين من نموذج ملكية وسائل الانتاج التي تسيطر فيه ، ليس البناء الفوقي اذن مجرد تراكم افكار سياسية ، تشريعية ، فلسفية ، دينية ، الخ ... ذلك لأن لهذه الافكار رابطا داخليا فهي تعكس نفس الأساس ((١ . فأخلاق مرحلة الشيوعية البدائية تختلف عن أخلاق مرحلة الملكية ، وأخلاق طبقة البروليتاريا تختلف عن أخلاق الطبقة البرجوازية ، واستمرار النضال الطبقي للعودة للمرحلة الشيوعية وأخلاقها الحميدة هو الآلية الوحيدة لتغيير اخلاق المجتمع ، حسب قولهم .

ويرد عليه أن هذه الرؤية للأخلاق مبنية على الفلسفة الشيوعية المادية الديالكتيكية ، التي تحصر حركة التاريخ في المحور الاقتصادي ، وهي فلسفة باطلة في نفسها، لأن العوامل المحركة للتاريخ اشمل من العامل الاقتصادي، ولأن هذه الفلسفة التاريخية تدعي زورا وجود مرحلة شيوعية مثالية في البشر قبل التاريخ، أي قبل ظهور الملكية الخاصة حسب تعبيرهم وهو أمر لم يثبت تاريخيا، ويرد عليه ايضا أنه يقر بأصالة الاخلاق الحميدة في الوجود البشري ما قبل التاريخ، ويزعم أن سببها حالة المشاعة الاقتصادية، وأنها تغيرت الى أخلاق رذيلة بصورة تلقائية نتيجة ظهور الملكية الاقتصادية وفائض الانتاج، وهذا الكلام منقوض بوجود الكثير من التجار اصحاب ملكيات اقتصادية تجارية ومع ذلك يمتازون بالأخلاق الفاضلة كالعدل والرافة، وبالعكس فهناك الكثير من العمال الكادحين الذين لا يملكون شيئا ومع ذلك يمارسون الظلم والبطش، مع أن المفروض أن اخلاق الشخص تابعة لطبقته و وضعه الاقتصادي.

الملحد - هؤلاء العمال الأشرار قد اكتسبوا الأخلاق الرأسمالية السائدة لأنها هي أخلاق الطبقة المهيمنة اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا.

١ - المصدر السابق ، الدرس التاسع عشر ، ج ٢ ص ٧٥

المؤمن - ولماذا غيرهم من العمال الفقراء لم يكتسبوا الاخلاق البرجوازية الشريرة السائدة حسبما تقول؟ ففي المقابل هناك الكثير من الفقراء هم فاضلون صالحون، كما هناك الكثير من الرأسماليين هم أشرار طالحون!

الملحد - أما الفقراء الأشرار فهم ضحايا وانعكاس للأخلاق الرأسمالية السائدة، وأما الرأسماليون الصالحون فلا وجود لهم لأن الرأسمالية هي عين الظلم والاستبداد.

المؤمن - هذا رأيك في الرأسمالية مبني على اعتبار أن الملكية الخاصة هي أصل الشرور، وأن المجتمع البشري قبل ظهور الملكية الخاصة كان مجتمعا مثاليا ليس فيه نزاع ولا صراع لأي سبب آخر. وهذا مجرد فرض فلسفي لا دليل عليه. كيف تثبت أنه لم تكن هناك نزاعات في المجتمع الأول لأسباب أخرى؟ بل كيف تثبت أن الملكية الخاصة لم تكن في المجتمع الأول؟ هل وجدتم مكتوبا في أحد الكهوف مثلا: ((نحن أبناء المجتمع الأول كنا نعيش حياة مثالية حتى ظهرت الملكية الخاصة))؟ طبعاً لا.

الملحد - الدليل من علم الأجناس الأنثروبولوجيا، حيث أثبتت الدراسات على القبائل البدائية في أمريكا وأستراليا أنهم كانوا يعيشون حياة مثالية شيوعية.

المؤمن - أولاً: نتيجة هذه الدراسات غير صحيحة، فكون تلك القبائل كانت حين وجدانها تعيش حياة العمل الجماعي، وكون أخلاقها أفضل من أخلاق المستعمرين الأوروبيين؛ هذا لا يعني عدم وجود الملكية الخاصة وعدم وجود النزاعات بين أفرادها.

ثانياً: إن تلك القبائل معاصرة لقبائل الأوروبيين المستعمرين، وأعمار أفرادها نفس أعمار الأوروبيين المستعمرين، فليست أعمارهم آلاف السنين حتى يكون نمط حياتهم وأخلاقهم دليلاً على نمط حياة وأخلاق المجتمع البشري الأول.

ثم نسأل ماركس و جميع المفكرين الماركسيين ما هو الميزان الاخلاقي الذي على اساسه حكتمم بأن اخلاق المرحلة الشيوعية البدائية هي اخلاق فاضلة ، وأن اخلاق المرحلة الرأسمالية هي اخلاق سافلة ؟ وأنتم أنفسكم عشتم في عصر سيادة الرأسمالية فلماذا لم تتخلقوا بأخلاقها الشريرة؟ أليس

هذا دليلا على وجود وجدان وحس اخلاقي عام بين البشر مستقل عن المرحلة والطبقة؟ ثم أنتم قد حكمتكم الناس بالقوة في الاتحاد السوفيتي السابق لعشرات السنين، وطبقتم فلسفتكم الاشتراكية ومذهبكم الاخلاقي وصادرتم الملكيات الخاصة، وتسيد العمال في المجتمع والسلطة وجميع مفاصل الدولة في دكتاتورية البروليتاريا، ولكن لم تنقلب اخلاق الناس الاشرار الى حميدة تلقائيا حسب المفروض، بل لم تنقلب حتى بالقوة وبطش ستالين، ولا بالتثقيف الشيوعي وخزعبلات لينين، الى أن قام بعض القادة العمال بإسقاط الاتحاد السوفيتي وتفكيكه ، وكفى بذلك برهانا على فشل فلسفة الاخلاق الشيوعية .

الملحد – الميزان الأخلاقي هو بقاء النوع البشري. فعند سيادة العدل والمحبة بين البشر سيبقى النوع، وعند سيادة الظلم والقسوة سينقرض النوع. وهذا يعني أن العدل والمحبة أخلاق جيدة بينما الظلم والقسوة أخلاق سيئة.

المؤمن – ومن أين أتى هذا الميزان الأخلاقي؟ بعبارة أخرى: من أين يأتي الفرد الداروني الملحد بهذه المسؤولية الأخلاقية تجاه عموم أفراد النوع؟ ما الذي يحتم على الفرد الملحد الداروني أن يعاني ويحرم نفسه من السعادة بفعل ما تشاء مصلحته الشخصية في سبيل مصلحة النوع؟ ما الذي يمنعه أن يفعل كما يفعل الرأسماليون الأشرار بالفعل من إهلاك الحرث والنسل في سبيل تحقيق أطماعهم الخاصة؟ إنهم يعلمون أنهم يدمرون الكوكب ويبحثون من الآن عن كوكب آخر ليغادروا اليه.

الملحد – أنت تريد القول إن الدين هو مصدر الأخلاق.

المؤمن – كلا، أنا لا أقول إن الدين هو مصدر الأخلاق. ربما تتفاجؤون بهذا الكلام، وجوابي عن سؤال حقيقة الأخلاق ومنشئها سأفصله لاحقا، لكن حتى ترتاح قلوبكم فأنا من الآن أقول لكم إن الدين ليس مصدر الأخلاق. الدين هو منظومة العقائد والتعاليم الأخلاقية والأحكام الشرعية. والتعاليم الأخلاقية والأحكام التشريعية ليست هي عين الأخلاق بل هي تعاليم وتشريعات، كما ليست هي مصدر الأخلاق. ويبقى السؤال متوجه اليكم: ما هي حقيقة الأخلاق ومنشؤها بحسب مبادئ ونظريات وفلسفات الإلحاد، أي بحسب الرؤية الإلحادية بمعزل عن الإيمان والدين؟

الملحد - يعني رجم الزانية المتزوجة وقطع يد السارق وقتل الكافر وحرمة شرب الخمر والزنى، هذه ليست من الدين.

المؤمن - هي من الدين، ولكن يا عزيزي قلت لكم إن هذه تشريعات وليست أخلاقا. ينبغي أن تميزوا بين الأخلاق وبين التطبيقات السلوكية والتشريعية. أنتم لحد الآن لا تميزون بين معاني الأخلاق والسلوك والتشريع والآداب العرفية.

الملحد - وما هو الفرق؟

المؤمن - الأخلاق قيم روحية وملكات نفسية، أي صفات راسخة في النفس يصعب زوالها ويصدر عنها الفعل دون تكلف، وهي تنقسم الى فضائل كالعدل والشجاعة والحكمة والعفاف، وردائل كالظلم والجبن والسفاهة والمجون. أما الفعل فهو السلوك العملي وهو قد يطابق الخلق الذي هو صفة نفسية وقد لا يطابقه ، فربما كان الشخص عادلا أي هو متصف بخلق العدل ولكن قد يمارس الظلم احيانا اضطرارا، وربما كان الشخص صادقا أي هو متصف بخلق الصدق ولكن قد يمارس الكذب احيانا اضطرارا ، فالخلق غير الفعل الاخلاقي ، ولكنه لأن أفعال الإنسان تصدر ((عادة)) وفق مقتضى أخلاقه يحصل الاشتباه أو التسامح المجازي في إطلاق صفة الخلق النفسي على الفعل، من باب اطلاق لفظ السبب على النتيجة ، فيقال لفعل غضب الاخرين حقهم : هذا ظلم ، مع أن الظلم هو الخلق النفسي والقيام بغضب الاخرين حقهم هو فعل، والمقصود حقيقة أنه فعل ينسجم مع خلق الظلم، وعندما يعطي القاضي الحق للمظلوم، يقال مجازا هذا عدل، والمقصود حقيقة أنه فعل منسجم مع خلق العدل. فهما متغايران ولا ملازمة بينهما فقد يكون الشخص ظالما ويظهر العدل احيانا ، وقد يكون عادلا ويصدر منه الظلم احيانا. والنتيجة أن السلوكيات هي غير الأخلاق. أفعال وسلوكيات الشخص تصدر عادة نتيجة لأخلاقه فتكون مصداقا وتطبيقا عمليا لأخلاقه، لكن لا توجد ملازمة حتمية جبرية بين خلق الإنسان وأفعاله، لذلك عند البحث عن حقيقة الأخلاق وأصلها يجب التفريق بين الأخلاق والسلوكيات.

أما الأحكام والقوانين فهي تشريعات وحدود وضوابط وقواعد يتم سنها ويطلب تطبيقها والالتزام بها، مثل رجم الزانية المتزوجة وقطع يد السارق وقتل المرتد، هذه تشريعات وليست أخلاقاً لأنها ليست قيماً روحية وملكات نفسية، كما هي ليست أفعالاً وسلوكاً، إنما هي تشريعات. العدل خلق، والأمر بالعدل تعليم أخلاقي، وقطع يد السارق حكم تشريعي.

أما الآداب الحسنة فهي عادات وتعليمات سلوكية يقصد بها تهذيب السلوك وتحسينه وتجميله، كالقيام عند حضور المعلم وكعدم رفع الصوت بدون حاجة وكاحترام الأصغر سناً للأكبر وعطف الأكبر سناً على الأصغر. هذه الآداب ليست صفات نفسية راسخة بل هي عادات سلوكية يتم اكتسابها بالممارسة والتعليم، والغاية منها تحسين السلوك. فالتأديبات غير الأخلاق.

الملحد – عزيزي حتى الحيوانات عندها أخلاق، فلا تزعم أن الدين هو مصدر الأخلاق.

المؤمن – أولاً: قلت لكم أنني لا أقول إن الأخلاق مصدرها الدين. ثانياً: ما هو المانع أن يكون للحيوانات ديناً؟

الملحد – يعني لها أنبياء وعبادات وتكاليف وثواب وعقاب، أخبرنا عنها.

المؤمن – لا أدري، ولكن ما هو المانع أن يكون لها عقيدة وشريعة بحسب حالها؟ قال تعالى: ((وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٩)))^١، ((تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤)))^٢. لكنني لا أريد البحث في عقيدة وأخلاق وشريعة الحيوان لعدم قدرتي على التواصل معه، وإنما أريد البحث الآن في فكركم وأخلاقكم لقدرتي على التواصل معكم.

^١ - سورة الأنعام

^٢ - سورة الإسراء

الملحد – الأخلاق منبعها المثل والقيم والمبادئ.

المؤمن – المثل والقيم والمبادئ هي ألفاظ مرادفة للفظ الأخلاق وليست منبعها لها. وإن كنت تقصد بالمثل والقيم والمبادئ معنى آخر غير معنى الأخلاق فالسؤال نفسه، فما هي حقيقة المثل ومنبعها؟

الملحد – أنا بالنسبة لي داروني صادق، نعم إن حقيقة الأخلاق التي تسمى فاضلة هي وهم وخدعة وغباء، فلماذا نكذب على أنفسنا.

المؤمن – هذه هي فلسفة الأخلاق الوجودية التي جاء بها زعيم الفلسفة الوجودية الملحدة، الفرنسي جان بول سارتر (توفي ١٩٨٠م). والفلسفة الوجودية هي الفكر الذي يدعو الى انحصار الانسان في ذاته فقط ومنفعته الخاصة فقط ((أنا ومن بعدي الطوفان)). يرى سارتر واتباعه أن جميع قواعد الأخلاق التقليدية ليست إلا أوهاما وخداعا ونفاقا اجتماعيا، وعلى اساس الفلسفة الوجودية يجب التمرد عليها وتحرير الذات منها، فالإنسان ليس مدينا لأحد في وجوده، وليس للكون نظام ولا للحياة هدف، ولا للوجود معنى سوى الأنا الفردية للشخص، وبالتالي يجب على الفرد أن يركز حياته في وجوده الفردي ومنفعته الخاصة فقط دون تحمل أي مسؤولية اخلاقية تجاه أي شيء آخر^(١).

ويرد عليه : هذه ليست فلسفة اخلاقية بل هذيان مجنون ، يبطلها الوجدان الاخلاقي عند جميع البشر حتى معظم الملاحدة والأشرار، إنها الأنانية النفعية بأبشع صورها واكثرها تطرفا، بل انكرها سارتر نفسه آخر حياته وأقر انها كانت مجرد هذيان، حيث كتبها كما يقول عندما كان مصابا بالعصاب ، وفي ظرف الحرب العالمية الثانية حين اجتاح هتلر دولته فرنسا. والى حد اليوم تستهوي الاخلاق الوجودية الكثير من الملاحدة.

الملحد – اعتقادي أن الأخلاق صناعة بشرية. فهي عبارة عن نظم وقوانين وأعراف طورها البشر عبر تراكم الخبرة والتجربة للصالح العام.

(١) معجم الفلاسفة ، مادة ((سارتر)) ، ص ٢٤٨

- الموسوعة الفلسفية المختصرة ، مادة ((سارتر)) ، ص ١٧٦

المؤمن – هذا قول عقلاني مشهور. لكن يرد عليه:

أولاً: إن هذا مناقض لما نشعر به في حسنا الأخلاقي. فإن شعورنا تجاه الأخلاق أنها قيم روحية نبيلة وكمال روحي، وهو ليس كشعورنا تجاه النظم والقوانين التشريعية الوضعية. فالأخلاق صفات وليست تشريعات.

ثانياً: إن شمول الأخلاق لجميع الأزمنة والأمكنة والقوميات والثقافات دليل على أنها ليست من نمط النظم والقوانين التشريعية، حيث أن النظم والقوانين الوضعية تتغير بتغير الزمان والمكان والقوميات والثقافات.

ثالثاً: إن هذه فرضية، فما هو مستندكم العلمي عليها.

الملحد – الأخلاق ليست مطلقة لكل زمان ومكان وثقافة كما تقول. الأخلاق صناعة بشرية وهي نسبية متغيرة، والمستند العلمي على ذلك هي الدراسات الأنثروبولوجية وواقع الحال الآن. فالعبودية كانت عدالة كما هي عندكم الآن بينما أصبحت عند الغرب ظلماً، وقتل المرتد عندكم عدالة وعند غيركم ظلم، وظهور النساء بدون عباءة وستر كامل عندكم فاحشة بينما عند غيركم ليست كذلك، والزواج المؤقت عند غيركم زنا وفاحشة بينما عندكم ليس كذلك، والدعارة عندكم زنا وفاحشة بينما عند غيركم مهنة شريفة عفيفة تأخذ الدولة عليها ضرائب، وشرب الخمر عندكم ينافي الأخلاق بينما في المسيحية ليس كذلك.

المؤمن – كل من يقول إن الأخلاق نسبية متغيرة باختلاف الزمان والمكان والثقافة يستند الى مثل هذا التفسير والأمثلة. هذا التفسير باطل. هذا التفسير مبني على خلط واشتباه كبير بين ذات الأخلاق وبين حدودها ومصاديقها التطبيقية. فذات مفهوم العدل هو إعطاء كل شيء حقه بما يستحقه، والظلم عدم العدل بهذا المعنى. هذا المعنى لمفهوم العدل لا يختلف أصحاب العقول السليمة، ولا حتى هتلر وستالين، على كونه أمراً حسناً وخلقاً محموداً، كما لا يختلفون على كون الظلم أمراً بغيضاً وخلقاً مذموماً. إنما الاختلاف والتفاوت بين أصحاب العقول السليمة بحسب الزمان والمكان والثقافات هو

في حدود مفهوم العدل وتطبيقاته، فهناك من يرى أن العبودية داخلية ضمن حدود العدل ومن تطبيقاته وهناك من يرى خلاف ذلك، ولكن كلاهما متفق على أن العدل بمعنى إعطاء كل شيء حقه بما يستحقه هو خلق فاضل حسن، كما أن الاختلاف كثيرا ما يأتي من جهة إرادة البعض مخالفة مقتضى العدل وإن لم يختلف في حدوده وتطبيقه، فهو في قرارة نفسه يقر بحسن العدل ولا لبس عنده في حدوده وتطبيقاته ولكنه يختار عامدا عالما عدم تطبيقه لترجيح مصلحة شخصية، وربما يخدع نفسه ويضلها ليبرر لنفسه الظلم. كذلك في خلق العفة لا يختلف أصحاب العقول السليمة على أنه خلق فاضل حسن، لكن التفاوت والاختلاف هو في حدوده وتطبيقه، فهناك من يرى أن حدود العفة أن تستر المرأة كل بدنها وأن لا تزني مطلقا، وهناك من يرى أن حدود العفة يكفي فيها عدم ظهور المرأة عارية تماما وأن لا تكون مومسا فلا بأس بأن تظهر شبه عارية وأن تزني مع عشيقها، كما أن الاختلاف هنا كثيرا ما يأتي من جهة إرادة البعض مخالفة العفة عمدا اختيارا لترجيح مصلحة خاصة رغم اقراره في قرارة نفسه بقبح المجون ورغم علمه بحدود العفة وتطبيقها، وربما يخدع نفسه ويضلها ليبرر لنفسه المجون. وقد قلنا سابقا: إن معظم الملاحدة وغير الملاحدة من الفسقة يتصف اليوم بردائل الأخلاق ويفعل موبقات الأفعال تحت غطاء التشريعات القانونية الوضعية وحماية الدولة في الكثير من الدول، فالزنا والدعارة والمثلية والتعري والخمور والسرقة والربا والمخدرات والغش والكذب والقتل والإنتحار، أصبحت مقننة محمية وتم استبدال معانيها الواقعية المنحطة بعنوانين أخرى للتمويه وخداع النفس.

والخلاصة: هناك فرق بين ذات الأخلاق وبين حدودها وتطبيقاتها. ذات الأخلاق كالعدل والعفة والشجاعة والرحمة والصدق، لا يختلف أصحاب العقول السليمة على حسنها، حتى وإن تعمدوا مخالفتها عمليا، فهي مطلقة وليست نسبية فلا تتغير بحسب الزمان والمكان والثقافات. أما حدودها وتطبيقاتها فهي التي يقع فيها الالتباس والنزاع والاختلاف، فهي النسبية التي تتأثر بالزمان والمكان والثقافات.

الملحد - يعني شرب الخمر والزنى عندك أصبح ليس له علاقة بالأخلاق من ناحية دينك. هل تقبل من ابنتك او ابنك انت كمسلم شرب الخمر والزنى؟ ام سوف تقول عنهم انهم بلا اخلاق وانهم ليسوا جيدين؟ عزيزي لا نناق ونضحك على أنفسنا.

المؤمن - طبعاً لا أقبل. افهم يا ملحد الفرق بين الأخلاق والسلوك والتشريع. إن مثل شرب الخمر والزنى هي سلوكيات وهي منافية عندنا للأخلاق والشرع لكنها ليست عين الأخلاق، وإن مثل حرمة شرب الخمر والزنى هي تشريعات وهي موافقة عندنا للأخلاق لكنها ليست عين الأخلاق. فالأخلاق هي صفات روحية وملكات نفسية. فالعفاف والحياء هو خلق، والإرشاد الى كون الزنى فاحشة وعملاً بغيضاً هو تعليم أخلاقي، وتحريم الزنى ومعاقبة الزناة هو حكم تشريعي.

الملحد - الأخلاق موجودة قبل دينك، فحتى النمل والنحل عنده أخلاق محبة ورحمة وتعاون وإيثار.

المؤمن - في النمل والنحل آيات لقوم يتفكرون. هذه حجة على طائفة الملحد الذين يزعمون أن الأخلاق صناعة بشرية. أما أنا فأكرر بأنني لا أقول إن الأخلاق مصدرها الدين.

الملحد - المنظومة القيمية هي نتاج تراكمي للخبرات والتجارب الانسانية عمره اكثر من عشرات الاف السنين ، الانسان ومن خلال التجربة توصل الى حقيقة ان السرقة والقتل بشكل عام سوف لن يساهم في استقرار الانسان والمجتمع .

المؤمن - ولكن هذا التفسير يواجه عدة مشاكل:

١- الشعور الأخلاقي عند الانسان حتى في حالة اعتزاله المجتمع لا يزول باعتزال المجتمع، الا أن تقول إن الخبرات المعرفية تحولت الى خلايا دماغية بمرور الزمن وهذه عودة للتفسير الداروني.

٢- التعامل الاخلاقي لدى البشر مع الحيوانات مع كونها خارج دائرة المجتمع البشري.

٣- السلوكيات الاخلاقية لدى الحيوانات هل هي ايضا مبنية على خبرات معرفية تراكمية لاستقرار المجتمع الحيواني؟

هذه مجموعة مشاكل تنقض هذا التفسير.

الملحد – ما هو رأيك بمبدأ التعاطف لديفيد هيوم؟

المؤمن – مبدأ التعاطف، فلسفة أخلاق عصر التنوير الأوربي. أبرز ملحد كتب في الاخلاق في عصر التدمير الإلحادي هو الاسكتلندي ديفيد هيوم (مات ١٧٧٦ م). عرف الفضيلة بأنها ((الصفة التي توجب منفعة أو لذة للشخص أو غيره)) أما اصل الاخلاق ومصدر الحس الاخلاقي عنده فهو ليس الكتاب المقدس كما يذهب اللاهوت المسيحي، وليس العقل كما يذهب الفلاسفة العقلانيون، بل هو مبدأ التعاطف والتجاذب بين البشر، فالبشر منذ القدم شعروا بالحاجة لبعضهم البعض فامتدحوا التصرفات النافعة للجماعة و ذموا التصرفات الضارة بها، ثم إن مبدأ التعاطف أي التجاذب والمحاكاة، جعلهم يميلون إلى تقبل أو محاكاة الآراء التي سمعوها من حولهم، وبهذه الطريقة اكتسبوا معايير وعادات الثناء واللوم، وطبقوا هذه الأحكام بوعي أو بلا وعي على سلوكهم، وعلى هذا فحقيقة الأخلاق عنده أنها صفات قائمة على مبدأ تبادل المنفعة، و منشأ منظومة الأخلاق الحميدة والحس الأخلاقي المشترك هو عاطفة التجاذب و المحاكاة^(١).

ويرد عليه أنه قد فسر الاخلاق على اساس المنفعة واللذة ، وهو خلاف ما يشعر به الشخص في وجدانه بأنها كمالات روحية مستقلة، غير خاضعة لمبدأ المنفعة واللذة الذي تهيمن عليه تصورات تجارية محضة، كما أنه يعني أن الانسان كائن أناني بطبعه ولم يتعامل على أساس المصلحة المتبادلة إلا بسبب اضطراره للعيش في وسط الجماعة، ولازم ذلك أنه إذا لم يضطر الى الآخرين فإنه لا معنى للتعامل مع الآخرين وفق الاخلاق الحميدة، إلا من باب التقليد والعادة الاجتماعية التي يتم تطبيقها بصورة غير واعية كما يقول، وهذا خلاف الواقع فإن الانسان أول ما يشعر بجمال وكمال الاخلاق

(١) قصة الحضارة ، ديورانت ، ج٣ ص٢٠٩-٢١٤

الحميدة فإنه يتكون عنده الوجدان الاخلاقي ويشعر بالنزوع والاندفاع النزيه نحو تطبيقها، فهذا خلط بين الاخلاق والعادات الاجتماعية، كما أن معنى كلامه أن الشخص الذكي اللبيب الواعي، ينبغي أن لا يتحمل مسؤولية أخلاقية تجاه المجتمع، ولا يجب عليه الخضوع للعادة والالتزام الاخلاقي مادام لم يكن مضطرا الى ذلك، لأن القيم الأخلاقية عنده مجرد عادات، وعلى اساس هذه الفلسفة المقيتة برر ديفيد هيوم لنفسه ولملاحدة عصر التدمير الاوربي في القرن الثامن عشر كافة أنواع الرذيلة والانحلال الاخلاقي والنفاق الاجتماعي، فكانت هذه الفلسفة هي أول إحياء لفلسفة ابيقور الأخلاقية اليونانية، علما أن ديفيد هيوم بعد رفضه للدين، لم يذكر منهجا لصيانة الفرد والمجتمع في حالة تصادم المنافع الشخصية للأفراد من أمثاله.

الملحد – أنت يجب أن تفرق بين الأخلاق والقيم. الأخلاق هي الصفات الفردية التي تتعلق بسلوك الشخص نفسه دون النظر الى الجماعة. والقيم هي الصفات الجماعية التي تتعلق بالجماعة، وتسمى الصفات المعشرية لأنها تكتسب من تواجد الشخص في معشره، أي من العشيرة والقبيلة والمجتمع. فالأخلاق التي هي صفات الشخص الفردية هي فعلا من برمجة الطبيعة وهي فعلا أخلاق الأنانية والنفعية والاستغلال. أما القيم المعشرية فهي ليست من برمجة الطبيعة، ولكن المعشر كونها نتيجة خبرات وتجارب اجتماعية لمصلحة المعشر، ثم قام المعشر بتلقينها ونقلها في الأجيال اللاحقة. فأصل الأخلاق الإيثارية، أي غير الأنانية النفعية، أنها قيم معشرية لمصلحة المعشر، فهي ليست كما فسرها دوكنز بناء على الجين الأناني بأنها ناتج عرضي وخطأ في الانتخاب، وإنما هي قيم اجتماعية طورها المعشر لمصلحة المعشر.

المؤمن – كما ذكرنا سابقا، فإن الملاحدة تهافتوا في تفسير الأخلاق الإيثارية وفق مبادئ الإلحاد. بالنسبة لنا لا يهمن التفريق الاعتباري بين الأخلاق والقيم، على أساس أن الأخلاق صفات فردية وأن القيم صفات مجتمعية، مادام الجميع هي صفات روحية وملكات نفسية، إلا أن الذي دعا بعض الملاحدة الى هذا التفريق هو التمييز بين منشأ رذائل الأخلاق ومنشأ فضائل

الأخلاق، فأرادوا الزعم أن رذائل الأخلاق منشؤها الاصطفاء الطبيعي وبرمجة الجين، وأن فضائل الأخلاق منشؤها الاصطفاء الاجتماعي وخبرات المجتمع، فاصطلحوا اسم الأخلاق على رذائل الأخلاق. ونحن لا يهمننا التفريق الاصطلاحي ((أخلاق وقيم)) فعندنا كلها أخلاق وتنقسم الى فضائل ورذائل. المهم عندنا أن بعض الملاحظة يقول إن منشأ الأخلاق الفاضلة هو المعشر، أي أن الجماعة البشرية الأولى هي من طورت الأخلاق الإيثارية حفاظا على الجماعة، وأطلقوا على عملية التكوين هذه اسم (الاصطفاء الاجتماعي) في مقابل (الاصطفاء الجيني)، وقالوا إن الأخلاق الإيثارية هي غريزة مستحدثة وضعيفة بسبب اقدمية الاصطفاء الجيني. ومن أصحاب هذا التفسير عالم الأنثروبولوجيا كرسنوفر بويم في كتابه (أصول الأخلاق).

ويرد عليه: بأنه يقر ضمنا أن اصطفاء الطبيعة وهدفها هو برمجة الانسان على رذائل الأخلاق، أي أن مباني الدارونية تدعو أتباعها الى رذائل الأخلاق. أما تفسيره الأنثروبولوجي للأخلاق الإيثارية أي فضائل الأخلاق فهو أشد بشاعة وانحطاطا من تفسير دوكنز. دوكنز فسر الأخلاق الإيثارية بأنها نتيجة عرضية وخطأ في الانتخاب، وهو تفسير يرجع في حقيقته الى أنها اشتباه وخطأ وغباء، أما هؤلاء فهم يفسرونها بأنها برمجة المعشر لبعض الأفراد حتى يخالف برمجة الطبيعة لمصلحة المعشر، وهو تفسير يرجع في حقيقته الى النفعية والاستغلال والاستغلال، وهذا تفسير أبشع من تفسير دوكنز، فدوكنز يرجعها الى الاشتباه والغباء الشخصي، وهؤلاء يرجعونها الى استغلال واستغلال المعشر للفرد. وكلا التفسيرين يرجعان فضائل الأخلاق الى رذائل. هذه هي فلسفة أخلاق الملاحظة.

الملحد – ما تقوله صحيح عن استغلال واستغلال المعشر للفرد، ولكن ما يقولونه أيضا صحيح، ويمكن منع استغلال المعشر للفرد بوعي الفرد بحيث تكون تضحيته في سبيل المعشر قائمة على أساس المصالح المتبادلة.

المؤمن – يعني تقصد توعية الفرد بأن لا يكون غيبيا ويتعامل وفق فضائل الأخلاق، بل عليه أن يعود الى التعامل وفق الأنانية والمنفعة الخاصة، يعني

حكّم هو بإعادة الفرد الى رذائل الأخلاق الدارونية. وبالتالي إعادة المجتمع الى الدارونية ونزاع البقاء والبقاء للأقوى. هذه هي نتيجة مباني الإلحاد.

الملحد - أتصور أننا أجبناك عن سؤالك. هيا أخبرنا أنت عن رؤيتكم في حقيقة الأخلاق ومنشئها.

المؤمن - بعد معرفتنا لأراء الملاحدة في الأخلاق يتبين أن ما تخفيه صدورهم و يتلجج على سنتهم ويظهر بين اسطرهم، ولكن لا تفره مبانيهم ونظرياتهم وفلسفاتهم الإلحادية، هو أن منظومة فضائل الأخلاق هي فطرة إلهية . هذه هي رؤيتنا، فنحن لا نقول إن الدين هو مصدر الأخلاق، بل نقول إن الله هو مصدر الأخلاق، ونقصد من لفظ (الأخلاق) هنا عند الإطلاق فضائل الأخلاق، أي أن الله تعالى هو من فطر الانسان على فضائل. الفطرة نقصد بها أصل تكوين الشيء وتصميمه وخلقه ، ومعنى أن الأخلاق فطرة إلهية هو أن الله سبحانه وتعالى قد صمم خلقة الإنسان والطبيعة البشرية بحيث تقتضي كرائم الأخلاق وتنافر رذائل الأخلاق ، فمثلا سيارة البنزين يتم تصميمها وتصنيعها مفتقرة الى البنزين بحيث إن حصلته فإنها تتقبله تلقائيا وتعمل عليه وتنافر الكهرباء ولا تتقبلها ، وكما أن المصباح الكهربائي يتم تصميمه وتصنيعه مفتقرا الى الكهرباء بحيث إذا حصل على الكهرباء فإنه يتقبلها تلقائيا ويضيئ ولا يتقبل البنزين بل ينافره ، كذلك الإنسان - مع فرق سنيبه لاحقا - فإنه قد صممه الله مقتضيا مفتقرا نازعا نحو كرائم الأخلاق بحيث أنه إذا أدركها فإنه يتقبلها تلقائيا ويعمل طبقها ، وينفر من رذائل الاخلاق ويكرها ولا يتقبلها. ومادام الله تعالى هو فاطر النوع الإنساني على الأخلاق فإن الأخلاق مطلقه.

فالإنسان مبرمج من الله تعالى على الإيمان بالله وعلى فضائل الأخلاق، وقد نص القرآن الكريم على ذلك فقال تعالى: ((اللَّهُ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا

مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨))^١. ولا تقولوا بأنني استدل بالقرآن، وإنما المقصود هو تأكيد القرآن لهذه الحقيقة.

الملحد – أين نجد فطرة الأخلاق في تكوين الانسان؟ ومتى دس ربكم الأخلاق الفاضلة في الإنسان، قبل الولادة أم بعد الولادة؟

المؤمن – وأين تجد البنزين في أصل تكوين السيارة؟ وأين تجد الكهرباء في أصل تكوين المصباح؟ بل أين تجد غريزة الطعام والشراب والجنس في أصل تكوين جسم الإنسان؟ ومتى تدس الطبيعة هذه الغرائز في الإنسان؟

الملحد – غرائز الطعام والشراب والجنس انها الجهاز الهضمي والتناسلي.
المؤمن – هذه أعضاء وليست غرائز. هذه أعضاء لإشباع الغرائز.

الملحد – نعم، الغرائز هي الحاجات الإنسانية.

المؤمن – احسنتم، فحقيقة الغرائز هي حاجات واحتياجات لأشياء. فالغرائز ليست أعضاء أو أشياء وجودية تراها في بدن الإنسان، بل هي نحو من النزوع والافتقار والحاجة الى أمور وجودية. بعبارة أخرى إنها حيثية نقص وافتقار وليست حيثية وجود. صانع السيارة صممها بشكل تكون مفتقرة ومحتاجة للبنزين، والله تعالى صمم الإنسان بشكل يكون مفتقرا محتاجا لفضائل الأخلاق، كما صممه بشكل يكون مفتقرا محتاجا الى الطعام والشراب، هذا هو معنى التصميم والفطرة على فضائل الأخلاق. بتعبيركم إنها ((برمجة)) وبتعبيرنا نسميها ((فطرة)) فلا مشاحة في الاصطلاح إن وضح المقصود. لكن الفرق أنكم تنسبون هذه البرمجة للطبيعة العمياء الهوجاء، فنقولون إن الطبيعة برمجت الإنسان على الطعام والشراب والجنس والأخلاق، ونحن نقول إن الله تعالى هو من برمج الإنسان على الأكل والشرب والجماع والأخلاق. ونتيجة القولين هي أن قولكم ينتج برمجة

^١ - سورة الحجرات

الطبيعة للإنسان على رذائل الأخلاق، بينما قولنا ينتج برمجة الله للإنسان على فضائل الأخلاق.

الملحد – لكن الطفل يولد ولا يعرف فضائل الأخلاق وأهله هم من يلقنونه ويربونه عليها.

المؤمن – وهل يولد الطفل وهو يأكل اللحم ويشرب مرق الدجاج ويتزاوج؟
الملحد – طبعاً لا، لأن جهاز الهضم والتناسل غير ناضج بعد.

المؤمن – ولكن هذا لا يعني عدم وجود فطرة الطعام والشراب والجنس من حين الولادة، ولا يعني عدم وجود الاستعداد الفطري لأكل اللحم وشرب مرق الدجاج والتزاوج. وهكذا هي فطرة الأخلاق فهي حيثية استعداد وتقبل لفضائل الأخلاق يولد الإنسان بها وهي تنضج بمرور الزمن، ونحن نسمي ذلك التكامل الأخلاقي. وكما أن تعريف الأبوين للابن ما يناسب فطرته من الطعام والشراب والزواج، وتعريفه بمزايا ما يصلحه من الطعام والشراب والجنس وحثه عليه، وتعريفه بمساوئ ما يفسده من الطعام والشراب والجنس ونهيته عنه، فلا يعد ذلك منافياً لوجود الاستعداد الفطري لدى الإنسان للأكل والشرب والجماع؛ فكذا لا تكون تربية الوالدين للطفل على فضائل الأخلاق منافية لوجود الاستعداد الفطري لفضائل الأخلاق.

لذا يجب التنبيه، إننا لا نقصد بأن الأخلاق فطرة إلهية كون الإنسان يولد وهو عادل عفيف شجاع صادق أمين، بل نقصد أنه يولد وفي ذاته نزوع وميل وتوجه نحو فضائل الاخلاق هذه، وبمجرد الانتباه لها والتعرف عليها فإنه يمتصها كما تمتص الاسفنجة اليابسة الماء ويتشرب بها كيانه. فالفطر على شيء يعني الاقتضاء له، أي النزوع والميل الطبيعي نحوه والانفعال به عند ايجاده، ما لم يكن هناك مانع وخلل في الطبع.

الملحد - وما هو الدليل على أن أصل الاخلاق الفاضلة هو اقتضاء الفطرة الانسانية السليمة لها، وأنها مطلقة وليست نسبية؟

المؤمن - الدليل الأول: هو وجدانك انت وحسك الاخلاقي وضميرك وفطرتك وبرمجتك، وكفى بنفسك عليك شاهداً، وكل هذه التعبيرات

((الوجدان الاخلاقي والحس الاخلاقي والضمير والفطرة الاخلاقية السليمة والبرمجة)) هي بمعنى واحد يشهد على صدق ما نقول، إلا إذا كان الشخص ممسوخ الفطرة أو ملوث الفطرة ومخدر الضمير ومنحرف الطبع لسبب ما فهذا مانع عن تقبل فضائل الاخلاق.

الدليل الثاني: هو ما نسميه براءة الاطفال التي لا ينكرها إلا مستكبر على الحق معاند مجادل بالباطل. كل طفل يولد خيرا بطبعه، وحتى فلاسفة التربية والتعليم الملاحدة أمثال جان جاك روسو يقرون بذلك.

الدليل الثالث: هو وجود الحس الاخلاقي المشترك عند معظم البشر على اختلافهم في الأديان والقوميات والثقافات والعادات والسلوكيات والزمان والمكان وكل شيء. وقد قلنا ((معظم البشر)) حتى نستثني الشرذمة ممن هو ملوث الفطرة ومنحرف الطبيعة الإنسانية. بل حتى من دون فرق في الحس الأخلاقي بين المؤمن والملحد، بشهادتكم أنتم خلال حوارنا. لذلك تجد مثل دوكنز رغم تفسيره البشع لأصل الأخلاق الفاضلة فإنه يمجدها ويعتبرها أخطاء طبيعة مباركة وثمانية.

الدليل الرابع: هو شهادة خبراء علوم التاريخ والاجتماع والانسان، وحتى الملاحدة منهم على رسوخ جذور الاخلاق الفاضلة في تخوم التاريخ البشري، اعتمادا على الدراسات في هذه المجالات. ويكفينا لذلك شهادة زعماء الملاحدة التي نقلناها وإن اختلفوا في توجيهاتهم لها، أمثال ديفيد هيوم والماركسيين وكرستوفر بويم، ومع ذلك نضيف لها شهادة قطب الإلحاد والفجور في عصره برتراند رسل اعتمادا على الدراسات الانثروبولوجية، حيث ينص: ((فالحياة بشكل ما، وإلى درجة ما، عام وشامل تقريبا لدى الجنس البشري، ويشكل محرما يجب تحطيمه فقط طبقا لأشكال واحتفالات معينة.... وهذا ليس كما يظن بعض المعاصرين من اختراع العصر الفيكتوري، بل على العكس، لقد وجد الانثروبيولوجيون اشكالا أكثر تعقيدا من الاحتشام المتطرف لدى البدائيين المتوحشين، ذلك أن مفهوم البذاءة يضرب جذوره عميقا في الطبيعة البشرية. إننا نقف ضده انطلاقا من حب التمرد أو من الاخلاص للروح العلمية أو من الرغبة في أن نشعر أننا

شريرون، كما هو الأمر لدى بايرون، لكننا لا نستطيع بسبب ذلك محوه من بين دوافعنا الفطرية. تقرر الأعراف والتقاليد، ولا شك في مجتمع ما، بالضبط ما هو محتشم لائق وما هو غير ذلك. لكن وجود أعراف وتقاليد من نوع ما، هو دليل حاسم على مصدر لهذه الأعراف ليس هو بالتقليدي فقط. ففي كل مجتمع بشري تقريبا، تعتبر الإباحية والفضائية الجنسية نوعا من الإساءة، ما عدا حين تشكل، كما يحدث أحيانا وبشكل ليس متواترا، جزء من احتفال ديني)).¹ سبحان الله!! يتكلم كمؤمن فاضل، وكلامه منسجم مع رؤيتنا، لكنه كغيره من الملاحدة يذكر ذلك في صدد تشريعه للإلحاد والفجور. فهو بعد إقراره بفطرية الأخلاق وكونها دوافع فطرية، وبعد إقراره بفسوخ الأخلاق الفاضلة في تخوم الوجدان البشري وكونها مطلقة عامة مهيمنة على السلوك البشري بشكل عام؛ يحكم بأن أكثرها قائم على الخرافة الدينية لأنه - بحسب زعمه - لم يجد سببا منطقيا تجريبيا يدعم صحتها ويدعو إلى الالتزام بها وبالتالي يجب رفضها إخلاصا للروح العلمية!

فالملاحدة عاجزون عن اثبات تفسيرهم للأخلاق ومصدرها علميا. فهم لم يجدوا تفسيرهم منصوبا في الكهوف والمتحجرات، ليس عندهم سوى التفسير البيولوجي المعتمد على أسطورة دارون وهو لا ينتج إلا رذائل الأخلاق ولا يدعو إلا إليها. وليس عندهم سوى التفسير الأنثربولوجي المعتمد على دراسة ما يسمونها القبائل والشعوب البدائية وهذا لا ينتج إلا فطرية فضائل الأخلاق بشهادة خبراء الملاحدة.

الملحد - وما علاقة ربكم بالفطرة الأخلاقية!! نسلم أن الطبيعة هي من برمجت الإنسان على غريزة الأخلاق. وهناك أبحاث تضع بين أيدينا دليلا هرمونيا يدعم آلية عمل الأخلاق عند الفرد، وأبحاث تقول بوجود العصبيات المرآتية في دماغ الحيوان والإنسان والتي تجعله يتعلم بالتكرار، أي بإعادة التصرف كما أنها تجعل الشخص يتعاطف مع المقابل في لا شعوره.

¹ - لماذا لست مسيحيا ، برتراند رسل ، ترجمة عبد الكريم ناصيف ، ص ١٨١-١٨٢

المؤمن – نشكر لكم اقراركم بفطرية الأخلاق، ولكن كيف للطبيعة العمياء الهوجاء أن تبرمج على فضائل الأخلاق!! أنى لها ذلك وهي ترفع شعار: ((الصراع من أجل البقاء، والبقاء للأقوى))!!

الملحد – عن طريق الخطأ في البرمجة والنسخ. فكما يحصل خطأ في البرمجة والنسخ فينتج أفرادا مشوهين وآخرين عباقرة فريدين، كذلك عن طريق خطأ البرمجة نتجت غريزة الأخلاق الحميدة. وهو خطأ إيجابي، فليس كل خطأ برمجة هو سلبي كما تتوهمون.

المؤمن – هذه عودة الى تفسير دوكنز البغيض، ويرد عليكم:

١- جمع كبير من الملاحدة بداعي النقص لرؤيتي اعترفوا سابقا بوجود نحو من الأخلاق الحميدة في غريزة جميع الأنواع الحية وليس الإنسان فقط. فلازم كلامكم أن غريزة الأخلاق لدى الإنسان خطأ برمجة، أن خطأ البرمجة الأخلاقية هو القاعدة السارية في جميع الكائنات الحية على طول الخط التطوري، وهذا ينافي كونه خطأ حيث الخطأ هو الاستثناء وليس القاعدة، كما أنه ينافي هدف وشعار طبيعتكم ((الصراع من أجل البقاء والبقاء للأقوى)). والنتيجة أن فطرة الأخلاق الحميدة هي أصل مقصود وليست طفرة وخطأ برمجة، وأن فاطرها ليس هو الطبيعة، بل الخالق العليم الحكيم التقدير مصدر كل خير ومطلق الكمال والجمال المنزه عن كل شر وعيب ونقص.

٢- قولكم إنها خطأ إيجابي. ما هو ميزان الايجابية عندكم؟ على أي أساس حكمتم بأن فضائل الأخلاق شيء إيجابي وأن رذائل الأخلاق شيء سلبي؟ فالشخص الذي يتمتع برذائل الأخلاق سيحتج عليكم ويقول: ((إنه قد برمجه الطبيعة حسب الأصل فيها، وحسب هدفها وشعارها فلم تخطأ في برمجه كما أخطأت في برمجتكم، فلا لوم علي بل أنا الصح والصواب وأنتم الخطأ بشهادتكم على أنفسكم)). منطوق؟؟

الملحد – بالنسبة للنقطة الأولى: هناك المئات من الآلهة فعن أي إله تتحدث بأنه فاطر غريزة الأخلاق الحميدة؟ اثبت لنا وجود إلهك أولا.

المؤمن – ١- أنا بالفعل قد أثبت مسبقا وجود الله تعالى وكماله المطلق، بدلالة الفطرة والعقل والنبوة في لقاء حوارات حول الخالق والأديان. فبحثنا الآن ونتائجه يبتني على البحث والنتائج هناك. نحن نراعي التسلسل العلمي المنهجي في البحث وأنتم من يصر على القفز والمشاكسة والسفسطة.

٢- قلت لكم: ((وأن فاطرها ليس هو الطبيعة، بل الخالق العليم الحكيم القدير مصدر كل خير ومطلق الكمال والجمال المنزه عن كل شر و عيب ونقص)). كل الآلهة والأرباب المزعومة لم تدع هذه الصفات ولم تستطع اثباتها لنفسها، ومن اخترعها لم ينسب لها هذه الصفات، ومن يتبعها لا يستطيع اثبات هذه الصفات لها. وحده هو الله تعالى من نسب هذه الصفات لذاته وأثبتها، كما أثبتها له المرسلون منه الينا، وكما يثبتها سليم الفطرة والعقل من عباده.

الملحد – وبالنسبة للنقطة الثانية: الميزان في الحكم بأن الأخلاق الفاضلة إيجابية هو تحقيق السعادة والمنفعة للفرد والمجتمع، ففي فضائل الأخلاق يسعد وينتفع الفرد والمجتمع وبدونها يهلك الفرد والمجتمع.

المؤمن – سيقول لكم الملحد الداروني رذيل الأخلاق: ((إنه هو الصح وفق هدف الطبيعة وأنتم الخطأ في البرمجة باعترافكم، فعلى أي أساس تعممون أخلاقكم عليه؟ أما دعوى تحقق سعادة الفرد والمجتمع وفق أخلاقكم، فهذه فلسفة الضعفاء الجبناء)). وبالفعل فقد قالها زعيم الإلحاد والفجور المجنون فردريك نتشه وتبعه فيها تيار واسع منكم. قال إن الأخلاق الإيثارية هي أخلاق العبيد الجبناء الضعفاء. فراجعوا هذيانه في كتابه المترجم بعنوان جينالوجيا الاخلاق او أصل الاخلاق. فوكنز عند نتشه عبارة عن كاهن متنكر حيث يبارك الأخلاق الايثارية رغم أنها تنافي مبانيه العلمية.

الملحد – إن كانت الأخلاق الفاضلة فطرية أي تقتضيها طبيعة الإنسان كما تقول، فلماذا يوجد الأشرار؟

المؤمن – سؤال جيد. والجواب: إن الإنسان على فضائل الأخلاق مفطور وليس على تطبيقها مجبورا. الانسان ليس آلة كالسيارة أو المصباح، بل هو كائن حي عاقل له إرادة واختيار وشهوات مادية ، فحتى بعد تقبله للأخلاق وتشرب روحه بها ، مع فرض سلامة الفطرة ، فإنه ليس مجبرا على العمل

طبقتها ، فهناك شبهات عقلية وضلالات وشهوات وابتلاءات لا تجعل العمل طبق فضائل الاخلاق أمرا تلقائيا آليا ، ولأجل ذلك يختار معظم الملاحدة سلوك رذائل الاخلاق عمليا مع اقرارهم الوجداني بفضائل الاخلاق ، ولأجل ذلك يحتاج الانسان الى ترسيخ فضائل الاخلاق بتربية النفس والمجاهدة والمراقبة والمحاسبة الذاتية حتى تصير ملكات روحية راسخة ويكون العمل على طبقتها سهلا يسيرا .

الملحد - أنا أقر بأن الأخلاق فطرة طبيعية لدى الإنسان كما تقول، لكن هي ليست فطرة واحدة بل توجد لدى الإنسان فطرتان فطرة الخير وفطرة الشر.

المؤمن - هذه الثنوية في التكوين تذهب اليها الفلسفة الزرادشتية وهي غير صحيحة، لأن الشر ليس وجودا بل هو عدم. العدل هو صفة وملكة وجودية والظلم هو عدم العدل. فضائل الأخلاق هي ملكات ورذائل الأخلاق هي عدم تلك الملكات، كالإبصار هو ملكة وجودية للعين بينما العمى هو عدم تلك الملكة. وعلى هذا فالإنسان لا يمتلك فطرتين بل هو مفطور على فضائل الأخلاق فقط. نعم، هو يمتلك الإرادة والاختيار في تطبيق سلوكه وفق فضائل الأخلاق أو رذائل الأخلاق، فقد قلنا إن الإنسان على فضائل الأخلاق مفطور وليس على تطبيقها مجبورا. وهي إرادة واحدة بمعنى حرية الاختيار وقد يعملها الإنسان في سلوكه وفق فضائل الأخلاق وقد يعملها في سلوكه وفق رذائل الأخلاق، وأحيانا من باب الاشتباه أو المجاز يقال إرادة الخير وإرادة الشر وإنما الإرادة لدى الشخص واحدة بمعنى حرية الاختيار.

الملحد - أنت تقر باتصاف بعض الملاحدة بفضائل الاخلاق روحيا بقطع النظر عن الممارسة العملية، وتقر حتما باتصاف بعض المؤمنين برذائل الاخلاق روحيا بقطع النظر عن الممارسة العملية، فلازم ذلك انفكاك الملازمة بين رذائل الاخلاق والاحاد، وبين فضائل الاخلاق والايمان بالله. فلا علاقة للإيمان والاحاد بالأخلاق.

المؤمن - إن الملازمة التي نقصدها هنا لا تعني الجبر والحتمية والعلة التامة التي يستحيل انفكاك معلولها عنها، وإنما نقصد الاقتضاء والاستدعاء، فكما أن النار تقتضي الإحراق ولكن بشرط وجود الورقة قرب النار وعدم

الرتوبة المانعة، كذلك الإلحاد يقتضي رذائل الأخلاق عند تحقق الشرط وارتفاع المانع. بينما الإيمان يقتضي فضائل الأخلاق ولكن أيضا عند تحقق الشرط وارتفاع المانع. وها أنتم قد رأيتم كيف أن كل آرائكم وفلسفاتكم ونظرياتكم الأخلاقية المستندة على رؤيتكم الإلحادية هي واقعا لا تنتج إلا رذائل الأخلاق ولا تدعو إلا لرذائل الأخلاق، وأن تمسك بعضكم بفضائل الأخلاق إنما كان استنادا لبقايا فطرته السليمة وليس استنادا لرؤيته الإلحادية. أما نحن فنقول إن الله تعالى هو من خلقنا خلقة تقتضي فضائل الأخلاق، فإن اخترنا رذائل الأخلاق فبسوء اختيارنا. هذا هو ما وعدناكم به سابقا من بيان الملازمة بين الإلحاد ورذائل الأخلاق والملازمة بين الإيمان بالله تعالى وفضائل الأخلاق. الإيمان بالله لا يجبر الإنسان على الاتصاف الوجداني بفضائل الأخلاق، فهناك من ينحط أخلاقيا على علم أو جهالة. الإنسان ربما ضل عن نفسه وربه وربما اتبع هواه فأنحرفت أخلاقه، ولأجل ذلك يحتاج الإنسان الى ترسيخ فضائل الأخلاق بتربية النفس والمجاهدة والمراقبة والمحاسبة الذاتية حتى تصير ملكات روحية راسخة ويكون العمل على طبقها سهلا يسيرا، كما يحتاج الى المرشد المؤدب والدستور الأخلاقي. وهذا ما نقلنا الى البحث التالي، وهو حاجة الأخلاق الى الدين.

- حاجة الأخلاق الى الدين

المؤمن – قلنا سابقا: إن كل من يقول إن الأخلاق نسبية متغيرة باختلاف الزمان والمكان والثقافة يستند الى اختلاف سلوكيات وقوانين وتشريعات المجتمعات. هذا التفسير باطل. هذا التفسير مبني على خلط واشتباه كبير بين ذات الأخلاق وبين حدودها ومصاديقها التطبيقية.

والآن سواء قلتم إن الأخلاق هي عين السلوكيات أم لا. وسواء قلتم إن الأخلاق مطلقة أم نسبية متغيرة. وسواء قلتم إنها برمجة طبيعة أم صناعة بشرية. وسواء قلتم إنها حقائق أم أوهام. وسواء قلتم إنها فضائل أم رذائل. ما هو المعيار في تشخيص أن هذا الفعل أخلاقي أم غير أخلاقي؟ ما هو الميزان الأخلاقي الذي يحدد صواب وحسن السلوك وحسن التشريع

والقانون؟ ثم ما هو الحاكم والضامن عند الاختلاف أو المخالفة في تحديد مفهوم الصواب أو تطبيقه؟

الملحد – المعيار هو العقل.

المؤمن – أنتم الملاحدة جميعا عندكم عقول ولكن قد اختلفتم، ومعظم البشر عندهم عقول وقد اختلفوا. أليس على أساس اختلاف سلوكيات وتشريعات وقوانين المجتمعات حكمتم بأن الأخلاق متغيرة؟

الملحد – عجيب، أنت شيعي وأنتم في علم الكلام عندكم تقولون بأن الحسن والقبح بحكم العقل.

المؤمن – لا تتعجب فليس كما فهمت أنت. نحن نقول بأن التحسين والتقبيح عقليان بمعنى أن العقل يدرك حسن العدل الذي هو إعطاء كل شيء حقه بما يستحقه، ويدرك قبح الظلم الذي هو عدم إعطاء كل شيء حقه بما يستحقه. وكلامنا هنا ليس في إدراك حسن العدل وقبح الظلم، وإنما كلامنا في معيار تشخيص أن هذا السلوك أو التشريع أو القانون كإجهاض الجنين والمثلية والدعارة وما يسمى القتل الرحيم، هل هذه سلوكيات وتشريعات عادلة أم ظالمة؟ فإن كانت عادلة فهي حسنة صائبة لأن العقل يدرك حسن العدل وإن كانت ظالمة فهي قبيحة خاطئة لأن العقل يحكم بقبح الظلم.

الملحد – أنا أقول إنها قبيحة خاطئة.

المؤمن – والكثير غيرك يقولون إنها حسنة صائبة، وعندهم عقول أيضا.

الملحد – كل واحد حر بعقله وتفكيره.

المؤمن – الأمر لا يقتصر على مجرد اختلاف وجهات النظر بل يصل الى النزاع والصراع العملي مما يؤدي الى اختلال نظام المجتمع.

الملحد – هناك مشرعون ومقننون يشخصون الأصلح.

المؤمن – وما هي أهلية هؤلاء وأفضليتهم على عقول غيرهم؟ وما هو الموجب للالتزام بتشريعاتهم؟ وما هو المعيار المرجعي عند اختلافهم؟

الملحد – المعيار هو المنفعة.

المؤمن – المنفعة الشخصية أم العامة؟ وما هو المعيار في تشخيص المنفعة؟
وما هو الحل عند تضارب المنافع؟

الملحد – المعيار هو أن تجعل منفعتك ضمن حدود المنفعة العامة، أي أن حريتك تنتهي عند حدود حرية الآخرين.

المؤمن – قال بذلك فيلسوف الأخلاق الرأسمالية جيرمي بنتام. لكن أولاً ما هو المعيار في صواب أو خطأ هذا المعيار؟ وما هو الموجب للالتزام للجميع به؟

الملحد – المعيار هو سعادة الفرد والمجتمع.

المؤمن – وما هو معيار سعادة الفرد والمجتمع؟ سعادة الفرد والمجتمع معيارها منفعة الفرد والمجتمع عندكم. فعاد السؤال نفسه، ما هو معيار منفعة الفرد والمجتمع؟ وما هو الموجب للالتزام للجميع به وما هو الضامن لتطبيقه؟

الملحد – المشرعون هم من يشخصون مصلحة الفرد والمجتمع، وكل أفراد المجتمع بالتوعية والتثقيف يتربون على ذلك، والقوانين هي التي تضمن ذلك.

المؤمن – جيرمي بنتام قال ذلك أيضاً وسماها المنفعة المستتيرة. ويرد عليه: إن معيار تشخيص الفعل بأنه حسن أو قبيح بحسب المنفعة والضرر هو أصلاً معيار غير منضبط، بسبب اختلاف تشخيص المنفعة والضرر من شخص لآخر، وعليه لا يكون هناك ميزان أخلاقي موحد للبشر مما يؤدي إلى الفوضى الأخلاقية واختلال نظام المجتمع. جيرمي بنتام اقترح آليات صيانة ومراقبة السلوك الأخلاقي إلا أن هذه الآليات قاصرة وغير منضبطة في نفسها. آلية القانون الوضعي بنصوصه هي قاصرة في حد نفسها من حيث احتياجها إلى الميزان الأخلاقي ومرجعية تشخيص النفع والضرر، كما أن أدوات المراقبة والمحاسبة كالقضاء والشرطة يديرها البشر انفسهم، وهم بحسب الاخلاق الرأسمالية خاضعون في اخلاقهم لمبدأ المنفعة والضرر، وخاضعون للنصوص القانونية الفاقدة للمرجعية الاخلاقية حسب الفرض.

أما الآلية الثانية لصيانة الاخلاق القائمة على المنفعة والضرر فهي تنوير المنفعة، أي تربية الفرد على أن يعتقد أن منفعته الخاصة ينبغي أن تكون في ضمن المنفعة العامة، ولم يقل مهندس الاخلاق الرأسمالية من الذي يربي الفرد على ذلك ومن الذي يربي من يربيه؟؟ وما الذي يدعو الشخص أن يربي نفسه وغيره على لزوم أن تكون منفعته ضمن المنفعة العامة؟ فحسب فرض بنتم أن اساس الاخلاق هو مبدأ المنفعة، فهو شخص نفعي، وهو قد اقترح آلية المنفعة المستنيرة، فمن أين جاء بهذا الاقتراح ومن الذي ربا عليه؟ وما الذي دعاه أصلا الى اقتراحه مادام شخصا نفعيا، ولم يكن عنده وجدان اخلاقي عام وشعور بالمسؤولية الأخلاقية ونزاهة القصد وخلق الإيثار؟

الملحد – لأن هذا القانون الأخلاقي بأن تجعل منفعتك ضمن منفعة الجميع، عند توحيد البشر كلهم عليه سيتحقق السلام لكل البشرية ويتم حفظ الفرد وكل النوع البشري.

المؤمن – وما هو المعيار في تشخيص منفعة الفرد والنوع؟ ومن ذلك الذي له أهلية التشخيص عن النوع كله؟ ومن الذي أعطاه صلاحية ذلك؟ ومن أعطاك أنت وأصحاب هذا القانون الصلاحية لتعميم أخلاقكم ومعياركم على كل البشر؟ من أعطاكم الحق في عولمة ثقافتكم على كل البشر تارة بالثقيف والقوة الناعمة وتارة بالقوة الخشنة؟ أنتم نفعيون كما صرحتم وكما كشفناكم، وليس تعميم اخلاقكم ومعياركم وعولمة ثقافتكم إلا بقصد منفعتكم أنتم، فلا تتظاهروا بنزاهة القصد والروح الإيثارية والمسؤولية الأخلاقية تجاه النوع البشري عموما.

الملحد - القضية ببساطة هي طموح كل ملحد انساني ان يعيش في دولة على غرار الدول الاوربية، يكون القانون المستند الى حقوق الانسان هو الحاكم، وأبسط مثال الدول الاوربية التي استطاعت ان تنهض وأسست دولا اصبحت حلم كل المتدينين قبل الملحدين في اقل من ٣٠٠ سنة مقارنة بعمر الدين الذي يناهز ٤٠٠٠ عام، هنيئا لكم جنتكم السماوية لكن دعونا نعيش على الارض بسلام.

المؤمن - القانون الوضعي لن يكون منهجا تربويا وسلوكيا متكاملًا لضبط الاخلاق والسلوك يسير بالفرد والمجتمع نحو التكامل. فالركون اليه هو حلم زائف بيوتيبيا على الأرض. رجوعكم الى القانون الوضعي لأجل ضبط الاخلاق النفعية التجارية غير مجد نظريا وتطبيقيا. أما نظريا فلأنه بني على تشخيص باطل للمشكلة الاجتماعية وعلى فهم باطل لحقيقة الأخلاق وعلى التصور المادي للحياة. وأما تطبيقيا فلأن من يسن القانون الوضعي وينفذه هم أنفسهم اصحاب التشخيص الباطل للمشكلة والتشخيص الباطل للعلاج.

الملحد - يبدو ان جوابي لم يكن مفهوما بالشكل المطلوب، وسأعيده بصيغة أخرى. الجواب ببساطة، لا توجد اخلاق مطلقة وحقائق مطلقة كل شي نسبي، وهنا تكمن مشكلة الدين لأنه يتعامل مع ثوابت. الانسان كائن اجتماعي ناشئ عن تطور بيولوجي وفكري، ولأنه كائن اجتماعي لا يمكن بحال من الاحوال فصله عن بيئته الاجتماعية، فمفهوم الاخلاق يختلف باختلاف المحيط واختلاف الزمن، لان الاخلاق نسبية و كل الحقائق نسبية، زمنيا و مكانيا، وسأضرب مثلا اجتماعيا لتوضيح الفكرة، فقبل ٢٠٠ سنة كانت العبودية أمرا أخلاقيا حسنا واليوم أصبحت أمرا غير أخلاقي. الاخلاق وليدة المجتمع والمحيط، لذا لا يمكن أن ننظر الى الاخلاق على انها قيم ثابتة، فهي تتغير بحسب مدى تقبل ورفض المجتمع لتلك القيم بما تجنيه عليه من فائدة والمنفعة والمصالح المتغيرة. هنا يأتي دور المحاولة والخطأ من خلال فرز ما ينفع المجتمع وما يضره من تلك القيم. وهنا احيل السؤال اليك، عمر الدين أكثر من ٤٠٠٠ عام لماذا لم ينجح الدين طوال هذه الفترة في اصلاح منظومة الاخلاق لدى الانسان على الرغم من ارسال ١٢٤٠٠٠ نبي وأضعاف هذا العدد من الاوصياء والاولياء والمصلحين؟ لماذا لا تزال مجتمعاتنا تعاني من انحطاط فكري و اخلاقي و انساني، هل فترة ٤٠٠٠ عام غير كافية؟ طيب هناك دول اوربية علمانية واغلبية شعوبها ملحدون خلال اقل من ٣٠٠ عام اصبحت من اسعد دول العالم. اقرأ عن تصنيف اسعد دول العالم، خذ الدول الاسكندنافية على سبيل المثال اتصور انها واقعية وليست يوتوبيا.

المؤمن - الجواب:

١- الى حد الان لم يستطع معظم الملاحدة التمييز بين الاخلاق والسلوك.
الأخلاق الفاضلة هي مثل قيم العدالة والرحمة والايثار والعفة والشجاعة.
هذه القيم كقيمة عظمى انسانية نبيلة هي مطلقة وثابتة، فلا يختلف انسان
متزن العقل وسليم الفطرة على حسن وكمال العدل وعلى قبح ورذيلة الظلم.
السلوكيات والتشريعات والقوانين هي النسبية والمتأثرة بالمتغيرات الجنسية
والقومية والثقافية والدينية والزمانية والمكانية. الأخلاق ترجع الى مقولة
الصفات، والسلوكيات ترجع الى مقولة الأفعال. فالعبودية مثلا هي سلوك
وليست خلقا، وربما كانت بلحاظ زمان او مجتمع مطابقة لخلق العدالة، وربما
تكون بلحاظ زمان او مجتمع ظلما ومنافية لخلق العدالة. العبودية سلوك
عملي وليس خلقا.

٢- اعلم ان فكرة النسبية مولودة ميتة وتقتل نفسها بنفسها. فمثل قولك ((وكل
الحقائق نسبية)) هل هو حقيقة ثابتة ومطلقة ام نسبية ومتغيرة؟ ان قلت انه
حقيقة ثابتة مطلقة، يثبت بطلان قولكم ان كل الحقائق نسبية، وإن قلت هو
حقيقة نسبية متغيرة أيضا، ثبت عدم صحة تعميمه على كل الحقائق.

٣- مجتمعاتنا لاتزال تعاني من انحطاط فكري واخلاقي واجتماعي بسبب
عدم حكومة الدين وأقصد به الإسلام المحمدي الأصيل، وبسبب طواغيت
الاستعمار وبسبب هيمنة الرأسمالية النفعية الغربية ووضعها الفيتو على
ازدهار الشعوب. ثم من قال لكم إن الدين قد فشل في اصلاح النوع البشري؟
لولا الدين لما بقي النوع البشري لحد الآن.

٤- الحكم بالسعادة وعدمها يتوقف على مفهومك عن السعادة. السعادة شعور
انفعالي نسبي، وربما يسعد انسان بالانحطاط لأنه ينسجم مع اخلاقه ومفاهيمه
الانحطاطية، وربما يسعد انسان بوهم زائف، فسعادة الإنسان الصرصر
تكنم في المراحيض. المقام يحتاج الى تفصيل واسع وبحث خاص، ويكفيينا
الآن ارجاعكم الى أحد خبراء الاستراتيجية الغربية صموئيل هنتغتن في كتابه
صراع الحضارات، حيث يثبت أن الحضارة الغربية في طور السقوط وأنها
تحمل بذور انهيارها الذاتي. فأنتم يا حبيبي جنتم في زمان يلفظ فيه الطاغوت

الرأسمالي أنفاسه الأخيرة وتتساقط فيه مساحيق تجميله لتكشف عن بؤسه وحقيقته البشعة.

٥- لا تدلس التاريخ والحقائق. لا توجد دولة معظم سكانها ملحدون اليوم فضلا عن قبل ٣٠٠ سنة. اتحداك أن تثبت ذلك.

الملحد - ١- السلوك هو ترجمة للأخلاق، والاختلاف في نسبة سلوك العبودية الى العدل مرة والى الظلم مرة دليل على نسبية العدل لا على نسبية العبودية. وبالتالي اختلاف الفهم هو دليل على نسبية الاخلاق، ولو سلمنا جدلا بان العبودية سلوك نسبي، هل عبودية واسترقاق وسبي المسلمين لغيرهم هو سلوك ظالم ام عادل في نظرك؟

٢- المقصود بنسبية الحقائق والأخلاق هو أن لكل شخص مفهومه الخاص فالدين مثلا يمثل بالنسبة لك حقيقة مطلقة وبالنسبة لي ظاهرة اجتماعية اي لكلا منا منظوره الخاص في النظر الى الحقائق، لذا اقول ان كل الحقائق نسبية.

٣- ذكرت ان الانحطاط الاخلاقي والاجتماعي سببه عدم حكم الدين، اتصور ان الدولة الاسلامية حكمت على عهد النبي ٢٣ سنة والخلافة الراشدة ٣٠ والاموية ٩٦ والعباسية ٥٠٠ والعثمانية ٤٠٠ سنة وانتهت بتسليم الموصل للقائد البريطاني في عام ١٩١٧ و اخرها داعش، فمتى تتحقق مدينتكم الفاضلة؟

٤ - مفهوم السعادة مفهوم نسبي احسنت في هذه الجزئية، لكن ينبغي ان تعلم ان سعادتني في تحقق دولة مدنية على غرار الدول الاوربية هو ما نلاحظ فيها من انسانية واحترام لحقوق الانسان وسماع صوت الاخر المخالف وتقديس العمل واحترام المرأة وتعليم قائم على اسس علمية لا على اسس الخرافة. هكذا اشعر بالسعادة عندما أنتمي لذلك البلد.

المؤمن - الجواب:

١- قولكم إن ((الاخلاق ترجمة للسلوك)). هنا تقع المغالطة بادعاء الملازمة الحتمية بين الاخلاق والسلوك. كلا يا عزيزي، فالإنسان على الاخلاق

مفطور وليس على تطبيقها مجبوراً. فأنت تعشق العدل وتقر بحسنه وجماله
وكماله لكنك لست مجبراً على تطبيقه في سلوكك دائماً. السلوك ليس كاشفاً
عن الخلق بنحو كشف المعلول عن علته التامة.

٢- بالنسبة للعبودية كسلوك وتشريع. العبودية الغربية منافية لخلق العدل
سابقاً والآن، والعبودية الإسلامية موافقة للعدل سابقاً والآن. وسنتكلم في ذلك
لاحقاً.

٣- قولك إن ((المقصود بنسبية الحقائق والأخلاق هو أن لكل شخص مفهومه
الخاص...)). إذن لا تقل إن الحقائق والأخلاق في ذاتها نسبية متغيرة، بل
هي في ذاتها ثابتة مطلقة، وقل إن مدركاتنا لتلك الحقائق والأخلاق
وتشخيصنا للسلوك والتشريع الأخلاقي هو النسبي حيث نختلف في ذلك.
وهذا هو محل بحثنا: ما هو المعيار في تشخيص الفعل والتشريع أخلاقياً؟
وما هي المرجعية الضامنة لعدم المخالفة والحاكمة في صورة الاختلاف
والنزاع؟

٤- نعم، أنا مسلم شيعي أتبع الفكر الاسلامي الأصيل، وحكومة الاسلام
المحمدي الاصيل لم تقم بعد رحيل الرسول الأعظم، بسبب حدوث انقلاب
السقيفة الأبيض، ودولة العدل الالهي الكونية ستقام على يد الامام المهدي
المنتظر إن شاء الله. إلزامكم وارد على اسلام السقيفة وليس وارداً على
اسلام القرآن وآل بيت الرسول صلوات الله عليهم.

٥- قولكم ((الدول الاوربية هو ما نلحظ فيها من انسانية واحترام لحقوق
الانسان وسماع صوت الاخر...)). كل هذه وزيادة هي قيم ومفاهيم إسلامية
حقة لم يطبقها حكام اسلام السقيفة، وليست هي من ابداع الغرب ولا العلمانية
ولا من ابداع الإلحاد. أما خلاصة حقوق الانسان في دستور الغرب فكونها
قائمة على أسس: تُحترم ما دمت لا تعارض الانحطاطية الاخلاقية والفكرية
المكفولة للجميع. تحترم ما دمت لا تتعارض مع المصالح النفعية الرأسمالية.
تحترم ما دمت تدر أرباحاً للنفعي الرأسمالي. فإذا خالفت هذه الأسس فكلب
الرأسمالي أعز منك وأكرم. وهكذا دستور سيؤدي الى الدمار الذاتي للفرد
والمجتمع حتماً عاجلاً أم آجلاً.

الملحد - الرقيب الخارجي (القانون) والرقيب الداخلي (الضمير) كلاهما مهم لضبط سلوكيات البشر. أنا أقر أن المؤمن الملتزم أفضل وأكثر التزاما في تطبيق القيم الاخلاقية بفضل الرقيب الداخلي، فمن لا يؤمن برقيب داخلي ممكن جداً أن يخرق القيم الاخلاقية في حال غياب الرقيب الخارجي (القانون او الاعراف). ولكن هذا الرقيب الداخلي لا علاقة له بالدين إنما الدين فقط فهمه بطريقة خطأ نتيجة الجهل في حينها وعدم امتلاكه أدوات الكشف عن الواقع وتعكز عليه. وهذا بحد ذاته ليس عيبا في الدين لا بل هو حقيقة حسنة تحسب له. ولكن ما يعيب الدين هو ادعاء صدوره من المطلق ويعطي صبغة مقدسة لكل ما جاء به من قواعد وأحكام حتى لو خالفت أساس من أساس الأخلاق ويضفي عليها صبغة الأطلاق والقدسية، كقتل الكافر وسبي النساء.

المؤمن - المسألة لم تعد سفسطة وقذف دعاوى. حواراتنا كشفت تهافت وعجز الفكر الإلحادي عن اثبات حقيقة ومنتشأ الأخلاق وحقانية فضائل الأخلاق والدعوة اليها، كما أثبتت فطرية الأخلاق الفاضلة وكون فاطرها ليس الطبيعة العمياء بل هو الله تعالى.

الملحد - بإقرارك أنك تؤكد وجود الاخلاق في النفس البشرية فإنك نفيت النبوة والهداية والرسول فما حاجتنا بهم. إذا كانت الاخلاق موجودة مسبقا وفطرية فانت تضع الله في موقف محرج جدا. فلماذا أرسل نبي الرحمة؟ لا داعي لذلك وخاصة إن الله قادر على كل شيء فيستطيع تنمية هذه الأخلاق داخل كل ادم ولا يرسل رسل الأخلاق.

المؤمن - أحسنتم السؤال، وهنا يأتي جوابنا عن حاجة الأخلاق الى الدين فنقول:

١- أثبتنا أن الأخلاق حاجة فطرية.

٢- أثبتنا أن فاطر الإنسان على هذه الحاجة هو الله تعالى مطلق الكمال وليس الطبيعة ولا أي إله مزعوم.

٣- أثبتنا الفرق بين الأخلاق والسلوك والتشريع، وأن الأخلاق الفاضلة مطلقة ثابتة وليست نسبية، إنما الاختلاف والتفاوت بين أصحاب العقول

السليمة بحسب الزمان والمكان والثقافات هو في تشخيص حدود مفهوم الخلق وتطبيقاته السلوكية والتشريعية.

٤- أثبتنا أن الإنسان على الأخلاق مفطور وليس على تطبيقها مجبوراً.

٥- الايمان بالله لا يجبر الانسان على السلوك العملي وفق فضائل الاخلاق، فهناك من ينحط اخلاقيا على علم وتعمد أو عن جهالة وخطأ في تشخيص حدود مفهوم الخلق وتطبيقاته السلوكية والتشريعية. الانسان ربما ضل عن نفسه وربه وربما اتبع هواه فانحرفت اخلاقه، ولأجل ذلك يحتاج الانسان الى ترسيخ فضائل الاخلاق بتربية النفس والمجاهدة والمراقبة والمحاسبة الذاتية حتى تصير ملكات روحية راسخة ويكون العمل على طبقها سهلاً يسيراً، كما يحتاج الى المرشد المؤدب والدستور الاخلاقي.

٦- هذا الرقيب الداخلي هو الضمير الأخلاقي الذي فطر الله الإنسان عليه. وهذا المرشد المؤدب هو رسول الله تعالى الذي يكون أكمل البشر أخلاقاً، وهذا الدستور هو كتاب الرسالة الإلهية. فالبشر مفتقرون الى القدوة البشرية العظمى، والى الدستور المحيط بالفطرة وما يصونها ويهدها، وما ينفعها ويضرها، وما يصلحها ويفسدها، والنبي هو القدوة العظمى والكتاب السماوي هو الدستور الاصلح. فأصل الأخلاق الفاضلة هو اقتضاء الفطرة، والفطرة تحتاج الى الدين لأنها تحتاج الى المرشد القدوة والمنهج الأصلح. ونحن قد كشفنا في حواراتنا تهافت وعجز وبطلان كافة المعايير والمرجعيات والآليات التي اقترحها ووضعها البشر.

الأخلاق الفاضلة هي القيم النبيلة والكمالات الروحية، والدين هو منظومة المعارف العقائدية والتعاليم الاخلاقية والقوانين التشريعية، التي تهدف الى صيانة الفطرة عن التلوث، والى منعها عن الافراط والتفريط، والى توجيهها نحو الغاية التي خلقت لأجلها. فالله سبحانه وتعالى هو فاطر الانسان على الايمان وعلى فضائل الاخلاق لغاية، وهو جاعل الدين لتحقيق هذه الغاية، وهذه الغاية هي بلوغ الكمال والإنسان الأكمل. الإنسان السوبرمان أو الإنسان الأعلى أو ما فوق الإنسان الذي دارت عليه فلسفة ننتشه، والذي كان يدعو الى انتاج نوعه، وهو عنده تجسيد لما نحن نسميه قيم الشر وردائل

الأخلاق، وضرب له مثلا بنابليون، ولو أدرك هتلر لفضله عليه؛ هذا الإنسان الأعلى نحن نسميه الإنسان الكامل المجسد لفضائل الأخلاق، الجامع لكل وأرقى صفات الجمال والكمال بحسب الرتبة الوجودية للبشر، وغاية الدين هي بلوغ البشرية مرحلة الإنسان الكامل بالتكامل الأخلاقي بالإيمان والعمل الصالح. هذا الإنسان الكامل نحن لا نمثل له بنابليون كما لا نمثل له بغاندي، بل نمثل له بمحمد وعلي صلوات الله عليهما. وكما قال الشاعر صفي الدين الحلبي في مدح أمير المؤمنين علي عليه السلام:

جُمِعَتْ فِي صِفَاتِكَ الْأَضْدَادُ - فَلِهَذَا عَزَّتْ لَكَ الْأَنْدَادُ

زَاهِدٌ حَاكِمٌ حَلِيمٌ شُجَاعٌ - نَاسِكٌ فَاتِكٌ فَقِيرٌ جَوَادٌ

شَيْمٌ مَا جُمِعْنَ فِي بَشَرٍ قَطْ - طَوْلًا حَازَ مِثْلَهُنَّ الْعِبَادُ

خُلِقَ يُخَجِلُ النَّسِيمَ مِنَ الْعَطْ - فِ وَبَأْسٍ يَذُوبُ مِنْهُ الْجَمَادُ

الملحد – يا أخي البشرية عندها أخلاق قبل أن يأتي دينك ونبيك.

المؤمن – عقيدتنا إن كل الأنبياء والرسل على خط واحد ودين واحد. قال تعالى: ((كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢١٣)).^١

الملحد – عمر البشرية مئات الآلاف من السنين وعمر أديانكم لا يتجاوز ٤٠٠٠ سنة.

المؤمن – ومن قال إن عمر الدين ٤٠٠٠ سنة؟ تقصدون منذ زمن النبي إبراهيم عليه السلام؟ كلا يا حبيبي، فجهلكم عظيم، دراساتكم الأنثروبولوجية على القبائل التي تسمونها بدائية تعترف بفسوخ الدين في تخوم الوجود البشري، وعقيدتنا هي وجود الدين منذ الجماعة البشرية الأولى. فكل من الفطرة والدين جعل من الله سبحانه وتعالى، الفطرة جعل تكويني والدين

١ - سورة البقرة

جعل تشريعي، فما كان الله تعالى أن يخلق الانسان ثم يتركه دون دين وهو الحكيم العليم. لذلك فنحن لا نقول إن الدين أصل فضائل الاخلاق وأن الدين منشأ فضائل الأخلاق، كما لا نقول إن فضائل الاخلاق قد سبقت الدين، أو أن الانسان لا يحتاج الدين ليكون صالحا، بل نقول إن الله تعالى فطر الانسان على الايمان وعلى فضائل الاخلاق وجعل له الدين في ذات الوقت، لحاجة الفطرة الضرورية للدين.

افهموها واحفظوها: الأخلاق الفاضلة فطرة والدين هو منهاج صيانة وتهذيب وارشاد وكمال هذه الفطرة. الدين هو منظومة العقائد والشريعة العملية والتعاليم الأخلاقية. هذه المنظومة هي منهاج صيانة وتهذيب وكمال الفطرة.

الملحد – أول سؤال يتبادر الى الذهن عن المرجعية الدينية للأخلاق هو ترى أي دين مقصود؟ فهل تعاليم أخلاق الإسلام نفسها أخلاق المسيحية واليهودية والبوذية؟ الجواب سيكون لا، فمرجعيه المسلم الأخلاقية تختلف عن مرجعيه المسيحي وقد تناقضها، مثال شرب الخمر يعتبر غير أخلاقي عند المسلم لكنه ليس كذلك عند المسيحي، بينما نجد الطلاق مثلا يعتبر امرا مرفوضا اخلاقيا عند المسيحي بينما المسلم لا، لأن لكل صاحب دين كتابا مختلفا يرجع اليه؟

المؤمن – أولا: ربما مازلتم تخطون بين الأخلاق وبين السلوك والتشريع. شرب الخمر والطلاق هي سلوكيات تتعلق بها تشريعات. وثانيا: شرب الخمر مبعوض حتى في النصرانية لكنهم لا يتمسكون بتشريعات دينهم، وكذلك فإن أبغض الحلال عندنا هو الطلاق فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: ((ما من شيء مما أحله الله أبغض إليه من الطلاق وإن الله عز وجل يبغض المطلق الذواق)) 'بمعنى أنه مكروه كراهة شديدة إن كان دون موجب له. ثالثا: إن كنتم تقصدون دستور ومنهاج صيانة الأخلاق فهو الإسلام بلا شك. واعلم يا عزيزي أن دين الله تعالى واحد ورسول الله تعالى على خط واحد أما عنوان (الدين اليهودي) وعنوان (الدين المسيحي) فهذه عناوين مخترعة ابتدعها تحزب اليهود والنصارى ولا يعترف الله تعالى بها،

١ - وسائل الشيعة ، الحر العاملي ، ج ٢٢ كتاب الطلاق ، باب كراهة الطلاق ، الحديث رقم ٥

قال تعالى: ((إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْثًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩) فَإِنْ حَاجُوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٢٠)))).^١

الملحد - أنا لا ديني مؤمن بالله وأن الأخلاق فطرة الله ولكن لست بحاجة الى الدين لأكون صالحا.

المؤمن - هنا أوجه سؤالي الى الملحد الربوبي واللا ديني الذي يؤمن بوجود الخالق ولكن يزعم أن هذا الخالق اوكله الى نفسه واعتزل التدخل في شؤونه، وأنه لم يرسل له رسولا ولم يجعل له ديناً. اقول له: اليوم تلاحظ معظم الشركات الرصينة المتطورة عندما تصنع جهازا معقدا مبتكرا مهما ثميناً فإنها تضع معه كتلوك التشغيل والصيانة، كما تتعهد بالصيانة التخصصية عند الخبير التابع للشركة، وهذا يدل على اصالة تلك الشركة ورسالتها وعلمها وحكمتها، فكيف يتقبل عقلك ايها الملحد الربوبي و اللا ديني أن الله تعالى قد خلق الخلق ثم تركهم سدى دون دين ورسول أمين؟

الملحد - أنا افترق عن الآلة، فأنا خلقتي الرب الخالق الصانع بعقل لأعتمد عليه في التمييز بين الخطأ والصواب والضار والنافع والحق والباطل والخير والشر والصلاح والفساد، وبالتالي فأني لا احتاج الى الدين لأن الله اعطاني العقل.

المؤمن - بالفعل فإنك تختلف عن الآلة بالعقل ولذلك فأني احاورك باعتبارك كائنا عاقلا سليم العقل حسب الفرض. إن الله تعالى قد اعطاك العقل لتفكر به منطقياً، وكما اعطاك الله العقل فقد اعطاك الحياة والروح والوعي والارادة والغرائز، فهل توصل عقل البشر قاطبة الى حد الآن لمعرفة أسرار العقل والحياة والروح والوعي والارادة والغرائز؟ طبعاً لا، فكيف تزعم أن الله خلقك لإدارة نفسك وصيانتها وتوجيهها بواسطة عقلك الذي لم يدرك

^١ - سورة آل عمران

اسرار تصميمك؟ إنك أعظم واعدد وأهم وأثنى - بشكل لا يمكن تصوره - من الجهاز الكهربائي الذي يهتم به صانعه ويضع معه كتلوك التشغيل والصيانة. أولئك الفئة من الملاحدة الذين لا يؤمنون بوجود الخالق اصلا، والذين تصطف انت معهم في محاربة الدين، أولئك يقولون نحن عقلاء ايضا ولم يثبت عندنا وجود الخالق، فهل ترى بذلك كفاية العقل في معرفة الله وصفاته وغاياته من البشر دون الحاجة لنبي؟ وهل ترى عقلك مصيبا عندما أمرك أن تصطف معهم في محاربة الدين والمؤمنين بدین بدل أن ترشدهم الى الإيمان بوجود الخالق الذي تؤمن أنت به؟ هل رأى عقلك أن خالك يرضى أن تصطف مع الذين يجحدونه ضد الذين يؤمنون به لكن يختلفون معك في بعض صفاته وغاياته التي لم تعجبك فآمنوا بالنبي والرسالة وأنكرتها أنت؟ عقول الملاحدة اليوم تختلف في ضرر ومنفعة الزنا والمثلية والإجهاض والمخدرات والخمور والتعري وعقوبة الإعدام والحرب والسلام اعتمادا على العقل والعلم والقانون الوضعي، فهل ترى كفاية العقل والعلم والقانون الوضعي في معرفة ما يصلح الفرد والمجتمع وما يضره؟ أولئك الفئة من الملاحدة الذين ينكرون وجود الخالق يعتمدون في تشخيص النفع والضرر على معطيات العلوم الطبيعية - حسب دعواهم - فهم لا يؤمنون بما وراء الطبيعة المادية المحسوسة، وانت ايها الربوبي واللا ديني تؤمن بوجود الخالق وتؤمن بأن الوجود اوسع من الطبيعة المادية المحسوسة، وتأريخ البشرية يشهد بقصور العقل وضلاله وشطحاته، وتأريخ العلم يشهد بقصور العلم وتدرجه، فكيف عقلك المؤمن بما وراء المادة يقول بكفاية اعتماده على معطيات العلم المادي في إدارة البشرية وقيادتها نحو الغاية التي خلقت لأجلها؟ قال تعالى : ((أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥)))^١. ما الذي يزعجك في الصلاة والصوم والحج ومكارم الأخلاق؟ ما الذي يزعجك في يوم القيامة والجنة والنار؟ تريد التحرر من أي التزام شرعي واخلاقي وتتصرف بحسب هواك ولا تريد العذاب في جهنم، هذا هو السبب الحقيقي لإنكارك للنبوة والدين، أنت بذلك تكون عبدا

^١ - سورة المؤمنون

لهواك واقعا وليس للإله الخالق الذي تزعم أنك تؤمن به، فلا تخدع نفسك، إنما الحرية الحقيقية وقمة الحكمة العملية هي العبودية لله تعالى والتسليم له.

الملحد - عزيزي العقول البشرية تطورت فلا تحتاج الى نبي ولا دين.

المؤمن - حاجة الأخلاق للدين ضرورية، فالمدرجات العقلية للإنسان مهما بلغ من العلم والوعي هي تبقى محدودة، كما أن للإنسان شهوات وغرائز مادية لا تعرف الحدود، وهناك شبهات وضغوط وابتلاءات ومغريات وضلالات، وقد رأينا كيف أن مدارس الإلحاد تتفق على تبرير الفجور مع الاختلاف في طريقة التبرير، ورأيناها كيف تهافتت وعجزت عن وضع الآليات لصيانة واصلاح الفرد والمجتمع عن الدمار، ورأيناها كيف تفشل وبشكل مستمر عن ايقاف الانحراف الأخلاقي المستمر. ابتداء العلمانية كان بفصل الدين عن السياسة، ثم تطور الى فصل الدين عن الحياة، ثم تم تشريع الزنا والزواج خارج الكنيسة وترخيص بيوت الدعارة حكوميا بدعوى الحرية الشخصية، والمنفعة المتبادلة، وعدم وجود اسباب عقلية او تجريبية تمنع من ذلك، وكل ذلك كان سببا رئيسا لإنتاج شعب فاسد الفطرة ملوث الطبيعة بالولادة، حتى وصل الأمر بالانحراف والانحطاط الى شياع المثلية الجنسية ثم الى مصيبة المطالبة الرسمية بإقرار الزواج المثلي قانونيا و بحق المتزوجين مثليا بتبني طفل وبتسلم الوظائف الرسمية المدنية والأمنية الحساسة في الدولة و بالمحاسبة القضائية لمن يهين المثلي بوصفه بالشذوذ !! وبالفعل تم للمثليين ما أرادوا في بعض أوربا، ومؤخرا تم لهم ما أرادوا في اميركا. والمظاهرات مازالت مستمرة حتى يومنا هذا لتشريع قانون حكومي يجيز الاجهاض بشكل رسمي لقتل الاطفال في بطون الزانيات، مع كون الإجهاض موجودا منتشرا بشكل غير قانوني. لماذا؟ لأن الحمل مازال يشكل ازعاجا لحضرات الزناة ويحول دون كامل الانتفاع بالحرية الشخصية والمتعة البهيمية التي أقرها الدستور العلماني ومذاهبه الأخلاقية، ولأن شتى موانع الحمل من العقاقير وغيرها التي اصطنعوها لا تتوفر دائما عند الحاجة البهيمية المستعجلة، ولأنها قد ثبتت لها اضرار جانبية ولو انه لا تكاد تخلو حقبة فتاة غربية من موانع الحمل. بل صاروا الى تشريع قتل الانسان لنفسه بيد الطبيب فيما يسمى ((الموت الرحيم)) حيث يزرق الطبيب الشخص الذي

الذي يأس الطب من علاجه أو هو لا يريد الحياة، يزرقه الطبيب بموافقتة ابرة مادة قاتلة بعد تخديره فيقتله. أما بالنسبة لحقوق الحيوان فقد ارتقوا فيها مرتبة عظيمة بلغت أن حياة كلب المواطن الأمريكي الابيض أكرم وأثن من حياة المواطن الامريكي الاسود، أما بالنسبة لتجارة المخدرات والاعضاء البشرية ونوادي التعري ومهرجانات التعري والافلام الاباحية والفضائيات الاباحية ومرض الايدز وظاهرة التشرد والسطو المسلح والتفكك الاسري والاجتماعي وغيرها، فهذا مما صار من ثوابت المجتمعات العلمانية، رغم وجود الدين والحرية الدينية فيها، ولكن العلمانية ومؤسسات الالحاد المبطن همشت الدين والغت دوره في حياة المجتمع.

اليوم يرفع ريتشارد دوكنز شعار ((يا ملاحدة العالم اتحدوا)) ويطلب من الملاحدة أن يتحدوا كاتحاد المثليين للحصول على حقوقهم، ويضم صوته الى صوت المؤيدين لتشريع حق الاجهاض، ويزعم أن مجتمع الملاحدة الذي يحلم به بإمكانه أن يكون صالحا دون الحاجة الى أي دين، فيما هو يفسر فضائل الاخلاق على انها إما أنانية أو منفعة متبادلة أو اخطاء طبيعية، فعن أي كابوس يتحدث؟ لست أدري.

لا أحد أعلم بالإنسان وما يصونه وما يصلحه وما يضره وينفعه، وما يبلغ به الغاية التي خلق لأجلها، لا أحد أعلم به من الذي فطره وهو الله تعالى ((أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤)))^١ وقد جعل الله الدين دستورا للحياة ومنهاجا للفطرة ((إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢)))^٢.

أما الملاحدة ومؤسسات الإلحاد العالمي فإنها تأتي الى الأديان فتأخذ من هذا ضغثا ومن هذا ضغثا، وتخلط الدخيل بالأصيل، وتتبع ما تشابه من آيات الكتاب ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله بما يخدم مآربها في خداع البسطاء وترويج الإلحاد.

^١ - سورة الملك

^٢ - سورة البقرة

الملحد – من كان لا يَنْضبط سلوكه إلا بطريقة العصا والجزرة فهذا حيوان وليس إنسانا. من لا يسرق خوفا من الشرطة هذه ليست أخلاقا بل خوفا، ومن لا يقتل خوفا من عذاب جهنم وبرجاء نعيم الجنة، هذا ليس شخصا أخلاقيا بل شخصا جباناً ونفعياً. هذه هي أخلاق الإسلام وتعاليمه وآلياته.

المؤمن – ليس الأمر بهذه السذاجة، فهذا كلام دوكنز الأحمق ضحك به عليكم. تسخر من طريقة العصا والجزرة وتقصدها بأسلوب الترغيب والترهيب. اتحداك أن تأتي بواحد من فلاسفة الأخلاق والحقوق والقانون والاجتماع من الملاحدة وغيرهم من فجر الحضارات الى اليوم ينكر آلية الترغيب والترهيب وإن اختلفوا في شكلها وحدودها. الإنسان ليس بهيمة لكن للإنسان غرائز وشهوات وطموحات، وهناك ضلالات وشبهات وللعقول مراتب ودرجات، كما هناك اختبارات وابتلاءات وتحديات، وللتكامل الروحي مقامات، وللفائزين استحقاق وللخاسرين استحقاق. خوف عقاب الله تعالى ورجاء ثواب الله تعالى بالنسبة للمؤمن لا ينافي الأخلاق بل هو قمة الوعي والمعرفة وهذه الآلية أفضل الآليات لصيانة الفطرة وتهذيبها وكمالها وأفضلها لصيانة المجتمع وتهذيبه وتكامله. كلمني عن الملحد الداروني مع وجود الشهوات والطموحات والتحديات والشبهات في حالة غياب الشرطة والقانون ماذا سيفعل؟ وإذا تردى في أودية الرذائل بمباركة القانون والشرطة، من باب الحرية الشخصية، كيف للملحد الداروني أن ينتشله ويعطيه الأمل بإصلاح نفسه؟ العمل في الدعارة رذيلة وفق الحس الأخلاقي لمعظم البشر، حتى معظم الملاحدة، لكن الملاحدة يقرونها ولا يكلفون أنفسهم حتى عناء الإرشاد والنهي عنها من باب الحرية الشخصية، لذلك لن تجد في الغرب من يحاول انتشال الداعرات من حالة اليأس والتعاسة الروحية والجسدية والاجتماعية سوى المؤسسات الدينية.

الملحد – تعني أن المؤمنين لا يرتكبون المخالفات؟

المؤمن – يرتكبون عمداً أو جهالة ولكنهم يعلمون أن الله تعالى موجود ويعلم ويرى، ويعلمون أن باب التوبة والإصلاح مفتوح، ويعرفون كيف يصلحون ويتداركون، ويعلمون أن الله تعالى واسع المغفرة كما هو شديد العقاب. قال

تعالى: ((قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)))^١.

- ماذا قدم الإسلام للإنسانية؟

الملحد - هذا الحاسوب والموبايل الذي تستعمله هو من انتاج قوانين وقيم الغرب، وكذلك الملابس والطائرة والعلاج، وأنت ما ذا انتجت غير داعش؟

المؤمن - لا تحدثني عن كون القوانين الوضعية والنظم العلمانية الغربية تعطي حرية السلوك والرأي والفكر والدين والاقتصاد والتعليم والسياسة، وكونها انتجت الروبوت وناطحات السحاب والمركبات الفضائية وغيرها من التكنولوجيا، لأن ما أفسدته هذه القوانين والنظم والمنتجات أكثر مما أصلحته بكثير. أنا لا أنكر فائدة بعض منتجاتها لكنها تعتبر كفائدة عارضة قياسا الى سلبياتها، لأنها مبنية على أسس وغايات خاطئة. إنها مسخت إنسانية الإنسان وشوهت فطرته، حتى صار يرى المنكر معروفا والردائل فضيلة. داعش والكيان الصهيوني صناعة غربية بامتياز، يعرف ذلك كل خبير لبيب، كما أن مافيا المخدرات والدعارة والسلاح والبنوك الربوية صناعة غربية بامتياز. أي نظام هذا الذي ينفق المليارات على صواريخ ومركبات الفضاء بينما يترك الملايين من المشردين يفتشون الشوارع والغابات والأنفاق!! أي نظام يتنازع المشرعون فيه منذ ٤٠ سنة وإلى حد الآن، على إقرار قانون للرعاية الصحية يرحم الفقراء قليلا من جشع الرأسمالية الطبية!!

الملحد - القيم والقوانين الغربية في العلمانية والديمقراطية والليبرالية قد اثبتت نجاحها في التطور المدني، والإسلام قد فشل بامتياز فلماذا تخدع نفسك؟

^١ - سورة الزمر

المؤمن - بالتأكيد نجحت بامتياز مؤسسة الإعلام الغربي في غسيل مخكم ومسح انسانيتمكم، بدليل أنها لقتنكم أن تتبجحوا بالمنجزات المادية بينما موضوعنا حول الإنسانية والأخلاق والإصلاح الأخلاقي، وليس عن الصخور والمعادن والمركبات الكيميائية. تجد جميع الملاحدة مبرمجين على مواجهة المؤمنين بهذا السؤال بقصد الجدل الباطل، ونحن هنا لسنا في معرض الجدل. نقول لطالب الهداية منكم:

١- ينبغي أن تميزوا بين الجانب المادي للحياة والجانب الإنساني. خدعة الملازمة بين الجانبين هي من خدع الإعلام الأمريكي الرأسمالي " ما دام فلان بنى ناطحة سحاب فهو الأفضل إنسانيا " هذه الملازمة غير صحيحة والواقع يكذبها. يكفيننا احالتكم على كتب مثل كتاب (صدام الحضارات) لخبير الاستراتيجية الأمريكية صموئيل هنتنغتون، هذا الكتاب منذ صدوره عام ١٩٩٦م أحدث رجة في الأوساط الغربية وغير الغربية الأكاديمية والسياسية، ففيه يبرهن الكاتب على أن الحضارة الغربية تحمل بذور فنائها وهي الآن في حالة الاضمحلال والانهيار في مقابل صعود الحضارة الإسلامية والصينية، فبعد أن يعرض الكاتب الصورة البراقة التي يقدمها لكم الإعلام الغربي؛ يعرض الكاتب الجانب الآخر من الصورة فيقول: ((الصورة الثانية للغرب مختلفة تماما: إنها صورة حضارة تنهار، نصيبها من القوة السياسية والاقتصادية والعسكرية في العالم في هبوط بالنسبة لنصيب الحضارات الأخرى. انتصار الغرب في الحرب الباردة لم يسفر عن فوز بل عن إنهاك. الغرب مهتم بدرجة متزايدة بمشاكله واحتياجاته الداخلية، حيث يواجه نموا اقتصاديا بطيئا وركودا سكانيا وبطالة وعجزا حكوميا وأخلاقيات عمل متدهورة ومعدلات ادخار منخفضة، وفي دول كثيرة بما فيها الولايات المتحدة يواجه تفككا اجتماعيا بالإضافة الى مشكلة المخدرات والجريمة))^١.

فيا ملاحدة العصر، أنتم أتيتم في زمن يلفظ العملاق الهليودي فيه أنفاسه الأخيرة، وأنتم ضحية محاولة العملاق الهليودي أن يتشبث بالحياة عن طريق

^١ - صدام الحضارات ، صموئيل هنتنغتون ، ترجمة طلعت الشايب ، الفصل الرابع ص ١٣٤

نشر بذوره الفاسدة، فلا ملازمة واقعا بين القيم الغربية والتطور المادي له، ليست القيم الغربية علة تطوره المادي، أنتم واهمون مخدوعون.

٢- بالنسبة للمخترعات والمكتشفات المادية والتطور المادي أعلموا افهموا أنها نتاج تراكم الخبرة البشرية في الماديات فلا خصوصية للقومية والدين والنظام السياسي بها إلا بمقدار توفير الظروف المساعدة للتطوير. فما توجد الآن من مكتشفات ومخترعات وتطورات مادية هي ليست ابداعا مختصا بالملاحة ولا بالغرب ولا بالنظم العلمانية، بل هي امتداد للتطور المادي والخبرة البشرية منذ حضارة سومر الى اليوم. هي نتاج مساهمة كل الشعوب ولا ينكر ذلك إلا جاهل أو سفسطائي قبيح. وفيما يخص مساهمة الدولة الإسلامية في التطورات المادية للحضارة يكفيننا شهادة ويل ديورانت المؤرخ الأمريكي الشهير في كتابه (قصة الحضارة) حيث يقول: ((يدين علم الجبر، الذي نجد أصوله في مؤلفات ديوفانتوس Diophantus اليوناني من رجال القرن الثالث، باسمه إلى العرب، الذين ارتقوا بهذا العلم الكاشف للخبايا الحلال للمعضلات. وأبرز الشخصيات في هذا الميدان العلمي هي شخصية محمد بن موسى (٧٨٠-٨٥٠) المعروف بالخوارزمي نسبة إلى مسقط رأسه في خوارزم (خيوه الحديثة) الواقعة شرقي بحر الخزر؛ وقد كتب الخوارزمي رسائل قيمة في علوم خمسة: كتب عن الأرقام الهندية، وجمع أزياجاً فلكية، ظلت قروناً كثيرة بعد أن روجعت في بلاد الأندلس الإسلامية هي المعمول بها في جميع البلاد الممتدة من قرطبة إلى شنغان في الصين؛ وهو الذي وضع أقدم الجداول المعروفة في حساب المثلثات، واشترك مع تسعة وثلاثين من العلماء في وضع موسوعة جغرافية للخليفة المأمون، وأورد في كتابه حساب الجبر والمقابلة حلولاً تحليلية وهندسية لمعادلات الدرجة الثانية. ولقد ضاع الأصل العربي لهذا الكتاب، لكن جرارد الكريمونائي Gerard of Cremona ترجمه في القرن الثاني عشر، وظلت ترجمته تدرس في الجامعات الأوروبية حتى القرن السادس عشر، ومنه أخذ الغرب كلمة الجبر وسموا بها ذلك العلم المعروف ويمثل أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (٩٧٣-١٠٤٨م) العالم الإسلامي في أحسن صورة له. فقد كان البيروني فيلسوفاً، مؤرخاً، ورحالة، وجغرافياً، ولغوياً، ورياضياً، وفلكياً، وشاعراً، وعالماً في

الطبيعيات، وكانت له مؤلفات كبيرة وبحوث عظيمة مبتكرة في كل ميدان من هذه الميادين، وكان عند المسلمين كما كان لبيبتز، ويوشك أن يكون كما كان ليوناردو دافنشي عند الغربيين.... وكادت عنايته تشمل جميع العلوم، فقد كتب عن الأرقام الهندية أوفى بحث في العصور الوسطى؛ وكتب رسالة عن الإسطرلاب، ودائرة فلك البروج، وذات الحلق، ووضع أزياجاً فلكية للسلطان محمود. ولم يكن يخالجه أدنى شك في كروية الأرض، ولاحظ أن كل الأشياء تنجذب نحو مركزها، وقال إن الحقائق الفلكية يمكن تفسيرها إذا افترضنا أن الأرض تدور حول محورها مرة في كل يوم، وحول الشمس مرة في كل عام، بنفس السهولة التي تفسر بها إذا افترضنا العكس... وتوصل إلى طريقة لحساب تكرار تضعيف العدد دون الالتجاء إلى عمليات الضرب والجمع الطويلة الشاقة، كما تحدث في القصة الهندية عن مربعات لوحة الشطرنج وحببات الرمل. ووضع في الهندسة حلولاً لنظريات سميت فيما بعد باسمه. وألف موسوعة في الفلك، والتنجيم، والعلوم الرياضية؛ وشرح أسباب خروج الماء من العيون الطبيعية والآبار الارتوازية بنظرية الأواني المستطرقة... وإن كثرة مؤلفاته في الجيل الذي ظهر فيه ابن سينا، وابن الهيثم، والفردوسي لتدل على أن الفترة الواقعة في أواخر القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر هي التي بلغت فيها الثقافة الإسلامية ذروتها، وهي التي وصل فيها الفكر في العصور الوسطى إلى أعلى درجاته.....ويكاد المسلمون يكونون هم الذين ابتدعوا الكيمياء بوصفها علماً من العلوم؛ ذلك أن المسلمين أدخلوا الملاحظة الدقيقة، والتجارب العلمية، والعناية برصد نتائجها في الميدان الذي اقتصر فيه اليونان- على ما نعلم- على الخبرة الصناعية والفروض الغامضة... وكان أشهر الكيميائيين المسلمين جابر بن حيان (٧٠٢-٧٦٥) المعروف عند الأوربيين باسم جيبير Gebir. وكان جابر بن حيان كوفي، اشتغل بالطب، ولكنه كان يقضي معظم وقته مع الأنابيق والبوداق. ويعزو إليه المؤرخون مائة من المؤلفات أو أكثر من مائة، ولكنها في الواقع من عمل مؤلفين مجهولين عاش معظمهم في القرن العاشر. وقد ترجم كثير من هذه المؤلفات التي لا يعرف أصحابها إلى اللغة اللاتينية. وكان لها الفضل في تقدم علم الكيمياء في أوروبا.... وليس لدينا إلا القليل من بقايا علم الأحياء عند المسلمين في ذلك

العصر. ومن هذه الآثار كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري الذي رجع فيه إلى مؤلفات ديوسقوريدس ولكنه أضاف فيه إلى علم الصيدلة عقاقر أخرى كثيرة. وقد عرف علماء الحياة المسلمون طريقة إنتاج فواكه جديدة بطريق التطعيم، وجمعوا بين شجرة الورد وشجرة اللوز، وأوجدوا بذلك التطعيم أزهاراً نادرة جميلة المنظر..... وكان من أهم الأعمال التجارية بين إيطاليا والشرق الأدنى استيراد العقاقير العربية. وكان المسلمون أول من أنشأ مخازن الأدوية والصيدليات، وهم الذين أنشؤوا أول مدرسة للصيدلة، وكتبوا الرسائل العظيمة في علم الأقرباذين. وكان الأطباء المسلمون عظيمي التحمس في دعوتهم إلى الاستحمام، وخاصة عن الإصابة بالحميات، وإلى استخدام حمام البخار؛ ولا يكاد الطب الحديث يزيد شيئاً على ما وصفوه من العلاج للجذري والحصبة، وقد استخدموا التخدير بالاستنشاق في بعض العمليات الجراحية..... وأشهر أطباء هذه الأسرة الرحيمة على بكرة أبيها هو أبو بكر محمد الرازي (٨٤٤-٩٢٦) اشتهر بين الأوربيين باسم رازيس Rhases. وكان أبو بكر كمعظم كبار العلماء والشعراء في وقته فارسياً يكتب بالعربية. وكان مولده في بلدة الري القريبة من طهران، ودرس الكيمياء بنوعيتها، والطب في بغداد، وألف ١٣١ كتاباً نصفها في الطب، ضاع معظمها. ومن أشهر كتبه كتاب الحاوي وهو كتاب في عشرين مجلداً، ويبحث في كل فرع من فروع الطب. وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة اللاتينية وسمي Liber continens، وأغلب الظن أنه ظل عدة قرون أعظم الكتب الطبية مكانة، وأهم مرجع لهذا العلم في بلاد الرجل الأبيض، وكان من الكتب التسعة التي تتألف منها مكتبة الكلية الطبية في جامعة باريس عام ١٣٩٤. وكانت رسالته في الجذري والحصبة آية في الملاحظة المباشرة والتحليل الدقيق، كما كانت أولى الدراسات العلمية الصحيحة للأمراض المعدية، وأول مجهود يبذل للتفرقة بين هذين المرضين. وفي وسعنا أن نحكم على ما كان لهذه الرسالة من بالغ الأثر واتساع الشهرة إذا عرفنا أنها طبعت باللغة الإنجليزية أربعين مرة بين عامي ١٤٩٨، ١٨٦٦. وأشهر كتب الرازي كلها كتاب طبي في عشر مجلدات يسمى كتاب المنصوري أهدها إلى أحد أمراء خراسان. وقد ترجمه جرار الكريمو إلى اللغة اللاتينية. وظل المجلد التاسع من هذا الكتاب وهو المعروف عند الغربيين باسم Nonus Almansoris متداولاً في

أيدي طلاب الطب في أوروبا حتى القرن السادس عشر ولقد كان الرازي بإجماع الآراء أعظم الأطباء المسلمين وأعظم علماء الطب السريري (الكلينيكي) في العصور الوسطى وكان أبو علي الحسين بن سينا (٩٨٠-١٠٣٧) أعظم فلاسفة الإسلام وأشهر أطبائه... وقد ترجم كتاب إقليدس في الهندسة ووضع عدة أزياج فلكية، وابتكر آلة شبيهة بالورنية المعروفة عندنا اليوم. وله دراسات مبتكرة في الحركة، والطاقة، والفراغ، والضوء، والحرارة، والكثافة النوعية. وله رسالة في المعادن بقيت حتى القرن الثالث عشر أهم مصادر علم طبقات الأرض عند الأوربيين. وقد كتب فيها عن تكوين الجبال كتابة تعد أنموذجاً للوضوح في العلم. فقد قال إن الجبال قد تنشأ من سببين مختلفين: فقد تكون نتيجة اضطرابات في القشرة الأرضية كما يحدث في أثناء الزلازل العنيفة، وقد تكون نتيجة لفعل المياه التي تشق لنفسها طريقاً جديداً بنحت الأودية... ولابن سينا كتابان يشتملان على تعاليمه كلها أولهما كتاب الشفاء (شفاء النفس)، وهو موسوعة في ثمانية عشر مجلداً في العلوم الرياضية، والطبيعة، وما وراء الطبيعة، وعلوم الدين، والاقتصاد، والسياسة، والموسيقى؛ وثانيهما كتاب (القانون في الطب)، وهو بحث ضخم في وظائف الأعضاء، وعلم الصحة، والعلاج... وحل كتاب القانون بعد أن ترجم إلى اللغة اللاتينية في القرن الثاني عشر محل كتب الرازي وجالينوس، وأصبح هو الذي يعتمد عليه في دراسة الطب في المدارس الأوروبية. وقد احتفظ فيها بمكانته العالية، وظل الأساتذة يشيرون على الطلاب بالرجوع إليه في جامعتي منبلييه ولوفان إلى أواسط القرن السابع عشر.

وجملة القول إن ابن سينا أعظم من كتب في الطب في العصور الوسطى، وأن الرازي أعظم أطبائها، والبيروني أعظم الجغرافيين فيها وابن الهيثم أعظم علمائها في البصريات، وجابر بن حيان أعظم الكيميائيين فيها. تلك أسماء خمسة لا يعرف عنها العالم المسيحي في الوقت الحاضر إلا القليل وإن عدم معرفتنا إياها ليشهد بضيق نظرتنا وتقصيرنا في معرفة تاريخ العصور الوسطى. وليس في وسعنا مع هذا أن نحاجز أنفسنا عن القول بأن العلوم العربية كثيراً ما تلوث بالأوهام شأنها في هذا شأن سائر العصور

الوسطى وأن تفوقها كلها- عدا علم البصريات - يرجع إلى التركيب والبناء من النتائج التي جمعت لديها أكثر من تفوقها في الكشوف المبتكرة أو البحوث المنظمة؛ لكنها مهما يكن قصورها في هذه الناحية قد نمت في علم الكيمياء الطريقة التجريبية العلمية، وهي أهم أدوات العقل الحديث وأعظم مفاخره. ولما أن أعلن روجر بيكن هذه الطريقة إلى أوروبا بعد أن أعلنها جابر بخمسائة عام كان الذي هداه إليها هو النور الذي أضاء له السبيل من عرب الأندلس، وليس هذا الضياء نفسه إلا قبساً من نور المسلمين في الشرق..... وأشهر العلماء كلهم بين علماء المسلمين المصريين اسم الحسن بن هيثم المعروف عند الأوربيين باسم "الهazen Alhazen". وقد ولد في البصرة عام ٩٦٥ واشتهر فيها بنبوغه في الهندسة والرياضة.... وأهم ما يشتهر ابن الهيثم عندنا الآن كتاب المناظر في البصريات وهو في أغلب الظن أعظم مؤلف في العصور الوسطى بأجمعها جرى على الأسلوب العلمي في طريقته وتفكيره. وقد درس ابن الهيثم انكسار الضوء عند مروره في الأوساط الشفافة كالهواء، والماء واقترب مع اختراع العدسة المكبرة قريباً جعل روجر بيكن Roger Bacon، ووينلو Wnelo وغيرهما من الأوربيين بعد ثلاثمائة عام من ذلك الوقت يعتمدون على بحوثه فيما بذلوه من الجهود لاختراع المجهر والمربق. وقد رفض ابن الهيثم نظرية إقليدس وبطليموس الفلكي القائلة بأن رؤية الجسم تنشأ من خروج شعاع ضوئي من العين يصل إلى الجسم المرئي، وقال إن صورة الجسم المرئي تصل إلى العين ومنها تنتقل بواسطة الجسم الشفاف أي العدسة. ولاحظ أثر الجو في ازدياد الحجم الظاهري للشمس والقمر إذا كانا قريبين من الأفق؛ وأثبت أن انكسار الأشعة في الجو يجعل ضوء الشمس يصل إلينا حتى بعد أن يختفي قرصها تحت الأفق بتسع عشرة درجة، وعلى هذا الأساس قدر ارتفاع الهواء الجوي بعشرة أميال (إنجليزية). وحلل العلاقة بين ثقل الهواء الجوي وكثافته، وبين أثر كثافة هذا الهواء في أوزان الأجسام.... وليس في وسعنا مهما قلنا عن ابن الهيثم أن نبالغ في بيان أثره في العلوم الأوربية، وأكبر ظننا أنه لولا ابن الهيثم لما سمع الناس قط بروجر بيكن؛ وها هو ذا روجر بيكن نفسه لا يكاد يخطو خطوة في ذلك الجزء الذي يبحث في البصريات Opus Mains دون أن يشير إلى ابن الهيثم أو ينقل عنه. والجزء السادس من هذا المؤلف يكاد كله يعتمد

على كشف هذا العالم الطبيعي ابن القاهرة. ولقد ظلت الدراسات الأوروبية للضوء حتى ذلك العصر المتأخر عصر كبلر وليوناردو تعتمد على بحوث ابن الهيثم^١.

الملحد – ابن سينا كان لا دينيا، والرازي كان ملحدا ولم يكن عربيا.

المؤمن – سفسطة ولا أريد الدخول في بيان بطلانها، فلست أتكلم عن شخص العلماء ولا عن العرب بالخصوص ولا عن الخليفة العباسي، بل هدفي هنا هو بيان أن المنجزات المادية الحالية لم تأت بالطفرة الغربية أو العلمانية أو الإلحادية كما تسفستون بل هي نتاج تراكم الخبرة البشرية على مدى العصور من كل الشعوب، وأنه لا ملازمة بين الجانب المادي والجانب الإنساني. فلا تحدثوني عن المنجز المادي بل حدثوني عن الجانب الإنساني الأخلاقي ما ذا أبدع فيه الملاحدة سوى مسخ الانسان وتدميره وقد عرضنا أهم اطروحاتكم وفلسفاتكم.

الملحد – لسنا مخدوعين بل إن القيم الغربية في الديمقراطية والعلمانية والحريات السلوكية والفكرية والاقتصادية والسياسية هي الصحيحة عقليا.

المؤمن – هذا هو غسيل الدماغ يا حبيبي، يجعلك مقتنعا بالوهم.

الملحد – بل أنت المخدوع المتوهم.

المؤمن – أنا لست مخدوعا، ذلك لأنني أعرض لكم الواقع الذي يعرفه كل مطلع مع شهادات خبرائهم. ثق بأنه لو لم يضطر ابراهام لينكولن لإعلان تحرير العبيد ليكسبهم في معركته السياسية ويستخدمهم جنودا في حرب التمرد ثم يجعل الإعلام يمجده فعله هذا؛ لما كنت أنت اليوم ترى قبح العبودية الغربية. واليوم توجد جماعة في أمريكا شاذة تستلذ في تعبيد نفسها للغير، فلو تظاهرت هذه الجماعة وطالبت بتشريع قانون يعطي الحق للشخص في أن يعبد نفسه ويملكها لمن يريد وفق عقد، ثم تم تشريع هذا القانون من باب الحرية الشخصية وحق الشخص في سلطنته على نفسه بأن يملكها لمن يريد

^١ - قصة الحضارة ، ويل ديورانت ، ترجمة زكي نجيب محمود وآخرين ، ج ١٣ ص ١٨١-٢٧٥

فيكون للمالك حق التصرف في المملوك؛ حينئذ سأراك تقول " وما ذا في ذلك! إن كان الشخص هو بحريته قد تنازل عن حرته!!" فيا عزيزي إنما أنتم تبع الإعلام الهليودي وتتوهمون الاستقلال الفكري، وقد أكد ذلك لست أنا بل خبير الاستراتيجية الأمريكية فاستمعوا لشهادته الهامة وردة على شبهتكم:

((القوة الغربية متمثلة في الاستعمار الأوربي في القرن التاسع عشر والهيمنة الأمريكية في القرن العشرين، نشرا الثقافة الغربية في معظم أنحاء العالم المعاصر. الاستعمار الأوربي انتهى، الهيمنة الأمريكية تتحسر، وذلك يتبعه تآكل في الحضارة الغربية... ولكن ما الذي يجعل الثقافة والأيدلوجية جذابة؟ إنها تصبح كذلك عندما ينظر اليها متجذرة في النجاح المادي وفي النفوذ... الزيادة في القوة الاقتصادية والعسكرية تولد ثقة بالنفس وغطرسة واعتقادا بتفوق الثقافة الخاصة مقارنة بتلك التي لدى الآخرين، كما تزيد من جاذبيتها بالنسبة للغير. انهيار القوة الاقتصادية والعسكرية يؤدي الى عدم الثقة بالنفس والى أزمة هوية والسعي لإيجاد مفاتيح للتقدم الاقتصادي والعسكري والسياسي لدى الثقافات الأخرى... القيم والعادات الغربية تروق لأناس من ثقافات مختلفة لأنهم ينظرون اليها على أنها مصدر القوة والثروة... ومع انهيار القوة الغربية، فإن قدرة الغرب على فرض المفاهيم الغربية الخاصة بحقوق الإنسان والليبرالية والديمقراطية على حضارات أخرى تنهار كذلك، كما تنهار جاذبية تلك القيم بالنسبة للحضارات الأخرى، وقد حدث ذلك بالفعل))^١. فأنتم تعيشون أزمة هوية وضحايا الكاريزما الكاذبة للقيم الغربية وضحايا خدعة الملازمة بين التقدم التكنولوجي والعلمي والقوة الاقتصادية والعسكرية وبين الأخلاق والقيم والمبادئ الإنسانية. نحن لسنا ضد التطور العلمي والتكنولوجي والاقتصادي والعسكري لكننا ضد القيم والآليات والتفسيرات الدارونية والنشوية البننامية الماركسية للحياة.

الملحد – الغرب قد أبدع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

^١ - صدام الحضارات ، صموئيل هنتنغتون ، ترجمة طلعت الشايب ، الفصل الرابع ص ١٥١-١٥٢

المؤمن – يا رجل!! لا أستطيع أن أقول لك: هل تقسم على أن لجنة صياغة لائحة حقوق الإنسان كانوا جميعا ملاحدة؟ هذا اعلان افلاس الملاحدة:

أولا: لأن لجنة صياغة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لم تكن من الملاحدة.

ثانيا: تفخرون به وتعتبرونه أرقى تطور وصل اليه الفكر البشري فيما يخص الجانب الأخلاقي. فبعد مخاض عسير وصراع مرير تم تشريعه عالميا واقراره في الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ١٩٤٨ فكان أول ديباجة الإعلان العالمي لحقوق الانسان: ((الديباجة: لما كان الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية...)). أصل الكرامة الإنسانية: هذا هو المعيار الأخلاقي الإسلامي منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة، وهو أصل الحقوق الإنسانية في الإسلام، وهو القاعدة الأساس التي تنفرع عنها كافة التعاليم الأخلاقية والتشريعات السلوكية. إن الحقوق في الاسلام قائمة على اساس كرامة الانسان، وهي الرتبة الوجودية التي جعلها الله تعالى للنوع الانساني، وكل الحقوق غايتها احترام وحفظ وكمال كرامة الانسان ومرتبها الوجودية. قال تعالى: ((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠))

هذا من الإعجاز التشريعي للقرآن. فمما يشهد بالإعجاز التشريعي للقرآن تجاوزه حدود زمان ومكان تسود فيه الامبراطوريات، والامارات العرقية والعصبيات القبلية قبل اكثر من ١٤٠٠ سنة، وتجاوزه عصور تطور الفكر الحقوقي البشري بإثبات اصل الكرامة للنوع الإنساني، فأنى لبشر ان يأتي بمثل ذلك في عصر ومجتمع كذلك لو لم يكن مسلطا عليه من الله تعالى؟

الملحد – أي كرامة! أي إنسانية! بقتل المرتد ورجم الزاني واستعباد البشر! ما ذا قدم الإسلام للإنسانية غير ذلك؟

المؤمن – طبعا مفهوم الإنسانية عند الملاحدة هو يعني ((الحرية البهيمية)) ولذلك هم لا يقبلون بهذه التشريعات، فلا لوم على الإسلام في قتل ورجم واسترقاق من تنازل بنفسه عن كرامته الإنسانية، ولا ينافي ذلك أصل

الكرامة الإنسانية كمعيار أخلاقي عام في الإسلام. ونحن في الجواب عن هذا السؤال الجدلي حول ما ذا قدم الإسلام للإنسانية، يكفيننا إحالتكم على كتب. فكفى الملاحظة أن يشهد مثل روجيه جارودي (توفي ٢٠١٢ م) بسمو وخلود الرسالة الإسلامية وكمالها وشمولها لكل زمان ومكان، وهو الدكتور الفيلسوف والمفكر الفرنسي الملحد وآخر أقطاب الشيوعية الماركسية، ومؤسس مركز الدراسات والبحوث الماركسية، وعضو البرلمان الفرنسي سابقاً، فبعد عمر طويل قضاه في تبرير الإلحاد ودحض الدين والمناظرات والمحاضرات والبحث في الأديان اهتدى روجيه للإسلام سنة (١٩٨٠ م) وكتب عدة كتب في شرح الإسلام للغرب وفضح الخدعة الصليبية الصهيونية، منها كتابه الشهير (الإسلام دين المستقبل) والذي يقول فيه متحدثاً عن كتابه: ((هذا الكتاب ليس كتاب تاريخ، بل هو كتاب يعمل على اظهار الإسلام كوجود ومستقبل، أي اسلام يكمن في مستقبلنا أكثر مما يكمن في ماضينا. لأن الإسلام لم يكن يكتفي بجمع الثقافات العالمية بل عمل على اخصابها ونشرها من بحر الصين الى الاطلسي، ومن سمرقند الى تومبكتو، أقدم واسمى ثقافات الصين والهند والفرس واليونان والاسكندرية وبيزنطة، بل قدم لإمبراطوريات متفككة، ولحضارات محتضرة، روح حياة جماعية جديدة. ورد للبشر ولمجتمعاتهم ابعادها البشرية والإلهية المميزة، وروح الجماعة والتسامي. وبدءاً من هذا الايمان البسيط والقوي كان خميرة لتجديد العلوم والفنون والحكمة النبوية والشرائع)).^١

ولن ينسى الملاحظة المستكبرون وأعداء الإسلام في الغرب ما قامت به الكاتبة البريطانية المعاصرة والملحدة اللادينية كارن ارمسترونج، التي عرضنا وفندنا سابقاً فرضيتها في اسطورية الأديان، حيث احدثت هذه الكاتبة رجة كبيرة في العقل الغربي بدفاعها عن الإسلام ونبي الإسلام، أدت الى يقظة الكثيرين من الخدعة الصليبية القديمة المتجددة بالصهيونية العالمية، فهي برغم كونها تعتقد بأسطورية الأديان إلا أنها وهي الباحثة في الأديان لم تستطع تحمل البهتان والتزوير والحملة الباطلة على تعاليم الإسلام ونبي الإسلام، وأدركت خطورة ذلك على السلم العالمي، فكتبت عدة كتب لشرح

^١ - الإسلام دين المستقبل ، روجيه جارودي ، الفصل الاول ، ص ٢١

السمو الاخلاقي لنبي الاسلام، و سمو المبادئ الانسانية للإسلام، فهي ترى أنه بقطع النظر عن مسألة الوحي الإلهي التي لا تؤمن بها فإن أخلاق نبي الاسلام وتعاليمه هي أفضل ما يكون، وأن العالم اليوم هو أحوج ما يكون لنبي الاسلام وتعاليمه، فتقول: ((في شخصية محمد النموذجية دروس مهمة، ليس فقط للمسلمين، ولكن أيضا للغربيين، حيث كانت كلها جهادا كما سوف نرى، وهذه الكلمة لا تعني الحرب المقدسة، ولكنها تعني كفاحا. كدح محمد بكل معاني الكلمة ليجلب السلام على العرب الذين مزقتهم الحروب، ونحن نحتاج لمن هم مستعدون لعمل ذلك اليوم. كانت حياته حملة لا تكل ضد الطمع والظلم والتكبر))^١، ونحن وإن كنا لا نقبل قراءتها البشرية القاصرة، وتفسيرها اللاديني للإسلام ونبي الاسلام، إلا أنها نجحت وفق مقاييس التفكير الغربي السائد أن تكشف الخدعة، وتفضح المؤامرة التي تحركها الصهيونية العالمية وترفع شعارها مؤسسات الالحاد الغربي ويقع ضحيتها المسلمون والمسيحيون.

الملحد – من العار عليك أن تتكلم عن الأخلاق ودينك وكتابك ورسولك كله ينافي الأخلاق، تحب تناقش في هذا؟

المؤمن – بل العار الحقيقي هو على من لا يعرف حقيقة أخلاقه وأصلها وغايتها وكيفية صيانتها وتهذيبها والدعوة اليها، ولا يملك معيارا أخلاقيا ثابتا ومنضبطا للحكم بحسن وقبح الأفعال، ولا يملك مرجعية أخلاقية ثابتة ومنضبطة، ثم يأتي وحاله هذه لينتقد الإسلام أخلاقيا! هذه هي حال الملاحدة حسبما تبين في البحث والحوارات. أنا في هذا البحث والحوار قد كشفت عجزكم وتهاافتكم الفكري والأخلاقي أمام أعينكم، ونسفت كل الأسس الفكرية والأخلاقية التي على أساسها تنتقدون الإسلام أخلاقيا، وهذا في حد ذاته نفس عام شامل لكل شبهااتكم الأخلاقية على الإسلام، لهذا قلت لكم اثبتوا العرش قبل النقش. أنا أريد البحث العلمي المنهجي بتسلسل منطقي وأريد الهداية لمن هو قابع في غواية، وأنتم لا تريدون سوى السباب والسخرية والسفسطة والمشاكسة وتضليل أنفسكم وبسطاء الناس بالهرع الى ما لقنه

^١ - محمد نبي زماننا ، كارين ارسترونج ، المقدمة ، ص ٢٥

لكم كهنة الإلحاد من الشبهات. فمن كان سليم العقل والفطرة منكم هو من سيشعر بالعار فعلا من إلحاده ويطرح منظومته الإلحادية ويتوب الى ربه.

الملحد - أنا كملحد أقول: صدقت سيدي، فنحن قد أضلونا بهذه الشبهات ثم لقنونا بأن لا ندعو الآخرين للإلحاد باستخدام لغة العلم والمنطق بل بلغة المقاهي بأن نكثر من التسقيط الأخلاقي والشبهات.

المؤمن - أعلم ذلك وزيادة. لكن ليس كل ما يعرف يقال.

الملحد - أنت لم تثبت شيئا سوى أنك معمم متعصب لدينه بالوراثة.

المؤمن - هذه سفسطة العاجز. وأنا كلامي موجه لسليم العقل والفطرة.

الملحد - إن عدم وجود تعريف ثابت للأخلاق ومنشئها ومعيارها حاليا هو مسألة وقت لا أكثر، مثلما سبق في الظواهر المختلفة المبهمة والتي تبينت فيما بعد بواسطة العلم. هناك الكثير من القضايا الجوهرية لم يجب عنها العلم لحد الآن، وهذه سمة العلم التواضع والبحث فلسنا مثلك مغيب العقل. عدم معرفتنا لا يجعلنا غير خلوقين، لأننا نستخدم العقل العظيم الذي يشعر بضرورة الاخلاق.

المؤمن - ١- يسعدني اعترافكم بعجز الفكر الالاحادي وتهافته في أهم القضايا الجوهرية، ويدهشني اصراركم عليه. هذه ليست مسألة فرعية وظاهرة طبيعية بل هي من أهم القضايا الجوهرية التي عليها مدار نظام المجتمع البشري، فإن كنتم لم تدركوها لحد الآن، وكل فلسفاتكم الأخلاقية رغم تهافتها فهي تجتمع في الدعوة الى رذائل الأخلاق، فعلى أي أساس بنيت منظومتكم الإلحادية؟ ومن هو مغيب العقل!

٢- عن أي عقل عظيم تحدث؟ ألم يكشف حوارنا عن قصور العقول وتفاوتها وتعارضها؟ وعن أي ضرورة أخلاقية تتحدث؟ قد قلنا سابقا: إن معظم الملاحدة وغير الملاحدة من الفسقة يتصف اليوم برذائل الأخلاق ويفعل موبقات الأفعال ولكن تحت غطاء التشريعات القانونية الوضعية وحماية الدولة في الكثير من الدول، فالزنا والدعارة والمثلية والتعري والخمر والسرقة والربا والمخدرات والغش والكذب والقتل والإنتحار، أصبحت مقننة

محمية بعد أن تم استبدال معانيها الواقعية المنحطة بعنوانين أخرى للتمويه وخداع النفس. فالزنا والدعارة والمثلية والتعري والخمور أصبحت حرية شخصية وفناء، والسرقه والربا أصبحت تجارة حرة، والمخدرات أصبحت علاجاً، والغش والكذب أصبح سياسة ودعاية إعلامية، والقتل والانتحار للكبار أصبح موتاً رحيماً، والقتل للأطفال بالإجهاض أصبح حرية جسدية للزانية. وما لم يتم تقنينه بعد من رذائل الأخلاق وموبقات الأفعال فإن الملاحدة ومن يتبعهم من فسقة المؤمنين سائرون يناضلون مكافحون في سبيل تقنينه. فعن أي عقل وفضيلة نتحدث!

واقع الحال وخلاصة الجدل: أنتم يا أعزتي لا تتبعون عقلاً عظيماً بل تتبعون المزاجيات المتغيرة بتغير الظروف، وهذا ما أردنا اثباته وأثبتناه فعلاً، وعلى أساس هذه المزاجيات المتغيرة تريدون نقد الإسلام أخلاقياً. أنتم تريدون الدين يتغير تبعاً للمزاجيات والأذواق المتغيرة، والدين إنما يضع القواعد والحدود للمزاجيات. للدين حدود هي الأصلح لضبط فطرة الإنسان وسلوكه لا ينبغي تجاوزها، وما بين الحدين يترك الإسلام مجالاً واسعاً للمزاج والحرية، بينما أنتم تريدونها فوضى بلا حدود إلا بحسب ما يؤدي إليه الهوى والمزاج. بعضكم يبيح الزنا ويرفض الدعارة أخلاقياً وبعضكم يخالفه. بعضكم يبيح الدعارة ويرفض المثلية أخلاقياً وبعضكم يخالفه. بعضكم يبيح الخمر ويرفض المخدرات أخلاقياً وبعضكم يخالفه. بعضكم يبيح التعري بمقدار ستر العورة ويرفض كشف العورة وبعضكم يخالفه. وهكذا في كل تشخيص السلوكيات الموافقة لفضائل أو رذائل الأخلاق تتفاوتون، فعن أي عقل وفضيلة نتحدثون!

الملحد - لا يفهم المغيبون كلام الأحرار.

المؤمن - والعاجزون يخدعون أنفسهم بالترنم بالحرية وهم عبيد الأنا واقعا.

الملحد - أخلاق البشرية تتغير وترتقي وهناك مؤشرات وبشارات بأنه سيأتي اليوم الذي سنسخر فيه من أخلاقنا الحالية، بل سنتعامل مع الحيوانات بالعدل والمساواة كما نتعامل مع البشر.

المؤمن – ١ - أضحنا أكثر من مرة هذا اللبس بين الخلق والسلوك. الأخلاق صفات نفسية وملكات روحية وقيم إنسانية مطلقة، إنما التغيير والتفاوت هو في تشخيص السلوك التطبيقي للخلق. العدل حسن مطلقا ولكن الخلاف والاختلاف هو في تشخيص السلوك العادل أي الذي يكون مطابقا لخلق العدل.

٢- تبشرون بالعدالة مع الحيوان! علي بن أبي طالب عليه السلام ترجمان القرآن ووصي نبي الرحمن، مجسد العدالة الإلهية وجامع الكمالات الإنسانية، قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة ارتقى من العدالة مع البشر الى العدالة مع الحيوان فقال لمن جاءه بطعام رشوة وقد كان الحاكم الرسمي للدولة الإسلامية: ((وأعجب من ذلك طارق طرفنا بملفوفة في وعائها، ومعجونة شنتها، كأنما عجنت بريق حية أو قبيها، فقلت أصلة أم زكاة أم صدقة فذلك محرم علينا أهل البيت. فقال لا ذا ولا ذاك ولكنها هدية. فقلت هبلك الهبول، أعن دين الله أتيتني لتخدعني، أمختبب أنت أم ذو جنة أم تهجر. والله لو أعطيت الاقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت، وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ما لعلني ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى. نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين))^١.

كل هذا وتقولون، وأنتم ساخرون، ما ذا قدم الإسلام للإنسانية! قدم علي بن أبي طالب، ولكن ربما الإنسانية هي التي لم تستحقه بعد، ولذلك فإن ولده خليفة الله الأعظم الذي سيملا الأرض قسطا وعدلا ما زال غائبا منتظرا استحقاق الإنسانية له.

الملحد - علي بن أبي طالب أليس هو الذراع الأيمن للنبي في جميع حروبه فبماذا يفترق عن هتلر وستالين؟

المؤمن – أردت أن تدم فمدحت. علي بن أبي طالب هو بطل الحرب والسلام، وهو صوت العدالة الإلهية وتجسيد الإنسانية الحقيقية، اسد الله

١ - نهج البلاغة ، جمع الشريف الرضي ، شرح الشيخ محمد عبده ، ج ٢ الخطبة رقم ٢٢٤

الغالب علي بن ابي طالب عليه السلام ، الذي اغتاله اللعين ابن ملجم وهو يصلي صلاة الفجر في محراب مسجد الكوفة دون حرس شخصي وهو القائل ((يا دنيا غري غيري ، إلي تعرضت أم إلي تشوقت ؟ هيهات ، طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها)) ، اغتاله اللعين بضربة بالسيف على رأسه وصلت الى اصل دماغه ، انظروا اليه وهو في هكذا حالة وفي آخر عهده بالدنيا ، كيف يوصي المسلمين وأهل بيته برعاية اليتامى وحقوق الجيران كما يوصيهم بالصلاة والصيام والقرآن ، وأن لا تجرفهم شهوة الانتقام فيقتلوا الناس الابرياء ثأرا لدمه ، وأن يرفقوا بأسيرهم القاتل ابن ملجم فلا يهينوه ولا يعذبه قبل اقامة القصاص الشرعي العادل عليه ، وأن لا يهينوا جسده ويشوهوه بعد قتله ، فيقول : ((الله الله في الايتام فلا تغبوا أفواههم ولا يضيعوا بحضرتكم . والله الله في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم ... بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضا تقولون قتل أمير المؤمنين ، ألا لا تقتلن بي إقائلي انظروا إذا أنا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة ، ولا يمثل بالرجل فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : " إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور "))^١ فالسلام عليك يا أبا الحسن . أمثل هذا يساويه الملاحدة بهتلى وستالين ، أم مثل هذا تكون اخلاقه ودينه خطرا على الانسانية ، مالكم كيف تحكمون ؟

والآن هلم الي جميعا بشبهاتكم الأخلاقية حول الإسلام ولا تنظرون.

- هل الإسلام دين الحرب أم السلام؟

الملحد - إن الإسلام دين الحرب والارهاب والسيف، فهو لم ينتشر إلا بالحرب والقتل وسفك الدماء، وهو يشر عن قتل كل من يرفضه باسم فريضة الجهاد، كما يشر عن قتل اصحاب الأديان الأخرى، والدليل آيات الحرب والقتال التي تملأ القرآن. مثل: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ

^١ - نهج البلاغة ، بشرح محمد عبده ، ج ٣ ص ٧٦-٧٨

الْكَفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٢٣))^١. ((قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩))^٢.

المؤمن – طبعاً هذه أقوى شبهات الملاحدة الأخلاقية على الإسلام، وهي ليست من مبتكرات العقل الإلحادي بل من مبتكرات الفكر المسيحي الصليبي قبل ١٠٠٠ سنة لتبرير حروبه الصليبية. إن الحاجة ملحة أن يضع الناظر المنصف مرهما على عينه الثانية حتى يتمكن من الرؤية بعينين لا واحدة ، فكما نظرتم الى قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٢٣))^٣ انظروا الى قوله تعالى: ((وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢))^٤. وكما تنظرون الى قوله تعالى: ((قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩))^٥ انظروا الى قوله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢))^٦ ، ثم تأملوا في سياسة امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام حاكم الاسلام الحقيقي بعد الرسول الأكرم ، في عهده لمالك الاشر لولاية مصر في نهج البلاغة حيث يقول: ((وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا تَعْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَحُّ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ))^٧.

١ - سورة التوبة

٢ - سورة التوبة

٣ - سورة التوبة

٤ - سورة المائدة

٥ - سورة التوبة

٦ - سورة البقرة

٧ - نهج البلاغة ، جمع الشريف الرضي ، شرح محمد عبده ، ج ٣ ص ٦٢

ان الاسلام هو دين الرحمة والسلام ، واسلوب الاسلام في الدعوة الى الله ونشر تعاليم النظام الاكمل الاشمل وايصال ميثاق الرحمة الالهية هو الاسلوب السلمي العقلاني الاخلاقي : ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)))^١، هذا هو اسلوب الدعوة الاسلامية الوحيد ولا يوجد عندنا غيره ابدا ، ولكن وجود الموانع من وصول الدعوة السلمية من جهة ثلة المستكبرين المترفين المستبدين من البشر، الذين وجدوا ان دعوة الاسلام تشكل خطرا على مواقعهم ومصالحهم المادية الضيقة، وكانت موانعهم للرحمة الالهية وصددهم الدعوة السلمية من ان تصل الى الناس يتخذ مظاهر متعددة كالتكذيب والافتراء والتشويه والسخرية والطرده والقمع والتعذيب والقتل وغيرها، وقد فصل القرآن في جميع ذلك في مواضع كثيرة منها في قوله تعالى: ((إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَتِنَا لِيَشَاعِرَ مَجْنُونٍ (٣٦) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ (٣٧)))^٢، وقوله تعالى: ((وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (٨٧)))^٣، وقوله تعالى: ((وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠)))^٤؛ فكان لا مناص من رفع هذه الموانع باستعمال القوة، ولأجل ذلك كان تشريع الجهاد، فالجهاد ضرورة علاجية يفرضها الواقع وليس هو اسلوب الدعوة الإلهية، وليس بديلا عن الاسلوب السلمي مطلقا، وقد قيده الله بشرائط وضوابط صارمة من حيث القيادة والعدة والعدد واساليب التنفيذ واخلاقية القيادة والجيش والظروف الزمانية والمكانية مما يكاد ان يكون تحققها متعذرا اليوم، فقال تعالى: ((أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ

١ - سورة النحل

٢ - سورة الصافات

٣ - سورة البقرة

٤ - سورة الأنفال

بَعْضٍ لَهْدِمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا
وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠))^١، وقال تعالى: ((كُتِبَ
عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ
تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦))^٢، وقال تعالى:
((لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ
تَبْرُوهُمْ وَتُفْسِدُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ
قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ
وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩))^٣.

فالقتل والقتال اضطرار وليس اختيارا، وهو مكروه مبعوض لنا فطريا،
محرم منهي عنه تشريعيًا، ونحن مأمورون بالتعامل بالبر والعدل مع غير
الظالمين والمعتدين والمفسدين والمستكبرين من الكفار. فلسنا متعاطشين
للدماء لا فطريا ولا سلوكيا، ولا يعلمنا الدين سلوكا وحشيا مخالفا للفطرة
التي فطرنا عليها، ولكنه يعقلن الفطرة ويرشدها الى الضوابط التي تحول
دون انحرافها الى جهة الافراط أو جهة التفريط، فلا تكن رقيقا ذليلا خانعا
جبانا تنام على الضيم وترتضي الظلم والفساد، وفي ذات الوقت لا تكن باغيا
معتديا جبارا باطشا.

الملحد – قول علي (إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق) ليس فخرا
لأنه تمييز وتصنيف عنصري.

المؤمن – ليس تصنيفا عنصريا بل تصنيف على أساس عقائدي وهو
التصنيف الصحيح، ومع هذا التصنيف والاختلاف فإن الإمام يأمر الحاكم
بالرحمة والعدل بين الجميع. أنت أردت تدم فلم تفلح، فهل أنت لا تصنف
الناس الى ملحد ومؤمن؟ إن كنت لم تصنف هكذا فما ذا تفعل هنا؟

الملحد – أي عدل ورحمة! أنت تأتي ببعض الآيات وهناك العشرات تأمر
بالقتل للكفار لأنهم شر الدواب. مثل: ((أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ

١ - سورة الحج
٢ - سورة البقرة
٣ - سورة الممتحنة

يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤))^١ ((فَاتَلَوْهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (١٤))^٢.

المؤمن - مرة أخرى أردت أن تدم فلم تفلح. نعم هم شر الدواب بسبب اصرارهم على كفرهم رغم البيان المبين، وبسبب نقضهم المتكرر لكل هدنة أو عهد أو ميثاق يعقده المسلمون معهم لحقن دمائهم. فلاحظ جيدا قوله تعالى: ((إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٥) الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْفُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (٥٦) فِيمَا تَتَفَقَّهُهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ (٥٧) وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (٥٩) وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظْلُمُونَ (٦٠) وَإِنْ جَاءُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١))^٣، وقوله تعالى: ((وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (١٢) أَلَا نُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَ اللَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣))^٤.

الملحد - وقوله: ((واقتلوهم حيث ثقتموهم))!!

المؤمن - أردت أن تدم فلم تفلح مرة أخرى. هذا النص ورد في موضعين في القرآن الكريم، فلاحظ ما قبله وما بعده في الموضع الأول قوله تعالى: ((وَاقْتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) وَاقْتُلُواهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٢)

١ - سورة الفرقان

٢ - سورة التوبة

٣ - سورة الأنفال

٤ - سورة التوبة

وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينَ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣))^١ إنه يأمر بمقاتلة المقاتلين المعتدين وينهي عن العدوان.

ولاحظ الموضع الثاني في قوله تعالى: ((فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنِينَ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (٨٨) وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وُليًا وَلَا نَصِيرًا (٨٩) إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا (٩٠) سَتَجِدُونَ آخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلًّا مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (٩١))^٢ إنها في بيان الموقف من جماعة من المنافقين في قبائل المشركين، حيث يعيشون في قبائلهم الكافرة ويرفضون الهجرة وربما يقاتلون المسلمين مع قومهم، وفي ذات الوقت يزعمون للمسلمين أنهم معهم، فأولئك من كان منهم مسلما حقا فليهاجر، ومن كان كافرا واقعا ولكنه لا يريد محاربة المسلمين فليعتزل المشاركة مع قومه في الحرب.

الملحد – عزيزي القرآن مملوء بآيات الحرب، وهذا يدل على محورية القتال في دين الإسلام.

المؤمن – الجواب:

١- بلا شك فإن الإسلام أولى أهمية كبيرة لفريضة الجهاد، فالتعبئة العسكرية أمر عقلائي تقره كل السنن العقلانية، لكن هذا لا يعني الطغيان والاستكبار والفساد في الأرض والهيمنة على العالم ظلما وعدوانا، كمثل نابليون وهتلر والاتحاد السوفيتي وكمثل حلف الناتو بزعامة أمريكا الآن، فأيات الحرب

١ - سورة البقرة

٢ - سورة النساء

كلها هي في بيان قواعد وشرائط وأحكام الجهاد، وصفات وحقوق وفضل المجاهدين والشهداء، فلا تتعبوا أنفسكم في جلب الآيات وبتراها وتحريف معانيها.

٢- كذلك القرآن الكريم مملوء بآيات الرحمة والغفران ، فيكفي أن القرآن الكريم يفتح كل سورة ب(بسم الله الرحمن الرحيم)، ومنها قوله تعالى: ((قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢)))^١، ((وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٤)))^٢، ((وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ (١٣٣)))^٣، ((وَرَبُّكَ الْعَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا (٥٨)))^٤.

هذه دلالات واضحة في السعة والعموم تؤكد أصالة الرحمة وفرعية العذاب في الإرادة الإلهية.

٣- الأصل الأصل والقاعدة الأساسية في الاسلام هي الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن كما قال الله تعالى: ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)))^٥. هذا هو أسلوب الدعوة ولا يوجد عندنا غيره.

٤- استعمال السيف هو استثناء بشروط وضوابط صارمة جدا مذكورة في محلها وليس هو أسلوب الدعوة، فالجهاد ضرورة علاجية يفرضها الواقع

١ - سورة الأنعام
٢ - سورة الأنعام
٣ - سورة الأنعام
٤ - سورة الكهف
٥ - سورة النحل

لرفع الموانع من وصول الدعوة، ولدفع خطر الكافرين ومنع فتنهم للمؤمنين واخلالهم بالنظام الإسلامي.

٥- كل آية حرب وقتال هي محكومة بقوله تعالى: ((وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠)))^١. هذا هو المعيار، فمهما عدتكم من آيات الحرب فهي خاضعة لهذا المعيار.

٦- الاسلام لا يقاثل الا الكافر الحربي، وهو من يحارب الدعوة الإسلامية ليمنع من وصولها للناس.

٧- الإسلام يحرم قتل النساء والأطفال، ويحرم قتل الشيوخ والعجزة، ويحرم قتل الأسرى ويوصي بالرفق بهم والإحسان إليهم مهما كانوا من العداة والبغضاء للمسلمين. الإسلام يحرم في الحرب والسلم التخريب والإحراق والتسميم وقطع الماء عن الأعداء، ويحرم الاغتيال في الحرب والسلم، ويحرم مقاتلة من لم يبدأ بالحرب، ويحرم الهجوم على العدو ليلاً، ويحرم القتل على الظنة والتهمة والعقاب قبل ارتكاب الجريمة، إلى أمثال ذلك الكثير جدا من القيود.

النتيجة: إن دين الاسلام هو فيض الرحمة الالهية المطلقة للبشرية كافة فكان لا بد من انحصار الغاية منه في الرحمة والسلام كما نص الله تعالى على ذلك: ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)))^٢، وكان العذاب هو فرع عصيان الله تعالى. والرسول الأكرم هو مجسد الرسالة الإلهية وواسطة فيض الرحمة الإلهية. هذا يثبت أن الاسلام هو دين الرحمة والسلام لادين الارهاب والارعاب.

الملحد – يعني الكافر الحربي هو الشخص الحر الذي رفض أن يكون عبداً لإله محمد، فحمل السيف دفاعاً عن فكره ونفسه وعرضه وماله.

^١ - سورة البقرة
^٢ - سورة الأنبياء

المؤمن – بل الكافر الحربي هو الطاغية المستكبر المتجبر المعاند للحق بعد تمام البيان والحجة. هو البهيمية الذي رضي أن يكون آلة بيد الظالمين المترفين المستكبرين من سادات المشركين لمحاربة من جاء ليجعله انسانا. هو المشرك الذي يعبد أصناما لا تنفع ولا تضر ويتخذها أربابا مع الله تعالى أو يجعل لله ابنا فيعبده مع الله تعالى. هو الجاهلي القذر الذي يرفض النظافة. هو الجاهلي الأرعن الذي ينتفض للنعرات القبلية. هو الجاهلي الذليل تؤخذ زوجته منه إذا لم يوف دينه ويؤكل ميراثه، هو الجاهلي الذي يرفض الحضارة ويتمسك بالجاهلية حيث الجهل والمرض والتخلف وواد البنات ونكاح المحارم واستبداد الأقوياء الأغنياء، واستبداد الرجال بالنساء وأكل ميراث اليتامى، فضلا عن الزنى والفجور والبغي والعدوان. الكافر الحربي هو الذي يحمل السيف لمحاربة من أراد إخراجه من الظلمات الى النور.

الملحد – هو حر، فأين لا إكراه في الدين.

المؤمن – افهموا إن الإسلام هو ايمان واعتقاد وهذه مسألة قلبية فكرية لا تحصل لدى الإنسان بالقوة والإكراه والسيف، هذا أمر واضح، فالسيف ليس لإجبار الكافرين على الإيمان، وإنما هو لرفع المانع الذي يضعه الكافر الحربي من وصول دعوة الإسلام الى الناس، ولدفع خطر الكافرين ومنع فتنهم للمؤمنين واخلالهم بالنظام الإسلامي. فلا يتنافى قوله تعالى: ((لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦)))^١ مع قوله تعالى: ((وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩)))^٢، لأن القتال ليس للدعوة للإسلام والإجبار على الإيمان بل لمنع الفتنة ودفع الخطر ورفع المانع.

الملحد – عزيزي هو حر فلماذا تقتله؟

المؤمن – هو حر في إصراره على كفره وجاهليته وبهيميته رغم تمام البيان والبرهان ونزاهة المقصد في إخراجه من الظلمات الى النور، لكنه ليس حرا

^١ - سورة البقرة
^٢ - سورة الأنفال

في منعه الدعوة أن تصل للناس وحمله السيف لصد الناس عن سبيل النور، وليس حرا في نشر كفره وجاهليته في الأرض، وليس حرا في تهديد المجتمع الإسلامي.

الملحد – ومن تكون أنت لتحدد على الناس ما يعتقدون وما يفعلون؟

المؤمن – لست أنا، بل خالق الناس وخالق الأكوان وما فيها ورب العالمين. قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩)))^١، ((وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٨) أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢١) وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٢٢) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣)))^٢.

الملحد – هذا بالنسبة لكم وحسب عقيدتكم.

المؤمن – نعم هذا بالنسبة لنا وحسب عقيدتنا، وهي الحق اليقين الذي يعجز عن اثبات بطلانه كل المخالفين من الدينيين واللا دينيين، إلا بالسفسطة والسخرية، ويعجزون عن مواجهته إلا بالقوة. تريدون تحويل الموضوع الى النسبية الفكرية بقصد السفسطة ونحن قد أثبتنا في حوارات سابقة بطلان

^١ - سورة الانفطار

^٢ - سورة العنكبوت

أصل مذهب النسبية الفكرية منطقيًا، وبطلانه كطريق للتشكيك في حقانية عقائد الإسلام.

الملحد – آيات القرآن متناقضة حتى قال بعض المفسرين أن آيات الرحمة منسوخة بآيات السيف.

المؤمن – لا يوجد تناقض ولا نسخ كما يزعم البعض، وهذه ضحالة الفكر المخالف لآل محمد صلوات الله عليهم هي التي انتجت داعش واسلافها، وإنما هو لكل مقام مقال ولكل حكم موضوعه ولكل حكم وموضوع شروطه وقيوده فلا تناقض ولا تهافت. والخلاصة ما قاله تعالى: ((فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١٤٧)))^١.

الملحد – إذا كان دين رحمة فلماذا كل هذه الحروب والفتوحات لآسيا وأفريقيا والأندلس، وكل هذه الفدية والجزية والغنائم والسبي.

المؤمن – ١- قلنا لكم إن الجهاد هو ضرورة لرفع المانع الذي يضعه الكافر الحربي من وصول دعوة الإسلام الى الناس، ولدفع خطر الكافرين ومنع فتنهم للمؤمنين واخلالهم بالنظام الإسلامي، وليس لإجبارهم على الإيمان. وكل ذلك بشروط وقيود وقواعد. قلنا لكم إن الأصل هو الرحمة وإن العذاب استثناء ولم نقل لكم أنه لا يوجد عذاب. بل الأصح أن العذاب هو رحمة بالنظر الأشمل الأكمل.

٢- الحروب التي حدثت بعد رحيل الرسول الأكرم باسم الفتوحات الإسلامية كانت بإرادة وإدارة وقيادة غير شرعية بالنسبة لنا، فالإسلام المحمدي الأصيل غير مسؤول عما شابها من الخروقات.

الملحد – اليهود والنصارى يؤمنون بالله والنبوة والمعاد، فلماذا تقاتلونهم؟

المؤمن – أصحاب الرسالات الإلهية كاليهود والنصارى يسمون ((كافر كتابي))، لكفرهم بآخر الرسالات الصادرة من الله تعالى ومحاربتهم لها، بغيا

^١ - سورة الأنعام

وحسدا وعنادا واستكبارا، فهم جعلوا رسالة النبي موسى ورسالة النبي عيسى عليهما السلام حزبا يتعصبون له، وكان الواجب عليهم بعد تمام البيان والبرهان أن يؤمنوا بالرسالة الإسلامية. قال تعالى: ((وَكَتُبْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨) وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٥٩))^١.

فهؤلاء الواجب عليهم من الله تعالى هو الإيمان بالإسلام المصدق لما سبق من الرسل والرسالات والمكمل والمهيمن عليها، فإن لم يؤمنوا فهم حرب للإسلام وتجب مقاتلتهم، إلا إذا ارتبطوا بعهد أو عقد ذمة مع الإسلام بشروط معينة ومنها دفع الجزية، فيتم اقرارهم على دينهم ويصان دمهم وعرضهم ومالهم، ويسمون حينئذ ((كافر ذمي)) أي أهل الكتاب الإلهي المرتبطون مع الإسلام بعقد الذمة.

الملحد – ولماذا فرض الجزية على النصارى؟

المؤمن - بالنسبة للنصراني الذي يعبد النبي عيسى بن مريم عليهما السلام، ويكفر بآخر الرسالات الآتية من الله تعالى، ويجعل من عقيدته الباطلة هذه حزبا سياسيا يتعصب له بعد كل البيان والبرهان، تريد أن يقره الله تعالى على عقيدته الباطلة ويكون محترم الدم والمال والعرض مجانا! المسلمون أنفسهم عليهم حقوق مالية واجبة كالخمس والزكاة. هذه الجزية مجرد ضريبة مالية صغيرة مقابل قيام الدولة الإسلامية بإقرارهم على عقيدتهم الباطلة

^١ - سورة الأعراف

وحماية دمههم ومالههم وعرضهم، فلا يؤخذ منهم ما يؤخذ من المسلمين من الضرائب الشرعية.

الملحد - الضرائب قانون دول متحضرة لا علاقة له بالدين، ومعظم قوانين دينك لا تلائم العصر.

المؤمن - معظم ضرائب دولك المتحضرة هي جائرة، والحضارة ليست موديل ملابس. قصدكم لا تلائم مزاجيات العصر، هي المزاجيات يجب ان تنضبط بحدود الشرع لا أن الشرع يجب عليه أن يتغير حسب المزاجيات.

الملحد - كان الأحرى على الله أن يتواصل مع الناس عن طريق إرساله الملائكة تتواصل مباشرة معهم وتقنعهم، بدل أن يأمر بالحرب بين مخلوقاته. هل هو إله حكيم عندما ترك العنف ينتشر بين الناس بسبب دعوته؟ لو كان لك حقا القليل من الفطنة ستكتشف خرافة الاسلام بنفسك دون أن تحتاج إلى إعلام الالحاد.

المؤمن - وهل تسمي هذه فطنة!! هذه سفسطة وحيلة العاجز، فأنت تركت ما اشتمل عليه حوارى من كلام منطقي وبرهان عقلي وقرآني وجئت تطلب نزول الملائكة لكي تؤمن! طلبك هذا قديم جدا ومرفوض، فقد طلب المشركون المستكبرون عدة طلبات مزاجية ليجادلوا بالباطل بعد أن عجزوا عن تكذيب البراهين، ومن طلباتهم كان انزال كتاب خاص بكل واحد منهم وانزال ملائكة، بل قبلهم طلب قوم النبي موسى رؤية الله تعالى ليؤمنوا، ولكن كان رد الله تعالى هذا: ((وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٧) وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَفُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ (٨) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ (٩))^١، ((وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ (١٢٤))^٢.

^١ - سورة الأنعام
^٢ سورة الأنعام

يا عزيزي، إن القناعة بتوحيد الله تعالى وصفاته الجمالية والجلالية والقناعة ببطلان عبادة الأصنام والبشر وكل ما عدا الله تعالى، بعد هداية الفطرة والعقل والنبوة؛ أمر ضروري الحصول لمن كان سليم العقل والفطرة، وكذلك تشريعات الإسلام وتعاليمه الأخلاقية ليست مناقضة للفطرة السليمة والعقل السليم بل هي بلا شك أفضل من حالة الجاهلية التي تعم المجتمعات قديما والآن، ولأجل هذا فلا يحتاج الإيمان بحقانية الإسلام الى رؤية الملائكة لمن كان سليم العقل والفطرة. نعم، من كان يضل نفسه ويخادعها ويلبس عليها الشبهات ليمنعها من الإذعان لما عرفت من الحق بسبب نوازع الكبر والحسد والحقد والبغي التي لديه، وبسبب تصادم الإسلام مع مزاجياته ومصالحه؛ فهذا الحال هو الاختبار والابتلاء له حتى يقرر مصيره بكامل ارادته.

الاختبار والابتلاء هو سنة الله تعالى في خلقه، لأنه يكشف حقيقة الإنسان أمام نفسه ولأنه شرط للتكامل، فقد خلق الله تعالى الإنسان للكمال وأعطاه حرية الاختيار ليقرر مصيره بنفسه وزوده بهداية الفطرة والعقل والنبوة، ولو شاء الله تعالى لهدى الناس جميعا قهرا بأن يسلبهم كافة المبررات النفسية والعقلية والظرفية غير الصحيحة للرفض، ولكن ذلك خلاف الحكمة، والله هو الحكيم المطلق والحكيم لا ينقض غرضه. هذا الكلام يشمل المسلمين أيضا. قال تعالى: ((هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨) وَلَا تَهْنُؤْا وَلَا تَحْزَنْوْا وَأَنْتُمْ الْاَعْلَوْنَ اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) اِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْاَيَّامُ نُدَاوِلْهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّٰهُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَآءَ وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِيْنَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللّٰهُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِيْنَ (١٤١) اَمْ حَسِبْتُمْ اَنْ تَدْخُلُوْا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّٰهُ الَّذِيْنَ جَاهَدُوْا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصّٰبِرِيْنَ (١٤٢)))^١، وقال تعالى: ((مَا كَانَ اللّٰهُ لِيُبْدِرَ الْمُؤْمِنِيْنَ عَلٰى مَا اَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتّٰى يَمِيْزَ الْخَبِيْثَ مِنَ الطّٰيِّبِ وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلٰى الْغَيْبِ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يَجْتَبِيْ مِنْ رُّسُلِهِ مَن يَّشَآءُ فَاٰمَنُوْا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ وَاِنْ تُوْمِنُوْا وَتَتَّقُوْا فَلَكُمْ اَجْرٌ عَظِيْمٌ (١٧٩)))^٢، وقال تعالى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُوْلُ اٰمَنَّا

١ - سورة آل عمران

٢ - سورة آل عمران

بِاللَّهِ وَيَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا
يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ
١(((١٢))).

فالله تعالى يريد أن يمحص المؤمنين ويمحق الكافرين المعاندين المستكبرين
((لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ
٢(((٤٢))).

الملحد - أنت حر في تفكيرك، أما بالنسبة لي فأنا أختلف مع انتهاج العنف
لنشر الدين دون ايجاد حلول سلمية موازية لذلك، أما قضية أن الله لو أرسل
ملائكة لما آمن الناس جميعا فهذا غلط، لأن الأنبياء جميعا قد آمنوا حين
رؤيتهم الملائكة.

المؤمن - ١ - حوارنا كله هو رد على هذه الفرية. نكررها للمرة الألف:
الايمان مسألة قلبية لا تنتشر بسيف، اسلوب الدعوة هو الحكمة والموعظة
الحسنة و المجادلة بالتي هي احسن، فيستحيل لمن كان سليم العقل والفطرة
أن لا يؤمن مع هذا الأسلوب، والسيف ليس لنشر الاسلام بمعنى إدخال
الإيمان للقلوب والقناعة في العقول، بل لرفع المانع من وصول دعوة الاسلام
للناس، والمانع هم فئة المستكبرين المعاندين المعتدين، الذين رفضوا الإسلام
حقدا وحسدا وبغيا لأنه يتصادم مع مزاجياتهم ومصالحهم، وقد أوضحنا أن
كل آية قتال وحرب في القرآن هي محكمة بقوله تعالى: ((وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠)))^٣.

٢ - نحن لم نقل إن الناس إذا رأوا الملائكة سوف لا يؤمنون. بل قلنا إن سليم
العقل والفطرة وطالب الهداية حقا لا يحتاج الى رؤية الملائكة ليؤمن بعد
تمام دلالة الفطرة والعقل والنبوة، وقلنا إنه لا بد من الاختبار والابتلاء فليس

١ - سورة البقرة

٢ - سورة الأنفال

٣ - سورة البقرة

من الحكمة أن تكشف الأجوبة للمتحنين وإلا فلا معنى للاختبار ولا معنى لوجود مرحلة أرقى. فهؤلاء المستكبرون المعاندون إنما كانوا يطلبون رؤية ملائكة أو أن ينزل كتاب خاص على كل فرد منهم أو أن يروا الله جهرة ليس بقصد طلب الهداية بل بقصد الجدل والتعجيز والفاكاهة ومخادعة أنفسهم، وإلا فمعظم المشركين يعرفون الله تعالى ويعرفون النبي إبراهيم ويعلمون أن النبي إبراهيم لم يكن ملاكاً، وكذلك أهل الكتاب من اليهود والنصارى وغيرهم. هؤلاء يظنون أنهم إن أتاهم ما يطلبون سوف يؤمنون بالضرورة وأنهم من البلاء والاختبار سوف يملصون، والله تعالى يقول لهم أنكم واهمون، قال تعالى: ((وَأَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩) وَنَقَلَبُ أَمْعَانَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠) وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (١١١)))).^١

فالحق أن هؤلاء – وأنتم كذلك - لم يكونوا مكذبين لهداية الرسول الأكرم وهي مدعومة بهداية الفطرة والعقل، لكنهم يخادعون أنفسهم لطمس ما عرفوه من الحق لأنه يتصادم مع أهوائهم المريضة وثقافتهم الخاطئة فلم يطلبوا هذه الطلبات إلا جدلاً وسخرية وتعجيزاً لتبرير خيانتهم لأنفسهم، فلما استحباوا الكفر على الإيمان، والباطل على الحق، ما كان لله أن يهديهم جبراً وإلا انتقض الغرض من الاختبار والتكليف والعقل والنبوة، والحكيم لا ينقض غرضه، بل زادهم الله مرضاً ومدهم في طغيانهم يعمهون. قال تعالى: ((قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣) وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ (٣٤) وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٥) إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ

^١ - سورة الأنعام

يُرْجَعُونَ (٣٦) وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٧) ١.

الملحد – وبماذا تفسر الآيات التي تحرض على العنف والقتل مثل: ((فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ)) ٢.

المؤمن – أفسرها بما كررته سابقا. انت هنا قطعت سياق الآيات، وتمايم الآيات يثبت سمو الإسلام و وفاءه بالعهود واعطاءه الأمان للمشركين حتى يسمعوا البيان المبين للدعوة، وأنه لم يقاتل سوى ناكثي العهد والخونة المتآمريين المعتدين فلاحظ السياق: ((إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْفُسُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٤) فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥) وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (٦) كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧) كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (٨) اسْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩) لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (١٠) فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفِصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١١) وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (١٢) أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَ اللَّهَ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣) ٣.

١ - سورة الأنعام

٢ - سورة التوبة

٣ - سورة التوبة

فلا يوجد نسخ لآيات الرحمة والسلام بآيات الحرب والقتال كما زعم البعض.
الملحد – يعني تريد أن تقنعنا أن الإسلام ليس فيه حرب وقتل وقتال باسم
الجهاد لنشر الإسلام؟

المؤمن – ومن قال ذلك؟ نعم يوجد في الإسلام حرب وقتال باسم الجهاد
لنشر الإسلام. إن الله تعالى يريد أن يمحص المؤمنين ويمحق الكافرين
المعاندين المستكبرين ((لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ
وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢)))^١.

فليست الحرب والقتال لنشر الإسلام بمعنى اجبار الناس على الإيمان
بالسيف، لأن الإيمان والكفر مسألة قلبية ولا سلطان للسيف على القلب، هذا
أمر بديهي، وهذا هو معنى لا إكراه في الدين، وإنما الحرب والقتال لنشر
الإسلام بمعنى أن الحرب والقتال يمهد الطريق لنشر الإسلام باجتثاث
الكافرين المعاندين المستكبرين الواقفين سدا منيعا أمام إيصال دعوة الإسلام
للناس، وبتعبير آخر إن الجهاد ليس بنحو المقتضي للإيمان بل بنحو رافع
المانع عن الإيمان، وبتعبير آخر إن الجهاد ليس هو الموجب لنشر الإسلام
بل هو لرفع الحائل دون نشر الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة
بالتي هي أحسن.

الملحد – إذن داعش هي التي تمثل الإسلام الحقيقي.

المؤمن – داعش فرع شجرة أموية خبيثة متسترة بالإسلام. داعش لا تفترق
عنكم من حيث بطلان فهمكم للإسلام، وتفترق عنكم من حيث بطلان تطبيقها
للإسلام. مللت وأنا أبين لكم حقيقة الإسلام المحمدي الأصيل وغاياته ومنهجه
في الدعوة، وحقيقة الجهاد وغاياته وقواعده وشروطه، وها أنتم تزعمون
تمثيل داعش للإسلام الحقيقي. الأصح هو تمثيل ستالين والفكر الشيوعي
الماركسي والحزب البلشفي لحقيقة الإلحاد وغاياته وتطبيقاته. نحن الذين
حاربنا داعش عقائديا وعسكريا وخلصنا العالم من سيطرة أعتى فكر
وعصابة إرهابية، بينما لم يحارب ملاحدة العالم ستالين. الأمر لا يحتاج الى

^١ - سورة الأنفال

عبقرية فكل السياسيين والمتقنين والمطلعين في العالم يعلم أن داعش والقاعدة وطالبان وبوكو حرام وجبهة النصرة، ومن لف لفه من الحركات الإرهابية؛ كلها تعود الى فكر اعتقادي واحد هو الفكر السلفي الأموي المنافق المتستر بالإسلام.

الملحد – أنتم دواعش ولكن مع وقف التنفيذ. أنتم تريدون اجتثاث كل مخالف لكم لا يؤمن بالإسلام الذي تؤمنون به ولكنكم تنتظرون امامكم المهدي، فأنتم الشيعة تندبونهم بدعاء النذبة كل جمعة وتقولون: ((أين مبيد العتاة والمردة أين مستأصل أهل العناد والتضليل والإلحاد)).

المؤمن – أدتكم هذه العبارة؟ كم مرة قلت لكم أن لا تتورطوا مع النصوص الروائية لأنه يجب عليكم أولا اثبات المصدر والسند. عموماً، فإن مضامين دعاء النذبة توافق القرآن الكريم وتؤكد كل ما بينته لكم مسبقاً. دعاء النذبة الذي بترتم منه هذه العبارة يقول: ((اللهم لك الحمد على ما جرى به قضاؤك في أوليائك الذين استخلصتهم لنفسك ودينك إذا اخترت لهم جزيل ما عندك من النعيم المقيم الذي لا زوال له ولا اضمحلال بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية وزخرفها وزبرجها فشرطوا لك ذلك وعلمت منهم الوفاء به فقبلتهم وقربتهم... وتخيرت له أوصياء مستحفظا بعد مستحفظ من مدة إلى مدة إقامة لدينك وحجة على عبادك ولئلا يزول الحق عن مقره ويغلب الباطل على أهله ولئلا يقول أحد لولا أرسلت إلينا رسولا منذرا وأقمت لنا علما هاديا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزي إلى أن انتهيت بالأمر إلى حبيبك ونجيبك محمد صلى الله عليه وآله فكان كما انتجبتة سيد من خلقتة وصفوة من اصطفيتة وأفضل من اجتبيتة وأكرم من اعتمدته قدمته على أنبيائك وبعثته إلى الثقليين من عبادك... أين بقية الله التي لا تخلو من العترة الهادية أين المعد لقطع دابر الظلمة أين المنتظر لإقامة الأمت والعوج أين المرتجى لإزالة الجور والعدوان أين المدخر لتجديد الفرائض والسنن أين المتخير لإعادة الملة والشريعة أين المؤمل لإحياء الكتاب وحدوده أين محيي معالم الدين وأهله أين قاصم شوكة المعتدين أين هادم أبنية الشرك والنفاق أين مبيد أهل الفسوق والعصيان والطغيان أين حاصد فروع الغي والشقاق أين طامس آثار الزيف والأهواء أين قاطع حبال الكذب

والافتراء أين مبيد العتاة والمردة أين مستأصل أهل العناد والتضليل والإلحاد، أين معز الأولياء ومذل الأعداء أين جامع الكلم على التقوى... هل إليك يا ابن أحمد سبيل فتلقى هل يتصل يومنا منك بعدة فنحظى متى نرد مناهلك الروية فنروى متى ننتقع من عذب مائك فقد طال الصدى متى نغاديك ونراو حك فتقر عيوننا. متى ترانا ونراك وقد نشرت لواء النصر، ترى أترانا نحف بك وأنت تؤم الملاء وقد ملأت الأرض عدلا وأذقت أعداءك هوانا وعقابا وأبرت العتاة وجحدة الحق وقطعت دابر المتكبرين واجتثت أصول الظالمين ونحن نقول الحمد لله رب العالمين اللهم))¹.

فقوله ((اللهم لك الحمد على ما جرى به قضاؤك في أوليائك الذين استخلصتهم لنفسك ودينك إذا اخترت لهم جزيل ما عندك من النعيم المقيم الذي لا زوال له ولا اضمحلال بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية وزخرفها وزبرجها فشرطوا لك ذلك)) دليل على نزاهة مقاصد الأنبياء وخلو دعوتهم من الأطماع والمصالح الدنيوية، فليس همهم الملك وفرض سيطرتهم على الناس بإياديه كل من يعارضهم، بل هم أحرص على حياة الناس من أنفسهم، وإنما غايتهم هداية الناس للغاية من خلقهم.

وقوله ((وتخيرت له أوصياء مستحفظا بعد مستحفظ من مدة إلى مدة إقامة لدينك وحجة على عبادك ولئلا يزول الحق عن مقره ويغلب الباطل على أهله ولئلا يقول أحد لولا أرسلت إلينا رسولا منذرا وأقمت لنا علما هاديا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى إلى أن انتهيت بالأمر إلى حبيبك ونجيبك محمد صلى الله عليه وآله...)) دليل على أن أوصياء الأنبياء هم سائرون على خطى الأنبياء من حيث نزاهة المقصد والهدف والتطبيق.

وقوله ((أين بقية الله التي لا تخلو من العترة الهادية أين المعد لقطع دابر الظلمة أين المنتظر لإقامة الأمة والعوج أين المرتجى لإزالة الجور والعدوان أين المدخر لتجديد الفرائض والسنن أين المتخير لإعادة الملة والشريعة أين المؤمل لإحياء الكتاب وحدوده أين محيي معالم الدين وأهله)) دليل على رفضنا لداعش ولكل حركة ومذهب مخالف للإسلام المحمدي

¹ - إقبال الأعمال ، السيد ابن طاووس ، ص ٦٠٤-٦٠٩

الأصيل، ودليل على أن كل ما هو موجود لا يمثل الإسلام في أشمل وأكمل تعاليمه وتطبيقاته.

وقوله ((أين قاصم شوكة المعتدين أين هادم أبنية الشرك والنفاق أين مبيد أهل الفسوق والعصيان والطغيان أين حاصد فروع الغي والشقاق أين طامس آثار الزيف والأهواء أين قاطع حبال الكذب والافتراء أين مبيد العتاة والمردة أين مستأصل أهل العناد والتضليل والإلحاد... أترانا نحف بك وأنت تؤم الملاء وقد ملأت الأرض عدلا وأذقت أعداءك هوانا وعقابا وأبرت العتاة وجددة الحق وقطعت دابر المتكبرين واجتثت أصول الظالمين)) يوافق ما قلته لكم مسبقا " نعم يوجد في الإسلام حرب وقتال باسم الجهاد لنشر الإسلام. إن الله تعالى يريد أن يمحص المؤمنين ويمحق الكافرين المعاندين المستكبرين ((لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّٰ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢))). فليست الحرب والقتال لنشر الإسلام بمعنى اجبار الناس على الإيمان بالسيف، لأن الإيمان والكفر مسألة قلبية ولا سلطان للسيف على القلب، هذا أمر بديهي، وهذا هو معنى لا إكراه في الدين، وإنما الحرب والقتال لنشر الإسلام بمعنى أن الحرب والقتال يمهد الطريق لنشر الإسلام باجتثاث الكافرين المعاندين المستكبرين الواقفين سدا منيعا أمام إيصال دعوة الإسلام للناس".

فنعم سيبيد خليفة الله الأعظم العتاة المردة المستكبرين من أهل الشرك والنفاق والتضليل والإلحاد، الصادين عن سبيل الله، المانعين من وصول الهداية للناس، المحاربين لله تعالى، ولا يعني إبادة البشرية لإجبارها على الإيمان. فنحن لا نجامل ولا نдахن، كما لا نداعش ولا نلاحد.

الملحد – لكن هذا يعني اشغال العالم بالحروب.

المؤمن – أحرص الناس على السلم العالمي وحياة البشر واستقرار المجتمعات هم آل بيت محمد صلوات الله عليهم، ويتبعهم أتباعهم في ذلك. ثم متى خلا العالم من الحروب العسكرية والاقتصادية؟ الأمريكيون والبريطانيون والاستراليون والكوريون والدنماركيون وغيرهم كانوا يعيشون حياة الرفاهية عام ٢٠٠٣م، بينما كانت جيوشهم تدمر وتحتل العراق

لتأمين هذه الرفاهية لهم على حساب الشعب العراقي، في حرب شهدت الأمم المتحدة بعدم مشروعيّتها، حيث لم تستطع أمريكا من تحصيل تفويض من مجلس الأمن الدولي. هل تقصد الرفاه والسلام في أمريكا وبريطانيا والكيان الصهيوني على حساب الشعب الفلسطيني؟ أم تقصد الرفاه والسلام على حساب شعوب أفريقيا؟ أنت تقصد السلام النسبي، أي السلام لمجتمع على حساب خراب واضطراب مجتمع آخر، وتقصد الاستقرار المؤقت على فوهة بركان كالحرب الباردة، وإلا فلا يوجد سلام واستقرار مطلق في العالم في أي يوم من الأيام. لن يظهر الإمام المهدي عليه السلام ما لم تستحق الإنسانية ظهوره وتكون مستعدة لحاكميته بشكل عام، ولن يكون طلابا للحرب أبدا، ولكن بالطبع فإن الطغاة المستكبرين الذين يشعلون الحروب الاقتصادية والعسكرية والانقلابات لحماية مصالحهم، وضد أي توجه يعارض هيمنتهم هم من سيبدأ محاربة الإمام المهدي عليه السلام. والنتيجة عندنا محسومة وهي انتصار الإمام وقيام دولة العدل الإلهي الكونية.

- حكم الارتداد في الإسلام

الملحد - ما هو حكم الإسلام في المرتد؟

المؤمن - هذه نبذة من احكام المرتد في الفقه الاسلامي:

((مسألة ٩٦٧: المرتدّ وهو من خرج عن الإسلام واختار الكفر على قسمين:

فطريّ وملّيّ، والفطريّ من ولد على إسلام أحد أبويه أو كليهما ثمّ كفر، وفي اعتبار إسلامه بعد التمييز قبل الكفر وجهان، والصحيح اعتباره.

وحكم الفطريّ أنّه يقتل في الحال، وتبين منه زوجته بمجرد ارتداده وينفسخ نكاحها بغير طلاق، وتعتدّ عدّة الوفاة - على ما تقدّم - ثمّ تنزوّج إن شاءت، وتقسّم أمواله التي كانت له حين ارتداده بين ورثته بعد أداء ديونه كالميت ولا ينتظر موته، ولا تفيد توبته ورجوعه إلى الإسلام في سقوط الأحكام المذكورة مطلقاً على المشهور بين الفقهاء (رضوان الله تعالى عليهم)، ولكنّه

محلّ إشكال فلا يترك مراعاة مقتضى الاحتياط فيه، نعم لا إشكال في عدم وجوب استتابته.

وأما بالنسبة إلى ما عدا الأحكام الثلاثة المذكورات فالصحيح قبول توبته باطناً وظاهراً، فيطهر بدنه وتصحّ عباداته ويجوز تزويجه من المسلمة، بل له تجديد العقد على زوجته السابقة حتّى قبل خروجها من العدة على القول ببيئونها عنه بمجرد الارتداد، كما أنّه يملك الأموال الجديدة بأسبابه الاختيارية كالتجارة والحياسة والقهرية كالإرث ولو قبل توبته.

وأما المرتدّ المَلِيّ - وهو من يقابل الفطريّ - فحكمه أنّه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وانفسخ نكاح زوجته إذا كان الارتداد قبل الدخول أو كانت يائسة أو صغيرة ولم تكن عليها عدّة، وأما إذا كان الارتداد بعد الدخول وكانت المرأة في سنّ من حيض وجب عليها أن تعتدّ عدّة الطلاق من حين الارتداد، فإن رجع عن ارتداده إلى الإسلام قبل انقضاء العدة بقي الزواج على حاله، وإلا انكشف أنّها قد بانّت عنه عند الارتداد.

ولا تقسم أموال المرتدّ المَلِيّ إلا بعد موته بالقتل أو غيره، وإذا تاب ثمّ ارتدّ ففي وجوب قتله من دون استتابة في الثالثة أو الرابعة إشكال فلا يترك مراعاة مقتضى الاحتياط.

هذا إذا كان المرتدّ رجلاً، وأما لو كان امرأة فلا تقتل ولا تنتقل أموالها عنها إلى الورثة إلا بالموت، وينفسخ نكاحها بمجرد الارتداد بدون اعتداد مع عدم الدخول أو كونها صغيرة أو يائسة وإلا توقّف الانفساخ على انقضاء العدة وهي بمقدار عدّة الطلاق كما مرّ في المسألة (٥٦٣).

وتحبس المرتدّة ويضيّق عليها وتضرب على الصلاة حتّى تتوب فإن تابت قبلت توبتها، ولا فرق في ذلك بين أن تكون مرتدّة عن ملة أو عن فطرة.

مسألة ٩٦٨: يشترط في ترتيب الأثر على الارتداد البلوغ وكمال العقل والقصد والاختيار، فلو أكره على الارتداد فارتدّ كان لغواً، وكذا إذا كان

غافلاً أو ساهياً، أو هازلاً أو سبق لسانه، أو كان صادراً عن الغضب الذي لا يملك معه نفسه ويخرج به عن الاختيار، أو كان عن جهل بالمعنى.))^١.

الملحد - ما هو الدليل على هذا الحكم؟

المؤمن - حكم قتل المرتد من الضروريات في الفقه الإسلامي عند جميع المذاهب الإسلامية، أي إنه حكم شرعي قطعي الثبوت لا خلاف في أصله، إنما الخلاف في التفاصيل. وهذه بعض النصوص الصحيحة والموثقة فيه:

١- ((محمد بن يعقوب الكليني ، عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، وعن عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد جميعا ، عن ابن محبوب ، عن العلاء ابن رزين ، عن محمد بن مسلم ، قال : سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن المرتد ، فقال : من رغب عن الإسلام وكفر بما أنزل الله على محمد (صلى الله عليه وآله) بعد إسلامه فلا توبة له و قد وجب قتله، وبانت منه امرأته ، ويقسم ما ترك على ولده))^٢.

٢- ((محمد بن يعقوب الكليني، عن عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، و علي بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد جميعا، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن عمار الساباطي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كل مسلم بين مسلمين ارتد عن الاسلام وجدد محمدا صلى الله عليه وآله نبوته وكذبه فإن دمه مباح لكل من سمع ذلك منه وامرأته باينة منه يوم ارتد فلا تقربه ويقسم ماله على ورثته وتعتد امرأته عدة المتوفي عنها زوجها وعلى الامام أن يقتله ولا يستتبه))^٣.

الملحد - أنا مرتد فطري، يعني رجعت الى فطرتي التي هي الإلحاد، يعني أن الأصل في الإنسان هو الإلحاد.

١ - منهاج الصالحين ، السيد السيستاني ، ج ٣ ، كتاب الميراث ، ص ٣١٧-٣١٨

٢ - كتاب الكافي للشيخ الكليني ، الجزء السابع ، باب حد المرتد ، الحديث رقم ١

٣ - كتاب الكافي للشيخ الكليني ، الجزء السابع ، باب حد المرتد ، الحديث رقم ١١

المؤمن – هذا تلاعب بالألفاظ أم سوء فهم للمصطلح الفقهي؟ المرتد الفطري يعني المرتد عن فطرة الإسلام، وليس بمعنى العائد الى فطرة الكفر. فالكفر ليس فطرة بل هو انحراف وطمس للفطرة.

الارتداد قسمان: ارتداد عن فطرة وارتداد عن ملة ، فالارتداد عن الفطرة هو ان يكون الشخص مسلما بحسب فطرة الله التي فطر الناس عليها، اي غير مسبوق بحالة كفر منافية للفطرة، ثم يكفر بعد ذلك ويخرج عن الاسلام، وارتداده عن الاسلام هو بمعنى عودته الى حالة المادة الميتة قبل ان يخلقه الله انسانا مفطورا على الاسلام، فهو تسافل عن الرتبة الانسانية، قال الله تعالى: ((كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨)))^١، أما الارتداد عن ملة فهو ان يكون الشخص مسبوقا بحالة كفر فينتحل الاسلام ويتخذه ملة ثم يكفر ويرجع الى حالة الكفر السابقة.

الملحد – وما ذنبي أنني ولدت من أبوين مسلمين وفي بيئة مسلمة، قد كنت طفلا لا أعرف شيئا، لكنني كبرت وبحثت وتعلمت فاخترت الإلحاد.

المؤمن – هذا ليس ذنبا بل نعمة وأنت جددتها. فهل تخادع نفسك أم تخادعني؟ إن الإيمان بالله والنبوة والمعاد مفطور عليه الإنسان، أي أن الإنسان مصمم ومبرمج مقتضيا له كما أوضحنا وأثبتنا ذلك سابقا. الإيمان بالله والنبوة والمعاد أمر جدا بسيط وسهل وتلقائي لا يحتاج سوى فطرة سليمة وعقل سليم، ولا يحتاج الى تعلم وبحث ودراسة وتعمق وفلسفة ومنطق وفيزياء وكيمياء وبيولوجي واثربولوجي واركولوجي وسيسولوجي واثولوجي ولا غيرها. نعم، الإيمان يحتاج ذلك لمن تعرضت فطرته لتلويث ومن تعرض عقله لغزو فكري نتيجة تعليم باطل وبيئة فاسدة. أنتم تعرضت فطرتكم للتلوث وتعرض عقلكم لغزو فكري.

الملحد – والشخص الذي لم ينعم عليه الله فيخلقه من أبوين مسلمين في بيئة مسلمة، ما هو ذنبه؟ أليس هذا ظلما؟

^١ - سورة البقرة

المؤمن - لا ذنب له وما كان ربك بظلام للعبيد. الولادة من أبوين مؤمنين،
نعمة وابتلاء أيضا قد يفشل فيه الشخص، كما فشلت أنت، قال تعالى: ((مَا
كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا
كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٩)))^١.

وكما أن الابتلاء والاختبار لا يخلو منه أحد مسلم أو كافر، فكذلك رحمة
وعطاء الله تعالى تشمل الجميع، قال تعالى: ((كُلًّا نُمِدُّ هُوَآءًا وَهَوَآءًا مِنْ
عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠)))^٢.

الملحد - ولماذا يقتل المرتد؟ إنها حرية فكرية وليست جريمة.

المؤمن - الارتداد بكلا قسميه جريمة عظيمة يرتكبها المرتد في حق نفسه
أولا، اذ لا يوجد جريمة أشع من تنازل الانسان عن رتبته الوجودية
وانحطاطه الى مرتبة البهيمة او الحجارة، تلك الرتبة التي كرمه الله بها
وفضله بها على كثير من خلقه كما قال تعالى: ((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ
وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ
خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠)))^٣، كما هو سرطان اجتماعي ينخر جسد المجتمع المسلم
ويقذف به في مهاوى الرذيلة، كما أوضحنا سابقا الملازمة بين الإلحاد
ورذائل الأخلاق، بمعنى أن الإلحاد هو بذاته يقتضي ويدعو الى رذائل
الأخلاق، وما يظهر من بعض فضيلة الأخلاق من بعض الملاحدة إنما هو
بسبب بقايا فطرة الأخلاق عندهم، وبسبب بقايا تعاليم الدين وبسبب القوانين
الوضعية، كما اعترف لي بذلك بعضهم. لأجل ذلك جاءت احكام الاسلام
المرتتبة على الارتداد مناسبة لعظم هذه الجريمة وابعادها النفسية
والاجتماعية الخطيرة فقال تعالى: ((وَمَنْ يَزِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ
كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ (٢١٧)))^٤، فلا ينظر الإسلام للارتداد على أنه مجرد حرية فكرية

١ - سورة آل عمران

٢ - سورة الإسراء

٣ - سورة الإسراء

٤ - سورة البقرة

شخصية كما يخدم الملاحدة انفسهم، فليس الارتداد موديل ملابس ولا رأيا سياسيا ولا موقفا فكريا في قضية جزئية، بل هو موقف كوني جذري يترتب عليه كل شيء، وبما أنه موقف باطل فاسد فيترتب عليه بطلان وفساد كل شيء، والإسلام المحمدي الأصيل موقف كوني جذري حق صالح فيترتب عليه حقانية وصلاح كل شيء.

الملحد - شخص ترك الأديان، ليس بغية الفساد لكنه كمثّل ستيفن هوكينغ غير مقتنع ولا يؤذي أحدا. هل يحق قتله لأنه لم يعتقد بما تعتقد؟

المؤمن - ستيفن هوكينغ لم يكن مسلما أصلا حتى يكون مرتدا، ونحن كلامنا هنا عن حكم المرتد عن الإسلام، وإن كنت تقصد شخصا مثل ستيفن من الناحية العلمية كان مسلما ثم ارتد وصار داعية للإلحاد مثل ستيفن هوكينغ فهذا أوضح أمثلة السرطان الاجتماعي، فكيف تقول لا يؤذي أحدا!! ربما أنت الحدت تبعا لدعوى ستيفن هوكينغ للإلحاد، فلو اقتصر ستيفن هوكينغ على بيان الفرضيات العلمية لما وصلت اليك شهرته ولا عرفته ولا ضربته مثلا، فإنما هو واحد من ألوف المختصين في هذا المجال، بل هناك من هو أفضل منه بكثير جدا ومنهم ملاحدة أيضا وحائزون على جائزة نوبل، التي لم ينلها ستيفن رغم الجعجة الإعلامية، إلا أنه تم التطويل به للإلحاد. الرجل قرصنته مؤسسات تروج للإلحاد باسم العلم، وربما هو مغلوب على امره وتحكمه بنفسه لم يكن بيده.

الملحد - أنت داعشي.

المؤمن - لعنة الله على الدواعش. قد فرغنا من ابطال هذه البالون الإلحادي.

الملحد - ألسنت تريد قتلنا.

المؤمن - بل أريد حياتكم ولذلك أنا هنا. أنتم من سألتموني عن حكم المرتد وأنا قد نقلت لكم الفتوى وأجبت عن اعتراضاتكم عليها، فأنا لست حاكما شرعيا ولا محققا بل اتحاور بشكل عام، وقد اخبرتكم بأننا لا ندهن ولا نجامل كما لا نداعش ولا نلاحد. الغريب أن الملحد يؤمن بقانون الطبيعة

بالانتخاب الطبيعي والصراع من أجل البقاء، ثم يستنكر اجتثاث السرطان الاجتماعي لمصلحة بقاء وسلامة الجماعة.

الملحد – صحيح، لكن المرتد ليس سرطانا اجتماعيا.

المؤمن – يعني أنتم تتفقون معي من حيث المبدأ في كون اجتثاث السرطان الاجتماعي لمصلحة بقاء وسلامة الجماعة هو موافق لمبادئ الإلحاد، لكنكم تدعون أن الارتداد ليس سرطانا اجتماعيا يلزم اجتثاثه، ونحن نعتقد بخلاف ذلك، أنتم أحرار فيما تدعون ونحن أحرار فيما نعتقد، وبالطبع من باب غريزة حب الذات فإن الطرف المقصود بالاجتثاث يرفض هذا الحكم، فالمجرم طبيعي يرفض حكم الإعدام.

الملحد – هذا ليس قانون الطبيعة بل هو تشريع دينكم.

المؤمن – أعرف، ولكن هو موافق لمبادئ الإلحاد فلماذا ترفضونه، أليس من باب غريزة حب الذات؟ كالقاتل السفاح الذي يرفض حكم الإعدام.

الملحد – القاتل السفاح هو مجرم بحق المجتمع ويعتدي على الآخرين، فهو يستحق الإعدام لذلك.

المؤمن – أنت ترى ذلك، ولكن المجرم السفاح يرى مشروعية عمله وينفي استحقاقه للإعدام ويرفض قانون الإعدام ويبيغضه، فبأي حق تقتلونهم؟

الملحد – الارتداد حرية فكرية والمجرم السفاح يعتدي على المجتمع.

المؤمن – هذا زعمك، وعقيدتنا أن الارتداد سرطان مدمر للمرتد والمجتمع بل هو أخطر من القاتل المجرم السفاح. ونحن في القسم الفكري من حوارنا الأخلاقي قبل مناقشة الشبهات، عرضنا حقيقة أخلاق الملاحدة بحسب مبادئ وفلسفات وقوانين الملاحدة، وأثبتنا الملازمة بين الإلحاد ورتائل الأخلاق.

الملحد – من تكون أنت حتى تحكم بقتلي لأنني خرجت من دينك؟

المؤمن – ومن تكون أنت حتى تحكم بقتل المجرم القاتل السفاح وهو يعتقد مشروعية عمله؟ لماذا تصادر حريرته؟

الملحد – هذا يضر الآخرين.

المؤمن – هذا برأيك، وأنت تضر الآخرين باعتقادنا.

الملحد – هذا فكر وليس التفكير جريمة حتى يتم قتله.

المؤمن – هنا يجب أن نوضح الاشتباه. ليس الارتداد كفكر هو الجريمة التي توجب حد القتل للمرتد، هنا نقول لا اكراه في الدين لأن الإيمان قضية قلبية، ولكن الجرم الموجب لحد القتل هو الإعلان والاظهار للارتداد. الارتداد كفكر هو أمر باطني، ولا علم لنا به ولا شأن لنا به، بل نعامله على ظاهر الإسلام، وإنما حسابه يوم القيامة على ما أجرم في حق نفسه، فإن كان الارتداد عن جحود للحق استكبارا وعنادا وبغيا ومزاجا فلن يغفر الله له أبدا، مالم يتب، قال تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا (١٣٧) بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨)))^١. ولكن الجهر والإعلان بالارتداد والإلحاد، هذا فعل وليس فكرا، وهذا هو الجريمة التي توجب عقوبة القتل في الدنيا. فهل عرفتم الآن أن عقوبة قتل المرتد لا تنافي لا اكراه في الدين.

الملحد – وهذا قمع ومنع من حرية التعبير.

المؤمن – كما ترضون قمع ومنع حرية المجرم القاتل.

الملحد – هذا المجرم قاتل ويجب منعه وردعه.

المؤمن – هذا المرتد المجاهر المفاخر المروج للإلحاد هو مجرم في حق نفسه والمجتمع واقعا وحقيقة، إنه فايروس خبيث يهلك نفسه والمجتمع. الإلحاد هو موقف كوني يترتب عليه كل شيء، وبما أنه موقف باطل فاسد فيترتب عليه بطلان وفساد كل شيء.

الملحد – المرتد مفكر وينشر فكر ويريد تحرير غيره.

المؤمن – هذا رأيك، وعندنا المرتد فايروس يريد الفتك بالمجتمع.

^١ - سورة النساء

الملحد – وأين الكرامة الإنسانية التي تتشددون بها؟

المؤمن – تتوهمون بأن الإنسانية هي الصورة النوعية للبشر. الملحد المرتد المجاهر الناشر هو من اختار التنازل عن رتبته الوجودية الإنسانية وانحط الى الرتبة البهيمية تبعا لشهواته ومزاجياته، ولم يكتف بذلك حتى جعل البهيمية رسالة يبشر بها.

الملحد – هل تتصور هذا كلامك سيقنع انسانا؟

المؤمن – الانسان سليم الفطرة والعقل سيقنع بلا شك. نحن ذكرنا تعريف الارتداد والمرتد وبعض احكامه ليس لأجل الإرهاب، بل حتى ينتبه العقلاء الى خطورة الارتداد على المجتمع في شرع الله فاطر الانسان والأعلم بذات الصدور، وحتى يعلم الملاحظة أننا لا نجامل على حساب الدين، ونخفي احكام الله كما قد يفعل البعض.

إن مجال الحرية الفكرية وحرية التعبير والممارسة واسع في الإسلام جدا، ولكن ليس الى درجة استيعاب الغدد السرطانية المتلبسة بثوب حرية الفكر والتعبير والممارسة. أنتم تعترفون بأنكم تجعلون الإلحاد رسالة تبشرون بها، فبماذا تبشرون؟ تبشرون بكل الفواحش والموبقات وكل رذائل الأخلاق وكل فكر وسلوك وممارسة تهدم كيان الأسرة والمجتمع. أنتم تقولون للناس إنه ليس هناك خالق ولا كتاب ولا حساب ولا معاد ولا جنة ولا نار ولا حسيب ولا رقيب، وأنه ليس هناك واجبات ولا محرمات تحدد سلوك الفرد مع نفسه وتجاه الزواج والأطفال والارحام والمجتمع، إلا بمقدار ما يحدده المزاج المتغير كل حين والقانون الوضعي المتحور كل حين، وتقولون للناس إنه لا توجد واقعية وثبات واطلاق للأخلاق بل هي كل يوم في حال، وتقولون للناس إنه ستكون نهايتكم جيفة تفتاتها الديدان أو غبارا تذروه الرياح، فاعتنوا حياتكم القصيرة بكل ما تشتهون مما يستحسنه مزاجكم وتهواه الأنفس بحدود ما يسمح به القانون الوضعي الذي وضعناه لهذه الفترة ريثما يتم تحويره ليناسب فترة اشد انحطاطا.

أليست هذه هي خلاصة رسالتكم الأبيقورية التي تبشرون بها تحت شعار حرية الفكر والتعبير؟ فلا يحق لكم لومنا إن عرفناكم بأنكم سرطان اجتماعي يجب عقلا وشرعا اجتثاثه.

الملحد - ها أنت تحرض على القتل.

المؤمن - لسنا كما تزعمون ولا كما داعش يطبقون. المسألة ليست فوضى بل ينبغي التحقق والبيان ومراعاة الضوابط الشرعية، وقد ذكرنا لكم مسبقا نقلا عن الرسالة العملية للسيد السيستاني قوله: ((يشترط في ترتيب الأثر على الارتداد البلوغ وكمال العقل والقصد والاختيار، فلو أكره على الارتداد فارتدّ كان لغواً، وكذا إذا كان غافلاً أو ساهياً، أو هزلاً أو سبق لسانه، أو كان صادراً عن الغضب الذي لا يملك معه نفسه ويخرج به عن الاختيار، أو كان عن جهل بالمعنى)).

الملحد - بل أنتم تخافون أن يهرب بعض أفراد القطيع فتضيع عليكم المغنم.

المؤمن - من شذ شذ الى النار. إنما نحن نحرص على هدايتكم ونجاتكم في حياتكم الخالدة بعد الموت. قال ربنا: ((وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِزْبًا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٧٦) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٧) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٧٨) مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٩)))).

الملحد - إذن نحن لا ذنب لنا وإنما الله هو الذي أضلنا وجعلنا نكفر وهو الذي يريد تعذيبنا.

المؤمن – حجة الجبرية هي احدى الحجج التي يلجأ اليها الكفار والطغاة للجدل ولتبرير كفرهم وطغيانهم. كيف يجبرك الله على الكفر وهو قد اعطاك فطرة سليمة وعقلا سليما ورسولا هاديا واعطاك حرية الاختيار؟ أنت الذي اشتريت الكفر بالإيمان وأضللت نفسك بنفسك، فما كان الله تعالى أن يجبرك على الهداية لأن ذلك خلاف الحكمة وليس لعجز فلو شاء لفعل. نعم، بعد البيان التام وتحقق كل موجبات الهداية لابد من الفتنة والابتلاء حتى يتميز الخبيث من الطيب لأن الاختبار شرط للتكامل واستحقاق الجزاء، قال تعالى: ((وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١٥)))^١. فلا تخادعوا أنفسكم بما خدع به أسلافكم من الكفار أنفسهم فقال لهم الله تعالى: ((سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٨) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩))^٢.

الملحد – فما معنى قوله: ((وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَنُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ نَعْمَلُونَ (٩٣)))^٣؟

المؤمن – الحكمة الإلهية في خلق البشر تفتضي الاختبار والابتلاء والفتنة، قال تعالى: ((الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ (٢))^٤ ، ((وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨))^٥ ، ((وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥))^٦ ، ((كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ

١ - سورة التوبة

٢ - سورة الأنعام

٣ - سورة النحل

٤ - سورة الملك

٥ - سورة المائدة

٦ - سورة البقرة

وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَسْرَىٰ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥))^١، ((وَاعْلَمُوا أَنَّمَا آمَاكُمُ
وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٨))^٢.

وكل اختبار وابتلاء وفتنة يهتدي وينجح ويفوز فيه بعض، ويضل ويفشل
ويخسر فيه بعض مع كامل حرية الاختيار للجميع، وإنما تنسب الهداية
والإضلال لله تعالى لأنه صاحب الاختبار الذي انتج هداية وفوز البعض
وضلال وخسارة البعض، فليس هداية الله تعالى أو اضلاله للشخص بمعنى
الإجبار على الاهتداء أو الضلال، وليست بمعنى التعسف والعبث في اختبار
العباد، لأن حكمة الله تعالى وعدله تقتضي أن يكون الاختبار بعد تمام البيان،
قال تعالى: ((وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ
إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١٥))^٣، ((قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ
بِوَكِيلٍ (١٠٨))^٤.

الملحد – كيف تقول إن رحمة الله واسعة وهو يقول: ((وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ
اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣))^٥.

المؤمن – نعم، رحمة الله تعالى مطلقة عامة واسعة شاملة لكل شيء،
((عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ
وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦))^٦. ولكن الكافر الجاحد بعد
تمام البيان هو من رفض رحمة الله تعالى الواسعة فكيف يطمع أن تناله!!
كمثل شخص واسع الكرم أقام مأدبة طعام عامة ودعا جميع الناس، فرفض
أحدهم الحضور باختياره، فتأتي أنت وتقول له: إنك تميز بين الناس لأن
فلانا لم يحضر المأدبة. سيقول لك: أنا أقمت مأدبة عامة ودعوت الجميع،
ولم أخصص ولم استثن أحدا ولم أطرد أحدا، فإن لم يحضر شخص باختياره
فما ذنبي أنا!!

١ - سورة الأنبياء

٢ - سورة الأنفال

٣ - سورة التوبة

٤ - سورة يونس

٥ - سورة العنكبوت

٦ - سورة الأعراف

الملحد - يعني كل البشر تدخل جهنم فقط أنتم المسلمون.

المؤمن: ١- إن كنت أنت لا تؤمن بيوم الحساب فلماذا أنت منزعج!! إن كان هذا يعني أن ضميرك يؤنبك فأرجو لك الهداية.

٢- عقائديا، لا غرابة في أن يجري شخص اختبارا عاما فينجح فيه القلة ويفشل الأكثرية لتقصيرهم. فلا يعد هذا اشكالا أخلاقيا على صاحب الإختبار.

٣- نحن لا نقول بأن كل كافر يدخل جهنم ويأس من رحمة الله تعالى. بل قلنا خصوص الكافر الجاحد بعد تمام البيان. بل حتى من المسلمين من يدخل جهنم بسبب ارتكابه المعاصي عالما عامدا ما لم يتب ويصلح، قال تعالى: ((وَمَنْ يَفُتِلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَةُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣)))^١.

الملحد - إن كان الجزاء على الأعمال فقد نجا الملحد بأعماله الصالحة وهلك المسلم بأعماله الفاسدة.

المؤمن - هذا الكلام غير صحيح أبدا. إن الله تعالى حصر النجاة بالإيمان والعمل الصالح معا، لا الإيمان وحده ولا العمل الصالح وحده. لأن الإيمان الصحيح يقتضي عملا صالحا، والعمل لن يكون صالحا دون إيمان صحيح. لذلك تجد القرآن الكريم يقرن دائما بين الإيمان والعمل الصالح في استحقاق النجاة. قال تعالى: ((وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥)))^٢، ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢)))^٣، ((وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ

١ - سورة
٢ - سورة البقرة
٣ - سورة البقرة

وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٥٧))^١، ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٩))^٢، ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٣))^٣، ((وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ (٢٣))^٤، ((إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (٦٠))^٥، ((وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (٨٢))^٦، ((إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠))^٧.

- وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

الملحد - إن مصدر الارهاب هو نبيكم، بما انه نشأ في بيئة بدوية تقدر السيف وتمتهن الغزو فقد جاءت تعاليمه تشجع العنف وتعرض على الارهاب، وهذا يعني أن الإسلام دين إرهاب.

المؤمن - هذا قول قديم قاله بعض النصارى، والحق إن هذا القول ساذج جدا، ولا يصدر من عقل سليم وتفكير مستقيم ولا من شخص له أدنى اطلاع على تاريخ مكة والإسلام، فإن النبي محمدا صلى الله عليه واله ولد في مكة وقضى معظم حياته بها وهي بيئة حضرية تجارية وليست بيئة بادية، نعم قضى فترة ٤ سنوات تقريبا في أول طفولته في بادية بني سعد للرضاعة، كما يقال، فلا أثر لهذه الفترة من الناحية الكمية والنوعية فيما يدعيه أعداء الإسلام. كما أن عائلة الرسول الأكرم وقبيلته قريش كانت تمتهن التجارة ولا تمتهن الغزو، وهو نفسه قد عمل بالتجارة، والنبي محمد صلى الله عليه واله نفسه لم يشترك في معركة قط قبل ان يكلف بالرسالة الإلهية، أي حتى

١ - سورة آل عمران
٢ - سورة المائدة
٣ - سورة هود
٤ - سورة ابراهيم
٥ - سورة مريم
٦ - سورة طه
٧ - سورة الفرقان

سن الأربعين، إلا ما قيل عن مشاركته البسيطة بعمر ١٤ أو ٢٠ سنة فيما سمي ((حرب الفجار)) ولم يثبت ذلك عند محققي الشيعة^(١)، مع كونها كانت حرباً اضطرارية دفاعية بالنسبة لقريش كما يروون، بل حتى بعد التكليف بالرسالة الإلهية هو لم يأمر ولم يشترك في حرب إلا في السنوات الثمانية الأخيرة من عمره المبارك البالغ ثلاثاً وستين سنة، وهو الذي بعد فتح مكة سنة ٨ هجرية وهزيمة جيش المشركين قال لهم: ((يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَحْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَتَعَطَّمَهَا بِالْأَبَاءِ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تْرَابٍ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ٤٩: ١٣ ... الْآيَةَ كُلَّهَا. ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخُ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، قَالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّقَاءُ))^٢ ف صلى الله عليك وسلم يا نبي الرحمة والرفقة والعدل والسلام يا حبيب الله يا محمد.

فهل هذه سيرة وصفات رجل يقدر السيف ويحب الحرب والعنف؟! إنما هذه فرية بائسة قديمة عفا عليها الدهر، التقفها الملاحدة الجدد من تأريخ الحروب الصليبية، حيث افتراها كهنة السياسة لخداع النصارى في أوروبا ذلك الوقت، ليبرروا حروبهم على الإسلام باسم الصليب، وليحولوا دون وصول فيض الإسلام إلى أوروبا، كما جددتها الصهيونية العالمية للتغطية على مجازرها الوحشية في حق شعب فلسطين المسلم المسالم، تلك المجازر التي قطرت لها خجلاً حتى جباه كبار الملاحدة أمثال برتراند رسل.

الملحد – حديث ((اذهبوا فأنتم الطلقاء)) يكذبه الألباني.

المؤمن – الألباني ذكره في كتابه السلسلة الضعيفة ثم قال: ((وهذا سند ضعيف مرسل))^٣، وبالطبع يضعفه الألباني لأن أبرز الطلقاء كانوا من بني أمية، والألباني كما هو معروف هو على مذهب السلفية الأموية الذي هو سبب دمار المسلمين. على أنه قد ضعفه من حيث السند، أما من حيث المضمون فلا، لأن قضية إطلاق الرسول الأكرم للأسرى ووجود الطلقاء

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم، السيد جعفر العاملي، ج ٢ الفصل الرابع ص ١٣٧

٢ - السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق السقا، ج ٢ ص ٤١٢

٣ - سلسلة الأحاديث الضعيفة، الألباني، ج ٣ الحديث رقم ١١٦٣

أمر متواتر، والألباني نفسه يصحح خبر وجود الطلقاء والعتقاء في موسوعته السلسلة الصحيحة فيقول: ((المهاجرون بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة، والطلاق من قریش، والعتقاء من ثقیف، بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة)).

رواه الطبراني في الكبير (١ / ٢٣٢ / ٢): حدثنا علي بن عبد العزيز أخبرنا أبو حذيفة أخبرنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن أبي وائل عن جرير مرفوعاً. قلت: وهذا سند صحيح رجاله ثقات رجال البخاري غير علي بن عبد العزيز وهو ثقة وهو الحافظ البغوي)).^١

إن مسألة الإطلاق والعفو والعتق هي ديدن الرسول الأكرم والسمة العامة لأنه كما قال تعالى: ((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨)))^٢، ((هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢)))^٣، ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)))^٤.

الملحد – مع ذلك، فهو قد أمر وشارك في عشرات الغزوات في تلك الفترة القصيرة.

المؤمن – كما أوضحنا سابقاً، كلها حروب اضطرارية لدفع خطر الأعداء من قبائل المشركين التي تحالفت وتكالبت على الإسلام، ولإزالة الطغاة المستكبرين المعاندين المانعين من وصول دعوة الإسلام للناس. فكل قول وفعل وتقرير للرسول الأكرم هو محكوم بقوله تعالى: ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)))^٥ هذه هي القاعدة والأصل وكل ما عداها يتم فهمه من خلالها.

١ - سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، ج ٣ الحديث ١٠٦٣

٢ - سورة التوبة

٣ - سورة الجمعة

٤ - سورة الأنبياء

٥ - سورة الأنبياء

الملحد – أنت تأخذ هذه الآية وتترك عشرات الآيات التي يحرض بها النبي على الحرب والقتل مثل: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (٦٥)))^١.

المؤمن – ١ - عشرات الآيات أو مئات الآيات، لا تتعبوا أنفسكم بجلب الآيات وبترها من سياقها، أعرها جميعا حق المعرفة، وكلها كما قلنا لكم محكمة بقوله تعالى: ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧))) هذه هي القاعدة والأصل وكل ما عداها يتم فهمه من خلالها. هذه الآية هي المحور وكل ما عداها يدور في فلكها.

٢- يجب أن تفرقوا بين القتل والقتال، هذه الآية تحرض المؤمنين لا على القتل والعدوان، بل هي تحرض على القتال لصد الخطر المتوقع من أعداء الإسلام المعننين بالعداوة والناكثين للعهود، ولاجتثاث من يحارب الإسلام ويصد الناس عن الدعوة، وهي تحرض على الاستعداد والصبر والثبات، فلاحظ تمام السياق في قوله تعالى: ((إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٥) الَّذِينَ عَاهَدتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْفُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (٥٦) فَمَا تَنْفَقْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ (٥٧) وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (٥٩) وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠) وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١) وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٦٤) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ

١ - سورة الأنفال

الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (٦٥))^١.

ولاحظوا مثلها قوله تعالى: ((فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا (٨٤))^٢ فإن المقصود هو الحث لدفع خطر الكافرين وكف بأسهم وليس التحريض على البغي والعدوان.

الملحد – ما هو دليلك أن هذه الآية هي القاعدة والأصل الذي يجب أن نفهم ونفسر كل آيات الحرب على أساسه، وكل أفعال وأقوال النبي؟

المؤمن – لأن مضمون هذه الآية هو نص صريح الدلالة وبلاغتها واضحة لكل عربي، فهي غير قابلة للتأويل بخلاف منطوقها، وهي غير قابلة للتقييد، إنها تحصر بشكل قطعي صريح هدف الرسالة ودور الرسول الأكرم بالرحمة الشاملة لكل العالمين.

الملحد – وكيف تجتمع الرحمة مع الحرب والقتل.

المؤمن – لأن الإسلام ليس رهبانية ولا صوفية ولا بوذية ولا غاندية، كما هو ليس بربرية ولا ستالينية ولا نتشوية ولا هتلرية. الإسلام كما هو دين الرحمة فهو دين العدل والاعتدال، فهو يضع القوة في موضعها ويضع الرحمة في موضعها، والحرب تكون بداعي الرحمة وفي فلك الرحمة عندما يكون بتر العضو الفاسد مستعصي الشفاء هو الحل لسلامة سائر البدن وحياة الشخص. فهنا العذاب هو من صميم الرحمة.

الملحد – تريد تقنعنا أن كل هذه الغزوات كانت رحمة.

المؤمن – نعم، كلها بمقدار الضرورة والاضطرار لمصلحة البشر. فلاحظوا هذه النصوص المتسلسلة من الوصايا بعد حذف السند للاختصار:

^١ - سورة الأنفال

^٢ - سورة النساء

((١ - ... عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه واله: إذا أراد أن يبعث سرية دعاهم فأجلسهم بين يديه ثم يقول: سيروا بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله، لا تغلوا ولا تمثلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخا فانيا ولا صبيا ولا امرأة، ولا تقطعوا شجرا إلا أن تضطروا إليها، وأيما رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم نظر إلى رجل من المشركين فهو جار حتى يسمع كلام الله فإن تبعكم فأخوكم في الدين وإن أبى فأبلغوه مأمنه واستعينوا بالله عليه.

٢ - ... عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: نهى رسول الله صلى الله عليه واله أن يلقي السم في بلاد المشركين.

٣ - ... قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما بيت رسول الله صلى الله عليه واله عدوا قط.

٤ - ... عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: بعثني رسول الله صلى الله عليه واله إلى اليمن وقال لي: يا علي لا تقاتلن أحدا حتى تدعوه وأيم الله لأن يهدي الله على يدك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت ولك ولاؤه يا علي.))^١.

الملحد - أطلق رجال قريش لأنهم أبناء عمومته، أما اليهود فقام بإبادتهم.

المؤمن - كلام باطل.

١- الصهيونية لتبرير جرائمها ووحشيتها وخبثها ملأت الدنيا صراخا بمظلومية اليهود، فساوت بين هتلر وإبادته لليهود الألمان العزل، وبين النبي محمد صلى الله عليه وآله واقتصاصه من اليهود الذين نقضوا عهد السلام مع رسول الله أكثر من مرة، وتعاونوا مع المشركين والمنافقين على محاربة الإسلام، وحاكوا الدسائس والمؤامرات لاستئصال الإسلام، ودبروا المكيدة لقتل الرسول الأكرم، واستغلوا ثروتهم وتغلغلهم بين المسلمين والضعف

^١ - الكافي، الشيخ الكليني، ج ٥، كتاب الجهاد، باب وصية رسول الله وأمير المؤمنين في السرايا

الاقتصادي للمسلمين والعصبيات القبلية وقرب الناس بعهد الجاهلية لإثارة الفتن في المجتمع الإسلامي وتوهين الإسلام.

٢- النبي الأكرم أطلق من غير قريش أيضا من المشركين واليهود، فقد أطلق يهود بني قينقاع ويهود بني النضير ويهود خيبر واكتفى بإجلائهم، وفي ذلك قال تعالى: ((سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣)))^١.

وللتفصيل في ذلك راجعوا كتاب (الصحيح من سيرة النبي الأعظم) للسيد المحقق جعفر العاملي.

٣- الرسول الأكرم ديدنه الاطلاق والعمو والصفح والجنوح للسلم من منطلق أصالة الرحمة في دين الاسلام، إلا إن ذلك في ضوء الحكمة والحفاظ على حدود الله تعالى ونظام المجتمع الإسلامي، وإلا صار سفاهة وعبثا وجهلا وفوضى وضعفا، والرسول الأكرم حاشاه أن يكون كذلك، وقد قلنا لكم أن الإسلام ليس رهبانية كما هو ليس هتلرية.

الملحد – ولماذا قام بإجلاء اليهود بينما لم يقم بإجلاء مشركي قريش؟

المؤمن – وفق الحكمة فكل موقف بحسبه من الجرم والعقاب. مشركو قريش كانوا في حرب معلنة مع المسلمين ولم يكن لهم مع الرسول معاهدة سلام، أما اليهود فكانت لهم مع الرسول معاهدة سلام وقد نقضوها، فجددها الرسول الأكرم وصفح عنهم أكثر من مرة، فخيانة المعاهد أشد ظلما وأعظم قبحا، والخيانة المتكررة تتطلب موقف صارما.

^١ - سورة الحشر

الملحد – لم ينقض اليهود العهد، لكن النبي هو من نقض العهد طمعا في أموالهم وأراضيهم.

المؤمن – ما هو دليلكم؟

الملحد – هي واضحة، النبي عقد معهم معاهدة سلام لما كان ضعيفا من الناحية العسكرية، ثم لما استقوى بطش بهم.

المؤمن – ١- هذا ليس دليلا، بل هو مجرد رأي مزاجي باطل مبني على جحود النبوة وبغض مسبق تجاه الرسول الأكرم. بل كل الأدلة القرآنية والتاريخية والروائية تثبت بنحو القطع النقض المتكرر للعهد من جانب اليهود وخبثهم.

٢- الوفاء بالعهد أجمل خصائص العرب منذ الجاهلية، وخيانة العهود أعظم الجرائم عند العرب منذ الجاهلية، وقد جاء الإسلام فأمضى ذلك وشدد على وجوب الوفاء بالعهد كما شدد النهي عن مخالفتها، فكيف تزعمون أن الرسول ينقض عهده! قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُنْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحْلِي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (١)))^١ ، ((وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢)))^٢ ، ((الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٢٧)))^٣ ، ((كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧)))^٤.

- هل حدثت إبادة لبني قريظة؟! -

١ - سورة المائدة
٢ - سورة الأنعام
٣ - سورة البقرة
٤ - سورة التوبة

الملحد – لماذا لم تذكر إبادة بني قريظة من اليهود؟

المؤمن – أما بنو قريظة فقد كانت جريمتهم الأبرع، وخيانتهم كانت الأفظع، وموقفهم كان الأخطر على الإسلام، فناسب ذلك أن تكون عقوبتهم هي الأشد حزما، وأن تكون عاقبتهم هي الأشد وبالاً على الخائنين، حتى لا يفكر أحد بمثلها أبداً بعد ذلك. بنو قريظة كانوا في عهد سلام وأمان مع الرسول الأكرم، ورغم خبثهم وتآمرهم ونكثهم للعهد أكثر من مرة فقد صبر الرسول الأكرم عليهم، احتراما لكتابهم ولأهميتهم في المدينة ولأجل حلفهم القديم مع الأنصار ولعلمهم يهتدون، الى أن نقضوا العهد واشتركوا في أكبر مؤامرة وحملة عسكرية لاستئصال الإسلام من جذوره وإبادة المسلمين جميعا، وذلك في معركة الخندق وهي حرب الأحزاب، حيث تحزبت قبائل قريش وقبائل غطفان ويهود بني قريظة بكامل العدة والعدد، ووضعوا الخطط للانقضاض على المسلمين والمدينة المنورة، ومارس المنافقون دورهم من التنشيط والفرار والتشكيك في دين الله تعالى، وقد أوشك الأحزاب والمنافقون أن يحققوا مآربهم، لولا عناية الله تعالى بحكمة الرسول الأكرم بحفر الخندق وبممارسته للحرب النفسية لتشتيت الأحزاب وافساد اتفاقهم وتواصلهم مع يهود بني قريظة، وبسيف علي عليه السلام وقتله لبطل المشركين عمرو بن عبد ود العامري الذي تمكن من عبور الخندق، مما قذف الرعب في قلوب الأحزاب ورفع معنويات المؤمنين. استمر حصار الأحزاب للمدينة المنورة قرابة شهر وقيل ٤٠ يوما فدب فيهم اليأس والضعف، ثم أرسل الله تعالى عليهم جنودا من الملائكة وريحا عاتية فولوا مدبرين خائبين، وفي ذلك قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ

إِلَّا فِرَارًا (١٣) وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رَجُلٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٤) وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا (٢٥) وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢٧) . وفيها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لمبارزة علي بن أبي طالب لعمر بن عبد ود يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة))^٢.

بعد تولي الأحزاب توجه الرسول الأكرم لبني قريظة ليلقنهم درسا، فقاتلوا قليلا ثم لادوا بحصونهم فضرب الرسول الأكرم عليهم حصارا عدة أيام، وقذف الله تعالى في قلوبهم الرعب بحامل لواء الإسلام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب، ففكروا بحيلة للخلاص بأن اقترحوا على الرسول الأكرم أن يفعل معهم كما فعل مع يهود بني النضير، أي أن يرحلوا من المدينة جميعهم مع ما تحمله دوابهم من الأموال، ولكن الرسول الأكرم أبى إلا أن يسلموا انفسهم ثم يرى فيهم حكمه، فرفض اليهود ذلك وفكروا بحيلة أخرى وهي أنهم اقترحوا أن يسلموا انفسهم بشرط تحكيم سيد الأنصار سعد بن معاذ فيهم، وقد كان حليفهم قبل الإسلام فتوقعوا أن يكون حكمه أرفق بهم من حكم الرسول الأكرم، ولكن لا يحيط المكر السيء إلا بأهله، فلما وافق الرسول الأكرم واسلموا انفسهم، حكم سعد بن معاذ بقتل أكابرهم ومقاتليهم جميعا وأسر الباقين، فذلك قول الله تعالى: ((وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦)

١ - سورة الأحزاب

٢ - المستدرک علی الصحیحین ، الحاکم النیسابوری ، رقم الحدیث ٤٢٩٥

وَأُورَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ((٢٧)).^١

فلم يكن هناك ظلم لبني قريظة ولم تكن هناك إبادة جماعية. وللمزيد من التفصيل راجعوا كتاب (الصحيح من سيرة النبي الأعظم) للمحقق السيد جعفر العاملي.

الملحد – بل قتلهم جميعا عدا النساء، حتى الصبيان قتلهم حيث استعرضوا عانات فتيان اليهود فمن أنبت شعر عانته قتلوه.

المؤمن – ١- الإسلام لا يقتل النساء والصبيان والشيوخ والعجزة على عنوان الكفر، هذا من ثوابت ديننا، فلا علاقة لنا بما يروى في مصادر السقيفة خلافا لذلك. نعم، قالوا إنه تم قتل امرأة من يهود قريظة لأنها ألقت حجر الرحي على رأس مسلم فقتلته، فعلى فرض ثبوته فهو ليس على عنوان الكفر، بل على عنوان قتل مسلم.

٢- من أنبت شعر عانته ليس صبيبا بل هذه علامة على البلوغ فيكون له ما للرجال وعليه ما عليهم. على أن ذلك لم يثبت تحقيقا رغم ذكر بعض المصادر له.

٣- إن القول بقتل كل رجال بني قريظة حسب ما تذكر مصادر المخالفين ينافي قوله تعالى: ((وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ((٢٦)))^٢، فالآية صريحة بقتل فريق من المحاربين وأسر فريق آخر، مما يثبت بطلان النص التاريخي الذي يزعم قتل كل رجال بني قريظة. لذلك أرشدتكم الى كتاب (الصحيح من سيرة النبي الأعظم)، فإنه ليس كل ما تذكره المصادر هو ثابت تحقيقا، ولذلك انصحكم دائما أن لا تتورطوا بنقل النصوص دون تثبت.

١ - سورة الأحزاب

٢ - سورة الأحزاب

الملحد – إن كان القرآن معجزة كما تقول وقد أعجز أهل مكة، فلماذا لم يتمكن النبي من نشر الإسلام في مكة؟ لماذا لم يتمكن من نشره إلا بعد أن ذهب ليثرب حيث الأمية والتخلف ثم نشره من هناك برفقة الصعاليك والسيف؟ أليس هذا دليلاً على أن الإسلام لم ينتشر إلا بالسيف؟

المؤمن – ليس دليلاً بل كومة اشتباهات.

١- القرآن معجزة من جميع النواحي واستحالة أن يأتي البشر بمثله وهو يثبت نفسه بنفسه أنه من لدن الله العليم الحكيم. ولما عجز طغاة مكة أن يأتوا بمثله ورأوا سرعة إيمان أهل مكة بالإسلام؛ جنحوا إلى التعقيم والتضييق والتعذيب والحصار والتشريد حتى اضطر المسلمون إلى الهجرة إلى الحبشة ويثرب. فالرسول الأكرم لم يتمكن من نشر الإسلام على تمام أهل مكة ليس لقصور فيه وفي دعوته وفي القرآن، بل بسبب العنف والقمع الذي مارسه المستكبرون المعاندون من المشركين، فأولئك هم الذين صدوا الناس عن سبيل الله تعالى وأولئك هم الذين اضطر الرسول الأكرم لاستعمال السيف لإزالة التهم عن الطريق.

٢- من قال إن الرسول الأكرم لم يتمكن من نشر الإسلام في مكة!! فرغم التعقيم والتضييق والقتل والتعذيب والحصار وإعلان المقاطعة، فقد دخل الإسلام الكثير من أهل مكة من قبل الهجرة، وبعضهم من سادة قريش كالحمزة عم النبي، وبعضهم من أبناء زعماء مشركي قريش كحذيفة وهو ابن عتبة بن ربيعة، وكهشام وهو ابن العاص بن وائل، وكفراس وهو ابن النضر بن حارث، ثم هؤلاء المسلمون منهم من هاجر إلى الحبشة ومنهم من هاجر إلى يثرب ومنهم من بقي في مكة يكتُم إسلامه.

٣- لم يكن أهل يثرب أقل شأنًا من أهل مكة من الناحية الثقافية، بل ربما أكثر مدنية وثقافة وإطلاعًا من أهل مكة بحكم تحالفهم ومخالطتهم لقبائل اليهود في يثرب، مما سهل عليهم تقبل الإسلام، فلو كان القرآن أساطير الأولين كما زعم طغاة مكة فإن أهل يثرب أولى بهذا الزعم لخبرتهم باليهودية، حتى أن بعض أولاد الأنصار تهودوا قبل الإسلام.

٤- الذين حاربوا مع الرسول الأكرم كان معظمهم من مهاجري قريش ومن أهل يثرب المدينة المنورة، وأبرزهم حامل لواء الإسلام علي بن أبي طالب، وأسد الإسلام حمزة بن عبد المطلب عليهم السلام. والقلة من الصعاليك، وهم المشردون المطرودون من قبائلهم سابقا والذين آمنوا بالإسلام لاحقا؛ فهؤلاء لم يشكلوا رقما مهما في جيش الإسلام.

الملحد - أعطني غزوة واحدة قام بها المشركون على النبي واتباعه قبل معركة بدر؟ حيث خرج مشركو قريش الى بدر دفاعا عن قوافلهم التجارية التي أراد النبي أن يسلبها؟ فهل هذه أخلاق نبي؟

المؤمن - حقا لم يقم طغاة مشركي قريش بغزوة قبل معركة بدر، لكنهم مارسوا العنف ضد المؤمنين في مكة بالقتل والتعذيب والسجن والحصار والمقاطعة حتى اضطروهم الى الخروج من ديارهم وأهليهم وأموالهم، ثم قام المشركون بمصادرتها، أفلا يحق للمؤمنين حينئذ أن يصادروا قوافل قريش؟ فهذه ليست عملية سلب وقطع طريق ظلما وعدوانا، بل هي مقاصدة. قال تعالى: ((أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠)))).^١

مع ذلك فلم يلتق المسلمون بالقوافل التجارية ولم يصادروها، فقد رغبوا بالطائفة التجارية ولكن الله تعالى شاء أن يلتقوا بالطائفة الحربية، ليجتث طغاة قريش ويكسر شوكتهم ويدمر غطرستهم، فقد قال تعالى: ((وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨)))).^٢

^١ - سورة الحج
^٢ - سورة الأنفال

الملحد - تريد تقنعني أن الناس دخلت في الإسلام أفواجا بسبب قناعتهم بالإسلام وليس بسبب عشرات الغزوات والسرايا!!

المؤمن - أفضل رد على هذه الدعوى يقنع من يشاء الحق فعلا هو إن المسلمين اليوم يبلغ تعدادهم قرابة مليار ونصف، من قوميات مختلفة، وفي معظم دول العالم وبقاع الأرض، فهؤلاء لم يكونوا جميعا من العرب بل ولا من الشرق، ولم يولدوا جميعا من ابوين مسلمين، فمن السخافة والسذاجة الزعم بأن جميع هؤلاء دخلوا الإسلام بالسيف، والى اليوم يدخل الناس في الإسلام أفواجا، مع أن الدخول في الإسلام بالسيف - على فرض صدقه - هو أولى من الدخول في عبودية تجار الحروب وحكم الطغاة العلمانيين، الذين تقاسموا احتلال الشعوب واستنزفوا خيراتها وعاثوا فيها فسادا، ولم يخرجوا منها إلا اضطرارا وبعد أن نصبوا عملاء يضمنون لهم تحقيق مصالحهم على حساب مصالح الشعوب المحتلة.

وهنا نعود فنذكر الملاحظة بقول سيدتهم البريطانية الملحدة اللادينية كارن ارسترونغ: ((في شخصية محمد النموذجية دروس مهمة، ليس فقط للمسلمين، ولكن أيضا للغربيين، حيث كانت كلها جهادا كما سوف نرى، وهذه الكلمة لا تعني الحرب المقدسة، ولكنها تعني كفاحا. كدح محمد بكل معاني الكلمة ليجلب السلام على العرب الذين مزقتهم الحروب، ونحن نحتاج لمن هم مستعدون لعمل ذلك اليوم. كانت حياته حملة لا تكل ضد الطمع والظلم والتكبر))^١.

- حكم الأسرى في الإسلام

الملحد - الإسلام يأمر بقتل الأسرى.

^١ - محمد نبي زماننا ، كارين ارسترونغ ، المقدمة ، ص ٢٥

المؤمن – غير صحيح. حكم الأسارى من رجال الكفار المشركين أما المن بإطلاق السراح مجاناً بلا شرط، أو إطلاق السراح بشرط الفدية، أو الاسترقاق.

الملحد – وهؤلاء الذين قتلهم النبي من يهود بني قريظة كانوا أسرى فكيف قتلهم؟

المؤمن – هؤلاء هم لم يستسلموا إلا بشرط حكم سعاد بن معاذ فيهم، فهم قد احتكموا ورضوا بالحكم، فذاقوا وبال مكرهم. فهذا الحكم كان قصاصاً على جريمتهم البشعة وهي نقض العهد مع اشتراكهم في أعظم مؤامرة لإبادة المجتمع الإسلامي، وهم من ارتضوا هذا الحكم فيهم، بينما قام الرسول الأكرم بإجلاء يهود بني قينقاع وبني النضير ولم يقتلهم.

الملحد – بل الإسلام هو من يأمر بقتل الأسرى في قوله: ((مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُنْخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦٩)))).^١

المؤمن – طيب، وما هو قولكم في قوله تعالى: ((فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثَخِنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤)))).^٢

الملحد – لا أدري، فالقرآن متناقض والمفسرون يقولون إن الآيات السابقة كانت في معركة بدر وأن الحكم كان هو قتل الأسرى، ثم تغير الحكم الى المن والفداء.

المؤمن – لا يوجد في القرآن تناقض ولا تغير ولا نسخ في هذا الحكم. إنما هذا فهم المخالفين لمنهج آل البيت عليهم السلام، وهذا تفسيرهم ونصوصهم

^١ - سورة الأنفال
^٢ - سورة محمد

وفقههم المخالف للإسلام المحمدي الأصيل. يزعمون أن الرسول الأكرم أطلق أسرى بدر مقابل الفدية ومنع قتلهم، خلافا لرأي عمر الذي رأى لزوم قتلهم، وأن القرآن نزل طبقاً لرأي عمر، وأن ذلك كان في أول حرب ثم تغير الحكم إلى تجويز أخذ الفداء!!! ذكر مفسرهم السيوطي: ((وأخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: «استشار النبي صلى الله عليه وسلم الناس في الأسارى يوم بدر فقال: إن الله أمكنكم منهم، فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، اضرب أعناقهم؟ فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا أيها الناس إن الله قد أمكنكم منهم وإنما هم إخوانكم بالأمس. فقام عمر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، اضرب أعناقهم؟ فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم، ثم عاد فقال مثل ذلك، فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء. فعفا عنهم وقبل منهم الفداء، فنزل {لولا كتاب من الله سبق} [الأنفال: ٦٨ الآية]¹.

هذا الكلام باطل عندنا جملة وتفصيلاً، وهو من ترهات أتباع السقيفة في صناعة مجد زائف لعمر بن الخطاب ولو على حساب الإسلام والرسول. والقول الحق هو أن الله تعالى في قوله: ((مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثَخَّنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧)))² إنما قام ببيان قاعدة مهمة من قواعد الحرب، وهي عدم صحة محاولة الاستحواذ والتحفظ على مقاتلي العدو والمعركة قائمة. فالذي حصل في معركة بدر هو أن البعض من المسلمين طمعا في الفدية، التي تؤخذ عادة مقابل إطلاق الأسرى، بادروا إلى اعتقال المقاتلين من المشركين بطريقة الخطف، والحرب لما تزل قائمة والسيوف لما تزل مشرعة والعدو لما يزل قويا. وهذا خطأ فادح بل مخاطرة توشك أن تعرض المسلمين إلى هزيمة كبيرة. الآية تتحدث عن هذه الحالة وعن هؤلاء المأخوذين خطفاً من مقاتلي المشركين، فهؤلاء ليسوا أسرى واقعا بحسب العرف العسكري، وإنما الأسرى بحسب العرف العسكري هم المستسلمون المستولى عليهم بعد انتهاء

¹ - تفسير الدر المنثور، السيوطي، سورة الأنفال
² - سورة الأنفال

المعركة والانتصار بسبب اندحار جيشهم وهزيمته تماما، فهو لاء هم الأسرى الذين لا يصح قتلهم وإنما الحكم فيهم أما المن أو الفداء أو الاسترقاق. أما المقاتل المشرك الذي قد يحصل أن يقهره المقاتل المسلم ويسيطر عليه حيا أثناء المعركة فهذا أما أن يسلم أو يقتل في الحال أثناء المعركة، بمعنى أنه إن نطق الشهادتين أثناء الحرب يحقن دمه، ويكون له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، مع العلم أن الإيمان لن يدخل القلب بالسيف، لكن الإسلام يقبل منه نطق الشهادتين حقا لدمه ولعله يهتدي حقا فيما بعد، فهو من باب إعطاء فرصة أخيرة للمقاتل المشرك للحياة والهداية، فليس الإسلام حريصا على قتل الناس، بل بالعكس هو حريص على حياتهم وهدايتهم.

يقول مفسرونا: ((إِنَّ الْآيَةَ تَنْبِهَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى نَقْطَةِ مَهْمَةٍ فِي الْحَرْبِ، وَهِيَ أَنَّ عَلَيْهِمْ عَدَمَ التَّفْكِيرِ وَالِانْتِشَاغِ بِأَخْذِ الْأَسْرَى قَبْلَ انْدِحَارِ الْعَدُوِّ بِالْكَامِلِ، لِأَنَّ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ الْمُقَاتِلِينَ - كَمَا يَسْتَفَادُ مِنْ بَعْضِ الرَّوَايَاتِ - كَانَ جَلًّا سَعِيهِمْ هُوَ الْحَصُولُ عَلَى أَكْبَرَ عِدَدٍ مِنَ الْأَسْرَى فِي سَاحَةِ بَدْرٍ مَهْمَا أَمَكْنَهُمْ، لِأَنَّ الْعَادَةَ كَانَتْ أَنْ يُدْفَعَ عَنِ الْأَسِيرِ مَبْلَغٌ مِنَ الْمَالِ عَلَى شَكْلِ فِدْيَةٍ لِيَتِمَّ الْإِفْرَاجُ عَنْهُ بَعْدَ نَهَايَةِ الْحَرْبِ.

ويعدّ هذا الأمر عملا حسنا في بعض المواقع، إلا أنه عمل خطير قبل أن يطمأن من اندحار العدو كاملا، لأن الانتشغال بأسر العدو وشدّ وثاقهم ونقلهم إلى مكان آمن، كل ذلك يبعد المقاتلين غالباً عن أصل الهدف الذي من أجله كانت الحرب، وربما يمنح العدو الجريح فرصة لجمع قواه وإعادة هجومه، كما حدث في غزوة أحد، حيث شغل بعض المسلمين أنفسهم بجمع الغنائم، فاستغل العدو هذه الفرصة فأنزل ضربته الأخيرة بالمسلمين.

وبناءً على ذلك فإنّ تأسير الأعداء يجوز في صورة ما لو حصل اليقين بالنصر الساحق عليه، أمّا في غير هذه الصورة فيجب توجيه الضربات الشديدة والمتتالية لهدم قوات العدو وشلّها فإذا حصل الاطمئنان بذلك فإنّ الأهداف الإنسانية توجب إيقاف القتل والاكتفاء بأسرهم.

وقد أوضحت الآية هاتين النقطتين المهمتين: العسكرية، والإنسانية، في عبارة موجزة ثمّ ألفت باللوم على أولئك الذين خالفوا هذا الأمر فنقول:

(تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة) وبذلك تنتفي جميع البحوث التي أوردوها، كالقول بأنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد ارتكب ذنباً! وكيف ينسجم هذا العمل وعصمته (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ فهذا الأمر غير صحيح.

كما يثبت بطلان الأحاديث المختلفة التي نقلتها بعض مصادر أهل السنة وكذبها في تفسير هذه الآية، والتي تزعم أن الآية نزلت في شأن أخذ النبي وبعض المسلمين الفدية مقابل أسرى الحرب بعد معركة بدر، وقبل أن يأذن الله بذلك. وأنّ الذي خالف هذا الأمر وطالب بقتل الأسرى هو عمر فحسب - أو سعد بن معاذ - وأنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال في حق عمر: لو نزل العذاب علينا لما نجا منه إلاّ عمر - أو سعد بن معاذ -.

فإنّ جميع ذلك عار من الصحة ولا أساس له، وإنّ تلك الروايات بعيدة كل البعد عن تفسير الآية، وخاصّة أن أمارات الوضع ظاهرة على هذه الأحاديث تماماً.

٢- إنّ الآيات محل البحث لا تخالف أخذ الفداء وإطلاق سراح الأسرى إذا اقتضت مصلحة المجتمع الإسلامي ذلك، بل تقول هذه الآيات: إنّّه لا ينبغي على المجاهدين أن يكون همهم الأسر من أجل الفداء، فبناءً على ذلك فهي تنسجم وتتفق والآية (٤) من سورة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من جميع الوجوه، إذ تقول تلك الآية (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فإمّا منّاً بعد وإمّا فداءً).

إلاّ أنّه يجب الالتفات إلى مسألة مهمّة هنا، وهي: إذا كان بين الأسرى من يثير إطلاق سراحهم فتنة نشوب نار الحرب، ويُعرض انتصار المسلمين للخطر، فيحق للمسلمين أن يقتلوا مثل هؤلاء الأشخاص، ودليل هذا الموضوع كامن في الآية محل البحث ذاتها، بقريئة «يثخن» والتعبير في الآية (٤) من سورة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بـ «أثخنتموهم». ولهذا فقد جاء في بعض الروايات الإسلاميّة أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وللهذا فقد جاء في بعض الروايات الإسلاميّة أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

وسلم) أمر بقتل اثنين من أسرى معركة بدر، وهما «عقبة بن أبي معيط» و«النضر بن الحارث» ولم يرض بأن يفتديا أنفسهما أبداً^١.

الملحد – ولماذا قتل عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث وهما أسيران؟

المؤمن – أولاً: قاعدة عامة أعطيها لكم: إن معظم ما ورد عن السيرة النبوية هو وارد من مصادر المخالفين للإسلام المحمدي الأصيل، وهي فيها من الدس والكذب والتزوير وتلاعب اليهود والسلاطين ووعاظ السلاطين الشيء الكثير، فإن لم تثبت صحته وفق منهج آل البيت عليهم السلام في تحقيق النصوص فهو يظل مشكوكاً، نرجع فيه إلى الأصل الثابت في الرسول الأكرم وهو: ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)))^٢، ((وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)))^٣، لماذا؟ لأن هذا هو النص القطعي والصريح من القرآن الكريم، وكل ما لا يتفق معه فهو مرفوض بحسب عقيدتنا. وبذلك أكون قد هديت طالب البحث الموضوعي، كما أكون قد جردت مرضى الملاحظة من هذا السلاح. فلا يأتيني أحد بخبر غير ثابت وفق منهج آل البيت عليهم السلام في التحقيق، ثم يقول: أهذا هو نبي الرحمة، أهذا هو الخلق العظيم!! لأن الجواب سيكون: هذا هو الأصل الثابت عندنا بنحو الجزم في خلق وسلوك الرسول الأكرم، فعليك نقضه بنحو الجزم، فليس كل ما هو مسطور في الكتب من الأخبار حجة.

ثانياً: المسلمون أسروا ٧٠ مقاتلاً من المشركين كما قيل يوم بدر. أمر بقتل اثنين. البقية منهم من أطلق سراحه بفضية مالية، ومنهم من أطلق سراحه بشرط تعليم أولاد المسلمين القراءة، ومنهم من أطلق سراحه مجاناً. هذا التصرف يهدم فرينكم بأن الإسلام يأمر بقتل أسرى الحرب. أما سبب قتل هذين الشخصين – إن ثبت – فليس لجريرة المشاركة في الحرب، بل لإطلاق كل من عداهم من ٧٠ شخصاً، بل لجريرة سابقة وهي ممارسة شتى أصناف التعذيب والقتل والتجويع والحصار والتشريد للمسلمين في مكة وصددهم الناس أن يستمعوا لكلام الله تعالى. والنضر بن الحارث حامل لواء

١ - تفسير الأمل، الشيخ ناصر مكارم شيرازي، ج ٥ سورة الأنفال

٢ - سورة الأنبياء

٣ - سورة القلم

المشركين في بدر، هو كما يقال كان كاتب صحيفة المقاطعة لحجر الرسول والمؤمنين في شعب أبي طالب لمدة ٣ سنوات ومحاصرتهم وتجويعهم، وهو من كان يدفع الأموال لاستئجار المغنيات والعازفين لجذب شباب مكة وصددهم عن الإسلام، كما أنه بنفسه ارتحل الى يهود المدينة والحيرة والشام ليكتتب قصصا من اليهود والفرس والروم ثم أتى يقصها على شباب مكة، ليصددهم عن سماع القرآن زاعما أنه أساطير الأولين كالتالي يقصها هو. لأجل ذلك كان ينبغي الحاق هذين بأصحابهما من رؤوس المشركين الذين قتلوا أثناء معركة بدر، كأبي جهل وأممية بن خلف وعتبة بن ربيعة. وقد تولى قتلها حامل لواء الإسلام الإمام علي بن ابي طالب كما قيل، وقيل إن النصر بن الحارث إنما مات في الطريق أسيرا متأثرا بجراحه التي أصيب بها في معركة بدر ولم يتم قتله. فراجعوا ما قيل في سيرته:

((وَكَانَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ مِنْ شَيَاطِينِ قُرَيْشٍ، وَمِمَّنْ كَانَ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَنْصِبُ لَهُ الْعَدَاوَةَ، وَكَانَ قَدْ قَدِمَ الْحِيرَةَ، وَتَعَلَّمَ بِهَا أَحَادِيثَ مُلُوكِ الْفُرْسِ، وَأَحَادِيثَ رُسْتَمَ وَاسِنْدِيَارَ، فَكَانَ إِذَا جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجْلِسًا فَذَكَرَ فِيهِ بِاللَّهِ، وَحَدَّرَ قَوْمَهُ مَا أَصَابَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ، خَلَفَهُ فِي مَجْلِسِهِ إِذَا قَامَ، ثُمَّ قَالَ: أَنَا وَاللَّهِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْهُ، فَهَلُمَّ إِلَيَّ، فَأَنَا أُحَدِّثُكُمْ أَحْسَنَ مِنْ حَدِيثِهِ، ثُمَّ يُحَدِّثُهُمْ عَنِ مُلُوكِ فَارِسَ وَرُسْتَمَ وَاسِنْدِيَارَ، ثُمَّ يَقُولُ: بِمَاذَا مُحَمَّدٌ أَحْسَنُ حَدِيثًا مِنِّي؟)).^١

((قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ نَزَلُوا بَلَدًا أَصَابُوا بِهِ أَمْنًا وَقَرَارًا، وَأَنَّ النَّجَاشِيَّ قَدْ مَنَعَ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ، وَأَنَّ عُمَرَ قَدْ أَسْلَمَ، فَكَانَ هُوَ وَحَمْرَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ، وَجَعَلَ الْإِسْلَامُ يَفْشُو فِي الْقَبَائِلِ، اجْتَمَعُوا وَانْتَمَرُوا (بَيْنَهُمْ) أَنْ يَكْتُبُوا كِتَابًا يَتَعَاقِدُونَ فِيهِ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ، وَبَنِي الْمُطَّلِبِ، عَلَى أَنْ لَا يُنْكِحُوا إِلَيْهِمْ وَلَا يُنْكَحُوهُمْ، وَلَا يَبِيعُوهُمْ شَيْئًا، وَلَا يَبْتَاغُوا مِنْهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا لِذَلِكَ كَتَبُوهُ فِي صَحِيفَةٍ، ثُمَّ تَعَاهَدُوا وَتَوَاقَفُوا عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ عَلَّقُوا

^١ - سيرة ابن هشام، ابن هشام، تحقيق السقا، ج ١ ص ٣٠٠

الصَّحِيفَةَ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ تَوْكِيدًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَكَانَ كَاتِبُ الصَّحِيفَةِ مَنْصُورَ
بْنَ عِكْرَمَةَ بْنَ عَامِرِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ بْنِ فُصَيٍّ- قَالَ
ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ: النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ- فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، فَشَلَّ بَعْضُ أَصَابِعِهِ))^١.

((قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَكَانَ أَبُو عَزِيزٍ صَاحِبَ لُؤَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِبَدْرِ بَعْدَ النَّضْرِ
بْنَ الْحَارِثِ))^٢.

((وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا
هُزُؤًا أَوْلَانِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٦) {سورة لقمان}

أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله
{ومن الناس من يشتري لهو الحديث} يعني باطل الحديث. وهو النضر بن
الحارث بن علقمة. اشترى أحاديث العجم وصنيعهم في دهرهم، وكان يكتب
الكتب من الحيرة والشام ويكذب بالقرآن، فأعرض عنه فلم يؤمن به.

وأخرج جويبر عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله {ومن الناس من
يشتري لهو الحديث} قال: أنزلت في النضر بن الحارث. اشترى قينة فكان
لا يسمع بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قينته، فيقول: أطعميه واسقيه
وغنيه، هذا خير مما يدعوك إليه محمد من الصلاة والصيام، وأن تقاتل بين
يديه))^٣.

((قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَتَّى إِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالصَّفْرَاءِ
فُقِلَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، فَتَلَّهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، كَمَا أَخْبَرَنِي بَعْضُ أَهْلِ
الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ))^٤.

((وَكَانَ يُنْكِرُ قَتْلَ النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ فِي يَوْمِ بَدْرِ صَبْرًا فَقَالَ أَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ
فَارْتَتْ مِنْهَا وَكَانَ شَدِيدَ الْعَدَاوَةِ فَقَالَ لَا أَطْعَمُ طَعَامًا وَلَا أَشْرِبُ شَرَابًا مَا
دَمْتُ فِي أَيْدِيهِمْ فَمَاتَ.

١ - سيرة ابن هشام ، ابن هشام ، تحقيق السقا ، ج ١ ص ٣٥٠

٢ - سيرة ابن هشام ، ابن هشام ، تحقيق السقا ، ج ١ ص ٦٤٦

٣ - تفسير الدر المنثور ، السيوطي ، تفسير سورة لقمان

٤ - سيرة ابن هشام ، ابن هشام ، تحقيق السقا ، ج ١ ص ٦٤٤

فَأَخْبَرَتْ أَبِي سَلَامًا بِقَوْلِ ابْنِ جَعْدِبَةَ فِي أَبِي عَزَّةَ فَقَالَ قَدْ قِيلَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَقْتُلْ أَحَدًا صَبْرًا إِلَّا عَقَبَةَ بْنَ أَبِي مَعِيْطٍ يَوْمَ بَدْرٍ^١.

الملحد – بل قتل النضر بن الحارث لأنه استطاع أن يفضحه بأن ما جاء به هو أساطير الأولين.

المؤمن – إنما يفتضح الفاجر وهو النضر بن الحارث. فهناك من اليهود والنصارى والمجوس من آمن بالإسلام في بداية الدعوة، وهم أعرف من النضر بن الحارث بتاريخهم وكتبهم وتراثهم القصصي الشعبي، مثل عبد الله بن سلام من يهود بني قينقاع ومن علماء بني إسرائيل وقد أسلم أول قدوم الرسول الأكرم للمدينة، ومثل سلمان المحمدي الفارسي الذي كان من علماء المجوس ثم من علماء النصارى وقد أسلم أول دخول الرسول الأكرم للمدينة، بل إن إيمان مشركي يثرب من الأوس والخزج أول تلقيهم للدعوة رغم معاشرتهم لليهود، ورغم تهود بعضهم ورغم تثقيف اليهود ضد الإسلام؛ هو دليل على سخف هذه المقولة، ومما يدل على سخفها وسخف عقل مطلقها وسخف عقل من صدقها هو أن القرآن واقعا ليس مجموعة قصصية، بل هو منظومة معارف عقائدية تشريعية أخلاقية، عجز النضر أن يأتي بمثلا فاحتكم الى العنف قبل الهجرة والى السيف بعد الهجرة، فولى الى جهنم وبئس المصير. وهو نفسه يعلم جيدا أنه ليس أساطير الأولين لكن كان هذا أقصى جهده لاستخفاف عقول الناس، فلاحظوا قوله: ((قَامَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ بْنِ عَلْقَمَةَ ابْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيِّ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَلْقَمَةَ بْنِ كَلْدَةَ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّهُ وَاللَّهِ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ أَمْرٌ مَا أَنْتُمْ لَهُ بِحِيلَةٍ بَعْدُ، قَدْ كَانَ مُحَمَّدٌ فِيكُمْ عَلَامًا حَدَّثَنَا أَرْضَاكُمْ فِيكُمْ، وَأَصْدَقَكُمْ حَدِيثًا، وَأَعْظَمَكُمْ أَمَانَةً، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُمْ فِي صُدُغِيهِ الشَّيْبَ، وَجَاءَكُمْ بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ، قُلْتُمْ سَاحِرٌ، لَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِسَاحِرٍ، لَقَدْ رَأَيْنَا السَّحْرَةَ وَنَفَثَهُمْ وَعَقْدَهُمْ، وَقُلْتُمْ كَاهِنٌ، لَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِكَاهِنٍ، قَدْ رَأَيْنَا الْكُهْنَةَ وَتَخَالَجَهُمْ وَسَمِعْنَا سَجْعَهُمْ، وَقُلْتُمْ

١ - طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام ، تحقيق محمود شاكر ، ج ١ ص ٢٥٥

شَاعِرٌ، لَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِشَاعِرٍ، قَدْ رَأَيْنَا الشَّعْرَ، وَسَمِعْنَا أَصْنَافَهُ كُلَّهَا: هَزَجَهُ
وَرَجَزَهُ، وَقُلْتُمْ مَجْنُونٌ، لَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِمَجْنُونٍ، لَقَدْ رَأَيْنَا الْجُنُونَ فَمَا هُوَ
بِخَنَقِهِ، وَلَا وَسَوْسَتِهِ، وَلَا تَخْلِيْطِهِ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، فَاَنْظُرُوا فِي شَأْنِكُمْ، فَإِنَّهُ
وَاللَّهِ لَقَدْ نَزَلَ بِكُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ.))^١.

الملحد – النضر بن الحارث كان رجلا تنويريا.

المؤمن – أسلوبه هو أسلوب مؤسسات الإلحاد في الترويج للإلحاد ومحاربة
الإسلام عن طريق الترويج للفجور وعن طريق التزييف الفكري، ولذلك
يتخذ الكثير من الملاحدة رمزا وقودة، فبعد هذا لا تلمونا على اعتبار
الملحد سرطانا اجتماعيا يجب اجتثاثه، ولا تزعموا أن الإسلام يقتل لمجرد
الاختلاف في الرأي والفكر، لأن عمله هذا ليس في فلك حرية التعبير ونزاهة
النوايا وموضوعية البحث، حتى يتسامح معه ويقال إن اختلاف الآراء لا
يفسد للود قضية، بل في فلك الحرب القذرة على الإسلام ونظام المجتمع
الاسلامي.

الملحد – يعني الإسلام لا يقتل الأسرى؟

المؤمن – حسب عقيدتنا وفقهنا، أبدا لا يقتل على عنوان الأسير، أما على
عنوان آخر فنعم، فكما لو كان الشخص سارقا قاتلا، فإنه لا يقتل على جرم
السرقة لكن يقتل على جرم القتل، كما قيل إن إحدى نساء يهود بني قريظة
تم قتلها مع رجال بني قريظة قصاصا لقتلها أحد المسلمين حيث ألفت حجرا
فوق رأسه فقتلته. وقد أوضحنا أن الممسوك من المحاربين الرجال أثناء
المعركة ليس أسيرا واقعا ما دامت الحرب مستعرة وأصحابه ما زالوا
مشتدين بالقتال، فهذا يقتل أو ينطق بالشهادتين فيحقت دمه. أما الممسوك
نهاية المعركة من الرجال فهو الأسير واقعا فلا يقتل على عنوان الأسير،
والحكم فيه مخير فأما المن بإطلاق سراحه مجانا وأما إطلاق سراحه مقابل
فدية وأما الاسترقاق. وأما النساء فلا تقتل مطلقا على عنوان الأسر والكفر،
سواء كان الأسر أثناء المعركة أم بعدها، وسواء كان المسلمون في حالة

^١ - سيرة ابن هشام، ابن هشام، تحقيق السقا، ج ١ ص ٢٩٩

قتال و حرب فعلية مع الكفار أم لا، وحكمهن هو التخيير بالمن أو الفداء أو الاسترقاق، ويلحق بالنساء الصبيان وكبار السن والعجزة.

لاحظوا قول السيد الخوئي رحمه الله تعالى وهو المرجع الديني الأعلى للشريعة في عصره (توفي ١٩٩٢م):

((الفصل الثالث في أحكام الاسارى

(مسألة ٢٣) إذا كان المسلمون قد أسروا من الكفار المحاربين في أثناء الحرب، فإن كانوا إناثا لم يجز قتلهم كما مر. نعم يملكون بالسبي والاستيلاء عليهن، وكذلك الحال في الذراري غير البالغين، والشيوخ وغيرهم ممن لا يُقتل ... وأما إذا كانوا ذكورا بالغين فيتعين قتلهم إلا إذا أسلموا، فإن القتل حينئذ يسقط عنهم ...

وأما إذا كان الأسر بعد الإثخان والغلبة عليهم فلا يجوز قتل الاسير منهم وإن كانوا ذكورا، وحينئذ كان الحكم الثابت عليهم أحد امور: إما المن أو الفداء أو الاسترقاق))^١.

- ما قضية قتل أم قرفة؟

الملحد - أنت تكذب، أخبرنا عما فعل نبي الرحمة مع أم قرفة الفزارية حينما أسرها؟

المؤمن - أخبرني أنت عما فعله بها.

الملحد - قام بربط رجليها بين جملين ثم باعد الجملين فشققها الى نصفين. أهذا هو نبي الرحمة وهذا تعامله مع الأسرى من النساء!!

المؤمن - هات المصدر لو سمحت.

الملحد - في طبقات ابن سعد:

^١ - منهاج الصالحين ، السيد الخوئي ، ج ١ ، كتاب الجهاد ، الفصل الثالث

((سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة بوادي القرى

ثم سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة بناحية بوادي القرى، على سبع ليال من المدينة؛ في شهر رمضان سنة ست من مهاجر رسول الله، صلى الله عليه وسلم. قالوا: خرج زيد بن حارثة في تجارة إلى الشام ومعه بضائع لأصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، فلما كان دون وادي القرى لقيه ناس من فزارة من بني بدر فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم، ثم استبل زيد وقدم على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأخبره فبعثه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إليهم فكمنوا النهار وساروا الليل، ونذرت بهم بنو بدر ثم صبحهم زيد وأصحابه فكبروا وأحاطوا بالحاضر وأخذوا أم قرفة، وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر، وابنتها جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر، فكان الذي أخذ الجارية مسلمة بن الأكوع فوهبها لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، فوهبها رسول الله بعد ذلك لحزن بن أبي وهب، وعمد قيس بن المحسر إلى أم قرفة، وهي عجوز كبيرة، فقتلها قتلا عنيفا: ربط بين رجليها حبلا ثم ربطها بين بعيرين ثم زجرهما فذهبا فقطعاها))^١.

المؤمن – قصة قتل المدعوة أم قرفة بهذه الطريقة البشعة هي قصة موضوعة أي مكذوبة، وسنتكلم عن ذلك بشيء من التفصيل:

أولاً: إن أول من ذكر قصة قتل المدعوة أم قرفة بهذه الطريقة البشعة هو الواقدي (توفي ٢٠٧ هجرية) في كتابه المغازي بإسناد ضعيف ومنقطع، أي أن الراوي المباشر للخبر لم يكن مدركا لعصر النبي، وذكر الواقدي أنها كانت ردا على اعتراض بني قرفة لقافلة تجارية بقيادة زيد بن حارثة:

((سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ إِلَى أُمِّ قِرْفَةَ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ سِتِّ

حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْوَاقِدِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ:

١ - الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق احسان عباس، ج ٢ ص ٩٠

خَرَجَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فِي تِجَارَةٍ إِلَى الشَّامِ، وَمَعَهُ بَضَائِعٌ لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذَ حُصْنَيْتِي نَيْسٍ فَدَبَعَهُمَا ثُمَّ جَعَلَ بَضَائِعَهُمْ فِيهِمَا، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى إِذَا كَانَ دُونَ وَادِي الْقُرَى وَمَعَهُ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، لَقِيَهُ نَاسٌ مِنْ بَنِي فَرَازَةَ مِنْ بَنِي بَدْرِ، فَضَرَبُوهُ وَضَرَبُوا أَصْحَابَهُ حَتَّى ظَنُّوا أَنْ قَدْ قُتِلُوا، وَأَخَذُوا مَا كَانَ مَعَهُ، ثُمَّ اسْتَبَلَّ زَيْدٌ فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَعَثَهُ فِي سَرِيَّةٍ فَقَالَ لَهُمْ: أَكْمِنُوا النَّهَارَ وَسِيرُوا اللَّيْلَ.

فَخَرَجَ بِهِمْ دَلِيلٌ لَهُمْ، وَنَدَرْتُ بِهِمْ بَنُو بَدْرِ فَكَانُوا يَجْعَلُونَ نَاطُورًا لَهُمْ حِينَ يُصْبِحُونَ فَيَنْظُرُ عَلَى جَبَلٍ لَهُمْ مُشْرِفٍ وَجَهَ الطَّرِيقِ الَّذِي يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يَأْتُونَ مِنْهُ، فَيَنْظُرُ قَدْرَ مَسِيرَةِ يَوْمٍ فَيَقُولُ: اسْرَحُوا فَلَا بَأْسَ عَلَيْكُمْ هَذِهِ لَيْلَتُكُمْ! فَلَمَّا كَانَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَأَصْحَابُهُ عَلَى نَحْوِ مَسِيرَةِ لَيْلَةٍ أَخْطَأَ بِهِمْ دَلِيلُهُمُ الطَّرِيقَ، فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقًا أُخْرَى حَتَّى أَمْسَوْا وَهُمْ عَلَى خَطَأٍ، فَعَرَفُوا خَطَأَهُمْ، ثُمَّ صَمَدُوا لَهُمْ فِي اللَّيْلِ حَتَّى صَبَّحُوهُمْ، وَكَانَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ نَهَاهُمْ حَيْثُ انْتَهَوْا عَنِ الطَّلَبِ. قَالَ: ثُمَّ وَعِزَّ إِلَيْهِمْ أَلَّا يَفْتَرِقُوا. وَقَالَ: إِذَا كَبُرْتَ فَكَبِّرُوا. وَأَحَاطُوا بِالْحَاضِرِ ثُمَّ كَبَّرَ وَكَبِّرُوا، فَخَرَجَ سَلْمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ فَطَلَبَ رَجُلًا مِنْهُمْ حَتَّى قَتَلَهُ، وَقَدْ أَمَعَنَ فِي طَلَبِهِ، وَأَخَذَ جَارِيَةَ بِنْتَ مَالِكِ بْنِ حُدَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ وَجَدَهَا فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِهِمْ، وَأُمُّهَا أُمُّ قِرْفَةَ، وَأُمُّ قِرْفَةَ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَبِيعَةَ بْنِ زَيْدٍ. فَغَنِمُوا، وَأَقْبَلَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَأَقْبَلَ سَلْمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ بِالْجَارِيَةِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ لَهُ جَمَالَهَا، فَقَالَ: يَا سَلْمَةُ، مَا جَارِيَةٌ أَصْبَتْهَا؟ قَالَ: جَارِيَةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ رَجَوْتُ أَنْ أَفْتَدِيَ بِهَا امْرَأَةً مِنَّا مِنْ بَنِي فَرَازَةَ. فَأَعَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا يَسْأَلُهُ: مَا جَارِيَةٌ أَصْبَتْهَا؟ حَتَّى عَرَفَ سَلْمَةُ أَنَّهُ يُرِيدُهَا فَوَهَبَهَا لَهُ، فَوَهَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَزْنِ بْنِ أَبِي وَهَبٍ، فَوَلَدَتْ لَهُ امْرَأَةً لَيْسَ لَهُ مِنْهَا وَلَدٌ غَيْرُهَا.

فَحَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ، عَنِ الرَّهْرِيِّ، عَنِ عُرْوَةَ، عَنِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: وَقَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ مِنْ وَجْهِ ذَلِكَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِي، فَأَتَى زَيْدٌ فَفَرَعَ الْبَابَ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجُرُّ ثَوْبَهُ عُرْيَانًا، مَا رَأَيْتُهُ عُرْيَانًا قَبْلَهَا، حَتَّى اعْتَقَهُ وَقَبَّلَهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ بِمَا ظَفَرَهُ اللَّهُ.

ذَكَرُ مَنْ قَتَلَ أُمَّ قِرْفَةَ

قَتَلَهَا قَيْسُ بْنُ الْمُحَسَّرِ قَتْلًا عَنيفًا، رَبَطَ بَيْنَ رَجُلَيْهَا حَبْلًا ثُمَّ رَبَطَهَا بَيْنَ بَعِيرَيْنِ، وَهِيَ عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ. وَقَتَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعَدَةَ، وَقَتَلَ قَيْسَ بْنَ النُّعْمَانَ بْنَ مَسْعَدَةَ بْنِ حَكَمَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ بَدْرِ. ^١

ثانيا: ابن هشام (توفي ٢١٨ هجرية) صاحب كتاب السيرة النبوية، المعاصر للواقدي (توفي ٢٠٧ هجرية)، ذكر نفس القصة بإسناد منقطع أيضا، ولكنه لم يذكر قتل أم قرفة بهذه الطريقة البشعة:

((عَزْوَةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ بَنِي فِزَارَةَ وَمُصَابُ أُمَّ قِرْفَةَ

بَعْضُ مَنْ أُصِيبَ بِهَا) :

وَعَزْوَةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ أَيْضًا وَادِي الْقُرَى، لَقِيَ بِهِ بَنِي فِزَارَةَ، فَأُصِيبَ بِهَا نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَارْتُتَّ زَيْدٌ مِنْ بَيْنِ الْقَتْلَى، وَفِيهَا أُصِيبَ وَرْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ مَدَاشٍ، وَكَانَ أَحَدُ بَنِي سَعْدِ بْنِ هُدَيْلٍ، أَصَابَهُ أَحَدُ بَنِي بَدْرِ.

(مُعَاوِدَةُ زَيْدٍ لَهُمْ):

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا قَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ أَلَى أَنْ لَا يَمَسَّ رَأْسَهُ غُسْلٌ مِنْ جَنَابَةٍ حَتَّى يَغْرُوَ بَنِي فِزَارَةَ، فَلَمَّا اسْتَبَلَّ مِنْ جِرَاحَتِهِ بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَنِي فِزَارَةَ فِي جَيْشٍ، فَقَتَلَهُمْ بِوَادِي الْقُرَى، وَأَصَابَ فِيهِمْ، وَقَتَلَ قَيْسَ بْنَ الْمُسَحَّرِ الْيَعْمُرِيَّ مَسْعَدَةَ بْنَ حَكَمَةَ بْنَ مَالِكِ بْنِ حُدَيْفَةَ بْنَ بَدْرِ، وَأَسْرَتِ أُمَّ قِرْفَةَ فَاطِمَةَ بِنْتُ رَبِيعَةَ بْنَ بَدْرِ، كَانَتْ عَجُوزًا كَبِيرَةً عِنْدَ مَالِكِ بْنِ حُدَيْفَةَ ابْنِ بَدْرِ، وَبِنْتُ لَهَا، وَعَبَدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعَدَةَ، فَأَمَرَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ قَيْسَ بْنَ الْمُسَحَّرِ أَنْ يَقْتُلَ أُمَّ قِرْفَةَ، فَقَتَلَهَا قَتْلًا عَنيفًا، ثُمَّ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِابْنَةِ أُمَّ قِرْفَةَ، وَبِابْنِ مَسْعَدَةَ. ^٢

١ - كتاب المغازي، الواقدي، تحقيق مارسدن جونز، ج ٢ ص ٥٦٤

٢ - السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق السقا، ج ٢ ص ٦١٧

وكذلك المؤرخ المتأخر ابن كثير (توفي ٧٧٤ هجرية) ذكر القصة نفسها لكنه لم يذكر قتل أم قرفة بهذه الطريقة:

((بَعَثُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ أَيْضًا إِلَى بَنِي فِزَارَةَ وَأَسَرَ أُمَّ قِرْفَةَ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَبِيعَةَ بْنِ بَدْرِ وَكَانَتْ عِنْدَ مَالِكِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ وَمَعَهَا ابْنَةٌ لَهَا، فَأَمَرَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ قَيْسَ بْنَ الْمُسَحَّرِ الْيَعْمَرِيَّ فَقَتَلَ أُمَّ قِرْفَةَ وَاسْتَبَقَى ابْنَتَهَا وَكَانَتْ مِنْ بَيْتِ شَرَفٍ يُضْرَبُ بِأُمِّ قِرْفَةَ الْمَثَلُ فِي عِزِّهَا، وَكَانَتْ بِنْتَهَا مَعَ سَلْمَةَ بِنِ الْأَكْوَعِ فَاسْتَوْهَبَهَا مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهَا إِيَّاهَا، فَوَهَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ لِحَالِهِ حَزْنِ بْنِ أَبِي وَهَبٍ فَوَلَدَتْ لَهُ ابْنَهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ))^١.

ثالثًا: المؤرخ الطبري (توفي ٣١٠ هجرية) يذكر قصة قتل أم قرفة بهذه الطريقة البشعة، لكن بسند آخر ضعيف منقطع غير سند الواقدي، وينسب قيادة السرية إلى زيد بن حارثة كالواقدي، ولكنه بعد ذلك يذكر بسند آخر نسبة قيادة السرية هذه إلى أبي بكر وليس إلى زيد بن حارثة، وليس في هذا الخبر الآخر قتل أم قرفة بهذه الطريقة:

((حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثني ابن اسحاق عن عبد الله بن أبي بكر قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة إلى وادي القرى، فلقى به بني فزارة فأصيب به أناس من أصحابه وارتث زيد من بين القتلى وأصيب فيها ورد بن عمرو إحدى بنى سعد بن هذيم أصابه أحد بنى بدر فلما قدم زيد بن نذر أن لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو فزارة فلما استبل من جراحه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في جيش إلى بنى فزارة فلقبهم بوادي القرى فأصاب فيهم وقتل قيس بن المسحر اليعمري مسعدة بن حكمة بن مالك بن بدر وأسر أم قرفة وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر وكانت عند مالك بن حذيفة بن بدر عجوزا كبيرة وبنتا لها وعبد الله بن مسعدة فأمر زيد بن حارثة أن يقتل أم قرفة فقتلها قتلا عنيفا ربط برجليها حبلين ثم ربطهما إلى بعيرين حتى شقاها ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنة أم قرفة وبعبد الله بن مسعدة وكانت ابنة أم قرفة لسلمة بن عمرو بن الاكوع كان هو الذى أصابها وكانت في بيت شرف من قومها

^١ - البداية والنهاية، ابن كثير ، ج ٥ ص ٢١٨

كانت العرب تقول لو كنت أعز من أم قرفة ما زدت فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمة فوهبها له فأهداها لخاله حزن ابن أبي وهب فولدت له عبد الرحمن بن حزن * وأما الرواية الاخرى عن سلمة ابن الاكوع في هذه السرية أن أميرها كان أبا بكر بن أبي قحافة * حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا أبو عامر قال حدثنا عكرمة بن عمار عن اياس بن سلمة عن أبيه قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا أبا بكر فغزونا ناسا من بنى فزارة فلما دنونا من الماء أمرنا أبو بكر فعرسنا فلما صلينا الصبح أمرنا أبو بكر فشننا الغارة عليهم قال فوردنا الماء فقتلنا به من قتلنا قال فأبصرت عنقا من الناس وفيهم النساء والذراري قد كادوا يسبقون إلى الجبل فطرحت سهما بينهم وبين الجبل فلما رأوا السهم وقفوا فجئت بهم أسوقهم إلى أبي بكر وفيهم امرأة من بنى فزارة عليها قشع آدم معها ابنة لها من أحسن العرب قال فنفلني أبو بكر ابنتها قال فقدمت المدينة فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسوق فقال يا سلمة لله أبوك هب لى المرأة فقلت يا رسول الله والله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوبا قال فسكت عنى حتى إذا كان من الغد لقيني في السوق فقال يا سلمة لله أبوك هب المرأة فقلت يا رسول الله والله ما كشفت لها ثوبا وهى لك يا رسول الله قال فبعث بها رسول الله إلى مكة ففادي بها أسارى من المسلمين كانوا في أيدي المشركين)).^١

كذلك صحيح مسلم يؤكد بسند صحيح عند المخالفين نسبة هذه السرية الى ابي بكر، ولكن بدون ذكر قتل أم قرفة أصلا:

((١٤ - باب التَّنْفِيلِ وَفِدَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَسَارَى.

٤٦٢ - حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ حَدَّثَنِي إِيَّاسُ بْنُ سَلْمَةَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ غَزَوْنَا فَرَّارَةَ وَعَلَيْنَا أَبُو بَكْرٍ أَمْرَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عَلَيْنَا فَلَمَّا كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَاءِ سَاعَةٌ أَمَرْنَا أَبُو بَكْرٍ فَعَرَّسْنَا ثُمَّ شَنَّ الْعَارَةَ فَوَرَدَ الْمَاءَ فَقَتَلَ مَنْ قَتَلَ عَلَيْهِ وَسَبَى

١ - تاريخ الطبري ، الطبري ، ج ٢ ص ٢٨٧

وَأَنْظُرُ إِلَى عُنُقٍ مِنَ النَّاسِ فِيهِمُ الذَّرَارِيُّ فَخَشِيتُ أَنْ يَسْبِقُونِي إِلَى الْجَبَلِ
فَرَمَيْتُ بِسَهْمٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْجَبَلِ فَلَمَّا رَأَوْا السَّهْمَ وَقَفُوا فَجِئْتُ بِهِمْ أَسْوَفَهُمْ
وَفِيهِمْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ عَلَيْهَا قَشْعٌ مِنْ أَدَمٍ - قَالَ الْقَشْعُ النَّطْعُ - مَعَهَا ابْنَةٌ
لَهَا مِنْ أَحْسَنِ الْعَرَبِ فَسُقْتُهُمْ حَتَّى أَتَيْتُ بِهِمْ أَبَا بَكْرٍ فَنَقَلَنِي أَبُو بَكْرٍ ابْنَتَهَا
فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَمَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا فَلَقِينِي رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-
فِي السُّوقِ فَقَالَ « يَا سَلْمَةُ هَبْ لِي الْمَرْأَةَ ». فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ لَقَدْ
أَعْجَبْتَنِي وَمَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا ثُمَّ لَقِينِي رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- مِنْ
الْغَدِ فِي السُّوقِ فَقَالَ لِي « يَا سَلْمَةُ هَبْ لِي الْمَرْأَةَ لِلَّهِ أَبُوكَ ». فَقُلْتُ هِيَ لَكَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ فَوَاللَّهِ مَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا فَبَعَثَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-
إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ فَفَدَى بِهَا نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا أُسْرُوا بِمَكَّةَ.))^١.

رابعاً: صاحب السيرة الطلبية (توفي ١٠٤٤ هجرية) ذكر رواية نسبة السرية
الى ابي بكر التي لم تذكر قتل أم قرفة، ورواية نسبتها الى زيد بن حارثة
التي ذكرت قتلها بهذه الطريقة، وذكر محاولة بعضهم الجمع بين الروايتين
بجعلهما سريتين، لكنه استبعد كونهما سريتين فالظاهر أنهما سرية واحدة:

((سرية أمير المؤمنين أبي بكر الصديق رضي الله عنه لبني فزارة كما في
صحيح مسلم بوادي القرى

عن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه قال: بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم أبا بكر رضي الله تعالى عنه إلى فزارة وخرجت معه حتى إذا
صلينا الصبح أمرنا فشنينا الغارة فوردنا الماء. فقتل أبو بكر: أي جيشه من
قتل، ورأيت طائفة منهم الذراري، فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل، فأدركتهم
ورميت بسهم بينهم وبين الجبل، فلما رأوا السهم وقفوا وفيهم امرأة: أي وهي
أم قرفة عليها قشع من آدم: أي فروة خلقة معها ابنتها من أحسن العرب،
فجئت بهم أسوقهم إلى أبي بكر، فنقلني أبو بكر رضي الله تعالى عنه ابنتها،
فلم أكشف لها ثوبا، فقدمنا المدينة، فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم،
فقال: يا سلمة هب لي المرأة لله أبوك: أي أبوك لله خالصا حيث أنجب بك
وأتى بمثلك، يقال ذلك في مقام المدح والتعجب: أي وقد كان وصف له صلى

^١ - صحيح مسلم ، مسلم النيسابوي ، ج ٥ ص ١٥٠ ، باب التنفيل وفداء المسلمين بالأسرى

الله عليه وسلم جمالها، فقلت: هي لك يا رسول الله، فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ففدى بها أسرى من المسلمين كانوا في أيدي المشركين... وذكر في الأصل قبل ذلك عن ابن إسحاق وابن سعد أن أمير هذه السرية، أي التي أصابت أم قرفة زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما، وأنه لقي بني فزارة وأصيب بها ناس من أصحابه، وانفلت زيد من بين القتلى: أي احتمل جريحا وبه رمق، فلما قدم زيد رضي الله تعالى عنه نذر أن لا يمس رأسه غسل من الجنابة حتى يغزو بني فزارة، فلما عوفي أرسله صلى الله عليه وسلم إليهم، فكمنوا النهار وساروا الليل حتى أحاطوا بهم، وكبروا وأخذوا أم قرفة وكانت أم قرفة في شرف من قومها، وكان يعلق في بيتها خمسون سيفا كلهم لها محرم، وكان لها اثنا عشر ولدا. ومن ثم كانت العرب تضرب بها المثل في العزة، فتقول: لو كنت أعز من أم قرفة، فأمر زيد بن حارثة أن تقتل أم قرفة، أي لأنها كانت تسب النبي صلى الله عليه وسلم.

وجاء أنها جهزت ثلاثين راكبا من ولدها وولد ولدها وقالت لهم: اغزوا المدينة واقتلوا محمدا، لكن قال بعضهم: إنه خبر منكر، فربط برجليها حبلين ثم ربطا إلى بعيرين وزجرهما، أي وقيل إلى فرسين، فركضا فشقاها نصفين، وقرفة ولدها هذا الذي تكنى به قتله النبي صلى الله عليه وسلم وبقيّة أولادها قتلوا مع أهل الردة في خلافة الصديق فلا خير فيها ولا في بنيتها، ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنة أم قرفة، وذكر له صلى الله عليه وسلم جمالها، فقال صلى الله عليه وسلم لابن الأكوغ: يا سلمة ما جارية أصبتها، قال: يا رسول الله جارية رجوت أن أفدي بها امرأة منا في بني فزارة: فأعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلام مرتين أو ثلاثا، فعرف سلمة أنه صلى الله عليه وسلم يريد لها، فوهبها النبي صلى الله عليه وسلم لخاله حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بمكة.... وجمع الشمس الشامي بين الروايتين حيث قال: يحتمل أنهما سريتان اتفق لسلمة بن الأكوغ فيهما ذلك، أي إحداهما لأبي بكر، والأخرى لزيد بن حارثة، ويؤيد ذلك أن في سرية أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ببنت أم قرفة إلى

مكة ففدى بها أسرى كانوا في أيدي المشركين. أي وفي سرية زيد وهبها لخاله حزن بمكة.

قال: ولم أر من تعرض لتحريير ذلك. انتهى.

أقول: في هذا الجمع نظر، لأنه يقتضي أن أم قرفة تعددت، وأن كل واحدة كانت لها بنت جميلة، وأن سلمة بن الأكوع أسرها، وأنه صلى الله عليه وسلم أخذهما منه، وفي ذلك بعد))^١.

خامسا: الدارقطني (توفي ٣٨٥ هجرية) ذكر نسا مسندا يقول إن أبا بكر هو من قتل أم قرفة الفزارية بهذه الطريقة البشعة، ولكن ليس في عهد الرسول الأكرم بل في عهد أبي بكر نفسه بسبب ارتدادها عن الإسلام، وهناك من حاول التوفيق بين هذه الرواية وتلك التي تنسب قتلها الى العهد النبوي بزعم إن أم قرفة هذه غير تلك، وأنها ربما ابنة تلك وتسمى أم قرفة الصغرى وكانت قد أسلمت ثم ارتدت بعد وفاة الرسول:

((٣٢٠٢ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ الْبُهْلُولِ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَتَلَ أُمَّ قَرْفَةَ الْفَزَارِيَّةَ فِي رِدَّتِهَا قِتْلَةً مُثْلَةً شَدَّ رَجْلَيْهَا بِفَرَسَيْنِ ثُمَّ صَاحَ بِهِمَا فَشَقَّاهَا))^٢.

سادسا: من الذي باشر قتل أم قرفة؟ النصوص السابقة تنسب مباشرة قتلها بهذه الصورة الى قيس بن المسحر، ولكن هناك من نسب قتلها الى ورد بن قتادة: ((ورد بن قتادة: من بني مداس بن عبد الله بن دبيان بن الحارث بن سعد هذيم. قال بن الكلبي: هو الذي ربط أم قرفة الفزارية بين فرسين فشققها نصفين وكان ذلك بأمر زيد بن حارثة لما غزا بني فزارة. وأسر أم قرفة.))^٣.

سابعا: ماذا فعلت أم قرفة؟ من النصوص السابقة واللاحقة وغيرهن يظهر أن أم قرفة هذه كانت من رؤوس الكفر والحرب على الإسلام ونبي الإسلام،

^١ - السيرة الحلبية، الحلبي، ج ٣ ص ٢٥٢

^٢ - سنن الدارقطني، الدارقطني، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ج ٤ ص ١١٩، الحديث ٣٢٠٢

^٣ - الإصابة في معرفة الصحابة، ابن حجر العسقلاني، ج ٣ ص ٢٤٢

كأبي جهل وعتبة وأبي سفيان وأمّية بن خلف وعتبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث، فهي كانت معظمة في قومها بل هي زعيمة فعلية لقومها بني فزارة، حيث كانت أما وجدة لعشرات الرجال من المشركين المحاربين، وكانت تشدهم الى الكفر وتصدهم عن الإسلام، بل كانت تحرضهم على قطع طريق القوافل التجارية للمسلمين وتجهزهم لحرب المسلمين، بل كانت مقاتلة دارعة، وبالفعل كان قومها تنفيذا لأمرها يقومون بقطع الطريق وسلب قوافل المسلمين ويقتلون المسلمين ويجهزون العدة لمواجهة جيش المسلمين، وكان تشبثهم بالكفر ومحاربة الإسلام طاعة لأم قرفة، وعلى القول أن قتلها كان في حروب الردة في عهد حكومة السقيفة فالظاهر أنها أسلمت ثم ارتدت بعد وفاة الرسول الأكرم وقادت قومها في حرب الردة ضد الإسلام والمسلمين، ومما يشير الى شأنها غير النصوص السابقة ما يلي:

((عَنْ عُرْوَةَ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ بَنِي فِزَارَةَ يُقَالُ لَهَا أُمُّ قِرْفَةَ قَدْ جَهَّزَتْ ثَلَاثِينَ رَاكِبًا مِنْ وُلْدِهَا وَوَلَدِهَا قَالَتْ: أَفْدَمُوا الْمَدِينَةَ فَأَقْتُلُوا مُحَمَّدًا. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اللَّهُمَّ أَنْكُلْهَا بِوَلَدِهَا. وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ فَالْتَقَوْا بِالْوَادِي وَفُتِلَ أَصْحَابُ زَيْدٍ فَارْتَتَّ جَرِيحًا وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ فَعَاهَدَ اللَّهُ أَنْ لَا يَمَسَّ رَأْسَهُ مَاءٌ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ، فَبَعَثَ مَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْثًا فَالْتَقَوْا فَقَتَلَ بَنِي فِزَارَةَ وَقَتَلَ وَوَلَدَ أُمِّ قِرْفَةَ وَقَتَلَ أُمَّ قِرْفَةَ وَبَعَثَ بِدِرْعِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانْصَبَهُ بَيْنَ رُمَحَيْنِ، وَأَقْبَلَ زَيْدٌ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ. قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي بَيْتِي فَقَرَعَ الْبَابَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ يَجْرُ ثَوْبُهُ حَتَّى اعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)).^١

إلا أن الحافظ الذهبي رفض هذا الخبر:

((يحيى بن محمد بن عباد بن هانئ الشجري، أبو إبراهيم. عن ابن إسحاق.

ضعفه أبو حاتم الرازي.

^١ - دلائل النبوة ، أبو نعيم الأصبهاني ، تحقيق محمد رواس ، ج ١ ص ٥٣٤ ، الحديث رقم ٤٦٢

وقال العقيلي: في حديثه مناكير وأغاليط.

... وبه: عن الزهري، عن عروة، عن عائشة - أن النبي صلى الله عليه وسلم بلغه أن امرأة من بنى فزارة يقال لها أم قرفة جهزت ثلاثين راكبا من ولدها وولد ولدها، فقالت: اقدموا المدينة فاقتلوا محمدا صلى الله عليه وسلم، فقال: اللهم أكلها ولدها.

وبعث إليهم زيد بن حارثة، فقتل بنى فزارة، وقتل ولد أم قرفة، وبعث بدرعها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصبه بين رمحين، وأقبل زيد - قالت عائشة: ورسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة في بيتي - ففرع الباب فخرج، إليه يجر ثوبه عريانا، والذي بعثه بالحق ما رأيت عريته قبل ذلك ولا بعدها حتى اعتنقه وقبله.

قلت: هذا حديث منكر، تفرد به إبراهيم عن أبيه.)).^١

ثامنا: ما شأن بقية الأسرى؟ لم يذكروا سوى أسر عبد الله بن مسعدة وأخته، فأما عبد الله بن مسعدة فقالوا إن الرسول الأكرم وهبه لابنته فاطمة الزهراء عليها السلام فأسلم وأعتقته الزهراء وتربى في بيت علي وفاطمة عليهما السلام، إلا أن مصيره كان أسودا، حيث صار أمويا ناصبيا مجرما من اتباع معاوية عليه اللعنة وحارب الإمام علي ثم في جيش يزيد العلوي الذي استباح المدينة المنورة. أما اخته فاختلّفوا في شأنها فقالوا إن الرسول الأكرم وهبها لخاله وقالوا افتدى بها بعض المسلمين من أيدي المشركين:

((عبد الله بن مسعدة بن حكمة بن مالك بن حذافة بن بدر الفزاري ... قال قال لي معاوية ادع لي عبد الله بن مسعدة الفزاري فدعوته وكان آدم شديد الأدمة فقال دونك هذه الجارية لجارية رومية بيض بها ولدك، وكان عبد الله في سبي بني فزارة فوهبه النبي صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة فأعتقته وكان صغيرا فتربى عندها ثم كان عند علي ثم كان بعد ذلك عند معاوية

^١ - ميزان الاعتدال، الحافظ الذهبي، ج ٤ ص ٤٠٦

وصار أشد الناس على علي ثم كان على جند دمشق بعد الحرة وبقي إلى
خليفة مروان))^١.

تاسعا: الخلاصة من كل ما سبق ما يلي:

١- كل النصوص لم تذكر مباشرة أو أمر أو علم أو رضا الرسول الأكرم
بقتل أم قرفة بهذه الطريقة البشعة، وهذا يرد على افتراء الملاحدة بقيام
الرسول الأكرم بذلك بالمباشرة أو بالتسيب.

٢- اضطربت الأخبار في قتل أم قرفة، فهناك نصوص لم تذكر قتلها أصلا،
وهناك نصوص نصت على قتلها، والنصوص التي نصت على قتلها بعضها
نص على قتلها بهذه الطريقة البشعة وبعضها لم يذكر قتلها بهذه الطريقة
البشعة، وهناك نصوص تذكر قتلها في العهد النبوي وهناك نصوص تذكر
قتلها في عهد أبي بكر في حرب الردة، والنصوص التي ذكرت قتلها في
العهد النبوي بعضها ينسب قيادة السرية لزيد بن حارثة وبعضها ينسبها لأبي
بكر، وهناك نصوص تنسب المباشرة بقتلها لقيس بن المسحر وهناك
نصوص تنسبه لقتادة بن ورد وهناك نصوص تنسبه لأبي بكر. إن اضطراب
الأخبار بهذا الشكل الفظيع يجعل قضية قتل أم قرفة بهذه الطريقة البشعة
قضية مشكوك بل مكذوبة، لا اضطراب النصوص ومخالفتها لما هو قطعي
من تعاليم الإسلام ومنهج تعامل الإسلام مع الكفار، وإذا أضفنا لذلك ما
ذكرناه أولا من عدم ذكر جميع النصوص أمر أو مباشرة أو علم الرسول
الأكرم بذلك؛ يتأكد أن قضية قتلها بهذه الطريقة هي قضية موضوعة
مدسوسة، أو أنها قد وقعت في عهد أبي بكر في حروب الردة كمخالفة غير
محسوبة على الإسلام والرسول.

٣- الثابت القطعي من تعاليم الإسلام ومنهج تعامله مع الكفار والذي جرت
عليه سيرة المسلمين في حربهم في العهد النبوي هو ما يلي:

١ - الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني ، تحقيق علي البجاوي ، ج ٤ ص ٢٢١

((١ - ... عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه واله: إذا أراد أن يبعث سرية دعاهم فأجلسهم بين يديه ثم يقول: سيروا بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله، لا تغلوا ولا تمثلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخا فانيا ولا صبيا ولا امرأة، ولا تقطعوا شجرا إلا أن تضطروا إليها، وأيما رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم نظر إلى رجل من المشركين فهو جار حتى يسمع كلام الله فإن تبعكم فأخوكم في الدين وإن أبى فأبلغوه مأمنه واستعينوا بالله عليه.

٢ - ... عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: نهى رسول الله صلى الله عليه واله أن يلقي السم في بلاد المشركين.

٣ - ... قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما بيت رسول الله صلى الله عليه واله عدوا قط.

٤ - ... عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: بعثني رسول الله صلى الله عليه واله إلى اليمن وقال لي: يا علي لا تقتلن أحدا حتى تدعوه وأيم الله لأن يهدي الله على يدك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت ولك ولاؤه يا علي.))^١.

هذا هو الثابت القطعي، فإن خالف أحدهم ذلك فانه ورسوله والمسلمون منه براء.

٤ - المقدار المتيقن من كل النصوص أنه كانت هناك امرأة تدعى أم قرفة وكانت من رؤوس الكفر والصد عن الإسلام وقتل المسلمين والتحزيب على الإسلام ونبي الإسلام والمسلمين فاستحقت قتلها لأجل ذلك، ونحن قد ذكرنا أن من ثوابت الإسلام عندنا عدم قتل النساء على عنوان الكفر والأسر بل الحكم فيهن أما العفو أو الفداء أو الاسترقاق، أما قتل المرأة على عنوان آخر فلم يمنعه الإسلام، فالإسلام يحكم بقتل القاتلة والزانية المتزوجة مع كونها مسلمة، وأم قرفة استحقت القتل فقد كانت من رؤوس الكفر والصد عن الإسلام وقتل المسلمين والتحزيب على الإسلام ونبي الإسلام والمسلمين،

^١ - الكافي، الشيخ الكليني، ج ٥، كتاب الجهاد، باب وصية رسول الله وأمير المؤمنين في السرايا

أما كونها قد قتلت بالفعل فهو أمر مشكوك لأن بعض النصوص لم تذكر قتلها أصلاً، وأما قتلها بهذه الطريقة البشعة فهو كما قلنا مشكوك أيضاً لاضطراب الأخبار بل مكذوب لمخالفته القطعي من تعاليم الإسلام ومنهج تعامل الإسلام مع الكفار في حربه.

٥- النصوص في قصة أم قرفة ذكرت أسر عبد الله بن مسعدة وبنت أم قرفة وأن الرسول وهبها ولم يقتلها، وفي ذلك نقض لمزاعم الملاحدة بأن الإسلام يقتل الأسرى عموماً والنساء خاصة.

٦- النصوص في قصة أم قرفة بعضها ذكر هبة الرسول الأكرم بنت أم قرفة لخاله، وبعضها ذكر افتداء الرسول الأكرم بها بعض المسلمين من أيدي المشركين، وفي ذلك تكذيب لمزاعم الملاحدة أن الرسول الأكرم كان مولعاً بالنساء وأنه كان يقاتل لسببي النساء لنفسه.

٧- بعض النصوص في قصة أم قرفة ذكرت هبة الرسول الأكرم عبد الله بن مسعدة لبنته فاطمة الزهراء وأنها قد أكرمته وأعتقته، وفي ذلك اثبات على حسن تعامل الإسلام مع الرقيق.

٨- كل النصوص الواردة في شأن قتل أم قرفة بهذه الطريقة هي واردة من غير طرقنا إلى آل البيت عليهم السلام، بل من طرق أتباع السقيفة، وهي نصوص مرفوضة مستنكرة عند المخالفين أنفسهم، فمن باب أولى أن تكون مرفوضة مستنكرة عندنا.

٩- قاعدة عامة أعطيها لكم: إن معظم ما ورد عن السيرة النبوية هو وارد من مصادر المخالفين للإسلام المحمدي الأصيل، وهي فيها من الدس والكذب والتزوير وتلاعب اليهود والباطنيين ووعاظ السلاطين الشيء الكثير، فإن لم تثبت صحته وفق منهج آل البيت عليهم السلام في تحقيق النصوص فهو يظل مشكوكاً، نرجع فيه إلى الأصل الثابت في الرسول الأكرم وهو: ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)))^١، ((وَإِنَّكَ لَعَلَى

١ - سورة الأنبياء

خُلِقَ عَظِيمِ (٤))'، لماذا؟ لأن هذا هو النص القطعي والصريح من القرآن الكريم فيما يخص أخلاق ووظيفة الرسول الأكرم، وكل ما لا يتفق معه فهو مرفوض بحسب عقيدتنا. وإن كانت لكم حجة فهي حجة على اسلام السقيفة وليس على الإسلام المحمدي الأصيل.

الملحد – كيف تقول إن النبي لم يعلم والنص يذكر استقباله لزيد بن حارثة واخبار زيد له بما أظفره الله!!

المؤمن – الخبر الذي ذكر اخبار زيد بن حارثة للنبي بتفاصيل المعركة هو خبر عائشة، ورغم أنه خبر منكر بشهادة الذهبي، فليس فيه ذكر لقتل أم قرفة بهذه الطريقة البشعة، فلو كانت عائشة ذكرت في حديثها هذا قتل أم قرفة بهذه الطريقة البشعة، لقلنا إنها عرفت ذلك من إخبار زيد بن حارثة للنبي بتفاصيل المعركة في بيتها، لكن لما لم تذكر عائشة قتل أم قرفة بهذه الطريقة البشعة في خبرها، فهذا ينفي دعوى علم أو رضا الرسول الأكرم بقتل أم قرفة بهذه الطريقة، بل لا يثبت قتلها هكذا أصلاً فضلاً عن علم أو رضا الرسول الأكرم به.

- موقف الرسول من خالد

الملحد – ماذا فعل نبي الرحمة لخالد بن الوليد عندما قام بمجزرة في بني جذيمة؟

المؤمن – أخبرني أنت ماذا فعل؟

الملحد – قام خالد بن الوليد بقتل عشرات الأسرى من بني جذيمة، فلما علم النبي لم يفعل سوى أنه انتحى في زاوية ورفع يديه الى السماء وقال اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد، ولم يفعل شيئاً لخالد لأنه يخاف أن يقوم خالد بانقلاب عسكري عليه.

المؤمن – أما زعمك "أنه انتحى في زاوية" فهو نقل كاذب، وأنا أتحدّك أن تأتي بخبر مسند يقول إنه انتحى في زاوية. وأما تحليلك "لأنه يخاف أن يقوم خالد بانقلاب عسكري عليه" فهو تحليل ساذج إذ من يكون خالد بن الوليد الذي أسلم حديثاً (شهر صفر سنة ٨ هجرية) قبيل فتح مكة (شهر رمضان سنة ٨ هجرية) ببضعة أشهر، وكان إرساله لبني جذيمة (شهر شوال سنة ٨ هجرية)، من يكون ليخشي الرسول الأكرم قيامه بانقلاب عسكري؟ والرسول الأكرم قد جاء لفتح مكة ومعه ١٠ آلاف مقاتل، بل أن الكتيبة التي ذهبت لبني جذيمة مع خالد هي التي انقلبت على خالد كما تنص كل المصادر.

الملحد – أخبرنا ماذا فعل النبي؟

المؤمن – سنتكلم بتسلسل علمي في نقاط:

أولاً: نذكر الحادثة من أشهر المصادر:

في السيرة النبوية لابن هشام: ((مَسِيرُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ بَعْدَ الْفَتْحِ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ مِنْ كِنَانَةَ وَمَسِيرُ عَلِيِّ لِتَلَا فِي خَطِّ خَالِدِ:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا حَوْلَ مَكَّةَ السَّرَايَا تَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَمْ يَأْمُرْهُمْ بِقِتَالِ، وَكَانَ مِمَّنْ بَعَثَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسِيرَ بِأَسْفَلِ تَهَامَةَ دَاعِيًا، وَلَمْ يَبْعَثْهُ مُقَاتِلًا، فَوَطِئَ بَنِي جَذِيمَةَ، فَأَصَابَ مِنْهُمْ... قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي حَكِيمُ بْنُ حَكِيمٍ بْنُ عَبَّادِ بْنِ حُنَيْفٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ جِينَ افْتَتَحَ مَكَّةَ دَاعِيًا، وَلَمْ يَبْعَثْهُ مُقَاتِلًا، وَمَعَهُ قَبَائِلُ مِنَ الْعَرَبِ: سُلَيْمُ بْنُ مَنْصُورٍ، وَمُدَلِجُ بْنُ مُرَّةَ، فَوَطِنُوا بَنِي جَذِيمَةَ بِنِ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةِ بْنِ كِنَانَةَ، فَلَمَّا رَأَهُ الْقَوْمُ أَحَدُوا السِّلَاحَ، فَقَالَ خَالِدٌ: ضَعُوا السِّلَاحَ، فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ أَسْلَمُوا..... قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي حَكِيمُ بْنُ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: فَلَمَّا وَضَعُوا السِّلَاحَ أَمَرَ بِهِمْ خَالِدٌ عِنْدَ ذَلِكَ، فَكُتِفُوا، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى السَّيْفِ، فَقَتَلَ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ، فَلَمَّا انْتَهَى الْخَبْرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ..... قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَحَدَّثَنِي أَنَّهُ انْقَلَبَتْ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبْرَ، فَقَالَ رَسُولُ

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ أَنْكَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، قَدْ أَنْكَرَ عَلَيْهِ رَجُلٌ أَبْيَضُ رُبْعَةٌ، فَتَهَمَهُ خَالِدٌ، فَسَكَتَ عَنْهُ، وَأَنْكَرَ عَلَيْهِ رَجُلٌ آخَرُ طَوِيلٌ مُضْطَرِبٌ، فَرَاغَهُ، فَاشْتَدَّتْ مُرَاجَعَتُهُمَا، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: أَمَّا الْأَوَّلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَبْنِي عَبْدُ اللَّهِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَسَالِمٌ، مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي حَكِيمُ بْنُ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا عَلِيُّ، أُخْرِجْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، فَاَنْظُرْ فِي أَمْرِهِمْ، وَاجْعَلْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيْكَ.

فَخَرَجَ عَلِيٌّ حَتَّى جَاءَهُمْ وَمَعَهُ مَالٌ قَدْ بَعَثَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَدَى لَهُمُ الدِّمَاءَ وَمَا أُصِيبَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَدِي لَهُمْ مِيلَعَةً الْكَلْبِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنْ دَمٍ وَلَا مَالٍ إِلَّا وَدَاهُ، بَقِيَتْ مَعَهُ بَقِيَّةٌ مِنَ الْمَالِ، فَقَالَ لَهُمْ عَلِيُّ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ حِينَ فَرَّغَ مِنْهُمْ: هَلْ بَقِيَ لَكُمْ بَقِيَّةٌ مِنْ دَمٍ أَوْ مَالٍ لَمْ يُودَ لَكُمْ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَإِنِّي أُعْطِيكُمْ هَذِهِ الْبَقِيَّةَ مِنْ هَذَا الْمَالِ، اخْتِيَاظًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِمَّا يَعْلَمُ وَلَا تَعْلَمُونَ، فَفَعَلَ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ: فَقَالَ أَصَبْتُ وَأَحْسَنْتُ! قَالَ: ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَقْبَلَ الْوَيْلَةَ قَائِمًا شَاهِرًا يَدَيْهِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَرَى مِمَّا تَحْتَ مَنْكِبَيْهِ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ قَالَ بَعْضُ مَنْ يَعْذُرُ خَالِدًا إِنَّهُ قَالَ: مَا قَاتَلْتُ حَتَّى أَمْرَنِي بِذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَدَافَةَ السَّهْمِيُّ، وَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَمَرَكَ أَنْ تَقَاتِلَهُمْ لِامْتِنَاعِهِمْ مِنَ الْإِسْلَامِ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: قَالَ أَبُو عَمْرٍو الْمَدَنِيُّ: لَمَّا أَتَاهُمْ خَالِدٌ، قَالُوا: صَبَأْنَا صَبَأَنَا.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ... قَدْ كَانَ بَيْنَ خَالِدٍ وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فِيمَا بَلَغَنِي، كَلَامٌ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: عَمِلْتُ بِأَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ. فَقَالَ: إِنَّمَا تَأْرَتْ بِأَبْيِكَ. فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: كَذَبْتُ، قَدْ قَاتَلْتُ قَاتِلَ أَبِي، وَلَكِنَّكَ تَأْرَتْ بِعَمِّكَ الْفَاكِهَ بْنَ الْمُغِيرَةَ، حَتَّى كَانَ بَيْنَهُمَا شَرٌّ. فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَهَلًا يَا خَالِدُ، دَعِ عَنكَ أَصْحَابِي،

فوالله لو كان لك أهدى ذهباً ثم أنفقته في سبيل الله ما أدركت غدوة رجلٍ من أصحابي ولا روحته.)^١

وفي مغازي الواقدي: ((قال: حدثني عبد الله بن عمر، عن نافع عن ابن عمر قال: "قال: عمر لخالد ويحك يا خالد أخذت بني جذيمة بالذي كان من أمر الجاهلية أو ليس الإسلام قد ما كان قبله في الجاهلية؟ فقال: يا أبا حفص والله ما أخذتهم إلا بالحق أغرت على قوم مشركين وامتنعوا، فلم يكن لي بد - إذ امتنعوا - من قتالهم فأسررتهم ثم حملتهم على السيف. فقال: عمر أي رجل تعلم عبد الله بن عمر؟ قال: أعلمه والله رجلاً صالحاً. قال: فهو أخبرني غير الذي أخبرتني، وكان معك في ذلك الجيش. قال: خالد فإني أستغفر الله وأتوب إليه. قال: فأنكسر عنه عمر وقال: ويحك، ايت رسول الله يستغفر لك "

قال: حدثني يحيى بن عبد الله بن أبي قتادة، عن أهله عن أبي قتادة، وكان في القوم قال: لما نادى خالد في السحر "من كان معه أسير فليدأفه" أرسلت أسيري وقلت لخالد اتق الله فاتك ميت وإن هؤلاء قوم مسلمون قال: يا أبا قتادة، إنه لا علم لك بهؤلاء. قال: أبو قتادة: فإني ما يكلمني خالد على ما في نفسه من الترة عليهم.

قالوا: "فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع خالد بن الوليد رفع يديه حتى يباض إبطيه ويقول" اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد" وقدم خالد والنبي صلى الله عليه وسلم عاتب... فبعث مع علي عليه السلام فلما رجع علي دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما صنعت يا علي؟ فأخبره وقال: يا رسول الله قدما على قوم مسلمين قد بنوا المساجد بساحتهم فوديت لهم كل من قتل خالد حتى مبلغه الكلاب ثم بقي معي بقيه من المال فقلت: هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا يعلمه ولا تعلمونه. قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: أصبت! ما أمرت خالدًا بالقتل. إنما أمرته بالدعاء". وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل على خالد ويعرض عنه وخالد يتعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويخلف ما قتلهم على

^١ - السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق السقا، ج ٢ ص ٤٢٨-٤٣١

تِرَةً وَلَا عِدَاوَةً. فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيَّ وَوَدَاهُمْ أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَى خَالِدٍ فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ مِنْ عِلْيَةِ أَصْحَابِهِ حَتَّى تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))^١.

في طبقات ابن سعد: ((سَرِيَّةُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَدِيمَةَ مِنْ

كِنَانَةَ ثُمَّ سَرِيَّةُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَدِيمَةَ مِنْ كِنَانَةَ وَكَانُوا بِأَسْفَلِ مَكَّةَ
عَلَى أَيْلَةِ نَاحِيَةِ يَلْمَمَ فِي شَوَالِ سَنَةِ ثَمَانٍ مِنْ مُهَاجِرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَوْمُ الْعُمَيْصَاءِ، قَالُوا: لَمَّا رَجَعَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مِنْ هَذِهِ
الْعُزَى وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقِيمٌ بِمَكَّةَ بَعَثَهُ إِلَى بَنِي جَدِيمَةَ دَاعِيًا
إِلَى الْإِسْلَامِ وَلَمْ يَبْعَثْهُ مُقَاتِلًا فَخَرَجَ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَبَنِي سُلَيْمٍ فَأَنْتَهَى إِلَيْهِمْ خَالِدٌ فَقَالَ: مَا أَنْتُمْ قَالُوا:
مُسْلِمُونَ قَدْ صَلَّيْنَا وَصَدَّقْنَا بِمُحَمَّدٍ وَبَنَيْنَا الْمَسَاجِدَ فِي سَاحَاتِنَا وَأَدْنَا فِيهَا، قَالَ:
فَمَا بَالُ السِّلَاحِ عَلَيْكُمْ؟ فَقَالُوا إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ مِنَ الْعَرَبِ عِدَاوَةٌ فَخَفْنَا أَنْ
تَكُونُوا هُمْ فَأَخَذْنَا السِّلَاحَ قَالَ: فَضَعُوا السِّلَاحَ قَالَ: فَوَضَعُوهُ فَقَالَ لَهُمْ:
اسْتَأْذِنُوا فَاسْتَأْذَنَ الْقَوْمُ فَأَمَرَ بَعْضَهُمْ فَكَتَفَ بَعْضًا وَفَرَّقَهُمْ فِي أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا
كَانَ فِي السَّحْرِ نَادَى خَالِدٌ: مَنْ كَانَ مَعَهُ أُسِيرٌ فَلْيُدَافِهِ وَالْمُدَافَةُ الْإِجْهَارُ عَلَيْهِ
بِالسَّيْفِ، فَأَمَّا بَنُو سُلَيْمٍ فَفَقَتُوا مَنْ كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ، وَأَمَّا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ
فَأَرْسَلُوا أَسَارَاهُمْ، فَبَلَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا صَنَعَ خَالِدٌ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ
إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ» وَبَعَثَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَوَدَّى لَهُمْ قَتْلَاهُمْ
وَمَا ذَهَبَ مِنْهُمْ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَأَخْبَرَهُ))^٢.

ثانيا: نفهم من هذه النصوص ما يلي:

١- إن رسول الله تعالى قد أرسل خالدا لبني جذيمة ليدعوهم الى الإسلام فقط
وليس ليقاتلهم إن امتنعوا وحاربوا.

٢- إن خالدا عصى وصية الرسول الأكرم وخالف تعاليم الإسلام في التعامل
مع الأسرى، وهذه كانت أولى زلات خالد بن الوليد في الإسلام وقد تبعتها

١ - كتاب المغازي ، الواقدي ، تحقيق مارسدن جونز ، ج ٣ ص ٨٨٠-٨٨٣

٢ - الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، تحقيق احسان عباس ، ج ٢ ص ١٤٧

زلات كثيرة يبرأ الإسلام منها، ولا يبعد أن يكون خالدًا هو من قتل أم قرفة بتلك الطريقة في عهد حكومة أبي بكر.

٣- إن معظم المهاجرين والأنصار في سرية خالد اعترضوا على فعل خالد وعصوا أمره في قتل بني جذيمة وأطلقوا ما في أيديهم من الأسرى، بل كذلك فإن معظم الصحابة الذين عند الرسول الأكرم أنكروا على خالد فعلته، ولم يرتضوا حججه ووبخوه و عنفوه وأعرضوا عنه وجعلوه يستجدي العفو منهم، وفي هذا تكذيب لدعوى الملاحدة أن رسول الله تعالى لم يقتل خالدًا خوفًا من أن يقوم خالد بانقلاب عسكري.

٤- الرسول الأكرم أعلن براءته علنا مما صنع خالد تكذيبًا لبعض مزاعم خالد في الدفاع عن فعلته بأن الرسول قد أمره بذلك.

٥- الرسول الأكرم غضب على خالد وزجره عن المزايمة على الصحابة وفي ذلك تحقير له، وجفاه وأعرض عنه حتى تم استرضاء بني جذيمة وعفوه عن خالد.

٦- خالد قدم الحجج على كونه كان مشتبهًا وحلف على ذلك.

٧- يظهر أن الرسول الأكرم لم يرتض حجج خالد أصلا ولذلك لم يدخل معه في نقاش وأخذ ورد، ولم يبين له ما كان ينبغي عليه الانتباه له عند حصول الشبهة، ولكن الرسول مأمور أن يحكم بحسب الظاهر والله يتولى السرائر، ففي هكذا مورد في القضاء يحكم بكون القتل كان خطأ ولكن يلزم ضمان الدية.

٨- إن الرسول الأكرم أرسل وصيه الإمام عليا عليه السلام، وهو نفس الرسول الأكرم بشهادة القرآن في آية المباهلة وتصريح سعد بن أبي وقاص في صحيح مسلم، ليسترضي بني جذيمة ويعتذر لهم عن مخالفة خالد ويثبت لهم براءة الإسلام والرسول من فعلة خالد، وليبين لهم حقيقة تعاليم الإسلام، وقد دفع الرسول الأكرم دية كل من قتل من بني جذيمة وغرم لهم كل ما نقص منهم، حتى وعاء ولوغ الكلب، بل حتى الأضرار المعنوية نتيجة الأذى النفسي.

٩- إن الرسول الأكرم قد تعامل مع هذا الموقف بمنتهى الحكمة وبما يجسد تعاليم الإسلام، فأعطى دروساً عملية وتطبيقية في معرفة الإسلام، وشخص مراتب المسلمين في تجسيدهم للإسلام وكان الإمام علي في قمة المراتب، ولم يزد بنو جذيمة إلا إيماناً وحباً لله ورسوله، فلتذهب جعجة الملاحدة أدراج الرياح.

الملحد - وما عسى أن يفعل بنو جذيمة سوى القبول والاذعان والتنازل عن دماء أبنائهم.

المؤمن - وهل اشتكى عندكم بنو جذيمة أو ظهر منهم ما يدل على إكراههم أو حقدهم؟ وهل ثبت بالبينة الشرعية القتل العمدي؟ بنو جذيمة قبل أن يكونوا مسلمين فهم عرب ويعرفون كيف يتم حل النزاع في هكذا قضايا، وهم أنفسهم قام بعضهم بقتل الفاكه عم خالد بن الوليد وقتل عوف والد عبد الرحمن بن عوف قبل الإسلام، وقد اعتذر بنو جذيمة لأولياء المقتولين عما فعل السفية منهم ودفعوا دية القتلى كما يقولون، والى يومنا هذا فإن معظم عشائرننا تجنح للسلم والحل الودي في معظم هكذا قضايا.

- من هم صعاليك تهامة؟

الملحد - عن أي نبي تحدثنا؟ عن الذي تحالف مع صعاليك العرب وشكل بهم جيشاً لغزو قبائلهم؟ هل تعرف من هم الصعاليك؟ إنهم كل شخص مجرم قاتل سفاح غادر لص قاطع طريق، جامع لكل رذائل الأخلاق نبذته قبيلته وتبرأت منه، أعطاه محمد صك الغفران ليتحالف معه. هل تعرف صعاليك تهامة؟

المؤمن - أعرف كل شيء عن موضوع الصعاليك وشعراء الصعاليك منذ دراستي الجامعية في قسم اللغة العربية، وما زلت أحفظ أجمل الشعر لبعضهم كالشنفرى وعروة بن الورد. لكن أخبرني أنت عن دليل دعواك هذه عليهم؟

الملحد - هذا بحث كامل متكامل عن الصعاليك والنبي مدعوم بالمصادر، وفيه: ((- من هم الصعاليك؟

الصعاليك هم المجرمون والطائشون الذين خلعتهم قبائلهم (الخلعاء). الخليع سمي به لأنه خلعتة عشيرته، وتبرؤوا منه، أو لأنه خلع رسنه. ويقال: خلع من الدين والحياء (تاج العروس الجزء ١٨ صفحة ٩٢)

الخلع بالمناداة عادة في الحج او سوق عكاظ إنما خلعنا فلاناً، فلا نأخذ أحداً بجناية تجنى عليه، ولا نؤخذ بجنایاته التي يجنيها.

وقد عُرف الصعاليك بالذؤبان وب "ذؤبان العرب" ونقرأ في تاج العروس "ذؤبان العرب لصوصهم وصعاليكهم الذين يتلصصون ويتصعلكون، لأنهم كالذئاب" (تاج العروس الجزء الاول، صفحة ٢٤٨ تحت ذأب)

وبين الصعاليك قوم من "الغربان" "غربان العرب"، وأغربة العرب سودانهم. شبهوا بالأغربة في لونهم، وسرى اليهم السواد من أمهاتهم. تصعلكوا لآزدرآء قومهم لهم، ولانتقاص أهلهم شأنهم، وعدم اعتراف آبائهم ببنوتهم لهم، لأنهم أبناء إماء. من أغربة الصعاليك: السُّلَيْك بن السُّلْكَة، وتأبط شراً.

- انتشار الصعاليك وخطرهم

وقد انتشر الصعاليك في كل موضع من جزيرة العرب، حتى صاروا قوة مرعبة مخوفة، لشدة بأسهم في القتال. المرجع: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، الجزء التاسع صفحة ٦١٦.

"وقد كَوّن الصعاليك عصابات تنقلت من مكان إلى مكان تسلب المارة وتغيّر على أحياء العرب، لترزق نفسها ومن يأوي إليها. أنضم إليها الصعاليك من مختلف القبائل. ولكون أكثر الصعاليك من الشبان الطائشين الخارجين على أعراف قومهم، ومن الذين لا يباليون ولا يخشون أحداً، صاروا قوة خشي منها، و حسب لها حساب". نفس المرجع السابق....

- صعاليك جبل تهامة وضمهم من محمد

جبل تهامة كمركز مهم للصعاليك المجرمين من سائر القبائل.

”كان في جبل تهامة جُماع غَصَبُوا المارّة أي جَماعاتٌ من قَبائلَ شَتَّى متفرّقة“ . المرجع: ابن منظور، لسان العرب، تحت جُماع.

كتابة محمد لصعاليك تهامة: وكتب رسول الله لجماع كانوا في جبل تهامة قد غصبوا المارة من كنانة ومُزينة والحكم والقارة ومن اتبعهم من العبيد فلما ظهر رسول الله وَقَدَ منهم وفد على النبي فكتب لهم: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لعباد الله العتقاء انهم إن آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فعبدتهم حر ومولاهم محمد. ومن كان منهم من قبيلة لم يُرَد إليها. وما كان فيهم من دم أصابوه أو مال أخذوه فهو لهم، وما كان لهم من دين في الناس رُدَّ إليهم. ولا ظلم عليهم ولا عدوان وان لهم على ذلك ذمة الله وذمة محمد والسلام عليكم” . المرجع: ابن سعد، الطبقات الكبرى، الجزء الاول، صفحة ١٥٥....

الرسالة تكشف ترأس محمد على الصعاليك في صيغة تحترم اسلوب حياتهم الصعلوكية ومبادئهم في قتل وسلب الناس...

- صفات الصعاليك وتأثيرهم على غزوات محمد

- فلسفتهم في الادعاء بحقهم في انتزاع أي شيء من مالكة.

”والصعاليك حاقدون على مجتمعهم، متمردون عليه... لا يباليون من شيء ولو كان ذلك سلباً ونهباً وقتل أبناء قبيلتهم وعشيرتهم، لأنهم خلعوا منها... وكل ما تقع أعينهم عليه، هو مفيد لهم نافع، ومن حقهم بحكم فقرهم انتزاعه من مالكة، وإن كان مالكة فقيراً معدماً مثلهم، ويرون الخلاص من هذا الذل بالحصول على المال بالقنا وبالسيف، فمن استعمل سيفه نال ما يريد، لا يبالي فيمن سيقع السيف عليه، وإلا عدّ من العيال“ . المرجع: جواد علي، المفصل، الجزء التاسع، صفحة ٦٠٢....

وهي صارت فلسفة اسلامية في الغزوات وهي حقهم في انتزاع أي شيء من مالكيه بحجة انهم مشركون.

- فلسفة القتل والفتك بالآخرين

القتل عند الصعلوك كشرية ماء: فالحاجة عندهم تبرر الوساطة، وإذا امتنع إنسان على صعلوك وأبى تسليم ما عنده إليه، فهو لا يبالي من قتله، فالقتل ليس بشيء في نظره، منظره مألوف.. والصعلوك نفسه لا يدري متى يقتل، فلا عجب إذا ما رأى القتل وكأنه شربة ماء. المرجع: جواد علي، المفصل، الجزء التاسع، صفحة ٦٠٤....

تركت تأثيرا على غزوات محمد حيث نرى أن القتل كشرية ماء.

قساوة الصعاليك وفرحهم عندما يقتلون الآباء ويسلبون ويتركون الآلام في نفوس النساء والأطفال. أليس هذا سر قساوة الإسلام في بدء نشأته...

- الفلسفة الصعلوكية في مواجهة العدد الأكبر وعدم الهرب

“تأبط شرا” يغير مع ستة صعاليك على قبيلة من حَنَعَم، فخرج ٤٠ رجل من حنعم ومعهم كبير القوم. ومبدأ الصعاليك عدم الهرب وهم لا يباليون إن ماتوا. فقتل الصعاليك منهم عددا وهرب الباقيون. المرجع: الاغانى لابي فرج الاصفهاني الجزء الثامن صفحة ٢٧٦ و ٢٧٧...

إن تلك الفلسفة الصعلوكية في مواجهة العدد الأكبر وعدم الهرب ولكن قبول الموت، قد انتقلت للإسلام حيث استخدم محمد الصعاليك واستثمر هذه الميزات الصعلوكية...))

المؤمن – الجواب:

١- ينبغي أن تعلم إن مقالة صاحبكم منقولة مع مصادرها من كتاب ((المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام – الدكتور علي جواد - الفصل الستون بعد المائة: الشعراء الصعاليك)) ولكنه نقص فيها وزاد بما يتناسب مع توجهاته في محاربة الإسلام. نقص منها كل الأدلة التاريخية التي تدل على بطلان النتائج التي يريد اثباتها بالتزييف التاريخي، وزاد فيها من أكاذيبه وخيالاته المريضة.

٢- صاحبك قال: "من هم الصعاليك؟ الصعاليك هم المجرمون والطائشون" وهذا تعريف من كيسه ليبرر نتائجه المريضة ، فلم يذكر تعريف الصعلكة

و الصعلوك و الصعاليك و اسباب صعلتكمم الذي ينقله الدكتور جواد علي وهو: ((قال صاحب "اللسان": "الصعلوك: الفقير الذي لا مال له، زاد الأزهري: ولا اعتماد. وقد تصعلك الرجل إذا كان كذلك، قال حاتم طيء:

غنينا زمانا بالتصعلك والغنى ... فكلا سقانا بكأسيهما الدهر

فما زادنا بغيا على ذي قرابة ... غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر "

والتصعلك: الفقر. وصعاليك العرب: ذؤبائها. وكان عروة بن الورد يسمى: عروة الصعاليك لأنه كان يجمع الفقراء في حظيرة فيرزقهم مما يغنمه" وقيل الصعلوك: الفقير، وهو أيضا المتجرد للغارات". والصعاليك، قوم خرجوا على طاعة بيوتهم وعشائرهم وقبائلهم، لأسباب عديدة، منهم عدم إدراك أهلهم أو قبيلتهم نفسياتهم، مما سبب نفورهم منهم، وخرجهم على طاعة مجتمعهم، وهروبهم منه، والعيش عيشة الذؤبان، معتمدين على أنفسهم في الدفاع عن حياتهم، وعلى قوتهم في تحصيل ما يعتاشون به، بالإغارة على الطرق والمسالك، وبمهاجمة أحياء العرب المبعثرة، أفرادا أو طوائف، وهم أبدا في خوف من متعقب يتعقبهم، لاسترداد ما أخذ أو سلب، أو متربص يتربص بهم الدوائر ليأخذ منهم ما غنموه بالقوة من غيرهم أو ما قد يجده في أيديهم. ولهذا كانوا يتكتلون أحيانا، بانضمام بعضهم إلى بعض، مكونين جماعات، جمعت بينها وحدة الهدف، وغريزة حماية النفس، والمصلحة المشتركة بعد أن حرمهم أهلهم ومجتمعهم من تقديم أية مساعدة أو حماية لهم، وسحب منهم حق الأخذ بالثأر والانتقام ممن قد يعتدي عليهم، بحق "العصبية"، وبعد أن جعل دمهم هدرا، وتبرأ منهم ومن كل جريرة يرتكبونها، فلا يطالب أهلهم بدمهم، ولا يطالبونهم بأي دم قد يسفحه الصعلوك.

ولا أستبعد أن تكون للمغامرة ولإثبات الشخصية، دخل أيضا في حدوث الصعلكة وفي تمرد الشباب على مجتمعهم، على غرار ما نجده اليوم من تمرد على مجتمعاتهم، لإثبات وجودهم وشخصيتهم في هذه المجتمعات، بطريقة العبث بالعرف والعادات وبعدم المبالاة لأوامر العائلة والمجتمع، مما يجعلهم يسيرون سيرة الصعاليك في ذلك الوقت، فلو نظرنا إلى حالة

الصعاليك نجد أن منهم من كان من أسرة متمكنة أو لا بأس بأحوالها المالية، ومع ذلك عاش صعلوكا، لما وجد فيها من مغامرات ومجازفات ومطاردة وهجوم ودفاع. فحب المغامرة، وإثبات الشخصية، من أسباب الصعلكة في الجاهلية كذلك))^١.

٣- قال صاحبك: "والصعاليك حاقدون على مجتمعهم، متمردون عليه... لا يبالون من شيء ولو كان ذلك سلباً ونهباً وقتل أبناء قبيلتهم وعشيرتهم، لأنهم خلعوا منها... وكل ما تقع أعينهم عليه، هو مفيد لهم نافع، ومن حقهم بحكم فقرهم انتزاعه من مالكة، وإن كان مالكة فقيراً معدماً مثلهم، ويرون الخلاص من هذا الذل بالحصول على المال بالقنا وبالسيف، فمن استعمل سيفه نال ما يريد، لا يبالى فيمن سيقع السيف عليه، وإلا عدّ من العيال". المرجع: جواد علي، المفصل، الجزء التاسع، صفحة ٦٠٢.

انظر الى بتر صاحبك ليثبت نتائجه الباطلة بمراجعة النص الأصلي:

((والصعاليك بعد، حاقدون على مجتمعهم، متمردون عليه، للأسباب المذكورة، نبتت في أكثرهم عقد نفسية، تكونت عندهم من سوء معاملة المجتمع لهم، ومن سوء فعلهم وتصرفهم الخاطئ تجاه مجتمعهم، فهم حاقدون لا يبالون من شيء ولو كان ذلك سلباً ونهباً وقتل أبناء قبيلتهم وعشيرتهم، لأنهم خلعوا منها، وحرموا من حق الدم، فكان خلعها لهم سبب شقائهم وبؤس حياتهم، فأى حق بقي إذن يمنعهم من الحقد على القبيلة ومن مهاجمة العشيرة؟ ثم إنهم حاقدون على مجتمعهم، لأن منهم فقراء معدومين، لا شيء عندهم يعتاشون عليه، ولا ملابس لديهم تقيهم من الحر أو البرد أو المطر، وكل ما تقع أعينهم عليه، هو مفيد لهم نافع، ومن حقهم بحكم فقرهم انتزاعه من مالكة، وإن كان مالكة فقيراً معدماً مثلهم، لأن النفس مقدمة على الغير، وهم يعيبون الخامل منهم الذي يعيش صعلوكا ذليلاً قانعا بما كتب عليه من الذل والتشرد، عائشا على صدقات الناس، ويرون الخلاص من هذا الذل

^١ - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور علي جواد، الفصل الستون بعد المائة: الشعراء الصعاليك، ج ١٨ ص ١٦٨، الناشر دار الساقى، ط ٤

بالحصول على المال بالقنا وبالسيف، فمن استعمل سيفه نال ما يريد، لا يبالي فيمن سيقع السيف عليه وإلا عد "العيال"'.^١

٤- قال صاحبك: " القتل عند الصعلوك كشرية ماء: فالحاجة عندهم تبرر الوساطة، وإذا امتنع إنسان على صعلوك وأبى تسليم ما عنده اليه، فهو لا يبالي من قتله، فالقتل ليس بشيء في نظره، منظره مألوف...والصعلوك نفسه لا يدري متى يقتل، فلا عجب إذا ما رأى القتل وكأنه شربة ماء. المرجع: جواد علي، المفصل، الجزء التاسع، صفحة ٦٠٤....

تركت تأثيرا على غزوات محمد حيث نرى أن القتل كشرية ماء.

قساوة الصعاليك وفرحهم عندما يقتلون الآباء ويسلبون ويتركون الآلام في نفوس النساء والأطفال. أليس هذا سر قساوة الإسلام في بدء نشأته".

صاحبك ليبرر نتائج الإلحادية لم ينقل كلام المؤرخ علي جواد هذا لأنه يبطل دعواه:

((وعلى الرغم من هذا العنف، ومن هذه القساوة العنيفة، التي تصل إلى الوحشية نرى عند بعضهم، روحا إنسانية، فيها العطف على الضعيف ومساعدة المحتاج وبذل المال والنجدة، والبر للأهل والأقارب بل وللغريب أيضا. بل نجد هذه الروح أحيانا حتى عند القساة منهم، وسبب ذلك أن الصعاليكة في ثورات نفسية، يعيشون عيشة قلقة مضطربة، فإذا كانوا في ثورة جامحة من جوع وحاجة وتألم بما حلّ بهم وبما هم فيه من سوء حال، هاجوا فكفروا بكل شيء، وثاروا على كل شيء وعلى كل أحد، وصاروا لا يبالون بعرف ولا سنة، يقتلون لأنفهم الأسباب، لأنهم معرضون أنفسهم في كل لحظة للقتل. ثم إن القتل لا شيء بالنسبة إلى تلك الأيام، وإن تعاضم في نظرنا، فهم في ذلك مثل الأسود الجائعة، لا تعبأ بشيء، وكل همها الحصول على فريسة لتأكلها فتعيش عليها، فإذا وجد الصعلوك غنيمة، وعاد إلى مقره سالما ارتخت أعصابه، وهدأت سورتها، وتذكر نفسه وما يقاسيه من ألم وجوع، فيعود إنسانا آخر، بارا بأصحابه حنونا عليهم، نادما على حياة

^١ - المصدر السابق

يعيشها جعلته يعيش مثل الوحوش الكاسرة، كريما يعطي مما ناله بقوته وبسلاحه وبذكائه. هذا "عروة بن الورد" و "أبو خراش" الهذلي وغيرهما، فنجد فيهم النقيضين، نجد فيهم القسوة بل الوحشية، ثم نجد فيهم العطف والشفقة والرحمة والإشفاق على الضعفاء، وما الجمع بين النقيضين إلا من واقع هذه الظروف النفسية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والإدارية التي كانوا يعيشون فيها))^١.

٥- قول صاحبك: "إن تلك الفلسفة الصعلوكية في مواجهة العدد الأكبر وعدم الهرب ولكن قبول الموت، قد انتقلت للإسلام حيث استخدم محمد الصعاليك واستثمر هذه الميزات الصعلوكية".

وهذا قول كاذب، فالصعاليك وإن اضطروا لمواجهة الأخطار لكن ديدنهم الفرار والهروب للنجاة بحياتهم: ((وإذا كانت الشجاعة ضربا من الإقدام وإظهار المقدرة والرجولية؛ فالركض فرارًا نوع من البطولة أيضا، فيه مقدرة وشجاعة في ضبط الأعصاب وفي التصميم والإقدام على السلامة والنجاة بالنفس وبقاء الحياة وهكذا وجدوا لفرارهم عذرا اعتذروا به، فهم إن اختاروا الفرار وفضلوه على المعاركة والقتال فإنما اختاروه لأنه فيه أمل المعاودة إلى قتال جديد، ثم إنهم لا يرون سببا يدعو الإنسان إلى أن يرمي نفسه في المهالك، وأن يكون طعاما للوحوش الكاسرة. فليس في الهروب جبن، وليس في الإقدام شجاعة، والعاقل من اتعظ فنجى نفسه من الموت، وفي النجاة شجاعة.))^٢.

٦- قصص الصعاليك مبالغ فيها، وبعض القصص والشعر المنسوب اليهم هو موضوع مختلف: ((وللصعاليك بعد قصص في الكتب، وقد بولغ في قصصهم لتؤثر في المسامع، ولتكون لذة للسامعين ومنتعة يستمتعون بها أوائل الليل في أوقات سمرهم، وقد رصعت بشعر، على عادة العرب في رواية الأخبار. وفي بعض هذا القصص والشعر أثر الوضع المتعمد، الذي صنع ليمثل الحالة الاجتماعية في ذلك الوقت، حيث كان الأغنياء متخمين

١ - المصدر السابق، ص ١٨٠

٢ - المصدر السابق، ص ١٧٦

بالمال، بينما جيرانهم يموتون جوعاً، فكأن هذا القمص قد وضع ليتحدث عن ذلك الوضع. وقد عرف هذا القمص عند الغربيين كذلك، حيث كان الغنى وكان الفقر، فظهر الصعاليك، وظهر قصصهم وبولغ فيه، وما "روبين هود" الإنكليزي الذي أثر التصعلك وغزو الأغنياء، لإنفاق ما يحصل عليه على الفقراء لإعاشتهم، إلا صورة من صور غارة "عروة بن الورد" وأمثاله من الصعاليك، وقد دونت أخبارهم في قصص، وصيغ بعض منها على صورة أشرطة "سينمائية" عرضت ولا تزال تعرض في دور "السينما" وفي "التلفزيون"، لما فيها من بطولة ومروءة ومساعدة ضعفاء واستهتار في الحياة))^١.

٧- فرية صاحبك الكبرى في تحالف الرسول الأكرم مع صعاليك العرب لغزو العرب؛ تكمن في الكتاب الذي كتبه لجماعة جبل تهامة، والذي ذكره ابن سعد فقال: ((قَالُوا: وَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِجَمَاعٍ كَانُوا فِي جَبَلِ تِهَامَةَ قَدْ غَضَبُوا الْمَارَّةَ، مِنْ كِنَانَةَ وَمُرَيَّةَ وَالْحَكَمِ وَالْقَارَةَ وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ مِنَ الْعَبِيدِ، فَلَمَّا ظَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدَ مِنْهُمْ وَقَدَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَتَبَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ لِعِبَادِ اللَّهِ الْعَتَقَاءِ إِنَّهُمْ إِنْ آمَنُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَعَبَدُوهُمْ حُرًّا، وَمَوْلَاهُمْ مُحَمَّدٌ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ مِنْ قَبِيلَةٍ لَمْ يُرَدَّ إِلَيْهَا، وَمَا كَانَ فِيهِمْ مِنْ دِمِّ أَصَابُوهُ أَوْ مَالٍ أَحَدُوهُ فَهُوَ لَهُمْ، وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دَيْنٍ فِي النَّاسِ رُدَّ إِلَيْهِمْ وَلَا ظَلَمَ عَلَيْهِمْ وَلَا عُدْوَانٌ، وَإِنَّ لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ» وَكَتَبَ أَبِي بَنْ كَعْبٍ))^٢.

وفيه:

أولاً: إن هذا الكتاب لم تذكره كل كتب السيرة والتاريخ والحديث والطبقات عدا كتاب الطبقات لابن سعد، فهو غير ثابت تاريخياً.

^١ - المصدر السابق ، ص ١٨٨

^٢ - الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، تحقيق احسان عباس ، ج ١ ص ٢٦٤ ، الناشر دار صادر ط ١

ثانيا: هذا الكتاب من الرسول الأكرم لم يرد فيه اسم صعاليك ولا اسم جبل تهامة، وإنما ابن سعد هو الذي قال انه لجماعة جبل تهامة.

ثالثا: يقول ابن سعد في المصدر والخبر نفسه: ((فَلَمَّا ظَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدَ مِنْهُمْ وَقَدْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَتَبَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)) فالظاهر أن هذا الكتاب كان بعد ظهور قوة الإسلام بعد صلح الحديبية، فلم يكن الرسول الأكرم محتاجا أن يعز الإسلام بهذه الفئة.

رابعا: ليس في هذا الكتاب ما يدل على التحالف بين قوتين، بل بالعكس هو صريح في إعطاء أمان لفئة مشردة مطلوبة أدركت قوة الإسلام، واسقاط ما في ذمتها من العبودية والدم والمال، إن هي أسلمت وحسن اسلامها. فهم لاجئون داخلون في ذمة الإسلام طلبا للحماية، يشير الى ذلك نهاية الكتاب ((وَلَا ظُلْمَ عَلَيْهِمْ وَلَا عُذْوَانَ، وَإِنَّ لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ مُحَمَّدٍ)).

٨- هل عرفتم الآن مدى زيف وضعف الإلحاد؟ وهل عرفت الآن سبب نكراني لما ذكرته انت من الباطل؟ أبطال الاسلام لم يكونوا اصلا من الصعاليك واشهرهم قاهر المشركين علي بن ابي طالب و الحمزة بن عبد المطلب و سادة الأوس و الخزرج. أما زعم صاحبك بأن المسلمين المهاجرين من مكة كانوا من الصعاليك، وبأن قبيلتي الأوس والخزرج كانتا قبائل صعلوكية؛ فهذه سخافة مفضوحة لا تستحق الرد ولذلك لم نذكرها.

- حكم الاسترقاق في الإسلام

الملحد - إن الاسلام يشرعن استعباد البشر وسبي النساء.

المؤمن - من أهم القضايا التي يطبل بها الملاحدة للترويج للإلحاد ومحاربة الإسلام هي مقولة إن الإسلام يشرعن استعباد البشر وسبي النساء. هذه المقولة في عمومها باطلة، فالإسلام لا يشرعن استعباد البشر وسبي النساء.

الملحد - يعني أنت تنكر نظام الرق في الإسلام؟

المؤمن – من ينكره دون شبهة فليس بمسلم لأن ثبوته من ضروريات الإسلام.

الملحد – فكيف تقول إن الإسلام لا يشرع عن استعباد البشر وسبي النساء.

المؤمن – إنما أنكر هذا التعميم والتدليس الإلحادي.

الملحد – وأين التدليس والكذب؟

المؤمن – الجواب:

١- الكذب والتدليس في التعميم لكل البشر: فالإسلام لا يشرع عن استرقاق البشر مطلقاً بل خصوص الكافر الجاحد بعد تمام البيان، والذي لم يرتبط مع المسلمين بعهد أو عقد ذمة أو أمان. فتعميمكم كون الاسترقاق للبشر مطلقاً هو بلا شك كذب وتدليس.

٢- الكذب والتدليس في الحصر بالرق: الممسوك نهاية المعركة من الرجال هو الأسير واقعا فلا يقتل على عنوان الأسير، والحكم فيه مخير فأما المن بإطلاق سراحه مجاناً وأما إطلاق سراحه مقابل فدية وأما يسترق. وأما النساء فلا تقتل مطلقاً على عنوان الأسر، سواء تم الأسر أثناء المعركة أم بعدها، وسواء كان المسلمون في حالة قتال وحرب فعلية مع الكفار أم لا، وحكمهن هو التخيير بالمن أو الفداء أو الاسترقاق، ويلحق بالنساء الصبيان وكبار السن والعجزة. فحصركم تشريع الإسلام بالاسترقاق وتركيزكم عليه وتطبيلكم به، وغمض العين عن تشريع المن مجاناً وتشريع المن بشرط الفدية؛ هو بلا شك كذب وتدليس.

الملحد – اتفقنا أن الإسلام يجعل الاسترقاق أحد خيارات ثلاثة في خصوص الكافر الجاحد غير المرتبط بعهد ولا ذمة ولا أمان مع المسلمين، ولكن مع ذلك هو تشريع غير أخلاقي.

المؤمن – جيد، وهنا يتوجه لكم السؤال:

أنتم أما أن تقولوا إن الأخلاق مطلقة ثابتة لكل زمان ومكان، وأما أن تقولوا إن الأخلاق نسبية متغيرة. فإن قلتم إن الأخلاق مطلقة ثابتة قلنا إن تشريع

الرق الى حد ما قبل ١٠٠ سنة كان موافقا لأخلاق كل البشر تقريبا، وكون الأخلاق مطلقه لازمه استمرار الحكم بموافقة الرق للأخلاق، فدعواكم اليوم أنه ينافي الأخلاق مع قولكم إن الأخلاق مطلقة، يعني اقراركم بحدوث انحراف فكري وأخلاقي في المائة سنة الأخيرة، فالواجب عليكم أنتم أن تعدلوا فكريكم وأخلاقكم، لأنكم تخالفون ما هو موافق لأخلاق كل البشر تقريبا الى حد ما قبل ١٠٠ سنة، ولا يحق لكم أن تزعموا منافاة تشريع الرق للأخلاق. وإن قلتم إن الأخلاق نسبية متغيرة، وهذا هو قولكم فعلا، فلا يحق لكم أيضا أن تحاكموا تشريعا سابقا قبل ١٤٠٠ سنة وفق أخلاقكم اليوم. والنتيجة هي أن تهريجكم حول تشريع الرق في الإسلام رغم عدم وجود موضوعه اليوم، لا يدخل إلا في الحرب القذرة على الإسلام ولا يدخل في خانة البحث العلمي والنقد الموضوعي.

الملحد – كلامك صحيح، ونحن نقول إن الأخلاق نسبية متغيرة، ولكن تبقى مشكلتنا ليست مع القرآن والنبى فهو ابن زمانه ومكانه، بل فيمن يرون أن شريعته صالحة لكل زمان ومكان.

المؤمن – نحن نعتقد بأن شريعة الإسلام خالدة وصالحة لكل زمان ومكان. ونحن نعتقد بأن الأخلاق مطلقة، وأن تشريع الرق موافق لكل زمان ومكان بشرطه وشروطه، لأن الشريعة هي الضابطة للفطرة الأخلاقية المانعة لها عن الانحراف. فالواجب عليكم أنتم أن تعدلوا فكريكم ومزاجكم المنحرف الذي يتغير تبعا للأهواء والمصالح والسياسة. هناك البعض ممن هو محسوب على الإسلام يزعم ظرفية الشريعة أي أنها مختصة بزمانها ومكانها، هؤلاء لا قيمة لزعهم في ساحة العلم الرصين، هؤلاء أما منحرفون فكريا ومزاجيا بسبب الغزو الثقافي الغربي، وأما مهزوزون عقليا ونفسيا فيجاملون العلمانيين والملاحدة على حساب الدين.

الملحد – ولماذا الاسترقاق والاستعباد أصلا؟

المؤمن – الجواب:

١- نؤكد أن الاسترقاق هو خيار من خيارات ثلاثة في خصوص الكافر الجاحد بعد تمام البيان، وغير المرتبط مع المسلمين بعهد أو عقد ذمة أو

أمان. الحكم هو اما المن بإطلاق السراح مجاناً بلا قيد ولا شرط، او إطلاق السراح بشرط الفدية، او الاسترقاق.

٢- يستغل الملاحدة الصورة السلبية عن العبودية الغربية للتهريج على تشريع الرق في الإسلام، أي اصطياد الأفارقة كالعقود، مع كامل الانتهاك للحقوق، ولا حتى حق الحياة، ولغايات منفعة الابيض الرأسمالي، لا لشيء إلا لكونهم سودا لا يملكون السلاح للدفاع عن أنفسهم.

إن نظام الاسترقاق في الاسلام: هو نظام حيازة خصوص الكافر الجاحد بعد تمام البيان له، الى بيئة تربوية اسلامية صالحة بهدف تحبيب الاسلام اليه، بدلا من ارجاعه الى دار الكفر وحياة الظلام، وربما عاد محاربا فيقتل أو يشكل خطرا على المجتمع الإسلامي، وللاستفادة منه في ازدهار المجتمع الإسلامي، مع نظام حقوقي ارقى من نظام حقوق الاقليات والمهاجرين في الغرب الديمقراطي العلماني اليوم، كالحق في الامتلاك وفي التزويج، مع التأكيد على استحباب العتق والمكاتبه للتحرر، كما في قوله تعالى: ((وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣٢) وَلَيْسَتَغْفِبِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَأَتَوْهُم مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرَهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَىٰ الْبِعَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَّغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٣)))^١، وكما في قوله تعالى: ((فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُ رَقَبَةً (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤)))^٢.

وقد اجاز الإسلام صرف اموال الزكاة في سبيل تحرير العبيد كما في قوله تعالى: ((إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠)))^٣ والمقصود من ((الرقاب)) في الآية هم العبيد المكاتبون

١ - سورة النور

٢ - سورة البلد

٣ - سورة التوبة

الذين عجزوا عن اداء مال المكاتبه للعتق، فيعطون من اموال الزكاة بهدف تحريرهم.

بل إن الاسلام اوجب العتق فعلا في بعض الموارد ككفارة و غرامة على ارتكاب معصية، كقوله تعالى في عقوبة الحنث باليمين: ((لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ))^١، وكقوله تعالى في عقوبة القتل الخطأ: ((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَفْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مَنِ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا))^٢.

وقد أمر الإسلام بالإحسان الى الرقيق ((ملك اليمين)) كما أمر بالإحسان الى الوالدين فقال تعالى: ((وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا))^٣.

والحق أن أحكام وحقوق الرقيق في ضوء تشريعات وتعاليم الإسلام لا تختلف إلا في قليل من الأمور عن أحكام وحقوق الأحرار، وفي بعض الاختلافات راحة ومنفعة للرق من حيث النظرة المادية، كسقوط فرائض الجهاد والحج والزكاة عن غير الحر، وكما قال المرجع الديني الأعلى للشيعة في هذا العصر، السيد علي السيستاني في هامش رسالته العملية: ((وليعلم ان الموضوع للأحكام المذكورة في هذا الكتاب هو الحر والحررة، واما العبد والامة فيختلفان عنهما في بعض الاحكام، وقد اهلنا - في الغالب - التعرض

١ - سورة المائدة

٢ - سورة النساء

٣ - سورة النساء

لأحكامهما لعدم الابتلاء بها في هذا العصر))^١. فالاختلافات قليلة وموضوع الرق غير موجود اليوم، لعدم وجود الجهاد بسبب عدم توفر شروطه، لكن الملاحظة مفلسون. علما غاية الإسلام قد تحققت بإسلام معظم الرقيق طواعية، وتحرر معظمهم دون حاجة الإسلام الى ابراهام لنكولن أو مارتن لوثر كنج أو أمم متحدة، وقد ساهموا في نشر الإسلام واعزاز الإسلام وازدهار المجتمع الإسلامي، لما عرفوا أن الإسلام دين الرحمة والعدل وأن قاعدة ((إن أكرمكم عند الله أتقاكم)) تشمل الحر والرق، فلا كرامة لمؤمن حر على مؤمن رق إلا بالتقوى.

الملحد – كيف لا موضوع ولا تطبيق له اليوم! داعش طبقت الإسلام كما هو في صدر الإسلام.

المؤمن – ١- هذا كلام باطل، وقد وجد الملاحظة في داعش خير موضوع يستثمرون فيه للترويج للإلحاد. إن داعش كالملاحظة بالضبط، كلاهما أجنبي عن الإسلام. يشترك الملاحظة مع داعش في الفهم الباطل للإسلام ويختلفون في النتيجة، فالفهم الباطل للإسلام لدى الملاحظة أدى بهم الى الإلحاد، والفهم الباطل للإسلام لدى داعش أدى بهم الى الإرهاب. أما نحن فلا نلحد ولا نداعش لأننا نفهم الإسلام من منبعه الصحيح وهو ((كتاب الله وعترتي أهل بيتي)) كما أوصى الرسول الأكرم.

٢- الدليل على أن داعش اجنبية عن الإسلام فكرا وتطبيقا، هو أن كل المسلمين يعلمون أن فريضة الجهاد الابتدائي أو كما يسميها المخالفون جهاد الطلب، هي مختصة بالحرب مع الكفار الحربيين، أي الكافر غير المرتبط مع المسلمين بعهد أو عقد ذمة أو أمان، وهذا أمر ثابت في جميع مصادر المذاهب الإسلامية، ودولة العراق وسوريا هي دار اسلام وبلاد مسلمين، لأن غالبية سكانهما من المسلمين وحكومتها مسلمة، بقطع النظر عن كون الحاكم طاغية جائرا وكون الدستور ليس إسلاميا، فمحاولة داعش اسقاط النظام وإقامة حكومة إسلامية تحكم بالشريعة الإسلامية بزعمهم؛ لا يسمى هذا الفعل جهادا، بل يسمى بحسب المصطلح الفقهي (الخروج على الحاكم

١ - منهاج الصالحين ، السيد السيستاني ، ج ٣ (الطبعة القديمة) ، هامش المسألة رقم ١٠

الجائر) وبحسب المصطلح السياسي يسمى (ثورة)، وما دام ليس جهادا تنتفي كافة الأحكام الخاصة بفريضة الجهاد ومنها الاسترقاق وأخذ الجزية. هذا من الأدلة على كون داعش أجنبية عن الإسلام فكرا وتطبيقا.

الملحد – أنت ترقع وتبرر للإسلام، لماذا لم يعط الإسلام أمرا صريحا بتحريم كل العبيد وإلغاء وتحريم الرق؟

المؤمن – ولماذا يلغيه ويحرمه أصلا؟ أنت متوهم عزيزي فنحن لا نرقع ولا نبرر، ولا نجامل ولا نдахن، كما لا نلاحد ولا نداعش. قلنا لكم إن نظام الاسترقاق في الإسلام: هو نظام حيازة خصوص الكافر الجاحد بعد تمام البيان له، الى بيئة تربوية اسلامية صالحة بهدف تحبيب الاسلام اليه، بدلا من ارجاعه الى دار الكفر وحياة الظلام، وربما عاد محاربا فيقتل أو يشكل خطرا على المجتمع الإسلامي، وللاستفادة منه في ازدهار المجتمع الإسلامي، مع نظام حقوقي أرقى من نظام حقوق الاقليات والمهاجرين في الغرب الديمقراطي العلماني اليوم. وقلنا لكم أن شريعة الإسلام خالدة، ولكن الأحكام تطبق عند تحقق موضوعها وشروطها، ولا موضوع للرق اليوم لعدم وجود الجهاد بسبب عدم تحقق شروطه.

الملحد – يعني إذا تحققت شروط الجهاد هل تطبقون أحكام الرق؟

المؤمن – على فرض تحقق شروط الجهاد الابتدائي فهذا الأمر موكول للحاكم الشرعي، فالجهاد مشروط بإذن وإدارة الحاكم الشرعي، ومشروط بتحقق القوة من حيث العدة والعدد، والاسترقاق هو خيار من خيارات ثلاثة وليس حصريا، وعلى فرض اختياره فإنه سيطبق في ضوء أحكام وتعاليم الإسلام المحمدي الأصيل، وهو غير ما تنتحله داعش.

الملحد – لكن الاسترقاق ينافي الكرامة الإنسانية.

المؤمن – الجواب:

١- نعود لنذكر أكثر من مرة حتى نمنع تلاعب الملاحدة بالعواطف. الاسترقاق هو خيار من خيارات ثلاثة في خصوص الكافر الجاحد بعد تمام البيان وساطع البرهان له، وغير المرتبط مع المسلمين بعهد أو عقد ذمة أو أمان.

٢- أنتم أيها الملاحدة، من أين انتكم الكرامة الإنسانية؟ من انتقاء الطبيعة العمياء. ما هو معياركم في موافقة التشريع للكرامة الإنسانية أو عدم موافقته؟ معياركم هو مزاج السياسة الرأسمالية. فلولا أن ابراهام لينكولن في القرن التاسع عشر اضطر ليعلن تحرير العبيد ليكسبهم جنودا في حربه الأهلية الأمريكية الرأسمالية، لما تغير مزاجكم الأخلاقي. هذا زعيمكم ريتشارد دوكنز ينقل عن لينكولن قوله: ((سأقول إذن بأنني لست، ولم أكن أبدا من مناصري أو مؤيدي موضوع المساواة بين البيض والسود فيما يتعلق بالأمور الاجتماعية والسياسية. أنا لست ولم أكن أبدا مؤيدا لحقوقهم في أن يكونوا قضاة أو حتى مصوتين في الانتخابات أو حتى اعتبارهم مؤهلين لتولي مناصب أو أن يتزوجوا من البيض. وسأقول بالإضافة لما قلت: بأن هناك فروقا فيزيائية بين البيض والسود، والتي تجعلني أؤمن بتأييد منعهم من العيش جنبا الى جنب وعلى قدم المساواة فيما يتعلق بأمور المجتمع والسياسة، وستتطلب الحياة التي يعيشونها بوجودهم مع بعض أن يكون هناك رئيس وتابع، وأنا كما هو الحال مع الجميع في أن الجنس الأبيض مقدر له (أن يكون متفوقا))!! زعيمكم دوكنز ينقل هذا الكلام ليستدل به على نسبية وتغير الأخلاق، وأنه حتى زعيم الرأسمالية الأمريكية المتنور محرر العبيد لم تكن أخلاقه في منتصف القرن التاسع عشر كأخلاقنا اليوم! ونحن نستدل بما نقله على تلاعب الفكر السياسي الرأسمالي في فكر وأخلاق الناس، لأن هذا القرف الذي يقوله لينكولن لن تجده أبدا في تشريعات وتعاليم الإسلام قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة، ولن تجده في أخلاق الرسول الأكرم والمقتدين به، وهذا دليل على أن تشريعات وتعاليم الإسلام سابقة لعصركم، ودليل على

١ - وهم الإله، ريتشارد دوكنز، ترجمة بسام بغدادي، الفصل السابع ص ٢٦٩

أن الأخلاق ليست نسبية متغيرة، ودليل على تلاعب السياسة الرأسمالية في أمزجتكم.

٣- اعتقادنا إن المالك المطلق لكل شيء هو الله تعالى، وهو من أعطى الكرامة والتفضيل للنوع الإنساني، قال تعالى: ((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠)))^١، وهو الذي جعل معيار الكرامة عنده هو التقوى فقال: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)))^٢.

٤- الكافر الجاحد المعاند بعد تمام البيان له، هو من أهدر كرامته الإنسانية التي جعلها الله تعالى له وانحط الى مرتبة البهيمة، فحق لله تعالى خالقه ومالكة أن يعامله بحسب ما وضع نفسه، قال تعالى: ((إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (٢٢)))^٣، ((إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٥) الَّذِينَ عَاهَدتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْفُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (٥٦)))^٤، ((وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)))^٥، ((وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ (١٢)))^٦.

ومع ذلك فإن الله تعالى لم يعاملهم بما يستحقون في الحياة الدنيا بحسب عدله بل بحسب رحمته ورأفته، لأن نظام الرق كما أوضحنا هو رحمة وكرامة وفضل من الله تعالى عليهم، فلم يسلب من الكافر الجاحد المستكبر المعاند إلا حق التصرف في نفسه وماله بدون إذن مالكة، كالصبي المسلم الذي يكون ممنوعاً عن التصرف في نفسه وماله دون إذن أبيه.

١ - سورة الإسراء

٢ - سورة الحجرات

٣ - سورة الأنفال

٤ - سورة الأنفال

٥ - سورة الأعراف

٦ - سورة محمد

٥- إن كنا نحن نقول إن الكافر الجاحد المعاند بعد تمام البيان، استحقاقه في الآخرة جهنم وبئس المصير خالدا فيها بالعذاب المهين ((وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣)))^١، فما بالكم تتباكون على استرقاقه في الحياة الدنيا! أيهما أشد عقوبة على الكافر الجاحد، عذاب جهنم خالدا فيها أم الاسترقاق! وإن كنتم أنتم الملاحدة تقولون إنكم لا تؤمنون بالله واليوم الآخر، فالعجب كل العجب من بعض المسلمين الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر فيتباكون على استرقاق الكافر الجاحد! وما ذلك إلا نتيجة نقص الوعي والغزو الثقافي الغربي.

الملحد - أي كرامة ورحمة وحقوق تعدل حرية الإنسان ومنعه عن أهله ودياره!!

المؤمن - الجواب:

١- هو من أهدر كرامته وحرية التي وهبها الله تعالى له بسوء اختياره. شخص يعبد الحجر ويعيش حياة البؤس والقذارة والظلام، تأتيه لتخرجه من الظلمات الى النور، تستعمل معه تمام البيان وساطع البرهان، فيرفض لا لسبب عقلائي وإنما يرفض غطرسة وعنادا واستكبارا وبغيا وحسدا وتعصبا أعمى، بل يستكبر فيرفض حتى أن يدخل معك في معاهدة أو عقد ذمة أو أمان، وإن دخل فلا يلبث أن يتأمر وينقض، بل وصل الأمر أن الإسلام يعطيه فرصة أخيرة بأن يقبل منه مجرد النطق بالشهادتين فلا يقبل! فهكذا شخص ما ذا يكون سوى كالبهيمة بل هو أضل سبيلا، وهكذا شخص يشهد على نفسه بأنه حرب للإسلام ويسمى الكافر الحربي.

٢- الإسلام لا يحجر الكافر الحربي الجاحد المعاند في السجون، ولو أن جميع سجناء العالم خيروا بين السجن وبين الرق بحسب التشريع الإسلامي بنفس مدة سجنهم لاختراروا الرق، خاصة وأن الكثير من دول العالم تستخدم السجناء في العمل سخرة.

١ - سورة العنكبوت

الملحد – هو حر في كفره وجحوده أنت ما دخلك؟

المؤمن – الجواب:

١- إنه في وضعه هذا الذي بيناه يكون حربا وخطرا على المجتمع الإسلامي، ويجب دفع الخطر.

٢- لست أنا، بل هو الله تعالى خالقه ومالكه وواهبه الحياة والكرامة والحرية.

٣- إن كان هو كالطفل الذي يريد أن يعبت بنفسه وغيره كيفما يشاء ويرفض ولاية أبيه عليه، فإن الله تعالى أعظم رحمة وحكمة من الأب الذي لا يمنعه رفض ابنه ولايته من أن يتدخل ليمنع ابنه من العبت بحياته وحياة الآخرين.

الملحد – هل تقبل أنت أن تكون عبدا تباع وتشتري حتى لو كان سيدك رحيما؟ وهل تقبل على زوجتك ذلك؟

المؤمن – طبعا لا، لأنني مؤمن، والاسترقاق إنما يخص الكافر الذي جحد الإسلام بعد تمام البرهان.

الملحد – هل اغتصاب النساء بعد سبيهن وقتل أزواجهن من رحمة الإسلام؟

المؤمن – الجواب:

١- هو ليس اغتصابا فلا تتلاعبوا بالألفاظ، كما تسمون الزنا حرية شخصية والدعارة تجارة، لأن تحليل الفروج وتحريمها بيد الله تعالى خالق الإنسان ومالكه، وهذا وطء بملك اليمين وهو تشريع من الله تعالى خالق الكافر الجاحد. فليست العلاقة الجنسية متقومة برضا الطرفين وإنما برضى الله تعالى.

٢- هي من استحبت الكفر على الإيمان فأهدرت كرامتها وحريتها التي وهبها الله تعالى لها بسوء اختيارها.

٣- مع ذلك، فإن الرق هو رحمة وفضل وكرامة من الله تعالى للكافرة الجاحدة، بحسب ما بيناه سابقا من رقي نظام الرق في ضوء تشريعات

وتعاليم الإسلام. فليس المسلم شخصا همجيا بربريا كما كان يتعامل
الرأسمالي الأبيض مع العبيد الذين هو يحرم عليه استعبادهم أصلا.

الملحد - كلنا يعرف كيف كانت الجوارى تباع وهن عراة في سوق النخاسة.

المؤمن - هذا كذب، فلم تكن الجوارى تباع وهن عراة في سوق النخاسة.

الملحد - وكيف الجارية السبية ((الكافرة الجاحدة المعاندة بعد تمام البيان))
ستقتنع بالإسلام وهو قد قتل أهلها، وسلبها من قومها وديارها ومالها، وسلب
حريتها في نفسها، وأباح وطأها دون رضاها، وأباح بيعها وشراءها
واهداءها!!

المؤمن - ربما لأن النساء سابقا لم تصلهن بعد خزعبلات ناشطات تحرير
المرأة، اللواتي هن واقعا ناشطات تدمير المرأة والأسرة.

الملحد - أحقا هذا هو السبب؟

المؤمن - الجواب: نعم، إن الكافرة الجاحدة بعد تمام البيان يحتمل بنسبة
كبيرة أنها ستقتنع بالإسلام، رغم أن الإسلام قتل أهلها وسلبها من قومها
ومالها، وسلب حريتها على نفسها وأباح وطأها دون رضاها، وهو ما حصل
بالفعل بإسلام معظم الرقيق، والسبب هو تغير الحالة النفسية للكافر الجاحد.
فإن تمام البيان وساطع البرهان هو خطاب للعقل السليم والفترة السليمة،
ولكن الذي منع الكافر الجاحد من القناعة به والإيمان بالإسلام، هو النوازع
النفسية والمصالح الشخصية والعصبية القبلية، ولكن بعد الاسترقاق ستزول
هذه الموانع، إضافة إلى المعرفة العملية بالإسلام عقائديا وتشريعيًا وأخلاقيا
نتيجة المعاشة والمعايشة في البيئة الإسلامية، فإن تمام البيان وساطع
البرهان هو دعوة نظرية بينما المعايشة هي دعوة عملية. وكمثال للتقريب
تجدون الكثير من المجرمين يصرون على الإجرام رغم الإرشاد والتوعية
والتحذير، ولكنهم بعد دخولهم للسجن يندمون وينصلحون فعلا. هذا مثال
للتقريب وشتان بين السجن وبين العيش في بيئة الإسلام، ولكن للدلالة على
تغير الحالة النفسية بزوال الموانع النفسية من القناعة بالإرشاد والتوعية
والتحذير.

الملحد – الإسلام يقوم بمهاجمة القبائل واقتحامها وإبادتها ليسبي النساء.

المؤمن – كلام فاشل باطل، تكذبه سيرة معارك المسلمين في العهد النبوي، فإن جيش المسلمين لا يبدأ بحرب قبل تمام البيان والدعوة للإسلام، بل كان يقبل من الكفار مجرد النطق بالشهادتين، ولا يبدأ القتال حتى يبدأ الكفار بالقتال، ولا يقاتلون داخل القرى إلا إذا اختار الكفار القتال في قراهم وحصونهم. كما يكذبه حكم المن بإطلاق السراح مجاناً أو إطلاق السراح بشرط الفدية، حيث يدل على أن الكافر الجاحد المستولى عليه من الرجال والنساء له أهل يرجع اليهم ويدفعون الفدية لتحريره، فلا توجد إبادة وتدمير للقرى كما تزعمون.

الملحد – نبيكم كان يستعبد النساء ويغتصبهن، فهل هذه هي الرحمة للعالمين؟ ولماذا لم يعتقهن حتى يشجع غيره على ذلك ما دمتم تقولون إن الإسلام يحث على عتق الرقيق والإحسان اليهم؟

المؤمن – الجواب:

١- الاسترقاق مختص بالكافر الجاحد بعد تمام البيان. الكافرة الجاحدة بعد تمام البيان التي استحبت الكفر على الإيمان هي من سلبت نفسها حريتها باختيارها.

٢- هو نكاح بملك اليمين محلل شرعا وليس اغتصابا، لأن تحليل وتحريم الفروج بأذن الله خالق الكافرة الجاحدة.

٣- الرسول الأكرم الرؤوف الرحيم الحكيم صاحب الخلق العظيم، لستم أنتم من يعلمه كيف يتصرف مع النساء عموما ومع الرق خصوصا، فهو أعلم بمصلحتهن وغاية الإسلام.

٤- هل نساء النبي شكون لكم؟ عندما يقدمن لكم الشكوى يحق لكم الدفاع، عدا ذلك فأنت لست سوى مبغض حاقد.

٥- أليس من العار عليكم أن تعيبوا أخلاق الرسول الأكرم وأنتم تقولون بنسبية الأخلاق وتغيرها بتغير الزمان؟ أنتم تزعمون إن الأخلاق نسبية

متغيرة فكيف تحاكمون زمتا قبل ١٤٠٠ سنة وفق أخلاقكم اليوم؟ هذا كاشف عن تهاافتكم الفكري والأخلاقي.

٦- أصلا لم يظهر من مملوكات الرسول الأكرم أي اعتراض على تعامله معهن، بل لم يذكر عنهن القيام بأي سلوك سلبي انتقامي تجاه الرسول الأكرم شخصا ولا اتجاه الإسلام عموما. بل بالعكس لم يظهر منهن إلا كمال الحب والاحترام للرسول الأكرم.

٧- إن مملوكات الرسول الأكرم كلهن قد أسلمن وحسن اسلامهن، فكن يحظين بمقام شريف عند المسلمين في حياة الرسول وبعده.

٨- إن الرسول الأكرم قد أعتقهن بالفعل وتزوجهن.

٩- لم يتزوج الرسول الأكرم من الإماء أصلا سوى أربع نساء وهن جويرية وريحانة وصفية، وهن من سبايا حرب المسلمين مع الكفار، وأما مارية القبطية فكانت مهداة من ملك القبط ولم تكن من سبايا حرب المسلمين مع الكفار.

الملحد - كيف استرقهن ومتى أسلمن ومتى عتقهن؟ راجع معلوماتك.

المؤمن - راجعوا المصادر بأنفسكم، وإن شئتم نتكلم عن كل واحدة منهن بشيء من التفصيل.

الملحد - هات المصادر.

المؤمن - زوجات الرسول الأكرم من الإماء

أولا: السيدة جويرية بنت الحارث الخزاعية، كانت كافرة مشركة عربية من بني خزاعة، بنت الحارث بن أبي ضرار زعيم بني المصطلق، اصطفاها الرسول الأكرم من سبايا غزوة بني المصطلق وتسمى أيضا غزوة المريسي، ومما قيل عنها ما يلي:

((إِنَّ بَنِي الْمُصْطَلِقِ مِنْ خُزَاعَةَ كَانُوا يَنْزِلُونَ نَاحِيَةَ الْفُرْعِ، وَهُمْ حُلَفَاءُ فِي بَنِي مُدَلِجٍ وَكَانَ رَأْسُهُمْ وَسَيِّدُهُمُ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ضِرَارٍ، وَكَانَ قَدْ سَارَ فِي

قَوْمِهِ وَمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَرَبِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَابْتَاعُوا خَيْلًا وَسِلَاحًا وَتَهَيَّأُوا لِلْمَسِيرِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَجُعِلَتِ الرِّكْبَانُ تَقَدَّمَ مِنْ نَاحِيَّتِهِمْ فَيُخْبِرُونَ بِمَسِيرِهِمْ فَلَبَّغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَندَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ وَأَخْبَرَهُمْ خَيْرَ عَدُوِّهِمْ فَأَسْرَعَ النَّاسُ لِلْخُرُوجِ وَقَادُوا الْخَيْلَ وَهِيَ ثَلَاثُونَ فَرَسًا، فِي الْمُهَاجِرِينَ مِنْهَا عَشْرَةٌ وَفِي الْأَنْصَارِ عِشْرُونَ ثُمَّ انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُرَيْسِيعِ وَهُوَ الْمَاءُ فَنَزَلَهُ وَضْرِبَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبَّةً مِنْ أَدَمٍ وَمَعَهُ مِنْ نِسَائِهِ عَائِشَةُ وَأُمُّ سَلَمَةَ. وَقَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى الْمَاءِ وَأَعَدُّوا وَتَهَيَّأُوا لِلْقِتَالِ ... فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ رَمَى رَجُلٌ مِنْهُمْ بِسَهْمٍ فَرَمَى الْمُسْلِمُونَ سَاعَةً بِالنَّبْلِ ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَحْمِلُوا، فَحَمَلُوا حَمَلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَمَا أَفَلَتَ مِنْهُمْ إِنْسَانٌ وَقُتِلَ عَشْرَةٌ مِنْهُمْ وَأَسِرَ سَائِرُهُمْ. وَسَبَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ وَالدَّرِيَّةَ [وَعُنِمَتِ] النِّعَمَ وَالشَّاءَ وَمَا قُتِلَ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ.

.... وَحَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْأَبْيَضِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّتِهِ وَهِيَ مَوْلَاةُ جُوَيْرِيَةَ قَالَتْ سَمِعْتُ جُوَيْرِيَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ تَقُولُ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ عَلَى الْمُرَيْسِيعِ فَأَسْمَعُ أَبِي يَقُولُ أَنَا مَا لَا قَبْلَ لَنَا بِهِ. قَالَتْ فَكُنْتُ أَرَى مِنَ النَّاسِ وَالْخَيْلِ مَا لَا أَصِفُ مِنَ الْكَثْرَةِ فَلَمَّا أَنْ أَسْلَمْتُ وَتَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَجَعْنَا جَعَلَتْ أَنْظُرُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ فَلْيُسُوا كَمَا كُنْتُ أَرَى، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ رُعبٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى يُلْقِيهِ فِي قُلُوبِ الْمُشْرِكِينَ.....

فَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ قُسَيْطٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ثَوْبَانَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ كَانَتْ جُوَيْرِيَةُ جَارِيَةً حُلْوَةً لَا يَكَادُ يَرَاهَا أَحَدٌ إِلَّا ذَهَبَتْ بِنَفْسِهِ فَبَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدِي وَنَحْنُ عَلَى الْمَاءِ إِذْ دَخَلَتْ عَلَيْهِ جُوَيْرِيَةُ تَسْأَلُهُ فِي كِتَابَتِهَا. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتَهَا فَكَرِهْتُ دُخُولَهَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَرَى مِنْهَا مِثْلَ الَّذِي رَأَيْتُ، فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضَرَارٍ سَيِّدِ قَوْمِهِ أَصَابَنَا مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ عَلِمْتُ، وَوَقَعَتْ فِي سَهْمٍ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ وَابْنِ عَمٍّ لَهُ فَتَخَلَّصَنِي مِنْ

ابن عمه بنخالات له بالمدينة، فكاتبني ثابت على ما لا طاقة لي به ولا يدان وما أكرهني على ذلك إلا أنني رجوتك صلى الله عليك فأعني في مكاتبتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أوخير من ذلك؟" فقالت ما هو يا رسول الله؟ قال: "أودى عنك كتابتك وأتزوجك". قالت نعم يا رسول الله قد فعلت فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ثابت فطلبها منه فقال ثابت هي لك يا رسول الله بأبي وأمي. فأدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان عليها من كتابتها، وأعتقها وتزوجها. وخرج الخبر إلى الناس ورجال بني المصطلق قد أفتسّموا وملكوا ووطئ نساؤهم فقالوا: أصهار النبي صلى الله عليه وسلم، فأعتقوا ما بأيديهم من ذلك السبي. قالت عائشة رضي الله عنها: فأعتق مائة أهل بيت بتزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها، فلا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها.

فحدّثني ابن أبي سبرة عن عمارة بن غزيرة قال كان السبي منهم من من عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير فداءٍ ومنهم من أفتدي وذلك بعد ما صار السبي في أيدي الرجال فأفتديت المرأة والذرية بسبّ فرائض. وكانوا قدموا المدينة ببعض السبي فقدم عليهم أهلهم فأفتدوهم فلم تبق امرأة من بني المصطلق إلا رجعت إلى قومها.. وهذا الثبوت.

وحدّثني عبد الله بن أبي الأبييض عن جدّته وهي مولاة جويرية، كان عالماً بحديثهم قالت سمعت جويرية تقول أفنداني أبي من ثابت بن قيس بن شماس بما أفتدي به امرأة من السبي ثم خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي فأنكحني.)).^١

نفهم من هذا النص ما يلي:

١- إن المسلمين لم يذهبوا لحرب بني المصطلق إلا بعد ثبوت إعداد بني المصطلق العدة لمحاربة الإسلام، وهذا يكذب مزاعم الملاحدة أن الإسلام يأمر بالبغي والعدوان.

١ - كتاب المغازي، الواقدي، تحقيق مارسدن جونس، ج ١ ص ٤٠٤-٤١٢

٢- إن جيش المسلمين عسكر في منطقة المريسيع وهو بئر أو عين لبني المصطلق خارج قريتهم، وهذا يعني أن جيش المسلمين لم يقم باقتحام القرية، وهذا يكذب مزاعم الملاحدة أن جيش المسلمين يقوم باقتحام القرى الآمنة ويدمرها ويبيد أهلها.

٣- إن الإسلام لا يحارب الكافرين إلا بعد تمام البيان وإقامة الحجة.

٤- إن جيش المسلمين يبقى صابرا مرابطا واعظا مرشدا محذرا جانحا للسلم حتى آخر لحظة، ولا يبدأ القتال حتى يكون الكفار هم الذين يبادرون القتال.

٥- إن بعض السبي قد من عليهم رسول الله تعالى وأعتقهم وأطلقهم مجانا بلا فدية، وهذا يدل على أن الإسلام ليس حريصا على سبي الكافرين وليس السبي هو غاية الحرب كما يزعم الملاحدة، كما أن البعض الآخر تم اطلاقهم مقابل فدية، وكانت النتيجة رجوع كل الأسرى الى قومهم، إلا من أسلم واختار البقاء مع المسلمين.

٦- إن المن على بعض الأسرى من الرجال والنساء بإطلاق سراحهم مجانا وعودتهم الى قومهم، وكذلك قدوم أهلهم لفدية بعضهم، يكذب مزاعم الملاحدة بأن جيش الإسلام يقتحم القرى ويخربها وينهبها ويبيد أهلها.

٧- إن جويرية قد اختارت الإسلام وقد اعتقها الرسول الأكرم وتزوجها، فنالت بذلك شرف الدنيا والآخرة، وحظيت بالاحترام والتقدير عند جميع المسلمين.

٨- لما كانت جويرية بنت سيد قومها كان لعتقها واسلامها وزواج الرسول منها الأثر الكبير في دخول قومها للإسلام ايمانا طواعية، بعد أن رفضوا دعوة الإسلام السلمية وأبوا إلا أن يقاتلوا، وهذا يكشف حكمة الإسلام في تشريع الجهاد والرق، كما يكشف عظيم حكمة الرسول الأكرم.

ثانيا: السيدة ريحانة بنت زيد أو بنت شمعون، كانت كافرة يهودية اسرائيلية، من بني قريظة وقيل إنها من بني النضير لكنها كانت متزوجة في بني

قريظة، اصطفاها الرسول الأكرم من سبايا بني قريظة. حيث رفض يهود بني قريظة الإسلام بغيا وحسدا وغطرسة واستكبارا، رغم بذل الرسول الأكرم كل الجهود في دعوتهم واتمام البيان لهم، فأقرهم رسول الله على دينهم بعهد وميثاق، فكانوا ينقضون العهد أكثر مرة بحياكة المؤامرات وبممارسة الفتن والدسائس بين المسلمين والطعن في الإسلام والمسلمين، وكان آخرها المؤامرة الكبرى بالتحزب مع المشركين يوم الخندق والأحزاب للقضاء النهائي على الإسلام، فأبطل الله تعالى كيدهم وشتت حزبهم، وسار اليهم الرسول الأكرم فحصرهم فاستعصوا في حصونهم وأبوا إلا أن ينزلوا على حكم حليفهم السابق سعد بن معاذ الذي حكم بقتل مقاتليهم وأسر الآخرين. وعلى هذا فإن ريحانة كانت ممن تعرف الإسلام حق معرفته عن كثب ولكن غرها غطرسة قومها واستكبارهم، ولهذا فإنه بعد ذهاب الغطرسة والاستكبار أسلمت وأعتقها الرسول الأكرم وتزوجها فنالت شرف الدنيا والآخرة، وهذا هو قول التحقيق، وقيل إنها أسلمت لكنها هي من اختارت أن تبقى مملوكة للرسول الأكرم، وقيل إن الرسول الأكرم أعتقها أو طلقها فلققت بقومها. ومما قيل فيها ما يلي:

((عَنْ أَيُّوبَ بْنِ بَشِيرِ الْمُعَاوِيِّ قَالَ: أُرْسِلَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى بَيْتِ سَلْمَى بِنْتِ قَيْسٍ أُمِّ الْمُنْذِرِ وَكَانَتْ عِنْدَهَا حَتَّى حَاضَتْ حَيْضَةً ثُمَّ طَهَّرَتْ مِنْ حَيْضِهَا، فَجَاءَتْ أُمُّ الْمُنْذِرِ فَأُخْبِرَتْ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَجَاءَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي مَنْزِلِ أُمِّ الْمُنْذِرِ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ: "إِنْ أَحْبَبْتَ أُعْتِقُكَ وَأَتَزَوَّجُكَ فَعَلْتُ وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَكُونِي فِي مَلِكِي أَطُوكِ بِالْمَلِكِ فَعَلْتُ". فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ أَحَفَّ عَلَيْكَ وَعَلَيَّ أَنْ أَكُونَ فِي مَلِكِكَ. فَكَانَتْ فِي مَلِكِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَطُوهَا حَتَّى مَاتَتْ عِنْدَهُ.

فَحَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي ذُنْبٍ قَالَ سَأَلْتُ الزَّهْرِيَّ عَنِ رِيحَانَةَ فَقَالَ: كَانَتْ أُمَّةً لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا، وَكَانَتْ تَحْتَجِبُ فِي أَهْلِهَا

وَتَقُولُ لَا يَزَانِي أَحَدٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَهَذَا أَثْبَتُ
الْحَدِيثَيْنِ عِنْدَنَا)).^١

ثالثا: السيدة صفية بنت حيي بن أخطب، كانت كافرة يهودية من بني إسرائيل من يهود بني النضير، والدها حيي بن أخطب زعيم بني النضير كان من رؤوس الفتنة والتحزيب على الإسلام، قتل مع بني قريظة في غزوة بني قريظة، وكان بعد اجلاء بني النضير من المدينة قد استقر مع من معه من يهود بني النضير في حصون يهود خيبر، وكانت صفية متزوجة من كنانة الربيع بن أبي الحقيق في خيبر. لما بلغ الرسول الأكرم أن يهود خيبر بدأوا يتحزبون مع بني غطفان من مشركي العرب ويعدون العدة لمحاربة الإسلام؛ سار اليهم الرسول الأكرم لمحاربتهم، علما أن يهود خيبر لم يكن بينهم وبين الرسول الأكرم معاهدة ولا عقد ذمة، كما كان مع بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة من يهود المدينة، فهم فضلا عن غطرتهم واستكبارهم فقد اغتروا ببعدهم عن المدينة وبحلفهم مع بني غطفان وبثرواتهم وبكثرتهم وقوتهم ومنعة حصونهم، لأن خيبر ليست كما يظن البعض أنها حصن واحد فقط، بل كانت عبارة عن عشرة حصون أو أكثر، وكانت هذه الحصون مقسمة على ثلاث مجموعات، مجموعة حصون النطاة ومجموعة حصون الشق ومجموعة حصون الكتيبة، فكانوا يعتقدون أنهم بما يخزنون من الطعام بإمكانهم الصمود داخل حصونهم عدة أشهر حتى بلا حاجة للحرب، لذلك حين وصل اليهم الرسول الأكرم كرر عليهم الدعوة للإسلام أو عقد الذمة فيقرهم على دينهم بل اكتفى منهم بنطق الشهادتين وحسابهم على الله تعالى فلم يقبلوا فكانوا كما قال الله تعالى: ((ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤) أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) ...وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى

^١ - كتاب المغازي، الواقدي، تحقيق مارسدن جونز، ج ٢ ص ٥٢١

الْكِتَابِ وَفَعَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ
الْقُدْسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا
تَتَّقُونَ (٨٧) وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ (٨٨)
وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ
عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ
(٨٩) بِنَسَمَا اسْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يُنَزَلَ اللَّهُ مِنْ
فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ
مُهِينٌ (٩٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا
وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ
قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩١) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ
بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (٩٢) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا
آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاَسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ
قُلْ بِنَسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩٣) ... أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا
نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٠) وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ
اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابِ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ
كَانَتْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) ١.

فلما بدأت الحرب كان اليهود يخرجون من حصن فيقاتلون ساعة ثم يهربون الى الحصن فيغلقونه عليهم ويكتفون بالقتال من وراء جدار الحصن ومن فوق الأسوار بالسهام، حتى إذا تمكن المسلمون من اقتحام الحصن عليهم قبل اغلاقه كان اكثر مقاتلي اليهود يهرب الى الحصن التالي، وهكذا تم فتح مجموعة حصون النطاة ثم مجموعة حصون الشق عنوة، وكان من الحصون التي فتحت عنوة حصن شديد الحصانة وقد تكس في معظم مقاتلي اليهود الفارين من الحصون السابقة، وقد شن عليه المسلمون ثلاث حملات بقيادة ابي بكر وعمر وسعد بن عبادة، فرجعوا دون فتحه، حينها دعا الرسول الأكرم أسد الإسلام الغالب علي بن ابي طالب، وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر، وكان قد أصابه الرمد فمنعه من الحرب، فبصق الرسول الأكرم ومسح بلعابه على عيني الإمام علي فشفى وسلمه الراية وشهد له بأنه رجل يحبه

الله ورسوله كرار غير فرار ، فانطلق ليث الوغى يقود جحافل المسلمين فبرز له مرحب قائد جيش اليهود فقتله الإمام علي كما قتل الحارث والعامر من أبطالهم، وتمكن من اقتحام أصعب الحصون، ((انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حصن ناعم ومعه المسلمون وحصون ناعم عدّة فرمت اليهود يومئذ بالنبل وترس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله [، وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ دِرْعَانٌ وَمِغْفَرٌ وَبَيْضَةٌ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ يُقَالُ لَهُ الظَّرْبُ فِي يَدِهِ قَنَاءٌ وَتُرْسٌ وَأَصْحَابُهُ مُحَدِّقُونَ بِهِ وَقَدْ كَانَ دَفَعَ لِيَوَاءَهُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَرَجَعَ وَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا، ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى آخَرَ فَرَجَعَ وَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا، وَدَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَوَاءِ الْأَنْصَارِ إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ فَخَرَجَ وَرَجَعَ وَلَمْ يَعْمَلْ شَيْئًا، فَحَتَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ وَسَأَلَتْ كَتَائِبُ الْيَهُودِ، أَمَامَهُمُ الْحَارِثُ أَبُو زَيْنَبٍ يَفْقَهُ الْيَهُودَ يَهْدِي الْأَرْضَ هَذَا، فَأَقْبَلَ صَاحِبُ رَايَةِ الْأَنْصَارِ فَلَمْ يَزَلْ يَسُوفُهُمْ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الْحِصْنِ فَدَخَلُوهُ وَخَرَجَ أَسِيرُ الْيَهُودِيِّ يَفْقَهُ أَصْحَابَهُ مَعَهُ عَادِيَّتُهُ. وَكَشَفَ رَايَةَ الْأَنْصَارِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَوْقِفِهِ وَوَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَفْسِهِ حِدَّةً شَدِيدَةً وَقَدْ ذَكَرَ لَهُمُ الَّذِي وَعَدَهُمُ اللَّهُ فَأَمْسَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَهْمُومًا، وَقَدْ كَانَ سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَجَعَ مَجْرُوحًا وَجَعَلَ يَسْتَبْطِئُ أَصْحَابَهُ وَجَعَلَ صَاحِبُ رَايَةِ الْمُهَاجِرِينَ يَسْتَبْطِئُ أَصْحَابَهُ وَيَقُولُ أَنْتُمْ وَأَنْتُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "إِنَّ الْيَهُودَ جَاءَهُمُ الشَّيْطَانُ فَقَالَ لَهُمْ إِنَّ مُحَمَّدًا يُقَاتِلُكُمْ عَلَى أَمْوَالِكُمْ نَادَوْهُمْ: قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ قَدْ أَحْرَزْتُمْ بِذَلِكَ أَمْوَالَكُمْ وَدِمَاءَكُمْ وَحِسَابَكُمْ عَلَى اللَّهِ" فَنَادَوْهُمْ بِذَلِكَ فَنَادَتْ الْيَهُودُ: إِنَّا لَا نَفْعَلُ وَلَا نَنْتَرِكُ عَهْدَ مُوسَى وَالتَّوْرَةَ بَيْنَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ عَدَا رَجُلًا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ لَيْسَ بِفَرَارٍ أَبَشَرٌ يَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ عَدَا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ يُفْتَلُ قَائِلُ أَخِيكَ وَتَوَلَّى عَادِيَةَ الْيَهُودِ". فَلَمَّا أَصْبَحَ أُرْسِلَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ أَرْمَدٌ فَقَالَ مَا أَبْصَرَ سَهْلًا وَلَا جَبَلًا. قَالَ فَذَهَبَ إِلَيْهِ فَقَالَ افْتَحْ عَيْنَيْكَ. فَفَتَحَهُمَا فَفَتَحَ فِيهِمَا. قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَمَا رَمِدَتْ حَتَّى السَّاعَةِ. ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِ اللِّوَاءَ وَدَعَا لَهُ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ بِالنَّصْرِ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ خَرَجَ إِلَيْهِمُ الْحَارِثُ أَحْوَرَ مَرْحَبٍ فِي عَادِيَّتِهِ فَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ وَثَبَتَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَاضْطَرَبَا

ضَرَبَاتٍ فَقَتَلَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَجَعَ أَصْحَابُ الْحَارِثِ إِلَى الْحِصْنِ فَدَخَلُوهُ
وَأَغْلَقُوا عَلَيْهِمْ فَرَجَعَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى مَوْضِعِهِمْ وَخَرَجَ مَرْحَبٌ وَهُوَ يَقُولُ:

قَدْ عَلِمْتُ خَيْبِرُ أَنِّي مَرْحَبٌ ... شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلٌ مُجَرَّبٌ

أَضْرَبُ أَحْيَانًا وَحِينًا أُضْرَبُ

فَحَمَلَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَطَرَهُ عَلَى الْبَابِ وَفَتَحَ الْبَابَ وَكَانَ لِلْحِصْنِ بَابَانِ....
وَقَالَ أَبُو رَافِعٍ: كُنَّا مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ بَعَثَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِالرَّيَاةِ فَلَقِيَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلًا مِنْ بَابِ الْحِصْنِ فَضْرَبَ عَلِيًّا وَاتَّقَاهُ
بِالنُّزُوسِ عَلِيٌّ، فَتَنَاوَلَ عَلِيٌّ بَابًا كَانَ عِنْدَ الْحِصْنِ فَتَرَسَّ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ فَلَمْ يَزَلْ
فِي يَدِهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْحِصْنَ. وَبَعَثَ رَجُلًا يُبَشِّرُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بِفَتْحِ الْحِصْنِ حِصْنِ مَرْحَبٍ وَدُخُولِهِمُ الْحِصْنَ.... فَلَمَّا قُتِلَ مَرْحَبٌ
وَيَاسِرٌ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أُبَشِّرُوا، قَدْ تَرَحَّبْتُ خَيْبِرُ
وَتَيْسَّرَتْ" وَبَرَزَ عَامِرٌ وَكَانَ رَجُلًا طَوِيلًا جَسِيمًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ طَلَعَ عَامِرٌ: "أَتَرَوْنَهُ خَمْسَةَ أَذْرُعٍ؟". وَهُوَ يَدْعُو إِلَى الْبِرَازِ
يَخْطُرُ بِسَيْفِهِ وَعَلَيْهِ دِرْعَانِ مُقْتَعٌ فِي الْحَدِيدِ يَصِيحُ مَنْ يُبَارِزُ؟ فَأَحْجَمَ النَّاسُ
عَنْهُ فَبَرَزَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَضْرَبَهُ ضَرَبَاتٍ كُلَّ ذَلِكَ لَا يَصْنَعُ شَيْئًا،
حَتَّى ضْرَبَ سَاقَيْهِ فَبَرَكَ ثُمَّ دُقِفَ عَلَيْهِ فَأُخِذَ سِلَاحَهُ.)).^١

ومن بعدها لم تقم لجيش خيبر قائمة، حيث أنه بعد فتح مجموعة حصون
النطاة ومجموعة حصون الشق عنوة جنحت مجموعة حصون الكتيبة الى
السلم والتفاوض. كانت السيدة صفية في حصن النزار من مجموعة حصون
الشق فتم أسرها هناك فهي من أسارى الحرب، فلم تكن مشمولة بالصلح
الذي جرى بعد ذلك على تسليم حصون الكتيبة، وقد كان زوجها كنانة يتزعم
مجموعة حصون الكتيبة التي تصالحت مع الرسول الأكرم على حقن دمائهم
والسماح لهم بالجلاء بملابسهم التي على ابدانهم وترك سائر ما عدا ذلك،
وأنه قد برئت الذمة ممن تثبت خيانتهم، فلما جرى تسليم حصون الكتيبة سئل
كنانة عن كنوز اليهود من الذهب والفضة والجواهر والمصوغات، فزعم

١ - كتاب المغازي، الواقدي، تحقيق مارسدن جونز، ج ٢ ص ٦٥٢-٦٥٧

أنها تم صرفها في الإعداد للحرب، وكان هو قد دفنها ليعود إليها بعد ذلك، فوشى به أحد أقاربه فأخبر بمكان الكنز فثبتت خيانة كنانة فقتل. أما السيدة صفية فقد اصطفاها الرسول الأكرم فقبلت الإسلام بعد زوال الموانع التي كانت تصدها عن الإذعان والتسليم بالحق، فأعتقها الرسول الأكرم وقبلت الزواج منه فنالت بذلك شرف الدنيا والآخرة، ومما قيل في خبرها ما يلي:

((عَنْ ابْنَةِ أَبِي الْقَيْنِ الْمُزَنِيِّ، قَالَتْ: كُنْتُ أَلْفَ صَفِيَّةٍ مِنْ بَيْنِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ تُحَدِّثُنِي عَنْ قَوْمِهَا وَمَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنْهُمْ قَالَتْ خَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ حَيْثُ أَجَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقَمْنَا بِحَيْبَرَ، فَتَزَوَّجَنِي كِنَانَةُ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ فَأَعْرَسَ بِي قَبْلَ قُدُومِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَيَّامٍ وَدَبَّحَ جُرْرًا وَدَعَا بِالْيَهُودِ وَحَوْلَانِي فِي حِصْنِهِ بِسُلَالِمٍ فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ قَمْرًا أَقْبَلَ مِنْ يَثْرَبٍ يَسِيرٌ حَتَّى يَفْعَ فِي جَجْرِي. فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَكِنَانَةَ زَوْجِي فَلَطَمَ عَيْنِي فَأَخْضَرْتُ فَنَظَرَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ دَخَلْتُ عَلَيْهِ فَسَأَلَنِي فَأَخْبَرْتَهُ. قَالَتْ: وَجَعَلْتُ الْيَهُودَ دَرَارِيهَا فِي الْكُتَيْبَةِ، وَجَرَدُوا حِصْنَ النَّطَاةِ لِلْمُقَاتِلَةِ فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْبَرَ وَافْتَتَحَ حُصُونَ النَّطَاةِ، وَدَخَلَ عَلَيَّ كِنَانَةُ فَقَالَ: قَدْ فَرَعَ مُحَمَّدٌ مِنَ النَّطَاةِ، وَلَيْسَ هَا هُنَا أَحَدٌ يُقَاتِلُ قَدْ قُتِلَتِ الْيَهُودُ حَيْثُ قُتِلَ أَهْلُ النَّطَاةِ وَكَذَبْتُنَا الْعَرَبُ. فَحَوْلَانِي إِلَى حِصْنِ النَّزَارِ بِالشَّقِّ - قَالَ: وَهُوَ أَحْصَنُ مِمَّا عِنْدَنَا - فَخَرَجَ حَتَّى أَدْخَلَنِي وَابْنَةَ عَمِّي وَنُسَيَّاتٍ مَعَنَا. فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْنَا قَبْلَ الْكُتَيْبَةِ فَسُيِّبَتْ فِي النَّزَارِ قَبْلَ أَنْ يَنْتَهِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْكُتَيْبَةِ، فَأَرْسَلَ بِي إِلَى رَحْلِهِ ثُمَّ جَاءَنَا حِينَ أَمْسَى فَدَعَانِي، فَجِئْتُ وَأَنَا مُقْتَعَةٌ حَبِيَّةٌ فَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ: "إِنْ أَقَمْتُ عَلَى دِينِكَ لَمْ أُكْرِهْكَ، وَإِنْ اخْتَرْتَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ". قَالَتْ: اخْتَارُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْإِسْلَامَ. فَأَعْتَقَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَزَوَّجَنِي وَجَعَلَ عَتَقِي مَهْرِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْمَدِينَةِ قَالَ أَصْحَابُهُ: الْيَوْمَ نَعْلَمُ أَرْوَاجَ أُمَّ سُرَيَّةَ فَإِنْ كَانَتْ أَمْرَاتُهُ فَسَيُحْجَبُهَا وَإِلَّا فَهِيَ سُرَيَّةٌ. فَلَمَّا خَرَجَ أَمَرَ بِسِتْرٍ فَسَتَّرَتْ بِهِ فَعَرَفَ أَنَّي زَوْجَةٌ ثُمَّ قَدِمَ إِلَى الْبَعِيرِ وَقَدَّمَ فَخَذَهُ لِأَضْعَ رَجُلِي عَلَيْهَا، فَأَعْظَمْتُ ذَلِكَ وَوَضَعْتُ فَخِذِي عَلَى فَخِذِهِ ثُمَّ رَكِبْتُ. وَكُنْتُ أَلْقَى مِنْ أَرْوَاجِهِ يَفْخَرْنَ عَلَيَّ يَقُلْنَ: يَا بِنْتَ الْيَهُودِيِّ. وَكُنْتُ أَرَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُلَطِّفُ بِي

وَيُكْرِمُنِي، فَدَخَلَ عَلَيَّ يَوْمًا وَأَنَا أَبْكِي فَقَالَ: "مَا لَكَ؟". فَقُلْتُ: أَزْوَاجُكَ يَفْخَرْنَ عَلَيَّ وَيَقُلْنَ: يَا بِنْتَ الْيَهُودِيِّ. قَالَتْ: فَرَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غَضِبَ ثُمَّ قَالَ: إِذَا قَالُوا لَكَ أَوْ فَاخَرُوكَ فَقُولِي: أَبِي هَارُونَ وَعَمِّي مُوسَى.))^١.

رابعاً: السيدة مارية القبطية بنت شمعون، كانت جارية نصرانية أهداها مع اختها المقوقس ملك مصر للرَسُول الأكرم، ظنا منه أنه سيخدع الرسول الأكرم بهديته فيمنعه عن نشر الإسلام في مصر، بعد أن أرسل الرسول الأكرم الى المقوقس وعدة من ملوك الأرض رسالة يعرفهم فيها بالإسلام ويدعوهم اليه. أسلمت السيدة مارية وولدت للرَسُول الأكرم ولده إبراهيم الذي توفي صغيراً، ويروى أن الرسول الأكرم قد اعتقها وتزوجها، وهناك من ينفي ذلك ويقول أنها بقيت مملوكة للرَسُول الأكرم حتى توفيت، إلا أن القرائن تؤكد عتقها وزواج الرسول منها، لأنهم يروون أن رسول الله تعالى كان يعاملها معاملة الزوجات الحرات، بل جعل لها منزلاً مستقلاً، بل قالوا أنها لما توفيت في عهد عمر حشر المسلمين للصلاة عليها جماعة ودفنها بجانب زوجات الرسول الأكرم في البقيع، وربما يعود السبب في تضعيف مسألة عتقها وزواج الرسول منها الى الحسد والغيرة الشديدة التي كانت تكنها لها عائشة، وعموما فهي قد أسلمت ولم يذكر عنها إلا كل خير، فنالت شرف الدنيا والآخرة، ومما قيل عنها ما يلي:

((عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة قال: كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يعجب بمارية القبطية، وكانت بيضاء جعدة جميلة، فأنزلها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأختها على أم سليم بنت ملحان، فدخل عليهما رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فعرض عليهما الإسلام فأسلمتا، فوطيء مارية بالملك، وحولها إلى مال له بالعالية، كان من أموال بني النضير، فكانت فيه في الصيف وفي خرافة النخل، فكان يأتيها هناك وكانت حسنة الدين، ووهب أختها سيرين لحسان بن ثابت الشاعر، فولدت له عبد

^١ - كتاب المغازي، الواقدي، تحقيق مارسدن جونز، ج ٢ ص ٦٧٥

الرحمن، وولدت مارية لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، غلاماً فسماه إبراهيم... قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لما ولدت أم إبراهيم إبراهيم: أعتق أم إبراهيم ولدها.^١

((عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ إِلَّا دُونَ مَا غِرْتُ عَلَى مَارِيَةَ؛ وَذَلِكَ أَنَّهَا كَانَتْ جَمِيلَةً مِنَ النِّسَاءِ جَعْدَةً ، وَأُعِجِبَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ أَنْزَلَهَا أَوَّلَ مَا قُدِمَ بِهَا فِي بَيْتِ لِحَارِثَةَ بْنِ النُّعْمَانَ فَكَانَتْ جَارَتِنَا فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ عَامَّةَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ عِنْدَهَا حَتَّى فَرَعْنَا لَهَا فَجَزَعْتُ فَحَوَّلَهَا إِلَى الْعَالِيَةِ فَكَانَ يَحْتَلِفُ إِلَيْهَا هُنَاكَ ، فَكَانَ ذَلِكَ أَشَدَّ عَلَيْنَا. ثُمَّ رَزَقَ اللَّهُ مِنْهَا الْوَلَدَ وَحَرَمَنَا مِنْهُ» عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا وَلَدَتْ أُمُّ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعْتَقَهَا وَلَدَهَا»^٢)).

((وتوفيت مارية في خلافة عمر بن الخطاب، وذلك في المحرم من سنة ست عشرة، وكان عمر يحشر الناس بنفسه لشهود جنازتها، وصلى عليها عمر، ودفنت بالبقيع.... روى من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما ولدت مارية القبطية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه إبراهيم قال صلى الله عليه وسلم: أعتقها ولدها. وإسناده لا تقوم به حجة لضعفه.^٣)).

الملحد – صفية بنت حيي بن أخطب قتل زوجها كنانة ليسترقيها واغتصبها في الطريق حتى لم ينتظر أن تنهي عدتها.

المؤمن – الجواب:

١- قد أوضحنا مع المصادر بأنها من أسرى مجموعة حصون الشق التي فتحت عنوة بالحرب، أما زوجها كنانة فكان في مجموعة حصون الكتيبة التي فتحت بالصلح، لذلك فهي غير مشمولة بعقد الصلح، كما أن سبب قتل زوجها هو خيانتة ونقضه لعقد الصلح بإخفاء أموال خبير ليعود لأخذها فيما بعد. كما أوضحنا بالمصادر أنها قد اختارت الإسلام وعتقها الرسول الأكرم وتزوجها ولم يذكر عنها التاريخ إلا كل الخير، فحظيت بمرتبة الشرف

١ - الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، تحقيق احسان عباس ، ج ١ ص ١٢٤-١٣٦

٢ - الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، تحقيق احسان عباس ، ج ٨ ص ٢١٢-٢١٥

٣ - الاستيعاب ، ابن عبد البر ، تحقيق محمد علي البجاوي ، ج ٤ ص ١٩١٢

والقداسة عند جميع المسلمين، ولم يتزوجها الرسول الأكرم إلا ليرقق قلوب اليهود، ولكن الصهاينة بدل أن يفخروا بمصاهرة الرسول الأكرم لهم تراهم حتى اليوم ينتقصون الرسول الأكرم، فتبا لهاتيك القلوب القاسية، وها أنتم إنما ترددون هراء الصهاينة. راجعوا حكايتها عن نفسها في النص السابق.

٢- قاعدة عامة أعطيتها لكم: إن معظم ما ورد عن السيرة النبوية هو وارد من مصادر المخالفين للإسلام المحمدي الأصيل، وهي فيها من الدس والكذب والتزوير وتلاعب اليهود والسلاطين ووعاظ السلاطين الشيء الكثير، فإن لم تثبت صحته وفق منهج آل البيت عليهم السلام في تحقيق النصوص فهو يظل مشكوكا، نرجع فيه الى الأصل الثابت في حق الرسول الأكرم وهو: ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)))^١، ((وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)))^٢، لماذا؟ لأن هذا هو النص القطعي والصريح من القرآن الكريم، وكل ما لا يتفق معه فهو مرفوض بحسب عقيدتنا.

الملحد - راجع معلوماتك، ماري القبطية وأختها كانتا هدية، ليستا كافرات وليستا أسيرات حرب، ماري القبطية كانت مسيحية ولم تكن كافرة.

المؤمن - ١- أصحاب الأديان الإلهية كاليهود والنصارى هم من أقسام الكافر، ويسمى ((الكافر الكتابي)) لكفره وجوده بنبوة الرسول الأكرم وآخر الرسائل الصادرة من الله تعالى. الكافر الكتابي مكلف من الله تعالى بالإسلام، فإن رفض الإسلام يقاتل إلا أن يرتبط مع المسلمين بعقد ذمة فيقر على دينه فلاحظ: ((مسألة ٦٢) تؤخذ الجزية من أهل الكتاب وبذلك يرتفع عنهم القتال والاستعباد، ويقرون على دينهم، ويسمح لهم بالسكنى في دار الاسلام آمنين على أنفسهم وأموالهم، وهم اليهود والنصارى والمجوس بلا إشكال ولا خلاف، بل الصائبة أيضا على الاظهر))^٣.

٢- السيدة مارية القبطية كانت نصرانية، لم يسترقها الإسلام نتيجة حرب بين الكفار والمسلمين، لكن الظاهر أنها كانت جارية من أسارى حروب

١ - سورة الأنبياء

٢ سورة القلم

٣ - منهاج الصالحين ، السيد الخوني ، ج ١ كتاب الجهاد

الروم مع بعضهم البعض، والإسلام أباح امتلاك أسارى حروب الروم وغيرهم مع بعضهم البعض بالشرء أو الهدية، لأن في ذلك اخراجا لهم من دار الكفر الى دار الإسلام.

الملحد – هذا يعني أنتم كداعش.

المؤمن – بل أنتم كداعش، تشتركون معهم في فهم الإسلام بالمقلوب، وتفترقون عنهم بأن فهمكم ساقمكم الى الإلحاد وفهمهم ساقمهم الى الإرهاب. أما فقها وعقيدتنا فهي تقول لنا: لو أن الكافر حل بين المسلمين ولو متخيلا الأمان لوجه من الوجوه فإنه يكون آمنا فعلا وله ما للمسلمين من حرمة دمه وماله وعرضه.

الملحد – إذا كان دينك يأمرك بقتل المسيحيين واسترقاقهم فاعلم أنه ليس من الله، لأن الله لا يأمر بقتل الإنسان واستعباده لمجرد أنه مختلف بالعقيدة.

المؤمن – لقد فصلنا القول في فقرة قتال الكفار والاسترقاق فليست المسألة فوضى وبربرية كما تزعمون وليست لمجرد اختلاف العقيدة كما تدعون. ولكن قل لي من قال إن الله تعالى لا يصح منه أن يأمر بقتال الكافر واستعباده مطلقا؟

الملحد – العقل والأخلاق ترفض ذلك.

المؤمن – أي عقل سقيم قاصر هذا؟ إن الله تعالى خلق الانسان وفضله على كثير من خلقه، واستخلفه في الأرض ليصلح في الأرض ولا يفسد فيها، ولكي يرتقي في مراتب الكمال الوجودي استعدادا للحياة الخالدة بعد الموت، ولن تتحقق هذه الغاية دون الإيمان بالله تعالى والعمل الصالح، وقد أرسل الله تعالى الأنبياء والرسل وجعل الدين لهداية الإنسان لله تعالى والعمل الصالح، فإذا كان بعض أفراد نوع الإنسان جحدوا وعصوا استكبارا وغطرسة وتعصبا وتولوا في الأرض يفسدون فيها، وإن قلت لهم لماذا تحاربون الله ورسوله وتفسدون في الأرض قالوا أساطير الأولين وإنما نحن المصلحون؛ حينئذ أي عقل سليم يمنع على الله تعالى أن يأمر بقتال هؤلاء واسترقاقهم؟ ثم أي أخلاق منحرفة هذه؟ تلك التي تبيح كافة رذائل الأخلاق

بمسميات خادعة كالحرية الشخصية؟ هذه ليست فطرة الأخلاق الفاضلة بل هي مزاجات وانحراف، وقد جعل الله تعالى الدين ليضبط الفطرة ويحدد المزاج.

الملحد – عيسى بن مريم لم يفرق بين البشر ولم يحمل السيف، وقد أرسل تلاميذه لهداية البشر بالحكمة ولا يوجد عنده حجر عثرة ليرفعه بالسيف.

المؤمن – هل أنت مسيحي؟

الملحد – نعم، أنا مسيحي وديني لا يفرق بين البشر ولا يحمل السيف.

المؤمن – إذن أنت تتكلم من وحي فهمك القاصر لدينك الذي تم تحريفه ليتوافق مع العلمانية ومزاجك، فالمسألة ليست رفض العقل والأخلاق لمشروعية قتال الكفار واسترقاقهم كما تزعم، بل المسألة هي موافقة تحريف دينك لمزاجك. أليس من العار أن تنتستر بالملاحدة وتصطف معهم في محاربة الإسلام؟ ماذا تنقم من الإسلام؟ كانت الكرة الأرضية بكل بشرها وأديانها تحارب وتزدري النبي عيسى بن مريم وأمه عليهما السلام، وفي مقدمتهم اليهود وبنو إسرائيل الى اليوم وهم الذين كان النبي عيسى وأمه منهم، باستثناء النصارى الذين نصرروا وأمنوا بالنبي عيسى ثم نصرهم امبراطور الرومان، فجاء الإسلام وجعل النبي عيسى وأمه عليهما السلام من مقدسات الإسلام والمسلمين الى اليوم، لكنكم تنقمون على الإسلام أنه لم يرتض عقيدتكم الباطلة بالتثليث.

الملحد – بل نرفض الإسلام لأنه ليس من الله لأن الله لا يأمر بقتل الكفار ولا يرضى بقتل المسيحيين وسبي نسائهم.

المؤمن – هذا استدلال بالمقلوب من عقل مقلوب. الاستدلال المنطقي أن يكون السؤال: أولاً لماذا أنتم رفضتم الإسلام؟ الجواب: لأنه أبطل عقيدتكم الفاسدة في التثليث، تلك العقيدة الوثنية الرومانية المبتدعة المنافية للتوحيد التي أدخلها بولس في دين الله تعالى، ثم لم تكتفوا بذلك حتى كنتم حرباً على الإسلام بالطعن في الإسلام والرسول بأساليب إعلامية قذرة، كما تفعل أنت الآن باصطفافك مع الملاحدة، ومع ذلك فإن الإسلام لم يقاتل إلا من قاتله من

النصارى، ومن لم يقاتله أقره على دينه بعقد ذمة بشرائط معينة يكون له بها ما للمسلمين من احترام الدم والمال والعرض. فالله سبحانه وتعالى إنما أمركم بتوحيده واتباع رسوله فمن عصى وقاتل أمر الله تعالى بقتاله، ومن عصى ولم يقاتل ألزمه بعقد ذمة حتى لا يكون حرباً على الإسلام والمسلمين ولا يكون عوناً لأعداء الإسلام والمسلمين مقابل أن يقر على دينه ويكون محترم الدم والمال والعرض. قال تعالى: ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (١٧١) لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢)))).^١

الملحد – ديني لا يقتل الكفار وربي عيسى بن مريم لم يفرق بين البشر ولم يحمل السيف، وقد أرسل تلاميذه لهداية البشر بالحكمة ولا يوجد عنده حجر عثرة ليرفعه بالسيف كما تبررون لحروبكم.

المؤمن – كيف لا يوجد عند السيد المسيح حجر عثرة يمنعه من إيصال هداية الله تعالى للناس وهو القائل: ((لَكِنْ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكُتَّابَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمَرَاوُونَ! لِأَنَّكُمْ تُغْلِقُونَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ قُدَّامَ النَّاسِ، فَلَا تَدْخُلُونَ أَنْتُمْ وَلَا تَدْعُونَ الدَّاخِلِينَ يَدْخُلُونَ.))^٢. أليس هذا كقوله تعالى: ((أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٨) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (١٩)))).^٣ فكيف تقول لا يوجد عند السيد المسيح حجر عثرة يصد الناس عن سبيل الله تعالى ويمنع وصول دعوة الحق اليهم!! وكيف تقول إن السيد المسيح لم يفرق بين البشر وهو القائل للكفار من أعدائه الكتبة والفريسيين: ((أَيُّهَا الْحَيَّاتُ أَوْلَادَ الْأَفَاعِي! كَيْفَ تَهْزُبُونَ مِنْ دِينُونَةٍ جَهَنَّمَ؟))^٤. أليس هذا تفريقاً بين البشر على أساس الإيمان والتقوى؟ أليس

^١ - سورة النساء

^٢ - إنجيل متى، الإصحاح ٢٣: ١٣

^٣ - سورة هود

^٤ - إنجيل متى ٢٣: ٣٣

هذا تحقيرا لهم بوصفهم أنهم خبيثاء أشرار مخادعون، وأنهم مصيرهم جهنم لأنه كفروا به وحاربوه كأبائهم الأفاعي الشريرة الذين قتلوا الأنبياء من قبله؟ كذلك الإسلام لا يفرق بين البشر في الإنسانية إلا على أساس الإيمان والتقوى لأن هذا الأساس هو الهدف والغاية من أصل خلق البشر، فهو ليس تمييزا عنصريا، قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَآكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)))^١.
كيف تقول بعد هذا إن المسيح لا يفرق بين البشر!!

الملحد – لكن السيد المسيح لم يحمل السيف لمحاربة اعدائه.

المؤمن – لأنهم لم يمهلوه سوى ٣ أو ٥ سنين. السيد المسيح لم يقم دولة ولم تجتمع له شوكة وإلا لحارب كل من يحاربه لمنع وصول هدايته للناس، المسألة واضحة منطقيا وشرعيا. هو ليس مكلفا في هذه المرحلة بالحرب. ثم أستم تقولون إنه بعث في هذه المرحلة كأضحية؟ أي ليُعذب ويُقتل ويُصلب فداء للناس لتخليصهم من لعنة الخطيئة الأولى، فهو على هذا ليس مكلفا بالحرب في هذه المرحلة.

الملحد - أنت غلطان لأنك لم تقرأ الانجيل، بل لأن تعاليم المسيح على عكس تعاليم محمد، والمسيح يريد مملكة السماء وليس مملكة الأرض الزائلة، يقول: اعطوا ما لقيصر لقيصر واعطوا ما لله لله، احبوا اعداءكم باركوا لاعنيكم. فعن أي حرب انت تتكلم فالمسيح له سلطان السماء ولا يحتاج الى سيوفكم الدامية.

المؤمن - اعطوا ما لقيصر لقيصر واعطوا ما لله لله، احبوا اعداءكم باركوا لاعنيكم، احسنوا لمن اساء اليكم، من ضربك على خدك الأيمن أعطه خدك الأيسر. هل هذه التعاليم التي تزعم أنني لا أعرفها! هذه المقولات ربما أنت الذي لا تعرف غيرها، هذه المقولات يعرفها حتى الأطفال في كل العالم وذلك بسبب ترديد مؤسسات العلمانية لها مليارات المرات لطمس الهوية المسيحية ولإلغاء دور الدين في الحياة. هذه من خدع العلمانيين الغربيين

^١ - سورة الحجرات

بعدها أسقطوا حكومة الكنيسة ليستغفوا المسيحيين، كالعلمانيين المسلمين يأخذون من القرآن عبارة انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر، و يروجونها ليستغفوا بها المسلمين ليتركوا فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. أنت مغزو فكريا منحرف مزاجيا كبعض المسلمين الذين يرون عدم مناسبة قتال الكفار واسترقاقهم لمزاجهم المنحرف وفكرهم المسلوب. هذه المقولات يأمرنا ديننا بمثلها وأفضل منها، لكن لكل مقام مقال وأخذ المقال وتعميمه على غير مقامه تحريف للدين وتزييف للوعي.

الملحد - على العكس الكنيسة اخطأت عندما فرضت نفسها على اوروبا واسست للدنيا وليس للروح، وخالفت تعاليم المسيح وروح المسيحية أدعوك لتقرأ الانجيل لترى الفرق.

المؤمن - قارئ اسفار العهدين، وهذا تفسير العلمانيين للدين، أم إنك لا تؤمن بالعهد القديم وأمر الله فيه صريح بمحاربة الكفار؟ أم تنكر حكومة انبياء بني اسرائيل وحرورهم؟؟ حروب أنبياء بني إسرائيل مشهورة فلا حاجة أن آتي بنصوص عليها، يكفينا النص على الجهاد والقتل والاسترقاق وقوانين الحرب وآدابها وعلتها في التوراة، حيث يخاطب الله تعالى النبي موسى عليه السلام فيقول: ((١٠ حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها الى الصلح. ١١ فان اجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك. ١٢ وان لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها. ١٣ واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. ١٤ واما النساء والاطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة اعدائك التي اعطاك الرب الهك. ١٥ هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا. ١٦ واما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما. ١٧ بل تحرمها تحريما الحثيين والاموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما امرك الرب الهك. ١٨ لكي لا يعلموكم ان تعملوا حسب جميع ارجاسهم التي عملوا لالهتهم فتخطئوا الى الرب الهكم)).^١

١ - سفر التثنية ، الأصحاح ٢٠

وفي تفسيرها قال القمص تادرس: ((٢). حصار المدن خارج كنعان:

بالنسبة للأمم البعيدة يرسل إليهم لإقامة عهد سلام، فإن قبلوا يقومون بخدمة الله وشعبه [١٥-١٠]. لا يجوز لهم أن ينزلوا في معركة مع الجيران ما لم يقدّموا أولاً إعلاناً عاماً، فيه يطلبون الصلح.

"حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح. فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك. وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها. وإذا دفعها الرب إليك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. وأمّا النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنتمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إليك. هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا" [١٥-١٠].

اختلف المفسّرون في شرح هذه العبارة، فالبعض يرى أنها تنطبق على البلاد المجاورة لأرض الموعد، ولا تنطبق على الأمم السبع التي في كنعان. وعلّة هذا أن بقاء أية بقية من الأمم السبع وسط الشعب يكون عثرة لهم، ويجذبونهم إلى عبادة الآلهة الوثنيّة وممارسة الرجاسات. ويرى آخرون أنها تنطبق على هذه الأمم أيضاً حيث تكون شروط الصلح هي:

١. جحد العبادة الوثنيّة والدخول إلى عبادة الله الحي.

٢. الخضوع لليهود.

٣. دفع جزية سنويّة.

من لا يقبل هذه الشروط لا يبقون في مدينتهم كائناً حياً متى كانت من الأمم السبع، أمّا إذا كانت من المدن المجاورة فيقتل الرجال ويستبقى النساء والأطفال مع الحيوانات وكل غنائمها. أمّا سبب التمييز فهو ألا يترك أي أثر في وسط الشعب للعبادة الوثنيّة.

الخضوع للعمل الشاق، تحقيق للعنة نوح لكنعان ابنه (تك ٩: ٢٥).

بالنسبة للبلاد البعيدة التي لا تتبع أرض الموعد فيمكن طلب الصلح معها وتسخير شعبها (٢٠: ١٠-١٥). صورة رمزية عن رغبة الإنسان الروحي الداخليّة للسلام مع تحويل الطاقات من العمل لحساب الشر إلى طاقات خاضعة لحساب ملكوت الله فينا.

٣. المدن المحرّمة:

"وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما. بل تحرمها تحريمًا: الحثييين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك. لكي لا يعلموكم أن تعملوا حسب جميع أرجاسهم التي عملوا لألهتهم، فتخطئوا إلى الرب إلهكم" [١٦-١٨].

بالنسبة للأمم التي تقيم في أرض الموعد يلزم مقاتلتهم حتى لا يسحبوا قلب الشعب إلى الارتداد والعبادات الوثنية وممارسة الرجاسات [١٦-١٨]. كانت الأمم التي تمتع الشعب القديم بأرضها ترمز إلى الخطيئة، فكان إبادتهم يشير إلى تحطيم كل شر. من الجانب التاريخي كانت هذه الشعوب عنيفة للغاية تقدّم الأطفال محرقة للآلهة وتتقدّم النساء والفتيات للزنا لحساب الآلهة الوثنية مع رجاسات أخري بشعة، لذا كانت تمثّل خطرًا على انحراف شعب الله (٢٠: ١٨). لا يستخدم مع الأمم أية رحمة، لأن الفساد قد تفشّى ودمّر سگانها أبديتهم بأنفسهم، وصار الأمر خطيرًا حتى بالنسبة لشعب إسرائيل متى احتلّوها إن بقيت أية آثار لعبادتهم.)).

الملحد - اسمه العهد القديم وهو يخص اليهود وبني إسرائيل، لذا استوجب أن يوجد العهد الجديد وهو لكل البشر ويقوم على فكرة خلاص البشر من خطيئة ادم بدون تأسيس اي دولة، وانما تأسيس مملكة السماء لكل من آمن بالفعل الخلاصي للمسيح.

المؤمن - ما هذه السفسطة؟ السيد المسيح يصرح أنه ما جاء لينقض الناموس: ((لَا تَنْظُرُوا أَنِّي جِئْتُ لِأَنْفُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لِأَنْفُضَ

١ - تفسير الكتاب المقدس ، العهد القديم ، القمص تادرس يعقوب ، تفسير سفر التثنية ، أصحاب ٢٠

بَلْ لَأَكْمَلَنَّ))^١، بمعنى أنه يقر ما جاء في شريعة اليهود ويكملها، وهو اصلا جاء ملكا لبني إسرائيل، والكنائس كلها تقر شريعة موسى وهي التي تطبع أسفار بني إسرائيل "التناخ" بعنوان العهد القديم مع طباعتها لأسفار النصارى بعنوان العهد الجديد، وإلا فاليهود عندهم ((التناخ)) ولا يعترفون بالنبي عيسى ولا الأناجيل. فهذه خزعات العلمانية أن المسيح جاء ليؤسس دولة في السماء، أي دولة في السماء؟ تقصد في الآخرة بعد الموت؟ انها جنة الله دار المتقين لكل الانبياء والرسل والاصياء ومن آمن بالله وعمل صالحا، والإسلام كذلك يصر على إن هذه الحياة الدنيا متاع وأن الآخرة هي دار القرار فسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة ولا تغرنكم الحياة الدنيا، ولكن هذا لا يعني الرهبانية النصرانية المبتدعة كما لا يعني العلمانية المخادعة. وأنت حتى إن كنت تتبع شريعة عيسى ولا تتبع شريعة اليهود لكنك عقائديا تقر بنبوته أنبياء بني إسرائيل وأنهم أنبياء الله تعالى، وتقر بأن أسفار العهد القديم هي وحي من الله تعالى، وهذا يعني أنك تقر بصحة وحقانية حرب أنبياء بني إسرائيل للكفار وأنها بتشريع ورضا من الله تعالى، فلا يحق لك عقائديا أن تعترض على تشريع الجهاد في الإسلام بأن النبي عيسى لم يحارب. وبهذا تسقط مقولتك إن الله لا يأمر بحرب واسترقاق وإن من يحارب باسم الرب هو كاذب يفترى على الله.

أما فكرة الخلاص المبنية على عقيدتي التثليث والقداء فهي أشهر مهازل العقل البشري، وخلاصة وحقيقة هذه المهزلة عندهم هي أن الله تعالى خلق آدم وحواء فلما عصوا أمره وتناولوا من الشجرة طردهم ولعنهم ولعن كل ذريتهم وأهبطهم الى الأرض، ثم أن الله تعالى أراد رفع لعنة تلك الخطيئة الأولى عن البشر ذرية آدم، فانتظر حتى زمن مريم المقدسة، فتجسد في اقنوم الروح القدس ودخل رحم السيدة مريم، ثم خرج من رحمها متجسدا باقنوم عيسى، حتى تعذبه وتقتله مخلوقاته من بني إسرائيل وتصلبه، فيكون الله نفسه قدم نفسه فداء وتضحية لنفسه ليرفع لعنة الخطيئة الأولى، فقط عن فئة البشر التي تعبد تجسده في اقنوم عيسى، وليكتب العفو والخلاص من هذه اللعنة الأبدية فقط لمن يؤمن بأن الله واحد في ثلاثة!! أية مهزلة هذه؟

^١ - انجيل متى ، ٥ : ١٧

تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. قال تعالى: ((لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤفَكُونَ (٧٥)))).

أنت بتملصك من العهد القديم الذي يصرح بالأمر بمحاربة الكفار، وبراءتك من حكومة أنبياء بني إسرائيل وحروبهم، مع أنك بحسب عقيدتك تؤمن بأن رب موسى وأنبياء بني إسرائيل هو نفسه رب عيسى عليهم السلام، بل هو عيسى نفسه، وأن العهد القديم هو من الله تعالى؛ أنت بذلك اثبت أنك مغزو فكريا ومنحرف مزاجيا. لأن إله العهد القديم هو نفسه إله العهد الجديد.

أما الدليل على بطلان مقولتك من أنجيل العهد الجديد فهو قول المسيح: ((لا تظنوا أنني جئت لأحمل السلام إلى العالم، ما جئت لأحمل سلاما بل سيفا. جئت لأفرق بين الابن وأبيه، والبنات وأمهات، والكثرة وحماتها. ويكون أعداء الإنسان أهل بيته.

مَنْ أَحَبَّ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ أَكْثَرَ مِمَّا يُحِبُّنِي، فَلَا يَسْتَحِقُّنِي. وَمَنْ أَحَبَّ ابْنَهُ أَوْ بِنْتَهُ أَكْثَرَ مِمَّا يُحِبُّنِي، فَلَا يَسْتَحِقُّنِي. وَمَنْ لَا يَحْمِلُ صَلِيبَهُ وَيَتَّبِعُنِي، فَلَا يَسْتَحِقُّنِي. مَنْ حَفِظَ حَيَاتَهُ يَخْسِرُهَا، وَمَنْ خَسِرَ حَيَاتَهُ مِنْ أَجْلِي يَحْفَظُهَا))^٢.

هذه آيات صريحة بالأمر بالجهاد بالسيف، موافقة لما في القرآن الكريم.

الملحد – هذه الآيات لها تفسير آخر غير الظاهر أنت لا تعلمه.

المؤمن – أنا أعلم جيدا كيف تخبط واحتار مفسروكم في توجيهها بما يتوافق مع الموقف العلماني للكنيسة.

١ - سورة المائدة

٢ - انجيل متى، الإصحاح ١٠، الأعداد ٣٤-٣٩

والدليل الحاسم من أسفار العهد الجديد هو ((ملحمة الهرمجدون)) حيث يعتقد المسيحيون أن هذه الملحمة العظمية ستقوم على محاربة المسيح وأتباعه لأعدائه من الكفار والمسيح الدجال وأشرار الأرض ومن يوالونهم في آخر الزمان، حتى تشبع طيور الأرض من لحومهم، إنها حرب تطهير كونية عظيمة، وهؤلاء الأعداء هم من رآهم يوحنا في منامه فكانت هذه نبوءة يؤمن بها كل النصارى، كما ورد في رؤياه حيث يقول: ((وَرَأَيْتُ الْوَحْشَ وَمُلُوكَ الْأَرْضِ وَأَجْنَادَهُمْ مُجْتَمِعِينَ لِيَصْنَعُوا حَرْبًا مَعَ الْجَالِسِ عَلَى الْفَرَسِ وَمَعَ جُنْدِهِ. فَفُيِضَ عَلَى الْوَحْشِ وَالنَّبِيِّ الْكَذَّابِ مَعَهُ، الصَّانِعِ قُدَّامَهُ الْآيَاتِ الَّتِي بِهَا أَضَلَّ الَّذِينَ قَبِلُوا سِمَةَ الْوَحْشِ وَالَّذِينَ سَجَدُوا لِصُورَتِهِ. وَطُرِحَ الْاِثْنَانِ حَيَّيْنِ إِلَى بُحَيْرَةِ النَّارِ الْمُتَّقَدَةِ بِالْكَبْرِيتِ. وَالْبَاقُونَ قُتِلُوا بِسَيْفِ الْجَالِسِ عَلَى الْفَرَسِ الْخَارِجِ مِنْ فَمِهِ، وَجَمِيعُ الطُّيُورِ شَبِعَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ)).^١

الملحد – هذه الرؤيا والنبوءة تتكلم عن موضوع آخر، عن حرب بين المسيح من جهة وبين الشيطان واتباعه من جهة أخرى، وليست حربا بين المسيح وبين حجر العثرة كما لديكم.

المؤمن – أي موضوع آخر؟ قلنا لكم مسبقا إن السيد المسيح ليس مكلفا في هذه المرحلة بالحرب، أستم أنتم أنفسكم تقولون إنه مبعوث في هذه المرحلة كأضحية؟ أي ليعذب ويقتل ويصلب فداء للناس لتخليصهم من لعنة الخطيئة الأولى؟ فهو على هذا ليس مكلفا بالحرب في هذه المرحلة كالنبيين داوود وسليمان عليها السلام، فلا يصح أن تجعلوا دور السيد المسيح عليه السلام معيارا تقيمون به دور الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

والآن أثبتنا لكم أنه مكلف في مرحلة آخر الزمان بالعودة والحرب. وحجر العثرة الذين يصدون الناس عن الهدى ويمنعونهم من دخول مملكة السماء هم أئمة الكفر وأولياء الشيطان الذين سيحاربهم السيد المسيح آخر الزمان، ونحن لا نحارب إلا أولياء الشيطان، قال تعالى: ((الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي

١ - سفر رؤيا يوحنا : ١٩/٢١-٢١

سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ
كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦))^١.

فيا عزيزي أنت مغزو فكريا ومنحرف مزاجيا ومن العار عليك أن تتقمص دور الملحد وتتستر بالملاحدة لتحارب الإسلام والمسلمين، وموقفك هذا لن يرضى به النبي عيسى عليه السلام قطعا، ولن يوافق عليه معظم المسيحيين الذين يعيشون بيننا بأمن وأمان.

الملحد – أي أمن وأمان والدواعش قتلونا ونهبونا وهجرونا وسبونا وفجروا كنائسنا.

المؤمن – لعنة الله على داعش، فنحن جهرنا بالبراءة منهم فكرا وتطبيقا، وحاربناهم وحاربهم معنا فصيل منكم كتفا لكتف واختلطت دماؤنا بدمائكم حتى قضينا على داعش وأعدنا أمنكم وكرامتكم وأرضكم.

الملحد – اشكرك تحياتي.

الملحد – وأنا ملحد أمازيغي، وقومك قتلوا الأمازيغ في بلاد المغرب واستعبدوهم وسبوا نساءهم وأجبروهم على الإسلام.

المؤمن – أنت ملحد، ومعظم الشعب الأمازيغي اليوم هم أحرار مسلمون عن ايمان وقناعة واختيار، وهذا ما يكذب قولك، فأنت لست ممثلا عن الشعب الأمازيغي، ولم يشتكوا اليك ولم ينصبوك محاميا لهم. وقد قلنا مسبقا إن ما تسمى بالفتوحات الإسلامية بعد عهد الرسول الأكرم لم تكن بأمر وقيادة مباشرة من الخلفاء الشرعيين للرسول الأكرم وهم آل بيت محمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين.

الملحد – وأنا أزيدي من العراق. أنا لا أقول انكم دواعش ولكنكم مثلهم في الفكر. داعش قتلونا وسبوا نساءنا وباعوهن في سوق النخاسة، كما كان يفعل نبيكم، وأنتم تعتقدون بمشروعية قتل الكافر وسبي النساء.

^١ - سورة النساء

المؤمن – داعش يفهمون الإسلام بالمقلوب كالملاحدة بالضبط. ونحن أوضحنا تفاصيل قتال الكفار والاسترقاق وأنها وفق ضوابط صارمة بشكل مفصل ولكنكم تصرون على دعشة الإسلام. نحن شيعة آل بيت الرسول الأكرم نمثل الإسلام المحمدي الأصيل، نحن جهرنا بالبراءة من داعش فكرا وتطبيقا. نحن قاتلنا الدواعش وأعطينا أعظم التضحيات بالأنفس والأموال حتى تمكنا من القضاء على داعش، وأعدنا للأزيدين أمنهم وكرامتهم وأرضهم وعرضهم، والى حد الآن مستمرين على حماية أمنهم حتى أن معظم سكان مناطق تواجد الأزيديين يصرون على بقاء متطوعي فتوى الدفاع الكفائي في مناطقهم. فكيف تساوي بيننا وبين الدواعش بل كيف تنسب الدواعش الى الإسلام لمجرد أن الإسلام فيه فقرة قتال الكفار والاسترقاق؟ توجد في الطب فقرة بتر العضو، ولكن تشخيص وفعل ذلك وفق ضوابط طبية صارمة، فلو أتى مجرم يحمل شهادة طب مزورة وقام ببتر عضو لشخص خلاف الضوابط الطبية فهل يقع اللوم على الطب والأطباء الحقيقيين؟ لا يقول ذلك إلا جاهل. فليس من الصحيح أن تتستر وتصطف مع الملاحدة في محاربة الإسلام انتقاما لما فعله الدواعش بقومك، وأنا أجزم أن قومك لا يرتضون منك ذلك.

الملحد – ما قلته صحيح وأنا أعترف، ولكن الدواعش آذونا كثيرا.

المؤمن – وآذونا أكثر منكم، وقد دفعناهم الثمن غاليا، وإن عادوا عدنا ولا جحور للجرذان في عرين ليوث الكرار.

- العقوبات في الإسلام

الملحد – إن العقوبات الإسلامية تنافي الإنسانية، كعقوبة قطع يد السارق ورجم الزاني المتزوج، وجلد شارب الخمر، فإنها تنافي الإنسانية التي يدعي الإسلام كرامتها وصيانتها.

الجواب:

١- إن الإنسان المجرم هو الذي يقدم بارتكابه للجريمة على هدر كرامة نفسه ويعرض نفسه للعقوبة ليس الاسلام، فينبغي توجيه الذم اليه لا للإسلام.

٢- العقوبات تكون شديدة لكي تردع عن ايقاع الجرائم من الأصل، وبالتالي لا تصل النوبة الى تطبيق العقوبات ثم التباكي على قسوة التطبيق.

٣- إن الاسلام حينما يضع قانون العقوبات، فانه يراعي فيه قيودا صارمة ومنها ثبوت الجرم بالبينة، ومراعاة الظروف العمرية والعقلية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية للشخص، ومنها تكرار الجريمة وحجمها، فليست المسألة بالفوضى والبربرية التي يصورها الملاحدة.

الملحد - تريد تقنعني أن أسلوب الرجم والبتير والتعويق هو الأسلوب الأمثل في تكوين مجتمع صالح؟

المؤمن - العقوبات ليست هي أسلوب بناء المجتمع الصالح في الإسلام. أسلوب بناء المجتمع الصالح في الإسلام يكون بالمعرفة العقائدية الصحيحة والإيمان الصادق، وبمعرفة أحكام الشريعة وحدودها، وبالتوعية بفضائل الأخلاق وآثارها النافعة للشخص والمجتمع في الدنيا والآخرة وكيفية ترسيخها بصالح الأعمال، والتوعية برذائل الأخلاق وضررها على الشخص والمجتمع في الدنيا والآخرة وكيفية اجتنابها أو تخليتها عن النفس منها. أما العقوبات فهي لردع النفس الأمارة بالسوء ولمجازاة مرتكب الجريمة عالما عامدا، ولإقامة العدل بإحقاق الحقوق والاقتصاص من الظالم للمظلوم، لغرض صيانة المجتمع الإسلامي وحفظ النظام.

الملحد - يعني أنت لما تقطع يد السارق كيف سيتمكن من العمل؟

المؤمن - الجواب:

١- كان الأولى به أن يبحث عن عمل شرعي بدل السرقة، وكان الأولى به أن يسأل نفسه هذا السؤال قبل أن يقدم عالما عامدا على سرقة أموال المسلمين.

٢- العقوبة ليست قطع تمام اليد، بل هي قطع الأصابع الأربعة من الكف اليمنى وترك الإبهام وراحة الكف.

٣- هذه العقوبة لا تثبت إلا بإقرار السارق أو بشهادة رجلين عادلين.

٤- هذه العقوبة لا تثبت إلا إذا بلغ مقدار المال المسروق خمس الدينار الذهبي، والمشهور بلوغه ربع الدينار الذهبي.

٥- هذه العقوبة لا تثبت إذا ثبتت توبة السارق قبل ثبوت السرقة عند الحاكم الشرعي.

٦- هذه العقوبة لا تثبت إذا ثبت عفو المسروق عن السارق قبل الترافع الى الحاكم الشرعي.

٧- بعد هذه العقوبة يستطيع السارق أن يمارس حياته حراً بشكل طبيعي، ويتمكن من العمل، وهي خير من الحكم بسجنه أو تغريمه ما لا يتمكن من دفعه.

الملحد – ولماذا رجم الزاني، مع كون الزنا هو علاقة جنسية بالتراضي بين الطرفين كالزواج عندكم، وهي حرية شخصية.

المؤمن – من ضروريات الدين عندنا أن الزنى فاحشة وساء سبيلاً، فهو جريمة عظمى تنافي فضيلة فطرة خلق العفة، وهو طريق لفساد ودمار وهلاك المجتمع، هذا هو حكم كل العقلاء في العالم، بل هو حكم حتى الأطباء وخبراء الاجتماع وفقهاء القانون، وحسبكم أن عدد المصابين بوباء الإيدز المعدي في أمريكا وحدها قرابة ١٠ مليون، ومن المعلوم أن السبب الرئيسي لهذا الوباء هو القذارة الجنسية، ومن المعلوم أن هذا المرض قاتل ولا يوجد لحد الآن لقاح أو علاج نهائي له، وبقاء المصابين به على قيد الحياة يتوقف على الاستمرار بتناول العقار المؤقت وهو غالي الثمن، فضلاً عن أن الزنى استتبع التفكك الاجتماعي وكثرة أطفال الزنى وامتلاء المزابل والشوارع والمجاري ودور اللقطاء بهم، كما استتبع تناول عقار منع الحمل وماله من آثار جانبية خطيرة، حتى استتبع في النهاية تشريع قتل الزانية لجنينها بالإجهاض، واستتبع تشريع اللواط والسحاق، إضافة الى الكثير من المفاصد

الأخلاقية والجسدية والاجتماعية والاقتصادية، فالواقع يثبت صدق القرآن أن الزنى فاحشة وساء سبيلا، فنفثي جريمة الزنى في الغرب وتشريع البرلمان الرأسمالي لها بسبب الإتجار بالزنى وبسبب ضغط ثلة السفلة من المجتمع، وبالتالي شياع الزنى كحالة طبيعية نتيجة حصول الانحراف الفكري والأخلاقي؛ كل ذلك لن يجعل جريمة الزنى موافقة لفضيلة الأخلاق ولن يجعلها طريقا صالحا لبناء مجتمع صالح.

الملحد – إنه كالزواج فلماذا الزنى رذيلة والزواج فضيلة.

المؤمن – هذه مغالطة، ولو كان الزنى كالزواج الشرعي لما ترك الأراذل الزواج الشرعي واتجهوا للزنى، ولو كان كالزواج الشرعي لما سعى الأراذل الى خدعة تشريع ما يسمى ((الزواج المدني)) أي مجرد وثيقة مسجلة في الدائرة الحكومية خالية من ضوابط الزواج الشرعي ولوازمه، فهو زنى مبطن، فالأمر واضح أن الفطرة الأخلاقية تفرق بين الزنى والزواج الشرعي، والأمر واضح أن الدوافع الى الزنى هي دوافع مريضة خبيثة.

الملحد – هو حرية شخصية فما دخلك أنت؟ وإقامة الحد في هذه الحال مصادرة لهذ الحرية التي يجب أن تصان، كما أن حد الزنا فيه إهدار لإنسانيته وإيذاء له لم يعد مقبولا في العصر الحديث.

المؤمن – الدين هو نظام صيانة الفطرة الأخلاقية وتهذيبها وكمالها لتحقيق الغاية من خلق الإنسان، ولا توجد حرية بهيمية بل حتى البهائم تحكمها شريعة تناسبها، وحتى الدول الغربية التحررية المشرعة للزنى هي تشتمل على نظام عقوبات فلا توجد حرية شخصية مطلقة.

الملحد – مع ذلك فقتل الزاني هو عقوبة قاسية.

المؤمن – الجواب:

١- قسوة العقوبة تتناسب مع حجم الجريمة وأبعادها وطبيعة الفاعل، والمحدد لها هو الله تعالى وهو خالق الإنسان والأعلم بما ينفعه أو يضره.

٢- جريمة الزنى لا تثبت إلا بإقرار الزاني أو بشهادة أربع شهود عدول.

٣- حد الزنى ليس كما تدعون بل فيه تفاصيل كثيرة، ومنها أن الزاني إذا كان غير متزوج محصن فعقوبته هي الجلد مائة جلدة، أما إن كان متزوجا محصنا فعقوبته هي الرجم.

٤- مبدأ تفشي الزنى في الغرب المسيحي كان بسبب أن الكنيسة تمنع تعدد الزواج وتمنع الطلاق، أما الإسلام فقد أباح الطلاق كما أباح تعدد الزوجات دواما ومؤقتا، كما أمر بالتستر وسد جميع منافذ الانحراف الأخلاقي، ونبه على خطورة جريمة الزنى وأنذر بالعقاب عليها، وبالتالي فلا عذر لمن يقدم على جريمة الزنى عالما عامدا، وخاصة إن كان متزوجا محصنا.

الملحد - رجم المرأة الزانية في الإسلام، هذا ما اقتبسه الإسلام من اليهودية، وهي طقوس بدائية جدا من فصيلة اسمها أشباه إنسان منذ مئات الآلاف من السنين عندما كان الذكور يرحمون شريكاتهم عندما يشعرون انها تناسلت مع ذكر اخر لأن الذكر والحالة هذه لن يكون متأكدا ١٠٠٪ أنه مرر عوامله الوراثية الى جيل ثاني من الأبناء وهذا الشك والأحاساس بالفشل في نقل الجينات الخاصة به لأنثاه هو ما سبب هذه الحالة من الجنون عند الذكور فتراهم جادين في رجمها وقتلها، ليس بدافع الغيرة او الدين بل لأن في احشائها مخلوقا لا يحمل صفات ذكرها بل لذكر اخر. هم لا يختلفون عن قرد البابون بذلك ولو ان كلاهما يعود لفصيلة واحدة primates لكنهم اطروه بأكاذيب ودين حتى يمارسوا طقوس الثأر لرجولتهم بهذه الوحشية. كذلك فان الإناث كانت تمارس التكاثر المشترك مع عدد من الذكور لغريزتها بان هذا التنوع سوف ينجم عنه ابناء لديهم جينات وراثية متفوقة يستطيعون من خلالها ان يشقوا طريقهم ويحيوا لوقت أطول ضمن بيئات عدائيه تنافسية. استمر هذا الحال لعقود طويلة حتى اخترعت الزراعة وبات الانسان الذكر يمتلك ارض ومزرعة وحيوانات وطيور داجنة يرغب بتوريثها لولد ناتج من صلبه، فتم اختراع الزواج وحصر تكاثر المرأة بذكر واحد لضمان صحة الموارد، وهذا ما التقطته الأديان فيما بعد كاليهودية والإسلام واخترعت اعادة طقوس الرجم ثانية.

المؤمن – هذا من خزعات ملاحدة الشيوعية البائدة التي لا دليل عليها وإنما هي مجرد أكاذيب لتحليل المشاعة الجنسية، فهل وجدتكم في رقم طيني أم في نقش في كهف أم أخبروكم الهنود الحمر المساكين بأنهم يرحمون الزانية لحفظ جينات الزوج؟ لا يوجد شيء من ذلك. لكن أكثر شيء لطيف في مقالتك الشيوعية هي دعواك أن المرأة تخون زوجها بهدف تحسين النسل ودعم التطور الداروني. من أخبرتكم بذلك من الهنود الحمر؟ لا توجد. هل الزانيات الخائنات المعاصرات تدعي ذلك؟ كلا. ربما الشيوعيات الاشتراكيات الماركسيات يزعمن ذلك. عقوبة الرجم في الإسلام يا عزيزي ان كنت حقا لا تعلم وخذعوك بهذا الهراء الشيوعي؛ تشمل كل من الرجل والمرأة، الزاني المحصن المتزوج يرحم إذا زنى سواء أكان رجلا أو امرأة. هذه المعلومة البسيطة تسقط بحثك الأركولوجي السيوسولوجي البيولوجي السايكلوجي الزائف. أنت تزعم أن رجم الزانية المتزوجة هو حالة كان يمارسها الإنسان القردي البربري الأول حفظا لجيناته، ثم جاءت المدنية والملكية الخاصة والأديان فرسخته حفظا لميراث الملكية الذكورية الخاصة. لكن الإسلام يا عزيزي يرحم كذلك الذكر الزاني المتزوج ناقل الجينات وصاحب الملكية الخاصة، وهذا يبطل مقالتك. وتزداد مقالتك بطلانا إذا علمت إن الإسلام قد يرحم الذكر الزاني ويترك المرأة شريكته في الزنى فلا يرحمها، وذلك في حالة إذا كان الذكر الزاني متزوجا وكانت شريكته في الزنى غير متزوجة، فهنا يرحم الذكر لأنه محصن بينما تجلد المرأة فقط لأنها غير محصنة، بل حتى إن كانت شريكته متزوجة لا ترحم إن كانت مشتبهة. فالعلة يا عزيزي هي علة خلق العفة وكون الزنى فاحشة وساء سبيلا، وهي تقتضي الرجم للمتزوج العالم العامد ذكرا كان أو انثى والجلد لغير المتزوج.

الملحد – ولماذا هذه العقوبات التي أصبحت قديمة ولا تناسب روح العصر؟

المؤمن – الدين ليس موديل أزياء ملابس حسب المزاج، اللطيف أن موديل أزياء الملابس هو نفسه يتكرر كل جيل، الدين هو الضابطة التي تحكم روح العصر فتمنعها عن الإفراط والتفريط، فالواجب هو عطف المزاج على الدين وليس عطف الدين على المزاج.

الملحد - في الدنمارك أغلقوا السجون لأنه انتفتت الجرائم في مجتمعهم.

المؤمن - بالعافية عليهم، ولماذا يغلقونها؟ من الأفضل أن يحولوها الى مراكز لتربية الكلاب والقطط والخنازير، أو مراكز لإيواء أبناء الزنى.

ذكرتني بذلك القاتل السفاح الإرهابي النرويجي، الذي قام بقتل ٧٧ شخصا عام ٢٠١١، حيث أقدم أنديرس بيرينغ بريفيك، متنكرا بزي شرطي على تفجير قنبلة قرب مقر الحكومة في أوسلو، مؤديا الى قتل ٨ أشخاص. وانتقل بعدها الى جزيرة أوتويا النرويجية، حيث فتح النيران على مدى ساعة وربع الساعة مستهدفا نحو ٦٠٠ مشارك في المخيم الصيفي لرابطة الشبيبة العمالية، فقتل ٦٩ شخصا، وقد قيل إنه مسيحي يميني متطرف وقيل إنه وثني، وقد حكمت عليه المحكمة بسجن لمدة ٢١ سنة فقط باعتبار هذه العقوبة هي العقوبة القصوى في القانون النرويجي!!! فعلا مسخرة العقل الغربي. مجرم سفاح يقتل بالغا عاقلا عالما عامدا ٧٧ شخصا وهو مطمئن أنه حتى في حالة تم الإمساك به واثبات الجريمة فإنه لن يتعاقب سوى ٢١ سنة كحد أقصى، يعني أن القانون النرويجي بذلك احترام إنسانية المجرم السفاح الإرهابي النازي، وأهدر إنسانية ٧٧ شخصا بريئا غافلا، فهنيئا للإنسانية بقانون العقوبات هذا. يجدر بالذكر أيضا أن النرويج لم تسمح باللواط والسحاق فقط، بل إنها أقرت قانون الزواج الرسمي للوطيين والسحاقيات وحقهم في تبني طفل لتكوين عائلة، فماذا يبتغي الملاحدة بعد هذا!!!

الملحد - هذه العقوبات الإسلامية لا أخلاقية.

المؤمن - يضحكني العقل الإلحادي حينما يتشدد بالأخلاق. أي أخلاق! لقد بحتت وأنا أتجاوز معكم في ماهية الأخلاق والمعيار الأخلاقي في العقل الإلحادي، فلم يثبت عندكم سوى الأخلاق النفعية ومعيار المزاج. العقل الإلحادي يستهجن العقوبات الإسلامية بينما هو يقر مشروعية الإجهاض بقتل الزانية لجنينها، ومشروعية ((القتل الرحيم)) بقتل كبار السن بطلبهم.

الملحد - نعم، أنا أقر حق الإجهاض والموت الرحيم، لكن أتحداك أن تأتي بقانون يجبر على الإجهاض والموت الرحيم، اتركوا كل شخص وحرية.

المؤمن - أهم شيء عندكم الحرية البهيمية، أصلا هذا هو السبب الحقيقي للإلحاد، يعني أنتم تقررون للزانية وللطاقم الطبي أن يقتلوا الأطفال والعجزة، لكن أهم شيء حرية ممارستكم للزنى والدعارة واللواط والسحاق والتعري والخمر والمخدرات. نقول لكم إن الواقع يثبت أن الزنى فاحشة وساء سبيلا وأنه كارثة اجتماعية اقتصادية طبية، وأن الخمر هي دمار للجسد والروح والمجتمع بشهادة الطب، وأن الإجهاض والقتل الرحيم هو قتل عمدي للأبرياء، فتقول مع ذلك أهم شيء حرיתי!! لا يا حبيبي أنت حر في تدمير نفسك هناك في الغرب، لكنك لست حرا في نشر انحرافك الفكري والأخلاقي في المجتمع الإسلامي.

- الإسلام وحقوق المرأة

الملحد - الإسلام يميز بين المرأة والرجل، يفرض على المرأة التستر، وكما في الشهادة في القضاء حيث شهادة الرجل تعدل شهادة اثنتين من النساء، وكما في الميراث حيث للذكر ضعف حصة الانثى من الارث، وهذا الامر إهانة للمرأة وخلاف المساواة.

المؤمن - الجواب:

١- خلاف المساواة! ومن قال ان المساواة هي حكم عقلاء البشر؟ المساواة اكلوبة غربية لنشر الفساد والرذيلة. ان حكم العقلاء هو العدالة، وهي تعني إعطاء كل شيء حقه بما يستحقه بحسب خصوصياته. العدالة أعم من المساواة، فهي قد تقتضي المساواة احيانا وقد تقتضي التفاوت احيانا أخرى، لأن في المساواة ظلما أحيانا، فمثلا هل تقبل انت ايها المعارض أن نساويك في الحقوق والواجبات والمحاسبات مع الطفل؟ طبعا لا، فمحور النظام الالهي هو العدل، وحكم العقلاء هو العدل وليس المساواة.

٢- الإسلام يساوي بين الرجل والمرأة في الموارد التي تتعلق بالإنسان من حيث هو انسان، أي التي لا تتعلق بخصوصية خاصة للذكورة والانوثة، وهذه تشمل معظم موارد الخطاب والتشريع والحقوق في الاسلام، ((مَنْ

عَمَلٍ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧))^١. اما الموارد التي تتعلق بالخصوصية وهي موارد محدودة فانه يراعي هذه الخصوصية، وهذه المراعاة للخصوصية هي حكم عقلائي يقبله كل العقلاء. مثلا إن الإسلام يسقط فرض الجهاد الحربي عن المرأة ويجعل جهادها في حسن المعاشرة الزوجية ولها أجر الرجل في الجهاد الحربي، فهل في هذا إهانة او استنقاص من المرأة أم كرامة واحترام وفضل؟

٣- من خصوصيات الانوثة هي الجاذبية الشكلية، وبما أن ظهور النساء سافرات متبرجات يؤدي الى اشاعة الفتنة والفساد في المجتمع، والاسلام يحرص على استقرار المجتمع الانساني، لذلك فرض الاسلام على النساء احكاما خاصة بالتنستر صيانة لها وللمجتمع.

٤- من خصوصيات الانوثة التفوق على الذكر في الجانب العاطفي، وذلك لتكون أقدر على ممارسة وظيفة الأمومة التي فطرها الله عليها نفسيا وجسديا، وهذه الخصوصية ربما ادت الى عدم اتيان المرأة للشهادة على وجهها الصحيح أو ميلها في القضاء عاطفيا، لذلك جعل الاسلام احكاما خاصة بشهادة المرأة، كما منع توليها للقضاء.

٥- من خصوصيات الذكر التفوق على الانثى في جانب القوة الجسدية، مما يجعله أقدر على تحمل مشقة العمل لكسب الرزق والدفاع عن الأسرة، لذلك فرض الاسلام وجوب نفقة الزوجة على الزوج، وفي مقابل ذلك ضاعف من حصة الرجل في الميراث في بعض الموارد.

٦- ان قاعدة ((للرجل مثل حظ الانثيين)) التي يهرج بها دعاة المساواة متباكين على حق المرأة في الميراث هي ليست جارية في جميع الموارد كما يهرجون، فمثلا لو توفي شخص ولم يكن له وارث سوى ابيه وبنته، فحينئذ يرث ابو المتوفى سدس التركة، بينما ترث بنت المتوفى نصف التركة، وهو

١ - سورة النحل

مقدار ثلاثة اضعاف حصة جدها والد المتوفى، والباقي يقسم عليهما بالنسبة، فهنا الأنثى أخذت ثلاثة أضعاف ما أخذه الذكر وهو جدها.

٧- النتيجة: إن الإسلام لا يميز بين الرجل والمرأة تمييزاً عنصرياً، بمعنى أنه يعتبرها نوعاً آخر أو مخلوقاً أدنى رتبة وجودية من الرجل، أبداً لا يوجد هكذا في الإسلام المحمدي الأصيل، وما يظهر خلاف ذلك فهو باطل مكذوب أو مقصود به خلاف الظاهر، وإنما القاعدة الأساسية الثابتة المحكمة الصريحة العامة عندنا هي قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ))^١.

الملحد – الإسلام يجعل المرأة جارية عند زوجها.

المؤمن – كذب من أكاذيب ناشطات تدمير المرأة وتحريرها من عفتها وأنوثتها وأسرتها، وهذه بعض حقوق الزوج والزوجة على بعضهما:

((مسألة ٣٣٧: إن لكلٍّ من الزوجين على الآخر حقوقاً بعضها واجب وبعضها مستحب، والواجب منها على أقسام ثلاثة:

القسم الأول: حق الزوج على الزوجة، وهو أن تمكّنه من نفسها للمقاربة وغيرها من الاستمتاع الثابتة له بمقتضى العقد في أيّ وقت شاء ولا تمنعه عنها إلا لعذر شرعيّ، وأيضاً أن لا تخرج من بيتها من دون إذنه إذا كان ذلك منافعاً لحقه في الاستمتاع بها بل مطلقاً.

مسألة ٣٣٨: ينبغي للرجل أن يأذن لزوجته في زيارة أقربائها وعبادة مرضاهم وتشجيع جنائزهم ونحو ذلك، بل يجب عليه ذلك بمقدار ما يقتضيه الإمساك بالمعروف، وليس له منعها من الخروج إذا كان للقيام بفعل واجب عليها.

^١ - سورة الحجرات

مسألة ٣٣٩: لا يحرم على الزوجة سائر الأفعال - غير الخروج من البيت - بغير إذن الزوج إلا أن يكون منافياً لحقه في الاستمتاع منها.

مسألة ٣٤٠: لا يستحق الزوج على الزوجة خدمة البيت وحوائجه التي لا تتعلق بالاستمتاع من الكنس أو الخياطة أو الطبخ أو تنظيف الملابس أو غير ذلك حتى سقي الماء وتمهيد الفراش، وإن كان يستحب لها أن تقوم بذلك.

القسم الثاني: حق الزوجة على الزوج، وهو أن ينفق عليها بالغذاء واللباس والمسكن وسائر ما تحتاج إليه بحسب حالها بالقياس إليه على ما سيأتي تفصيله، وأن لا يؤذيها أو يظلمها أو يشاكسها من دون وجه شرعي، وأن لا يهجرها رأساً ويجعلها كالمعلقة لا هي ذات بعل ولا هي مطلقة، وأن لا يترك مقاربتها أزيد من أربعة أشهر على ما تقدم في المسألة التاسعة.^١

الملحد - وماذا عن الضرب؟ ((وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً^٢)).

المؤمن - الضرب فقط في حالة واحدة وهي فيما إذا استكبرت الزوجة على زوجها في المعاشرة الزوجية، وامتنعت عما ألزمت نفسها به بموجب العقد الشرعي من دون عذر شرعي، فليس الأمر كما يطبل الملاحدة بل كما فصل الفقهاء كما يلي:

((مسألة ٣٥٠: النشوز قد يكون من الزوجة، وقد يكون من الزوج:

أما نشوز الزوجة فيتحقق بخروجها عن طاعة الزوج الواجبة عليها، وذلك بعدم تمكينه مما يستحقه من الاستمتاع بها، ويدخل في ذلك عدم إزالة المنفقات المضادة للتمتع والالتذاذ منها، بل وترك التنظيف والتزيين مع

^١ - منهاج الصالحين ، السيد السيستاني ، ج ٣ ، كتاب النكاح ، الفصل العاشر

^٢ - سورة النساء

اقتضاء الزوج لها، وكذا بخروجها من بيتها من دون إذنه، ولا يتحقق بترك طاعته فيما ليس واجباً عليها كخدمة البيت ونحوها ممّا مرّ .

مسألة ٣٥٣: إذا نشزت الزوجة جاز للزوج أن يتصدّى لإرجاعها إلى طاعته، وذلك بأن يعظّها أوّلاً فإن لم ينفع الوعظ هجرها في المضجع إذا احتمل نفعه، كأن يُحوّل إليها ظهره في الفراش، أو يعتزل فراشها إذا كان يشاركها فيه من قبل، فإن لم يؤثر ذلك أيضاً جاز له ضربها إذا كان يؤمّل معه رجوعها إلى الطاعة وترك النشوز، ويقتصر منه على أقلّ مقدار يحتمل معه التأثير، فلا يجوز الزيادة عليه مع حصول الغرض به، وإلا تدرّج إلى الأقوى فالأقوى ما لم يكن مُدمياً ولا شديداً مؤثراً في اسوداد بدنّها أو احمراره، واللازم أن يكون ذلك بقصد الإصلاح لا التشفي والانتقام، ولو حصل بالضرب جناية وجب الغرم.

وإذا لم تنفع معها الإجراءات المتقدّمة وأصرّت على نشوزها فليس للزوج أن يتخذ ضدّها إجراءً آخر سواء أكان قولياً كإيعادها بما لا يجوز له فعله - بخلاف الإيعاد بما يجوز له كالطلاق أو التزويج عليها - أو كان فعلياً كفرّك أذنّها أو جرّ شعرها أو حبسها أو غير ذلك، نعم يجوز له رفع أمره إلى الحاكم الشرعيّ ليلزمها بما يراه مناسباً كالتعزير ونحوه.

مسألة ٣٥٨: إذا هجر زوجته هجراً كلياً فصارت كالمعلّقة لا هي ذات زوج ولا هي مطلّقة، جاز لها رفع أمرها إلى الحاكم الشرعيّ، فيلزم الزوج بأحد الأمرين: إمّا العدول عن هجرها وجعلها كالمعلّقة، أو تسريحها لتتمكّن من الزواج من رجل آخر، فإذا امتنع منهما جميعاً جاز للحاكم - بعد استنفاد كلّ الوسائل المشروعة لإجباره حتّى الحبس لو أمكنه - أن يطلقها بطلبها ذلك.

ويقع الطلاق بائناً أو رجعيّاً حسب اختلاف الموارد، ولا فرق فيما ذكر بين بذل الزوج نفقتها وعدمه.

مسألة ٣٦٠: إذا كان الزوج يؤذي زوجته ويشاكسها بغير وجه شرعيّ، جاز لها رفع أمرها إلى الحاكم الشرعيّ ليمنعه من الإيذاء والظلم ويلزمه بالمعاشرة معها بالمعروف، فإن نفع وإلا عزّره - مع الإمكان - بما يراه،

فإن لم ينفَع أيضاً كان لها المطالبة بالطلاق، فإن امتنع منه ولم يمكن إجباره عليه طلقها الحاكم الشرعي)).^١

الملحد - زواج الأطفال القاصرات؟ الإسلام يبيح زواج القاصرات.

المؤمن - تحديد سن البلوغ البيولوجي شرعا موكول الى علماء الدين من الفقهاء المجتهدين العدول، وهو للفتاة على المشهور يكون عندما تكمل الفتاة ٩ سنوات هجرية وتدخل في العاشرة، وللفتى عند اكمال ١٥ سنة هجرية أو يحتلم قبل ذلك، أما سن الرشد أو ما يسمى البلوغ الاجتماعي فهو يختلف لكل فرد بحسبه، فإذا كان سن البلوغ القانوني في القانون الغربي يزيد على ذلك ويعتبر الفتاة قاصرة دون تحديده هذا؛ فإن اعتبار القانون الغربي هذا غير معتبر عندنا وغير ملزم، لأنه خاضع لاجتهادات وضعية بشرية غير علمية، بدليل اختلاف قوانين الدول الغربية بل كافة دول العالم نفسها بشكل كبير في تحديد سن الرشد القانوني، فلا حظوا آخر اللغظ التشريعي في بريطانيا حول سن الرشد في تقرير لفتاة البي بي سي: ((رفضت الحكومة البريطانية تخفيض سن الرشد القانوني إلى الخامسة عشرة. وجاء هذا الرفض بعد دعوة وجهها البروفيسور جون آشتون رئيس كلية الصحة العامة لتخفيض سن الرشد مشيرا إلى أن المجتمع البريطاني يعرف أن نحو ثلث الفتيات والفتيان يمارسون الجنس في الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة. وأوضح آشتون أن تخفيض السن يعني تمكين الفتيان والفتيات في هذه السن من الحصول على النصائح الطبية التي تمنع انتشار الامراض الزهرية. ولكن الحكومة البريطانية قالت إن السن المقررة قانونا هي السادسة عشرة وذلك لحماية الأطفال. وأنه ليست هناك أية خطط لتعديل القانون. وتشير البيانات الرسمية إلى أن نحو ثلث المراهقين يمارسون الجنس قبل وصولهم إلى سن الرشد الحالية وهي السادسة عشرة.)).

فيا أحبتي كارتكم كبيرة، فلا تزايدوا على الإسلام شرفا وتحضرا ونظافة ومعرفة بطبيعة الإنسان. عما قليل سيشرعن الغرب زنا و لواط و سحاق

^١ - منهاج الصالحين ، السيد السيستاني ، ج ٣ ، كتاب النكاح ، الفصل الحادي عشر

من يعدهم اليوم قاصرين، وحينئذ لا أراكم إلا ستقولون ((حرية شخصية،
وتطور أخلاقي، لا يعنينا))!!

الملحد - أنتم مصيبتكم أعظم، فأنتم تبيحون الزواج من الطفلة حتى دون
سن البلوغ والرشد المقرر عندكم، حتى لو كانت رضية.

المؤمن - هذا زواج بالعقد الشرعي فقط، أي يحرم على الزوج الدخول بها
قبل البلوغ، والولاية في ذلك للأب والجد ويشترط في صحة عقد الأب والجد
عدم المفسدة للصغير، بل ينبغي مراعاة مصلحة الصغير، وإلا توقفت صحة
العقد أو بطلانه على إجازة أو رفض الصغير بعد البلوغ والرشد، بل حتى
لو كان في عقد الأب والجد مصلحة وعدم مفسدة للصغير فلا يترك الاحتياط
بالطلاق في حالة رفض الصغير بعد البلوغ والرشد، ولستم أنتم أشد رحمة
ورأفة ومعرفة بمصلحة الطفل ومضرته من أبيه وجده. علما أن هكذا حالات
تزويج هي نادرة، ولكن الملاحدة مفلسون فماذا يفعلون سوى الثرثرة، بينما
تراهم يغمضون أعينهم ويخرسون عن مافيا الإتجار بالأطفال في الغرب،
وإن سألتهم عن موقفهم منها سيقولون ((لا يعنينا))!! فلاحظوا:

((مسألة ٥٧: الأب والجدّ من طرف الأب لهما الولاية على الطفل الصغير
والصغيرة والمجنون المتّصل جنونه بالبلوغ

مسألة ٥٩: يشترط في صحّة تزويج الأب والجدّ ونفوذه عدم المفسدة - بل
الأحوط الأولى مراعاة المصلحة فيه - وإلا يكون فضولياً كالأجنبيّ يتوقّف
صحّة عقده على الإجازة بعد البلوغ أو الإفاقة

مسألة ٦٠: إذا زوّج الأب أو الجدّ للأب الصغير أو الصغيرة مع مراعاة ما
تقدّم فهو وإن كان صحيحاً، ولكن يحتمل معه ثبوت الخيار للمعقود عليه بعد
البلوغ والرشد، فلو فسخ فلا يترك مراعاة مقتضى الاحتياط بتجديد العقد أو
الطلاق.))^١.

الملحد - زواج نبيكم من عائشة وعمرها ٩ سنوات بينما عمره ٥٣ سنة!!

^١ - منهاج الصالحين ، السيد السيستاني ، ج ٣ ، كتاب النكاح ، الفصل الرابع

المؤمن – أولاً: وما هو العجيب في ذلك!! لا يوجد مانع بيولوجي أو أخلاقي أو شرعي في ذلك.

الملحد – إنها طفلة!!

المؤمن – هراء، بل هي عند اكمال ٩ سنوات هلالية تكون امرأة بالغة، وهذا ثابت طبيًا، وقد تكلمنا مسبقًا في دعوى اباحة الإسلام الزواج من القاصرات، فإن كان هذا التشريع لا يناسب مزاج وذوق العصر فالخلل في مزاج وذوق العصر، وهو تشريع بمعنى الإباحة، أي جواز الزواج في هذا العمر وليس بمعنى الوجوب، يعني إن لم يناسب ذوق ومزاج أي مسلم، حتى ولو في عصر الرسول الأكرم، فلا يجب عليه فعله. واضيف هنا أن الفتيات في الغرب تتعلم وضع أشرطة حبوب منع الحمل في حقائبها المدرسية من عمر ٩ سنوات، فالقصور في وعيكم وليس في الفتيات.

أما ما اريد أن أقوله الآن:

ثانياً: إن دعوى زواج الرسول من عائشة وهي بعمر ٩ سنوات وإن كان لا عجب ولا مانع ولا خدشة فيه على الرسول الأكرم، إلا أنها من دعاوى أتباع السقيفة وهي مشكوكة واقعا، بل هي من دعاوى عائشة نفسها، وعائشة دائما تراها فيما ينقل عنها تحاول تصوير نفسها بأنها أكمل النساء مطلقا وأفضل زيجات الرسول الأكرم وأحبهن اليه، وقد ساعد في نشر هذه الصورة عنها كونها بنت ابي بكر، حاكم فلتة السقيفة، كما شهد عمر بذلك في صحيح البخاري، إلا أن التحقيق التاريخي ينافي هذه الدعوى.

فمما ذكره تحقيق البعض:

لم يتزوج الرسول الأكرم وهو ابن ٥٣ عاما بعائشة بعمر ٩ اعوام ويدخل بها. نتحدث في الدليل المادي والتحقيق التاريخي:

كم استمرت البعثة النبوية الشريفة؟ وكم كان منها في مكة المشرفة وكم كان منها في المدينة المنورة؟ ٢٣ عاما، منها ١٣ عاما في مكة المشرفة و ١٠ أعوام في المدينة المنورة.

الثابت في جميع الروايات التاريخية ان جميع ابناء ابي بكر قد أنجبهم في الجاهلية بما فيهم السيدة عائشة، والثابت في جميع المصادر التاريخية ان اسماء ذات النطاقين هي اخت السيدة عائشة، وقد كانت تكبرها بعشرة أعوام، اي ان اسماء كانت تكبر السيدة عائشة بعشرة اعوام. الثابت في السيرة النبوية ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد تزوج السيدة عائشة قبل الهجرة بثلاثة أعوام، ولكنه دخل بها لما هاجرت الى المدينة المنورة. الآن السيدة عائشة ولدت قبل البعثة النبوية الشريفة وقبل بدأ الوحي بقليل. اتفقنا ان مدة البعثة في مكة قبل الهجرة هي ١٣ عاما وأن السيدة عائشة ولدت قبل البعثة ولنقل بسنة على الأقل، فكم يكون عمرها عند هجرة الرسول؟ لنتفق ان شاء الله انها كانت تبلغ من العمر عند هجرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ١٤ عاما، ومن الثابت في جميع كتب السيرة أن الرسول دخل بها بعد ثلاث سنين وبضعة اشهر من هجرته الى المدينة، فعمرها عند دخول الرسول الأكرم بها يكون ثمانية عشر عاما تقريبا.

خطبها بنت ١٤ عاما، وتزوج بها وهي لا أقل من ١٨ عاما، وهناك قول بأن عمرها ٢٠ - ٢١ عاما عند دخول الرسول الأكرم بها، لأن اختها أسماء ولدت قبل الهجرة ب٢٧ عاما فتكون ولادة عائشة التي تصغرها بعشر سنوات ١٧ عاما قبل الهجرة، وقد تزوجها الرسول الأكرم بعد معركة بدر ٢ للهجرة.

الملحد - تزوج النبي زينب بنت جحش زوجة ابنه زيد بن حارثة.

المؤمن - الملاحدة لا جديد عندهم، وهذه من مقولات اسلافهم من المنافقين التي ردها القرآن الكريم. زيد بن حارثة ليس ابن الرسول الأكرم، بل كان مملوكا للسيدة خديجة ووهبته للرسول الأكرم، الذي تولى رعايته فكان من أوائل المسلمين فأعتقه الرسول الأكرم وأكرمه وزوجه السيدة زينب بن جحش ابنة عمته، وقد كان الرسول الأكرم تولى كفالة زيد بن حارثة ورعايته وحمايته كابنه حتى صار ينسبه الناس اليه، أما السيدة زينب بنت جحش الأسدي، فأبوها من بني أسد وأمها هاشمية عممة الرسول الأكرم اميمة بنت عبد المطلب بن هاشم، وكانت من أوائل المسلمين وقد خطبها الرسول الأكرم

لزيد بعد الهجرة في المدينة المنورة، فرضت أول الأمر لأنها هاشمية أسدية حرة بينما كان زيد عبدا مملوكا في الجاهلية، ومثل هكذا زيجة مرفوضة رفضا قاطعا في الأعراف الجاهلية، ولكن شاء الله تعالى أن يقضي على هذه النعرة الجاهلية ويثبت كفاءة المسلم للمسلمة بقطع النظر عن أي اعتبار آخر، وقد اختار الله زينب وزيدا لهذه المشيئة، فوافقت زينب تسليما لمشيئة الله تعالى، وهكذا حصل الزواج وحطم الله تعالى ورسوله بزواج زينب موروث الفوارق الطبقية، إلا أن هذا الزواج لم يدم بسبب حدوث مشاكل فوصل الى مرحلة الطلاق، وقد جهد الرسول الأكرم للتوفيق بين الزوجين ونصح زيدا أن يمسك عليه زوجه، وقد كان هذا عملا من الرسول الأكرم بما يجب عليه فعله في هكذا موقف وإلا فهو يعلم من الله تعالى بأن زيدا سيطلق زينب حتما وأنه يجب عليه أن يتزوجها، وقد كان في تكليف الله تعالى للرسول الأكرم بالزواج من زينب حرجا شديدا، وذلك لأن زيدا يكون ابن الرسول الأكرم بحسب عرف الجاهلية، وبحسب هذا العرف يكون هذا الزواج مرفوضا مقبوحا بشكل قطعي، ولكن شاء الله تعالى أن يحطم هذه النعرة الجاهلية والعرف الجاهلي بزینب مرة أخرى، وليكون زواجها من الرسول الأكرم مكافأة لها من الله تعالى لتسليمها لأمر الله تعالى والموافقة أولا على الزواج من زيد، وهكذا كانت السيدة زينب تفتخر على زوجات الرسول الأكرم بأن الله تعالى هو من زوجها من النبي، وقد توفيت بعد وفاة الرسول ب ١٠ سنوات ولم يعرف عنها إلا كل خير وكانت تلقب بأُم المساكين لكثرة صدقاتها، أما زيد بن حارثة فكان من خيار الصحابة وقد تزوج أكثر من امرأة واستشهد قائدا في معركة مؤته سنة ٨ هجرية، أما المنافقون ومن في قلبهم مرض فقد أخرجهم الله تعالى بقوله:

((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا (٣٦) وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ

فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا
(٣٨) الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْشُونَهُ وَلَا يَحْشُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ
حَسِيبًا (٣٩) مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ
وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠))^١.

الملحد – وخوفه من الناس؟

المؤمن – النبي لا يخاف إلا الله تعالى، وليس خوف النبي معصية أو منقصة،
خاصة إن كان خوفا على دين الله تعالى وليس على نفسه.

الملحد – ابنه بالتبني وقد حرم التبني ليتزوج زوجة ابنه بالتبني.

المؤمن – زيد ليس ابنه حقيقة، فسواء حرم التبني أم لا فإنه يحل له شرعا
الزواج من طليقة زيد، فحتى سلفكم من الكفار والمنافقين اعتراضهم ليس
على حرمة التبني بل على حلية الزواج من طليقة المتبني، والآيات السابقة
تبين أن هذا العرف خاطئ وأنه يحل للشخص أن يتزوج طليقة المتبني لأنه
- كما يقر الجاهليون أنفسهم - ليس ابنا حقيقة، وبالتالي فلا يصح ترتيب
أحكام الابن الحقيقي عليه. فمسألة تحريم التبني اجنبية عن مسألة حلية
الزواج من طليقة المتبني.

الملحد - نرى أنّ سبب نزول هذه الآيات يتعلّق برؤية محمّد لزینب بنت
جحش وهي في بيتها واشتهائه لها، فهل كانت هذه الآية فعلا مدوّنة في اللوح
المحفوظ الخرافي؟

إن كانت هذه الآية غير مدوّنة، فكيف يقال إن اللوح المحفوظ موجود منذ
الأزل وأنه لم يتغير ولا يتغيّر، ونحن نرى هنا آية لم تكن موجودة وزيدت
فيه بعد حدوث الحادثة؟ وكيف يكون الله عليما بكلّ شيء وقد اتّضح أنّه لم
يدوّن هذه الآية في لوحه لجهله حتميّة حدوث سبب نزولها؟

أمّا إذا كانت الآية موجودة فعلا في اللوح المحفوظ الخرافي، فهذا يعني أن
الله كان يعرف أنه سيأتي وقت ويشتهي فيه محمّد بن آمنه زينب بنت جحش

^١ - سورة الأحزاب

زوجة ابنه بالتبني زيد بن حارثة، فلماذا ترك زيدا يتزوج الفتاة منذ البداية وهو يعرف أنه سينتهي بها الأمر الى محمد بن أمية؟ سيقولون أن الغرض من كل ذلك كان تحريم التَّبني، لكن هل إله محمد عاجز لهذه الدرجة عن تحريم التبني بغير هذا؟ ثم ألم يكن الأولى أن يمنع تبني محمد بن أمية لزيد بن حارثة منذ البداية فيتفادى ما سيحدث في المستقبل؟

المؤمن - الجواب:

١- أما أن تقول إن الاخلاق مطلقة أو تقول إنها نسبية، فإن قلت انها نسبية متغيرة بحسب الاشخاص والزمان والمكان فتقبيحك لهذا الفعل يخصك أنت وزمانك ومكانك ولا علاقة لك بشخص الرسول وزمانه ومكانه بل عيب عليك تعميم اخلاقك على غيرك. وإن قلت إن الأخلاق مطلقة ثابتة لكل البشر في كل زمان ومكان، فعليك أن لا تستحل الدعارة و الزنا و اللواط و السحاق و تقول انها حرية شخصية بل يجب عليك ان تستقبحها و تنهى عنها ايضا.

٢- قلنا إن الآيات ليست لتحريم التبني بل لكسر سنة جاهلية هي تحريم زواج المتبني من طليقة المتبني.

٣- ادخالك القضية في جدلية علم الله الأزلي مجرد سفسطة، فالله تعالى يعلم منذ الأزل برعاية الرسول لزيد وبتزويجه لزيد من زينب وبطلاق زيد لزينب ثم زواج الرسول منها، كما يعلم مسبقا بزواج بقية ازواج النبي من غيره ثم يصبحن زوجات له.

٤- إن من ينطلق في تفسير أفعال الآخرين من منطلق مريض، فهو بلا شك سوف يفسر أفعالهم بحسب مرضه. فالطبيب سيفسر تقديم المساعدة لشخص بأنها احسان ورافة، بينما يفسرها المريض بأنها رياء وشهرة. أما الباحث الموضوعي فهو من لا يحاكم النوايا بحسب ظاهر الفعل، بل يجب أن يكون على أساس علمي موضوعي منطقي.

فمثلا في مسألة زواج الرسول الأكرم من زينب بنت جحش، لو بحثتها بموضوعية ومنطقية فلن تجد فيها أي شيء يشين النبي ويسيء إليه. فنقول كما قال باحث : إنه بالحصر العقلي إما يكون محمد نبيا أو لا. وهنا يجب

البحث أولا في أدلة نبوته، فإن ثبت إنه نبي سقط وجه الاعتراض على أفعاله، لأن من تثبت عنده نبوة النبي وكونه معصوما سيكون مؤمنا بكون زواجه جاء منسجما مع نبوته في سياق حكمة تشريعية قد نعلم أو نجعل تفاصيلها.

وإن لم تثبت نبوته فلا يمكن عقلا أيضا تفسير زواج النبي من زينب على أساس شهواني غريزي، ولذلك لعدة أسباب منها:

أولاً: لم يكن النبي معروفا بشهوانيته وإتباعه لغرائزه حتى في شبابه، والشواهد كثيرة:

منها: سلامة سيرته مما يشينها، ويكفينا في إثبات ذلك -إن شككنا في الروايات- أنه لو كان في سيرته ما يشين لتمسك به أعداؤه في محاولة تسقيطه كما اتهموه بالجنون والسحر وغيرها ولأضطر إلى الرد عليهم والدفاع عن نفسه.

ومنها: بقاؤه على زوجة واحدة حتى تجاوز سن الخمسين، مع العلم أن تكاليف الزواج كانت بسيطة، وتعدد الزوجات كان سائدا في المجتمع.

فإن قيل بأنه كان يكبت رغباته لوجود خديجة.

قلنا: إذا كان قد كبت رغباته وشهواته - بناء على هذا القول- وهو شاب ولمدة ٢٥ سنة فهل يصعب عليه ذلك في الكبر!؟

فلا بد أن نبحث عن تفسير لهذا الفعل غير الاندفاع الشهواني لأننا جربنا فيه التحمل وقوة الإرادة.

ثانياً: لم تكن زينب بعيدة عن النبي وخافية عليه بل هي بنت عمته، فهو أعرف بحالها وبجمالها من غيره، بالإضافة إلى أنها قد كانت من أوائل المؤمنين به هي وأخوها عبد الله بن جحش، فما أيسر أن يخطبها من ابن عمته ويتزوجها.

ثالثا: من المعروف أن زيدا هو ربيب النبي وكان يدعى ابنه، ومن الواضح أن النبي قد كان يستطيع أن يمنعه من الزواج منها منذ البداية في حال كان معجبا بزینب، لا أن يذهب هو ويخطبها ويزوجها لزید بنفسه.

رابعا: من الواضح أن النبي - مهما اختلفتم فيه- كان عاقلا وحكيما بلا شك، ومن يكون كذلك فلا يمكن أن نتخيل أن يقدم على فعل يجعله في موقف اجتماعي صعب جدا إلا إذا كان لديه مبرر عقلائي أقوى، لا مجرد رغبة نفسية طارئة.

خامسا: نستطيع أن نستكشف من موقف زيد بن حارثة من النبي أن الحادثة كانت مقبولة عنده، ولو كان زيد - وهو أحد أطراف القضية- قد لمس اندفاعا غريزيا من النبي لرأيناه يشك في النبوة من الأساس، لا أن يبقى وفيا للنبي ويفتديه بنفسه ويموت تحت رايته.

سادسا: نفس الأمر يقال بالنسبة لزینب، فهي تستطيع أن تعترض على زواجها من النبي في حال كانت علاقتها بزید طيبة وكان النبي هو المفرق بينهما، والتاريخ يشهد بأن النبي قد ترك امرأة لأنها تعوذت منه ولم يجبرها على الزواج، بل بالعكس كانت زينب تفتخر على نساء النبي بأن الله تعالى زوجها من النبي في القرآن.

والخلاصة: بطلان مزاعم الملاحدة وأعداء الإسلام.

الملحد - تخيل عالما إسلاميا لم يتم فيه تحريم التبني كم سيكون عالما جميلا، تخيل كيف أن طرقاتكم المليئة باللقطاء واليتامى أصبحت فجأة فارغة منهم حيث هناك بيوت دافئة يلجؤون إليها، آلام أولئك الأطفال برأيي ستبقى صرخة تطارد نبيكم للأبد.

المؤمن - أبكيتني يا رجل، أنت تتكلم عن أمريكا وأوربا، صح؟؟ هناك أطفال الزنى والدعارة والمشردين تملأ المزابل والمجاري والشوارع والأنفاق، وليس عندنا، هناك حيث شرعنة أوربا إباحة الإجهاض وقتل الأطفال لأن أبناء الدعارة والزنا أصبحوا يشكلون عبئا ماليا عظيما على السلطة فلم تعد دور اللقطاء تستوعبهم. حكومة الاتحاد السوفيتي الشيوعية

الملحدة سبقت حكومات العالم المسيحي بإباحة الإجهاض منذ أول قيامها، لأنها ألغت حتى الزواج المدني وأقرت الاشتراكية الجنسية فامتلات شوارعها بأبناء الزنى.

الإسلام حث على إيواء وكفالة وحضانة ورعاية الأيتام وشدد على ذلك جدا فهذا من اساسيات الإسلام، إنما التبني المحرم هو ان ينسب الشخص ابن غيره لنفسه ويدعي انه هو ابوه أمام الناس، وهذا العمل مرفوض اخلاقا وعقلا وشرعا: ((ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥)))^١، أما التبني بمعنى حضانة وكفالة وتربية اليتيم من دون نسبته عرفيا ورسميا للحاضن والكفيل والمربي فليس محرما بل محبوبا جدا، وهذا ما تقوم به بعض العوائل المسلمة التي لا تتجب أطفالا. في وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) قال: ((يا علي، أربع من كن فيه بنى الله له بيتا في الجنة: من آوى اليتيم، ورحم الضعيف، وأشفق على والديه، ورفق بمملوكه، ثم قال: يا علي، من كفى يتيما في نفقته بماله حتى يستغني وجبت له الجنة البتة، يا علي من مسح يده على رأس يتيم ترحما له أعطاه الله بكل شعرة نورا يوم القيامة))^٢، ((سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن أكل مال اليتيم؟ فقال: هو كما قال الله عز وجل: (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) ثم قال من غير أن أسأله: من عال يتيما حتى ينقطع يتمه أو يستغني بنفسه أوجب الله عز وجل له الجنة كما أوجب النار لمن أكل مال اليتيم.))^٣.

الملحد – وماذا ينفع الإيواء والحضانة والكفالة والرعاية لليتيم واللقيط إن كنت تخبره بأنه ليس ولدك أليس سوف يتدمر نفسيا.

المؤمن – ينفعه نفعا عظيما، كما ينفعه معرفته بأنه يتيم ليعرف أهله أو لقيط ضائع ليبحث عنهم كما ربما يبحثون عنه، ويقال له إن الرسول الأعظم كان

١ - سورة الأحزاب

٢ - وسائل الشيعة، الحر العاملي، باب استحباب رحمة الضعيف، الحديث رقم ١

٣ - وسائل الشيعة، الحر العاملي، باب تحريم أكل مال اليتيم، الحديث رقم ١

يتيما بنص القرآن فلا تبتئس، ومن ينتقص من السفهاء منك باليتم قل له: إنما تنتقص من نبيك إن كنت مؤمنا.

الملحد – نبيكم لاهم له إلا النكاح ولذلك تزوج وأباح لنفسه الكثير من النساء.
المؤمن – الجواب:

١- هذا مطعن قديم جدا، من مطاعن النصارى أيام الحرب الصليبية قبل ١٠٠٠ سنة، باعتبار النصارى يقولون إن النبي عيسى عليه السلام لم يتزوج، وباعتبار أنهم كانوا يشترطون عدم الزواج في السلك الكهنوتي، وباعتبار أنهم لا يجيزون للناس تعدد الزوجات، ولما كان الرسول الأكرم قد توفي عن ٩ زوجات فقد اتخذ النصارى ذلك مطعنا في الإسلام ورسوله، وأنتم اليوم لا جديد عندكم سوى البحث في الملفات المحترقة، خاصة بعد تخلي النصارى أنفسهم عن تلك الاعتبارات القديمة في الجملة، وخاصة بعد تفشي الزنى كحالة طبيعية في الغرب المسيحي فصار الرجل يضاجع الكثير من النساء بالزنى، وصارت المرأة تضاجع الكثير من الرجال بالزنى، وكل هذا وهم يلهجون بربوبية عيسى بن مريم عليهما السلام، أما الملاحظة فحدث ولا حرج، أساسا أكبر دوافعكم للإلحاد هو حرية القذارة الجنسية.

٢- الرسول الأكرم أول امرأة تزوجها هي السيدة خديجة عليها السلام وعمره ٢٥ سنة وبقي معها ٢٥ سنة، فلم يتزوج غيرها حتى توفيت في السنة ١٠ بعد البعثة، أي قبل الهجرة ب٣ سنوات، فكان عمره حينما توفيت ٥٠ سنة، ثم تزوج بعد وفاتها السيدة سودة بنت زمعة في السنة ١٠ من البعثة فكانت ثاني زوجات الرسول الأكرم، وكانت امرأة أرملة كبيرة السن، ثم تزوج بعد وفاة السيدة خديجة ب٥ سنوات من عائشة في سنة ٢ أو ٣ للهجرة وعمره ٥٣ سنة، والمشهور أن الرسول الأكرم لم يتزوج امرأة بكرا سوى عائشة، والتي يشير التحقيق التاريخي أن عمرها عند دخول الرسول بها كان ١٨ - ٢١ سنة، وهناك تحقيق بأنها كانت مطلقة وليست بكرا، فهل هذه مواصفات رجل مولع بالنساء كما نفترضون!!

٣- قيل إن الرسول الأكرم توفي عن ٩ نساء، ولكن الملاحظ أن أغلب زيجاته كانت لأغراض تشريعية ولتأليف قلوب الناس، فزواجه مثلا من ام

حبيبة بنت أبي سفيان رأس مشرقي قريش، ومن جويرية بنت زعيم بني المصطلق مثلا كان لتأليف قلوب زعماء المشركين، وزواجه من صفية بنت حيي بن أخطب ومن ريحانة لتأليف قلوب اليهود، وزواجه من مارية القبطية لتأليف قلوب النصارى، وزواجه من الإماء لكسر العرف في عدم زواج الحر من المملوكة، وزواجه من زينب بنت جحش لتحطيم العرف الجاهلي الذي يحظر الزواج من طليقة المتبنى، وهكذا زواجه من الأرامل والمطلقات لكسر العرف الجاهلي المستحکم والسائد الى يومنا هذا بعدم الزواج من الأرامل والمطلقات، بل الى يومنا هذا فإن معظم الأرامل يعرضن عن الزواج بسبب هذا العرف الجاهلي رغم أن الرسول الأكرم والإسلام سعى للقضاء عليه.

٤- وأخيرا: لا حرج على الرسول الأكرم فيما أحل الله تعالى له: ((مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (٣٨) الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (٣٩)))^١.

الملحد – طبعا هو يشرع ويحلل لنفسه ما يشاء وينسبه الى الله، فهو كتب القرآن لمصلحته، أليس عائشة تقول له أرى ربك يسارع في هواك عندما زوج نفسه من تلك التي وهبت نفسها له، وقالت عندما رأت جويرية حينما جاءت للنبي أنها كرهت دخولها على النبي لأنها جميلة.

المؤمن – لو كان الرسول الأكرم ليس نبيا رسولا حقا، وكان هو من يشرع ويحلل لنفسه ما يشاء، لكان انتهج نهج ملوك الأرض من الأكاسرة والرومان والفراعنة، بل نهج بعض أنبياء بني إسرائيل كداود وسليمان عليهما السلام، باتخاذ عشرات الزوجات والجواري والعبيد والخدم والقصور والجنان والأنهار وكنوز الذهب والفضة وفاخر الأطعمة والأشربة والملابس والمراكب، وكل ذلك كان بإمكانه بعد استقراره في المدينة المنورة وفتح خيبر ومكة والطائف واليمن واذعان معظم جزيرة العرب للإسلام، فلا تقل إنه لم يتمكن من الحصول على ذلك، إلا أن الرسول الأكرم هو أثر أن يعيش

^١ - سورة الأحزاب

أما قول عائشة في خبر للنبي أرى الله يسارع في هواك، وفي خبر أنها قد رأت جويرية جميلة فكرهت دخولها على النبي، وفي خبر أن الرسول الأكرم تزوجها وهي بنت ٦ سنوات، وكذلك قول أتباع عائشة إن الرسول الأكرم كان يطوف على جميع زوجاته في ليلة واحدة بغسل واحد!! الى غير ذلك من الهراء، فهذه من منكرات أتباع منهج خلافة السقيفة، المخالفين لمنهج آل البيت عليهم الصلاة والسلام، الإسلام المحمدي الأصيل، ولا ولم ولن يوجد للملاحدة والنصارى واليهود وكل أعداء الإسلام منفذ للطعن في الإسلام ورسوله إلا من خلال منهج المخالفين لشيعة آل محمد صلوات الله وسلامه عليهم. إن كلام عائشة لا يؤخذ به لأن مسألة الغيرة الزوجية كانت تسيطر على تفكيرها وسلوكها وأقوالها، وقد كانت تسعى دائما حسب ما نقل عنها من الأخبار أن تصور نفسها أكمل النساء وأفضل زوجات الرسول الأكرم وأحبهن اليه، مما دفعها أن تتخيل ما لم يكن وتتقول بما لم يكن ولا يصح، والثابت أنه لم يصدر عن جميع زوجات الرسول الأكرم ما يؤذي الرسول الأكرم في حياته وبعد وفاته سوى ما ينقل عن عائشة، والله أعلم.

- هل الرب يسب ويغضب؟

الملحد - السب والشتم في القرآن: ((وَلَا تُطْعَ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُنْتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (١٣) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٥)))^١.

هنا نجد إله القرآن ينزل الى مستوى فرد خلقه كالوليد بن المغيرة أو الحكم بن ابي العاص أو النضر بن الحارث فيكيل له السب والشتم، والأمر سيان بالنسبة لسب أبي لهب وزوجته ((تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥)))^٢.

^١ - سورة القلم
^٢ - سورة المسد

المؤمن - إن إنشاء الذم بقصد تحقير الشخص والحط من شأنه مهما كان هذا الشخص، أمر مرفوض أخلاقياً عندنا، بل محرم شرعاً إن كان هذا الشخص مؤمناً، والله تعالى لا يفعل المرفوض أخلاقياً، ولكن إن كان ذم الشخص بتوصيف ما فيه فعلاً من المثالب والنواقص بقصد تنبيه الناس حتى لا يغتروا بباطله وينخدعوا به إن كان من أصحاب الباطل، وحتى يحذروا ممن يتصف بصفاته؛ فهذا أمر جائز بل مستحسن عقلياً وأخلاقياً وشرعياً. فلاحظ: ((مسألة ٣٣: يحرم هجاء المؤمن، وهو ذكر نواقصه ومثالبه - شعراً كان أو نثراً - ولا يستحسن هجاء مطلق الناس إلا إذا اقتضته المصلحة العامة، وربما يصير واجباً حينئذٍ كهجاء الفاسق المبتدع لئلا يؤخذ ببدعته)).^١

فمثل الوليد بن المغيرة أو النضر بن الحارث أو الحكم بن أبي العاص، ومثل أبي لهب وزوجته؛ كانوا من رؤوس الشرك ومن رؤوس قريش الخادعين للناس بأموالهم وأولادهم ونسبهم وزخرف قولهم، وكانوا يسومون المؤمنين أنواع العذاب ويصدون الناس عن الإسلام بشتى السبل، فأبو لهب كان يتتبع الرسول الأكرم حتى إذا التقى بوفد يعرض عليهم الإسلام كان أبو لهب يأتي الوفد فيبتزهم تجارياً أو يغريهم بالمال ليصدهم عن الإسلام، وكان يقول لهم إنه عم الرسول وأعرف به منهم وأنه - حاشاه - كاذب مجنون.

ولاحظ أيضاً الذم الشديد عند ذكر خبر شخص قيل أنه بلعم بن باعوراء كان من العلماء الربانيين فركن إلى هواه وخسر الدنيا والآخرة: ((وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦)))).^٢

ولاحظ أيضاً الذم الشديد لعلماء اليهود لإصرارهم على كفرهم رغم كل البراهين الساطعة: ((مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ

^١ - منهاج الصالحين ، السيد السيستاني ، ج ٢
^٢ - سورة الأعراف

يَحْمِلُ أَسْفَارًا بُسِّ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥) قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَتَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧)).^١

هذا الذم هو لكشف حقيقة باطل المبطلين حتى لا يندع الناس بهم، ولبيان أن صفاتهم هي صفات أهل الباطل في كل زمان ومكان فيجب على الناس الحذر من أصحابها.

الملحد – كيف يعني الرب العظيم ينزل الى مستوى شخص فيسبه؟

المؤمن – ليس سباً بل هو ذكر مثالب الشخص التي فيه، بقصد كشفه للناس حتى لا يندعوا بباطله، وليكون أنموذجاً عاماً لمواصفات أهل الباطل ليحذروهم الناس، ورب العالمين يخاطب كل فرد من عباده بحسبه وهو تعالى ذكر هؤلاء بضمير الغائب تحقيراً لشأنهم.

الملحد – وكيف يغضب ويذم وهو ليس كمثله شيء؟

المؤمن – ذم الله تعالى هو إرشاده وتحذيره، وغضب الله تعالى هو عذابه للعاصين، ورضا الله تعالى هو نعمته للمطيعين، فليس ذم وغضب الله تعالى ورضاه بحدوث انفعال، ولو كان منفعلاً لكان مجرى للحوادث فكان حادثاً مفتقراً، وهو تعالى واجب الوجود كمال مطلق.

والجواب الأعمق يأتي من الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وفيه يقول عليه السلام إن غضب الله ورضاه مقصود به غضب ورضا من جعلهم الله تعالى حججه على خلقه، فنسب غضبهم ورضاهم إليه تعالى لأنهم هم الأدلاء على الله تعالى، وطاعتهم طاعته ومعصيتهم معصيته، فلاحظوا:

((عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل: " فلما آسفونا انتقمنا منهم " فقال: إن الله عزوجل لا يأسف كأسفنا ولكنه خلق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون وهم مخلوقون مربوبون، فجعل رضاهم رضا نفسه وسخطهم

^١ - سورة الجمعة

سخط نفسه، لأنه جعلهم الدعاة إليه والادلاء عليه، فلذلك صاروا كذلك وليس أن ذلك يصل إلى خلقه، لكن هذا معنى ما قال من ذلك وقد قال: " من أهان لي ولينا فقد بارزني بالمحاربة ودعاني إليها " وقال " ومن يطع الرسول فقد أطاع الله " وقال: " إن الذين يبائعونك إنما يبائعون الله، يد الله فوق أيديهم " فكل هذا وشبهه على ما ذكرت لك وهكذا الرضا والغضب وغيرهما من الأشياء مما يشاكل ذلك، ولو كان يصل إلى الله الأسف والضجر، وهو الذي خلقهما وأنشأهما لجاز لقائل هذا أن يقول: إن الخالق يبئد يوما ما، لأنه إذا دخله الغضب والضجر دخله التغيير، وإذا دخله التغيير لم يؤمن عليه الإبادة، ثم لم يعرف المكون من المكون ولا القادر من المقدر عليه، ولا الخالق من المخلوق، تعالى الله عن هذا القول علوا كبيرا، بل هو الخالق للأشياء لا حاجة، فإذا كان لا حاجة استحال الحد والكيف فيه، فافهم إن شاء الله تعالى)).^١ فالغضب والفرح هي حالات وعواطف انفعالية متغيرة ولو جاز التغيير على الله تعالى لجاز عليه الفناء، لأن التغيير هو انتقال من عدم إلى وجود، وهي كذلك انفعالات معلولة تقتضي وجود علة فاعلة، ولازمه كونه تعالى معلولا مفتقرا مقدورا عليه محدثا، واللازم باطل فهو تعالى أزلي غني مطلق فاعل غير منفعل، وإلى ذلك أشار ترجمان القرآن الإمام علي أيضا بقوله: ((سَبَقَ الْأَوْقَاتَ كَوْنُهُ، وَالْعَدَمَ وُجُودُهُ، وَالْإِبْتِدَاءَ أَرْزُلُهُ. بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عَرَفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ لَهُ))^٢.

الملحد – عبوس النبي وإعراضه عن الأعمى الذي طلب الهدى وفي هذا قال بسورة عبس ((عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ((٢)))^٣.

المؤمن – دعوى أن الذي عبس وتولى هو الرسول الأكرم، هذه أيضا من منكرات أتباع منهج السقيفة، أما نحن شيعة آل البيت فنعتقد بالعصمة المطلقة

^١ - أصول الكافي، الشيخ الكليني، كتاب التوحيد، باب النوادر، الحديث رقم ٦

^٢ - نهج البلاغة، جمع السيد الشريف المرتضى، شرح الشيخ محمد عبده، ج ٢، الخطبة رقم ١٨٦

^٣ - سورة عبس

للسل الرسول الأكرمؐ؁ والله تعالى يشهد لرسوله بأنه لعل خلق عظيم؁ وكفى بذلك ردا على منكرات المخالفين.

الملحد - كيف العصمة تكون مع هذه الأقوال؟

المؤمن - اثبت أولا صحة هذه الأقوال وفق المنهج التحقيقي؁ فالرسول الأكرم شهد الكفار والمؤمنون وسيرته ومواقفه القطعية بخلقه العظيم؁ بقي أن تجد في زوايا التاريخ ما ينافي ذلك فهذا لن يغير الواقع؁ ولذلك كانت هناك الوصية النبوية القطعية العظمى بالأمر بالتمسك بكتاب الله تعالى وعتره الرسول الأكرم الأئمة الطاهرين لل منع من الضلال من بعد الرسول الأكرم. فعلى الباحث العلمي أن لا يبحث في الزوايا فقط ثم يستنبط منها أحكاما عامة. أما دليلنا العقلي على العصمة المطلقة للرسول الأكرم فهي إن الرسول إنما بعث ليهدى فيطاع ويقتدى به بكونه مظهر تجلي الله في خلقه والانسان الأسمى والقدوة العليا؁ فلا تجوز عليه المعصية والضلال عمدا أو خطأ؁ وإلا كانت طاعته والافتداء به ضلالا وليس هداية؁ وهذا خلاف الغاية من ارسال الرسل.

- قتل الغلام

الملحد - كونك مطالعا على قصص قرآنك قراءةً وتفسيراً ففي قصة موسى والعبء الصالح على سبيل المثال يقوم العبء الصالح بقتل طفل برئ ثم يدعي انه سيرهق ابويه من الطغيان (فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله قال أقتلت نفساً زكيةً بغير نفسٍ لقد جئت شيناً نكراً) ثم تأتي العلة في آية لاحقة (وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا).

الأمر المضحك هو ان العبء الصالح يخشى أن يرهق الطفل والديه عندما يكبر فأرهقهما بفاجعة مقتله في الصغر! وعجز عن اصلاحه وهو الذي يدعي انه يقول للشيء كن فيكون.

ختاماً إذا كان قتل الطفل البريء مشروعاً في قرآنكم فأرجو أن لا تطرحوا مواضيع مثل الأخلاق أو الإنسانية فأنتم يجب ان تكونوا آخر من يتحدث عنها.

المؤمن - جيد، دعونا نذكر نص القصة دون بتر، قال تعالى: ((فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرَقَ أَهْلُهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي فَذْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (٧٦) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوا لَهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَحَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاءً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٢)))).^١

نسألکم أولاً: إن العبد الصالح ويسمى ((الخضر)) في الروايات، قد قام بثلاثة أعمال في القصة، منها أنه قد خرق سفينة المساكين بقصد أن يعييبها عيباً صغيراً مؤقتاً ليحفظها لأصحابها من الظالم الذي جاء لغصبها، ومنها أنه

تبرع بإقامة جدار آيل للسقوط بقصد أن يحفظ ما تحته من كنز لئيميين، رغم المعاملة السيئة له من أهل المدينة حيث أبوا أن يطعموه، فهل ترون هذه من الأعمال الصالحة الصائبة؟

الملحد – نعم، إنها صالحة صائبة.

المؤمن – إنها أعمال ليست صالحة صائبة فقط بل في منتهى الحكمة والإيثار، ولا يفعلها إلا عظيم الحكمة والأخلاق، فإن كان الخضر كذلك فلا يستقيم هذا مع وصفكم له بالسفاهة والرذيلة في قصة قتل الغلام، هذا تهافت! وهنا أنتم خصمتم أنفسكم.

الملحد – كونه فعل بعض الأعمال الصائبة لا يعني كونه صالحا مطلقا لأن أشد المجرمين جرما عندهم كذلك بعض الأعمال الصائبة.

المؤمن – لكن أجواء القصة لا تدل على كونه كسائر الناس يخطأ ويصيب، ولا تدل على كونه متأصلا في الإجرام والرذيلة فتصدر منه بعض الأعمال الصالحة نادرا، بل حوار مع النبي موسى عليه السلام يدل على كونه شخصا بمنتهى الرزانة والوقار والهدوء والصبر والحزم والتعقل، وخرقه للسفينة وإقامته للجدار تدل على كونه بمنتهى الحكمة والفضيلة، فلازم ذلك أن يكون عمله بقتل الغلام بمنتهى الحكمة والفضيلة أيضا وإن كنا نجعل وجه الحكمة والفضيلة فيه فنستكره لأول وهله، كما استنكر أعماله النبي موسى لأول وهله، لكن لما أخبره الخضر أذعن وسلم فلم يفسط كما تسفستون أنتم الآن.

الملحد – أنا أختار أن قيامه بخرق السفينة وإقامة الجدار ليست أعمالا صالحة أيضا كقتله للغلام.

المؤمن – سفستوا براحتكم. لماذا؟

الملحد – لأنه تدخل فيما لا يعنيه وتصرف دون طلب.

المؤمن – يعني أنت لو كنت مكانه وعلمت إنك إذا لم تعب السفينة عيبا صغيرا مؤقتا فإن الظالم سيستولي عليها، فهل كنت ستترك سفينة المساكين

للظالم؟ ولو كنت مكانه وعلمت بأنك إذا لم تقم الجدار فإنه سينقض وينكشف ما تحته من كنز، فهل كنت ستترك كنز اليتامى ليأخذه الناس ذوي الأخلاق السيئة الذين أبوا أن يطعموك لقمة؟

الملحد – ومن قال إن الظالم سيستولي على السفينة فعلا وإن الناس ستستولي على الكنز فعلا؟

المؤمن – هو يعلم ذلك بتعليم الله ((فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥)))، وأنت لو كنت مكانه وعلمت ماذا ستفعل؟

الملحد – لن اخرق السفينة ولا أقيم الجدار لأنه تدخل فيما لا يعنيني.

المؤمن – وهنا أيضا خصمتم أنفسكم من جهتين. من جهة تشدقكم بالإنسانية وأنتم كاذبون، ومن جهة أخرى هي: ما دمتم ترون أن خرق السفينة وإقامة الجدار أعمالا غير صالحة فلماذا لم نسمع منكم اعتراضا عليها بينما تطبلون فقط على مسألة قتل الغلام؟

الملحد – لأنه قتل لطفل بريء.

المؤمن – بل السبب الحقيقي لتطبيلكم على مسألة قتل الغلام هو لأنها تتحدث عن قتل الكافر، وأنتم لا يهتمكم سوى مسألة حرية الكفر ومسألة قتل الكافر الأصلي والمرتد، وما تباكيكم على الطفولة إلا لتسخير العاطفة في خدمة الترويج للإلحاد. أول الكلام أثبتوا لي أن الغلام كان طفلا؟

الملحد – مفسروكم يقولون ذلك.

المؤمن – أولا: كذبتم بالتعميم للجميع، فالمفسرون اختلفوا. ثانيا: ما علاقتكم أنتم بفهم المفسرين!! أنا أريد فهمكم أنتم وإثباتكم أنتم أن الغلام كان طفلا.

الملحد – هي كلمة الغلام تعني الطفل الصغير وموسى يقول في القصة إنه نفس زكية يعني بريئة.

المؤمن – في اللغة فإن كلمة غلام تعني الفتى اليافع، الأعم ممن كان صبيًا أو بالغًا، لاحظوا: ((الغلام: الطائرُ الشارب. وقيل: هو من حين يولد إلى أن يشيب))^١، وفي القرآن الكريم: ((وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ (٢٣) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (٢٤)))^٢، فهؤلاء خدمة أهل الجنة وهم ليسوا أطفالًا بالتأكيد لأن الأطفال لا تحسن الخدمة، ومن نفس قصة قتل الغلام فإن النبي موسى عليه السلام قال: ((فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيََا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (٧٤))) قوله "بغير نفس" أي بغير جريمة قتل بينة قام بها الغلام تستدعي القصاص بقتله، وهذا يشير إلى أن الغلام كان بالغًا عاقلًا مكلفًا لأن القصاص إنما يكون من البالغ العاقل ولا قصاص على طفل. والنتيجة لم يمكنكم اثبات أن الغلام كان طفلًا فسقط بذلك شعاركم الذي يستتر خلفه غيظكم من اشتغال القصة على قتل الكافر. أما تبجحكم بالإنسانية وحقوق الطفل وتهريجكم بذلك على الإسلام، فأنتم عار عليكم التشدد بذلك بينما أنتم تقررون حق الزانيات والأطباء في قتل الأطفال بقانون حرية الإجهاض.

الملحد – ولماذا قتله أليس لا اكراه في الدين وتزعمون إن الإنسان مخير؟

المؤمن – الغلام كان جبارا عصيا مؤذيا لأبويه المؤمنين الصالحين، ولو بقي لأشقى والديه بكفره وطغيانه.

الملحد – ولماذا لم يصلحه بدل قتله؟ ولماذا خلقه أصلا؟

المؤمن – هذا سؤال عام لا يخص هذه القصة، فكل يوم يولد أطفال ويموت أطفال كما يموت كبار بأسباب شتى، الحياة والموت بيد الله تعالى فهو مسبب الأسباب وبيده مقاليد السماوات والأرض، قال تعالى: ((وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ

^١ - لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (غلم)

^٢ - سورة الطور

عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأَوْلَاكَ هُمْ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧))^١. فنقص الأنفس هو ابتلاء تتبع الغاية منه حكمة الله تعالى، فحتى لو كان الغلام في هذه القصة طفلاً فكل يوم يولد أطفال ويموت أطفال بأسباب شتى فهل من معترض؟ إنما الذي يستنكر في هذه القصة لأول وهلة، كما استنكر النبي موسى عليه السلام، هو كون سبب الموت كان قتلاً بيد شخص بشري خلاف ظاهر القوانين التشريعية التي تخص القتل، ولكن الاستنكار يزول كما زال من النبي موسى عليه السلام عند العلم بأن الخضر عليه السلام لا يعمل بحسب علم الظاهر وعالم التشريع بل بحسب علم الباطن وعالم التكوين فهو يعمل بولايته التكوينية المعطاة له من الله تعالى، وإلا فهل يصح للنبي موسى عليه السلام أن يعترض على أمر الله تعالى لملك الموت بقبض روح طفل وإن كان بريئاً؟ لا يصح، ولذلك هو سلم وأذعن حالما أخبره الخضر عليه السلام ((وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٢))). الفرق أنه بريء بحسب الظاهر للنبي موسى وأن الموت كان قتلاً بيد الخضر بقرار من الخضر نفسه حسب الظاهر للنبي موسى، لذلك استنكر الأمر واستبشعه ولم يطق صبراً عن التعبير عن اعتراضه، وكذلك أنت ترى ذلك، ولكن بمعرفة الواقع ادرك النبي موسى الحكمة وأذعن، وانت إذا كنت مؤمناً ستسلم وإن كنت ملحداً فطبيعي لن تسلم، هو اختبار للإيمان.

- حكمة الشرف في العالم

الملحد - لماذا المسلمون دائماً يربطون الكوارث الطبيعية بالغضب الإلهي؟ يعني مدينة تحت جبل بركاني لا بد في وقت سينفجر ويهلكها، أمر اعتيادي، ثم الأطفال ما ذنبهم ليهلكم مع أهلهم؟

المؤمن - سبب ربطنا هو إيماننا بأن الله تعالى قد ربط بين عموم وانتشار الفساد والظلم من دون وجود فئة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر في قوم وبين استحقاقهم حلول العذاب العام، وبالطبع هذا الإيمان لا ينافي سببية

^١ - سورة البقرة

القوانين الطبيعية ولكننا نؤمن بأن قوانين الطبيعة مملوكة لله تعالى فهي ليست حتمية العمل. انت تقول: "مدينة تحت جبل بركاني لا بد في وقت سينفجر ويهلكها، أمر اعتيادي" لا، ليس بالضرورة وليس عاديا وليس محتما، فكم من الجبال البركانية لم تنفجر لآلاف السنين وكم من الجبال البركانية انفجرت فلم تقتل شخصا واحدا. كما أنه ليس بالضرورة إن كان الإنسان مؤمنا صالحا يلزم أن يحفظه الله تعالى من كل سوء، فالاختبار للتكامل سنة الله في خلقه، سواء ابتلى المؤمن الصالح في نفسه أم في غيره، قال تعالى: ((وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (١٥٤) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧))'.

الملحد – أنا مؤمن بوجود الخالق، ولكن ما علاقته بالحوادث الطبيعية؟ إنها تجري وفق قوانين الطبيعة، وإن قلت لي: من قنن القوانين؟ فسأقول: إنه الخالق الصانع. ولكن ما دخل القوانين بغضب ورضا الخالق؟

المؤمن - يبدو أنك ملحد ربوبي، لا يؤمن بالنبوة والدين ويزعم أن الله تعالى قد خلق الكون والبشر ثم اعتزل التدخل في شؤونهم. هذا اعتقاد ثابت البطلان جزما بل هو مضحك وإزراء بالخالق وبالعقل، وقد تحاورنا مسبقا مع الربوبيين واللا دينيين حول بطلان أصل فكرة الربوبية واللا دينية بالخصوص، أما شبهاتهم التي حدث بهم لنفي النبوة وألوهية الدين فهم يشتركون بها مع الملاحدة الجاحدين والملاحدة اللا أدريين، وقد ناقشنا معظمها وأهمها. فيا عزيزي، إن الله تعالى قد خلق الكون والبشر بعلم لحكمة وغاية فلم يخلقه عبثا أو جهلا ليتركه هملا بلا حاكمية وعناية وشرعة ونظام ومراقبة ومحاسبة، لا يفعل ذلك واحد من العقلاء بل حتى قطعان البهائم، فتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

الملحد – ما هذا الإله الذي لا يغضب من القتل الفاحش للرجال والنساء والأطفال في الحروب كما فعله هتلر، والاعتصاب والمجاعات والجفاف والتطهير العرقي واستعمال أسلحة الدمار الشامل، مثلما يغضب لقتل نبي أو ناقة أو بسبب اللواط والدعارة والخمور!! يا له من اله غير عادل ولديه عقدة من ممارسة الجنس. أنا لا أو من ابدا بهكذا اله.

المؤمن – يحق لك لا تؤمن بهكذا إله، ونحن لا نؤمن أيضا بهكذا إله، لأن الله تعالى ربنا ليس هكذا. أما سؤالك فهو قديم وقد أجاب الله تعالى عنه جوابا عقلانيا منطقيا فقال تعالى: ((الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٠) وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٦١)))^١.

أي إن الله تعالى الكمال المطلق الذي لا تشوبه شائبة نقص من جهل أو عبث أو ظلم وهو حكيم عزيز الشأن، ومن كان شأنه هذا لا يظلم ولن يرضى بظلم عباده، ولأجل هذا واطر اليهم الأنبياء والرسل بالهداية والشريعة وبين لهم ما ينبغي عليهم فعله وما لا ينبغي، وجعل لهم أئمة هداية يحكمون بالحق، وأمرهم باتباع أئمة العدل واجتناب أئمة الظلم، وأمرهم أن يتأمروا بالمعروف ويتناهوا عن المنكر حتى لا يتولى عليهم شرارهم ويعمهم الظلم والفساد فيتطرق ظلمهم وفسادهم الى الطبيعة، قال تعالى: ((ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١)))^٢ فلم يفعل الله تعالى سوى أن مسهم بعض وبال عملهم بمقدار تذوق الطعام عسى أن يرتدعوا فيؤمنوا ويتقوا ويصلحوا أمرهم، لأن الإيمان والتقوى هما مفتاح بركات الطبيعة، قال تعالى: ((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦)))^٣.

١ - سورة النحل
٢ - سورة الروم
٣ - سورة الأعراف

الآن، الاحتباس الحراري المؤدي الى الأعاصير والفيضانات والجفاف وتلوث الهواء وارتفاع درجات الحرارة مما تسبب في المجاعات والعطش والأمراض والموت الذريع؛ هذا الاحتباس الحراري يقر خبراء الوكالات الدولية أن سببه هو مصانع الدول الصناعية العظمى وفي مقدمتهم أمريكا، وهذه الدول الصناعية العظمى أقرت بذلك ولكنها تراوغ في اتخاذ إجراءات الإصلاح. هذا من فعل البشر وتأييد البشر وتخاذل البشر وترك البشر للإيمان والتقوى. إنه ظلم البشر بعضهم لبعض وتركهم ما أمرهم الله تعالى به فلا تلووا الله ولكن لوموا أنفسكم ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٤)))^١.

أما لماذا لا يحق الله تعالى كل ظالم طاغية شرير أو كل فئة ظالمة شريرة؟ ومن قال إن الله تعالى لا يعذب الأشرار ولا يعاقب الظالمين والفاستين؟ أم أنتم تريدون أن يحق الله تعالى كل ظالم شرير وفئة ظالمة شريرة فورا؟ إن الله تعالى أجاب بأن هذا تصرف غير حكيم فهو يريد أن يمتحن البشر بعضهم ببعض لأن الاختبار هو طريق التكامل، وهو فرصة للرجوع الى الله تعالى بإصلاح النفس والعمل، وليكشف للناس ضمائرهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة، قال تعالى: ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤)))^٢، وهو تصرف يستلزم إبادة كل المخلوقات، فهل يرضى أحدكم أن يهلكه الله تعالى فورا بمجرد أن يعمل المعصية؟ فلو يؤخذ الناس بظلمهم لما ترك على وجه الأرض من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل معين، ويوم القيامة ستقام محكمة العدل الكبرى. ولعلمكم فإن لكل مسيء أو شرير قسطه من العذاب في الحياة الدنيا ولكنكم لا تشعرون، إلا إذا كانت الإبادة جماعية ستشعرون بها، وما يجعلها الله إلا آية

^١ - سورة يونس
^٢ - سورة الأنعام

لقوم يخشعون، فحتى في حالة الإبادة الجماعية ينبري من في قلوبهم مرض الى التكذيب أو التشكيك أو التأويل أو التعقيم.

إن كل أفعال الله تعالى مبنية على حكمة مطلقة لا يحيط بها العقل القاصر فالله لا يتصرف بحسب عقلك المحدود. الإنسانية المبنية على عواطف ساذجة ووعي قاصر مدمرة للشخص وغيره، فالأم التي تتصرف مع أبنائها بعواطف ساذجة ووعي قاصر ستتلفهم بينما الأم الحكيمة لا تدع عواطفها تفسد أولادها، وكلنا حينما كنا صغارا لم نكن ندرك حكمة تصرفات امهاتنا وكنا ننزعج منهم بل ربما نبغضهم ونحقد عليهم بسبب قصور وعينا فلما كبرنا أدركنا بأنهم لم يردن لنا إلا الخير، والله تعالى أشد رحمة بعباده من الأم بطفلها.

الملحد – الإله الذي يخلق الشرور هو إله شرير لا يستحق العبادة حتى على فرض وجوده.

المؤمن – الله تعالى كمال مطلق وخير مطلق، وإن كان غير ذلك فهو ليس الله تعالى ولا يستحق العبادة على فرض وجوده، وما يسمى الشر هو إما عدم للخير أو هو وجود مضر نسبيا.

الملحد – كيف؟

المؤمن – الخير هو كل أمر وجودي نافع حسن. والشر أما يكون عدما لذلك الخير، كالعدل هو صفة فضيلة والظلم هو عدم العدل، وكالعافية هي خير والمرض هو عدم العافية، فالظلم والمرض ليس أمورا وجودية بل هي عدم والعدم غير مخلوق. وأما أن يكون الشر أمرا وجوديا مضرا نسبيا وبالعارض، كالسم في العقرب هو أمر وجودي وكمال وخير للعقرب ولكنه يكون مضرا لمن تلدغه العقرب، وكالبكتريا هي أمر وجودي وكمال للطبيعة ولكنها تكون أحيانا مضرة بالنسبة لشيء آخر.

- سؤال عن الحكمة من خلق المشوهين

الملحد - لماذا الله صاحب الكمال المطلق وله قدرة مطلقة يخلق ناسا معاقين أو مشوهين لا يستطيعون اكمال حياتهم؟ أو يعيشون هم وأهلهم في قهر وهم طول العمر لماذا؟ ما الحكمة من هذا؟ هذا عبث يدل على عدم وجود الله ويؤكد الاصطفاء الطبيعي.

المؤمن - حتى يكون ذريعة لكم لتبرروا إحدكم. وإن كان قصدكم إن الطبيعة تعمل بهذه الطريقة فلماذا لم نشهد لحد الآن ظهور نوع أكمل من الإنسان؟ بل اتحداك أن تثبت وجود أي نوع ثابت من الأنواع بهذه الطريقة بأن تأتيني بالأنواع الانتقالية التي يسميها دارون الضروب المتوسطة والتي أذعن بخلو السجل الاحفوري منها وأذعن إن فقدانها ينسف فرضيته.

الملحد - ليست ذريعة بل هذه هي الحقيقة.

المؤمن - قال الله تعالى: ((لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤)))^١، وإنما النقص يأتي من جهة البشر أنفسهم عمدا أو خطأ. فتش عن أي نقص ستجده راجعا للبشر أنفسهم، كتناول أطعمة وأشربة مضرّة محرمة أو مكروهة، أو تناول علاجات كيميائية، أو بسبب حالة نفسية، أو بالتعرض لإشعاع أو صدمة جسدية، أو بسبب مرض جسدي أو عصبي، أو بسبب خلل هرموني، أو بسبب وضعية جماع غير صحيحة كالجماع في الحيض أو بدون طهارة أو جماع الزنى والدعارة، أو بسبب ممارسة أعمال ونشاطات غير صحية. فالأسباب كثيرة جدا وقد ربط الله تعالى الأسباب بمسبباتها وبيده مقاليد السماوات والأرض، فلا لوم على الله تعالى بل اللوم على البشر أنفسهم، حيث لم يقصر الله تعالى في تحذير البشر وارشادهم الى سبل الحياة الصحية والسلوك الصحيح.

الملحد - مادام الله بيده كل شيء، فلماذا أوجد هذه الأسباب لولادة المشوهين والمعاقين؟

^١ - سورة التين

المؤمن - إن الله تعالى لم يجبر بشرا على تسبب النقص لا تشريعا ولا تكوينا ولكنه سمح للسبب أن ينتج النتيجة، كما في تناول الخمر الذي هو من أسباب تشوه الجنين، فإن الله تعالى لم يجبر على تناولها تشريعا بالأمر بتناولها بل حذر منها، كما لم يجبر تكوينا على تناولها بوضعها قهرا في فم الأم وسلبها القدرة على الامتناع، ولكن الله تعالى عندما اختارت الأم تناولها لم يمنع من تأثير الخمر في الجنين، أي إن الله تعالى سمح لسبب النقص أن ينتج النقص.

الملحد - لماذا سمح لسبب النقص أن ينتج الأثر فسمح بولادة المشوهين والمعاقين؟ ألم يكن قادرا على منع التأثير؟

المؤمن - إن الله تعالى قادر على إبطال أثر سبب النقص، وإنما يسمح لسبب النقص أن ينتج النقص أحيانا وهو بالفعل يمنع ويعفو عن كثير بلطفه وكرمه، قال تعالى: ((وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (٣٠)))^١. ولذلك ترى النقص لا يشكل إلا نسبة ضئيلة جدا من البشر، وإنما سمح بحصول هذا النقص لغايات كثيرة حكيمة هي خير للبشر، منها حتى يرى البشر عواقب أعمالهم وسلوكياتهم الخاطئة فيبتعدوا عنها، ومنها حتى يبتلي الشخص بالنقص الذي فيه، وحتى يبتلي أهله وكل الناس به، لأن الابتلاء هو سنة الله تعالى في خلقه ولن يخلو أي شخص من الابتلاء، بل لا يوجد شخص مأمون من ورود النقص عليه، قال تعالى: ((وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٦٥)))^٢، ومنها حتى يعرف الناس معنى الكمال وقيمه فلولا النقص ما عرف الكمال إذ بضدها تتبين الأشياء، فيجب شكر الله تعالى على السلامة والعافية، ومنها إنه اختبار لإيمان الناس بربوبية الله تعالى وحكمته وعدله فيزداد المؤمن إيمانا ومن كان في قلبه مرض زاده الله مرضا، ومنها أن يعلم البشر بنقصهم وبافتقار كل شيء الى الكامل المطلق الذي لا يشوبه نقص، قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((وَبِمُضَادَّتِهِ بَيِّنَ الْأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ، وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيِّنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ

^١ - سورة الشورى
^٢ - سورة الأنعام

أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ. ضَادَّ النُّورَ بِالظُّلْمَةِ، وَالْوُضُوحَ بِالْبُهْمَةِ، وَالْجُمُودَ بِالْبَلَلِ،
وَالْحَرُورَ بِالصَّرْدِ. مُؤَلَّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا، مُقَارَنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا، مُفَرَّبٌ بَيْنَ
مُتَبَاعِدَاتِهَا، مُفَرَّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا.))^١.

الملحد - وما ذنب خصوص هذا الطفل أن يكابد معاناة هذا التشوه والعوق؟
المؤمن - لا ذنب له، وهو مظهر تجلي حكمة الله تعالى، ومحط ابتلاء الله
تعالى له وللآخرين فالبلاء لا يخلو منه أحد، وهو في عين الله تعالى ورعايته
فلا يكلف الله نفس إلا وسعها. وليس أنتم أرحم من الله تعالى بعبده، بالعكس
فإن أكثر معاناة هؤلاء هي من سوء تعامل البشر معهم، فالبشر هم الملامون
وهم المقصرون وهم المحاسبون. قال تعالى: ((وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ
وَالْجُوعِ وَنَفْسٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥)
الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ
صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)))).^٢.

- احذروا مغالطة المصدق السيء

الملحد - كلامكم سليم فعلا، وحكم لمعضلة الشرور هو حل سليم منطقيا
وواقعا. وبالفعل فإن أهم أسباب إحدانا هو ما نراه من الكوارث والشرور
والبؤس الاجتماعي، وما وجدناه في اسلام السقيفة، وما نراه من فعل الحكام
والسياسيين والفقهاء والمسلمين.

المؤمن - ينبغي على الإنسان أن يكون واعيا ويعلم حقيقة علمية مفادها :
إن حقانية الأفكار و الحقائق الكلية سواء أكانت عقيدة دينية أو غيرها إنما
تثبت ببرهنتها عقليا بالبرهان المنطقي، على خلاف القواعد الاستقرائية
الكلية التي لا تثبت صحتها إلا باستقراء و تتبع جميع أفراد موضوعها ،
بحيث أنها يمكن اثبات كذب كليتها و نقضها بتخلفها في بعض المصاديق .

^١ - نهج البلاغة ، جمع السيد الشريف المرتضى ، شرح الشيخ محمد عبده ، ج ٢ ، الخطبة رقم ١٨٦
^٢ - سورة البقرة

فمثلا نرى أن (كل $1 + 1 = 2$) هي حقيقة كلية ثابتة الصحة بالبداهة ، فمن يريد ابطالها عليه اثبات ذلك برهانيا ، أي يأتي ببرهان عقلي على أن النتيجة هي (٣) ، لكن لو رأينا انسانا يعطي ناتج الحساب (٣) فهذا لا يعني بطلان و كذب كلية الحقيقة الرياضية ، إنما يعني أن هذا الشخص قد أساء في الحساب ، و هكذا من يرسب في امتحان الرياضيات لا يعني بطلان علم الرياضيات. أما مثل قولنا (كل حيوان يحرك فكه الأسفل حين اكل الطعام) فهذه قاعدة استقرائية يدعي واضعها أنه قد اثبتها بتتبع كل الحيوانات، و لكن عند اكتشاف حيوان واحد يحرك فكه الأعلى لمضغ الطعام كالتمساح ، يثبت بطلان و كذب كلية القاعدة الاستقرائية .

الأسلام عقيدة دينية فهو كحقيقة كلية برهانية تثبتت حقانيته بالبراهين العقلية القطعية ، فمن يحاول نقض الإسلام عليه أن يأتي ببرهان عقلي على بطلانه. و لكن الملحوظ و خصوصا اليوم في عصر التضليل الإعلامي، بسبب عجز أعداء الإسلام عن ابطال حقانية ثوابته برهانيا، فهم يتجهون لاستغلال بسطاء الإدراك باستعمال "مغالطة المصداق السيء" فتراهم يبحثون في القمامة عن أي فرد ومصداق سيء من الأشخاص أو السلوكيات، ثم يقدمونها دليلا على بطلان الاسلام. الدين المحمدي الأصيل كجانب عقائدي ثبت بالبراهين القطعية، و كجانب تشريعي عملي و تعاليم اخلاقية هو منهاج جعله الله فاطر الإنسان لصيانة فطرته عن الانحراف نحو الافراط و التفریط ، و لتهديبها عند تدنسها ، و لإرشادها نحو كمالها اللائق بشأنها الذي هو غاية خلقها . كالجهاز الذي في منتهى الدقة و كتلوك الصانع ، فمن يهمل التلوك أو يسيء استعماله فاللوم يقع عليه لا على التلوك و لا على الصانع ، و هكذا الشخص السيء و السلوك السيء ممن هو مسلم أو محسوب على الإسلام ، فإن اللوم يقع عليه و نقول هذا شخص سيء و هذا سلوك سيء و هذا تطبيق خاطئ ، و لا نقول أن الإسلام باطل و سيء .

إن تشويه الإسلام المحمدي الأصيل و حالة الانحطاط الاقتصادي والتكنولوجي و السياسي و العلمي ، يرجع قسط كبير منه الى سوء فهم و تصرف و تطبيق المسلمين و المنتحلين للإسلام ، و يرجع القسط الآخر

الى صراع أممي تقوده دول الاستكبار العالمي. فكونوا وعاء واحذروا مغالطة المصاديق التي تروجها حملة التضليل الصهيوني الأمريكي الإلحادي.

وفي نهاية حواراتي معكم، أختتم بهذه التعاليم الأخلاقية القرآنية النبيلة التي تبطل كافة تهريجات الملاحدة على أخلاق الإسلام. قال تعالى: ((قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)))).^١

^١ - سورة الأنعام

المحتويات

٢	بداية القصة
٨	اللقاء الأول: حوارات حول الخالق والأديان
٨	- ما هو منطق الإلحاد؟
١٥	- سؤال: أيهما الأصل الإيمان أم الإلحاد؟
١٦	- فرضيات الملاحظة في تفسير الإيمان والدين
٣٢	- سؤال: ما الدليل على وجود الله؟
٤١	- محاولات الملاحظة إبطال أدلة الإيمان
٥١	- حوار مع ربوبي
٦٥	اللقاء الثاني: حوارات حول الإعجاز القرآني
٦٥	- ما هو الدليل على صحة نبوة الرسول؟
٦٦	- وجوه الإعجاز القرآني
٨٠	- كيف يكون القرآن تحدياً لغير العرب؟
٨١	- ماذا يعني الاتيان بمثله؟
٩٩	- عروبة القرآن
١١٠	- دعوى تحريف القرآن
١٢٤	- دعوى وجود أخطاء املائية في القرآن
١٢٨	- دعوى وجود التناقض في القرآن
١٣٥	- شبهات حول الاعجاز البياني للقرآن
١٦٦	اللقاء الثالث: حوارات حول الشبهات التاريخية
١٦٧	- هل القرآن مقتبس من كتب اليهود والنصارى؟
١٦٨	- هل القرآن مقتبس من أساطير الشعوب؟
١٦٩	- مهزلة "أنبياء سومريون"
١٧٢	- هل طوفان نوح اسطورة؟
١٧٤	- هل خرجت التوراة من اليمن؟
١٨٣	- أين آثار الأنبياء؟
١٨٧	- هل يوجد درهم في زمن النبي يوسف؟
١٩١	- قصة الاسراء والمعراج تاريخيا
٢٠٠	- نسبة السامري
٢٠٠	- نسب العذراء مريم
٢٠٢	اللقاء الرابع: حوارات حول الشبهات العلمية
٢٠٢	- سؤال: هل العلم في صراع مع الدين حقا؟
٢٠٩	- اثبتوا لنا موارد تقاطع العلم مع الدين
٢١٢	- شبهة فرضية الانفجار الكبير والدين
٢٢٦	- هل الأرض مخلوقة قبل السماء؟

- ٢٢٩ - خلق السماوات والأرض في ستة أيام _____
- ٢٣٤ - كروية الأرض وحركة الشمس _____
- ٢٥٠ - نشأة الجبال _____
- ٢٥٥ - شبهة فرضية التطور الدارويني والدين _____
- ٢٦١ - آليات التطور الدارويني _____
- ٢٦٢ - مناقشة آليات التطور _____
- ٢٦٧ - أدلة التطور الدارويني _____
- ٢٦٨ - مناقشة أدلة التطور _____
- ٢٧٠ - تهافت الدارونية بين الطفرة والتدرج _____
- ٢٧٣ - السجل الاحفوري والحلقات المفقودة _____
- ٢٨٣ - ماهي حقيقة كشف الجينوم البشري؟ _____
- ٢٨٥ - سر الروح وأصل الحياة _____
- ٢٨٨ - هل هناك ملازمة بين الدارونية والاحاد؟ _____
- ٢٩٢ - فرانسيس كولينز يقصم ظهر الإلحاد الدارويني _____
- ٢٩٧ - مسألة التوفيق بين الدارونية والقرآن _____
- ٢٩٨ - كيف الخلق من الطين؟ _____
- ٣٠٢ - هل قالت الفيزياء بأزلية المادة والطاقة؟ _____
- ٣٠٨ - ما فائدة وجود كل هذه المجرات؟ _____
- ٣٠٩ - شبهات حول تكوين الجنين والتكاثر _____
- ٣٠٩ - ما معنى الصلب والتراثب؟ _____
- ٣١٥ - تكوين اللحم بعد العظام _____
- ٣٢٣ - هل الطبيب يعلم ما في الأرحام؟ _____
- ٣٢٥ - كائنات تتكاثر احاديا فأين الزوجية؟ _____
- ٣٢٦ - حواء ليست من ضلع آدم _____
- ٣٢٦ - ولادة النبي عيسى من غير أب _____
- ٣٢٧ - هل النحل يأكل الثمرات؟ _____
- ٣٣٢ - مبدأ المطر من السماء أم من الأرض؟ _____
- ٣٣٥ - كلام النمل والهدهد _____
- ٣٣٦ - كلب نام ٣٠٩ سنة ونهض حيا! _____
- ٣٣٩ - المعجزات والمنطق _____
- ٣٥١ - السفر عبر الكون: المعراج & رجل الاسبكتي _____
- ٣٦٢ - جواب عام للسؤال عن الكيف _____
- ٣٦٣ - معنى الإعجاز العلمي للقرآن _____
- ٣٦٧ - ول ديورانت وقصة الحضارة الإسلامية _____
- ٣٧١ - اللقاء الخامس: حوارات حول الشبهات الأخلاقية _____
- ٣٧١ - سؤال: ملهي الأخلاق؟ _____
- ٤٠٢ - حاجة الأخلاق الى الدين _____
- ٤١٩ - ماذا قدم الإسلام للإنسانية؟ _____
- ٤٣٤ - هل الإسلام دين الحرب أم السلام؟ _____
- ٤٥٥ - حكم الارتداد في الإسلام _____

- ٤٦٨ - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
- ٤٧٥ - هل حدثت إبادة لبني قريظة؟!
- ٤٨١ - حكم الأسرى في الإسلام
- ٤٩١ - ما قضية قتل أم قرفة؟
- ٥٠٥ - موقف الرسول من خالد
- ٥١١ - من هم صعاليك تهامة؟
- ٥٢٠ - حكم الاسترقاق في الإسلام
- ٥٥٧ - العقوبات في الإسلام
- ٥٦٤ - الإسلام وحقوق المرأة
- ٥٨٢ - هل الرب يسب ويغضب؟
- ٥٨٦ - قتل الغلام
- ٥٩١ - حكمة الشرفي العالم
- ٥٩٦ - سؤال عن الحكمة من خلق المشوهين
- ٥٩٨ - احذروا مغالطة المصداق السيء
- ٦٠١ - المحتويات